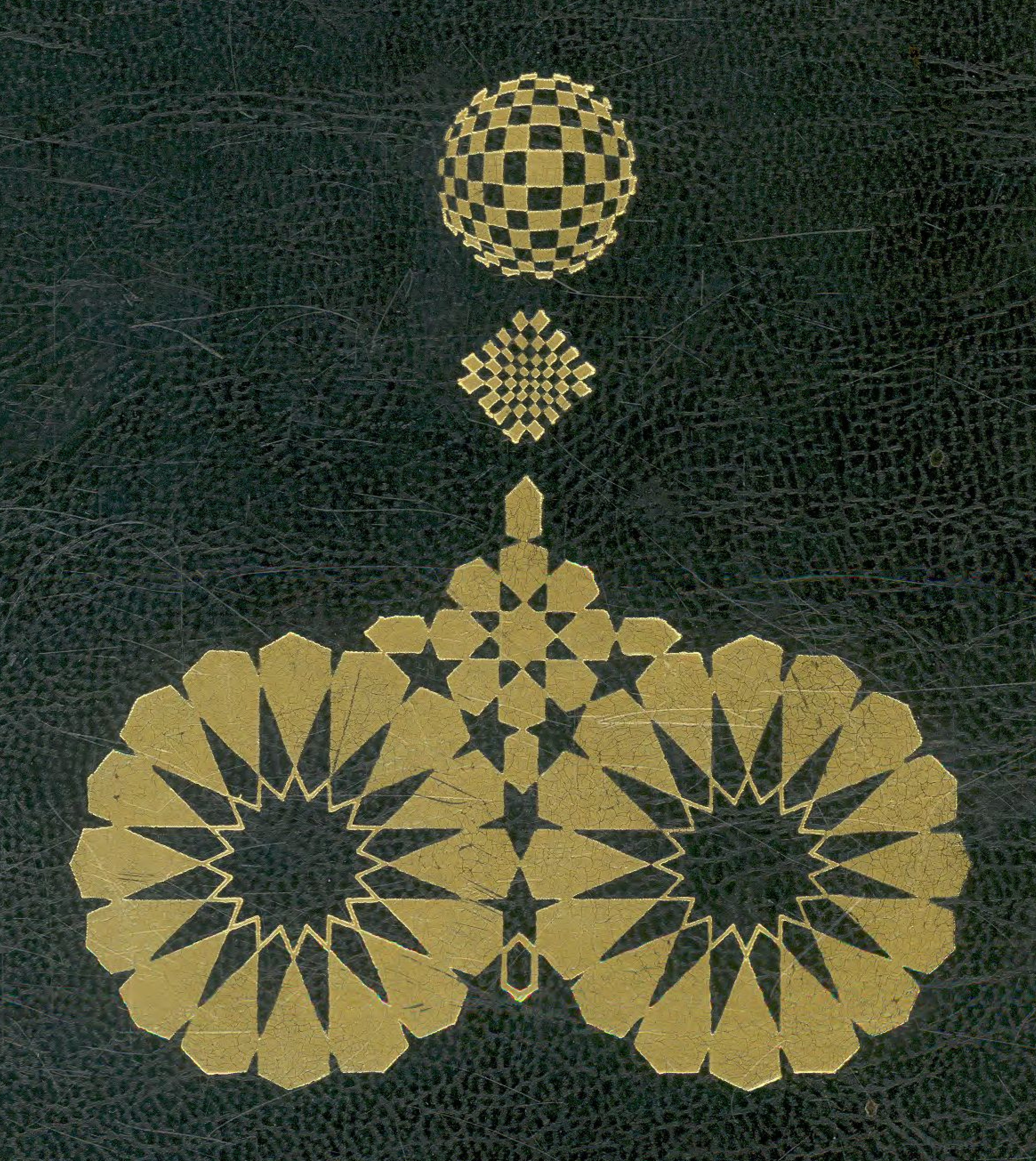
الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق



إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية
ISHBILYAH
(SEVILLA)
Studies, Publication & Distribution
DAMASCUS - P.O. Box [illegible] - SYRIA

إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية
ISHBILIYAH
SEVILLA
Studies, Publication & Distribution
DAMASCUS - P.O. Box [illegible] - SYRIA



مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة الثانية ـ العدد الثالث ـ كانون الثاني ١٩٧٦

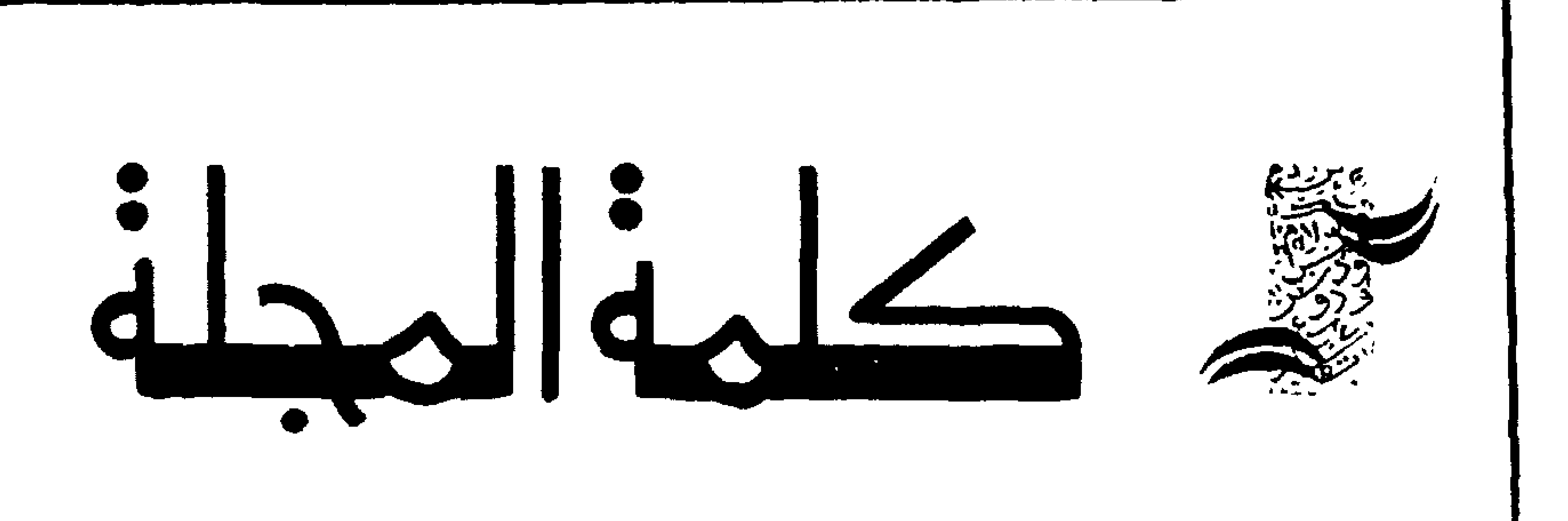
المدير المسؤول : حافظ الجمالي

رئيس التحرير
د. أحمد سليمان الأحمد
دكتوراه في علم الاجتماع الأدبي ـ السوربون ـ باريس
الدكتوراه العليا في العلوم اللغوية والأدبية ـ موسكو

الادارة : اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ شارع مرشد الخاطر
هاتف ٤٤٦٧٠ ـ المراسلات باسم رئاسة التحرير ص ب ٣٢٣٠ دمشق

تنويـــــه

- جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير •
- تتوجه رئاسة التحرير الى الأدباء والمترجمين في الوطن العربي لتزويدها بمواد مترجمة من الأدب العالمي في مجـالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الأدبي ، وتقديم او تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائدة الفنية والفكريـة • ويُرجى من الأساتذة الذين يرسلون المواد المترجمة أن يرفقوها بالأصل ، من أية لغة كانت ، أو الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهوراً • وتعتذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت أو لم تنشر •



ماذا أعطت هذه المجلة ، وماهي خطتها ؟

لا شكَّ في أنَّ الجوابَ الصحيحَ مرتهَنٌ بأعدادِها السابقة ، التي هي ، بدورها ، إشارة إلى المستقبل ، فلا خير في إبداع لا يَمُدُّ يديه الممتلئتين الى الغد ، ولا يلقي ببذرة خصيبةٍ في حَقْلِ الآتي •

ولكنَّ القصص العربي المأثور ، حكاية وشعراً ، يُلِحُّ علينا كلما وقَفْنا على مَشارفِ تساؤل يحمل قضية • أليس حقاً إذَنْ أنَّ التراث الانساني متواصل العطاء ولا بُدَّ أن نغدو من دونه ، في فقر مدقع •

وهل نذكر ، والحالة هذه ، قصة أبي حمزة الذي غضب لأنَّ زوجته لم تلد له الاّ البنات ، وكانها ـ وحدها ـ تتحمل وزر هذه الخطيئة ـ اذا اصطلحنا مع أبي حمزة على أنها كذلك،وما هي بالطبع كذلك خاصة ونحن على تخوم عام المرأة ـ ؛

وهل نذكر أنَّ أمَّ البنات قد اهتدت ـ بعفويتها وصدقها ومعاناتها الانسانية ـ الى قانون طبيعي علمي اجتهد ؛ ويجتهد العلماء في إثباته ، وإثبات أمثاله ، عندما فاجأها أبو حمزة وهي ترقص وليدتها وتردد بصفاء شجوها ويسر فلسفتها :

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا
غضبانَ أنْ لا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نعطي الذين أعطينا

وفي الروايات أنّ قلب أبي حمزة رقّ بعد تحجر ، وأنّ أساريره تهللت بعد عبوس ، فماذا نقول « للآداب الأجنبية » وأي شيء يجبهنا به جوابُها ، وهل تسكت حبيةً على بعض المتّهِمين (بكسر الهاء) ام تجعل منهم متّهَمين (بفتح الهاء) ؟

إنّنا راضون عنها إذ تلد البنات ، بنات الأفكار ، وراضونَ عن مكانتها إذ كانت بمثابة المورد العذب ، يكثر الزحام حوله ، وتعلو الجلبة أحياناً ٠ كان ما أعطته معاصراً ، متنوعاً ، غنياً ، سامي التعبير والتقنية والموضوع ، ذا جدوى فنية ، وفنية ـ حياتية ٠ ولكن هل نحن قانعون بهذا العطاء ، وبالرضى عنه ٠ إنّ القناعة في العطاء معناها ، بشكل من الأشكال ، الجمود ، وهذا الأخير بدوره نوع من أنواع الموت ، فهو إذن ـ في نهاية المطاف ـ لا عطاء ٠

يظلُّ أمامنا أن يشترك مزيدٌ من مثقفي الوطن العربي بتقديم أروع وأجدى الآثار الأدبية الحديثة ، ويظل أمامنا أن يتوفر مزيد من الامكانات المادية لتكون جسراً صامداً تعبر عليه الامكانات الأدبية بلا تردد ٠

تصورنا غني ، وطموحنا كبير ، ولكنْ لا بُدّ من تناغم الامكانات المبذولة والمؤهلات المجنّدة ، وذلك في لحن واحدٍ منسجم ٠

ومنذ الآن تطرح المجلة على مثقفينا وأدبائنا تصميمها على إصدار أعداد متخصصة في المسرح العالمي ، وفي القصة ، وفي الشعر ، وتقترح لذلك أحدث الانتاج الذي ترك أو يترك أثراً باقياً ـ ولنترك هذه الصفة على عموميتها التي تعمّدناها ـ وأن يجيء هذا الانتاج متنوعاً ، من اكثر من بلد ، ومن اكثر من بستان ادبي ، وأن تكونَ هناك دراسات نظرية تتخلّلُ العطاءات الابداعية ٠ وسنعمد في وقت قريب الى وضع مخططاتٍ كاملة لأدب أمةٍ من الامم أو لأديب عظيم يظلُّ العدد بعدها موسوعة صغيرة ـ كبيرة ٠

طموحات ترتسم حروفاً على الورق ٠ وموعدنا يوم يجري في الجذوع والهياكل (التصورات) النسغ والدم ٠ ولعلّ ربيعاً أدبياً نجنّدُ له الطبيعة ، يجنّد بدوره الطبيعة حتى يتمّ له إنجاز ذلك ، ويحق لنا أن نتغنى مع البحتري بجمال وطلاقة « الربيع المتكلّم » ٠

« رئيس التحرير »

لوسيان بيكر *

شاعر من عصرنا

ترجمة : د. أحمد سليمان الأحمد

LUCIEN BECKER

ولد لوسيان بيكر في ٣١ آذار ١٩١٢ في مدينة ميتز Metz . وكان والداه يملكان مزرعة يعملان فيها ، ولربما كان سيسير على خطى أبيه لولا أن هذا الأخير قد توفي عام ١٩١٤ ، وباعت الأم المزرعة بعد ذلك بأشهر وانتقلت لتعيش لدى أمها في قرية « ريش » . وهكذا لم يصبح لوسيان فلاحاً ، الأمر الذي سيأسف عليه طوال حياته ، ولكنه سيظل وفياً للأرض ، وستغدو قصائده مشبعة بعطورها ؛

وفي عام ١٩١٨ دخل مدرسة ريش وبرز بين أقرانه كتلميذ مجتهد ، وغمرته حياة القرية بجمال طبيعتها : البساتين ، النهر ، السهل ، الصيد . وهناك المطالعة المستديمة وسط هذا الجمال المستديم . وفي الثانية عشرة كان قد قرأ قاموس «لاروس» الصغير ، المصور ، ثلاث مرات .

وفي الثامنة أو التاسعة وَجَد لوسيان بيكر نفسه وجهاً لوجه مع الموت . مشهد سيترك في نفسه أثراً لا تمحوه السنون . كان الوقت شهر آب ، وكان المكان مَرْجاً على شاطىء النهر ، وكان الطفل يقطف بعض الثمار . وغير بعيد ، كان جواد رائع يلتمع عرفه تحت الشمس . وفجأة أبرقت الدنيا وأرعدت . وسقط الجواد مصعوقاً . وكتب بيكر في مذكراته : « لقد ظننت أنني أنا الذي سقط . اقتربتُ من الجواد . ولكن ليس على الفور . انتظرت عشر دقائق . خاصة وأن العاصفة كانت مجرد غيمة في السماء المشمسة هنا

وهناك ، وكانت هذه الطريقة الغريبة في الظهور تخفي أمام عيني ، نوعاً من الفخاخ ، فلربما كانت الصاعقة التالية مخصصة لي ، بعد أن وفرتني الأولى ٠ لقد شاهدت هذا الجواد الضخم مضطجعاً على جنبه ٠ ما من قطرة دم عليه ـ الشيء الذي أثار دهشتي في ذلك الوقت ٠ في مثل هذه الحالة يتوقف اللسان قاصراً ٠ شاهدته ولكني لم أكن أستطيع وصف الجواد وغالباً ما طرحت على نفسي هذا السؤال : أكان موجوداً في الحقل قبل أن يصعق ؟ إنه الحدث في حالته الصرفة : لا شيء ، أبداً لا شيء في الثانية التي سبقت ثم ها هو عالم كامل من الوجود ينهار ٠ وبعد بضع دقائق كنت أتابع قطافي للقنطريون » ٠

لقد أثر هذا المنظر على بيكر ، وأخذ بشكل من الاشكال يظهر في أشعاره :

لست إلا بقعة من أرض
محاطة بالموت والليل ٠

★ ★ ★

السرير جاهز دوماً لاستقبال الموت ٠

★ ★ ★

لستُ إلا حجراً مُلقىً خارج حياتي

★ ★ ★

لن نلتقي أبداً
لأن الموت بيننا
مثل الاسمنت بين الحجارة

★ ★ ★

غادر الفتى قرية « ريش » ومدرسته الابتدائية عام ١٩٢٣ الى مدينة «ديوز» لمواصلة دراسته ٠ وفي يوم من أيام عام ١٩٢٧ قدر لبيكر أن يطلع على « بيان السريالية » الذي عالج فيه مؤلفه آندري بروتون الصورة الشعرية مستشهداً بريفيردي ، ولوتريامونت ، وديسنوس ، وآراغوان ، وفيتراك ٠

وفي عام ١٩٢٩ ، أخذ يكتب قصائده الاولى ويرسلها الى ريني شار ٠ ويجاوبه هذا الاخير دون إبطاء ، وتنشر القصائد في مجلة « ميريديان » ٠ ويتجرأ أخيراً فينشر ديوانه الأول « قلب من نار » الذي ما لبث أن تبرأ منه ٠

ويقرر بيكر أن يكتب لصاحب «بيان السريالية » عام ١٩٣٠ وهو عام اختيار بالنسبة للحركة السريالية ٠ ففي الخامس عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٩ صدر العدد الثاني عشر والأخير من مجلة « الثورة السريالية » ٠ وقد هاجم بعض المتمردين بروتون ولكن الحركة

وجدت أنصاراً جداً في شار ، ودالي ، وسادول ، وصدر « الحبل بلا دنس » لالوار وبروتون ، كما صدر العدد الاول من المجلة الجديدة « السريالية في خدمة الثورة » بادارة بروتون ، وبدا أن الحركة السريالية قد تغلبت على الازمة التي تعرضت لها وأن نفوذها قد اجتاز الحدود التي كانت قد توقفت عندها فيما مضى · ويكتب بيكر من مقاعد الدراسة الى بروتون ، وينتظر بلهفة وصول الرد الايجابي بطباعة قصائده · ويجيء رد الشاعر الفتىذو الثمانية عشر ربيعاً غريباً في مثل هذا الموقف ، إذ أنه بعد ذلك وطوال سبع سنوات ظل في معزل عن كل ما له علاقة بالشعر من قريب أو بعيد ·

في عام ١٩٣٢ يستدعى بيكر الى خدمة العلم في سوريا ، وفي ثكنات حلب بالذات · وهناك شاهد الشمس تشرق وتغرب على الصحراء · وعبر بساتين تمتدُ على العاصي · ولكن ذلك لم يحرك شاعريته · وتعرف في هذه الفترة الى الشاعر اللبناني جورج شحادة الذي كان يقيم في بيروت وتبادلا الرسائل ·

بعد الاقامة في سوريا كان على بيكر أن يبحث عن وسيلة للعيش · وتسجل في كلية الحقوق بمدينة نانسي ثم دخل في الادارة عام ١٩٣٥ · وتزوج فيالعام التالي·وهكذا وجد نفسه ، في الرابعة والعشرين من عمره ، موظفاً ،متزوجاً، لا يتميز على أحد من زملائه · ولم يكونوا ليعرفوا أنه شاعر · ولكن الأدب ما لبث أن انتصر في داخله ، وأخذ يراسل مجموعة من الشعراء الشباب وينشر في المجلة الأدبية المشهورة : « دفاتر الجنوب » Cahiers du Sud الصادرة في مرسيليا ·

ومع انتهاء صيف عام ١٩٣٩ غمرت الجدران باعلانات مشؤومة : اعلان التعبئة العامة · إنها الحرب · وجرى اجتياح فرنسا من الشمال الىالجنوب وانتقل بيكر الى مرسيليا حيث أقام علاقات مع المجموعة التي كانت تصدر « دفاتر الجنوب » وفي عام ١٩٤١ ولدت ابنته ريتو بيكر وصدر ديوانه «الانسان اليومي » ، وفي عام ١٩٤٢ صدر له « الوحدة في كل مكان » وفي عام ١٩٤٣ « حتى ولا الحب » ·

وفي هذه الأبيات المجتزأة ما يعبّر عن إبداعه وعن أفكاره :

الضوء يبدو ثقيلاً ، منحنياً
على عالم دون معجزة أو بهجة

في عري الدم الذي يـدور في داخلي
أتنشق نفس الحصاة الباردة ٠
لفافة تبغ تدخّنُ مكاني

أنا لم أعد موجوداً إلا في بضع خطوات
أقوم بها دوماً في نفس المدار

ليس ثمة في الحقول من ينابيع كافية
لحبس الضياء بين الأعشاب

مامن ميت يراك ، مامن ميت يبحث عنك
الكون وحيد مثل يد مقطوعه

الليل يدور حول المصباح
مثل طائر على شفا السقوط

لم يعد المساء إلا قطعة كبيرة من الأرض
تنقض دون ضجيج على ماتبقى من العالم

المغيب لم يعد ، في قربه من الأرض ،
إلا جفنا مثقلاً ينغلق

الكلمات ترتعش في الفم كالأوراق

ثغرانا لم ينهيـا قبلاتهمـا
المتبقية بيننا مثل جسر مقطوع

وأنا أضم لحمك إلى لحمي
أعرف لماذا الأرض منتفخة بالهضاب

لماذا تنقلب تحت الغابات
لماذا تسرع نحو نَبْع وليد

هذا اللحم هو المساحة الوحيدة
التي يمكن لقلبي أن يلقي فيها المرساة

عندما لا تكونين هنا ،
عندما تفرقنا حجرة الفضاء الكبيرة
أحسُ أن الموت يمكن أن يبلغني بشكل
أسـهل ٠

وينصرف الشاعر بين ١٩٤٥و١٩٥٠ الى حيـاة الحفلات ، والاجتماعـات ، والمعارض ٠ ويبدو وكأنه إنما ارتاح الى هـذه الحياة ، وأنها حملت اليـه الرضى ٠ وهو ينصرف الى هذه الحياة كليا ، لأنه يندفع بكل الرغبة في أعماقه، ثـم ما يلبث ، وكأنه قـد أتخم ، أن ينسحب مـن اللعبة ، مقتنعاً بأنـه لم يخلق « لحب الظهـور وانحرافاتـه المتعددة » ٠

ويبتعد بيكر عام ١٩٥٢ عن الاوساط الأدبية الباريسية ويسافر الى « دكر »

عاصمة السنغال • فهل سيكون لهذه الحياة الأفريقية الجديدة أثر في نفسه وفي شعره بالتالي • لنسمع الىماتقصه علينا هيلين بوفار : « لقد تعرفت الى لوسيان بيكر وقابلته في أفريقيا السوداء • لم يكن لوسيان بيكر يعرف أنه يعيش في أفريقيا • كان لوسيان بيكر في أفريقيا رغماً عنه ، كما كان شاعراً رغماً عنه ، كما أنه موجود ، حي ، رغماً عنه • ماذا كان يفعل لوسيان بيكر في أفريقيا ؟ إنه لم يكن يقرأ ، ولم يكن يسافر ، كان يبقىهو نفسه ، وحيداً مع نفسه ، ينظر الى ساعته الجدارية • لقد سألت لوسيان بيكر عشر مرات ، مئة مرة في الهاتف : ماذا تصنع ؟ فكان جوابه الذي لايتغير أبداً : أنظر الى الساعة الجدارية • وبالطبع كانت الساعة معلقة الىالحائط المواجه لمكتبه » •

وفي الواقع لم يكن بيكر يبدو متعلقاً بشيء ، وكان ، كما قال عن نفسه : « على الأرضدون أنيكون في الدنيا »•

ومما لا شك فيه أن العزلة هي بالنسبة لبيكر قانون من قوانين الجاذبية البشرية التي لا يمكن أنتهرب منها • ولكن هذا الرجل التائه فيشعاب الوحدة ما لبث أن أخذ يحتل مكانه ، شيئاً فشيئاً ، انسان ملتزم ، ولكنه موزع ، بين رغباته وبين امتلاكجسد• لقد أحس بنفسه منجذباً الى الجمال الساحر والى الحرية التي تعده بالتغير والتجديد • واندفع ، في هذه الفترة ، وراء شهواته ، وسجل كل ذلك ولاحظ ووصف ، وغدا شعره يتجه بكليته نحو مجد الجسد الذي تنتصر فيه الرغبة أبداً • ولكن كل هذا لم يكن ليمحو من أمامه شبح الموت • كان يبعده للحظة• كانت الرغبة تلعب دور الفينق لدى بيكر : تلتهب ، وتخمد ، ثم تطير في نظرات النساء •

نظرتكِ ، الرحبة قياساً بالفضاء
تجعل مني كائناً
يبحث عن طريق
لا يتعدى جسدك •

أنتِ الشيء الوحيد
الذي أستطيع الاحتفاظ به إلى صدري
وعيناكِ المحبتان فريدتان
مثل أجمل غروب شهدته طفولتي •

وفي عام ١٩٥٥ يغادر بيكر « دكر » ويعود الى باريس • ويبدو وكأنه آثر

الابتعاد عن الناس ، بل الذوبان في تيار الحياة . سبع سنوات من صمت يتلوها عام ١٩٦١ وديوان « الصيف بلا نهاية » . وأخذ صوته يهمس بعد أن كان يغنّي . وخرج من مخدع المرآة الذي كان قد وجد فيه ملجأه الأخير ، وصافحت عيناه العالم بتناقضاته وقبل الوميض الذي كان يعده ولو بنغبات متفرقة من ينبوع الفرحة والسعادة . ونحسُّ ، في هذه الفترة ، بأن أفقه قد اتسع ، وأن نظرته قد تحررت . ولم يعد يهرب من الأشياء ، بل أخذ يتفحص المسافات ، ويفرط عَبْرَها السنابل التي يمكن له أن ينقذها ويتغذى بها . بَلْ يتخلص من الحس الأرضي الذي كان يربض في أعماقه منذ الطفولة :

وعلينا أن نبني أهراء حتى السماء
لنحتفظ بالثمار التي تلد الربيع .

وبعد أن كان يتجه الى القرية « التي تمسُّ أجنحتها الأرض كأجنحة العصافير الميتة » أخذ يرى أن ...

القرية تحسُّ بلحظة سعادة
لأن دخانها يذهب عالياً ، عالياً في السماء

شجرة الطريق لا تخفي سعادتها
فهي تأخذ ، دون سبب ، بالتالق مثل الثريا .

حتى الحجارة ، التي لعبت دوراً هاماً في خيالات بيكر الشعرية ، لم تعد تلك « التي هجرتها الأرض » والتي تمثل سلفاً نهايتنا القريبة ، وإنما غدت ثماراً تكشفت عنها الأرض ، وحيوانات مغفية ، والشهود على النارِ الأولى :

إنها متناثرة مثل ثمار شجرة
مدفونة منذ عهد مديد بعيداً جداً في التراب
لأن العصور ، بمساعدة الريح ، تهاجم
كلَّ مايلحّ على أن يحيا واقفاً .

ودون أن تنفصل لحظة عنْ صمتها ،
تلقي النظر على الرجال الوقورين فحسب
هؤلاء الذين يستولون عليها ليقلبوها بين أيديهم
كما كانوا سيفعلون بحيوان راقد .

ومع ذلك فليست بحاجة الى أي كان
كي تتذكر الخطى الأولى لعالمٍ
عرفته أفضل من اي آخر في عصرٍ
كانت تعلّمُه أن يَصْنعَ النار .

كان بيكر يقول : « ان وحدتي ليست عبثاً ، ذلك لأنها في أغلب الاحيان وحدة مقتسمة ، اذا جاز هذا التعبير . ومن جهة

أخرى فاني أقرأ جميع الصحف والمجلات الاسبوعية (ولا علاقة لها بالأدب بالطبع) الصادرة • أستطيع أن أقدم تقريراً عن جميع قضايا اليوم ، من مشكلة لاوس الى خفض مكوس الجمارك، مروراً بالنزاع بين الدولة والكنيسة في بولونيا • حقاً إني أطلع على كل شيء• وكنت أشعر بنفسي وحيداً ، أكثر فأكثر ما بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ عندما كنت أشارك في حفلات «كوكتيل» واجتماعات أو معارض » •

ولعلّ عزلة بيكر هذه ، والتي هي شيء من الفضول الذي يريد أن يشمل كل شيء ، إنما كانت نوعاً من الشعر الذي يسعى الى متطلبات جديدة• وجاءت قصائد « صيف بلا نهاية » شاهداً على الشاعر في طريق التفاؤل المأساوي • أجل إن الخوف من الموت الذي نلمسه لدى بيكر يؤدي الى كلمة « نعم » حارة يهتف بها للحياة • أولم يعبر عن ذلك بتلك الصيحة التي أطلقها : « ان الحياة جميلة حتى الموت » !!

لنقبل بـه إذن على أنه شاعر هـذه الحياة ، بكل ما فيه من صدق ،وحماسة، وإبـداع •

حتى ولا الحب

الى جو بوسكي

- ١ -

لا يـد تستطيع مساعدتك
على شاطىء الميل الذي يتصاعد حتى عنقك •
لا تستطيع انقاذ أي شيء ، حتى ولا هذه النظرة الانثوية
التي عشت طويلاً لأجلها •
من العالم ، لم تعد ترى إلا أشجاراً تتساقط •
تحس أن كل كلمة تلفظها

تتصلب مثل حجر يعبر الفم ·
تحس أن الحب كان مايزال وحدة ·

السماء جميلة مثل جبين ، والنساء أكثر شباباً
من كل وزن العشب في ريح الصباح
ثمة أطفال مرحون ينظرون اليك
دون أن يعرفوا بأن الموت موجود أيضاً لأجلهم ·

بعد أن أدرت نظرة في العالم
لم يعد لك حق إلا في مكانٍ على الأرض
عليك أن تدفع ثمنه ، اذا أردت أن تكون وحيداً ،
وحيداً كما يستطيع وكما يجب أن يكون الأموات ·

- ٦ -

في مكان ما ، من بيت هادىء
تمرُ الشمس عبر النوافذ
واذا يخال الغبار نفسه وحيداً يأخذ بالرقص
دون ضجة إلا تلك التي تثيرها حشرة ·

ثمة في البعيد صياح طفل
أو نباح كلب جثمت عليه الوحشة ·
ثمة ، في العشب ، خطى ينبوع
حيث البحر ،متخفياً ، يتخذ مكانه الوطيد ·
وفجأة لم يعد في النهار الرحيب
إلا دبُور تائه يرتطم بالزجاج

إلا عصفور" أحرقته الشمس
يسقط مثل ورقة وسط السنابل ٠

والغرفة الأعمق من العالم
تقف في الظل قرب الباب
بقلب توقف عن الخفوق
إذ لم تعد ثمة شمس على النوافذ ٠

- ٩ -

الجلد على الدم مثل ورقة
تتمزق في مكان العيون
ونشاهد جيداً أعماق النظرة
تتألق ، للحظة ، بشيء من النار ٠

إنه الرجل نفسه ، عابراً من ليل الى ليل ،
موارياً رأسه في السماء الخفيضة ٠
وعندما يعود ، يجد دوماً
نفس الظل الذي يغل خطاه ٠

إنه الرجل نفسه الذي تتقاذفه الواجهات
المركَّبَـةُ على الأعماق البحرية ٠
نفس الرجل محاطاً بالعصور
ولم يعد يجد على طريقه مفارق ٠
يسقط المطر مستقيماً كالحصائد
ويبحث عن ممر في الريح الصلبة ٠
والنهار الوليد شامخ ، فارغ
حتى لم يعد ثمة إلا إنسان على الأرض ٠

- ١١ -

المصابيح تذبل في الليل الجاثم
على المدينة التي آلت الى جدران ،
على الموت الذي آل الى بضعة أجساد ،
على الرجـال المضطجعـين على امتـداد الغرف ٠

البحر ، مفتح العينين ، ينغرز في ظله
حتى لا يعود يرى نجوماً
حتى يرى الأرض تنطفىء
في جمرة النوافذ المسحوقة ٠
الغراس ، سراً ، تصنع جسوراً من ندى
على الحقول التي يركض عليها
النداء الحائر لقطار يراه أحدهم
في الفجر على بعد مئات الكيلومترات من هنا ،

شرساً ، واثقاً مثل عاصفة ٠
ثمة حصى احتفظت
بقليل من النهار تحت خطى انسان
لم يعد ، في ظله ، يتمكن النهار من البزوغ ٠

- ١٢ -

الأرض في انتظارها تحبس الأنفاس
تحت المطر الشفاف كالحصى
وأنا أركض ، مقتلعاً يدي من الريح ،
نحو الغرفة حيث أتأمل نفسي

في أربعة جدران لم تتغير ،
في سقف حيث أموات كثيرون
لم يجدوا مكاناً لنظرة أخيرة ،
في زجاج لستُ فيه ، مطلقاً ، نفس الرجل ٠

مثل ينبوع ، بعيد ، بعيد في غابة
نسمع خفوق القلب حتى الأصداغ ٠
مثل بلاطة تستضيء فجأة بالمطر
تبحث العين عن الليل في النافذة ٠

والمصباح ، عالم فوق عالم ،
في منتصف الدرب بين السماء وجبين الناس
خفوقه ليس وجيب قلب
بل نبض الأشياء العابرة الى الخلود ٠

قصـائد

- ١ -

بقي لنا المطر عارياً على البلاط ،
عارياً على الراحات ، عارياً على الدموع ٠
بقيت لنـا النساء اللواتي أحببناهـن من نظرة واحـدة
وعبرن بوجه من غير جواب ٠

كلُّ أثرٍ أدل به على الدروب
يغلق قبراً ليس قبري ٠
ولكن ، قريب هو الزمن الذي سأضيع فيه
وشفتاي جافتان من الوحل ، تحت جسر السماء العالي ٠

حياتي لم يكن لها حتى البريق السريع
للندى المعروض ، للحظة ، تحت الشمس
وسوف يتذكرها المدى مثل أنفاس
كانت تهزُّ فمي مثل ورقة •

ومن جسدي المتناثر ستنهض غراس
يكون لها شيء من نظراتي على فروعها
ولن يعلم أحد أني أبعث فيها
وحيداً كالبركة الأخيرة محمولةً على الأرض •

أصداغ أخرى ستحصي الدم قطرة قطرة
وتمتزج رفاتي بغبار الأثاث
منتظراً أن أخرج من ثيابي حياً من جديد
كما في اليوم الذي تراجع فيه العالم أمام جبيني •

- ٢ -

لدى كل خطوة تتخلى عني الأرض ،
لدى كل كلمـــة تشتعل الحيـــاة من جديد ،
لدى كل قبلة أجـــد عريي •
وعلى جبيني شيء مـــن شموخ السمـــاء •

كل ما من شأنه أن يرضي رغائبي
يهرب مني مثل نهر يفرُّ من منبعه •
وينزلق النهار الذي لم أحسن إمساكه بين الأهداب •
وتحتوي النساء أفخاذ دوماً أكثر جمالاً •

تَصْدي الوحدة في داخلي مثل حجر
يلامس ، في بئر ، الماء الذي لا نراه ٠
يداي فارغتان مثل شجرة
ألقت الى الريح بأوراقها ٠

لم تعد ثمة من حرارة في جسدي
إلاّ كما في أعماق الجدران حيث أنغرز ٠
وفي غمرة ، الملابس الداخلية واللحم والجلد ،
تمرّ النساء خالداتٍ كالحصاد ٠

ودفعة واحدة تنشقت نسيم الفضاء
القادم من وديان مُرِنَّةٍ مثل جراح ٠
ومن القبور ، حيث يلتئم جرح الأرض شيئاً فشيئاً
يصعد صوت ليس بصوت أحد ٠

- ٣ -

النور الذي يتهاوى عليّ
عندما أسير في الليل
جرح وجهي جراحاً بليغة
لا يمكن للنهار أن يلأمها ٠

إنه لوجه عارٍ حقاً
ينغرز في لحمي المتغرّب
عندما يبحث العالم ، صباحاً ،
في أكداس قاذورات الشارع ٠

النوافذ ثقوب
أرمق منهـا السماء بأقرب

مما أرمقها من أعلى البروج :
مستنداً إلى الظل ، يمكنني أن أكون واقفاً •

عندما تشرق الشمس
أعتقد أنها ستساعدني على الحياة
ولكن في أعماقي يصدأ الدم
هارباً من قلب لن يرى النهار أبداً

عندما امرأة عليها أن تكون جميلة
تظـل أقرب اليَّ من كل ضيــاء الأرض ،
أكون واثقاً أن باستطاعتي أن أحبها
ولكنَّ الحشود تحملها بين الأذرع •

في غرفة ، تنتظرني امرأة
جسدها بكل حرارته سيتفتح لجسدي
في لحظة ، وبامتلاء
لا يمكن لشيء أن يحده ، حتى ولا الموت •

- ٤ -

يجب أن نحب المرأة مثل شيء
لا قيمة له إلاَّ بالشكل أو المظهر •
ليس لها إلا بشرتها لممارسة الحب
تماماً كما ليس للسماء إلا الماء
تهبط اليه فتغدو أرضاً وسط البِرك

ليس لكلمات الحب من معنى
أكثر من حصيد بديـع سيقطعونه
والنظرات التي ينتزعها من ليلته
لا تطيل النهار لحظة أكثر •

والأيدي التي تأسر امرأة
مثـــل شيء على شفا الذوبان
تدخل في جسدها دون حدود
وتتلوى مثـــل غابة من السرخسيات ·

عنيف ، بكل ما تعتملُ الرغائب في نفسي ،
مأخوذ بالموت الذي لا يني ينتظرني ،
أتجهُ اليكن ، يا نساء كل الأيام ،
مثل غرسة نحو نوافذ النهار العالية ·

ذلك لأني أتذكر طرقاً تصنع من العـــالم
مكاناً لا لقاء فيه أبـــداً
فالموت يدور أسرع منه ،
تاركاً الرؤوس الفارغة تطفو لدى كل أفق ·

- ٥ -

الحياة جميلة ، جميلة حتى لتنتزع الآهات ·
لدى كل مفترق ، تغيـِّر رأساً ،
لدى كل قبلة ، تغيـِّر فماً ،
لدى كل امرأة ، تغيـِّر نهوداً ·

النظرات ، واحدتها أجمـــل من الأخرى ،
وكل منها ، إذا ما أشرقت في وجه امرأة ،
تثير مثل اضمامة الشمس الأخيرة
المنسكبة على مدينة تنغمر في المساء ·

في زاوية الشفاه ، دم
ولكن لا أحد يستطيع إزالته

ذلك لأنه يأتي قُدُماً من القلب
مذكِّراً أن الفم ينبوع نار ٠

غرف الفندق كابيــة اللون
ولكنَّ فرحة الأجساد تشتعل فيها ،
محتواةً بين بَشَرَتَيْنِ راعشتين ،
غير مرتوية مثل صيف بأكمله

الأيدي تركض ، تتجمع ، تستغرق في تأملاتها
مندهشة ، لدى كل محطة ، من ملامسات
ترعش غابةً بأكملها ،
ترفع البحر إلى أعلى موجاته ٠

ولكن القلب يظل لا مباليا
بالكلمات التي يسكب فيها الحب حرارته :
فهو لا يريد ، لا يستطيع أن يختار
ذلك لأن الحرية هي أيضاً أجمل من الحب

- ٦ -

لــم يعد ثمة في المدينــة
ـ حيث النجوم نوافذ جدرانها العالية ـ
الا ضياء بعض المصابيح
التي تغمر الشوارع بمياهها الراكدة ٠

اندفع آخر العابرين ، مطرق الرأس ،
نحو باب ينغلق دون ضوضاء
على ممشى مديد ، بارد ،
كما لو أنه نفق تحت جبل ٠

أبداً لن يصل الى نهاية هذه الفَرْجة في الليل ·
وجوده ثقيلٌ حمله
لأنه يعرف أن في أعلى السلم
ثمة دوماً نفس الصريعة التي تنتظره : الوحدة :

يعرف أن ألوف النساء
في مكان ما من عالم أحكم رتاجه
يكتشفن تحرُّق أجسادهن الخفي
إلى حنـان قبلة ، إلى عنف ضمة

ستار من جص يسقط على حجرته
فما فائدة فتح النافذة
التي قد يقدم منها الربيع ، ممتلىء اليدين ،
مذكراً إيـاه أنه ليس في المحتفلين ؟

مصباحه سيأتلق طويلاً بين النجوم ·
ولكن لا تظنوا أنه يكتب قصيدةً ما :
فهو ، ببساطة ، ينتظر
ليحاول أن يحيـا نهـاراً شبيهـاً بغـيره ·

(٧)

فتشت في لحمك عن سبب للحياة ،
لم أجد إلا جسداً يعود منه فمي
بنفس القبلة الفولاذية ،
بنفس الحلمة النـارية الجسورة اليائسة

لحظة كانت الأرض تصعد حتى يديّ
في نبض بَطْـنٍ يكـاد يتفتـح ،

كنت أهتف بفرحتي للكائن الذي أتدحرج عليه
كما على أعلى موجة بحرية ٠

كنت أحاول أن أنطلق بعيداً عبر هذا اللحم
ولكني كنت أقطعه فقط مثل خطوة
أجد أثرها في ربيع من الندى ،
مثل ثقب شمس في قلب العالم ٠

الكلمات التي كنت ألهج بها لأصل الفضاء بأنفسنا
كانت تتساقط كالعصافير
التي تشبثت السماء بأسرها في نظراتها
وظل الحبُّ منيعاً بين عيوننا ٠

كان جسدك يفقد شيئاً فشيئاً وجهه ،
وكان العالم ينغلق ، للحظة ، علي
وفي ضوء هذه المرأة التي كانت تخفي الأرض عني
كنتُ أجد غاباتٍ من العذوبة ٠

وكنا بعيدين الواحد عن الآخر
كما النور عن الحجر الذي يلامسه ٠
وكنا نتلاقى في عرينا كما أمام مرآة
ليست بحاجة الى النهار كي تعرف نفسها ٠

في قلب الخلود ، في هبوط لا متناهٍ
من جبل الى جبل ، من بقعة جرداء في غابة الى بقعة ،
كان جسدانا يتمسكان بأغصان الحنان
المولود من نهد متوتر على كتف ٠

لحمنا العاري مثل صباحِ النوافذ
كان يصعد بانبثاق واحد نحو وجهينا

المندهشين من أنه لا حدود لهما إلا عمق نظرة ،
ولا شيء يفصلنا عندما كنا نغلق العيون ٠

كانت اللذة جديدة مثل ذائب المعدن ٠
ولم تعودي إلا ثمرة سقطت على العشب
ولكي أتذوقها كان عليَّ أن أبحث عن فمك ،
كان عليَّ أن أتملى من نهديك وبشرتك ٠

قبلة ٠ وهذا وجودنا يخف حتى يغدو بلا وزن
بسمة ٠ وهذا الحب يغمر كل الوديان
نظرة ٠ وهذا البحر فوقنا
كلمة ٠ وهذا العالم يعود بطيئاً تحت أقدامنا ٠

- ٨ -

أحبك كما يحب المرء يوماً صيفياً جميلاً
واقفاً وشامخاً بين النهار والمساء ٠
أفكر بك بقوة
حتى أن غيابَكِ يصطفق في داخلي مثل باب في الريح ٠

وحدها ، الآن ، ذاكرة عمياء تذكرني
الملامسات التي كان جسدك يحيط بها جسدي
كما في غاباتٍ لا يمكن قطعها ،
ولكنها لا تستطيع أن تعيد إليَّ امتلاءَ لحمك ٠

أبحث عنك في داخلي كما في مدينة مقفرة
ومع ذلك ففي كل لحظة ألتقي بك
كما الأرض ، لدى كل خطوة ، تلتقي بالينابيع ،
ولكنني أحسُّ بالبرد إن فقدتُ حرارة يديك ٠

وصوتك ، صوتك الذي كان ينعشني

كما يُنعش اللهب الجمر ،
صوتك لا مكان له ، حتى على فمي
الذي كان يمتزج به حتى صمت القبل ٠

- ٩ -

ريتو ، رأسك جميل تحت شعر
تقع الشمس عليه كما في شبكة
وفي المساء تشتعل المصابيح أعذب فأعذب
لدى ملامسة غدائرك ونظرتك ٠

واثقة من نفسك ، تمدين اليدين للمطر
وتدهشين اذ لا تستطيعين احتباسه ٠
والكلمـات على ثغرك مثـل غراس
تثقب الأرض في نداوة الصباح ٠

الأعشاب تلامس وجْهَكِ
بأبْهى ملامساتها الحيوانية
وجميع الأزهار تحتفي بك
كما لو أن العالم وُلِدَ معك ٠

عندما تغلّين في البحر ،
تضحكين من أنه لم تعد لك ساقان
والماء الذي تثيرينه انبثاقاً
يتساقط عليك كالأوراق ٠

الفراشات تلاحقك
كي تحط على عينيك
والندى على خديك
أولى قبلات الحب لك ٠

بابلو نيرودا

عن شعري .. وعن حياتي

ترجمة : هاشم حمادي

كلكم تقريباً تعرفون فيغا ـ سنترال ـ السوق المركزي .

وأنا أيضاً عرفته . كنت أذهب إلى هناك ، مثل العديد من سكان سانتياغو لشراء البندورة ، وحصيرة القصب ، أو قطعة السجاد .

وحتى الآن لا تزال تباع هناك هذه الحصائر القصبية الرائعة ، ومصنوعات الفخار الأزرق ، بامايري وكينتشيمالي . ومن ورائها تبدو تلال الملفوف ، وأنهار الذرة ، وهضاب البطاطا .

إنني أعبد السوق . ففي شنغهاي كان أول عمل قمت به هو أنني ذهبت إلى السوق . ونفس الشيء قمت به في مارتينيك ، وفي كولومبو وباتاوي . فأسواق المدن المدارية تصعقنا كما الفراشات أو الشعراء المداريين .

الألوان الصارخة ، والروائح المثيرة.

إن أسواقنا ومعارضنا محرومة من تلك الروعة ، التي تميز أسواق البلدان الاستوائية ، ولكن لديها تحفاً أخرى لا تقل عن تلك ـ الثمار اللذيذة الطعم للأراضي والبحار الجنوبية .

ويجب أن أعترف أنني كنت في الماضي ، كما يحدث لنا جميعاً ، أحدق بكلتا عيني بتلك الفواكه والخضار الرائعة في السوق المركزي . ولم أكن ألاحظ الناس ـ النساء والرجال . فلم يحدث أبداً أن أوليت أي اهتمام للجمهور ،

الذي كان ينقل هذا الشيء أو ذاك ، يصعد ويهبط والاكياس على ظهره ، يكتظ ويسعى جيئة وذهاباً ، هناك ، عند أقدام معبد الخضرة المقدس ٠

إلى أن جاءني الوحي في أحد أيام ١٩٣٨ ، وهاكم ما حدث ٠

كنت قد عدت آنذاك من اسبانيا ٠ كانوا يدعونني الى العديد من الاماكن المختلفة، لكي أتحدث، ويستمعوا الي ٠ وفي كل مكان كان يطالعني حب الاطلاع المبارك ، الذي يميز التشيليين ٠

وفي أحد أيام الشتاء عدت الى المنزل أشعر بالتعب والبرد ، وحين هممت بالذهاب الى الفراش تذكرت فجأة ،أن ثمة من ينتظرني في هذا الوقت بالذات٠

تناولت معطفي وقبعتي وإحدى مجموعاتي الشعرية ، التي كانت في متناول يدي ٠

أعطيت الورقة ، التي تحمل العنوان الى صديقي ، وبعد عدة دقائق كنا هناك ، حيث كانوا ينتظرونني ٠

كان ذلك السوق المركزي ، وعندما دخلت مبنى النقابات المحلية ، شعرت ، للحظة قصيرة ، بالشك الهائل ، فقد أدركت أنني أمام حمالي السوق ٠ ولم أكن مهيأ للتحدث اليهم ٠

لقد استحوذت عليّ نفس الحيرة ، التي عانيت منها قبل عدة سنوات في مدريد ، حينما دعوني أنا وفيديريكو غارسيا لوركا الى الجامعة ، لنقرأ أشعارنا الأخيرة أمام الطلاب ، الذين يدرسون الآداب ٠ وكان فيديريكو قد أعد بدقة كلمة قصيرة يقدمني بها ٠ ولكن ما أن صعدنا المنصة حتى رأينا أن من في القاعة ليسوا جمهوراً أدبياً، بل مئات من تلامذة المدارس ، وقد خلقوا ضجة جهنمية ٠

وحين صعدت لاتحدث استطاع فيديريكو أن يقول لي بصوت خافت : « ياله من مأزق يابابليتو » ٠ والآن أنا أمام حمالي السوق ، ولم يكن أحد الى جواري ، لكي يهمس في أذني ٠

جلست ٠ لم يكن معي سوى كتابي « اسبانيا في القلب » ٠ وأمامي كانت وجوه ذات ملامح حادة ، وكانت الايدي المخيفة ترقد على ظهور المقاعد ٠ وبدل المرايل كان الجميع – تقريباً – يستخدمون الاكياس الملوثة بالطين ٠ ومن تحت المقاعد كان يبدو عدد كبير من الصنادل ٠

لم أستطع العثور على شيء يقال • وبدأت ببساطة أقرأ الكتاب الذي أحضرته معي • قرأت لهم الاشعار عن الحرب الاسبانية ، تلك الاشعار الملأى بالعاطفة والمعاناة • كنت أقرأ القصيدة تلو الاخرى ؛ الى أن أتيت على الكتاب كله — تقريبا — •

لم أفكر أبداً أن «اسبانيا في القلب» كتاب سهل ففيه اهتمام بعالم الانسان، بالحقيقة الدامية والمعذبة • وكان غموض الفكرة في هذا الكتاب لا يزال في بداية التلاشي •

في ذلك اليوم أدركت أن علي أن أضع — وبشكل حازم — حداً للعديد من آرائي الشعرية الباطلة •

ومع ذلك فقد تابعت القراءة • وفجأة ، وبرعب ، شعرت أنني في فراغ مطلق • فالحمالون كانوا يصغون إلي بصمت القبور •

إن أولئك الذين لم يحتكوا بشعبنا، لا يعرفون كيف يصمت التشيليون • إنه صمت المقابر ، ولا تعرف السبب الداعي له — هل هو الاحترام أم الادانة المفرطة، فأنت لا تستطيع أن تقرأ أي شيء على أي من هذه الوجوه • فلا تحاول أن تقبض على أية إشارة عابرة — عبثاً • إنه أكثر الصمت ثقلاً في العالم • هكذا ، يصمت المسلمون في الصحراء ، الغارقون في التفكير •

انتهيت من قراءة الاشعار ، وحينذاك حدث أهم حدث في حياتي الأدبية كلها • فالبعض بدأ يصفق ، والبعض كان يجلس ورؤوسهم منحنية ، ومن ثم التفت الجميع الى الرجل ، الذي يبدو أنه قائد نقابي • وقد نهض هذا الرجل ، وهو يستند على المقعد بيديه القويتين — وكان مثل زملائه قد لف الكيس حول وسطه — ثم قال ، وهو ينظر إلي : « أيها الرفيق بابلو ، هل تعرف ، ان أحداً لا يهتم بنا ، واننا • • • إننا لم نعان من قبل مثل هذا التأثير الهائل . إننا نريد أن نقول لك • • • » •

ثم أجهش بالبكاء • وقد شاركه البكاء العديد من الاشخاص الذين يقفون قربه • وهنا شعرت بضيق في حنجرتي ، ولم أكن قادراً على التغلب عليه •

إن الاحاديث كثيرة حول كيف يجب أن يكون الشعر — بهذا الشكل أم بذاك ، سياسياً أم لا سياسي ، نظيفاً ، أم غير نظيف •

لست أفهم هذا النقاش ، ولاأستطيع المشاركة فيه ٠

فالبلاغة والشعر في أيامنا هذه لاينبعان من الكتب ٠

إنهما ينبعان من مثل هذه الاجتماعات، التي ينفطر لها القلب ٠ حيث يقف الشاعر ، ولأول مرة ، وجهاً لوجه أمام الشعب ٠ وهنا لايطالبه أي كان بأي شيء ٠ إنني إذ أقرأ ما يكتب عن أشعاري ، أضع الكثير في الميزان ، وأحسب طويلا ، ماذا بالذات ٠

ولكن ماهي الصفحة ، التي استطاعت في هذا الميزان أن تحدث هذا التأثير على الاجتماع ؟

حينذاك بدأت لا أفكر فقط بالشعر الاجتماعي ، بل شعرت بأن عليّ ديناً لوطني ولشعبي ٠

وفي البداية فكرت ب « النشيد الشامل » فقط كنشيد تشيلي ،كملحمة مكرسة لتشيلي ٠

كنت أريد أن أحتضن كل شيء : وصف الناس ، الذين يعيشون هنا ، ماذا ينتجون ، وطبيعة البلاد الحية ٠

ولكنني لم ألبث أن وجدت نفسي في وضع معقد ، لأن جذورنا ، نحن التشيليين، تمتد عميقاً تحت الأرض، وتظهر في مناطق أخرى ٠ ف٠٠ «أوهينكز»(١) يمتد بجذوره الى « ميراندا »(٢) ، و « لاوتارو »(٣) من أقرباء « كوآوتيموك »(٤) ، وصناعات أوآهاكا(٥) الخزفية تحمل نفس اللون الأسود ، الموجود في فخار تشيليان(٦) الأزرق ٠

١٨١٠ ـ عام رائع ٠ فقد كان هذا العام رائعاً بالنسبة للجميع ٠ في ذلك العام تمرد الجميع ، لكأنه الراية

---

(١) « أوهينكز بيرناردو » (١٧٧٨ ـ ١٨٤٢) من كبار رجالات حركة التحرر في أمريكا الاسبانية ، زعيم الحكومة ، التي اعلنت في عام ١٨١٨ استقلال تشيلي ٠

(٢) « ميراندا فرانسيسكو » (١٧٥٠ـ١٨١٦) وطني فنزويلي ، واحد من زعماء النضال من أجل استقلال المستعمرات الاسبانية في أمريكا ٠

(٣) « لاوتارو » (١٥٣٥ ـ ١٥٥٧) زعيم الارأوكان ، أعلن النضال ضد الغزاة الاسبان وأعدم على أيديهم ٠

(٤) « كوآوتيموك » (١٤٩٧ ـ ١٥٢٢) آخر زعيم من زعماء الأتستيك ، الذين وقفوا في وجه الغزاة الاسبان ، وقع في الاسر ، ثم عذب واعدم ٠

(٥) أوآهاكا احدى ولايات المكسيك ٠

(٦) تشيليان ـ المدينة الرئيسية في الاقليم التشيلي نيوبلي ٠

القرمزية للعصيان ، التي ترفرف فوق جميع أراضي أمريكا اللاتينية •

عندما كنت في البيرو ، ذهبت الى كوسكو ، وصعدت الى ماتشو ـ بيكتشو •

قبل ذلك بفترة قصيرة كنت قد زرت الهند والصين ، ولكن ماتشو ـ بيكتشا أعظم من كل شيء •

إن كل كتب التاريخ الدراسية تتحدث عن الحضارات القديمة ، عن آشور والآريين(٧) والفارسيين ، وعن أبنيتهم الجبارة •

وبعد أن رأيت اطلال ماتشو ـ بيكتشو ، أصبحت الاطلال الخرافية القديمة الاخرى بالنسبة لي وكأنها مصنوعة من الورق الممزق •

لم أستطع بعد ذلك أن أنفصل عن هذه الابنية • وقد أدركت ، أنه طالما أننا كنا نسير على نفس الارض ، التي ورثناها ، فان ذلك يعني أن علينا ، الى حد ما ، أن نشارك في تلك الجهود النبيلة ، التي تبذلها شعوب أمريكا اللاتينية ، ولا نستطيع تجاهل ذلك ، لأن عدم معرفة مثل هذه الاشياء ، أو التغاضي عنها ، ليس جريمة فقط ، بل وهزيمة جديدة •

وقد قادتنا الكوسمو بوليتية(٨) الارستقراطية الى الانحناء أمام ماضي أكثر الشعوب بعداً عنا ، ونغلق أعيننا عن رؤية كنوزنا •

وبعد زيارتي لكوسكو فكرت بالكثير • فكرت بالانسان القديم في القارة الامريكية • وكانت معارك الماضي تبدو لي مرتبطة ، ارتباطاً حياً ، بالكفاح الراهن •

وهكذا ظهرت لدي فكرة كتابة « النشيد الشامل » لأمريكا • وقبل ذلك كنت أنوي كتابة « النشيد الشامل » لتشيلي ، على شكل تأريخ • ولكن تلك الزيارة غيرت كل خططي • فمن على ذرى ماتشو ـ بيكتشو رأيت أمريكا بكاملها • والفصل الاول من الكتاب هو « ذرى ماتشو ـ بيكتشو » •

كانت الفكرة تتوضح بالتدريج •

---

(٧) الآريون ـ قبائل متنقلة قديمة ، كانت تقطن في المناطق التي تقوم عليها الآن كل من ايران والهند •

(٨) الكوسمو بوليتية ـ مواطنية العالم ـ نظرية بورجوازية رجعية ، تطالب بالتخلي عن السيادة الوطنية ، وتدعو الى عدم الاهتمام بالوطن ، وبالثقافة الوطنية • المترجم

ففي البداية كان على هـذه الملحمة أن ترتبـط ارتباطاً وثيقاً بالمكان ، وأن تكون ملحمتنـا نحن • وكان يجب أن تكون متعددة الجوانب ، مثل تضاريس قارتنا•وأن تكون أرضنا واضحةفيها•

أما ملحمة ماتشو ـ بيكتشو بالذات، فقد كتبتها في وقت متأخر جداً •

إن هذا الكتاب ، الذي أصبح بالنسبة لي تمهيداً للانتقال الى مرحلة جديدة في الطريقةالشعرية ، والىفكرة جديدة، كان يحتوي كل « الأنـا » • ويبـدأ بسلسلـة مـن الذكريات ذات الطابـع البيوغرافي (سيرةحياة) ، وأخيراً أردت أن أتطرق الى موضـوع الموت • فبين وحدة بقايا الدمار تبقى فكرة المـوت لا تغادر الرأس •

لقـد كتبت الاشـعار عن ماتشو ـ بيكتشو في إيسلا ـ نيغرا ، علىالبحر•

وفي كل مرة كان يزداد تطرقي الى نضال الشعب • وقـد أدركت أن من الضروري وجود شعر ملحمي جديد ، لايتوضع في النظريات الشكليةالسابقة• وكان يبدو لي أنه من غير الممكنالكتابة حـول المواضيع الامريكية ، مستخدماً الموشحات الطويلة المقفاة • فعلىالاشعار أن تأخذ مخطط هذهالارض غيرالمنتظمة، وتتكسر على الارخبيلات ، وأن تتسلق ذرى جبلية نحو الاعلى ، وتهبط سهولاً نحو الاسفل •

كنت أستغل كـل لحظة للكتابة • ويوماً بعد آخر كانت تقـل امكانياتي لذلك•وفي هذه الآونة بالذات اجتاحت تشيلي موجة من التنكيـل ، من تلك الموجاتالعادية بالنسبةلأمريكا البائسة• وفيهذه المرة شملتني أنا أيضاً ، وهكذا اضطررت للانتقال ، متخفياً من مكان الى آخر •

إنالحرية في قارتنا ـ سلعة العجز ، إنها تشبه الراية : فما أن يتمكنالشعب من ملامستها حتى ترفرف في الهواء ، بعد أن أصبحت في أيدٍ أخرى •

ولكي أنجو من المطاردة ، لـم يكن باستطاعتي البقاء في مكان واحـد ، وكان علي أن أغير البيت باستمرار • إن السجن شيء محدد ، له نظامه الخاص ومدته الخاصة • أما الحياة السريـة فأكثر اضطراباً ، هذا بالاضافة الى أنه من غير المعروف متى تحـل نهايتها • ومنـذ اللحظات الاولى لهـذه الحياة ، أدركت أنهقد آنالأوان لكتابةالكتاب•

(٩) إيسلا ـ نيغرا ـ مسقط رأس الشاعر • (المترجم)

كنت أدرس المادة ، وأضع الفصول ، وأكتب ، ولم أكن انقطع عن الكتابة ، إلا من أجل الانتقال الى ملجأ آخر ·

وخلال عام وشهرين من هذه الحياة غير العادية أنهيت الكتاب · وكانت المشكلة في إخراج المخطوطة الاصلية من البلاد · صنعت لها غلافاً جميلاً ، دون أن أضع اسمي عليها · وعلى الغلاف وضعت اسم « بينيمينواسبينوسي » وعنوان « الضحك والدموع » · والحق يقال أن هذا العنوان يناسب كتابي الى حد بعيد ·

كثيرة هي الاشياء الممتعة ، التي حدثت لهذا الكتاب · فقد كان جديداً بالنسبة لي أن أكتب الاشعار ست ، سبع أو ثماني ساعات بدون انقطاع · وحين أتيت على نصف العمل شعرت أنني بحاجة الى الكتب · فكلما ازداد تعمقي في تاريخ أمريكا ، كلما ازدادت حاجتي الى مصادر المعلومات · والغريب أنني كنت أجد كل ما أحتاج اليه ـ لكأن في الامر معجزة · ففي أحد المنازل ، ذات النمط الفلاحي ، عثرت في خزانة قديمة على دائرة المعارف الاسبانية ـ الامريكية · كنت دائماً أكره الكتب التي تباع عن طريق الاشتراك ، ·· وفي هذه المرة كانت اللقية جوهرة · فكم من الأشياء كنت لاأعرفها ـ أسماء المدن ، الاحداث التاريخية ، النباتات ، البراكين والانهار !

وفي منزل آخر ، حيث كنت سأقيم طوال شهرين ، سألت صاحبه صائد السمك ، إن كان لديه كتب ما · كان لديه كتاب واحد ـ « تاريخ أمريكا المختصر » لباروس آرانا ، وهذا ماكنت أحتاج اليه بالذات ·

وكنت ما ان أنهي فصلاً حتى يطبع على الآلة الكاتبة · كانوا يخشون بأن يضيع أصل الملحمة ، في حال اكتشاف أمري · أما هكذا فان الكتاب سيبقى ، حتى ولو ألقي القبض علي · لذلك فانني حين كتابة الفصول الاخيرة ، لم تكن الفصول الاولى لدي ، ولذا فانني لم أعرف حجم ماكتبت حتى مغادرتي تشيلي · فقد أعدوا لي نسخة خاصة ، كان بامكاني أن آخذها معي · وهكذا ، وعلى متن الحصان ، غادرت تشيلي عبر سلسلة جبال الأندس ، وليس لدي ثياب أخرى ، غير التي كنت أرتديها ، وفي الكيس كان يرقد كتابي وزجاجتان من الخمر ·

وعلى الرغم من أن الكثيرين منكم

لا يعرفون ذلك ، فان الكتاب قد صدر في تشيلي • وقد يكون ذلك من أكثر الاشياء غرابة ، التي صادفها أي كتاب شعري في أي وقت كان • فالاصدارات السرية شيء عادي ، على الرغم من أن الاشعار بينها قليلة ، ولكن أن يصدر كتاب شعري بخمسمائة صفحة ، مع الصور ، فهذا شيء خارق للغاية •

كانوا يعملون بحذر كبير : ما أن ينتهون من طبع الصفحات ، حتى تؤخذ من المطبعة الى مكان آخر وتخبأ • وبعد ذلك كان العمل طويلا ـ تجميع هذه الصفحات • وقد استغرق ذلك عامين • ومن الممتع أن كتابي قد سار في نفس المراحل التي مررت بها في حياتي السرية • فكما كان من الصعب إخفائي، لأن التعرف علي كان أسهل من كل سهل ، كان من الصعب أيضاً إخفاء هذا المجلد السميك ، ففي الليل ، وعندما كان يظهر الخطر ، كان الكتاب يخرج، وينقل الى مكان آخر أكثر أمنا ، ومن ثم يخاط ويوضع في الغلاف ، ثم يوزع نسخة نسخة •

وفي تلك الايام ، وعندما كنت أجتاز سلاسل الجبال ، ونلتقي ـ أنا وكتابي ـ في كل خطوة بالمعونة الاخوية ، بدأت أفكر ، على الرغم من حبي للعالم النباتي وللأشجار ، أن لا معونة منها ، لأن مركز هذا الكون هو الانسان • فالانسان هو مركز كل شيء ، وفيما بعد ، وحول هذا بالذات ، كتبت الفصل الاول من « الكروم والرياح » •

ترجم « النشيد الشامل » الى اللغة الفرنسية ، بشكله الكامل ، وقد ترجمه شخص واحد ـ أليس أرفيلي ، وترجمه الى الايطالية ـ داريو بوتشيني ، والى الالمانية ـ إيريخ ارينت • والطبعة الالمانية رائعة • إنني أقول ذلك لأنني حصلت منذ عدة أيام على النسخة الاولى، وأنني أشعر أنني سعيد ، عندما أنظر الى هذا الكتاب الرائع ، الذي أصدرته دار « الشعب والسلام » في جمهورية ألمانيا الديمقراطية • وبعد عدة أيام ستصدر في الاتحاد السوفياتي الطبعة الروسية ؛ التي ساهمت فيها مجموعة كاملة من المترجمين ١١ شخصاً ، من بينهم أرينبورغ ، وغيره من الأدباء الروس ، وبين المترجمين يوجد اختصاصيون باللغة الاسبانية أمثال كيلين ، والشعراء المعروفون ، أمثال كيرسانوف، تلميذ وصديق ماياكوفسكي.

إن الاتحاد السوفياتي من أفضل من

يدفع أجور التأليف في العالم • فقد وصلت أجور ترجمة « النشيد الشامل » رقماً ، قد يخيل اليكم أنه أسطوري •

وفي بولونيا ترجم «النشيد الشامل» أيضاً ، من قبل فئة من المترجمين • وقد تمت الترجمة على النحو التالي : أن يقوم مترجم أو اثنان بالترجمة الاولية، ثم يقوم اتحاد الكتاب بتوزيع هذه المسودة على بعض الشعراء ، أما المحرر الرئيسي للكتاب فهو الشاعر الكبير ياروسلاف إيفاشكيفيتش •

ونفس الشيء بالنسبة لترجمة الكتاب الاولية في براغ ، ويقوم بترجمته أكبر الشعراء التشيكيين ، فيتيزلاف نيزفال • إن نيزفال العظيم شاعر كثير الاعمال، ولذا فانني أظن أن التشيكيين لن يقرأوا أبداً « النشيد الشامل » بشكله الكامل • ولكن ، هناك ، لدي الكثير من القراء ، حتى أن ثمة شارعاً يحمل اسم نيرودا • ولكن لست أنا المقصود بذلك ، بل الكاتب يان نيرودا • ويان نيرودا كتب عن أولئك المذلين ، الذين يقطنون أحياء براغ الفقيرة • ومع تغير النظام في بلدان الديمقراطية الشعبية ظهر تقديس لأولئك الكتاب وممثلي المثقفين الفنيين، الذين عكسوا حياة الشعب في مؤلفاتهم • وهكذا فان يان نيرودا ـ هو البطل الرئيسي في تشيكوسلوفاكيا اليوم • أما أنا فأعتبر في أعين التشكيين حفيداً له •

إن اسم نيرودا ينتشر في براغ على نطاق واسع • ولأول مرة وقعت باسم نيرودا ، عندما كنت في سن الرابعة عشرة • فقد كنت بحاجة الى اسم مستعار ، لكي لا يعرف والدي أشعاري في الصحف • فقد كان يرى أن الشعر هو السبب في حصولي على العلامات السيئة في مادة الرياضيات • وذات مرة قرأت قصة ليان نيرودا ، كان لها تأثير كبير علي • وعندما احتجت الى اسم مستعار تذكرت هذا الشاعر ، الذي لم يكن معروفاً آنذاك ، وعلى شرفه ،وخوفاً من غضب والدي بدأت أوقع باسم بابلو نيرودا • وفيما بعد ظل هذا الاسم يلازمني باستمرار •

أن تكون الترجمة أصلية وكاملة ، تحتفظ بالحماسة الشعرية ، ولا تفقد أي شيء ، أمر مستحيل تقريباً ، إنني أنطلق من ترجمة أشعاري • حتى أنك قد تصادف بعض الاخطاء الفادحة •

وكنت أستلم ، أحياناً ، قوائم لا نهاية لها بالكلمات ، التي يسألني عن

مغزاها المترجم البلغاري أو الصيني أو الايطالي ·

وكنت أوضح لهم مغزاها ، لأنها تشكل الجوهر الاصلي ، وتخلق الجو المميز للكتاب في هذا الوقت بالذات · وهنا أريد أن أتطرق الى مشكلة تتعلق ب « النشيد الشامل » · فالكثيرون يوجهون لي اللوم لأنني أدخلت في حياة تشيلي والقارة أشخاصاً وأحداثاً قليلة الاهمية · وهناك من يقارن بين « ذرى ماتشو ـ بيكتشو » وبين الفصول الاخرى من كتابي ذات الطابع الهجائي ·

دعونا نناقش الامر ·

قبل كل شيء، إن حياة أي عصر لا تحددها الاحداث السامية أو الاشخاص النبلاء فقط ، فتدفق الحياة الشعبية يتكون من الجزئيات التي لا حصر لها ، ومن السلوك المجهول ، ومن العراقيل ، التي قد تبدو ضئيلة لا أهمية لها ، ولكنها جزء من كل كبير · وقد فكرت أكثر من مرة ، عندما كنت أكتب عن «مارتي»(١٠) و « أوهينكز » إن كانت هناك حاجة لأن أذكر أسماء « أوبيكو »(١١) و « ماتشادو »(١٢) و«ميلغاريهو»(١٣)، طغاة القارة الامريكية التافهين ، وشركائهم ·

وقد قررت أن أقوم بذلك في « النشيد الشامل » ·

لم أكن أستطيع أن أكتب كتاباً عن الأشياء السامية فقط ، عن الهضاب العالية والابطال العظام · كان علي أن أغير من لهجتي باستمرار ، كما تغيرها الحياة والارض في قارتنا · كان علي أن أركز الاهتمام على الاشياء المتضائلة في الصغر ، ومن أجل ذلك اخترت اللحن التأريخي ، والاسلوب النثري المتعمد ، الذي من شأنه أن يخلق الطباق مع الرؤى الرائعة · كنت أكتب،

---

(١٠) مارتي خوسي (١٨٥٣ ـ ١٨٩٥) شاعر كوبي عظيم ، وثوري ، وزعيم النضال من أجل استقلال كوبا ·

(١١) أوبيكو هورهي : رئيس غواتيمالا منذ ١٩٣١ · أسس في البلاد نظام الطغيان، أطيح به في ١٩ تشرين الاول ١٩٤٤ نتيجة تمرد شعبي ·

(١٢) ماتشادو هيراردو : رئيس كوبا منذ ١٩٢٤ · أسس أقسى الانظمة الدكتاتورية في أمريكا اللاتينية · وقد أطيح بدكتاتوريته في آب ١٩٣٣ نتيجة تمرد شعبي ·

(١٣) مليغاريهو ماريانو : دكتاتور بوليفيا منذ ١٩٦٥ · وفي عام ١٩٧١ وبعد التمرد الشعبي هرب الى البيرو ، حيث قتل هناك ·

خطــوة خطــوة ، كما يتسكعون عبر الشوارع الصغيرة المتعرجة ، ويتفحصون الاحجار تحت الاقــدام ، ويراقبــون ما يجري في الشارع • لم أكن أريــد تفتيت شعري ، كنت أريد أن أسكب فيه الحياة •

إنني أقول ذلك ، ليس من أجــل الدفاع عن كتابي ، ففي كتاب سميك مثل « النشيد الشامل » قد يعجب أحدهم بهــذا وبعضهم بذاك ؛ والكثيرون قد لا ينال اعجابهم أي شيء • ولكن فكرتي كانت خلق بانوراما عريضة •

ففي هذا المكان ــ الماء الجاري ، وفي ذاك ــ الاحجار ــ وبرك المــاء • كل يبحث فيه عن حاجته ، انطلاقاً من ميوله ــ نحو الواقع أم نحو الخيال •

وقبل أن آتي على نهاية الحديث عن « النشيد الشامل » ، أريــد أن أذكر واحــداً آخر من تلك الكتب ، التي قدمت لي خدمات جلى • إنــه كتاب « طيور تشيلي » تأليف د•د• غودول، أ • أو • جونسون ، والدكتور ر•أ• فيليبي ، الذي صدر في عام ١٩٥١ • إنني لا أعرف الكثير من الكتب الرائعة عن بلادنا ، مثل هذا • ومذ ذاك فهو لا يفارقني أينما كنت • لقــد أصبح واحداً من كتبي المحببة ، وعلى الرغم من أنه كتاب علمي ، الا أنه في الوقت نفســه انعكاس مثمر ودقيق وواقعي للحب •

إن أكثر أصدقائي في فرنسا أخلاصا ــ أراغون وبــول إيلوار • والجدير بالانتباه أن هذين السرياليين اللامعين قد وصلا ، بطريقين مختلفين ، الى فهم واحد للأحداث وللحياة •

كانا مختلفين جداً وبشكل دائم •

فأراغون يتمتع بالفن العقلي للجدل، وهو ليس فقط شاعراً كبيراً ، وكاتب مقالات رائعة ، وكاتب روايات مشهورة، وممثلا للواقعية الجديدة ، بل وهــو بالاضافة الى ذلك منظم رائع • إنني لا أتصور كيف يمكن القيام بكل هذه الاشياء في وقت واحد • وبالفعل فان نصف فرنســا ينتظر باستمرار فكرة جديدة لأراغون ، مع كل مايتمخض عن ذلك من النتائج : المثيرة والمنيرة والملهمة للحياة • فمنذ فترة قصيرة انتهى مــن كتابة بحث كبير ، يؤكد فيه أن الشعر الوطني الفرنسي ــ شعر مقفى • وقد جاءت هــــذه الدراسة كانفجار قنبلة بالنسبة للشعراء الشباب ؛ بله كزلزال

حقيقي ٠ وبدأ أراغون ، بعد أن أثار العقول ، عملاً جديداً ٠

إن للفرنسيين شوقاً حقيقياً نحو العمل الفكري ٠ ولذا فان فنانينا الامريكيين اللاتينيين الشباب يلتصقون كالذباب بنظرياتهم في مجال الفن ٠ وما أن يعودوا من فرنسا حتى تكثر أقوالهم وتقل كتاباتهم ٠

ومن المؤسف أن فنانينا الموهوبين ، الذين كانوا يرسمون في السابق الناس والأشجار والسموات في أمريكتنا ، يبدأون بعد عودتهم من باريس برسم الدوائر والخطوط ٠ لقد خيمت عليهم الكوسموبوليتية ، التي اجتثت جذورهم، كم هو رائع أن نؤكد الذرى الجبلية ورؤيتنا العريضة لواقعنا الفعلي ٠ ومن الطبيعي ، أن الناس ، الذين يقطنون في مدن يسكنها تسعة ملايين نسمة ، لا يرون الخيول ـ تقريباً ـ ولا يرسمونها ٠ ولكننا نحن بحاجة لأن نرى ما نعرفه وما نحبه مرسوماً ٠

إن من المخيف التفكير كم هي هائلة المآسي التي تعاني منها أمريكتنا ، ولكن من السعادة التفكير في ماذا يجب أن نعمل نحن هنا ٠ إن علينا أن نسأل عن كل شيء ، وأن نشارك في كل مايجري عندنا ٠

وبول إلوار كان لا يشبه أراغون ، أبداً ٠

لقد توفي منذ عام فقط ٠ ولا تزال فرنسا حتى الآن تعاني من هذه الخسارة ٠ كان نضجه ملحوظاً ورقيقاً ، يشع من عينيه الكبيرتين الفاتحتين ، الشبيهتين بالثمرة الزرقاء ٠ كنا نزور بعضنا يومياً ـ تقريباً ـ وقد أقنعته بالقدوم الى المكسيك الى مؤتمر السلام ٠

ولكنني مرضت في المكسيك ، وباءت رغبتي في إطلاعه على هذه البلاد العظيمة والمدهشة ، بالفشل ٠ وفي كل يوم كان يشكو في غرفتي : « ٠٠٠ كل ما أقوم به هو أنني أذهب من الفندق الى الاجتماع ٠٠٠ كل يوم نفس الشيء ٠٠ تقريباً كما في باريس ٠٠ كما الشارع الذي أقطن فيه ٠٠٠ » ٠

وقبل ذلك بعام توفيت زوجته ، فكان يشعر بالوحدة القاتلة ٠ وفي ذات يوم، وفي المكسيك قدم إلي وكأنه إنسان آخر ٠ فقد التقى بدومينيك ، وبعد فترة تزوجها في فرنسا ٠

توفي وهو يكتب أشعاراً عن الحب ٠

كان إلوار يحب بلاده بشكل غير عادي ، وذات مرة تحدثنا عن السريالية· كنا نقف في الشرفة في منزلي في كي دورليان ، خلف نوتردام ، كان المساء الشتائي يهبط ببطء · لكم أحببت هذا المكان في باريس · فالسفن الكبيرة الهادئة والبطيئة كانت تمخر السين · وكان دخان قوس قزح يلف الجزء العلوي من الكاتدرائية · وكانت المسلة الغوطية تبرز على خلفية السماء كما الحشرة الفضية ·

ـ يا للجمال ! ـ قال بول وهو يحدق في الكاتدرائية ·

ـ ولكنك اقترحت ، في المرحلة السريالية ، تفجير نوتردام · قلت له وأنا أضحك ·

ـ لا أقل من الكاتدرائية !

وراح يقهقه كالطفل ·

ومنذ عام مضى كنت جالساً في لوس هيدنوس وأنا أكتب ، حين وصلتني برقية · فتحتها · مات بول إلوار ·

إنني أعتاد على هذه الانباء بالتدريج· إن شجرة الصداقة تفقد أوراقها ، تتساقط أكثر الثمار نضجاً ، ويعري الموت والشتاء الاغصان · ونحن بدورنا ، وفي وقت ما ، بالطبع ···

ولكن بول ··· بنهايته ، انتهى ، بالنسبة لي ، نصف فرنسا · فقد كانت العودة الى باريس ، بالنسبة لي ، عودة الى صداقة بول إلوار النبيلة ، الى حبه الذي لايتزعزع ، الى إيمانه بالحياة ·

إنني أعرف إرنبورغ منذ عدة سنوات· إنه الانسان الذي يثير الاهتمام دائماً ، إنه فنان النقاش من الفئة الدولية · فهو يذكرني بأسلوبه المدهش وغير المنتظر بسويفت ، الى حد ما · وفي موسكو كنت أذهب الى منزله في كل يوم تقريباً · كان لديه كلاب كثيرة · وأصدقاؤه يكتبون له من بريطانيا عن القضايا الجدية وعن الكلاب · وأحياناً ، وبشكل مفاجىء ، تصله رسالة من أحد العلماء المشهورين أو أحد اللوردات ـ العماليين ـ وفي كل الاحوال ـ تقريباً ـ يدور الحديث عن الكلاب ·

وذات مرة كنا نتناول طعام العشاء عند عائلة إرنبورغ · وعلى الجدران رسوم بيكاسو ·

وحول المائدة الروسية يدور الحديث فقط حول الاشياء الممتعة والطريفة · أما ما يقال عن « الشعب الخائف »

و « بلاد في الديجور » ، فصفات لا تجدها إلا في أنباء «يونايتيد بريس»، فالروس ، يمزحون دون تعب ، ويحدثونك بالقصص المختلفة ٠

فلدى سيمونوف منزل صيفي في جورجيا ، وهناك يكتب أشعاره ومسرحياته ٠ وقد قال أن للانخاب الجورجية موضوعها الدائم ٠ ولا زلت أذكر نخباً حدثنا به ، حول الصداقة الحقيقية :

« لم يعد إيفان الى المنزل مساء ٠ شعرت تاتيانا بالقلق فأرسلت ١٢ برقية الى ١٢ صديقاً من أفضل أصدقاء إيفان: « إنني قلقة ٠ إيفان لم يأت الى المنزل مساء ٠ ألم تره » ٠ وفي اليوم التالي استلمت ١٢ برقية جوابية من الاصدقاء الاثني عشر ، وكانت كلها تتضمن الكلمات التالية : « لا تقلقي أيتها العزيزة تاتيانا ، كل شيء على مايرام، فايفان قد قضى الليل عندي »٠ وهكذا، لنشرب نخب الصداقة الحقيقية ٠

★ ★ ★

وإنني إذ أتحدث عن أصدقائي النائين ، أريد أن أحدثكم عن ناظم حكمت الشاعر التركي ٠ إنك لن تعثر أبداً على هذا الاسم في تلك المجلات الغريبة ، المكرسة للثقافة ، التي تقرأ في تشيلي ٠ ولكنه الشاعر الاول في وطنه تركيا ، الشاعر الوطني ٠ وإنني أعتبره واحداً من أكبر الشعراء الاحياء٠

إن الشعب التركي يعرف أشعاره عن ظهر قلب ، ولكن اسمه في تركيا لا ينشر ٠

إنني أحدثكم عنه ، لأنه يبدو لي ، وكأننا ترعرعنا معاً ، ٠٠ من شأنكم كلكم أن تحبوه ٠ إنني أرغب في أن أراه هنا على هذه المنصة بعينيه الفاتحتين (إنه لا يشبه الاتراك) ، وأن يقرأ لكم الشعر بلغته الغريبة ٠ إن الشعراء الشرقيين يقرأون الشعر وكأنهم يغنون٠
كيف أحدثكم عن طيبة وكمال وجاذبية ناظم حكمت ؟

إن الوطني التركي العظيم يعيش في موسكو ، في المنفى ، بسبب المناخ السياسي غير الملائم ٠ وعندما كنت هناك ، كان يصدف أن يدعونا الطلاب والعمال للتحدث معهم ، ولقراءة الشعر لهم ٠

كان يضحك مني ، لأنني ، وكما يقول ، أبدأ حديثي دائماً ب : وطني

تشيلي ـ إنها بعيدة جداً ، وهي أروع بلاد في العالم • إنها تمتد ، رفيعة ، كما السيوف القاطعة ، بين الجبال ، أكثر الجبال ارتفاعاً ، والمحيط ، أكثر المحيطات اتساعاً ••• » •

« هكذا تستقطب الناس ، فما الذي أستطيع أن أقوله أنا عن تركيا ؟ » •

ولكنه كان يقول الكثير •

لقد قضى حوالي ١٥ عاماً في السجن بسبب أشعاره ، التي كتبها في صدر شبابه • والامتناع عن تناول الطعام ، ومواقف السخط في شتى أنحاء العالم ، هي وحدها التي استطاعت أن تعيد له الحرية •

وقد حدثني أنه الآن ، وبعد أن قضى عامين في العالم الحر ، لا يستطيع أن يعتاد على بعض الأشياء كالمفاتيح •

لقد نسي المفاتيح لأنه طوال ١٥ عاماً كان الآخرون يفتحون له الباب ويغلقونه وراءه في الزنزانة •

كما نسي أنه في الليل ، وعند الذهاب الى الفراش ، يجب أن يطفىء النور ، لأنه ظل ينام طوال ١٥ عاماً والمصباح الكهربائي مفتوح •

إنه من أكثر الناس في العالم ظرفاً•

إنه يسألك عن تشيلي باستمرار • فأحدثه عن الكفاح العظيم للشعب في شمال البلاد•••وأحدثه عن أصدقائي، وكم هن جميلات النساء في تشيلي ، وكيف شاهدت ذات مرة فتاة في الشارع، كانت جميلة لدرجة ، أنني سقطت لدى رؤيتي هذا الجمال •

ويقول لي :

ـ إنك تبالغ دائماً • سأضطر لأن أسافر وأرى كل ذلك بنفسي •

لقد بدأت بـ « النشيد الشامل » وانتهيت بالحديث عن أصدقائي ، الذين يعيشون في بلدان أخرى •

ولكن في الحياة كل شيء مرتبط ، فالاصدقاء جزء من حياتي ، ومنها يولد شعري ، هكذا مباشرة ، كما النبات في الحقل• وأريد أن أقول أن لا شيء مما رأيته في البلدان الاخرى استطاع أن يحجب احساسي الاساسي•فحيثما كنت، كنت أقدم كل ماهو تشيلي ، وأؤكد في كل مكان الوعي الامريكي اللاتيني وإدراكي لعالم الشاعر التشيلي • لعل ذلك لأنني محبوب ومقروء في المناطق النائية • لقد ذكرت ذلك ، في نهاية حديثنا ، لأن شعري وصل الى تلك

الأماكن ، وهناك بقي الكثير منأصدقاء وطني الاحياء والمخلصين ·

إنني لا أتذكرهم وحدهم فقط ·
لو كان لدي وقت أكثر ···

إذن لحدثتكم كم سررنا وتحدثنا مع المغني الامريكي بول روبسون ، وكيف غنى لي ، لوحدي ، ذات مرة ، في أثناء العاصفة الثلجية ، وكيف وعدني بأننا سنسمع صوته في تشيلي في وقت ما ·

ماهي علاقة كل هؤلاء الناس بموضوع حديثنا ؟ وماهي علاقتهم بأشعاري ؟

إنني أريد بأشعاري الجديدة أن أوحد بين أكثر الناس اختلافاً ، لكي أضع حداً لتفرقتهم المقصودة ·

إنني أرغب في أن ينفذ وطني هذه الرسالة في العالم · أن تصبح وسيطاً بين البلدان الكبيرة ، وداعيتها الى الفهم المتبادل والتعقل والصداقة ·

وأن تسمع في وطننا أصوات كل المعمورة · وأن يحرز البلد الصغير إمكانية التعايش بين الناس ·

وإذا كانيتعذر القيام بذلك حالاً ، وبالقوى الخاصة ، فاسمحوا للشاعر ، الذي يذكر الامطار ، والذي عمده الكفاح ، القيام بهذا الواجب الاخوي، بالاستعانة بشعره ، والقيام بذلك من هنا ، من وراء جدران هذه الجامعة ، صحيح أنها صغيرة ، ولكنها جامعة · إنني أعتبر أن مهمة شعري هي أن أعمل بكل قواي ، وبكل دقة ممكنة ، منأجل أن يعيش الناس المفصولون عن بعضهم، والشعوب المختلفة ، بسلام ، وأن يتبادلوا حكمهم ، ويحترموا ويحبوا بعضهم بعضاً ·

إنني أعرف أن شعري إذا استطاع أنيحقق ، ولو القليل ، في هذا الطريق، أكون قد قمت بأكثر واجبات الشاعر شرفاً ، وبررت التفويض السامي لوطني ·

جورج ماورر

ترجمة : د عادل قرشولي

لمحة عن حياة ماورر

ولد جورج ماورر في الحادي عشر من آذار عام ١٩٠٧ في إحدى المدن الرومانية الصغيرة ، حيث كانت تقطن منذ العصور الوسطى أقلية ألمانية لم تزل تحتفظ بتقاليدها الفلاحية ولهجتها الساكسونية ومعتقدها اللوثري • في عام ١٩١١ رحلت العائلة مع الوالد الذي كان يعمل معلماً إلى بوخارست • ويروي ماورر أن والده كان فناناً مغموراً ، وربما كان هذا هو السبب في ايقاظ ملكاته الفكرية منذ الصغر • وفي بوخارست اطلع ماورر في المدرسة الثانوية للمرة الاولى على الأدب الألماني الكلاسيكي ، فاستحوذ على إعجابه وأثار تشوقه إلى عالم أكثر انسجاماً وتوافقاً وجمالاً من عالمه ، وإلى حياة للشعر ومع الشعر •

وفي التاسعة عشرة من العمر ارتحل الشاعر إلى ألمانيا ليرتاد منبع هذا الأدب الذي أحبه • وقد جذبت ماورر أول ماجذبته في ألمانيا أسرار الفن وشعر برغبة جامحة لاكتشاف هذه الأسرار ، فقرر أن يدرس تاريخ الفن والأدب الألماني والفلسفة • لكن ألمانيا ذات النظام الرأسمالي المتطور ما لبثت أن صدمت هذا الفتى القروي الباحث عن السعادة بضجيج مدنها الكبرى ، والجري وراء الربح ، والأجواء المتعفنة البعيدة كل البعد عن روح الأدب الذي أحبه ، والأزمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تطرق على الأبواب بعنف حاملة معها البطالة والتفسخ والبؤس • وادت خيبة الأمل إلى تاجيج نيران الياس في صدره فحمل « كتاب الساعات » لراينر ماريا ريلكه الذي أصبح مثلاً أعلى له لفترة معينة من حياته ، وارتضى لنفسه المنفى الروحي وإسكان أفكاره السماء •

ومضت السنوات كالأشباح حاملة معها بربرية الفاشيست في « زمن العنف » ـ كما يسمي

ماورر هذه الفترة في إحدى قصائده ، هذا الزمن الذي لم يرحم أحداً ، حتى ولا أولئك الذين أملوا في الاحتفاظ على الأقل بمنفاهم الروحي ـ كما يقول هانز دالكة في دراسة عن الشاعر ـ • لكن « زمن العنف » لا يترك الشاعر في عالمه الداخلي ، بل يحمل إليه الحرب بويلاتها وعنفها وكوابيسها القاتمة ؛ يحمل إليه البؤس والرعب والأسر • كما يحمل إليه فيما بعد العودة •

ولكن من أين هذه العودة ياترى ؟ وإلى أين ؟

إن السماء والعالم الروحي لم يبرهنا على قدرتهما في إنقاذ البشرية من الآلام • وكان ماورر قد عاد آنذاك من الأسر إلى منطقة الاحتلال السوفييتي ، حيث كان قد بدىء بازالة آثار الحرب وإعادة البناء ، لا المادي فحسب بل الروحي والفكري أيضاً •

في هذه الفترة كتب ماورر مجموعته الثانيةالتي نشرها عام١٩٤٨ تحت عنوان « أناشيدالعصر »، وكانت مجموعته الاولى قد صدرت عام ١٩٣٦ بعنوان « أصوات خالدة » وهي عبارة عن أفكار تدور حول الاله ، وفيها يقول :

وهكذا ترك الله يذهب إلى سماواته الصافية
وقال للعالم بلا مبالاة :
كن ساحة حرب للنمور والأفاعي !

أما في « أناشيد العصر » فقد حاول أن يخرج من هذا المنفى الروحي ، من العالم الداخلي الذي دعا إليه ريلكه ، وأراد هو تحقيقه في مجموعته الاولى • ولكن هذه العلاقة الجديدة بالواقع ما زالت علاقة مجردة على الرغم من أن تيار العصر قد خلص الشاعر الى حد بعيد من مصطلحات عالمه الشعري القديم •

ففي هذه المجموعة تتصارع مصطلحات من نوع جديد ، ففي ناحية نجد العداء الذئبي ، والشيطانية ، والخداع ، والعنف ، والطغيان ، والحرب ، والموت ، والطبقات المالكة وفي ناحية أخرى نجد الحب ، والفرحة المضيئة ، والسيطرة على المستقبل ، والجماعية والفئات المنتجة التي تحمل على اكفها السلام • وفي هذه المجموعة ابتعد ماورر عن ريلكه ، واقترب من كلوبشتوك وشللر وهلدرين •

بعد تاسيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية عام ١٩٤٩ اتخذ ماورر خطوته التالية فكتب قصيدته الطويلة « وعي » ، وهو يجيب فيها على أسئلة طرحها في « أناشيد العصر » • ونراه في هذه

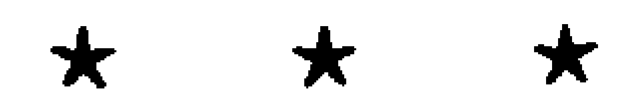
القصيدة يحاول التحرر من التشابيه المجردة ومن البحث عن الحلول في مجال غيبي ، إذ بدأ في تلك المرحلة في التوجه لدراسة الماركسية ولمعايشة الواقع الجديد ٠

لكن انطلاقته للتوجه إلى الواقـع المحدد بلغت ذروتها في تلك المرحلة في مجموعتـه « تقويم المقاطع الثلاثة » ، وهي مجموعة تضم اناشيد حلوة ، بهيجة ، بسيطة ، تتحدث عن الفصول الأربعة، والورود ، والأشجار ، والأطفال ، والقبل ، والأشياء الأرضية الصغيرة ٠ فلقد فتحت على العالم نافذة وبدت الحياة خارج الذات مضيئة ومزهرة ٠ وأصبح الشاعر يتمكن من النظر إلى المجتمع والطبيعة نظرة جديدة وأن يحقق الانسجام مع ذاته من جهة ، وبينه وبين الكون والآخرين منجهةثانية٠

وتتالت منذ ذلك الوقت قصائده التي كانت في أغلبها قصائد طويلة شمولية ونذكر منها : « العناصر » ، « رحلة شعرية » ٠ « عرس البحار » ، « مديح فينوس » « صـورة ذاتيـة » ، « صور تاريخية » ، « أفكار الحب » ، « ماهو خاص بنا » ، « الشاعر والمادة » ، « حوار مـع جسدي » ، « حوار مع العالم » ٠ « عالم مجرب » وغيرها ٠٠

كما تعتبر أعمال ماورر النظرية من أنضج الأعمال النظرية التي تعالج فن الشعر من وجهة نظر ماركسية ٠

وقد توفي جورج ماورر في الرابع من آب عام ١٩٧٢ وهو في الخامسة والستين من العمر على إحدى أعلى قمم الاكتمال الفكري والفني مخلفاً وراءه تراثاً شعرياً ضخماً لم يكتشف بكل سعته ولم يدخل إلى العالم من الأبواب الواسعة بعد ٠



الرؤيــة الشــمولية والتواصل الودي
في « ماهو خاص بنا » لجورج ماورر

حينما نشر جورج ماورر قصيدته الشمولية « ماهو خاص بنا » والتي كتبها بين عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ تحدث النقاد في ألمانيا الديمقراطية عن فتح جديد في الشــعر الألماني الاشتراكي المعاصر • ومثلما افتتحت مجموعته « تقويم المقاطــع الثلاثة » مجده عام ١٩٥٣ لدى القراء ، افتتحت هذه القصيدة بعد عشر سنوات مجده لدى النقاد وعلماء الأدب ، إذ اتجهوا بأنظارهم إليــه وأصبحوا يضعونه في مكان الصدارة بين معاصريه •

ولا أغالي إذا قلت إن جورج ماورر هــو اليوم واحــد من أعظم الشعراء الاشتراكيين في العالم ، وانه لا بد للعالم من اكتشافه ذات يوم ووضعه في الصف الأول لقافلة الشعراء العالميين المبدعين •

العلاقة النشيطة بين الذات والموضوع :

يحاول ماورر في « ماهو خاص بنا » أن يكتشف تلك العلاقة النشيطة بين الذات والموضوع في مختلف نواحي الوجود الانساني ، وعرض هذه العلاقة بأكثر الأدوات حسية ووضوحاً لدفعها إلى حيز الادراك كأفضــل إمكانية لتفتح الانسان تفتحاً سعيداً يكشف عن الجوهر الأصيل فيه • وهو يضع الأنا الشعرية في علاقتها بكل المجالات الحيوية للانسان في عالمنا المعاصر ، محاولاً سبر غور هذه العلاقة • إن موضوع القصيدة إذاً ليس موضوع الأنا الشعرية المغلقة المتقوقعة على ذاتها ، بل هو موضوع شامل الى أبعد حدود الشمول • إذ أن الشاعر يتعرض في قصيدته لعلاقة الانسان بالكون ، بالطبيعة في لانهائيتها وفي شيئيتها المحــددة • ويتعرض

لموضع الانسان في الحركة الاجتماعية وموقفه من هذه الحركة • كما يتعرض من خلال هذا لأهم القضايا الحياتية ، للحب والموت والعمل وماضي الانسانية وحاضرها ومستقبلها ، ولآخر القضايا الفلسفية والمشاكل السياسية ــ التاريخية الأساسية لعصرنا • لكن الأشياء الكبيرة لا تنفي الأشياء الصغيرة ، بل تتضمنها • والتحدث عن الحياة والحب والموت والسعادة والعمل لا يعني بحال من الأحوال الخروج عن حدود الزمان والمكان أو فقدان الرؤيــة التاريخية المحددة • لأن هــذه القصيدة « لا تريد أن تضرب بلا هدف » ــ كما يقول ماورر ــ « عبر الأزمنة والأمكنة ، أو عبر ما يدعى بالانسانية الخالدة ، أو أن تعالج سعادة الانسان وتعاسته وحبه وموته بشكل مطلق ، بل تريد أن تكون قصيدة لعصرنا تبحث بشكل أكثر دقة عن قوانين تاريخ البشرية والطبيعة والكون • إن قضية الشاعر الأساسية هي مواجهة عالم عرفه وأدركه الانسان عن طريق الكلمة ، كما يواجه الامرأة ــ الحبيبة من خلال توافق الأفكار والأحاسيس ، والوقوف في وجه كل ما يعترض سبيل التواصل بين الانسان والانسان ، وبين الانسان والعالم • »

وحدة الذات مع الكون ومفهوم التراث :

يضع ماورر في القصيدة الاستهلالية ذاتــه في مركز الكون ، ليشير إلى وحدة هذه الذات مع الكون •

أين يبتدىء العالم وأين أبتدىء أنا ؟
من هو المذاب في الآخر ؟

ليس هذا في الواقع سؤالاً بقدر ماهو إجابة • إنه الفعل المتبادل بين الذات والموضوع • فالشاعر هنا يشعر بوحدته مع الكون ، ومع الماضي والحاضر والمستقبل •

فتاة هو الماضي العابر ذاتي

إلى المستقبل ٠

وبهذا يضع ماورر اللبنة الأولى لتوضيح مفهومه عن التراث ٠ ومفهومه عن التراث يرتبط بمفهومه عن الانسان ٠ فالانسان ابتداء ونتيجة ٠ وهو يحمل إرث الأجداد للأحفاد بعد أن يكون قد تمثله وأغناه ٠ ولذلك يجب أن تعالج الانجازات العظيمة للفكر البشري من خلال علاقتها بجهود الأجداد ٠ « فنحن نأتي دائماً من الأبوين » ،

لأنه كذلك خاص بنا أن نحس عبر الأزمان
ونرضى للأموات حياة عظيمة ، ونفهمهم
على أنهم خاصون بنا
ساهموا بخلق ماهو خاص بنا
في الليالي وعبر التضحيات

إن هذه العلاقة بالتضحيات وبجهود الأجيال السابقة من أجل حياة أفضل هي التي تمنح الانسان سمته الخاصة ٠ إذ أن « التواصل » الذي يسعى اليه ماورر ٠ « لا يعني التواصل مع العالم المحيط فحسب ، لأن هذا التواصل هو من خصائص الحيوان أيضاً ، بل هو تواصل مع ما يسميه الانسان بالكون ٠ وإن عالم الانسان ليس حاضره فحسب ، بل هو كذلك ماضيه ومستقبله ٠ لأننا أجداد وأحفاد في وقت واحد ٠ وهذا ما يجب على الشاعر أن يتمكن من التعبير عنه ٠ فالمفهوم الانساني هو خط يصل العصور الاغريقية القديمة ، مروراً بالانسانية الكلاسيكية لعصر غوتيه وكانط ، بانسانيتنا الحاضرة وباحلامنا ٠ » لذلك يعتبر ماورر نفسه كما يعتبر مجتمعه الاشتراكي وريثاً للتراث الانساني التقدمي برمته ، يستوعبه ، ويغنيه ، ثم يقدمه بعد أن يرفعه إلى مرتبة أرقى للأحفاد ٠ ولا يغيب عن باله ، حتى وهو يتخلص من الجاذبية الأرضية ويغزو الفضاء ، أولئك الذين ضحوا من أجل هذا التراث ، فمن هناك :

من ذلك البعد ربما يبدو ياقوتاً دمُ الضحايا
ياقوتاً نُقبِّله ونحمله في أصابعنا
كشيء ثمين على نجوم غريبة

ويعبر ماورر عن علاقته الجدلية بالماضي من خلال رجوعه إلى التراث الشعري للانسانية ، مستنداً على أعمال خيرة ممثلي هذا التراث ، متمثلاً تصوراتهم ومثلهم العليا ، مطوراً لها بشكل نقدي وبنّاء · في هـذه القصيدة بالذات يتضح حضور فريدريش هلدرلين وراينر ماريا ريلكة حضوراً يحتاج إلى دراسة خاصة مستقلة ·

الموت هو الخط الفاصل بين صورة وصورة :

شغلت ظاهرة المـوت بال ماورر فترة طويلة · ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده الأخيرة من التعبير عن هذه الظاهرة من مختلف الجوانب ·

يرتبط مفهوم ماورر عن الموت بمفهومه عن الماضي والتراث · فالموت هو ضربة مريعة بالنسبة للانسان الفرد · ولن تتمكن أية معرفة يكتسبها هذا الفرد عن عظمة الانسان وتضحياته وتفاؤله من مساعدته لدى فقد عزيز · لأن « موت طفل أثقل من الهيمالايا » · مع هذا فنحن

نغطي رؤوس المقتولين
ونصالح الذكرى مع اللحظة الدموية
بأنغام الحزن ·
حتى الأموات نمنحهم نحن حياة !

يربط ماورر مشـكلة الموت بموضوع التراث وحركة التاريخ على مستوى البشرية ككل · والتراث لديه ليس التراث الحضاري للانسـان فحسب ، بـل هـو كذلك مجموعة العوامل المكونة للانسان ذاته في علاقته الاجتماعية والكونية · وعلى

هـــذا فان الموت المطلق كركود أبــدي للحياة هو مستحيل في نطاق التاريــخ وحضور البشرية :

فهو في التحول
ليس أكثر من الخط الفاصل بين صورة وصورة في الفلم السينمائي،
الخط الذي يتحول في الحركة إلى لا شيء ٠

إن الأموات إذاً يعيشون فينا ٠ إنهم « فم الأحياء الشاكي »٠ وبمقدور الانسان أن يتابع حمل المشاعل التي حملها من ماتوا من أجل استمرار الحياة ٠ لكننا لانتمكن من الانتصار على الموت إلا من خلال شيئين : الحب والعمل ٠

الحب شرط للتواصل الودي :

يستخدم ماورر مصطلح الحب على مستويين : المســتوى الشخصي والمستوى العام ٠ فالحب بمعناه الشامل سمة جوهرية من سمات الانسان تميزه عن الحيوان٠ والحب الحقيقي ممكن ٠

فاذا لم تكن كذباً صرخة المصابين الذين طواهم الموت ،
حيث السكون الرهيب ــ
فلماذا يكون كذباً حب الأحياء !

ومن خلال الحب يتمكن الانسان من التواصل مع الأموات والأحياء والطبيعة :

إننا نحن من نمنح الحياة والحب
للشمس والقمر والجبال والأنهر والأموات ،
أولئك الأموات الذين لم يزالوا هنا
والذين يتحركون حسب طريقتهم الخاصة فينا ،
في الأعماق التي لم نسبر غورها بعد ٠
من حيث جئنا وإلى حيث سنذهب ٠

والحب بمعناه الأعم هو الشرط الأساسي لوجود التواصل ٠ (والتواصل الذي يتحدث عنه ماورر والذي تتمحور في الواقع حوله مقطوعات هذه القصيدة ، هو تلك العلاقة النشيطة بين الذات والموضوع في جميع مجالات الوجود الانساني ٠) وبدون الحب لا وجود للتواصل ٠ لأن كل تقارب يحدث بين الانسان وجميع المجالات الطبيعية والاجتماعية إنما يحدث إنطلاقاً من الحب ٠ وإن كل ما يميز التعاطف بين الجنسين من تفاهم وفرح وتحقق رغبة ولذة وقوة خلق وحركة وتغير إ نما هو الذي يحدد كذلك العلاقات بين الأنا والعالم على جميع المستويات ٠ وتأسيساً على هذا فان التواصل المفعم بالحب يعني أنسنة القوى الطبيعية ، ومعرفة طرق تأثيراتها وقانونياتها ، واحترامها « بحب » ، ومن ثم تحويلها لخدمة الانسان ٠ ويعني كذلك أنه على الانسان إعادة العلاقة الطبيعية التي تميزه عن غيره من الكائنات بينه وبين الانسان الآخر ، وإدراك قوانين التطور الاجتماعي والرضى بها « بحب » ، ووضعها تحت سيطرته ومراقبتها من خلال المعرفة ٠ وهو يعني أيضاً تخطي كل الأخطار التي لم تزل ممكنة الوقوع ، تخطي الكوارث الفجائية «بحب» ، واستيعاب النشيد للمرثاة ٠

الدوران حول شمس العمل :

لكن التواصل ــ كما أسلفت ــ هو علاقة نشيطة بين الذات والموضوع ٠ ولكي تصبح العلاقة نشيطة تحتاج إلى فعالية ٠ والفعالية لا وجود لها دون وجود العمل ٠

قرأ ماورر جملة لماركس يقول فيها : « لا يتمكن المجتمع من ايجاد توازنه إلا إذا دار حول شمس العمل ٠ » وقد أحدث استيعاب مضمون هذه الجملة ثورة في فكر ماورر ــ كما يقول في حوار معه ــ ولعب دوراً أساسياً في صياغة مفهومه الحياتي والشعري :

العمل هو اللقاء العظيم للانسان مع ذاته ٠
فهل عرف دونه ياترى : من هو ؟

وفي مكان آخر :

أين يكون الفكر إذاً إن لم يكن في العمل ،
في المعادلات الجميلة
حيث تبعث لنا دروب النجوم
بالأنغام ·

لم يستخدم ماورر مقولة « تحقيق الذات في العمل » ، بل استخدم مقولة أكثر دقة هي « لقاء الانسان مع ذاته » · لأن الانسان إذ يعمل ينتج ، أي يعطي من ذاته شيئاً يساهم به في تكوين العالم من حوله · وهو باحتكاكه بالعالم من حوله يقابل الشيء المعطى من الذات ، يلتقي به ، ويتغير بتغير الأشياء والناس · لذلك :

فعندما يلمُ الانسان الماء في السد
يلم بهذا ذاته ·
أما إذا تركه على عواهنه ،
فيكون هو الماء الضائع في الرمال ·

كان اكتشاف العمل هو الجسر الحاسم الذي أوصل الانسان المتواصل مع ذاته، ومع أقرانه ، ومع الكون · ولا بد من استخدام هذا الجسر استخداماً حقيقياً لصالح التطور البشري حتى نتمكن من خلق إمكانية التواصل الودّي ·

انطلاقاً من هذه المعرفة يترتب على الشاعر أن يعمل على توحيد البشر لكي ينموا فاعلين إلى « داخل المخططات العظيمة للمستقبل » ، وكي يمنحوا حياتهم معنى إنسانياً يغيرون من خلاله العالم حسب احتياجاتهم ، مغيرين بهذا أنفسهم ·

هل التفاؤل موقف طوباوي ؟

ينطلق ماورر في هذا كله من موقف متفائل · لأن التفاؤل هو كذلك خاص بالانسان · فهو ما يمكنه من النظر إلى أمام ، وإلى فتح أبواب المستقبل · والتفاؤل

ضروري لتخطي الهزائم وشحذ الهمـة للمحاولة من جديد · فنحن ننسى تقريباً « الأجنحة المتكسرة » ، أجنحة ايكاروس ، أحد أوائل الذين حاولوا الطيران بأجنحة اصطناعية إلا أنـه فشل · لكن عدم الرضوخ لليأس ، لكن التفاؤل هـو ما مكن الآخرين من الاستفادة من تجربته وإعادتها المرة تلو المرة ، حتى نجحت ·

صرخ شللر ذات مرة : « لقد ولدنا لما هو أفضل » · وكان بهذا على حق · فعلى الرغم من كل أهوال تاريخ البشرية ، على الرغم من جميع الكوارث التي تلم بالانسان يبقى الانسان في جوهره يؤمن بشكل عام بالأفضل · وهذا الايمان هو أروع مافي الانسان وأشد الحوافز قوة على اجتياز المصاعب · وهو شيء خاص بنا · هذا الايمان هو الأمل الذي لا ينضب في إمكانية التواصل الودي مع الآخرين ومع الطبيعة والكون · لم يعد هذا الأمل وهماً ، بل أصبح اليوم يستند على أسس واقعية ينبع من جوهر المرحلة التاريخية التي نعيشها · فقد اكتسب التواصل نوعيـة جديدة تتكشف في كل شيء يدور حولنا · فهي تبرهن عن نفسها في إمكانية السيطرة على الكوارث الطبيعية · · وفي توطد المجتمعات الاشتراكية · وتنامي حركات التحرر الوطنية · وتخطي الجاذبية عن طريق الطيران · وفي ذلك الحوار الذي يجري مع من عملوا في الماضي على خلق « ماهو خاص بنا » وساهموا في رعايته · وفي الاندفاع الخلاق نحو المعرفة والاكتشاف · وفي العمل الذي يغير بتغييره للطبيعة كذلك جوهر الانسان · وفي اكتشاف جوهر الحركة والتوافق معه والمشاركة في توجيه هذه الحركة · وفي الحوار مع الطبيعة التي لم تعد لغزاً · وفي الفكر المرتبط بالواقع واستيعاب هذا الواقع من خلال الفن ·

ليست الكلمة هدفاً بحد ذاتها :

إن براعم الانسجام تختنق في متاهات الذات المغلقة ، ولا تنمو وتزدهر إلا على أرضية هذا التواصل الودي الفعال الذي يؤمن ماورر في إمكانية تحقيقه · لذلك لم يعد بحاجة ــ كما كان في قصائده الاولى ــ إلى إله أو كائن يستحضره من وراء الطبيعة أو من فوقها لكشف علاقات الكون · ولم تعد الكلمة التي تستهدف سبر غور جوهر الأشياء والتعبير عن العلاقة بين الأنا الشعرية والكون بأكمله ذات

منشأ ميثولوجي صرف ، وإنما أصبحت عبارة عن « صدام » عن « ملامسة صدر لصدر » ، أي أصبحت نتاجاً للتواصل ، مستهدفة الايصال والتواصل • فنحن :

•• نبحث اليوم عن الكلمة
لكي نقول بالتحديد مانحن ، لكي نقول
أكثر من أننا تحررنا من السادة ـ
ونحس أكثر من حرارة الأفران العالية •

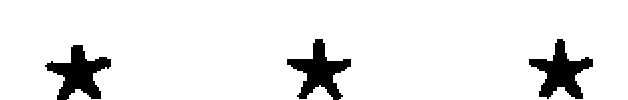
إن البحث عن « ماهو خاص بنا » هو إذاً في الوقت ذاته بحث عن معنى وجود الشعر • فثمة من يقول : ليس للكلمات من معنى • لكن ماورر يخالف هذا الرأي• فنحن نستطيع من خلال الكلمة أن نعطي الأموات حياة ، وأن نحتفظ بالتاريخ في ذواتنا • ومع هذا فان إعطاء الأموات حياة والاحتفاظ بالتاريخ في الذات من خلال الكلمة ليس هو الهدف الوحيد للكلمة • ولو كان الأمر كذلك لدى ماورر لما استطعنا أن نميز بين مفهومه وبين مفهوم ريلكة الذي كان يقول بضرورة تحويل الأشياء الجميلة المهددة بالانقراض إلى عالم الذات للاحتفاظ به • فالكلمة ليست هدفاً بحد ذاتها • والشاعر لا يحول الكلمة إلى طقس ميثولوجي ، بل يتساءل عن منشأ الكلمة وهدفها الانساني • ففي مقدور الكلمة لسيى تحريرنا من الأسياد فحسب ، بل ومساعدتنا على سبر غور جوهر الظواهر ، وعلى تخطي الجاذبية ، والقفز إلى الكون الخارجي من خلال السيطرة على قوانين الأرض • بهذا يطور ماورر مفهوماً عاماً عن الكلمة انطلاقاً من الأسس الواقعية والموضوعية للعالم ، إذ يستند في مفهومه الشعري على نظرة مادية جدلية ومفهوم علمي للتاريخ • لذلك نرى أن جميع الأشياء ، حتى البهجة أمام قطارات الأطفال الصغيرة ، ومنديل الحبيبة ، والوردة تنتظم ضمن المفهوم العام • لأن الأشياء العظيمة التي تشغل بال الشاعر لا تنفي الأشياء الصغيرة ، بل تتضمنها •

حس الحياة الجديد :

لكن ماورر لم يكن ليتمكن من معايشة هذه العلاقة الكونية (العلاقة بين الانسان والانسان ، بين الانسان والطبيعة ، وبين إنسان الحاضر وبين التاريخ

من ناحية ، وبينه وبين إمكانياته المستقبلية من ناحية أخرى) ولم يكن ليتمكن من التعبير عنها مبرزاً شمولها وانسجامها على هذا الشكل ، لو لم ينطلق من التوافق على المستوى العام بين رغبات الفرد من ناحية ومخططات المجتمع وأهدافه مع اعتبار الذات جزءاً من هـذا المجتمع من ناحية أخرى ، ولـو لم ينطلق من انتفاء ذلك التناقض الجوهري بـين هذين القطبين في المرحلة التاريخية التي توصـل إليهـا مجتمعه الاشتراكي ·

ومن هذا المنطلق فان القصيدة تعبر بشكل رئيسي عن النوعية الجديدة لحس الحياة الاشتراكي الجديد ، مع الاشارة الشعرية إلى تلك المعارك الاجتماعية العظيمة للشعوب ، تلك المعـارك التي ينبثق عنها التواصل الودي كنوعية جديدة متغيرة ، ويصبح أساساً لكل إنسجام ·



جورج ماورر

ماهــو خاص بنــا

- ١ -

مرت على رأسي الأزمنة والشتاء والصيف •
كما لو عبر نافذة تتطاير النجوم اليه
والقمر •
بحيرة تقف فيها الجبال على القمم
هي روحي •
فتاة هو الماضي العابر ذاتي
الى المستقبل •
أين يبتدىء العالم وأين أبتدىء أنا ؟
من هو المذاب في الآخر ؟
إنني أسمع صوتي ـ أيُّ مزيجٍ
من المعنى والهواء ؟
إصطدام هي الكلمة ،
ملامسة صدر لصدر
ضجيج المعارك المنصرمة •

- ٢ -

حول ثقلي أديرُ نفسي
كالنجوم حول ذاتها •
لكن الربيع والخريف يأتيان من حركةٍ
أشمل •
وهكذا تنمو الكلمة ، العظيمة ،
المنفوضة عن الشفاه
كالثمار الطالعة في الشمس الغالية
من خصوبة الأرض ورعاية الانسان ،
متوهجةً في القشرة ، ساكبةً عصيرَها
المنعش
على اللسان ، مبشرةً من لم يزل مريضاً
بالصحة الجليلة ،
مرفرفةً
في رعود أشعة الكون الخيالية
كالحمامات التي تُطْلَقُ في الأعياد
مخدرةً بصراخها الآذان ••
وكل منها تعرف عشها بثقة !

- ٣ -

متينٌ هو لحمنا وقابلٌ للتمزق ،
ثقيلة هي عظامنا ويمكن كسرها بسهولة •

إنسجام قطاراتنا لا يتدحرجُ دائماً
على سكة •

وموت طفل أثقل من الهيملايا ••
ماذا نقول للأم ؟ كيف نتمكن من رفع
هذا العبء ؟

ماالذي تقدر عليه الكلمة الكبيرة ؟
أتستطيع أن تسند الدعائم التي ردمها
انهيار المنجم ؟

اننا نغطي رؤوس المقتولين

ونصالح الذكرى مع اللحظة الدموية
بأنغام الحزن •

حتى الأموات نمنحهم نحن الحياة !

فاذا لم تكن كَذِباً صرخة المصابين الذين
طواهم الموت

حيث السكون الرهيب ـ
فلماذا يكون كَذِباً حب الأحياء :
انه الحب هو الذي يمنحنا الكلمة السامية،
الكلمة التي لم يتمكن من خنقها أحد
منذ أن فكر الانسان •
اننا نحن من نمنح الحياة والحب

للشمس والقمر والجبال والأنهر
والأموات ،

أولئك الأموات الذين لم يزالوا هنا
والذين يتحركون حسب طريقتهم
الخاصة فينا

في الأعماق التي لم نسبر غورها بعد
من حيث جئنا والى حيث سنذهب •
مسحورة هي عيوننا كما لدى المحبين ،
الذين ينادي أحدهما الآخر : ياحياتي!
وهذا خاص بنا ! ولسوف نحافظ عليه،
ولن نسمح للتعاسة ، ولن نسمح للمجرمين
لن نسمح لأحد بأخذه منا •

– ٤ –

هل أقضي على الدموع ؟ وكيف أقدر
على ذلك ؟
ألا يجب أن نذكر أن الدموع تسكب
في التعاسة كما في السعادة ،
وبأن تيارها لا يتدفق الا في الانسان
جاعلاً من العيون ينابيع ؟
أيتها الدموع انني أصبحت أجدُ صعوبةً
في التفريق
بين ماهو ملح وماء ، وماهو روح •
فقد كان لغزاً بالنسبة اليّ دائماً
كيف أن الضوء يتجمع في العين لدى
البسمة ،
بينما ينطفيء لدى الحزن كما لو من
الداخل •
ما كان ملحاً وماء أصبح الآن روحاً
منسكبة !
وما كان انطفاءً وضوءاً أصبح الآن
حزناً وسعادة !

فالانهار ترضخ ، وترضخ البحيرات
لعين المسافر عنـدما تبرق عبر نافذة الطائرة
لتصبح بهجة في ذاتـه حتى ولو كانت
تخبىء الغرقى •
أمّا المكان الذي حدثت فيه مأساةالغرق
فتظل عيون الحزانى تجلله بالسواد •
وجبل الايتر(١) يظل يمسك بالاحتفال الأسود حتى الأبد
ويحمل النصب التذكاري
بصبر على الاكتاف ، حيث لم تَطْفِ الانهـار ،
ولم تسقط الصخور على رؤوس الناس،
بل حيث أراد القتلة اغتيـال ما هـو خاص بنا
في حضور أشجار الزان •
فداسوا وطعنوا بقسوة أكبر من قسوة العناصر ،
تلك التي لم نزل ننفخ فيها الحيـاة والدهشةُ تغمرنا
لتسليمها ذاتها لنا على هذا الشكل ،
تلك العناصر المترعة بالمفاجآت •

(١) جبل الايتر : يقع شمال مدينة فايمر بالمانيا الديمقراطيـة ، بالقرب مـن معسكرات الاعتقال النازية « بوخن فالد » •

أما الماء فلا يسلّم نفسه من أجل القتلة
ليصبح دمعاً
ولا يسلم الضوء ذاته لهم ليصبح بسمة •
ولن نمنحهم نحن الحياة •

- ٥ -

في عين ملاح الفضاء أصبح بحرالاغريق من جديد
بزرقة الزهرة الخالدة ،
والعالم صار من جديد تلك الصـدفة
التي خرجت فينوس منها •
فنحن نأتي أبدا من الابوين •
والجنس البشري يندفع ، تيـاراً مـن الجمال
في الفضاء المزدان بألوان قوس قزح •
من ذلك البعد ربما يبـدو ياقوتاً دمُ الضحايا
ياقوتاً نُقَبِّلُه ونحمله في أصابعنا
كشيء ثمين على نجوم غريبة •
اذ أننا لا نطير بسهولة •
ثقل الارض هو طيراننا ـ
وكالضحية الفرح •
لكن هذا يجب أن يقول لنا الكلمة •
لأن هذا هو اصطدام هيرقل بالأسد ،
الاصطدام المحتدم في الرعد ،
الذي نسمعه ونذكر الأجداد •

لأنــه كذلك خاص بنا أن نحس عبر الأزمان
ونرضى للأموات حياة عظيمة ، ونفهمهم
على أنهم خاصون بنا
ساهموا
بخلق ما هو خاص بنا
في الليالي وعبر التضحيات
اذ أن من وقف هناك وتطلع الى الانسياب
والى الكرة الملتهبة الثقيلة
وفهم أكثر من الرقرقــة وأحس أكثر من الحرارة
فقال إن إلهاً يتحدث من خلاله لم يكن غبيــاً ،
بل معلما حتى لنا نحن الذين نبحث اليوم عن الكلمة
لكي نقول بالتحديد ما نحن ، لكي نقول
أكثر من اننا تحررنا من السادة ــ
ولنسمع أكثر من ضجيج الآلات
ونحس أكثر من حرارة الافران العالية •
اذ أنها ثقيلة بما فيه الكفاية هــذه الأشياء •
لكن طيران الانسان هو الثقل
الذي يجعل من الانسان انسانا ،
إبناً للكتلة العائمة •

ـ ٦ ـ

المتاجر في الفضاء خاصة بنا •
وخاصة بنــا بهجة أن نرى أنفسنا في الواجهات
لُعباً تعتمر القبعات أو تلف الصدور الأنثوية
بالحرير الصيني •
خاصة بنــا بهجة أن نرى القطــارات الصغيرة
تعبر النفق ،
وأن ننظر الى أثاث غرف عمالقة الغابات
من الداخل •
يا لها من بهجة عظيمة أن ننسى تقريباً
الأجنحة المتكسرة ،
وأن نحلّقَ كالطيور
أو نغوصَ كالأسماك الباردة !
اننا نريد أن نمتصّ حليب أشعة المجرّة •
فنحن ظامئون الى هذا الحد •
فضولنا بلغ درجة من التصميم
يجب أن تتطاير معه الصخور
وأن يُقطعَ صقيع القطب كالزبدة •
ان جباه أطفالنا الناعمة
تنطح اليوم بجبروت جبال الورق ــ
لكنَ مفاتيح الحروف ذات الذقون الجعدة
بين الأنامل الصغيرة
تفتح بصرير أو بسرعة

الجبل الذي لا يستطيع فأر" قضمَه ،
أو فيل زحزحته من مكانه ·

- ٧ -

العمل هو اللقاء العظيم للانسان مع ذاته·
فهل عرف بدونه ياترى : من هو ؟
وعندما يلم الانسان الماء في السد
يلم بهذا ذاته ·
أما اذا تركه على عواهنه ،
فيكون هو الماء الضائع في الرمال ·
وعندما يُضرِمُ الانسانُ النارَ في الموقد،
يصبح بهذا هو النار الباعثة للدفء ·
أما اذا غضب ،
فيكون النارَ التي تفترس المدن والبلدان·
واذا لم يذهب الانسان في درب النجوم،
يبقى ذلك الحيوان المجتر أعشابَه ·
واذا لم يحس شوق العالم كله ،
فلسوف يتحول الى الحجر
الذي يضرب ·

- ٨ -

يا للسطح الهوائي !
يا لقبة النجوم فوقي !
يا للبريق الدائر في الليل ـ هذه القبةِ
الفارغة !
يا للقناديل الورقية الملونة في عيد نبيذ
الانسان !

ومع هذا فلو سقطت قطعة صغيرة صغيرة
من ذلك النجم الذي التم على نفسه
كقبضة
فستخترق طاولتي
كطلقة بندقية ·
يا للسطح الهوائي !

- ٩ -

في جمجمتي
أحمل أفكار العالم ،
التي لا يفكر بها هو ،
والتي يرضخ لها ·
لكن جميع أفكار الحكيم
لا تذيب الحجر
الذي ينفلت من السقف ،
وبصمت
يفجر الجمجمة ،
الحجر الاقوى من الجمجمة ،
المتستر الى درجة رهيبة ·

- ١٠ -

لندع الموت للأموات !
فهو في التحول
ليس أكثر من الخط الفاصل بين صورة
وصورة في الفيلم السينمائي
الخط الذي يتحول في الحركة الى لاشيء·

أما اذا ما توقفت الحركة فحسب
فيكون الجمودُ والسأم
يكون الزمنُ زمناً مرعباً
يكون القناعُ الذي لا يتحرك •

- ١١ -

أَنصِتْ الى عروق العالم الذهبية !
ان الانسان هو الوحيد
الذي حولها الى أوتار ،
الى كمانات وأبواق •
يا للالحان الصاخبة العابرة !
والموت لم يزل
فم الاحياء الشاكي •
ما الذي لم يحوله الانسان ؟
منديل الحبيبة
يلمع في عينيه من خلال الخميلة •
كحل عينيها
يرعد عبر جسده الثقيل •
الحبيبة تدخل في ذاته
كما يدخل الهلال في فتحة الجفنين •

- ١٢ -

أوجد العشاق
بعضهم لبعض
جميع عطور الورد •
ها هي ذي الآن تفوح !
كاللهب تهب الألوان
وبين الورود والنظرات
يلعب العشاق
كالأطفال بين الأبوين •

- ١٣ -

لسنا من خلق العالم •
لكن اللقاء معه هو خاص بنا •
لم أخلف أنا الصديقة ،
لكن حبها خاص بي ـ
طالما كنت أستحق الحب •
وحسب ميزان لهيبي
ستكشف لي الصديقة ذاتها •

- ١٤ -

أواه كم من الأشياء تستطيع أن تضم
شبكة عيني ، هذا المكان الصغير ؟
ولكن لتدرك أعجوبة الشبكية :
الكون كله يسلم نفسه لها بحب !
وهذا الحب نسميه المكان •

- ١٥ -

تسمي مقياس حياتك برميلا مثقوبا
وتقول انك تغرف بلا جدوى فالبرميل
لا يمتلىء
والزمن يتسرب منك •
لكن ضع البرميل في التيار فلن يفرغ
أبـــداً •

- ١٦ -

ألف خطر وخطر يساند بعضها الآخر
كالأقواس المنحنية

التي يسند أحدها الآخر
فتحمل الانحناءات •

- ١٧ -

ما هو هذا الهمس العذب ،
الذي أسمعه على الدوام •
لا تخدعني أذناي •
انه ليس بالريح ـ بل هو الريح !
انها ليست الاشجار ـ بل هي الاشجار!
انه حديث
وهو يأتي مع الشعاع ـ
وصمت
ممتلىء غاية الامتلاء
كحديث الأحبة الصامتين •
لا بد أن ثمة شيئاً ما هنا
كنبع في الغابــة •
هاهو ذا لون أزرق بين الاعشاب
ينادي : لا تنسني !(٢)

- ١٨ -

من ذا الذي سمع في البدء العلاقة ـ
روحَ الهواءِ تلك ،(٣)
حتى شد هكذا الأوتار ؟
بما أن صوت الحبيبة أكثر رقة
من صوت الحبيب ،

(٢) « لا تنسني » : إسم نوع من الزهور •
(٣) المقصود بالعلاقة هنا العلاقة بين الخشونة والرقة • وروح الهواء هي الكلمة التي تحمل المعنى من خلال التموجات الهوائية•

ومع هــذا فقد أحبت هي ذلك النغم الأكثر خشونة
ووضعت يدهــا على الصدر القاسي ، أكثر ابتهاجاً
مما لو أنها ضمت الى صدرها
رفيقة الطفولة
تعلمت الصخور كيف تتحرك
والجدران كيف تتفجر •

- ١٩ -

هكذا تتفتح العيون
الاغريقية ذات الحاجب العريض ،
وتتوج الصخرة التي لا شكل لها
بنظام الأعمدة •
وأمام تجاعيد الجبال
ترصف النظرة المصرية بسخاء
ملامس البيان(٤) البيضاء والســوداء في معابد الموتى ،
حيث لعب البناؤون
بأعمدة الجرانيت الساطعة
وغياب الشمس •
والمنبسط العملاق في مقابر « مينغ »(٥)
يسير بالخطوةالموزونة للناسوالحيوانات الحجرية

(٤) الآلة الموسيقية المعروفة (بيانو) •
(٥) مقابر غير بعيدة عن بيكين •

عبر الأبواب الملونة التي تنظم الهواء
باتجاه نصف الكرة المرشوش بأشجار الفواكه ،
حيث ينام في النصف الثاني من الكرة الأموات
تحرسهم التماثيل الفخارية للخيول والراقصين والعازفين •
وفجأة تصبح واحدةً أسرابُ البشرية
في عين القلب المحبة
التي ينظر من خلالها الشاعر •

- ٢٠ -

أبدا ننمو الى داخل المخططات السمحة •
هذا هو مكاننا، وهنا يوجد دائما مكان،
حيث لا إقناع بالقبضات •
لقد كان لنا مكان أمام الباستيل ،وأمام قصر الشتاء ،
وفي البيت المائل مع الريح في جوليس(٦)
من أجل فرح الملايين •
انه الفكر الموجود في ذواتنا
يجعل دروب النجوم ترفرف
كالشرائط في جدائل الفتيات •
مكان عظيم هو تسامحنا ،
ومكان لا نهائي فهمنا ومرحنا •
من جميع شوارع الحياة يتجمع هناك
جميع السكان ، يتجمعون
في أسواق يوم العطل ـ راغبين في رؤية المعرض
الجديد أبداً ، والمولود مع هذا من الذكرى ،
مثلما نكتشف في وجوه الأطفال
ـ الذين لم يكونوا والذين أصبحوا ـ
سماتِ الأبوين ، مبتهجين ،
لأنَّ الشيءَ الذين صارَ شيءٌ جديد
ومع هذا فنحن نعرفه •

- ٢١ -

ماهو الفكر اذاً ؟
انه الرجال القادمون من المغاسل
الصاعدون الدرجات بسلالهم الثقيلة
المليئة بالغسيل الناصع الذي نظفته طبول غاضبة
حتى أن الأطفال ينحنون بأنوفهم المنتفخة
على الحلم الأبيض •
وهو دفع المذراة للحنطة ،
حيث يرتعب العطر النائم ويهرب •
لا يجب أن يفصل الفكر أبدا
عن العجلات السريعة التي تحمل الخيرات
الى الأمكنة البعيدة •

---

(٦) جوليس : هو المكان الذي كتب فيه الشاعر الالماني شللر « نشيد الفرح » الشهير الذي لحنه بيتهوفن والحقه بالسيمفونية التاسعة •

فنحن نتطلع ببهجة وادراك الى ثمـار
العمـــل ٠
وحتى الحصى المرشوشـة بين السـكك
هي لغــة ٠
والعضلة المتوترة والمرتخية
التي تبني أجزاء المنزل
تجعل الفكر صالحاً للسكن ٠
أين يكون الفكر إذاً ان لم يكن في العمل،
في المعادلات الجميلة
حيث تبعث لنا دروبُ النجوم
بالأنغـــام ٠

- ٢٢ -

من حلق الأسد
أعاد هيرقل عروسه
وظل يعصر بسواعد سمراء
فناءه الزائر
حتى صمت ٠
أبـــدا كان الأبطال الجوابون يبحثون
عن المـوت
حاملين اليه الموت ٠
كان الكنز دائما وكذلك كانت العروس
في آخر زاوية رطبة من المغارة ٠
وكان المدخلُ دائما فمَ التنين ٠
من نهاية العالم حتى نهايته
اندفعت خيول السهوب ،
أمامها سحابة السهام المهسهسة
ووراءها الشعوب المسحوقة ٠
وأرعدت مدافع السفن
وسيوف الانسان
حفرت أجساد الانسان
حتى اكتشف بعد عناء كبير
كنز الكنوز :
المنجل الذي لمع بين الصراعات
وبين السيوف والتيجان الصدئة ،
ذلك المنجل الذي يشحذ أبداً
على حجر الصوان ٠
وهكذا خلص المنجل
من المـوت ٠

- ٢٣ -

لسوف نستبدل الحرب بالعمل ،
وساح المعركة سيصبح حقلا للفلاح :
إن حكاية أيامنا
لا تقل روعة
عن جميع أساطير الأقدمين !
ولكنْ لم يكن دون جدوى ذلك التاريخ
واصطدام الجيوش
وضجيج المعارك المنصرمة ٠
فلقد صرنا نحن ٠
وهاهي ذي العصور جميعا تمد الينا الآن
على أطباق دموية يتصاعد منها الدخان
إمكانية الانسان : على التغلب ٠

إنّ حزمة الرماح في صدورنا
تفتح درب الحرية •

- ٢٤ -

والنزاع يتحول الى رقص •
وبسماجةٍ تتساقط الرؤوسُ الفارغة ،
التي امتلأت بدم البشر •
والذين يتحركــون بصعوبــة يخرجون متدحرجين
من مسرح العالم •
قسماتهم لم تعد مطلوبة •
أنظمة المعارك القديمة
تبعث الملل •

في فكر الانسان المنتعش •
باقات ورود غير منتظرة
تنبثق من دخان معارك التاريخ •
ولسوف يخيب أمل من لم يزل ينتظر
أن يرى عبر الدخان
الحركات المتشنجة للأجساد الممزقة •
ان نظام خطوات التاريخ
يسري بالضرورة في أعضائنا ،
وليس من معلم رقص
يتمكن من ايقاف خطواتنا
التي تسير عبره
كالأرض
السائرة عبر موقفها القديم •

★ ★ ★

يـان نيرودا

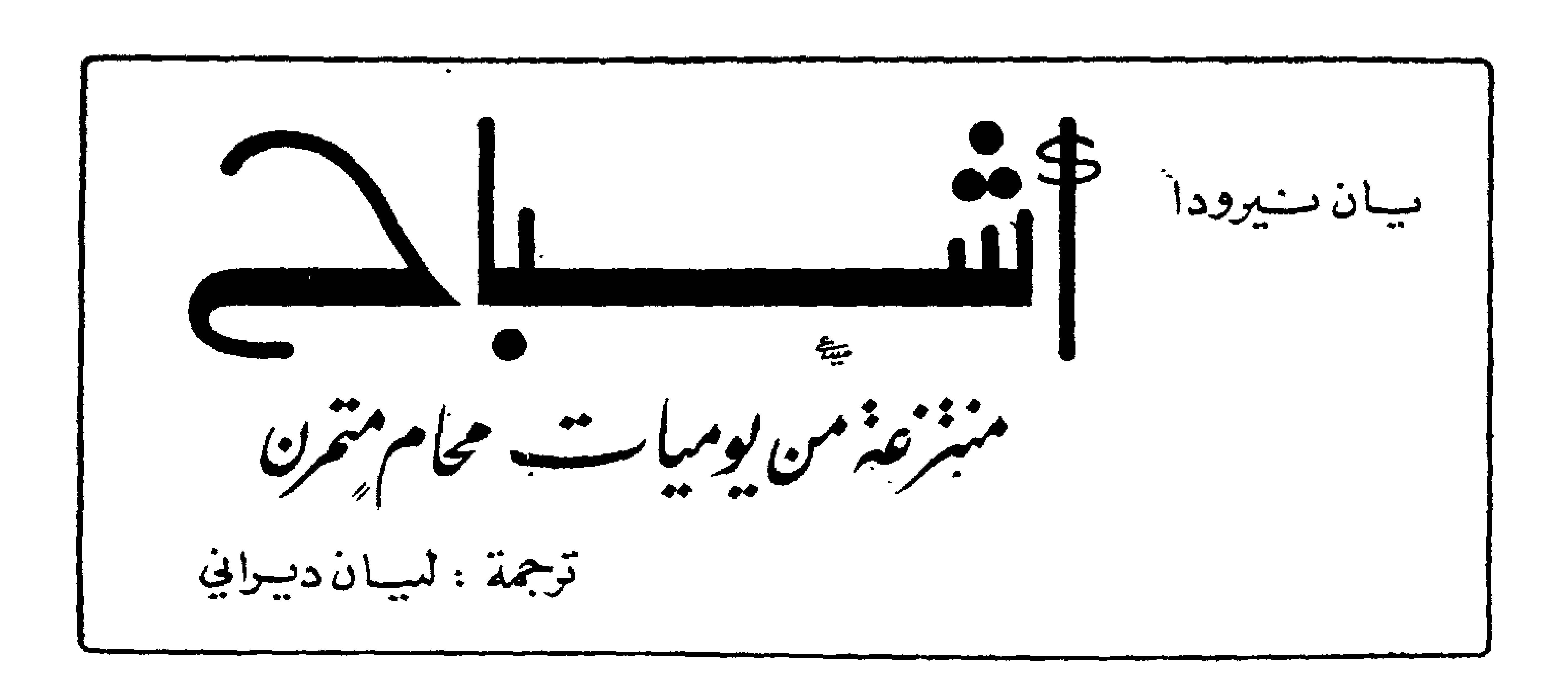
(١٨٣٤ ـ ١٨٩١)

مؤلف (قصص مالا سترانا) ولد في براغ في شارع (مالا سترانا) الفريد في طابعه وجماله • قضى طفولة قاسية ، وكان والداه فقيرين • فأبوه كان خماراً وأمه كانت تعمل في خدمة البيوت •

ترك سكان (مالا سترانا) آثاراً عميقة في ذاكرته • ما لبثت أن انبثقت بقوة والحاح فيما بعد ، فدونها في كتابه (قصص مالا سترانا) وهو كتاب كلاسيكي في الأدب التشيكي ، يصور بدقة وأمانة وحيوية ، الجو الذي كان يسود هذا الحي القديم في العاصمة التشيكية •

بعد أن أتم نيرودا دراسته واشتغل مستخدماً ثم معلماً ، انتقل الى الصحافة فأصبح من ألمع الصحافيين الذين عرفتهم الأمة التشيكية • بيد أن ضالته المنشودة وجدها في الشعر ، فانصرف اليه بكل ما في نفسه من قوة • وكانت مجموعاته الست في الشعر الغنائي ، تتحدث عن خيبته في الحب ، كما تعبر عن محبته لبلاده وايمانه بمستقبل الانسانية المشرق • يعتبر نيرودا من مؤسسي الشعر التشيكي الحديث ، رغم أن النقاد في عصره ، لم يخصوا شعره بالعناية الجديرة به • كتب نيرودا تمثيليات منها الهزلية في فصل واحد وكرس كتبه النثرية القصيرة للتحدث عن براغ القديمة وسكانها • ولم يتزوج قضى السنين الأخيرة من حياته في المرض والاهمال •

ان (قصص مالا سترانا) التي ترجمت الى لغات أجنبية كثيرة ، لقيت رواجاً كبيراً ، ولاسيما الطبعة الانكليزية فاعتبر النقاد الانكليز نيرودا من كبار الكتاب الواقعيين في الأدب العالمي الى جانب ديكنز وبلزاك وغوغول •



أمس ، بلغت الثلاثين من العمر • شعرت أني غدوت رجلاً آخر ، منذ أمس ، فقط ، غدوت بكل ما فيَّ رجلا ، دمائي تدور دورانا منتظما ، جميع أعصابي غدت من فولاذ ، كل أفكاري طبعت بطابع الجد والرزانة ، انه لعجيب حقاً ، أن يتمكن رجل من النضج هكذا في ليلة واحدة ، بل ماذا أقول ، في لحظة واحدة ، فيمده شعوره ببلوغ الثلاثين ، بمثل هذه القوة ! هكذا اعتورني السرور، لأني أحسست أن في مقدوري ، الاقدام على عمل ، وانجازه بنجاح • غدوت أتأمل كل شيء بصفاء تام ، أجل ، سأشرع الآن ، وأنا منشرح الصدر ، بكتابة مذكراتي ، كي أصور نفسي ، كما أنا • اني متيقن ، اني بعد بضع سنوات ، سأطالع باعتزاز هذه الصفحات من مذكراتي • وان كل من يتاح له أن يطالعها ، بعد موتي ، سيهتف معجباً : انه لرجل حقاً !

غدوت اذن ، على حين غرة ، انساناً آخر ، حتى أن أمسي الأول ، أخذ يبدو لناظري ، جزءاً من ماض ضبابي ، سحيق • أجل ، لم يعد في وسعي أن أفهم ماضي • كنت أكتب حقاً ، كل يوم مذكراتي • أما الآن ، اذا ماعدت الى الافكار التي كنت دونتها فيها ، فانها تستعصي على فهمي وأقف دونها حائراً • فاهز رأسي قائلا : لم كتبت هذا ؟ ـ (« ما جدوى المثل العليا ؟ ما جدوى تبني مثل أعلى ؟ » ـ « شمس باردة ، محيطات من جليد ! » ـ« ما أكثر ما أراني كئيباً ، ولكن كآبتي لا تبلغ حدود الموت ، بل الانتحار • » ـ سحابة مصاب جسيم يهدد ، أو الشعور بأن العالم يندفع الى الهاوية • » ـ « قد أكون مخطئاً • » ـ « قبل أن أنجز المهمة التي تفرضها علي الحياة وبعدها ؛ لا يخامرني أي احساس بالبهجة ، بل يراودني سؤال مؤلم لا غير • ») سخافات جسيمة ! احساس مريض • لقد تولد هـذا كله من أني لم أكن أؤمن بأي هدف محدد ، واضح

المعالم ، ولا أتمتع بارادة حازمة واني كنت انساق في مجرى الحيـــاة ، باسخف مظاهرها واتفه قوالبها • فما أسمى الذروة التي أراني أرتقيها فجاة !

أولاً : علي أن أقدم فحصاً لأصبح محامياً ، ولسوف أقدمه سريعاً • ثانياً : سأنصرف الآن ، كل الانصراف الى دروسي • فلن تطأ قدماي مكتب المحاماة بعد الآن ، قبل أن أفرغ من هـــذا الامتحان ، ان أستاذي لن يقدم على شطب اسـمي من لائحة العاملين عنده ، لأنه ، ان فعل ، اضاع علي قسماً من السنوات السبع المكتسبة في التمرن • ثالثاً : ساظل محبوساً في بيتي حبساً مشدداً ، فلا أدخل المقهى ، حتى ولا في المساء ، اذ انني أخجل من نفسي لما أضعته حتى الآن ، من مال، في هذه الجلسات اليومية ، التافهة ، في لعب الورق • لن أقصد الى (بريكوبي) يوم الاحـد ، ولا الى المسرح أيضا ، لن أذهب الى أي مكان ، والآنسة فرانسواز ، لن تصدق عينيها ! قالت وهي في بيت (لوكوتا) ان هيئتي ، لا تنم الا عن الشرود والطيش ، فانتظري اذن !

يا لها من فكرة رائعة ! لا بد من التضحية لتحقيق هذه الفكرة ! أجل ، سانتقل الى (مالا سترانا) • في حي (مالا سترانا) الوادع الشعري ، بين جيران هادئين ، لطفاء ، في جهة ما ، في قلب شارع منعزل • نعم ، الجو الشعري ضرورة قصوى لاشباع النشوة التي تتملكني اليوم ، يا للنعيم ! مسكن وادع ، شقة بَرود ، تطل على هضاب (بيتران) الحالمة ، وتشرف على حديقة صغيرة خاصة ، لا بد لي من بيت ، له حديقة ، حيث يتوفر العمل والسكينة • بدأت أشعر الآن أن تنفسي ، تحسن •

فالى الأمام !

في بيتران عنادل ، ان لم أخطىء الظن !

حالفني الحظ • شقة في شارع (أوجيزد) الآمن ، هي أفضل ما يمكن أن أشتهي • هنالك ساقبع مثل ولد في مخبئه السري ، لن يعرف أحد من أمري شيئاً ، لا ، لن يعرف أحد ! ان هذا البيت بطابقيه الاثنين ، أعجبني مظهره سلفا • الا اني ، لن أكون مستاجراً مباشراً ، بل مستاجراً غير مباشر ، هذا لا يهمني ! مؤجرتي المقبلة ، هي زوجة مراقب في الخطوط الحديدية • لم أحظ بعد ، برؤية السيد المراقب هو يقوم بعمله في مكان ما ، وهو في سفر دائم • انه يسكن في الطابق الاول ، في شقة كبيرة ، فيها غرفة واسعة ، تطل عـلى الشارع ، وفيها مطبخ وغرفتان صغيرتان استاجرتهما ، في جناح خلفي ، منعزل قليلا ، فيهما ثلاث نوافذ تشرف على الباحة الوعرة ، ونافذة أخرى ، هي نافذة الغرفة الصغيرة الخلفية ، تشرف على الحديقة وعلى (بيتران) ، انهـا حديقة صغيرة جميلة ، قالت لي زوجة المراقب في الخطوط الحديدية ، ان جميع المستاجرين يتمتعون بحق التنزه فيها • أما أنا فلن اذهب اليها ، بل سانصرف الى عملي • الحديقة رائعة جداً • فالبيت يقع في اسفل (بيتران) والباحة تقع على سفحه والحديقة على مستوى الطابق الاول ، بحيث تصبح نافذتي ، وكانها في الطابق الارضي • فاذا ما وقفت أمام هذه النافذة ، سمعت تغريد العنادل في

(بيتران) • يالها من لذة ! وأنا الذي كنت أتساءل ان كان في (بيتران) عنادل ! أجل ، ان فيهــا عنادل !

المؤجرة صبية ، امرأة ضئيلة ، في وسـع المرء أن يعطيها من العمر اثنين وعشرين عاماً • جميلة ، ذات جمال سليم • حقاً ، ان وجهها لا يتسم بطابع الانسجام المعهود ، فذقنها عريضـة بعض الشيء ، الا ان خديها تشبهان المخمل الوردي ، وعينيها البارزتين زرقاوان كأزهار الترنجان• تحمل على ذراعيها ابنة في شهرها السابع ، اسمها كاتيا ، اذ ليس عسيراً على المرء ، وهو بين هؤلاء الناس ، أن يعرف حياتهم فورا • ان كاتيا تثير في النفس الضحك • جمجمتها ، أشـبه بكرة ، وعيناها في أعلى رأسها ، جاحظتان ، مثل أمها ، وهيئتها تنم عن بلادة شديدة • ولكن ، لا يكاد المرء ينظراليها بلطف ، حتى تشرع هذه الكتلة الصغيرة بالضحك ، ولا يلبث هذا النظر المحدود ، أن يمتلىء فجاة بشرر ، ولا يلبث المرء أن يقرأ في هذه النظرات السماوية ، في هاتين العينين ، تعبيراً محبباً ، حتى أن ••• (يجب علي أن أتمم هذه العبارة فيما بعد ، أما الآن فلا أعثر على التعبير الدقيق) • داعبت خد كاتيا قائلا : ـ انها لفتاة جميلة ! من المستحسن دائماً كي تحظى بعطف الامهات ، أن تطري مفاتن أولادهن • عاقلة لا تبكي تقريباً أبداً ، قالت لي الأم ببشاشة • ولقد سرني أن أعرف ذلك ، بسبب انصرافي الى الدراسة •

حين قلت ، اني دكتور في الحقوق ، بـدا التأثر واضحاً على وجـه زوجة المراقب في الخطوط الحديدية • وحين قلت اني أدعى كروملوفسكي ، هتفت : ـ أوه ، ما أجمل هذا الاسم ! هؤلاء الناس يفصحون عما يجول في خاطرهم على الفور ، وبعفوية بالغة ! لقد تم الاتفاق بيننا على الأجرة والتنظيف والفطور ، بحيث تتعهد مؤجرتي بغسل ثيابي وتنظيف مسكني ، وتقدم لي طعام الصباح• ان هناك في الاسفل ، عند مدخل البناية ، حانة نظيفة ، كما استطعت أن ألاحظ ، يؤتى لي منها بغدائي وعشائي • ـ حين يكون زوجي في البيت ، نتناول ، نحن أيضا ، وجباتنا في هذه الحانة ، ان مطبخها بورجوازي • جميل ، وأنا أيضا ، أحب المطبخ البورجوازي ، اني لا أميل أبداً ، الى الطعام المخلوط بالتوابل ، الذي يقدم في المطعم • في الأسفل الى اليسار عند المدخل تماما ، دكان لبائع أحذية ، وفوقي ، في الطابق الثاني ، يسكن خياط ، فماذا أبتغي أكثر من هذا ؟

فيما أنا أتفق مع مؤجرتي ، اذا برجل في الاربعين من عمره ، (غليونه) بين أسنانه ، يدخل المطبخ من الباب المفتوح ، هو أحد الجيران ، اذ أن ثيابه تدل على أنه في بيته • كان يدخن وهو مستند على مصراع الباب •

ـ أقدم لك الدكتور كروملوفسكي • قالت له زوجة المراقب في الخطوط الحديدية وهي تشدد على كلمة الدكتور •

سحب الرجل من غليونه نفساً ، وقال : ـ تشرفنا ! بهذا الجار الكريم ، يادكتور ! ومد يداً سمينة ، رخوة • فصافحته • هذا انسان يجيد معاملة جيرانه • انهم هنا ، على كل حال ، أناس

ضيبون ! هو رجل ربعة ، دموي الوجه ، ذو عينين زرقاوين ، نديتين كأنهما مغمورتان بالدموع • ولكنهما ، للمرة الثانية أقول ، عينان صادقتان ! بيد أن هذا الصدق في النواظر المائية اللون ، قد يتاتى من شرب الكحول ، اني خبير بهذا النوع من الناس ! شفته العليا سميكة ، والمدمنون كافة ، لهم شفة عليا سميكة •

ـ ألا تعرف لعبة الستة ؟ قال لي •

كنت أود اعلامه أن علي أن أنصرف في هذه المرحلة الى دروسي ، وأنني لا ألعب بشيء في هذه الفترة ، ولكن ، لماذا أسيء بسرعة الى حسن الجوار ، فقلت له بابتسامة ودية :

ـ هل من تشيكي ، لا يعرف لعبة الستة !

ـ حسنا سيكون في مقدورنا أن نلعب بعض الاحيان ! نحن ، معشر الفنانين ، نجل رجال العلم• ان لديهم دائما ما يعلمونك اياه •

أي شيء أستطيع أن أعلمهم أنا ! ولكني شعرت ، ان علي ، بدوري ، ان أقول شيئا وديا• من عساه يكون هذا الرجل ؟ فنان ••• نظر مائع ، وجه دموي ، يدان سمينتان ••• أراهن أن في أنامله بثوراً ، لا أتمكن من رؤيتها • أجل ، ان في أنامله بثوراً ، دون ريب • هو يعزف على الكمان الكبيرة ••• أنا خبير بهؤلاء الناس ! قلت له :

ـ أنتم معشر الموسيقيين ، ليس لديكم حقا ، متسع من الوقت •

ـ أما سمعت ، ياسيدتي ؟ كان الرجل يقهقه ، كان لحدة ضحكه ، ترتفع كتفه من الاسفل الى الاعلى ، وتهتز على مصراع الباب ، فكأنه كركدن يحتك بلوح خشبي •

ـ أنا موسيقي ! عجيب ••• قال هذا ، وهو يشير باصبعه من فوق كتفه ، الى باب يقع في وسط المجاز ، وتبدل ضحكه بسعال خشن ، صاخب •

ـ السيد أوغستا ، رسام •

في هذه الاثناء ، أقبل من آخر المجاز ولد ، يركض ، في حوالي الثامنة من العمر ، وقد اجتذبه دون ريب ، هذا الضحك وهذا السعال • فاخذ يفحصني وهو مستند الى الرسام •

أهو ابنك ، ياسيد أوغستا ؟ قلت وقد أحْسَسْتُ بعض الضيق •

ـ هذا صغيري جوزيف ، نحن نسكن هناك ، عند الباحة ، في الجناح الايمن ، كما تسكن أنت، هنا ، في الجناح الأيسر ، وفي وسعنا ، أن نرى كل ما يجري عندك • نوافذنا متقابلة •

ـ من هو هذا السيد ؟ قال جوزيف الصغير ، وهو يومىء الي باصبعه • انني احب لغة الأولاد البسيطة ، العفوية •

ـ هذا هو الدكتور كروملوفسكي ، يا قليل الأدب !

ـ وهو عازم على السكن هنا ؟
ـ اسمع ، ياجوزيف ، اتريد (كرويتزر) ؟ قلت وأنا أملس خصل شعر الولد الشقراء •
فمد الولد يده دون أن ينبس بكلمة •
أعتقد أني تركت انطباعاً حميداً في نفس الجميع •

★ ★ ★

انه ليوم مرهق ! نقل الأمتعة ، ترتيبها ، تغيير مكان كل شيء ، شعرت من جراء ذلك بدوار قلما بدلت مسكني ، أنا لا أحب تبديل المسكن ، ولكن يبدو أن ثمة أناساً مغرمين بذلك ، لعله مرض ، ان هؤلاء أناس ، ذوو طباع ، لا تستقر على حال • بيد أني لا أستطيع نكران مافي تبديل المسكن من نكهة شعرية ، فالمسكن الذي سنغادره حين يبدأ يتعرى ليصبح مقفراً ، لست أدري ، أي حنين يتملكنا فجاة ، فنشعر أننا على أهبة مغادرة ماوى أمين ، لنركب أمواجاً ، قد تطيح بنا • أما مسكننا الجديد ، فهو ينظر الينا نظرات غريب ، ليس لديه ما يسر به الينا ، انه بارد • اني أشعر شعور ولد صغير ، ياتي مكاناً ، لم يالفه ، فيتشبث بأذيال أمه ، صائحة :
ـ أنا خائف ! ولكنني غداً صباحاً ، سأنهض ، وساردد دون ريب : ـ ما أهنا النوم هنا ! ولكن ، كم الساعة ؟ العاشرة والنصف • البيت كله غارق في صمت تام ، مثل قرارة بئر • صورة رائعة : (صامت مثل قرارة بئر) ، إنها لصورة أروع من القول : « صامت مثل كنيسة » وانها لصورة قليلة الشيوع على كل حال •

مؤجرتي أضحكتني كثيراً • كل شيء يدهشها ، فلا مناص لها من أن تلمس وتفحص كل شيء ؛ هذا الفضول الساذج ، ليس فيه ما يجرح الشعور ، انها تساعدني بهمة ونشاط ، وقد مدت، في التو ، فراشي وهيئت سريري ، وكان أن أعجبت أشد الاعجاب بالغطاء الكبير المصنوع من جلد الغزال والمخدة المشدودة من جلد الغزال أيضا • فحين وضعت في مكانها ، لم تستطع أن تتمالك ، عن أن تستلقي على السرير ، لترى كيف يكون الاستلقاء عليه ، كما كانت تقول ؛ كانت وهي متمددة على السرير ، تضحك فرحة مثل سنجاب ؛ لو كان في مقدور السنجاب أن يضحك حقاً • ثم وضعت كاتيا الصغيرة على السرير وعاودت ضحكها • ان لها ضحكة خاصة بها ، ضحكة شبيهة برنين جرس صغير • وما ان بسطت على الأرض ، قرب السرير ، جلد الثعلب الوبري ، المحاطبقماش أحمر ، حتى عاودتها نوبة جديدة من البهجة ، اذ فكرت أن كاتيا الصغيرة قد تخاف من رأس هذا الثعلب ، ذي العينين الزجاجتين • ـ سأخوفها به حين لا تلزم الهدوء ! شيء تافه كفيل بان يسعد هؤلاء الناس بسرعة •

بيد أن الغضب سرعان ما استولى علي بعد ذلك • فحين وصلت مع النقلة الثانية ، أبصرت في الغرفة الثانية ، من الباب المفتوح ، جوزيف الصغير ، جاثياً على ركبتيه أمام اناء السمك ،

ممسكاً في راحة كفه سمكة حمراء ، كان قد التقطها · فقفزت · ياالهي ! الا أنني ما لبثت سمعت ورائي صوتاً نسائياً ، ماكنت أعرفه ، ماكدت ألتفت ، حتى كانت امرأة تسرع في مبارحة الغرفة راكضة · كانت مؤجرتي ، قرب السرير تضحك ، حتى تكاد تقع · ـ انها زوجة الرسام ، حملت نفسها عناء المجيء ، لترى كيف يكون النوم في هذا السرير · وابنة صاحب البناية ، اقبلت هي الاخرى ، لتتمتع بلذة النوم فيه · أعتقد أن مؤجرتي ، لابد لها من استدعاء سكان البناية كافة ، ليجربوا النوم في فراشي ، واني لأتساءل ، على أي شيء ينام هؤلاء القوم ، الا أن جوزيف ينبغي له ألا يلج غرفتي دون مراقبة ، اذ من الممكن أن يقلب وعاء السمك ، يوماً ما · وهو فضلا عن ذلك، ولد صغير ،جميل ، يشبه شعره خيوط الكتان ، وعيناه كالخوختين ، لم يرثهما عن أبيه بلعن أمه·

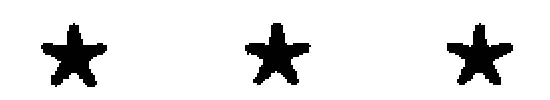
أصيخ دائماً بسمعي لأعرف ان كان ثمة عندليب يغرد ، فلا أسمع شيئاً ، لا شك ان الطقس ما زال بارداً ، ربيع ممتع ، الربيع هنا ، حل منذ ستة أسابيع ، وما فتىء الناس يخرجون وهم يرتدون معاطف الشتاء ! فكلما تقدمنا نحو الصيف ، كلما كانالبرد أشد ، من يدري ، قد يكون من اللازم ، لبس الفراء في الصيف ، شيء غريب ، فكرة رائعة : (لبس الفراء في الصيف) ·

ولكن برداً خفيفاً ، ما كان ليؤذي العنادل قط ! أرهفت سمعي دون طائل ، فالعنادليب لايشدو! خطوات ؟ خطوات انسان ثقيلة ، تقترب في المجاز · هنالك باب يصر ، انه باب المطبخ ، صوت امرأة وصوت رجل ، لا ريب انه المراقب ، عائداً من السفر · ساطفىء النور سريعاً ، وأخلد الى النوم · فقد تاتي به الى هنا ، ليجرب النوم على الفراش · وان مراقباً في الخطوط الحديدية ، عائداً من السفر ، سيكون دون ريب متسخا ·

★ ★ ★

الحقوق المدنيـة · الانظمة المتعلقة بالمعاملات التجاريـة · الحقوق التجارية · المرافعات القضائية · المواد الموجزة · العبث بحق التملك · الانظمة المطبقة في الخصومات المتعلقة بعقود الايجار · التشريع المنجمي · التشريع في المياه · الحقوق الجزائية · التنظيم في المادة الجزائية المرافعة المتبعة في المواد المبرمة · التشريع في المشاع · الانظمة المتبعة في منصب كتاب العدل · التنظيم المطبق في المهن الحرفيـة · التنظيم في الرهائن · المرافعة في المعاملات التجاريـة · قانون الجمعيات · قانون الصيد · التشريع المطبق في مادة تحديد أجور الدعاوى ·

هذه هي أسماء الكتب ! كل صباح ، سالقي نظرة على هذه القائمة ، كي أرى أين صرت في الدراسة ، فلا أتباطا · بيد أني لن أتباطا ، فانا الآن شخص آخر · مع هذا ، كلما عنت علـى بالي خاطرة مفيدة ، لن اتوانى عن تدوينها ، لأقرأها كل يوم ، كل يوم ! فالمرء يسهو علىالرغممنه·



كان طعام الصباح حسناً : قهوة دون هندباء ، كعك طازج • كانت مؤجرتي في ثياب الصباح : في صدرة بيضاء • انها لمشرقة ، نظرة واحدة اليها ، تكفي للحكم على أن هذا البيت يرتعبالسعادة يالها قهوة لذيذة ! يالها قهوة رائعة ! قلت هذا لأكتسب عطفها • ـ هذا مدعاة سروري ،يادكتور، بل ماأرجو ، أن تكون مسروراً • هل من شيء آخر ؟ في هذه البرهة ، فكرت بالمراقب ، بزوجها•ـ أعاد زوجك ؟ أود لو أتعرف اليه ، بأسرع مايستطاع • ـ مضى الى المحطة ليقدم تقريره وسيعود وقت الغداء • عادت تضحك ، انها تقضي وقتها بالضحك • ثم أردفت : ـ بامكاني الآن أن أرتب سريرك وأقضي بعض الحاجات ، فقد أنهيت حمام كاتيا ونامت ، ولئن كان هذا يسبب لك ازعاجاً ، يادكتور ، ففي وسعك الانتقال الى الغرفة الاخرى ، ريثما أنتهي •

انتقلت الى الغرفة الثانية ، وتطلعت من النافذة التي تطل علـى الباحة • ان في الطابقين المقابلين ، أزهاراً في النوافذ • هي أزهار رخيصة من التي تستعمل في الشرفات ، كالريحان العطري والعصيفرة وابنة الراعي ونبات الورد ونبات المسك واكليل الجبل طبعاً • ان اكليل الجبل زهرة الاعراس وزهرة المآتم • رائحته رمز الحب • وخضرته الأبدية رمز الاخلاص • يقال ان اكليل الجبل يقوي الذاكرة ، فينبغي لي أن أبتاع منه أحواضاً كثيرة • اكليل الجبل هو الذي يلقى بـه على مجاري المياه •

على مياه الســاقيه
ورود حب طافية
جان يراهــا قربـه
بســرور آتيـــه

آه ، كلا ، ما زال أمامي متسع من الوقت كي أتزوج !

الحديقة في منتهى الترتيب • في جنباتها عرائش كثـيرة ، لعل لكل أسرة تسكن في البناية ، عريشة خاصاً بها • واني أراهن أن نبات الخبازى ، لا يتسلقعلى طولهذه العرائش الا ليجد جوزيف الصغير ما يلهو به •

قالت لي مؤجرتي ضاحكة ، وهي تقف عند الباب :

ـ انتهى التنظيف ، انتهى ، يادكتور • كانت قد فتحت نافذة الغرفة الاولى على مصراعيها • يتعين علي أن أعيد اغلاقها ، بيد أني آثرت الانتظار حتى تنصرف •

ـ ألا تريد شيئاً ؟ انها نموذج صرف للاخلاص • يجب علي ، على الاقل ، أن أكون لطيفاً ، فأبادلها بعض الحديث • من مسكن الرسام كان يصل الى مسمعي عياط ولد صغير وصيحات صوت نسائي ، عالي النبرة •

ـ هل من رضيع هناك ؟

ـ نعم ، ابنة في السنة الاولى من عمرها ، تجار طول النهار ، (لن أفتح النوافذ المطلة على الباحة الا نادراً) • وزوجة الرسام لا تكف كذلك ، كل الوقت عن الصراخ • مفصلات مخبزها حسنة التشحيم • (يتوجب علي اذن ، أن لا أفتح أبداً النوافذ المطلة على الباحة ، أما النافذة المطلة على الحديقة ، ففي امكاني تركها طول النهار ، مفتوحة على مصراعيها •)

لاحظت أن مؤجرتي لا تتكلم كلام سيدة راقية ، لا باس ، هي امرأة بسيطة • ولكن ، يبدو ان في (مالا سترانا) ، عبارات خاصة ، لا بد لي من تسجيلها كقولهم ، مثلا ، (مفصلات المخبز) •

قالت لي مؤجرتي وقد رأتني أكتب : ـ آمل أن لا أكون قد أزعجتك ، يادكتور ، آمل أن لا يكون لديك شاغل ؟ فقلت : ـ أبداً ، فقط هكـذا • ومن يسكن الشقة التي فوق الرســام ؟ ـ شخص غريب الاطوار ، شاب عازب ، يدعى (بروفازنيك) ، لا أدري ما كان عمله ، فيما مضى • يصرف أيامه ، دون عمل ، يقضي وقته مسمراً في نافذته ، لا يبارحها شان بوم عجوز ، ينظر الى جيرانه بعينيه السامتين ، ليرى ما يفعلون • وهو كمن يملس ظهر هرة ! قالت هــذا وضحكت • فسجلت (يملس ظهر هرة) • ـ من جهة الشارع ، ان الشقة القائمة في الطابق الاول ، انما هي شقة المالك وابنته : السيد والسيدة (فيجروستيك) وفي الطابق الثاني ، تسكن أسرة مكونة من موظفين • من المؤكد انه لم ينقض بعد على زواجهما وقت طويل ، لأن العلاقات بينهما ، ما زالت وطيدة • أنا أثرثر هنا ، ومن يدري ، ان لم تكن ابنتي الصغيرة ، كاتيا ، قد استيقظت • وانفجرت قهقهتها العالية ، فاذا بها قد انتقلت الى جهة الباب الثانية •

أنا الآن مطلع على كل شيء • لنغلق الباب بسرعة ولنشرع في العمل •
الساعة التاسعة ، اليوم الثلاثاء ، انه ليوم ميمون للبدء بالدراسة !
سابدأ بالحقوق المدنية ، شان غيري • أعتقد أن الامور ستجري على ما يرام •••

عاد الصوت نفسه يدوي ، ببهجة ، من جهة الباب الثانية : ـ فاتني أن أسالك ، ان كنت قد قضيت ليلتك الأولى ، هنا ، في نــوم مريح ، يادكتور ؟ انظر الى صغيرتي كاتيــا • انه السيد الدكتور ، قدمي احترامك الى السيد الدكتور • (ودفعتها الى تقديـم الاحترام •) هكـذا ! (وراحت تدفعها نحوي •) لا شك أنك نمت نوماً مريحاً ، كما أقدر أن أتخيل ، على فراش كهذا ؟ (ها هي قد أصبحت قرب السرير •) انظري ، ياصغيرتي كاتيا ، هنا ينامون : دودو ! (وها هي تضعها على السرير •) انك تفعلين كالسيدات العظيمات ، هيه ، أيتها الخرقاء الصغيرة؟ هذا ما يستحق أن يسمى سريراً ! (واذا بها تستلقي نصف استلقاءة الى جانب الصغيرة كاتيا •)

انها امرأة جميلة فتيــة ، وانه لمشهد طريف ، ولكن •••! لبثت أديـم النظر بعناد ، الى الحقوق المدنية •

ـ كاتيا ، تعالي ، السيد الدكتور مشغول ، فيجب أن لا نزعجه • هاهي قد خرجت بضحكتها• أن يكون المرء على مثل هذه السذاجة ، أمر لا يصدق !

فلنتابع الآن ! يتحتم البدء بقراءة كل مادة في تفكير عميق ! سنرجىء الكلمة الافتتاحية • المقدمة • في قانون ••

هرة ! هرة بيضاء ! تقف أمام الباب وتموء • لأول مرة أراها ، أهي هرة مؤجرتي ؟ ماالعمل لاخراج الهرة ؟ آه ، نعم ، بس س ••• بيد أني اذا قلت بس‌س ••• فلربما راحت تموء بصوت أعلى ، هذه الهرة ! أنا لا أحب الهررة ، فهي خبيثة وماكرة وهي تقبض على الفار • هي تخدش وتعض ! وهي تنط على حلوق الناس وهم نيام وتخنقهم • فكرة صائبة : في كل مساء وأنا ماض الى النوم ، سأقول بس س ••••! ويقال أيضاً ، أن بين الهررة هررة وحشية ، هذا ما كان ينقصني يجب أن أسأل مؤجرتي بحذر وانتباه ، فقد تكون هذه الهرةأثيرة لديها ، ان لم تكن هي قد لاحظت ، لوجود بعض الدلائل ، انها على جانب من الوحشية •

ها هي تعود الى المواء • فتحت لها الباب قليلا ، فلاذت بالفرار • أقبلت المؤجرة تسألني ، ان لم أكن بحاجة الى شيء • ـ كلا ، لست بحاجة الى شيء • بيد أني فرجت الباب • وذلك بسبب هذه الهرة • ـ آه ، حسناً !

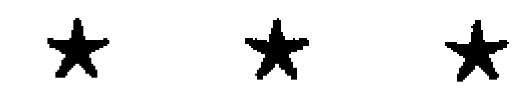
المقدمة •••

قرع الباب • انه الرسام • هو لا يريد ازعاجي ، ولكنه منذ برهة ، حين كانت نوافذي مفتوحة ، أبصر لوحات معلقة على الجدار فعجز عن تمالك نفسه • لدي لوحتان فنيتان ، ملونتان ، من صنع (نافراتيل) ، احداهما ، تمثل البحر في هيجانه ، مطبوعة بطابع الكآبة ، والأخرى تمثل البحر عند سطوع الشمس ، مفعمة بالبهجة • وقف الرسام طويلا ، أمام هاتين اللوحتين • انـه يرتدي ثيابه الخارجية وفوقها معطف أسود ، عريض الاكمام ، ويعتمر بقبعة ، على شكل قالب سكر وبيده عكاز • لو نبتت على هذه القبعة نبتة عارشة ، لجاءت بقبر قوزاقي • هذا ، لابد أن يكون من صنع (نافراتيل) • انه ما رأى في حياته لوحات كهذه من رسم نافراتيل ، ومتى سنقيم جلسة لنلعب لعبة الستة ؟ ـ نعم ، نعم ، في أحد هذه الايام ، في أحد هذه الأيام • قد يكون‌من‌الممكن، أن نلعب ثلاثة فقط مع مالك البيت ، وإن دعوت أنا أحد الاصدقاء ، فسيتاح لنا أن نلعب أربعة • بيد أن هناك ما يريد أن يقوله لي • ان زوجته تشعر بشيء من الضيق أمامي ، فقد فاجأتها البارحة، ممددة على سريري • ولكن السيدة (فيلهيلموفا) ، هي التي دعتها وشجعتها • فابتسمت بأدب :

ـ نعم ، أود أن أطمئن زوجتك العزيزة ، ان الأمر ، ليس خطيراً الى هذا الحد • ـ يا لهؤلاء النسوة ! تصافحنا فانصرف • كانت مؤجرتي واقفة في اطار الباب • الآن ، بلغت الساعة العاشرة ، ألا أحب أن يؤتى لي من تحت بطعام الصباح ، على الطبق ؟

ـ شكراً ، أنا لا أتناول فطوري أبداً على الطبق •

المقدمة • حول القوانين المدنية بصورة عامة ، تعريف الحقوق •



كنت أرتع بشعور غامر مريح ، كنت مستغرقا في مواد القانون استغراقا جعلني أشعر معه بأسف عميق لوصول الغذاء • هو حسن ولكنه ، ليس فاخراً • (عـلى كل حال ، ليس من المفيد للصحة ، أن يشبع المرء حين يقضي وقته كله قاعداً •) ـ أترغب في قهوة سوداء ؟ ـ كـلا ، ياسيدتي ، ما أنا بحاجة الى شيء ، الى أي شيء ، حتى تعين الساعة الثامنة من هذا المساء • ـ ولا الى سيجار ؟ ـ أنا لا أدخن ـ حين أكون في غرفتي •

★ ★ ★

عظيم ! شان التيار وهو يجرف قارباً بسرعة محمومة ، فتتوالى الاشياء ، أمام ناظريك عـلى الشاطىء • مادة اثر مادة ، شان حبات السبحة حين تتوالى • ما كان يخطر لي أبداً ، أني أعرف كل هذهالأشياء ، وان الأمر سيجري بمثل هذه السهولة • كنت لشدة استغراقي في عملي ، لا أرى ولا أسمع شيئاً • أعتقد أن مؤجرتي دخلت غرفتي حوالي ست أو عشر مرات • وأعتقد أنها حاولت مرتين ، ان تخوف كاتيا الصغيرة بتكليمها عن عنزة صغيرة • ولو كانت قد وجهت الي كلامها ، لما أجبتها ، دون ريب • فهي ترى ، على الأقل أن عليها أن لا تزعجني •

غمرني شعور اطمئنان شديد • ١٣٥ مادة ! آن أوان العشاء الآن ولسوف أتابع • وليقولوا لي ، بعد هذا ، ان العمل ليس مسرة ! ان جسدي كله ، يرتعش مسرة •

الشواء كان قاسياً بعض الشيء ••• يالها من رعونة ! نسيت المراقب في الخطوط الحديدية تماماً • ـ كاس آخر من الجعة ، يا سيدتي الصغيرة • أفي مقدوري أن اتحدث الى زوجكالآن ؟ فلابد من بعض التعارف ! ـ مضى الى المحطة ، لان قطاره ، يصل في الساعة التاسعة • هاانــذا ، من جديد ، أرملة • وضحكت • ربما لن يتاح لي التعرف الى المراقب •

★ ★ ★

الساعة العاشرة والنصف • اني مرهق ؛ قوتي لم تفتر ولكن أعصابي تخونني • ان فيالقوانين المدنية ١٥٠٢ من المواد وسافرغ منها في ثمانية أيام • مهلاً ، فلسوف أسري عن نفسي قليلا ! شرعت اقوم باحصاء جميع مواد مجموعات القوانين الاخرى ، واكتفيت بتقسيم بسيط ، واذا بي ، في مدة شهر ، ساكون جاهزاً !

رعشتي لا تزال تتصاعد ، وعروقي تنبض ، فلن يتسنى لي النوم ، في التو ، دون شك ، الا انني ساتمدد طلباً للراحة • ساضع مصباحي ومذكراتي قرب راسي ، على المنضدة • وسافكر •

لقد خفت ، اذ تقدمت من فراشي ، ماذا أبصر على سريري : مثلثين صغيرين ، انها الهرة ! انها هنا متمددة ، وقد اكتفت برفع رأسها والنظر الي •

ما العمل الآن ؟ ليتني أعرف كيف يتصرف المرء ليخيف هرة ؛ كلا ، لا ابتغي تخويفها ، ولكن، بم يجب أن أنتهر هرة كي تنصرف • ــ هيه ••• هوه ••• لا ••• هولا ! فتطلعت الي كان شيئا لم يكن • بانتا •• لون ، هذا ماينتهر به أرنب ؛ هيا ! ياصغيرة ، ياصغيرة ! أوست أوست ! لم تتنازل أن تنظر الي • بل أراحت رأسها على قائمتيها ونامت • ماذا أعمل الآن ؟

يبدو أن الحيوانات المفترسة ، تخاف النار • قربت مصباحي من الهرة ، ولكنها ، لم تبد حراكا ، بل اكتفت بالغمز بعينيها • يبدو انها تكدرت فاستاءت •

الحذاء ! رميتها به فاخطاتها ، بيد أنها نزلت عن السرير ، وهاهي قرب الباب • فتحته لها•• الحمد لله ! تعالى صوت خلف الباب ، يسالني ان كنت بحاجة الى شيء • كلا • مع ذلك ، فتحت الباب • ــ اني أعمل على اخراج الهرة ، هذا كل شيء ! لو كنت أميل الى مبادلتها الحديث قليلا " حين تكون وحيدة ، لا تجد الى الرقاد سبيلا" ، وتجد الوقت طويلا • فلم أجب • واذا بضحكة مكبوتة ، خلف الباب •

★ ★ ★

يا الله ، ما أعظم بهجتي ! تون تون تون سبيتيوسكفا ••• انه العندليب !

يا له من نغم بديع ! يا للحنجرة العجيبة ! يا للهزار الالهي الذي تغنى به ألوف الشعراء ! صوت الربيع ، صوت الحب ، صوت البهجة ! تيو تيو تيو تيو ، تيو تيو تيو ، تيكس •

كوتيو كوتيو كوتيو كوتيو •••

ما أشد طغيان البشر ! تراهم يمنعون عن مثل هذا الطائر الفتان ، نعمة الحرية ! ينبغي أن يحظى بكامل حريته ، كي يشدو لحنه بحرية •

سي سي سي سي سي ••

كفوررور تيو سكفا •••

كانه العسل !.المجد للقوانين التي سنت لحماية هؤلاء المغردين المجنحين •

سكفو سكفو سكفو ••• هذا ، ان هذا ما يخدش السمع قليلا ••• ولكن ما عدا هذا ، فانه السحر الحلال !

تساك تساك تساك ••• كفى والى النوم ! انه يحفر في دماغي كقضيب من الحديدالمحمى!

تساك تساك تساك تساك ••• تساك تساك تساك تساك تساك تساك تساك •• تساك تساك ••• انتصبت واقفا • هذا ما يدفع بي الى الجنون ••• ثارت أعصابي ! آه ، اذا اغلقت باب الغرفة الاخرى ، فلن أسمع أبدآ ••• تساك تساك تساك تساك •• بلا جدوى ، لم أستفد شيئا ! هذا العصفور اللعين ، لابد أن يكون في مكان ما ، في الباحة ••• تساك تساك تساك•••

لا بد لي من بندقية ، بندقية ! لو كان عندي بندقية ، لأطلقت النار من النافذة حتى ولو أدى ذلك الى اثارة الجيران جميعا ! الا يهب أحد لقتل هذه الحشرة الخبيثة !

تساك تساك تساك ••• أيها الرب الاله ! يايسوع بن مريم ! رأسي يكاد ينفجر ! كلا ، شيء لا يطاق • لو كنت أدري أين هي ، لما ترددت ، للبست ثيابي ••• تساك تساك تساك••• حسنا وجدتها ! أخذت من الخزانة معطفا عتيقة ، فانتزعت منه البطانة ، واخرجت قطنه وحشوت به أذني ، بقدر ما أستطيع • والآن ، انبحي ما شاء لك النباح !

تساك تساك ••• لا فائدة ! انتزعت القطن كله ! وشددت أذني ورأسي وماحوله بشال سميك • لـم أستفد شيئاً البتة ، ان هـذا الطائر القـذر ، ما زال يقذف بمساميره الى ما وراء أسوار الحصن !

لا ريب انها ستكون ليلة ليلاء !

لم أستيقظ حتى الساعة العاشرة ! رأسي كانه قد من خشب • لم أدر متى نمت ، أظن في الساعة الثالثة ، فبين الساعة الثانية والثالثة كنت أتقلب على الفراش ثائر الأعصاب ، والبلبل مازال ينبح • المدينة القديمة خالية من عنادل ، نابحة • أعتقد أني أصبت بزكام • ان بين عيني وخزاً وان في أنفي حكا• السماء سوداء والهواء بارد • ان ثمة فصولا من الصيف ، لا يختلف فيها تموز عن تشرين الثاني • فيهطل مطر جليدي وتتعرى الاشجار من أوراقها ويرتعد الناس برداً •

طردتني مؤجرتي الى الغرفة الثانية ، يبدو انها تنوي القيام بالتنظيف • ستعود ، دون شك ، مرة أخرى ، الى ترك النوافذ مفتوحة ، وسيزداد زكامي شدة •••! ساتوجه الى منزل الرسام ، ريثما تنتهي • فانا مدين بزيارة لزوجة الرسام كي تنفض عنها غبار الخجل مني ، يجب علي أن أكون لطيفا • وما دام الرسام قد جاء للسلام علي ، فلا مفر من رد زيارته ؛ اني أعرف العادات المتبعة •

ـ يوم مناسب لزيارة أسـرة أوغستا ، قالت مؤجرتي ، فالسيدة أوغستا (تزازي) اليوم • مؤجرتي تقول اشياء غريبة • فما معنى كلامها : تزازي اليوم ؟ فمن يزازي ، (أي يبـدل الجيم بالزاي •) يزازي دائمة ، وكل يوم ، أليس كذلك ؟

قرعت الباب وأصغت بسمعي • لا شيء • رحت أدير مقبض الباب بحرص ، فانفتح الباب • الاسرة كلها هنا ، مجتمعة في الغرفة الامامية • ـ أتسمحون ؟•• لم يلتفت الي أحد • الرسام جالس أمام مسند التصوير ، يشد على صدغيه ، وزوجته واقفة ، ورأسها منحن الى الامام ، قرب طاولة صغيرة ، منخفضة ، وبيدها خرقة • لم ينظر الي سوى جوزيف الصغير ، فمد لي لسانه واشاح

عني بوجهه ! وراح يجيل عينيه مراراً ، بين أبيه وأمه • لم يكن علي ، الا ان اتغاضى عن وقاحة جوزيف الصغير ؛ فيكف من تلقاء نفسه • اقبل علي كلب صغير أخذ يستروحني ؛ هو لا ينبح ، لأنه ، لا يزال صغيراً •

ـ أتسمحون !

ـ آه ، هذا جارنا ، أرجو المعذرة ، ظننت الخادمة ، ايه ، يا امرأة ، هـذا هو الدكتور ، الساكن قبالتنا ! لدينا اليوم حساء بالبطاطا ، وأنا بكل سرور أتناول الحساء بالبطاطا ، ثلاث مرات في اليوم ، ونحن ، الآن ، نتناقش ان كان يحسن بنا ، أن نمزج الحساء بشيء من الجريش • تفضل ، اجلس •

ينبغي لي أن أبدأ الحديث بداية مناسبة ، بل أحسن بداية ممكنة •

ـ ارجوكم ، ما أنا بغريب عنكم ، كما تعلمون • فاني أعرف السيد وأعرف الصغير أيضا ، وقد رأيت السيدة كذلك • سيدتي العزيزة ، أقدم اليك نفسي : الدكتور كروملوفسكي • واذا بهذه الشقراء القميئة ، النحيلة ، التافهة ، تنحني على نحو أهوج ، كأنها دمية خشبية ، ذات مفاصل تحييني فجاة ، وهي تنحني بسرعة حتى الأرض • هي تود أن تقول شيئاً ما •

ـ لا بأس ، لا بأس ، السيد أوغستا أخبرني أنك كنت ناقمة علي نقمة خفيفة ••• غريب هذا ! يجب أن لا يحدث هذا بين الجيران !

خيل الي ، أنها ستنكسر مرة أخرى الى قسمين • لم يبق لي الا أن أجلس • وهل أنـا مرتاح في المسكن الجديد ؟ كل الارتياح ، لولا أن في هذه الليلة ••• وحدثته عن العندليب •

ـ غريب ، العندليب ، وأنا الذي ما سمعته !

ـ أتساءل كيف يمكنك سماعه ، وكنت ثملا ، لا تعي ! قالت زوجة الرسام وقد تدخلت في الحديث ، بصوتها المرتفع ، الحاد كموسى الحلاقة •

ـ كنت قليلا •••

ـ وهذا أيضا ، هذا قليل ؟ وشمرت السيدة أوغستا كمها ، فابصرت بقعة زرقاء •

ـ وحين أفكر ، يا دكتور ، اني كنت حراً في الانتقاء ، وكان الجميـع يجنون بي ، فتزوجت بهذا النموذج ••• ان زوجة الرسام ، يجب أن تعادل في علمها زوجة البقال •

وجدت نفسي ؛ في مازق حرج • بيد اني تاكدت انها ، حقاً في حديثها تزازي •

وها هي الآن تنصرف الى تنفيض الغبار عن الأثاث ، كأني لم أكن موجوداً • ــ نعم ، نزلت بي مصيبة صغيرة ، يا دكتور ، قال الرسام ذلك محاولا أن يبتسم • ان الابتسام لا يتفق معه • ــ مررت بستة مقاه ، الا أني لم أشرب الا كأساً واحدة في كل منها ورجعت فوراً الى البيت • الحظ لا يحالفني • أنا رجل شهم ، طيب ، ولكني ، لا أكاد أشرب قليلاً ، حتى أصبح انساناً آخر ، وهذا الآخر ، يتابع السكر ، ويرتكب حماقات • فهل أنا المسؤول ؟ واذا بضحكات مكبوتة •

ــ لا بأس ، بين حين وآخر ، ومن الممكن أيضا أن يكون ذلك مفيداً للصحة • قال لوثر ••• ولكني ، على حين غرة ، خشيت مغبة اقوالي • فلم أتابع • وخيل الي أن الخرقة ستلقى على رأسي • فانثنيت في حذر • ــ بالأمس تولاني اليأس من جراء هذا العندليب • كان الكلب عند قدمي يعض بنطالي • فما أردت أن أركله ، ولكني كنت منزعجاً •

ــ كنت أتمنى لو تسمعني ، فهذا ، هذا يستحق السماع ، أليس كذلك ، يا آنا ؟ فلم تخاتل آنا • ــ اني أجيد التغريد كالعندليب • وقد يحدث أحياناً ، أن أجيء بخمسة أو ستة عنادل ، فنقوم معاً بحفلة موسيقية من هذه الحفلات • ولا بد أن تتاح لك فرصة سماعها فتوافقني في رأيي• ولو شرع باستدعاء العنادل ، لأطلقت النار عليها •

ــ كنت أعتقد أنك رسام مشاهد وهنا لا أرى الا رسم وجوه • كان أمامه على مسند الرسم ، صورة وجـه •

ــ أنا لا أرسم الا قديسين ، يجب أن أكسب عيشي • ثلاثة أثواب طويلة ، حمراء أو زرقاء ، وقليل من اللحم ، وينتهي كل شيء ؛ الا ان هذا العمل ، لا يدر مالاً • أنا في الواقع ، رســام وجوه • كان عملي لا بأس به ، المدينة يهودية كلها ، ولكن هذا ، لم يكن يدر علي مالاً يذكر ، ان رسم يهودي من رأسه الى قدمه ، يساوي عشرين فلوران ، الا ان ألمانية جاء وانتزعهم مني ، لدي فكرة ! طلب الي أن أرسم القديس كريسبان ، والدكتور يستطيع أن يساعدني ، فاجعل منه نموذجاً • حلت المشكلة • الدكتور بدلاً من القديس كريسبان • بينهما شيء من الشبه ••• اني لأتساءل ، عما في ، فهل انا أطير ؟ آثرت تغيير مجرى الحديث • سأتحدث عن جوزيف • ينبغي أن أكتسب مودة جوزيف •

ــ جوزيف ، تعال الي ، تعال !

ــ وأنت ، هيا ، اخرج ، انت غبي •

صفعه الأب • رأيتني أحمر • فانتحب الصبي :

ــ هي السيدة فيلهيلمينا ، التي قالت اليوم ، هذا الكلام لأمي • قالت ان الدكتور غبي ! أليس هذا صحيحا يا أمي ؟ ــ اخرس !

ـ أنا ، ما أشد غباوتي ! ـ تعال الى هنا ، يا جوزيف ، تعال؟ لقد تكلمت بصوت مخنوق • فاقترب الصبي مني ، وتكوم بين قدمي •

كيف السبيل الى مداعبة الأولاد ؟ ـ هات يدك ! هذه الاصبع تغلي وهذه تقلي وهذهتشوي••• وهذه تقول : هاتي شقفة ! وهذه تجيب ••• لم يضحك الولد •

ـ هذا بابا ، هذي ماما ، هذا جدو ، هذي تيتا ، هذا ••• لا أعرف البقية • الصبي لـم يتزحزح قيـد أنملة •

ـ مهلاً ، يا جوزيف ، سأقول لك أحجية : من أنا ؟ أنا أخضر ، ولست عشباً ؛ أنا أصلع ولست كاهناً ، أنا أصفر ولست شمعاً : لي ذنب ولست كلباً • فمن أنا ؟ ـ لا أعرفها • تمنيت أن أفسرها له ، ولكني ، أنا الآن ، لم أعد أعرفها • تذكرت أحجية ، ولم أعد أعرف معناها • سألني جوزيف قائلا :

ـ هات ، أيضاً ، ما عندك من غباوة !

فنهضت وكأنني لم أسمع شيئاً • واستأذنت :

ـ يتحتم علي أن أمضي لعملي•اقترب الظهر • فقال الرسام : ـ وكيف مضى الوقت سريعاً ! ان ساعتنا تتأخر بمقدار نصف ساعة • فتدخلت السيدة أوغستا قائلة : ـ كلا ، لقد ضبطتها أمس بطرف المكنسة ، حين دقت الساعة الكبيرة • يبدو أن زيارتي أشاعت في نفسه كثيراً من البهجة ، ويتحتم علي أن أكثر من مجيئي اليه • وننعم بحسن الجوار !

تمنيت الآن ، لو أفهم لماذا أنا غبي !

سلمت على امرأة ، في المجاز ، ربما كانت ابنة المالك • فلقد تجاوزت سن المراهقة •

ـ أما كانت تزازي ؟ سألتني مؤجرتي • انها تزازي •

ـ وما ذلك ، إلا لأنهم يملكون اليوم شيئاً من المال • وحين لا يملكون شروى نقير ، فانها تتكلم على نحو مناسب • يظهر أن مؤجرتي سليطة اللسان • ـ حين كان الدكتور في المجاز ، منذ لحظة ، أطل بروفازنيك من نافذته ، كي ينظر اليك • فرفعت نظري نحو نافذة بروفازنيك • تراءى لي وجه ناحل ، أصفر كالشمع ، ولم يتح لي أن أرى أكثر من هذا • ـ هل أنا بحاجة الى شيء ـ كلا ! قلت هذا بشيء من الجفاء • هل لها أن تدع كاتيا الصغيرة في غرفتي بضع دقائق ؟ ليتعين عليها أن تمضي الى البقال وترجع سريعاً ، وكاتيا الصغيرة ، قد تبكي حين تظل وحيدة • ـ ولكني لاأدري كيف أداريها !

ـ ساضعها على السرير • ـ وان راحت تبكي ؟ ـ كلا ، مادام عندها انسان • ـ وإن ارتكبت شيئاً من الحماقات •••؟ ـ أهذا ظنك بالصغيرة المسكينة ؟ ـ نعم ، الصغيرة المسكينة ! لقد كنت شـديد الاستياء •

مشروع جديد : محاولة التاثير في جوزيف الصغير تاثيرا معنويا •

★ ★ ★

ما كنت أظن أني سانصرف الى العمل ، اليوم ، بمثل هذا النشاط ، فاني مطمئن ، راض ، ولكني مرهق ، بشكل رهيب ، سامضي الى الفراش •

العندليب لا يغرد ، لعنه تجمد من الصقيع • لو يتحقق ذلك !
وددت أن أعرف ، لماذا ؟ أنا غبي !

★ ★ ★

« وقبل كل شيء ، أحب أن أهنئك سلفاً ! وأعتقد أنك مع ذلك تقبل نصيحة مـن صديق قديم ، بل أعتقد أن واجبي يقضي علي ، أن أسدي اليك النصيحة ، ان كان لدي نصيحة مفيدة ! قبل كل شيء ، أوصيك ، أثناء امتحانك ، برباطة الجاش ! ان معلوماتك وفيرة ، هذا ، ما أنا قانع به • بيد أن رباطة الجاش ، تفوق عشرين مرة ، سائر المعلومات • فالسادة المستشارون ، يطرحون بصورة عامة ، أسئلة تعتمد على التفكير ، فاذا أرتج عليك وقد قال لك السيد المستشار ـ حين يجيئك ، شخص ويطلب مقابلتك ، لكونك محامية ، ويطرح عليك هذا السؤال ، كيفتتصرف؟ أجبه بانس وبشاشة ـ ساشدد على طلب سلفة • هذه نصيحة ، صدقني ••• »

ياله من مغفل ! ليس في قدرتي أن أتحمل أناسة ، يريدون أن يتكلفوا الظرف ، وهم يرددون نكات قديمة ، بالية • لـم يكن من العبث ، ان أطلقت عليه وهـو في المدرسة ، لقب (جندرا) الثرثار • فما هو سوى ثرثار ! الا أن الغلطة ، غلطتي ، فلأي شيء كتبت اليه عن مدى انصرافي الى الاستعداد ، ولأي شيء ، دفعني اللطف الى أن أضيف : « ••• ان كان لديك ما تسديه الي من نصائح قيمة ••• » لست بحاجة الى نصح أحد ، ولا سيما نصحه هو • فلن أجيبه !

ا لانني مصاب بزكام لطيف • ان جسدي كله ، مسرح لرعشات خفيفة ، فدماغي مرهق ؛ وعيناي لا تكفان ، طول الوقت ، عن سكب الدموع • وانه ، ليدهشني ، أن أجهد ، رغم هذا ، كل الجهد ، فلا أفقد الشهية •

فالى العمل !

★ ★ ★

اقبل المالك لمقابلتي · انسان غريب الاطوار ، في الستين من العمر · شبح صغير ، يبـدو أصغر مما هو في الواقع ، بسبب من صدره الغائر وكتفيه الهابطتين بشدة ، كانما هو يحمل بكل يد دلواً من الماء · وجه جاف ، حليق ، شفتان واهيتان لأن فمه ادرد ؛ ذقن شبيهة بالكرويتزر ، وانف صغير ، مقطوم وشعر رمادي · بيد أن عينيه السوداوين » تتقدان ببريق دمـوي · ويداه المعروقتان ، الجعدتان ، تبدوان كانما هما تتلمسان شيئاً بعصبية ، في الهواء ، واحيانا تنتاب جسده كله هزة فجائية · اذا تكلم ، كان كلامه قريباً من الهمس · من يجالسه ، لا يحس شيئا من الارتياح ، فكانما ثمة ما يحاول أن يحدث في كل لحظة ·

لقد وفد علي يسالني ان كنت قد أخبرت الشرطة بتبديل سكني · أما أنا ، فقد سهوت ، طبعاً · ينبغي اذن ، أن أنجز ذلك · يبدو أن الرسام قد حدثه عن جلسة لعبة الستة ، فسرّ سروراً فائقا · انحنيت له · وقد شعر بما بي من زكام ، فقال : ــ كثير من الناس ، لا يقدرون ، أي كنز ، يملكون حين ينعمون بالصحة ، لم يكن هذا بالظرف الخارق ، فاكتفيت باجابته ببسمة مهذبة : ــ هذا صحيح ! وانقطع بيننا مجرى الحديث · أعربت له عن أملي ، في أن ينعم دائماً بصحة سليمة · كلا ، لم أخصص ، أن في حلقه علة ما ، فينبغي له أن يعتني بنفسه ، فسعل وبصق على حذائي تماماً · سرني منه عدم انتباهه الى ما فعل ، والا لوجد مجالا لاعتذارات عقيمة ، فخبات قدمي تحت كرسي · سالني ان كنت موسيقياً ، كلا ، لست موسيقياً ، حين كنت فتىً ، عزفت حقاً ، قليلا على البيانو ، الا أنني ما تعلمت شيئاً ؛ رغم هذا ، أجبته بابتسامة كان ما أقول مفروغ منه : ــ أعتقد أن ما من تشيكي ، الا وهو موسيقي صغير · ــ هذا حسن ، هذا حسن ! أظن أن في وسعنا أن نعزف باربع أيد · انني في الصيف ، اترك سنطيري في الحديقة ، هو سنطير قديم ، ولكنه جيد ، فنزجي الفراغ ، ونروح عن النفس ، عظيم ! شعرت أن من الواجب ، أن أتراجع بانتظام·

ــ أتعزف على البيانو ؟

ــ آه ، كلا ، أعزف على الكمان ·

ــ هل لديك آلة جيدة ؟ وبحث بنظره على طول الجدران · فتابعت التراجع بانتظام · ــ مضى علي عهد طويل من غـير أن أعزف ، لأني منغمس بمشاكلي اليومية ، اني ··· ــ يالها من خسارة · نهض وما شاء أن يشغلني مـدة أطول · فهو ليس من هـؤلاء الملاكين ، الذين يسلبون المستاجر كل الحقوق · بيد أن لديه أيضاً ، ما يود أن يقوله ــ أليس خلف هذا كله ، في اسبانيا ، شيء من روح بسمارك ؟ وانتصب قبالتي ومعاني المراوغة تجـول في ناظريه · فاجبته أن سُبُل الدبلوماسية عميقة ، لا يُسبر غورها · ــ هو ذاك ! قال الملاك موافقا · ــ الخشبة الضخمة لا تندفع كعود من الثقاب · هذه المرة ، داس قدمي اليمنى بفظاظة وهو يمشي وأردف : ــ أقول دائماً ··· الملوك لا يقنعون بما يملكون · فلم أبد اعتراضاً ، واكتفيت ببسمة مهذبة · فاستاذن وانصرف ·

انه لبيان ساذج ولكنه صحيح • فكل ما يملك هؤلاء الناس من حكمة ، تكمن في أحكامهم ، ومن الخطأ أن نضرب بهذه الاحكام عرض الحائط ، فهي انما تجسد فلسفة الفرد ؛ حتى ولو كانت فلسفة محدودة • وهذا ما يكون مجموعة من أمتع الآراء : آراء كل فرد •

★ ★ ★

جملة القول انني راض عن نهاري ، واني منصرف الى الفراش •

العندليب يغرد ، ولكن في مكان ، أبعد ، بقليل ؛ في امكانه أن يغرد هناك ، ما شـاء له التغريد • أما اذا استدرجه الرسام اليه ، فسائر فضيحة ، ما بعدها فضيحة • فضيحة مهذبة ، لا لشيء ، الا لأظهر أن ثمة أشياء ، لا يمكن السكوت عنها • بيد أني آمل أن يكون الرسام غارقاً في المقاهي ، أمس ، كان على السيدة أوغستا ، أن تزازي • يلوح لي أن مؤجرتي ، لم تكثر اليوم من سؤالها عما اذا كنت بحاجة الى شيء ما • فكل أمر ، مع الزمن ، يتخذ مجراه الصحيح • ومن الممكن ، أن أكون مخطئاً ، ما دمت شديد الانصراف الى عملي !

★ ★ ★

زكام وعمل • لا أدري عن العالم شيئاً ، لشدة انكبابي على عملي •

رغم ذلك ، لاحظت أن مؤجرتي ، في هذه المرة ، هي حقاً ، أقل الحاحاً في سؤالها عما اذا كنت بحاجة الى شيء ما • لقد اعترفت هي ، اليوم ، أني في الحقيقة ، انسان طيب ، وان الله تعالى ، لن يتوانى بالتاكيد ، عن اسعادي • كان في مطبخها أرملة ، هي زوجة أحد صانعي الاحذية، وأم لولدين ، كانت تشكو من شدة بؤسها ، فاعطيتها (فلوران) واحداً • فكان الله تعالى ، مكلف برد كل (فلوران) الى أصحابه •

الهرة لم تعد تطأ غرفتي ، حتى ولو كان الباب مفتوحاً على مصراعيه • فهي تكتفي بالبقاء الى جانب الباب والمثابرة على المواء • انها ، كما يبدو ، تحذرني •

أتذكر أني أر حتى الآن المراقب في الخطوط الحديدية • أتراه ، عاد في هذه الاثناء ، الى بيته؟ هندباء في القهوة ! لا أخطىء ، انها الهندباء ، يا للهول ! فلا بد لي من تفاديها بتدبير ما •

★ ★ ★

أنجزت دراسة الحقوق المدنية ، بسرعة متزايدة ، شان حصان سبق عند اقترابه من الهدف •

★ ★ ★

الهندباء ، من جديد ، بل أكثر من أمس ، كما يبدو لي ، ومؤجرتي ما سألتني ، ولا مرة واحدة ، ان كنت بحاجة الى شيء • أما أنا ، فاني آمن ، مطمئن • أمس جاءتني أرملة أخرى ، ربة أسرة وزوجة أحد صانعي الاحذية • يبدو أني انسان فائق الطيبة • فلوران آخر •

★ ★ ★

جوزيف تلقى عقاباً مريعاً ، كان يصرخ ، وصراخه يدوي في أرجاء البناية كلها • سألت مؤجرتي عما جنى • الحقيقة انه لم يقترف اثما • لقد ابتاع قليلا من الجوز ، فاكله أبوه • دافع جوزيف عن حقه ، فانهال الأب عليه بضربات متوالية • رثيت لحاله • ــ ولد مثله ، مهما كانت الظروف ، لا يستحق حبل المشنقة • في هذه السنة ، في يوم الجمعة الحزينة ، سرق نقوداً من الصحن الموضوع قرب أيقونة القبر المقدس في الكنيسة •

أجل يجب أن أترك أثراً روحياً في نفس جوزيف ! وقد يفوت الأوان • من المؤسف أن ولداً صغيراً مثله يرعاه أب تافه حقاً ، ليس في مقدوره أن يقوم بدور المربي الصالح •

ان جورج واشنطن وهو صغير ، لم يكن كذلك ، شيئاً مذكوراً ، ولكن جورج واشنطن ، كان ولداً لأب ذكي • ان الله تعالى ، لو وهب الاولاد حاسة سادسة ، لتمكنوا في سن مبكرة ، أن يدركوا ، أن كان آباؤهم يشبهون والد جورج واشنطن أم لا • في الحالة الثانية ، يتعين عليهم ، أن لا يضيعوا وقتهم سدى ، تحت سلطة أب فاشل وأن يبحثوا عن غيره في مكان آخر •

★ ★ ★

جاءني الرسام بخفة ورشاقة • طلب مني أن أكون (نموذجا) لرسم القديس (كريسبان)• أجبته اني مكره على البقاء أمام كتبي • لقد تعلمت أن أكون أكثر فظاظة •

★ ★ ★

أنجزت الحقوق المدنية ! غداً ، سانصرف الى دراسة التنظيم في مادة الحقوق التجارية • ما أهنا ما سيكون نومي اليوم !

لامراء ، أن عجل بوشكين ، كان قد استشعر بمثل ما استشعرت به اليوم ، حين هتف :
ــ يالي من حمار مسرج ! كانت لحظة مريعة ! في الصباح ، طرحت على نفسي سؤالا ، وأنا قانع ، أني انتهيت من الحقوق المدنية • فارتج علي ولم أتمكن من الاجابة بكلمة واحدة !

ــ يا يسوع بن مريم ! أطلقت هذه الصرخة وشددت على جبهتي • شعرت كأني أصفر فجأة • أقبلت علي مؤجرتي راكضة • ماذا جرى لي ؟ فاجبتها ببلاهة :

ـ لم أعرف كلمة مما حفظت ! ـ هذا ما تستحق ، قالت ذلك ورجعت راكضة وهي تضحك بشدة • يا للحسناء السفيهة !

انني الآن أكثر هدوءاً ، في المرات السابقة ، حين كنت أدرس ، كانت الامور تجري على هذا المنوال ، كما أذكر • يجب على المرء أن يدع مجالا لما تعلمه ، كي يرسخ ويثبت •

ألم يكن هذا ، تلميحة لتاكيدها ، في أحد الايام ، حين قالت ، انني غبي ؟ كلا ، هذا ليس بسذاجة ، بل وقاحة مقصودة !

★ ★ ★

أرملتان ، زوجتا صانعي أحذية ، كلا ، احداهما كانت زوجة خياط ، يلوح لي ، انمؤجرتي تبغي أن تجيئني بكل ما على الضفة اليسرى من نهر (الفلتافا) من أرامل باكيات •

★ ★ ★

منعطف ! منعطف تـام ، جذري ، ما خطـر لي أن أتوقعه في حيـاتي ، منعطف في الطبيعـة وفي المجتمع •••

أولا : أيام رائعة ، صافية ، باسمة . ومـع الحرارة المستمرة ، زايلني الزكام • ثانياً : سئمت شرب هندباء مؤجرتي ، وقد نعمت بشرب قهوة ، هياتها بنفسي على سخانة كحول • والله لأهيئن ، بعد الآن ، قهوتي بنفسي • لقد أجريت كذلك تغييراً كبيراً في سائر النواحي • فمؤجرتي لن تاتيني ، بعد الآن ، من الاسفل ، الا بغداء هذا النهار ، ومنذ هذا المساء ، ساهبط الى المقهى• فما أنا بحاجة الى منّة أحد ، مع ذلك ، فان اهتمام مؤجرتي بامري ، قد تراخى كثيراً ، لا باس ، هذه الطريقة أفضل لي • والمرء ، مع هذا ، لا يستطيع أن يقضي كل الوقت قاعداً ، فيصبح بليداً، ولا يشتغل الا بوهن متزايد • يتوجب علي ، أن أدرس ساعات معينة ، كل يوم ، ساعات معينة، ما دامت الرغبة الاولى ، المتاججة ، قائمة ، ويتوجب علي أن أسري عن نفسي قليلا • أن أسري عن نفسي ، بين قوم هادئين ، وادعين ، قد التقي بهم في الاسفل ، لن يسبب لي اي ازعاج ! وسامضي كل يوم الى الحديقة ، لقضاء سويعات معدودات ، على الاقل • فالناس يتنزهون فيها ، منذ يومين • فان نهضت من فراشي ، كل صباح ، أبكر من العادة بقليل وان مضيت للدراسة في الحديقة ؟ انها متعة ، أن أشتغل هكذا ، فاني لا أزال أتذكر سني دراستي الثانوية •

المشروع : النهوض كل يوم ، من الفراش ، باكراً ، باكراً جداً •

★ ★ ★

اقدمت على طرد أرملة أخرى ؛ انها هي أيضا ، زوجة صانع أحذية •

★ ★ ★

هذه الحانة اعجبتني ! مظاهرها ليست على ما يرام ، بيد أن المرء يقضي فيها اويقات طيبة ، هذا ، في الواقع ، ما انشده ، في هذه الآونة • فما أنا بحاجة الى ارهاق نفسي ، كي انطق بالظريف من الكلام ، بل اكتفي بالملاحظة والانصات • انهم قوم بسطاء ، ولكنهم يتميزون بشخصيتهم • هم بطبيعة الحال ، أذكياء وظرفاء ، دون تصنع ، ويقنعون باتفه نكتة • كل شيء يدفعهم الى الضحك العفوي ، العميق • ولكن ، ينبغي ، أن يكون المرء نفسانيا ، ويفهم كنه الاشخاص ، كي يسري عن نفسه بينهم ، على نحو أسمى ، وأنا موهوب ، مؤهل لذلك • القاعة رحبة ، نظيفة ، وان كانت قليلة النور • في وسطها ، من الداخل ، (بليارد) ، ومع الجدران ، طاولات صغيرة ؛ في المقدمة، عند المدخل ، طاولات ، منها أربع مشغولة • واستناداً الى ما اكتسبته في هذه السهرة بكاملهامن‌خبرة، فان قصادها ، لا بد انهم ، ثابتون لا يتبدلون وما تبدلوا منذ سنوات • أدركت هذا على الفور ، عند دخولي • اذ خيم صمت عام ، وصوبت الي الابصار كلها •

ألقيت على الجمع تحية واحدة • كان الرمل الابيض المفروش ، منذ أمد قريب ، يئز تحت أقدامي • جلست الى طاولة ، كان يجلس اليها شخص ، لا أعرفه • فرد علي الرجل تحيتي ، دون أن ينبس ببنت شفة • وسرعان ما أقبل صاحب الحانة القميء • ـ آه ، الدكتور ! يسرني جداً ، أن يجيء الدكتور لزيارتنا هل راض أنت عن الغداء والعشاء ؟ قلت اني راض كل الرضى : لا شك أن لدي بعض الملاحظات ، بيد أن الواجب يدعو ، في بعض الاحيان ، الى اكتســاب مودة الناس بكذبات صغيرة • ـ انني جد سعيد ، وغاية ما أتوخاه ، هنا ، أن أحظى برضى زبني • ـ هؤلاء السادة ، أيعرف بعضهم بعضاً ؟ نظرت الى الرجل الذي لا أعرفه ، والذي يحدق أمامه ، جامد الوجه ، منطوياً على نفسه • ـ كيف ، ألا تعرفه حتى الآن ؟ ولكن هؤلاء السادة جيران ، يسكن‌أحدهم فوق الآخر ! السيد الدكتور كروملوفسكي ، السيد سامبر ، الخياط • ـ أهلا ، قلت وأنا أمد يدي الى السيد سامبر • فاكتفى الخياط برفع رأسه قليلا وصوب أنظاره على المائدة البعيدة قليلا ، ومد لي ، باهمال ، يداً كخف الفيل ، ياله من رجل غريب الاطوار ! بيد أن الخادم سارع الى خدمتنا• اني أوثر الذكور من الخدم • فالاناث منهم ، لا يخلون من عشيق واحد ، على الاقل ، يقضين معه الوقت في الزوايا ، هامسات ، موشوشات ؛ وللزبن أن يتابعوا النقر على الموائد ما شاؤوا !

من عادتي ، ألا أرى ولا أسمع شيئاً وأنا أتعشى • ولكن ، ما أن أفرغ وأشعل سيجاري ، حتى أنظر الى ماحولي وانتبه الى كل شيء • حول المائدة المقابلة ، بعض السادة ، يتجادلون بحماس• وعلى المائدة الأبعد منها ، شابان جالسان والى يسار مائدتنا ، سيد وسيدةوصبيتان ، وملازم ، بثياب عسكرية ، ليس هو فتياً جداً ، وهو مائل الى السمنة • حول الموائد ، يضحك الجميع بصوت قوي ، ولا سيما من حول المائدة اليسارية • كانت أصغر الفتاتين ترنو الي •! أسنانها جميلة وعيناها ضاحكتان ، حسناً ، لها أن ترنو الي ما تشاء ! أما أبوها ، فله رأس غريب جداً ، محدد بزوايا

مستقيمة ، وله شعر رمادي ، مردود على قمة جمجمته • فكانه قارورة جعة مربعة ، ورغوتها في عنقها • أما رأس الفتاتين ، فهو يشبه قارورة ، الا أنها أكثر اتساعاً •

كانت مائدتنا الوحيدة التي يخيم عليها الصمت • شرعت في الحديث • ــ كيف أحوالك ، يا سيد سامبر ؟ أجفل قليلا ثم نطق ــ هكذا كانت هيئته ، لا تنم عن شيء من الفصاحة • ــ هل لك كثير من الرفاق ؟ ــ في البيت ، اثنان فقط • أبعث بالشغل الى الخارج • لا باس ، على كل حال ، مجموعة كلمات • ــ لك أسرة ، ياسيد سامبر ، دون شك • ــ كلا • ــ آه ، اذن ، أنت عازب • ــ كـــلا • كان يبدو متردداً ، الا أنه أضاف أخيراً : أنا أرمل ، منذ ثلاث سنوات • ــ بلا زوجة ، ولا أولاد ، لا بد أن يكون ذلك عسيراً عليك • بذل جهداً جديداً ثم قال أخيراً : لي فتاة صغيرة ، عمرها سبع سنوات • ــ قد يتوجب عليك أن تتزوج ثانية • ــ نعم •

جاء صاحب الحانة وجلس الى مائدتنا•فقلت : ــ لطيف ، أن يشرفنا المعلم بزيارته • ــ لاأقوم الا بواجبي ، هذا ، ما تتطلبه المهنة ، من الواجب على المعلم أن يتنقل بين طاولة وأخرى ، فهــذا ما يرغبه الزبئن ويرون فيه شرفاً كبيراً لهــم • وددت أن أضحك ، كما أضحك لنكتة ، الا أني رنوت الى عينيه ؛ وفي ثوان ، تغضنت عيناه ، دون أي وميض من التفكير ، كان قد قال هذا على نحو جدي • لا شك انه مغفل • أما هاتان العينان ! في حياتي كلها ، ما صادفت عينين ، بمثل هذا اللون من الاخضرار الصافي • ان له بشرة حمراء ، وان شعره الشبيه بجلده ، يظهر وكانه امتداد حريري لبشرته • فما أن أنظر اليه من بعيد ، حتى أرى تموج أطراف رأسه • أبديت لــه ملاحظة ، كي لاينفصم ما انقطع من الحديث : ــ نتمتع الآن بطقس جميل • ــ نعم ، ولكن حين يتحسن الطقس ، ينصرف الناس الى التنزه ، فتفرغ المقاهي • خرجت أنا كذلك الى الشارع ، بعد ظهر هذا اليوم ، وعدت سريعا • كانت الشمس تسخن ظهري ، وحين تسخن الشمس ظهري ،فذلك يعني دائماً أن هناك عاصفة • مع ذلك ، لم تثر أيما عاصفة • فعضضت على شفتي وقلت : ــ أما في قلب المدينــة فلا تستطيع العاصفة ولا المطر أن تلحق أي أذى بالمتنزهين • فالمظلة تحميهم • ــ ما كنت أحمل مظلة • ــ في هذه الحالة ، يرجع المرء الى بيته مسرعاً • ــ اذا مشيت' مسرعاً ، فلا أكون متنزهاً ! ــ حين يهطل فيض من المطر ، يلجا المرء الى ممر مسقوف • ــ اذا لجات الى ممر مسقوف ، فلا أكون متنزهاً أيضاً • حقاً انه لأبله ! هاهو يتثاءب • ــ أنت متعب؟•ــ نمت أمس باكراً ، وحين أنام باكراً ، أشرع بالتثاؤب ، وفي اليوم التالي باكراً • ــ بل لم يكن عندك زبئن • ــ على العكس ، لقد سهروا حتى ساعة متاخرة ، ولكن أمس ، كانت جعتيرديئة ، وهذا مازعجني••• فلماذا أكابر ؟ انه لنموذج فريد في نوعه !

عند المائدة اليسارية ، كان الملازم يحتد : ــ انا أقول لك ، من الف شخص ، رجل واحــد يستطيع معرفة عدد أنواع الخيول البيضاء : هنالك سبعة عشر نوعاً ! وانفس ما فيها ، النوع

الابيض البراق ، أنا أقول لك • حصان جميل • بياض وردي حول عينيه وشدقه • حافره ، من اللون الاصفر الصافي •••

في هذه البرهة . دخل المقهى زبون آخر • فتبين لي من الصمت الذي خيم ومن النظرات ، أنه زبون طارىء : مضى الزبون الى طاولة في الداخل ، وجلس ، وعاود الحديث مجراه • راح الملازم يبين أن الحصان الأبيض ، يكون أسود اللون حين يولد كانت صغرى الفتيات تصرف الوقت بالتطلع الي •• فهل أنا حصان أبيض ؟

أفرغت كاسي • فلم يتحرك المعلم • ولم يتحرك النادل اينياس أيضا • نقرت على الطاولة ، فسارع اينياس كالمجنون • كان اينياس يثير فضولي ، وكنت الاحقه بنظراتي • هو رجل في الاربعين من العمر ، أزراره فضية بشكل أقراط ، وفي أذنه اليسرى شيء من القطن • هو قليل الشبه بنابوليون الاول ، ولكنه نابوليون الاول مع شيء كثير من البله • فجفناه الهائلان ، لا ينطبقان الا في فترات متباعدة ؛ وهذا ما يشبه فاصلا هاما بين أفكاره ، بيد أني أراهن أن اينياس لايعرف التفكير أبداً ، فهو يجمد هنا أو هناك ، بهيئة المفكر المستغرق ، فاذا ما نقر أحد على الطاولة ، انتفض فجاة وأسرع •

على الطاولة المقابلة ، يدور الآن البحث حول اللغة البولونية • اني أراقب غرابة الناس الذين يتشبثون باتخاذ أسماء غريبة ، كي يظهروا بمظهر الظرفاء • ويؤكد أحدهم ، الآن ، ان المرء ، اذا ما أجاد اللغة التشيكية واللغة الالمانيـة ، فهو يجيد كذلك بالضرورة ، اللغـة البولونية ، وهكذا ، لا تكون اللغة البولونية الا مزيجا من هاتين اللغتين ويضرب مثالا على قوله •

دخل من جديد ، شخص ما • هو صلب كقرمة عتيقة • مظاهره تشير الى انه زبون دائم ، ابتسم وجلس الى مائدتنا • ــ هـو جار آخر لكم ، قال المعلم وقـد أقبـل علينا • ــ الدكتور كروملوفسكي ، السيد كليكس صانع أحذية • فمد السيد كليكس الي يده • ــ انك لانسان لطيف، حقا ، انسان لطيف ! لا بد أن الفتيات يهمن بك ، يادكتور ! فاخذني الضيق ، وخيل الي ، اني أحمر قليلا • كنت أوثر أن احتفظ بمظهري الطبيعي وأن ألقي نظرة خاطفة ، مـع بسمة ، على ما حولي ، على هذه الفتاة ، مثلا ، الا أن هذا لا يليق • ــ هـو أنضر منك شباباً ، قال المعلم ضاحكاً ، ولا سيما بوجهك المليء بالثقوب ، كقالب الحبوب ! ــ عجيب ، عجيب ! قال كليكس وهو يفرك رجليه على الرمل • ــ أما صدر اليك ، حتى الآن ، امر من البلدية ، بضرورة تنظيف الارض وغسلها ؟ فانفجر الضحك • ــ نعم ، يادكتور ، هو لايغسل الارض هنا ، ان لم يتلق أمراً • ومرة في السنة ، ياتي شرطيان لسوقه الى الحمام • وأحيانا ثلاثة من رجال الشرطة • لأنه يدافع عن نفسه بضراوة • فتعالت ضحكات مجلجلة عامة • ان كليكس ، كما يظهر ، نكتات هذا القوم • فهو يجيد الطعن ، وكنت لا أتمكن من الامتناع عن الضحك من قرارة نفسي • بيد ان وجهه الخشن،

المليء بالدمامل ، ليس خبيثاً ، ونظرته ماكرة ولكنها صريحة • ـ هو مصيب ببخله ، اضاف بعد قليل ، لانه بحاجة الى مال كثير ، فانا لا أشرب بقدر ما يشرب وكان قد اتى على كاسه • ـ بودي لو آكل أيضاً شيئاً ما • كان يتكلم وهو يقوم باشارات سريعة ، ويداه ، دوماً ، تقريباً ، فوق رأسه ، فكانه قرمة مقلوبة ، جذورها الى الأعلى

كان الشابان الجالسان وحدهما الى طاولة ، منفردة ، قد طلبا صحن الفواكه ، المخروطي الشكل ، على البليارد ، ونهضا • كانا تقريباً بارتفاع واحد ، عندما كانا جالسين ؛ أما الآن ، فقد بدا أحدهما قصيراً جداً والآخر طويلا جداً • أنا لا أعرف شخصاً ، لا يلفت انتباه أحـــد ، ما دام جالساً الى طاولة ، في مقهى ؛ أما اذا انتصب واقفاً ، فلا ينتهي من الانتصاب ويطول ويطول ، واذا بالحاضرين كافة ينفجرون ضاحكين • فيصاب المسكين بكدر ممض •

كان كليكس وهو يتفحص قائمة الطعام يغمغم :

ـ لا شيء ، دائماً لا شيء ، سوى البابريكا وفضلات ملمومة ، لا شيء سوى بقايا ، سحبتها من جيبك ، أليس كذلك ، أيها الحانوتي ؟ ـ عليك أن تسكت •

ـ لو كان عندك دجاجة مطبوخة ! ـ هكذا أنت ! لا تتمنى الا أن ينكرس المطبخ لخدمتك وحدك•

ـ وهل الأمر عسير ؟ تأخذ بيضة مسلوقة وتريد أن تقشرها • قه ، قه ، قه ! ـ ارفع الشعر عن جبهتك ! كان هـذا القول مضحكاً ، لأن كليكس ذو راس اصلع مثل رئيس كنيسة (كانتوس سبتيميوس) •

من المائدة المقابلة ، سمع صوت يقول : ـ سكوت ! شارلو يقبض على برغوث ، واذا انتباه وصمت عام ، واذا الرؤوس تلتفت • أما ذاك الذي يدعى شارلو فقد أدخل يده داخل قميصه ، من جهة صدره • كان وجهه مسرحاً لابتسامة وادعة ، مفعمة بالثقة • هاهو يسحب يده ، ويضغط ابهامه عـلى سبابته ويضع شيئاً على المائدة • واذا بضحكات وتصفيق ، واذا بالسيدات يعضضن مناديلهن • ـ أنه يقبض ، لك ، على كل ما تريد من البراغيث ، نعم ، كل البراغيث ، قال لي كليكس • فابديت دهشتي بلطف وسالته : كل البراغيث ؟ ـ نعم كلها ! ـ ولكن ، اينياس ، ماذا حدث لعشائي ؟ ارجع لي كاسي ، فما أنهيته بعد ! ثم اضاف وهو يوجه لي كلامه : ـ لايدعني أبداً ، أنهي كاسي • لا شك انه مزاح •

ـ حسناً ، أنت خبيث ، قلت هذا وانا اضحك • اقبل اينياس من المطبخ • كانت على وجهه تطوف الآن ، معالم الغباوة البالغة • ـ من فضلك ، ياسيد كليكس ، مـاذا طلبت لعشائك ؟ ـ شيء فظيع ، انه سريع النسيان ! وهذا ما لاتجده في اي مكان آخر !

ـ كنت طلبت ... وكليكس أيضاً قد نسي . ها هما الآن ، لا يذكران شيئاً ، لا هذا ولا ذاك .

كان صوت الأم يعلو الآن على جميع الاصوات :

ـ اذا كان للأم ابنتان ، فمن الواجب عليها ، أن لا تدعهما تلبسان ثياباً متشابهة ، بعد بلوغهما ، العشرين من العمر ؛ والا فانها لا توفق الى تزويج أي منهما . لا شك ، ان هذا القول محسوب بدقة ، حتى يعرف المستمعون ان أية من الابنتين ، اللتين تلبسان نفس الثياب ، لم تبلغ بعد العشرين من عمرها . واني لا أصدق شيئاً مما تقول .

نبهني كليكس وهو يبلع طعامه : ـ حذار ، يادكتور ، أن يحتالوا عليك فتدفع ثمن كأس زائدة . المعلم كان مجنداً ، وكان في المقهى ، يمحو سراً الخطوط الدالة على عدد ما يأكل من الصحون ، أما الآن ، فهو يزيد سراً عدد الكؤوس ، كي يخفف مما على ذمته . طبعاً ، ضحكت . وحاولت من جديد ، أن أعقد أواصر الحديث مع السيد سامبر ، الا أني لم أفلح أن أستخلص منه سوى أمر واحد : انه يقصد الى الحانة ، دائماً ، في الصباح .

كان اينياس كأنه مسمر الى البليارد ، هو يتابع اللعب باهتمام زائد ، ولكنه يتمنى : بشكل واضح فوز اللاعب الصغير ، كان بين حين وآخر ، يقفز. وكان في هذه الآونة يقفز على رجل واحدة.

فرغ كليكس من عشائه . فحشا غليونه وأشعله . كان وجهه يبدو على وهج اللهيب ، شبيهاً بكور عتيق . فسحب نفسة ، وأجال فيما حوله نظراً مطمئناً . وقع نظره أخيراً ، على الغريب الجالس قرب البليارد . ـ لا بد أن يكون هذا صانع احذية ، قال لي بصوت خافت مبتسماً : أيتها الأفعى ! صاح بصوت ، جعله هذه المرة جهورياً . فانتفض الغريب ولكنه لم يوجه نظره الينا، ـ يا حذاء ! صاح كليكس مرة أخرى . فادار الغريب وجهه صوبنا بفتور ، وكان غاضبة : ـ ذبابة ماخور ، دائمة السكر لا محالة قال هذا بتمهل وبصق . بيد أن كليكس ثار فجاة ثورة عنيفة . ـ كيف ؟ أعلي تبصق ؟ علي ، على بورجوازي من مدينة براغ ؟ وهم بالنهوض . فصده المعلم وأعاده الى كرسيه ومضى نحو الغريب . ضرب كليكس المائدة . ما من أحد رآه ، قط ، ثملاً وان حدث وأفرط في الشراب فما ذلك الا لانه يجابه مشاكل مزعجة ، وهذا ، لا يعني أحداً . كان صاحب الحانة ، قد أخرج ، من طريق المطبخ ، الغريب الذي نهض طائعاً . وظل كليكس يصيح . غير أن شجاراً وضجيجاً كان قد نشب فجاة ، تحت القبة . وبعد بضع ثوان ، جاء المعلم وقال : ـ ما ان خرج حتى عاوده الغضب وحاول أن يعود أدراجه ، ولكني قذفته الى الشارع ، مثلما تلقى الصرة العتيقة في مكان مهمل .

بعد فترة قصيرة ، عاد المرح السابق الى مجراه الاول . فقد دوى التصفيق فجاة ، على الطاولة

المقابلة • ـ مرحى ، مرحى ! لوفلر سيقوم بتقليد الذبابة ، لوفلر ، قلد الذبابة ! وتعالىالتصفيق في أرجاء القاعة • سالني كليكس ان كنت قد رأيت من يقلد الذبابة • فاجبته بالنفي • يبـدو أن هذا من الغرابة بمكان كبير ، حتى يخشى عليّ أن أنفجر من شدة الضحك • لقد شاهدت هذا ، مرة ، وأعتقد أن ما من مقهى من مقاهي براغ الا وفيه من يقلد الذباب • وليس في وسعي ، أن أتحمل هذا • كان لوفلر ، يتمنع وهو جالس خلفي مديراً لي ظهره ، يبدو أن الضجيج قد زاد عن المالوف • ـ صمتاً ، صمتاً ، صه ! ران الصمت وشرع لوفلر يطن • أولا ، مثل ذبابة تتطاير في غرفة ، ثم مثل ذبابة تنقر الزجاج وأخيراً ، يقبض عليها لوفلر ويحبسها في كاسه ، حيث تتخبط ، وهي تطن طنيناً أقوى • فتعالى التصفيق ••• وصفقت أنا أيضاً • اتجهت الانظار كلها نحوي ، ليروا ان كان هذا قد نال اعجابي • ـ ياله من رجل لعين ! قال كليكس • قليل أمثاله ! ولسوف يجعلنا ننفجر ، ذات يوم ، من شدة الضحك • وافرغ كاساً تلو أخرى ، لا ريب ، انه ما زال ثائراً من جراء خصامه • كان بين حين وآخر ، ينقر على معدته ويقول ، كانما يعتذر : ـ ما زال أمامي عشر بوصات لأبلغ المعدل الطبيعي • شيء غريب !

ـ لعبك سيء ! هذه الملاحظة ، جاءتنا على حين غرة ، من جهة البليارد ، من هذا المسكين اينياس ! هذا البائس اينياس ! فاستدارت جميع الرؤوس ، بغتة الى هذه الناحية • ان اللاعب الصغير الذي شمله برعايته ، ضرب ضربة ، نفر منها اينياس ، فلم يتمكن من كتم اشمئزازه واستيائه • وساد الهرج والمرج • وضرب اللاعب بعصاه على طاولة البليارد • فصاح الملازم :

ـ هذا ، لا يطاق ، اذهب عنا الى الشارع ! وصاح المعلم ، انه سيلقي اينياس الى الشارع ، غداً ، صباحاً ، وسيعطيه حسابه • فضحك منه كليكس وساله : ـ كم من المرات قلت هذا ؟

هدات الخواطر من جديد • ودخل بائع متجول • شخص مهزول ، قذر ، غير حليق ، يرتدي ثياباً رثة ، مهلهلة • وضع صندوقه على مائدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وراح يعرض مشطاً ثم محفظة نقود ، ثم حاملة سيكارات ، وكان كل فرد ، يكتفي بايماءة سلبية براسه • قام البائع، دون أن يتفوه بحرف ، بجولة على سائر الموائد ، ثم أغلق صندوقه ، وحمله تحت ابطه وانصرف • واذا بتصفيق •••

ـ صه ، صه ، سكوت ، وراح لوفلر ، يقلد الآن ، صوت (الامعاء المحشوة) ، وهيتنقلى• تصفيق وقهقهة • أما اينياس ، فهو الوحيد ، الذي ظل ينتبذ مكاناً منفرداً ، وهو محزون الفؤاد ينظر بخوف الى القاعة ، وهو يغضن جفنيه •

قام لوفلر برقصة تيرولية(١) انها رقصة خليعة ، ولكني رغم ذلك صفقت • راح الملازم ،

(١) رقصة تيرولية : يقوم الراقص بهز صدره ورأسه بحركات متوالية •

أمام مائدته ، يتكلم بصوت قوي ، ويتلفظ بعبارات ، كان من الممكن أن تدفعني ، لو كنت أباً وكنت اصطحب امراتي وبناتي ، أن اقذف به الى الشارع ! الا أن شافعه الوحيد ، انه يعرف الحاضرين منذ عهد بعيد ، ولكن ، في هذه الحالة ، كان يتحتم عليهم ، منذ عهد بعيد ، أن يقذفوا به الى الشارع •

استاذنت وانصرفت •

على العموم ، سريت عن نفسي • يجب على المرء أن يتحلى بالمنطق السليم ، فيدرك كنه هؤلاء الناس البسطاء •

★ ★ ★

لم أستيقظ باكراً : انني حين أمضي الى المقهى مساء ، فاسهر وأنام متاخراً ، اطيل النوم واتاخر في استيقاظي ، ولكن يبدو أن ثمة أناساً ، مع ذلك ، يستيقظون باكراً ، بسرور فائق • لا بأس : فالمرء حين ينام نوماً هنيئاً ، يقوم بعمله بشكل أفضل !

★ ★ ★

ياله من يوم رائع ! لم أستطع أن أملك نفسي ، فوقفت أمام النافذة ، المفتوحة على مصراعيها • إني أسمع ، بوضوح ، ضجيج البناية كلها ، واني واثق ان هذا لا يزعجني كثيراً ، فهو شبيه بضجيج سد ماء بعيد ، وهذا مايبعث ، على الاقل ، البهجة في الرتابة المقيتة التي تهيمن على غرفتي المغلقة • هنالك من يغني ، في الطابق العلوي ، فوقي ، في بيت سامبر ، الخياط ، لا ريب انه رفيق له ؛ انه يغني فقط ، وبصوت أخرق • وانها لأغنية مضحكة !! « ولعله ، لهذا السبب وحده لا يتصنع شيء غريب ! »

خف جوزيف الصغير الى منزلي • ليس من الحكمة أن يالف المجيء وانني ساجعله يفهم هذا بتان •

ـ تعال الى هنا ، ياجوزيف ، اتجيد الغناء ، أنت أيضاً ؟ ـ طبعاً ، أجيد ! ـ اذاً • هات ما عندك ، غنني شيئاً حلواً ، أتفهم ؟ فراح الصغير يغني : ولكنه اخطأ ، لا اهمية لذلك برأيه • ـ حسناً جداً ، والآن ، هيا ، انصرف • أتدري أن من الواجب علي ، أن اظل وحيداً دائماً ، وان من الواجب أن لا تاتي الى هنا • فارتحل جوزيف • انه يعجبني • انا الآن ادرس التنظيم في مادة الحقوق التجارية ، وانني منشرح لدراستها بعد دراسة الحقوق التجارية •

★ ★ ★

صخب مثير في منزل الرسام • جوزيف يتلقى تاديباً متقنا • ســاقوم باغلاق النافذة ، وقد فطن الرسام الى هذا ، فصاح بي ، من طرف الباحة البعيد : ياله من ولــد قذر ! لا سبيل معه الى الراحة ! ـ ولكن ، ماذا فعل جوزيف ؟ ـ هذا الاخرق الصغير ، أكل رسالة اخي ، الخوري ، فلم أعد أدري باي شيء ، أجيب عليها ! فاغلقت النافذة ، ولكن الرفيق ، في الطابق العلوي ، مازال يتابع « عدم تصنعه » •

تغديت في الأسفل : مع سامبر والحانوتي • كنت أراقب اينياس ، وكانمضحكا ! فقد قضيا وقتا طويلا ، على الطاولة المجاورة ، في اجراء حساب الليلة الفائتة • وكان اينياس ، بنظرة شزراء وهيئةبليدة ، تنم عن ذعر فائق منمعلمه ، ينتظر بشكل ظاهر ، التسريح الموعود في الليلة السابقة، بين لحظة واخرى•وكان خيال المعلم المهترىء ، يتارجح تارة الى جهة وطوراً الى أخرى ، ويغضنجفنيه بفتور لقد نسي كما يتضح تماماً ، ما حدث في الليلة الفائتة • فما أن فرغمن الحساب حتى انتفض اينياس •

اقبل المعلم ليجلس الى مائدتنا • قلت : انه لحساء لذيذ ! حتمة انه لذيذ ! قال المعلم مردداً : ـ وماذا يمكنني أن أتناول مع الحساء ، يا اينياس ؟ ـ ماتريده • أعطني اذن شيئا من الشمندر الأحمر • ـ كلا • كيف كلا ؟ فالشمندر مسجل على لائحة الطعام • صمت اينياس • واغرقالمعلم في الضحك ، حتى امسك بخاصرتيه ، وقال أخيراً ، في قهقهة مجلجلة : ـ ساتيك بما تريد بنفسي، يا دكتور • ان اينياس لا يتمكن ، كلا ، لا يتمكن ••• فتطلعت باستغراب : ـ نعم ، لا يكاد اينياس ينظر الى الشمندر الاحمر ، حتى يغمى عليه ؛ فهذا ما يذكره بدم بشري مجفف • هـــذا الأبله ! ماكول الهناء ! لم يكن الغذاء ، عدا هذا ، يدعو الى البهجة • والمعلم لاتستطيع الاستعلام منه عن شيء : ـ ماذا في الصحف ؟ سألته • ـ لا أقراها • انا افضل الذهاب الى دكان البقال ، فأساله عما يجري ••• كنت قــد لاحظت أن في أسفل الجدار القائم حول القاعة ، حفراً ، غــير منتظمة • ـ ما هذا ؟ قبل مجيئي كان المكان قاعة للرقص ، فخرب الناس هذا الجدار برقصهم • اجئت الى هنا ، منذ زمن بعيد ؟ ـ أنا ؟ هذه السنة ، هي الثانية عشرة • أما سامبر فلم يقل شيئا على وجه التقريب عدا « ايه » و « هم » هذا كل مافي قاموسه •

★ ★ ★

كنت مساء في الحديقة • كان فيها نصف سكان البناية ؛ واذا استثنيت الزوجين اللذين ، في ريعان الصبا ، المقيمين في الطابق الثاني والمراقب في الخطوط الحديدية ، زوج مؤجرتي ، فانا الآن أعرف جميع السكان وحين افكر فيهم يعتريني دوار خفيف • فالسيد بروفازنيك ، مثلا ، الذي يسكن فوق شقة الرسام ، ما استطعت ، بعد ، فهم حقيقته • لمحته ، مرات عديدة ، في النافذة ،

وكان يبدو لي ، أصفر الوجه ، منمنماً ، مثل صحن من الحلوى • والآن ، عرفت السبب • ان له حول وجهه لحية صغيرة ، سوداء ، حليقة عند شفتيه وذقنه ، وكنت من بعيد ، لا أرى سوى هذه الظاهرة • فشعره كان رمادياً ، تقريباً ، فهو يجب أن يكون في حوالي الخمسين من العمر ، وهو محدودب الظهر كثيراً •

عندما هبطت الدرجات القليلة المؤدية الى الحديقة ، كان بروفازنيك يتمشى في آخر الحديقة ، على حين ، كان الكل متجمعين تحت العريش القائم في الزاوية اليمنى : المالك وابنته ، والرسام وزوجته وجوزيف • كانت عينا المالك السوداوان ، المحمومتان ، شاخصتين الي ، كأني حقاً دخيل • فتعالى صوت أنيس ، حاد النبرة : ــ بابا ، انه الدكتور ، كروملوفسكي ! ــ الدكتور ، آه ، ولكنني نسيت ، ومد لي يده المعروقة ، المحرقة • ــ باذنك وددت أنا أيضاً ، ان أتدفأ قليلاً في الحديقة • ــ أرجوك ؛ راح يسعل ، وبصق على حذائي • وجلسنا • لم أعرف بماذا أتحدث ؛ لعل الصمت الذي خيم لم يكن ليزعج الآخرين ، أما وقعه علي فكان ممضاً : كنت أستشعر انهم كانوا يترقبون ليروا ، ان كان الدكتور محدثاً بارعاً •

كان جوزيف عضدي الوحيد • ــ تعال الي ، ياجوزيف ، كيف حالك ؟ فاقبل جوزيف وتكوم بين رجلي وارتفق ركبتي • وقال : هات حكاية •

ــ أتريد مني أن أحكي لك حكاية ؟ عجباً ، فقد تذكر العفريت الصغير ، أني حكيت لــه أشياء كثيرة ، في ذات يوم • ــ احك لي حكاية • ــ حكاية ؟ ولكنني لا أعرف أي حكاية ؛ بل ، مهلاً ، سأحكي لك ، مع ذلك احدى الحكايات • وشرعت بصوت جدي : ــ يروى أن ملكاً • طيب • لم يكن له أولاد • طيب • ابنه الأكبر خطر له بان يطوف في الارض متسولا • ضحك عام •

ــ الدكتور ، ظريف ! قال الرسام ومسح قطرات كبيرة من الدمع ، جرت من مقلتيه النديتين • الرسام رجل فطن ، كما يتضح ، وهذه المظاهر التي تعبر عن الاعجاب ، أثارت خيلائي • جميل دائماً ، أن يعتبر المرء ظريفاً • ــ هيا ، تابع ، طلب الرسام فهذه القصة ، هي ، أيضاً ، للأولاد الكبار • مصاعب جديدة • فالقصة لا تتمة لها ، هي تنتهي عند هذه النكتة ، بيد أن هؤلاء الناس الطيبين ، لايفقهون هــذا • ومادمت رجـلا ظريفا ، فقد تحتم علي اللجوء الى الارتجـال ، لعلي أفلح • فتكلمت وتكلمت ، ولكنني اخفقت ، وشعرت ، على حين غرة ، أني لا أجيء الا بهراء • فكف القوم عن الاصغاء وأخذوا يتحادثون فيما بينهم ، فتهللت • وظل جوزيف وحده يصغي الي ، فملست شعره • بيد أن لكل قصة نهاية ، ولقد بدات أهذر • واذا بفكرة حسنة تراودني • أمسكت ، بغتة ، بيد جوزيف ، كأني ما أبصرت هذه اليد ، الا في هذه اللحظة ، وقلت له :

ــ أنظر ، يا جوزيف ، ما أوسخ يديك ! فنظر الصغير الى يديه • انحن ، أود أن أسر في اذنك

شيئاً ما ! فقال لي بصوت خفيض : أعطني قطعتين من ذوات العشرة قروش ، فامضي وأغسل يدي ! اخرجت سراً من جيبي قطعتين ودسستهما في يده • فانطلق الى الحديقة ، حيث بدت للعيان ، ابنة سامبر الصغيرة ، وهي فتاة في السابعة من عمرها •

التفتُ الى ابنة المالك ، الجالسة الى جانبي ، وهي شديدة الشبه بابيها • وجه جاف ، دقيق المعالم ، ويدان شفافتان وذقن صغيرة وانف صغير جد صغير ، ترى ، هل في مقدورها ، أن تتنفس منه ؟ بيد أن هذا الانف الصغير ، لا يقبحها ، هو وجه محبب ، بعينين سوداوين • وصوتها العالي لطيف حقاً • لابد لي ، بهذه المناسبة ، أن اذكر ، أنني مولع بالعيون السود ، وان امرأة زرقاء العينين ، تذكرني دائماً ، بامرأة عمياء •

ـ أنت موسيقي ، يا دكتور •••

ـ كروملوفسكي ، تدخلت الفتاة ، قاطعة على أبيها كلامه •

ـ نعم ، يا أوتيلي ، أعرف ، أن السيد يدعى كروملوفسكي •

ـ سبق لنا أن تحدثنا عن ذلك ، حين تكرمت بزيارتي • وكنت قد عزفتُ على الكمان ، من مدة طويلة ، طويلة جداً ، جداً ، حتى انني أصبحت الآن عاجزاً عن لمس الكمان • ولكن المالك لم يعد يصغي الي ، فمالت ابنته علي قليلا ، وهمست في أذني بصوت كئيب ، مخنوق :

ـ مصيبة أبي ، انه يفقد الذاكرة ابتداء من الظهر • وأمسك المالك بزمام نفســه وتكلم بصوت ، كانما بُح فجاة : ـ تعالي ، يا أوتيلي ، أحب أن أتمشى هناك • ـ آه ، يادكتور ••• من فضلك ، اليك هذه البطاقة • ومد نحوي بطاقة طويلة ، بيضاء كُتب عليها : ـ أنا مصاب بالم في حلقي ، أرجو المعذرة ، ان لم اتكلم بصوت أعلى •

في هذه الآونة ، انضم الينا بروفازنيك • فابتسم لي وكان في ابتسامته ، شيء من السخرية• ومد لي يده :

ـ خادمك ، الدكتور كراتوشفيل •

ـ أدعى كروملوفسكي •

ـ أمر عجيب ، كنت أعتقد ، أن كل دكتــور ، يدعى كراتوشفيل ، قه ، قه ، قه ! كانت ضحكته مبحوحة وعنيفة •

فرنوت اليه بعينين مدورتين •

ـ وفيم كان هؤلاء السادة يتناقشون ؟ كيف حالك ، ياسيد أوغستا ؟

ـ لست على ما يرام ! ليس لدي تقريباً ما أعمله ٠

ـ كيف ، كيف ٠٠٠ ما صادفتك ، مرة على الدرج ، الا وتحت ابطك لوحة جديدة ٠ قد يكون رسم لوحتين ، في اليوم الواحد ، لعبة بالنسبة اليك !

فابتسم الرسام مزهواً بنفسه ٠ ـ هذا صحيح ٠٠٠ ان « الاساتذة » في وسعهم دائماً ، أن يحاولوا ، ان كان هذا ممكناً ٠٠٠

ـ في استطاعتك أن ترسم أكواماً من الوجوه ، هكذا ، وتحفظها لديك ، تحت الطلب ، قه ، قه ٠ هذا ، مع العلم أن رسام الوجوه ، أكثر المخلوقات تفاهة في العالم ٠ حتى وان لم يوجد رسام وجوه واحد ، فثمة على هذه الارض وجوه وفيرة ، بل ، من أغرب الوجوه ! فعلام ، لا تنصرف الى رسم شيء آخر ؟

هممت أن أضحك ، فان ما فاه به بروفازنيك من هجاء مقذع ، لا رد عليه ، وقد رأيت الرسام متضايقاً ٠٠٠ ماذا يستفيد من مضايقته ، هذا المسكين !

ـ كنت قديماً رساماً لوجوه من التاريخ غمغم الرسام ٠ ولكن هذا ، لم يكن ليدر علي مالاً ، فالناس لا يفقهون شيئاً من التاريخ في ذات يوم ، طلب مني أحد الكهنة ، لوحة ، تمثل راهباً كبوشياً ، يلقي عظة دينية في معسكر (فالنشتاين) ؛ فرسمت له لوحة فاخرة ، كما أستطيع أن أؤكد ؛ ولكن ، حين أنجزتها ، أبى الكاهن استلامها وما استلمها ٠٠٠ كان يريد كبوشياً ، يلقي عظة ،ولكن، دون وجود كبوشي ٠٠٠ وهو كاهن ! وعهد الي ، مرة أخرى ، رسم لوحة ، تمثل (زيزكا) ، لبلدية (كوشوف) ٠ يا للجلجلة ! بعثت اليهم برسم ٠ ولكن الاحذية ، لم تنل رضاهم كان يتحتم علي أن أطلب من السيد بالاشكي(١) ، شهادة تبين رضاه عن مطابقتها للتاريخ ٠ فمنحني السيد بالاشكي وثيقة تنم عن موافقته ٠ ولكنهم في كوشوف ، يعتمدون في أمورهم خبيراً ، يدعى (مالينا) ؛ فقرر (مالينا) ، هذا الخبير ، أن لوحة (زيزكا) ، ليست ، متفقة مع مطالب التاريخ العسكري ٠ طال الجدل ، بيني وبينهم ، وأخيراً ، كتبوا الي ، يتهددونني ، بشن حملة علي ، على صفحات الجرائد ٠ فمن الخطر ، أن يكون الرسام ، رساماً تاريخياً ٠

ـ عليك ، اذن أن تقوم برسم لوحات منوعة ٠ فمثلا ، مصلح مزامير ، يصلح مزمار زمار سكران ٠ أو « فارة في مدرسة بنات » ٠ ليس من الضروري رؤية الفارة ، بل البنات والمعلمة جميعاً وهن يرتقين المقاعد مذعورات ، يجب ابراز كل معاني الرعب !

---

(١) مؤرخ تشيكي شهير ٠

ـ حقاً ، ولكني رسمت كذلك لوحات منوعة • وقد عرضتُ احداها في أحد المعارض ، هي لوحة جميلة • كان كل شيء ، في ذلك العهد ، يكتب بالالمانية ، وكانت لوحتي ، تحمل اسماً المانياً • كانت تمثل رجلاً ، متمدداً على فراشه وامرأة تأتيه بطبقمن الطعام المحرق •••

ـ يا للهول !

ـ ولماذا ؟ فالطبق لم يكن ظاهراً ، بل كان ملفوفاً بغطاء حتى لا يبرد •

كنت أتمنى ، أن أهرع لنصرة الرسام ، كي ينجو من هذا المازق الحرج ولكنني ماعرفت السبيل الى ذلك • ـ في أي يوم نحن ؟ قلت لبروفازنيك على نحو أهوج •

فاجابني بروفازنيك مكشراً : ـ ما عليك الا أن تنظر الى قبة قميص المالك ، يا دكتور ، كراتوشفيل ، فانه لا يبدل قميصه ، الا مرة في الاسبوع ••• فاليوم يجب أن يكون الخميس •

ـ ياله من وقح ! ـ فالمسكين مصاب بـداء فريد ، حقاً ، يبدو انـه يفقد الذاكرة دائماً ، ابتداء من الظهر !

ـ أجل ، لابد انه قام في الماضي ببيع قبعات من القش • ان من يقومون ببيع قبعات القش ، يصبحون على غاية البلاهة ، بسبب الكبريت ، ولا سيما التروليون • ••• وبعد هذا ، يعجزون عن اتمام عملية جمع بسيط •

ـ ولكن ، يقال ، انه رجل محترم •••

ـ محترم ولكنه غبي • ان نظره لا يتجاوز أنفـه ، الا بخمس أصابـع • أنا أعرفـه من عشرين سنة •

ـ يقال ان ابنته شديدة العناية به • هي امرأة لطيفة ، دون ريب ، مع انها صغيرة السن •

ـ انه مجرد فضول منها • فالفضول الانثوي ، دفعها الى المجيء الى الدنيا ، قبل أوانها بعشرين سنة ، وانها الآن نادمة • هي صريحة ولقد شتمتني أكثر من مرة •

ان عبارات بروفازنيك الوقحة ، عكرت صفوي ، فقلت : ـ هيا بنا ، نثرثر قليلاً مع المالك • ـ هلموا ! قال الرسام في عجلة ، وضرب كتف بروفازنيك • فكلما نزلت ضربة على كتف بروفازنيك عاد فوراً الى الصواب •

نهض الاثنان • كان رحيل الرجلين قد أيقظ فجأة ، زوجة الرسام من بحر أحلامها ، الذي كانت مستسلمة الى عبابه ، وهي ترتفق على باب العريش • ـ اسمع ، يازوجي ، ساهيء للعشاء بيضاً مخفوقاً !

ـ حسناً ! قال الرسام وابتعد • اغتنمت السيدة أوغستا هذه الفرصة ، لتؤكد وهي تزازي ، ان كثيراً من الشبان تقدموا طالبين يدها وان جميع الرجال ، يُجنون بهـــا • احببتُ ان أشبع غرورها ، فقلت ان هذا ما زال ظاهراً ، حتى الآن • ـ ما هذا الذي مازال ظاهراً حتى الآن ؟ ـ فارتج علي ، ولم أعد أفقه ما أردت أن أقول ، وانتهى بي الأمر الى الافصاح عن انها ما زالت تبدو حسناء • فشمخت السيدة أوغستا بانفها ، هي ليست متقدمة كثيراً في السن • ولا سيما حين تتزين (ها هي مندفعة في الكلام كالطاحون) ـ في ذات يوم كان هناك مـن يتعقب خطاي ، فقال : ما أظرفها !وغمغمت بضع كلمات ، الا أنها كانت قد ابتعدت •

مضيت لأنضم الى الآخرين في الحديقة • فرنا الي المالك باسماً ، ليبين لي انه عرفني ، ومد لي مرة أخرى ، نفس البطاقة ، وعليها نفس الكتابة • كان الحديث يدور حول الحلوى • وددت أن أستعيد اعتباري محباً للممازحة • فسالت : ـ هل الآنسة خبيرة بالحلوى ؟ ـ أوه ، كلا ـ اذن بالسكاكر ! وضحكت ضحكة مجلجلة اذ من المعلوم ، أن المرء ، اذا ما أرسلها ضحكة صادقة ، فانه يجذب الآخرين الى مجاراته • غير أني ، ما جذبت أحداً • يبدو انهم لم يفقهوا كنه مزاحي •

سالني المالك ، ان كنت موسيقياً وداس قدمي وهو يطرح سؤاله • ـ كلا ، قلت له ضاحكاً ، ثم ما لبثت أن رثيت لحاله • فاردفت : ـ أعتقد أنكم كثيراً ما تذهبون الى الأوبرا ؟ ـ كـلا ، لستُ جديراً بها • فاني أسمع نصف الاصوات عالية جداً ، بالأذن اليمنى ، فلا أرتاح • هذا انسان غريب ، يفقد ذاكرته ، ابتداء من الظهر ، ويسمع نصف الاصوات عالية جداً بالأذن اليمنى • ـ أنا أوثر انبقاء في البيت ، أمام البيانو ، مكباً على العمل • ـ هل تعمل في التاليف ؟ ـ الآن ؟ لا ، من بضع سنوات والى الآن منصرف الى تصحيح موزار • وعنـدما أفرغ ، سترى من هو موزار ! وبصق على حـذاء بروفازنيك • مسح بروفازنيك حذاءه بالعشب • وقال : ـ منذ سنوات ، وأنا كذلك ، لا أذهب الى الاوبرا • وان ذهبت ، فما ذلك ، الا لسماع مارتا •

أمسك المالك بيدي وانتبذ بي ناحية منفردة • فلديه ما يريد أن يسره لي ، ولكنه لميتمكن، وسمعت (س س س س) فكان ثمة بخاراً يندفع من مرجل • غمغم ثلاث مرات متواليات صوت (س) بينما نحن نتجول في الحديقة ، ثم أفلح في أن سالني ، ان كان في الملفوف ، مادة الفوسفور• انه اذن مصاب باللكنة ، فوق مافيه من مصائب ، وهو يتعثر بحرف (س) • ثم مـد لي من جديد لافتته •

ثم أمسكني الرسام من يدي وجرني الى زاوية • أما كنت قد رأيت كيف ضرب كتفبروفازنيك؟ فاذا ما قيض لبروفازنيك أن يستثير حنقي ، فما علي الا أن أطرق على ظهره ، قليلا جداً ، فتلين قناته في التو • يبدو أن بروفازنيك خبيث •

أخيراً ، جاء دور بروفازنيك ، فانتحى بي ناحية • ما رايي في تاسيس شركة تقـوم بادارة

جزر على الفلتافا ؟ كان يحدق فيّ بهيئة ظافرة • فقلت ان هذه الفكرة تبدو فذة للغاية •

ــ والآن ، أرأيت ، ان لدي من هذه الافكار ، أكثر من فكرة واحدة ! ولكن البشرية ، الآن لا تعير ، الافكار أي اهتمـام • واني ، لا أجـد في نفسي الجـرأة على بحث هذا الموضوع مـــع هؤلاء الاغبياء •

ــ ما رأيكم ، لو لعبنا لعبة الستة ؟ اعلن الرسام لا باس ، نستطيع اللعب ساعةمن الزمن• كان ورق اللعب في جارور ، في عريش الرسام • فجلسنا حول طاولة صغيرة ، واتفقنا على أن العب شريكاً للمالك ، ويلعب الرسام وبروفازنيك ضدنا • لعبة ممتعة ! فالمالك ما زال يسال ، حتى آخر ورقة ، عن اللونالرابع • انه لا يعرف على اي لون لعبت ، ولا يساعدني به • أراهن ان في يده ، صوراً ولكنه لا يبدي لي ولا واحدة منها • فاذا ما سالت سؤالا ، أبرز لي لافتته ، فوق الطاولة • كان بروفازنيك وأوغستا يربحان ، طبعاً ، ويضحكان مثلما تصهل الخيل • فتيقنت ، ان لم يبق لي ، الا ان ألقي بورق اللعب وأدفع ما خسرت • ودفعت أوتيلي عن أبيها ، ولو لم تفعل ، لما فرغنا من الحساب ، بل من حساب جولة واحدة ، فهو يزعم انه كان قد دفع ما عليه ، وفي الوقت ذاته ، يدوس قدمي بعنف ، تحت الطاولة • فسحبت قدمي ورحت أتلهى بمتابعة النظر الى قدمه، وهي تبحث بعصبية ، تحت الطاولة ، عن شيء تستطيع أن تستقر عليه •

على حين غرة ، حمل علي مدعياً ان لعبي سيء واني ما وضعت (ملكي) على (أصـه) البستوني • هذا ، مع انه ، لم يرم مرة واحدة اللون البستوني واني ، أنـا الذي كنت أحمـل (الأص) • ظل المالك يشتم غاضباً ، وصوته يهدر كالبوق ، وكان قد تجمع في جيبي خمس عشرة قصاصة من الورق • كانت أوتيلي ، ترميني بنظرات مستلطفة ، أليمة ، ففهمت وصمت •

لعبنا حوالي ساعة ، خسرت أكثر من ستين كرويتزر • رجع المالك الى بيته بصحبة أوتيلي أن رطوبة الليل « تضر بحلقه » كما يبدو • وعاد بروفازنيك الى بيته أيضاً • وجاءت خادمـة الرسام بالعشاء الى الاسرة • فطلبت منها ، ان تاتيني أيضاً بما أتعشى مع الجعة •

فاكلت والرسام يسري عني • شكا لي عدم تقدير مواهبه حق قدرها • وكان قد طرد من الأكاديمية ، قبل انجاز دراسته ؛ لأنه كان أوسع اطلاعاً من الاساتذة •

★ ★ ★

عدت الى البيت والصداع يؤلمني •

★ ★ ★

لن أدع النافذة مفتوحة ، بعد الآن ، ليلا ، حتى ولو كان الحر شديداً ! عند الرسام ، قامت ضجة ، بعد منتصف الليل بساعتين أرسلت السيدة أوغستا صوتها الحاد ، وكان صوتهاخليقا بأن يقطع قرمة • وقد فهمت جوهر الخصام • فالرسام عاد الى بيته فاقد الوعي • كان رغم هذا ، يشعر بما هو فيه من السكر ، وكان يحاذر ان يكسر شيئاً في الغرفة • فما كاد يلج الغرفة ، حتى استند الى الباب مرتقباً بزوغ الفجر • وقد نام ، طبعاً ، وهو واقف ، فهوى على الارض في صخب• بهذه المناسبة ، ادركت تماماً ، السبب في انقطاعي عـن سماع العندليب • فهو يبـدأ سهراته الموسيقية ، في ساعة متاخرة بعد منتصف الليل ، ربما بعد رجوعه من المقهى •

★ ★ ★

لمحت المالك وابنته في الحديقة • كنت أتوق الى رؤية المالك ، في وقت ، يتمتع فيـه بكامل ذاكرته ، فنزلت • كان هناك لسوء الحظ ، بروفازنيك ، وكنت لم ألمحه من النافذة •

كان المالك يعزف على سنطيره • ـ مهلاً ، يادكتور كروملوفسكي ، ساعزف لك أحد مؤلفاتي القديمة ، وهي أغنية مؤثرة ، دون كلمات • عزفأغنية•لا بأس بها ، حسبقدرتي على فهم الموسيقا، ورغم انـه ، كان يعزف على آلة سيئة ، فقد كان يعزف بمهارة واحساس • صفقت له • كيف وجدتها ياسيد بروفازنيك ؟ ـ أنا ، من جهتي ، أفضل مارتا ، بيد أن معزوفتك ممتعة ، في وسعك، أن تلقي بها ، وأنت مطمئن ، على كومة من الزبل • اسمع ، لو كنت تستطيع أن تؤلف قطعةحسنة، قطعة فعالة ، لابادة البق ، لظللت أنشدها ، كل الوقت ، لكثرة ما أعاني منه • وأدار ظهره ساخراً • فاشار الي المالك كي يفهمني ، أن في رأس بروفازنيك ، ما لايسير سيره الطبيعي • وفي الوقت نفسه .أكب علي بروفازنيك ، وهمس : ـ اني مستعد أن أدفع الكثير ، ان تمكنت ، ذات يوم ، من رؤية ما في رأس أحد الموسيقيين • ان هذه الرموز الموسيقية ، مضحكة ، دون ريب ! فكان دماغهم يزخر بالديدان ! وفطن المالك الى أن الحديث يدور حولـه ، فغمغم : « لا يندفع اللوح الخشبي كما يندفع عود من الثقاب » أحببت أن أرد الامور الى نصابها فسالت بصوت مرتفع: ـ وأنت ، ياسيد بروفازنيك ، أما أحببت الموسيقا في يوم من الايام ؟ ـأنا ؟ كيف لا ؟ صرفت ثلاث سنوات على الكمان ، ثم على المزمار ثم على الغناء ، يبلغ المجموع تسع سنوات ، صرفتها عـلى الموسيقا ••• مع ذلك ، فلا أفهم أسرار الموسيقا •

فالتفت نحو الصبية وسالتها في ادب ، كيف كان نومها • ـ حسن ، الا أني ، عندما افقت هذا الصباح ، شعرت بشيء من الكآبة ، فلم أفقه السبب ، فانخرطت في البكاء ••• ـ حتماً ، لا ريب ان هناك سبباً ما : ـ سيدة عاقلة ••• ـ أتحسبني عاقلة ؟ بابا ، الدكتور ، يخالني عاقلة ! وراحت تضحك حتى سالت دموعها • ورحت ، أبين لها ، أن الدموع ، تظل تجري مـع مجرى الحياة ، الا اننا لا نشعر بها • كنت قانعاً ، ان بمقدوري أن اظل اتحدث عن أمور ، بالغة

الخطورة ، ولكني ما كدت أبلغ منتصف حديثي تقريبا ، وكنت اتكلم عن لمعان العين البشرية ، حتى وقف المالك ، بغتة ، وقال : ـ اوتيلي ، فلنعد ، ينبغي أن تراقبي طعام الغداء ! وانصرفا ، وقد خلفاني بين براثن بروفازنيك ٠

شعرت بشيء من الانزعاج أمام هذا الانسان الفريد من نوعه ٠ كان يرنو الي مكشراً تكشيرة خاصة ، مما زاد في شعوري بالانزعاج ٠ لم أكن ، مع هذا ، راغبا في الفرار ، فعقدت معه أطراف الحديث ٠ قلت : ـ مهما كانت الامــور ، فالمالك موسيقي ممتع ٠ ـ اجل ، اجل ، انه يجيد ولا سيما ما ٠٠٠ كيف يدعى هذا ؟٠٠٠ حين يعزف اللحن ذاته على بضعة مزامير ! ٠ ـ في علم الآلات ؟ ـ نعم ، مع ذلك ، ما وجه الصعوبة في ذلك ! ان ارغنا صغيراً ، متنقلا وكلباً يلعب وينبح بجانبه ، هو جميل كذلك ٠ فلم أتمالك نفسي من الضحك ٠ نظر الي بروفازنيك وقال لي : ـ دكتور ، أنت اليوم ، على غير مايرام ! ـ أنا ؟ تساءلت ٠٠٠ بيد ان بروفازنيك مر بيده على جبهته ، كانما هو يربط ما انقطع من حبل أفكاره ، وبدأ بصوت أجش ، بطيء ، وبالغ في الجد :

ـ أنت انسان ذكي ولا أريد أن أعاملك ، معاملة الاغبياء ! انت تعلم اني أكن لسائر البشر كراهية وحشية ، فلشد ما الحقوا بي من أذى ، من أذى بالغ في حياتي ، مضت سنوات كثيرة ، وأنا التزم منزلي ٠ ومنذ أن بدأ رأسي يشتعل شيباً ، بدأت أعتزل النزهات ٠ فان من تحادثه ، كائناً من كان ، لا يلبث أن يبادرك بدهشة فائقة : ولكن ، اسمع ، اقسم بشرفي ان الشيب تمشى في شعرك ! يا للأغبياء ! أليس كذلك ؟ والآن ، ها أنا أشيب الشعر كفارة ٠ الا اني عثرت على خدعة ٠٠٠ وراح بروفازنيك يبتسم لفرط سعادته ٠ اني أعاجلهم ، قبل أن أدع لهم مجالا ، ليفتحوا فاهم ، فاقول لهم وأنا اتصنع الذعر :

ـ والله العظيم ، لا ادري مابك ، فصحتك لا تبشر بخير ٠ أوه ، ما أحسن ما أجيد التصرف كي أروعهم ! كانت ملهاتي الوحيدة ، خلال سنوات ، تنحصر في تسجيل كل ما كنت أسمع عن هؤلاء وأولئك ، وفي حفظ وثائقي جاهزة ومرتبة حسب الحروف الابجدية ترتيباً دقيقا ٠ زرني ، ذات يوم ، لأريك سجلا حافلا لسكان مالا سترانا ٠ وحين أعياني الجنس البشري واخرجني عن طوري ، اخرجت المغلفات ، الواحد ، تلو الآخر ، وشرعت في كتابة رسائل ، غفلا من التوقيع ٠٠٠ لا جدال في أن الناس ، جُنّ جنونهم وهم يطالعون كل ما استطاع مجهول ، أن يكتب عن حياتهم ، وما من أحد ، ما من أحد تمكن حتى الآن من الكشف عني ! اني ، لك ، وحدك ، ابوح بهذا السر ، وعلى كل حال ، فقد اقلعت عن هذه اللعبة التافهة ٠ لم أعد أرغب إلا في كتابة رسالة واحدة ، فوجود هذين الزوجين السعيدين بجانبي ، يمضني ويحز في نفسي ، فلا مفر من عمل شيء ما ، ولكن ، لست أدري ، ما يجب عمله ، حتى الآن ، لسوء الحظ ٠

كنت ارتجف ٠ وكان بروفازنيك ، يتابع باندفاع ، ويتكلم بسرعة زائدة :

ـ نعم ، كنت رجلا ! وقد اغويت نساء كثيرات وانا في ريعان الشباب ! لا تخف ، لن أسعى الى أغوائك : النساء المتزوجات ، اني مرتاح الضمير من جهتهن ، فما كنت أستهدف الا العازبات حين كنت طالبا ، في الصفوف العليا ، كنت أسجل عندي ، ما أجد على لوحات مدارس البنات من أسماء اللواتي كن أسوأهن عملا ؛ لأن هؤلاء هن أكثرهن تفرغا • كنت اهتم بسائر ما يقع بين الطلاب من غرام ، فما أن ينشب نزاع بين فتى وفتاة ، حتى أكون ماثلا • وما أن تحتد معلمة حتى تقع غنيمة باردة •

فانتفضت قافزاً • لم يعد في وسعي أن أصبر على هذا •

ـ معذرة ، يجب أن أدخل ••• وانصرفت مهرولاً • سمعت من خلفي غمغمة رنانة ، حادة • أتراه ، خالني مجنونا ؟

★ ★ ★

حين أهبط الآن لتناول الغداء ، تقوم مؤجرتي بتنظيف مسكني • لم أعد أراها الا لماما ، اذا ما مررت بالمطبخ • هذا لحسن حظي !

★ ★ ★

جلبة في بيت الرسام ، بعد ظهر هذا اليوم • تاديب مريع ، نزل بجوزيف ، وسببه الاثنا عشر كرويتزر ، التي أعطيته إياها البارحة • فقد أعيد جوزيف الى بيته ، بصحبة مفوض الشرطة ، الذي كان يمسك به من يده • كان جوزيف ، قد عرض على المفوض أجراً ، ليمتطي ظهره كالحصان ، في الشارع ، أمام البيت تماما •

لقد ظهر أن جوزيف ، كان قد دعا مارنكا الصغيرة ، ابنة سامبر ، كي تنعم بمشاهدته • وبالتالي ، كان يهيىء عرضة رسمياً • لعلها قصة الحب الاول ؟ هذا ممكن ؛ فمن جهتي ، كنت قد عشقت أول ما عشقت وأنا في الثالثة من العمر ، كان الضرب جزائي ؛ الا أن جوزيف يضرب ضرباً كثيراً وشديداً •

★ ★ ★

في المساء ، المقهى • نفس الناس ونفس الاماكن • أولا : ساهم الجميع في تبادل الآراء حول المسرح التشيكي • زعم الملازم السمين ، انه كان ، مرة في المسرح التشيكي ، فاعجب بالقاعة • وكانت تمثل في ذلك الحين ، مسرحية ، يعرف اسمها بالالمانية ، ولايعرفه بالتشيكية • تساءل عن الأسم • فلم يعرفه أحد • أخيراً ، اكد الملازم بثقة ، اسم المسرحية ، بالتشيكية • يا للمهذار !

ظل الحديث يدور حول المسرح ، ثم طرح على بساط البحث ، الفرق بين مسرحية هزلية ومسرحية جدية • عاد الملازم ، ليؤكد من جديد ، بثقة بالغة ، ان كل مسرحية جدية ، يجب أن تتألف من خمسة فصول • ذلك هو مثل النظام الذي يقضي بوجوب وجود مستودع لأربع فرق ميدان •

بعد ذلك ، استعاد الحديث مجراه المألوف ، كلمة ، كلمة تقريباً ، شأنه في الليلة الفائتة • تكلم كليكس عن الكسرات التي يخرجها المعلم من جيبه ليقدمها للناس ، وتكلم عن الشرطيين اللذين يسوقان المعلم ، مرة في السنة كي يستحم ، وعن الدجاجة المطبوخة الخارجة من البيضة المسلوقة • أما المعلم ، فتكلم ، من جهته عن قالب الاقراص • وكل نكتة ، كانت تقابل بنفس قهقهة الليلة الفائتة •

من جديد ، نظرت الي الفتاة ، ذات الرأس الشبيه بالقارورة • التهمتني بنظراتها ، كما الشمس تلتهم الماء • من جديد ، جاء البائع المتجول ، المهزول ، القذر وغير الحليق • فما قال شيئاً ولا باع شيئاً ، وانصرف • ان هذا النموذج من الناس ، أتمنى ، لفرط ماهو مضحك ، أن أدعه يموت جوعاً ، لا لشيء ، الا لأني أود أن أسري عن نفسي • فلعله قطـع على نفسه عهـداً ، بالدخول دوماً ؛ بهذه القذارة ، الى الحانات ذاتها ، دون أن يقول شيئاً أو يبيع شيئاً •

بعد ذلك ، في وسط الانتباه الشامل ، يقبض شارلو على برغوث • ويصفقون للوفلر ، فتطن الذبابة ، ويصوت المصران المقلي • أظن أني أنجزت عرض كل برنامج المحل •

رغم هذا ، فقد طـرأ شيء جديد • ذلك أن شارلو نادى لوفلر : ـ ما رأيـك لو نقلـد الخنانيص[1] ؟ تصفيق • قام الاثنان بتقليد الخنانيص • فوضع الاثنان قبضتيهما تحت غطاء الطاولة ، وهما متقابلان ، وأخذا يحركانها كثيراً على نحو متقن ، حتى ليخيل الى المرء ، أن ثمة خنازير حقاً ، في كيس واحد ، وأخـذا في الوقت نفسه ، ينخران بطريقة ، جد طبيعية ، حتى صار المشهد تاماً • كنت لا أبصر الا وجه شارلو • وكان في تقليد الخنوص سعيداً ، حتى كانت عيناه تلتمعان من البهجة •

★ ★ ★

أعتقد ، أني ما درست اليوم ، كما ينبغي •

في هذه الليلة ، ثارت عاصفة رهيبة ، وفي الصباح ، كان الجو عبقاً بالشذى • فهبطت الى الحديقة ، بكتابي ، ولم يكن فيها أحد •

رغم ذلك ، كان فيها انسان • ولم يكن هذا سوى جوزيف • سالقيه خارجاً ، ويقضى الأمر ،

(١) الخنوص : الخنزير الصغير •

على أكمل وجه • ارايت ، ياجوزيف ، فقدت الاثني عشر كرويتزر ، التي كانت معك • قلت لـه ذلك ، وملست شعره • فرنا الي الصغير ثم ضحك ضحكة ماكرة •

ـ كلا ، استرجعتها من والدي ! ـ آه ، جيد جداً ، وماذا تنوي أن تفعل بها ؟ ـ انا أعرف، ولكن ، الا تحكي لأحد ؟ ـ أنت تعرف اني لا أحكي لأحد •

ـ وعدني فريديريك الصغير ، أن يطلعني على أرقام النمر الرابحة ، عند سحب اليانصيب •

ـ ومن هو فريديريك الصغير ؟ ـ هو ابن المرأة ، التي تسحب دائما في اليانصيب • رجوته كثيراً ، ثم وعدته بستة كرويتزر ، وسيقول لي ، الآن ، الارقام التي سترتبح • يا للسذاجةالطفلية اللذيذة! وما تنوي أن تصنع ، بهذا المال كله ، بعد أن تربح ؟ ـ أوه ، لن افعل شيئاً عظيماً ، سأبتاع لأبي جعة ، وأبتاع لأمي ثوباً مزيناً بخيوط ذهبية ، ولك أيضاً ، سأبتاع شيئاً ما • ان جوزيف ولد ، طيب القلب •

★ ★ ★

جوزيف ولد ماكر ! واني لأتميز غيظاً • حين أخذ الحر يشتد ، رجعت الى غرفتي • كنت أشعر اني على أحسن حال ••• آه ، يا للماكر ! فقـد جلست ، وفيما أنا أستعرض في ذهني ، كـل مادرسته ، تحت في الحديقة ، أخذت أتطلع الى غرفتي بصورة آلية • على حين غرة ، استقر نظري على لوحتي التي هي من رسم نافراتيل : البحر في وهج الشمس • فما بقي من وهج الشمس شيء : لا شيء ، سوى غيوم وسماء داكنة ! اقتربت فاذا باللوحة مغطاة بكتل من الطين ، واذا بالجدار ، فيما حولها ، شبيه بها • مما لا جدال فيه ، ان جوزيف ، كان قد قذف الطين ، في أنبوب من خشب!

فحملت اللوحة وقصدت الى الرسام ، اشكو له • غضب الرسام • وعوقب جوزيف بالضرب ، دون شفقة ، أمـــام عيني • كنت أرنـو الى هـذا المشهد بتلذذ يبـدو أن الرســام سيعمد الى اصلاح اللوحة •

★ ★ ★

لا مناص من القضاء على هذا الكسل ! فالكسل وحده ، هو الذي حدا بي الى طلب قهوة ، من المقهى بعد الغداء ، وذلك ، كي أجنب نفسي عناء القيام بصنعها ، أما الآن ، فيجب علي أن أهيىء بنفسي قهوة جديدة ، لأتخلص من طعم الاولى •

★ ★ ★

عدت اليوم من جديد ، الى العمل ، بشكل رديء • سمعت صليل سيف ، في المطبخ • ترى ، أيحق لمراقبي الخطوط الحديدية ، أن يحملوا سيفا ؟

★ ★ ★

دعيت لأسال ، ان كنت ، لا أنوي النزول الى الحديقة ، في هذا اليوم ، اذ يبدو انهم يريدون، من جديد ، أن يلعبوا لعبة الستة •

فلم أجب • ولن أذهب • سمعتهم يتناقشون في الأسفل ، انهم يتساءلون ان كنت في غرفتي • فالرسام يؤكد ، أني فيها ـ انتظروا ، ساغني اغنيـة ، لأخرجه ، بهذا وعدهم بروفازنيك • ثم وقف تحت نافذتي المطلة على الحديقة ، وراح ينشد بصوت كئيب :

« أنت تتساءل لماذا
لا أضع في قربتي لبنا ،
مهلاً ، ساخبرك لماذا
ساخبرك ، على الفور ••• »

وأغرق في ضحك خانق وأصاخ بسمعه • ثم قرر : ـ ليس هنا ، لو كان هنا ، لسحبه صوتي، كما تَسحَب السدادة من القارورة •

★ ★ ★

الا أني ، لم أتمالك نفسي طويلا ، بل نزلت عقب ذلك بقليل •

كان الحديث عن العاصفة • أكدت لنا زوجة الرسام ، عشر مرات متعاقبة وبرصانة فائقة ، ان ليس من يصدق ، كيف خافت من العاصفة • وأيد الرسام ذلك بقوله : ـ امرأتي ، تخاف العاصفة خوفة جنونيا • فتحتم علي ، هذه الليلة ، أن أوقظ الخادمة في المطبخ ؛ كان من الواجب عليها ، أن تنهض وأن تجثو على ركبتيها وتصلي • نعم ، والا فلأي شيء ، نحن نستخدمها ؟ بيد أن الشقية غفت ! فطردتها هذا الصباح • وقال بروفازنيك ، ان تلاوة صلاة ، قد يكون أحياناً ، عسيراً • أنا لا أعرف من الصلوات ، الا عشرا ، ولكن ، كلما شرعت ، في تلاوة احداها ، أخطيء ، فاعيدها من أولها • وزعمت زوجة الرسام ، أنها تعلم كلما هبت الريح ، ان هناك شخصا سيشنق! وحدث في هذا الصباح ، أن بائع الحليب ، أكد لها ، أن أحد المتقاعدين ، من مدينة (هزيفدا) ، قد شنق نفسه • ـ هذا منتحر آخر ! واذا بروفازنيك ، الذي لم يكن منتبها الى الحديث ، يسال : هذا المنتحر ، تراه من قتل من الناس ؟ قولوا لي ذلك ، وأنا أعرف عندئذ من هو المنتحر !

فسالت ابنة المالك ، ان كانت هي أيضاً ، تخاف العاصفة • ـ أنا لـم أدر حتى بوجود عاصفة ، كنت نائمة • كان لرنة ضحكتها ، وقع عذب على أذني • كانت الفتاة تقوم بتنظيف قفص كبير ، طلي حديثا • كان هذا القفص على شكل حصن قديم ، له جسر قلاب وابراج وشقوق مستطيلة• هل أرى أن هذا القفص يصلح للكنار ؟ فاجبتها انه يصلح دون ريب • واندفعت اقارن بين الكناري وقصور القرون الوسطى ، الخ ••• كان ذلك في منتهى السخافة ! ان الله وحده عليم ، كيف يحدث

هذا ، لأن الحديث مع الآخرين ومع النساء الذكيات ، لعبة صبيانية بالنسبة الي ، اما هنا ، مع هذه الصبية البسيطة ، فلم أعد أصلح لاي حديث • ترى ، كم تبلغ من العمر ؟ حين تضحك ، تبدو في التاسعة عشرة ، أما حين تتسم هيئتها بالجد ، فتبدو كأنها في الثلاثين ••• لقد حرت في معرفة الحقيقة !

كان بروفازنيك الى جانبي ، يحاول أن يبرهن للرسام ، أنه اذا ما رسم وجهاً ، فينبغي له ، أن يسعى الى ايجاد بعض الشبه ، على الاقل ، فهذا ، حسب رأيه ، ضمن الموضوع أيضاً • يبدو أن الجمهور لا يدرك الفن الحقيقي وانه يطالب بهذه السخافات • فالوجوه ، في (فيينا) ، ترسم الآن ، كما يبدو على اسطوانة ؛ وهذا ما يعتبر نجاحاً فائقاً ، فاللوحة تخربش في ربع ساعة • أخذ الرسام ينقر على ظهر بروفازنيك فصمت هذا •

جاء المالك ووزع قصاصات من الورق • انه يحاول أن يتكلم بصوت ضعيف • وبعد برهة ، جرني بروفازنيك الى ناحية منعزلة • وقال ان لا أحد يعمل شيئاً لصالح شعب براغ المسكين ، لاشيء البتة • يظهر انهم يقضون وقتهم في ترديد أقوالهم ؛ هذا الشعب المسكين ! ليس له عمل ! رغم ذلك لا يعملون لصالحه شيئاً • أما هو بروفازنيك ، فيبدو انه يحسن تدبير الأمور • هو مثلا ، تراوده فكرة ، فلا يدعي انها فكرة رائعة ، ولكنه ، يستطيع ، على الاقل ، أن ياخذ بنصرة كثير من المساكين ، مع أن تحقيق فكرته ، لا يتطلب مالا كثيراً ، ويكفي أن تركز على عربة تجر بالايدي مرجلا صغيراً ، يتصاعد منه البخار بصورة مستمرة • بهذه الوسيلة يتم التنقل من بيت الى بيت ، لتنظيف مجاري الفلاحين ، بواسطة البخار ، ولو أحصينا عدد المدخنين ، في براغ ، لأدركنا مقدار الربح الأكيد • فما رأيي ، بهذه الفكرة ؟ لم أستطع الا الاعجاب بها •

لعبة الستة مرة أخرى • انقسمنا الى فريقين ، شأننا في الليلـة البارحة ، حسب العادة ، كما يبدو • وتم كل شيء ، كما في الامس ، ولكنني خسرت اليوم • سبعين كرويتزر • وفي نهاية اللعبة ، عاد المالك الى عياطه • '

ابتعد المالك وابنته واتخذ الرسام وزوجة الرسام مظهر التفكير • ـ غـداً ، يوم الأحد ، قال الرسام أخيراً ، حسناً ، ألا تدرين ؟ ستشترين أوزة !

★ ★ ★

كليكس يتحرق غضباً • هو عضو في هيئة فرسان مدينة براغ ؛ اليوم ،توفي قائدهم ؛ فعقدوا أجتماعاً ، للتداول بشأن الدفن : اقترح كليكس ارسال برقية الى (فيينا) يلتمس فيها : ترقية المتوفى الى رتبة عقيد بعد الوفاة ، ليصبح في مقدورهم ، اذ ذاك ، أن يقيموا مأتماً ، أجمل بكثير•

وحدث ان كان هناك ، في الاجتماع ، من هو أخبث منه ، فاجهض الفكرة وسفهها ، وكليكس يتميز الآن غيظاً ، الى ان لزم الصمت أخيرا ·

ظل النقاش حول الموت سجالا · البقال في الساحة فقد أحد ذويه · من هذا ؟ ـ هو أبوه ، لا أكثر ، ولكنه لشدة كبره في السن ، كان يخجل من نفسه · هذا ما قاله صاحب المقهى · فسأله سائل : ـ من أي شيء مات ؟ ـ مات من مرض السل ، كما مات أبوه من قبل · يبدو ان نهايـة بعض الأسر مكتوبة سلفاً ·

البائع المتجول ··· أنا واثق ان هذا المخلوق ثابت على عهده ·

★ ★ ★

حقاً ، ان هذه الحال ، لا يمكن أن تظل على هذا المنوال · أهذه دراسة ؟ اني أتقدم كالحلزون، وفكري شارد ، تائه · ما من أحد يزعجني ، وان زعمت ذلك ، فهو محض كذب ولكني مشتت الفكر· ففي مخيلتي ، أناس يروحون ويغدون ، انهم جيراني ، واني لأراهم فجاة يتجمهرون كلهم معاً ، واذا بأحدهم تارة ، وبالآخر طوراً ، ينفصل عن الجمهرة ، فيتقلب تحت نظري ثم يتحدث ويكشر على طريقته · يجب أن تتبدل الحال ، حقاً ! انني ما انتقلت الى مالا ستراناً ، لأنخرط بين هؤلاء الناس·

★ ★ ★

الساعة الحادية عشرة · سمعت صليل سيف في المطبخ ؛ هذا العسكري ، لا بد أن يكون أحد أقرباء مؤجرتي · لعله فارس ·

★ ★ ★

عويل وصرخات حادة ، ترسلها زوجة الرسام ؛ صرخات أليمة وتنهدات ونباح كلب الرسام · فهمت أن الكلب قد اقترف اثماً رهيباً : فقد التهم حافظة نقود زوجة الرسام ، بكل مافيها من ذكريات عائلية : شعرات المرحوم ، والد السيدة أوغستا ، وصك الزواج والله أعلم بما فيها أيضاً·

★ ★ ★

ساد بيت الرسام هدوء نسبي ، دام نصف ساعة ، ثم عادت الضوضاء من جديد ، لعل الرسام عائد من الحانة · سمعته يتكلم بصوت قوي ، ويقذف الشتائم ، وأخيراً ، راح يزأر ، فتدوي البناية كلها بصيحاته : ـ قلت لك ، ياشقية ان كبد الأوزة ، هو حق شرعي لرب الأسرة ! الناس كلهم يقرون بذلك ، أيتها القبيحة ! خرج الرسام عن طوره ، فجاء الى النافذة · فطويت جسمي بشدة ، لأختبيء تحت طرف النافذة · بعد فترة ، سمعت : ـ ياسيد سامبر ، أمصيب أنا أم لا ، أليست

كبد الاوزة ، حقا شرعيا لرب الأسرة ؟ لم أسمع صوت سامبر ، فعاد الرسام الى صياحه ، مرة أخرى • ـ حسنا ، أنت ترى •••

ان زوجته اقدمت على طبخ الكبد وازدرادها ، كي تفرج عن نفسها وتسلو فقد ذكرياتها العائليـــة •

ظلت الجلبة والمخاصمة قائمتين على قدم وساق ، قبالتي • بيد أن صوت الرسام ، ما لبث أن انفصل عن هذه المعمعة : ـ وورقتا العشرة فلوران ، هل ابتلعهما أيضا ؟ فماذا ناكل الآن ؟

★ ★ ★

ان بعد الظهر في هذا اليوم رائع وهادىء • هدوء كنسي يرتع فيه المرء بنعمة الراحة • لم أستطع تمالك نفسي ، فنزلت الى الحديقة ؛ انها مقفرة ، يرين عليها سكون ممتع • اخذت أروح وأغدو ، كما أشاء ، أقف عند كل عوسجة وعند كل نبتة ، وبدا لي كل شيء متوجا بغبار طلعرباني • أحسست ، على حين غرة ، سعادة غامرة ، ومسرة فائقة ، وددت لو اقفز كطفل ، لو لم أكن معرضا للانظار من النوافذ ، فالنسيم رخي ، مع هذا ، في وسع المرء ، أن يسمع ، كما لو كان ، ثمة ، عالم قصي ، جد قصي ، مفعم بهمس سحري • ولجت احدى العرائش ، وأخذتأقفز••• ما أكثر ما أشعر براحة !••• نعم !•

مضيت من عريش الى آخر • رنوت وفكرت ••• تصورت هنا ، أسرة وهناك أسرة أخرى ، وجميع أعضاء هذه الأسر ، بكل مزاياهم وكل نقائصهم ••• فعمرت وجهي ابتسامة مشرقة ، اني لسعيد جـــدا •

السنطير ! هذا السنطير العجوز ، ذو الصوت الخاثر ، العتيق • ما أكثر ما تستطيع هـــذه الآلة ، أن تروي ! بقربها ، كم من ضحكات جلجلت ، وكم من آهات نفثت بقربها ، كم من مرة ، سبح الفكر في عوالم من السحر الحلال !

جلست أمام السنطير وفتحته • خمسة أوتار ! يا للسنطير المسكين ! حينكنت أعزف عـــلى البيانو ••• آه ، ما أكثر ، ما تقادم العهد ! كنت لا أتوق الى الدراسة ، وكان أستاذي مهملا ، لا يداوم بانتظام ، الا في أول كل شهر ••• آه ، يالعهد الشباب ، ذلك العهد الذهبي ! ورحت أتيه في عالم الاحلام •

لا بد لي من تذكر شيء ما ••• بعض الالحان ، على الاقل ••• دو ••• مي ••• لا ••• لا بأس ! لا ••• ري ••• فا •••

ـ ولكن الدكتور يعزف على البيانو ••• حسن هذا ! فجاة ، سمعت صوت الرسام • فتنبهت

مرتعشا ••• احسست أن كـل رواد حدائق بلادي واقفون ورائي • فاقشعر بـدني ، ولبثت في مكاني مصعوقا •

ـ أعزف لنا شيئاً ، يادكتور ، أرجوك ، قالت الآنسة أوتيلي مغردة •

ـ ولكني لا أجيد شيئاً ، يا آنسة ، حقاً ، لا أجيد شيئاً ، البتة ! في حياتي ، كلهـا ، ما مددت يدي الى البيانو ••• عزفت على الكمان ، هذا صحيح •••

ـ ولكن هذا ، هو أكثر امتاعاً ، لقد سمعت ايقاعات صافية ••• انك تستطيع ، صدقني ، ارجوك • وعقدت أصابعها في وقفة توسل • في هذه اللحظة ، كانت تبدو في التاسعةعشرةمن العمر•

الشيطان يعلم لماذا أهرب من السنطير ، بكل ما أملك من قوة ! فالانسان مخلوق مزهو بنفسه، وهذا مايجعله مضحكاً • ـ حقاً ، لا افقه شيئاً ، يا آنسة ، واني لمقنعك باني لا افقه شيئاً ، على أن لا تهزئي بي ؟ تذكرت اني كنت أعرف ، فيما سلف من الزمن ، نشيد (نورما) ، ولقد عزفته، منذ سنوات خلت ، كنت اجيده ، فلا بد لي اذن ، من معرفة نشيد (نورما) ! فاللحن الاول ، كان هو نفسه على الكمان وعلى السنطير معاً • سي سول مي ••• اللحن الاول فقط ، فوضعتأصابعي على سي سول مي وبدأت • ما أن وصلت الى الايقاع العاشر ، حتى عجزت عن المتابعة •

ـ حقاً انك لاتفقه شيئاً • قال بروفازنيك بصوت أجش •

ـ كانما هو ينشر خشبة • غمغم المالك • فاحسست عرق الخجل يسيل علي •

ـ ولكنه بديع • قالت ابنة المالك ، بصوت ينم عن تاثر محموم • ـ الدكتور لم يعزف أبداً على البيانو ، ورغم ذلك ، استطاع أن يعزف ••• فالدكتور ، لابـد انه يتمتع بميـل عجيب الى الموسيقا • كان بودي لو اضمها بين ذراعي ، فهي ذات قلب طيب جداً ! ـ منذ زمن طويل وانا أعرف أن الدكتور ، يتمتع بموهبة بارزة • فهو يجيد الصفير ••• دكتور ، لقد صفرت الترافياتا ، هذا الصباح ، ولقد سمعتك تصفر •

ما مـن شيء يفوتها ! يا للفضول النسائي ! عـلى أن لا تكون ••• كلا ، لا أصدق ••• يا يسوع بن مريم !

ولكن •• بالضبط ، لماذا اقول ، يا يسوع بن مريم ؟ فانا لا ادعي ،اني راغب فيها ، الا أن المصيبة ، أن تكون بالضبط •••

ـ مهلا ، ساعزف لكم من مقطوعاتي ، انشودة دون كلمات ، قال المالك متدخلا ، وهو يجلس أمام السنطير •••

وعزف • ماهي الا لحظات ، حتى توقف ، ولم يتمكن من المتابعة هو ايضاً ••• دائماً ، ابتداء من الظهر ! مع ذلك ، صفقت له • أما بروفازنيك ، فقد كشر : ـ انها ، رغم كل شيء أنشودة حلوة ! تصلح تماماً لمن يشاء أن يتسول !

اقبلت زوجة الرسام • كانت قد انصرفت ، لتبحث عن جوزيف ، وما لبثت ان عثرت عليه ، في حديقة مطعم مجاور ، قرب ملعب الاساطين ؛ وكان قد وهب الولد ، الذي يقوم بجمع الأساطين كرويتزرين ، كي يمنحه الولد حق الصياح ، معلناً عن عدد الأساطين التي تنقلب ، في كل مرة • كان جوزيف ، في هذه الاثناء ، يجني ، علناً ، صفعات رنانة ، غزيرة ، ويتلقى فوق ذلك كله ، شتائم أمه • كانت زوجة الرسام لا تستطيع أن تزازي • لقد أعجبت بقدرة الكلب الكلب الوقائية ! ـ والآن ستلزم البيت ، ولن تغادره ، فيد انملة ! اذهب الآن واتتني بالصغيرة • فابتعد جوزيف بفتور •

ما هي الا لحظة حتى دوى في أرجاء البناية كلها ، صراخ ولد • ثم ظهر جوزيف على الدرج يحمل طفلة ••• كان يحملها من رقبتها بيديه الاثنتين ، كما يحمل كلب صغير • لم تعد الطفلة قادرة على الصراخ ، لأن وجهها ، غدا شديد الزرقة • فاندفعت زوجة الرسام وامسكت الطفلة وصفعت جوزيف •

كان الرسام أيضاً ، معكر المزاج ، في هذا اليوم ، أما السبب ، فهو معروف ! لقد قضى الوقت في التذمر ، والتشكي ، من أن فنه ، لا يدر عليه إلا ربحاً ضئيلا • فساله بروفازنيك : ـ اذن لماذا لا تنصرف الى الحفر على الخشب ، أو النحت على الحجارة ! فما زلت شاباً ، وفي مقدورك ان تتعلم•

ـ كيف ، حفار على الخشب ! ولكن الحفارين لا يكسبون ما يسد رمقهم ، في الظروف الراهنة• لم يعد أمامهم ، الا أن يصنعوا سفافيد لشك المصارين المحشوة وعليها شعار أيضا !

ظللت مع ابنة المالك في ناحية منزوية • جلسنا ، تحت عريش ورحنا نثرثر • لقد تبيّن لي ، انني في الواقع ، احتكر الحديث كله • شيء غريب ، فانا اليوم ، اجدني ، متكلماً ، لا ارتبك ، في العثور على ما اتكلم عنه ، بيد اني ، اتكلم دوماً ، تقريباً ، عن نفسي ، عن شخصي ، لا بأس؛ فالمرء يستطيع هكذا ، أن يتكلم بشيء من العمق ، وعن شيء يعرفه•وتبيّن لي أن أوتيلي معجبةبي• فهي ، لا تدع سانحة تمر ، الا وتلفت انظاري الى احدى مواهبي ، أو الى احدى مناقبي • فهي متيقظة الفكر •

يالها من امرأة لطيفة !

★ ★ ★

كان كليكس قد اتصل مساءً بسامبر ، كان يحدثه بلجاجة ملموسة • كان ظاهراً ، ان سامبر يصغي اليه بانتباه لم يتعهد به من قبل • فادركت أن كليكس ، يحاول اقناعه كي يتزوج ، مرة ثانية ، فان لديه خطيبة له • ـ عمرها ستة وعشرون عاما ••• ثروتها ثلاثة آلاف فلوران ••• تتصل باكابر القوم وهي أثيرة لديهم •• فهل يقيض لي أن أحضر عرساً ؟

الملازم نظر الي اليوم نظرات وقحة • التفت عشرين مرة ، على الاقل ، لينظر الي • ترى ماذا يريد مني ؟

★ ★ ★

اني أعمل ولكن بشكل غريب • اني ، منذ الصباح ، أشعر بحافز يحثني على المضي الى الحديقة والجلوس فيها ، وحيداً أو مع الآخرين ، سيّان عندي • ان أفكاري مشتتة ، مثل ••• (لا أعرف ، مرة أخرى ، مثل أي شيء هي مشتتة) •

★ ★ ★

آي ، آي ، آي ••• اليوم ، الرسام حانق من الصباح الباكر ••• يا للضوضاء ! قد اتضح لي أنه ضرب (١) زوجته (٢) جوزيف (٣) الكلب • والكلب مازال ينتحب •

جاء الرسام لمقابلتي ••• هل لدي ورقة جميلة ، ليكتب عليها رسالة • لا مفر من الكتابة الى أخيه ، الكاهن ، وليس لديه في البيت ، ماهو بحاجة اليه • انه لا يحب الكتابة ، كما يبدو ، لا يحبها أبداً ؛ فهناك من الناس ، من يرون في الكتابة ، ضرباً من الموت • أما اذا وجب عليـه ان يكتب ، فانه يريد هدوءاً ، والا ، فلن تاتيه الافكار الصائبة • ـ أما توفير الهدوء عندي ، يادكتور، عندي في هذا الجحيم ! يتحتم علي ، أن أشرع في فرض النظام ••• لقد ضربت الجميع ، وان لم يكفوا ، فوالله لأضربنهم ، مرة أخرى ••• ولقد طردت الخادمة ، لأن لسانها كرحى الطاحون •

هذه هي الخادمة الرابعة ، منذ سكني هنا

أعطيته ورقاً ، فانصرف • وماهي الا لحظات ، حتى أقبل جوزيف مُعولا ، فقد بعث به أبوه ، يسألني ، ان كان عندي ريشة حسنة • فاعطيته ريشة •

الرسام يذرع غرفته جيئة وذهوبا ، اعتقد انه يفكر •

★ ★ ★

كنت عند البقال المجاور • صرت اذا ما احتجتُ الى شيء ما ، أفضل الذهاب بنفسي ، لآتي به • وفيما انا راجع ، صادفت عرضاً ، امام البيت تماماً ، أحد أصدقائي المقربين ، الدكتور جنسن، رئيس أطباء مستشفى المجاذيب • كان يمشي الهوينى ، ويتطلع الى ماحوله ، في الشارع •

ـ دكتور ، ماذا تفعل أنت هنا ؟

ـ اني هنا ، عرضاً ، أتمشى أوثر التمشي في مالا سترانا • وأنت ؟

ـ أنا أقطن هنا الآن • كنت قد انتقلت من مدة غير بعيدة •

ـ وأين ؟

ـ هنا ، أمامك •

ـ حسناً ، أحبُ أن ألقي نظرة على مسكنك ، لو سمحت •

لقد أحببت الدكتور جنسن محبة فائقة ، فهو انسان ذكي ، هادىء ، لطيف • فاعجب بمسكني، تفحص كل شيء ، وأبدى ملاحظاته على كل شيء • طلبت منه أن يجلس ، فأبى ؛ انه يؤثر البقاء واقفاً ، كما يبدو ، وقال ان التطلع من النافذة ، جميل في هذا الوقت • جلس قرب النافذة ، وظهره الى الحديقة ، ووجهه الى مجاز الطابق الاول • في غرفتي مرآة على الجدار ، بجانب النافذة تماماً ، فاتضح لي ، أن الدكتور جنسن ، يديم النظر الى هذه المرآة ••• وتراءى لي ، أن الدكتور، مزهو بعض الزهو بقامته ، رغم كل ما يتسم به من مظاهر الرصانة • سالني كيف جئت الى هنا ، الى مالا سترانا ؟ فاجبته أني جئت آملا أن أشتغل في هدوء ، واضفت أني ضللت السبيل قليلا ، فسكان هذا البيت أقل الناس هدوءاً ! أراد أن يعلم أي نـوع من الناس يسكنون هنا • فبدأت أتحدث عن بروفازنيك • إن بروفازنيك قد يستثير اهتمامه ، مادام مختصاً بالأمور النفسية • فتحدثت عى نحو حي ، ووصفته على شكل مفصل ، ولكني تاكدت أن بروفازنيك • لا يثير اهتمامه • فهو ينظر الى المرآة • وعلى حين غرة ، ارتعش وانحنى الى خارج النافذة • سالني ، ان كانت ابنة المالك، هي ، التي تسير هناك ، في المجاز • فاعترتني الدهشة ، وسالته بدوري ان كان يعرفها • فاجابني انه يعرف هذه الأسرة ، منذ عهد بعيد • فدار على لساني سؤال غريب ، ولكني ترددت ••• لقد جالت بذهني تصرفات المالك الغريبة ، بل المؤثرة أحياناً ، وانتهى بي الأمر ، اخيراً ، ان طرحت سؤالي بصوت عي ، متلعثم • فابتسم الدكتور : ـ كلا ، كلا ! كل مافيه ، انه سوداوي ، غـير أن سوداويته تسبب له عذاباً ممضا • فانا أعرف هؤلاء ، منذ طفولتي تقريباً ، كانت أمي صديقة لهم • الا أن وجه الغرابة ، أن تظل أوتيلي ، غير متزوجة ، حتى الآن ! فهي جميلـة ، لا باس بجمالها ، وهي جد لطيفة ، وقد أنشئت لتكون ربة بيت وهي ذات ثروة • فالأسرة ليست معسرة

وفي حوزتها أموال طائلة • لمن المؤسف أن تظل هذه الفتاة مهملة ، مع أنها نصيب رائع ! ولكنه ما زال ••• ها هو ينحني على النافذة ويبتسم ويلوح بيده •

آه ، انه لم يكن اذن ، يتمشى عرضاً ! فانا الذي صادفته في الوقت الذي يتمناه ! أثار في الدكتور جنسن فجاة ، ضرباً من الاشمئزاز •

واستاذن بعد برهة ، وقد وعدني ، أن يرجع ، اذا ما مر عرضاً ، بقرب مسكني • لا مجال لعودته • أعتقد أني لم أكلف نفسي عناء اجابته اجابة مهذبة •

★ ★ ★

هو عازب مثلي تماماً ! كلا ••• ليس هو مثلي حقاً ••• فانا لا أضمر في مخيلتي أيـــة فكرة ••• ولكن مع ذلك ، بالطبيـع ، اذا ما بدأ محام شاب عمله بقدر من المال ، حسناً ••• ما جدوى كل هذه الافكار الحمقاء ••• والآن !

★ ★ ★

أظن أن نيرودا على حق ، حين يؤكد اننا معشر الرجال ، نغار على سائر النسوة ،حتى اللواتي لا يثرن فينا أي اهتمام •

الرسام قبالتي ، يتمشى في غرفته ، جيئة وذهوبا • لا ريب انه يفكر •

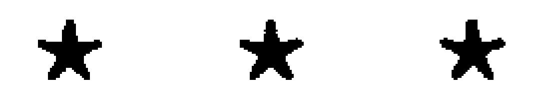
★ ★ ★

حلت بي كارثة أثناء الغداء • ان أسـرة كاملة من الذباب ، كانت تستحم في حسائي • وقد ابتلعتُ الأب والأم وأنا شارد الذهن ؛ أما أجنة الذباب ، فما زالت عائمة ، وهذا ماضقتُ به ذرعا • فانا آكل الذباب ، وجوزيف ياكل الرسائل والكلب ياكل الذكريات العائلية ••• والله أعلم بما ياكل ايضاً كل من يقيم في هذه البناية !

★ ★ ★

أنا أعرف ما هو ! كنتُ عرضاً في النافذة ، حين تناهى الى سمعي ، صليل سيف • انحنيت الى الخارج فابصرت الملازم السمين ، ملازم المقهى ! ذاك هـو الذي ، كنت في مذكراتي ، قـد عاهدتُ نفسي ، على طرده الى الشارع •

أهو أحد أقرباء مؤجرتي ؟



سهرة في الحديقة • أسرّ بروفازنيك في أذني ، بكثير من البهجة ، انه لأول مرة ، يتأكد له ، ان السيدة الصغيرة المجاورة ، ذات عينين حمراوين • ان بروفازنيك ، أثار الآن ، فيّ الاشمئزاز • لقد سأل المالك ان كان ، اليوم ، قد حضر ماتم العقيد في هيئة فرسان مدينة براغ • ـ كلا ! أنا لا أحضر المآتم ••• ما حضرت أي ماتم ، منذ وفاة والدي • فقد أنشِدَت الأناشيد ، أمام النعش وكان المنشدون يخطئون في إنشادهم•كان اللحن خطأ ، خطأً جسيماً ، مازال حتى اليوم ، يلاحقني في كل لحظة من حياتي ! أليس هذا شعرياً ؟

لقد أقبل الرسام • وجهه الدموي اللون ، حافل بكل ما يخلفه التفكير العميق من آثـار • فسالته : ـ هل أنجزت الرسالة ؟ ـ كلا ، لن تنتهي قبل غد • الظروف في بيتي ، لا تساعد على السرعة • فساله بروفانيك • ـ أنت تريد من أخيك ، الكاهن ، أن يبعث اليك ببضع مئات من الفلوران ، أليس كذلك ؟

ـ انك تريد أن تمزح ، بضع مئات من الفلوران ••• ليست هذه الترهة ، هي التي تساعد على التخلص من الضنك في هذه الأيام العصيبة ! فاجاب بروفازنيك وقد تكلف الاستياء ـ آه ، آه ، ما هذا الا لأنكم عديمو التفكير ! أما أنا ، فببضع مئات من الفلوران ، أعرف كيف أعيش ! انها كسب بنظري ! فاستاجر أرضاً قريبة من براغ وأزرعها ••• أتعرف ما أزرعها ؟ لا شيء ، الا شوك الدواب !! واني لأراهن ، أني سأقع على صياد ، يستاجر مني هذا الحقل ، للقبض على الحساسين ، وان لم أجد ، فاني ساصيدها بنفسي •

ـ اياك أن تنسى التصوينة بجدار ! ـ لماذا ؟

ـ بسبب مجاري الهواء ، حتى لا تصاب حساسيتك بالروماتيزم ! لقد أصبـح الرسـام من الظرفاء •

ان المالك اليوم ، كئيب كل الكآبة • فما وزع أوراقاً ، فثمة هموم تنتابه • ليخيل اليـه أنه سيفقد أنفه • اذ أنه طالع مقالا لـ (فوكت) جاء فيه ، ان فقد الأنف يبدأ بزكام • وتذكر انه مصاب بزكام ، منذ بضعة أيام ، وهو الآن « مقتنع ان أحد منخريه بدأ يتصدع » ، ولكن ، ما دام الظهر قد فات ، فلم يعد يدري أية منهما •

كانت أوتيلي تنظر الى أبيها باكتئاب وتكاد تعجز عن امساك عبراتها • عدنا الى الجلوس في ناحية منعزلة ، تحت العريش ورحنا نثرثر • أما اليوم فقد تبدلت الحال • اليوم ، هي التي أمسكت بزمام الحديث ؛ انها تسري عن نفسها ، انها تبث همومها ••• أصغيت اليها وتاثرت بعض التاثر بما سمعت • وشعرت أن مواساتي لها تخفف عنها عبء الهموم •

لقد انصرفوا • وظللت وحيداً ، جالسة في الحديقة • ليس في مقدوري ، أن أمضي اليوم ، الى الحانة ، لا يساورني أي ميل لمجالسة الناس ، فما أنا ، أبداً ، في حالة طبيعية • انه الحنين وفي الوقت نفسه ، ضرب من الرغد •

★ ★ ★

استيقظت باكراً جداً ، أمس واليوم ، ربما كان ذلك ، بسبب من الحرارة • قد يكون هـذا مناسباً للعمل • ولكن ، حتى حين أستيقظ باكراً ، فاني لا أغادر الفراش • اني أشعر بارتياح وأنا متمدد على السرير ، وأفكاري تسبح كما تشاء ، فاذا ما عرضت لي فكرة مجنحة ، محببة ، في بحران هذا التهويم الماتع ، لا ألبث أن أستوقفها ، وأتابع مسيرة أحلامي •

لا أريد أن أكذب : هذه الأفكار ، لا تمتُ الى دروسي ، الا بصلة بعيدة • انني الآن ، أتابع دراسة قانون المناجم ، الذي تتردد عباراته الخارقة ، في كل مكان وفي كل ما أعمل • ان سريري يتحول الى حرز حريز ، استخرج منه أحلاماً ذهبية•فاذا ما رأيتني الى جانب هذه الصغيرة أوتيلي ، فهذه الفكرة ترسم دائرة حولنا •••• انها لطريقة في الذود عن حقي في الحرز •

★ ★ ★

فطنتُ الى أني كتبت : هذه الصغيرة أوتيلي ••• فحذار ، حذار !

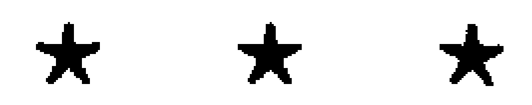
في منزل الرسام ، صمت خارق • انه جالس الى طاولتـه ، ورأسه عـلى يـده ، ينظر الى السقف ويفكر •

★ ★ ★

أزف أوان فترة بعد الظهر ••• ها هو الدكتور جنسن ! انه يستعجل الأمور • لا أخالني جد لطيف معه ، وهذا لديه سيان • بل يخيل الي • انه لا يعيرني أي اهتمام •

ها هو من جديد ، عند النافذة ، أمام المرآة ، ما من مشهد ، أدعى الى الاكتئاب من رؤية رجل أمام مرآة •

لقد أبصر المالك وابنته يعبران الفناء ، ليتجها الى الحديقة ، فكلمهما من النافذة ، كلمهما بمودة فائقة • ان بعض الناس ، يسمحون لأنفسهم باستغلال أواصر قديمة ، لتجاوز جميع الحقوق• فالمالك وابنته دعواه الى الحديقة ، فرماني بنظرة متحدية : سنرى من منا ، نحن الاثنين ••• لا ، لن نرى ، البتـة ، شيئاً ، ما دمتُ لا أريد شيئاً ! أنـا أشعر ، حقاً ، اني لا أريد شيئاً ، لا أريد شيأ بتاتاً !



الحديقة اليوم ، تبدلت تبدلا تاما ، أراني ، وقد أصبحت فيها غريباً جداً • فهواؤها تغير ، وخلتُ الناس تغيروا كذلك ، وان التفكير في الدكتور جنسن ، وحده ، يزعجني • وهو يتحدث عن أشياء ممتعة : وكما يقال ، ان كثيراً من الناس ، تؤهلهم سطحيتهم أن يتحدثوا عن كل شيء ، بطريقة ممتعة • واذا الجميع ، يغدون ، فجاة ، ما عدا بروفازنيك ، واذا هم يصيخون الى جنسن، كانما هو ينطق بما لا يعرفه الا الله • سيان لدي ، ان كنت لا أتكلم بطريقة » ممتعة • » •

بذلت محاولة فاشلة كي آخذ بزمام الحديث • سألت الرسام : ـ أما أنجزت الرسالة ؟ ـ سانجزها غداً ، لا بد من منحها قسطا من الراحة ••• وسرعان ما عاد الى توجيه كلامه الى جنسن :ـ لا ريب أن حياتك مثيرة ، يادكتور؟ ـ كيف ذلك ؟ ـ لا ريب أن المرء يجد متعة بالغة في مستشفى المجانين • رجاءً هـل لك أن تروي لنا بعض ما صادفت من نوادر ! هاأنا من جديد ، منزو وحيد ليت بروفازنيك يقبل • ولكن ما عتمت أن لاحظت أن جنسن قد ارتبـك قليلاً • وهـذا مدعاة سروري • فتفوه ببعض العبارات عن الفارق بين مجنون وسوداوي ، بيد أن هذا لا يثـير اهتمام أحد ، أما ما يريده هؤلاء ، فهو معرفة أي من العظماء يحسب المجانين أنفسهم : فالرجال يظنون أنفسهم أباطرة والنساء مريم العذراء • ان جنسن لا يروي غليلهم ، فهو يتابع تقريره الطبي وينتهي أخيراً الى هذه الفكرة : كل انسان تقريباً ، مريض عقلياً ، بدرجة متفاوتة • هذه الفكرة أثارت الجميع • فالمالك طاطا رأسه في أناة وقال : ـ أكثر الناس ، وهم يتمتعون بصحتهم، لا يقدرون قيمة ما يملكون •

أخـيراً ، استاذن جنسن للانصراف • سيعود قريباً ، كمـا يبدو • فقلت لنفسي : ولكن ، قبل فوات الاوان •

لم يظهر لبروفازنيك أي أثر في هذا اليوم •

بقي الحديث يدور حول جنسن ، ردحا طويلا وطويلا جداً بعد انصرافه • وشوشتني أوتيلي انه يخيفني ! فاجبتها : ـ الرأي الطبيعي ، يكون أحياناً ، ممتعاً جداً •

★ ★ ★

كليكس ، لم يدع أمام سامبر فرصة للراحة • فمد صاحب الحانة رأسه ليسترق السمع عن كثب • فهو يغمغم وينظر الى كليكس ، كانه يود آن يلتهمه •

★ ★ ★

في الساعة التاسعة ، اقبل جنسن • القى نظرة خاطفة على الحديقة وعلى المجاز ، ونظر الى نفسه ، في هذه الفترة ،في المرآة ، ثلاث مرات على الاقل ، وفي كل مرة ، كان يطيل النظر • يريد

أن يعرف ، ان كان ثمة من يهبط الى الحديقة ، في ساعة مبكرة • فاجبته بايجاز : ـ كلا ! سالني أخيراً ، ان كان لا يسبب لي ازعاجا ؟ فاجبته أنني في الواقع ، تاخرت كثيراً عن الانصراف الى الدراسة، على نحو جدي • فارتحل جنسن ، وهو على أكثر تقدير ، منقبض الصدر • هو وشانه

★ ★ ★

حوالي الظهر ، أرسل الرسام يسالني ، ان كان لدي مغلف للرسالة ، فاعيره اياه•انني الآن، أرنو اليـه من النافذة ؛ كانت زوجته وابنـه واقفين بجانب الطاولـة ، ينظران اليه ، وهــو يكتب العنوان •

★ ★ ★

الرسام مقبل مدبر في غرفته ، ممسكاً بيده الرسالة الموضوعة في المغلف ، متوقفاً بين حـين وآخر ، ليتفحص خريدة فكره • انها تشيع في نفسه الكبرياء !

★ ★ ★

كنت بعد الظهر ، أول من قصد الى الحديقة • كان يخيل الي ، ان دهراً ، لابد أن ينصرم قبل وصول الآخرين •

بعد ساعة نزل المالك مع أوتيلي • خضت واياه جدالاً سياسياً • ثم انتهى بسرعة الى هذه النتيجة : « المنوك ، لا يقنعون أبداً بما يملكون » • فوافقته بحرارة • ثـم أدلى ببعض العبارات المعهودة • وكنت ، في كل مرة ، أبدي اعجابي بها • وسرعان ما انشغل بجفنة العنب العذراء ، فرحت أحدث أوتيلي بلهجة ودية • علم الله كيف أفلحت' ، فقد راحت فجاة ، تطري عفتي بحمية فائقة • وظلت تتابع الثناء على « عفتي » فاخذت تمطها وتشدها ، كما يمط الحذاء ويشد الجلد بملاقطه ، حتى يزيد منه ما يكفي لصنع زوج آخر من الأحذية ، لأحد اقربائنا • كيف أتيح لهذه الصبية ، أن تدرس عفتي ؟

الرسام وزوجة الرسام • الرسام بوجهه المطمئن بل الظافر وزوجة الرسام بلسانها القاطع كالسيف • ـ هل أنجزت الرسالة ؟ سالت الرسام فاجاب : ـ أوه ، طبعاً ، كان ذلك كان لعبة صبيانية وكان في وسعه كذلك ، أن يدبج مراسلات كاملة مع أوروبا كلها ، في مدة نصف نهار • ـ كان يجب عليك أن تكتب اليه كلمة عن السيدة فيلهيلموفا ، قالت زوجة الرسام ذلك وهي‌تنفجر ضاحكة • ـ فالكهنة يؤثرون هذه القصص • ما عساه أن يكتب عن مؤجرتي ؟ ـ علي ايضاً ان اكتب رسالة الى أخي المقيم في تارنوف • فنحن معشر الاخوة ، لا نتراسل الا مرتين في السنة ، تلك هي العادة • فلم يصغ اليه أحد ، بيد أن مؤجرتي ظلت مدار البحث • ثم تحدثوا عن الملازم،

يبدو أن مؤجرتي ، تظل دائماً برأسها ، لتطمئن الى قدوم الملازم • كانـوا يروون هذا ، بلهجة غريبة ، ويرنون الي بضحكة صاخبة • واذا ببصيص من النور يخترق دماغي فجاة : أمن أجل هذا كنت ، اذن ، غبياً ؟ فاخذني الغضب وقلت ما لست أذكره بالضبط •

ثم لعبنا ، نحن الثلاثة لعبة الستة • خلال اللعب ، صبرت على جميع ما ارتكبه المالك من أخطاء ، صبر الملائكة ، وأعطيته الحق في كل شيء • مددت رجلي تحت الطاولة ، عن قصد ، قرب رجله ، كي يرفه عن نفسه • فكان يدعس قدمي ، كما تدعس' دواسة الأرغن •

اليوم أيضاً لم يات بروفازنيك •

★ ★ ★

لم يحدث لي أبداً ، مثل هذا الحادث المذهل •

مضيت' لتناول العشاء عند صديقي موروزيك • هو يسكن في أقصى سميشوف ، فركبت' عربة لتوصلني الى بيته • لبثنا في يسر ، نتجاذب أطراف الحديث ، حتى ساعة متاخرة من الليل ، ثم عدت أدراجي أمشي الهوينا • كان الليل ساحراً ، وكانت تعمر رأسي أفكار مجنحة • لـم يكن ثمة حي يرزق ••• وكان حوذي يغلبه النعاس ، يعود بحصانه الهزيل ، المرهق ؛ كان الحصان يجر أرجله جراً ، والعربة تتمايل في بطء مـع زقزقة الحديد ، كان صرير الدواليب المتواتر ، يثير في نفسي شعوراً بالارتياح • ما أن بلغت البنايتين القائمتين قبل بيتي حتى تجاوزتني العربة ، فرأيت الحوذي ينحني فوق مقعده ، قائلا لي : ـ الا تركب ، ياسيدي ؟ تلك كانت عربتي نفسها• كنت قد سهوت عن دفع أجرة الذهاب كما سهوت عن صرفه ولبث الحوذي ينتظرني الليل بطوله • فكنت' مكرهاً على تادية أجرة الانتظار ، لهذا الجرو الأشعر •

اني عاشق ، لا ريب في ذلك !

★ ★ ★

تخيلت هذا الاعلام في الصحف :

« الدكتور كروملوفسكي وخطيبته الكريمة ••• » فبنظر هؤلاء الناس ، ما من خطيبة ، الا وهي كريمة ••• ينبغي أن لا يشك احد بشيء ، رغم أن •••

كل ما بيننا ، يجب أن يكون واضحاً !

★ ★ ★

مشهد طريف • مازلت أنتفض منه ! حتى أصبت' من جرائه بالغثيان •

صليل سيف في الخارج • قرع بابي • ـ ادخل ! واذا بصف ضابط ، بثيابه العسكرية ، يدخل ، ليس هو بالملازم المعهود ، وهذا ما أدهشني فنهضت ورميت القادم بنظرة المستفسر • كان صف الضابط ، يلبس بزته الرسمية الجديدة وعمرته • فحيّاني •

ـ من فضلك ••• الدكتور كروملوفسكي ؟

أجبته بايماءة من رأسي •

ـ جئت' من قبل الملازم ريباكي•وكان ريباكي هو الملازم السمين ، ملازم الحانةوملازم مؤجرتي•

ـ ماذا ترغب ؟

ـ ان الملازم قد اعتبر نفسه مهانا ، بالعبارات التي تفوهت بها البارحة ، خلال حديث ، جرى هنا ، في هذه الحديقة نفسها ، يمس السيدة فيلهيلموفا ، التي يكن لها الملازم ، صديقها ، أسمى آيات الاكبار ، وقد عهد الملازم اليّ ، كي أطلب منك ، ترضية ، على نحو لائق ورسمي •

رفعت' يدي الى جبيني وشخصت' الى صف الضابط بعينين مذو'رتين • فكرت في سهرة الأمس وكنا قد تحدثنا عن أشياء كثيرة وقد تفوهت' أنا كذلك بما لست أدري ، ولكني أتذكره حتى ولو تعرضت حياتي للهلاك •

انتظر صف الضــابط جوابي في هدوء ، فدنوت منــه ، وشعرت أني بـدأت أرتجف • ـ أرجوك ••• قد يكون ثمة خطأ ما ••• فمن ، تراه وشى بي الى الملازم ؟••

ـ لا أدري •••

لعله هذر ؟ هل لمؤجرتي أن تقدم على استراق السمع ، من نافذة غرفتي ؟ ربما مع الملازم ؟

ـ لقد تكلمنا أتذكر ذلك ، كيف ، آترأني ، قلت' شيئا ما ؟ أمـا الملازم ، فلا أعرفـه الا بالنظر •••

ـ هذا كله ، لا يعنيني • فانا ماجئت الا لطلب تسوية

ـ ولكن ما دمت أثبت' لك ؟ فما عسى أن أقول عن الملازم ؟ فاني أكن احتراما فائقا للملازم•••

سبق ان قلت' لك ، اني أنتظر جوابا واضحا •••

ـ حسناً ، اذا كان الملازم ، استناداً الى مالا أدري من الهذر ، رأى أني أهنته ، فبلغه اذن رجائي بقبول اعتذاري •••

ـ هذا لا يكفي •

ـ وماذا يريد اذن ؟ أيريد مني أن أتقدم أمام هؤلاء الناس •••؟

ـ الملازم ريباكي يطلب تسوية بالسلاح • فهتفت : ـ الملازم ريباكي مجنون • فانا ما قاتلت أحداً قبل الآن ، ولن أقاتل أحدا •••

ـسأقوم بابلاغه ماشئت • حياني وصفق الباب •

فليذهب الى الشيطان •

كنت أتميز غيظاً ! مبارزة ، لست أهلاً لأن أمسك سيفا • فانا دكتور في الحقوق ومحام مقبل ! وان المادة ٥٧ من قانون الجزاء ، تعتبر المبارزة من الجرائم وتنص المواد (١٥٨) حتى (١٦٥) على العقوبات وهي صريحة !

انهم مجانين ، فارّون من مأوى المجانين !

★ ★ ★

مضيت لمقابلة مؤجرتي وكنت قد سمعتها ، تروح وتغدو في المطبخ • كنت أهم بأن أوضح لها القضية بطيبة خاطر ، وأن أقول لها ما أقول بطيبة خاطر ، ولكنها قالت لي بهيئة غاضبة ، حاقدة : ـ عد وتسمّن في غرفتك ! وأدارت لي ظهرها وانصرفت الى غرفتها • لا بأس ، اني عائد لأتسمّن في غرفتي ! يالها من عبارة غريبة !

★ ★ ★

اليوم ، لم تعد الحديقة كسالف عهدها في الأيام الماضية • انني الآن ثائر الأعصاب ، وما بيدي حيلة •

بروفازنيك عاد الى ما بيننا ، من جديد • نظر الى الجمع ، كما ينظر البوم ، وقال لهم : ـ هيئتكم ، اليوم ، لا تبشر بخير !

كنت وأوتيلي تحت العريش • حدثتني نفسي بضرورة البدء بالمغازلة ، في هذا اليوم • فتأهبت ، ولكن الكلمات عصتني ، فلم أجد ما أقول ، غير المألوف • صرفت النظر عن هذا الأمر ، اليوم •

انضم الينا بروفازنيك • فرنا الينا ، فترة قصيرة ، ثم قال لي : ــ هل نويت أن تتزوج ، يا دكتـور ؟

سؤال مقيت ، أمضني • بيد أني ابتسمت ابتسـامة مغتصبة وأجبت : ــ نعم ، يا سـيد بروفازنيك ، عزمت على الزواج • ــ انك على حق ، لا بدّ أن يكون الزواج طريفاً ، فالأولاد تسلية، بل أشد امتاعة من كلب لحام صغير •

ياله من مخلوق قذر !

اليوم ، كان الحديث بارداً ، سقيماً • ولم أبح ببنت شفة ، عن زيارة العسكري •

★ ★ ★

أف ، أف ! الشيطان هو الذي ساقني الى مالا سترانا •

حسناً ، لا بأس ! قبلت ! كان بوسعي أن أرفض ! ولو فعلت ، لما استطاع ، دون ريب ، أن يقدم على تنفيذ وعيده ، ولكن الدم ، حين يشرع بالغليان ، حتى في جسد حمل صغير ! انـه سيجرحني ، هذا مؤكد ، ولن أقوى بالتأكيد ، أن أرد عليه بشيء ! سألملم جرحي وألزم فراشي ، وفي امكان دروسي أن تنتظر بعض الوقت ، بل وقتاً طويلا ، حتى يُرفَع الحظر عني ويُسمَح لي بالمرافعة • بل لعل من الأفضل ، أن يقتلني !

صليل السيف من جديد • قُرع الباب ، ودخل صف الضابط ، الذي كان قد جاء بالأمس ، ببزته الرسمية • فحياني وأنبأني أن الملازم ريباكي ، ليس في نيته ، أن يدع القضية تنتهي بهذا الشكل ، وانه لآخر مرة ، يطالب بتسوية ، بالسلاح • فحنقت بعض الحنق وأجبته ، أنني ، أمس ، قلت له ، كلا ، وأنني اليوم ، أقول له أيضاً : كلا ! فاجابني صف الضابط ، أنه آسف ، ولكن الملازم ، سينهال على وجهي ، بضربة من سوطه ، حالما يصادفني وأينما كنت • فانتفضتمحتداً، وانتصبت في وجه صف الضابط •

ــ لا ، لن يفعل شيئاً ، أؤكد لك • ــ بل ، سـيفعل حتماً • وداعـا ! ــ تمهل ، وباي سلاح ؟ ــ بالسيف !

حسناً ، قبلت • فرماني صف الضابط بنظرة استغراب ، ورددت ، وأنا أرتجف غضباً : ــ قبلت ! ولكن بشرطين : أولاً ، يترتب عليكم أن تقدموا لي السلاح والشاهد ، وثانياً ، أن تعدوني باسمكم وباسم الآخرين جميعاً ، وعد شرف ، أن يظل خبر هذه المسألة طي الكتمان عن أي مخلوق،

في العالم ، وأن تختاروا للمبارزة ، مكانا مامونا جداً • ـ أعدك بشرفي • واستاذن منصرفا بأدب، بأدب جم • وكان قد وعدني أن يرجع غداً أو بعد غد ، للاتفاق على مابقي •

انقضى الأمر ! من الممكن أن تنفضح القضية كلها انفضاحاً كاملاً • ولعل مؤجرتي قد سمعت هذا النقاش وقد جرى بصوت مرتفع ، جـد مرتفع • اني لأراهن انها سمعت وانها السبب في هذا كله • لقد أدركت من مجرى الامور أني كنت قد جرحت كبرياءها الانثوية • ولكن ، ليس لهذا السبب ، كنت غبيا ! أما الآن ، فاني غبي • انها ، اذا ماقامت بالوشاية بنا الى السلطة ، فاقرأ السلام على العمل في المحاماة • وينقضي علي ، أن أظل كل حياتي متمرنا ! ولكن ، في حوزتي رأسمال زهيد ، وكذلك أوتيلي • ، بيد أني ، لا أدري ، ان كانت تقبل بالزواج مني •

★ ★ ★

من البدهي ، أن لا أقوم بأي عمل • اني لا أقـوم الا بتصفح كتبي والانهيال على نفسي بالشتائم •

★ ★ ★

جاءني موزع البريد برسالة • انها مختومة بخاتم مالا سترانا ، والرسالة خالية من التوقيع • يا لهذا القذر ، بروفازنيك :

عزيزي الدكتور وعزيزي المرشح للمحاماة !

أعتقد أنك مرشح للزواج ، أكثر مما أنت مرشح للقضاء • ان رغبتك في الزواج ، ليست الا صفقة دنيئة ، وجد دنيئة • أنت طامع في بيت ، طامع في مال ، ولست طامعاً في امرأة • فانت لا يمكنك أن تتوق الى هذه القرعة العجوز الذابلة ، التي هي ، لشدة غبائها ، لايمتد نظرها الى أبعد من انفها ! (لا يمتد نظرها الى أبعد من أنفها ، سبق لي أن سمعت هذهالعبارة من فم بروفازنيك) •

عار عليك أن تقدم على بيع نفسك بهذا النحو ، على التضحية بحياتك الفتية ، في صفقةمبتذلة• أحد الكثيرين ممن يرتاون هذا الرأي •

★ ★ ★

رويدك ، سترى ! سانتقم منك بدلا من الانتقام من الملازم • وتملكني غضب جارف ، كان يدفعني لمقاتلة العالم بأسره •

لا أستطيع القول اني ارتعد فرقاً على حياتي • بل اني لا أخشى الجراح • فهذا أقل مافكر

فيه • بيد أني أعلم أن الخوف لا بد آت ، واني لا أخشى سوى الخوف • فما أنا إلف' مبازرات ، وما حدث قط ، أن فكرت في مبارزة فالخوف آت ، لا ريب فيه • وسأكون مرتع رجفة وتورة أعصاب، واضطراب أوعيتي الدموية ، وتشنج عضلاتي كلها ، فلن تنقصني ثانية ، دون رعشة ، ولسوف أتثاءب من شدة الخوف •

وسيكون ذلك مضنياً !

★ ★ ★

نحن نتحادث في الحديقة ولكن باي شكل ! لن أقدم ، اليوم ، على أية مكاشفة غرامية ، فما الفائدة ! أوتيلي ، خذي منديلك وهيئي الضماد ! فان مت' ، قضي الامر ! وان جرحت ، قامت أوتيلي بالسهر علي والعناية بي ، فهذا ما أعتقد ، على أقل تقدير ، وعندئذ ، يجيء الاعتراف على قدميه • كما يحدث في الروايات • بيد ان هذا ، ما يحدو بي الى اثارة نقاش هادىء ! ولاأدري حول أي شيء ! انتهى بي الأمر أخيراً ، الى سؤالها عما اذا كانت تنوي المضي غداً ، الى المسرح التشيكي • فسالتني : ــ وماذا يمثلون ؟ فقلت : ــ تمثيلية (جان هيس) • فنحن اليوم ، في السادس من تموز ، موعد الذكرى السنوية لليوم الذي أحرق فيه (جان هيس) على المحرقة •

ــ كم كنت أتمنى مشاهدتها ، ولكنني ، لن أمضي لمشاهدة (هيس) • ــ لماذا ؟ أرجو أن لا يكون المانع كونه هرطوقياً ؟

ــ كلا ، ولكن غداً هو يوم الجمعة ، وانيأصوم في هذا اليوم•لو كان هذا النجس بروفازنيك حاضراً ، لوجد في الحجة دليلا على أن نظرها لا يمتد الى أبعد من أنفها • أما أنا ، فلا أرى فيه الا سذاجة وان للسذاجة دائماً سحرها ، هذا أكيد •

أقبل بروفازنيك ! فتقدمت للقائه وجررتــه الى تحت العريش • ــ أيها النذل ، تجرأت وأرسلت لي اليوم احدى رسائلك المغفلــة ، التي تقض بها مضاجع الجيران كافة ! فانا الذي سأناقشك الحساب !

ــ من حدثك عن رسائلي المغفلة ؟ سالني بروفازنيك ذلك وهو شاحب اللون ،كقماش وسخ•

ــ أنت نفسك خبرتني في ذلك اليوم !

ــ أنا الذي قلت لك ذلك ؟ وارتسمت على وجهه معالم بلاهة ، وجدتني معها مكرهاً على الاشاحة عنه بوجهي ، كي لا أضحك ، على الرغم مني •

ــ اليك ما أقول ، ان عدت الى مثل هذا العمل ، فسانهال عليك بالضرب ، كجرو صغير ! وابتعدت عنه • ان الملازم ، لقنني درسة ، على الاقل •••

استقر الرأي عقب ذلك ، على اللعب لعبة الستة • أخرج الرسام ورق اللعب من الجارور ،

وفي نفس اللحظة تقريبا ، أمسك بعنق جوزيف • مشهد طريف • كانت جميع أوراق (الكبة) ، قد انتزعت •

اتضح أخيراً أن جوزيف ، كان قد ألصقها على ورق أبيض وقدمها الى مارينكا سامبروفا ، عربونة لمحبتـه •

لم يعد اللعب ممكنا ، وهذا ما أشاع فيّ الرضى •

فتحدثنا وتحدثنا ، ولكن دون متعة • رحت بعد هذا ، أتمشى مع أوتيلي ، بين أصص الأزهار • فالتفتت اليّ ، فجاة وحدقت في عيني وسألتني عما بي • فوجئت ولكني قلت ، ان ليس بي شيء ، وتضاحكت • فهزت رأسها وكررت مرات كثيرة ، أني بالتاكيد ، أكتم عنها ما أكتم •

انها ••• انها تميل الي ، أمر واضح !

★ ★ ★

انني مقيم في غرفتي ، وانني أفكر • ما أشد هدوئي ، فالخوف لم يات بعد • ولكنه آت •

لعلي لم أفهم بعد ، ان المبارزة ، لا بد ، واقعة ؟

وأنها غـدا !

★ ★ ★

حسنا ، نهضت اليوم من النوم !

استيقظت قبل الساعة الثالثـة ، فما تباطات ، بـل نهضت في التـو • شعرت أني حقاً ، شـديد الانزعاج •

ولكني لم أدر أبداً ، كيف أقضي الوقت ، ولا باي شيء نزلت الى الحديقة وعدت الى غرفتي ، مرتين • رحت أمسك كل ما وقعت عليه يدي ، ثم أعيده الى مكانه الاول ، في سآمة وفتور •

لم يكن لي طاقة على انتظار صف الضابط •

أخائف أنا ؟ نعم أم لا ؟ اني أرتعش واني أتثاءب ، ويبدو اني أتثاءب من شدةجزعي المحموم•

★ ★ ★

ها هو قد جاء • اذن ، غداً في الساعة السادسة ، في ثكنات (هرادكاني) ، في قاعة مكشوفة ، كما يظهر ، قلت لنفسي : حسنا ، سينقل جسدك من قاعة • وأضحكني ذلك من أعماق نفسي ، كانما هي مزحة ، لا تسمع ولا تصدق •

كان صف الضابط على درجة سامية من التهذيب • حتى توصل الى القول ، انه كان يسَر

هو شخصياً ، لو تم تلافي هذه المسالة المزعجة بطريقة ما • فاعترضت : لا موجب لذلك • ولكني ، ما لبثت' أن شعرت برغبة في أن أصفع نفسي • فما أنا في الحقيقة ، سوى غبي •
وماذا بعد !

★ ★ ★

قمت بزيارة لصديقي موروزيك في سميشوف • فانا ، أولا ، لا أقوى على ملازمة بيتي • وثانياً، ان موروزيكمبارز ماهر ، يقاتلمثل كلب كبير ؛ ففي وسعه ، أن يعلمني شيئاً ، في آخر لحظة •

ان موروزيك شخص مقيت • لقد كشفت له عن سري ، فهزىء بي • ان ثمة أناساً ، أعجز من أن ينظروا الى الامور نظرة جدية ! طلبت' منه أن يعلمني ما يمكن أن يفيدني • فاكد أن ليس في مقدوري ، أن أتعلم شـيئاً ، فيما بقي أمامي مـن ضيق الوقت • فقلت مستاء : ــ أوه ، لا عليك ، سوف ترى !

فتناول سيفين ، ذوي حدين ، وأعطاني أحدهما مع الخوذة ، وحذرني ، قائلا : ــ هكذا ، هكذا ، هكذا ، الآن ، كلا ، ليس هكذا ! انتبه الى رأس السيف ! واذا بسيفي على الأرض • فقال ضاحكاً : ــ عليك أن تمسك السلاح بشدة • ــ الا انه ثقيل ! ــ ما من سيف ، اخف منه ، هيا ، مرة أخرى ! ماهي الا فترة قصيرة • حتى كنت منهوك القوة ، كانما قمت برفع حمل ثقيل بيدي : كان موروزيك ،، بقامته الطويلة وجسده المتين ، لا يبالي ! ــ استرح قليلا • وضحك مرةأخرى• تذكرت ان موروزيك ، كان ألطف بكثير ، مما هو عليه • فقلت له : ــ ما قلت هذا ، الا لأنك خائف ! ــ أوه ، اني لا أخاف بتاتاً ، بشرفي ! ــ اذن ، فلنعاود ! بعد دقيقة ، شعرت اني متعب ثانية • فنبهني موروزيك : ــ يجب أن لا تبذل كثيراً من الجهد • فلن تقوى ، غداً على تحريك السيف ••• ابق عندي ، في البيت ، لتناول الغداء والعشاء ، وسنجري بين فترة وفترة ، تمارين ، ولكن دون افراط • كنت لا أنوي الرحيل ، حتى وان لم يعرض علي هذا الاقتراح • كانتزوجته ترنـو الينا ، وهي تعتقد • أننا نلعب ونلهو ، كانت تضحك • ان هـؤلاء الناس يقضـون وقتهم ضاحكين •

قبل الغداء بقليل ، سالني موروزيك ، ان كان ريباكي مقاتلا مرموقا • ــ لا أدري • ــ لا بأس ، يجب أن تتعلم القيام بهجمة سريعة ، أو هجمة مفاجئة • هذه أو تلك ! واجبرني مرة أخرى على حمل السلاح •••• فما حملته برغبة زائدة •

ما أروع هذه الهجمة السريعة ، المفاجئة • انني لم أوفق ، فهجومي يبدو دائما بطيئا وغير مفاجيء • هل في مقدوري أن أوفق ؟ صاحت السيدة موروزيك : ــ الى الطعام • فتهللت •

كنت لا أمسك ملعقتي الا بصعوبة • كانت يدي ترتجف ، فاوقعت الحساء • وضحك موروزيك• انتظر ، غداً ، حين ترى صديقك جريحاً ، طريحا ، عند قدميك • كنت أشتهي أن أصاب بجرح بليغ ، حتى لا يجد موروزيك ، ما يفعل سوى البكاء •

جرني بعد الظهر ، الى القيام بمبارزتين آخريين • كنت أضرب بالسيف في الهواء وعلى موروزيك كالمجنون ، ثم هويت على الأرض بسيفي وخوذتي ، ولم أعد أنوي النهوض • ـ انهض ، يجب أن تفرك جسمك بالكحول • ففركت جسمي بالكحول ، وفاحت مني رائحة نتن ، اضطرت لشدتها السيدة موروزيك ، أن تحمل تطريزها وتهرب بعيدة ، الى الطرف القصي من الحديقة • كنت انا أيضاً أتمنى لو أهرب من نفسي •

عدت الى غرفتي ، في ساعة متاخرة من الليل • واذا ألم شديد في مرفقي وركبتي • هل المبارزة تجري بالأرجل ؟

★ ★ ★

وجدت في البيت بطاقة • من أوتيلي !

« أيها الدكتور المحترم !•• يجب أن أكلمك في نفس هذا اليوم • حين حضورك ، في هذه الليلة ، انزل الى الحديقة وحين تصفر التريفياتا ، أكون بقربك • سامحني على خربشتي هذه ، فانا لا أسلك هذا المسلك ، الا عطفاً عليك • أوتيلي • »

★ ★ ★

لا ريب ، ان مؤجرتي قد تكلمت • وسيكون المشهد طريفا •

قصدت الى الحديقة • كان البدر منيراً ، فابصرت بوضوح مجاز الطابق الاول ، في الجهة الاخرى من الفناء • ما من أحد هناك •

تمشيت ، فلاح لي شخص • شبح أبيض ! أظهرت نفسي لحظة في نور القمر ، ثم عدت فتواريت في الظلام ••• اذن ، لا مناص من لحن التريفياتا • يعلم الله ، أني اصفر هذا اللحن طول النهار ، أما الآن ••• لو هددت بالموت ، لما استطعت أن أتذكره ••• بيد أنها مع ذلك ، أبصرتني ! في وسعي رغم ذلك ، أن أصفر ما أشاء ، أليس كذلك ؟ الا أنني لم أعثر على شيء ، سوى : ـ جوزيف ، جوزيف ، ماذا تصنع كاتيا ؟ اني ، اذن أصفر ، جوزيف •••

ـ الدكتور ، في الحديقة ، وفي مثل هذا الوقت المتاخر ••• هذا ما تناهى الى سمعي ، من نافذة الرسام • لقد جاء الرسام الى النافذة ، الله أعلم ، باي لباس •

ـ ليلة رائعة ، أليس كذلك ؟ وأنا أيضاً ، لا أرغب في النوم ••• لنتحادث قليلا •••

توارى الشبح من المجاز • ـ أوه ، وأنا أيضاً ، صاعد الى غرفتي • صحت بصوت قوي ، عن قصد • فالتحدث هنا ، مع الرسام ••• لن ينتهي حتى الصباح •••

ابتعدت وأنا أصفر صفيراً قوياً (لقد عثرت الآن على لحن التريفياتا) واجتزت الفناء في

هون • كنت أتوقف وأتلفت تارة الى هذه الجهة وطوراً الى الجهة الاخرى : ما من أحد على الدرج، ما من أحد في المجاز ، لعل أوتيلي غضبت ، بسبب ندائي « جوزيف •• »

ولعل من الأفضل ، أن لا نتحادث اليوم • ولكن نعم ، من الأفضل حتماً ••• وغداً ؟

★ ★ ★

الرسام عند النافذة ، مكب على حافتها • هممت أن ألقي نظرة في المجـاز ، ولكنه يبصرني فيشرع اذ ذاك في الحديث • فاسدلت ستائري •

رغباتي الاخيرة • ينبغي أن يكون كل شيء في غاية الترتيب والنظام • وصية موجزة وواضحة ، بضعة أسطر ، لا غير أدع كل ثروتي لأختي ، والسلام !

★ ★ ★

انني الآن ساحاول أن أنام • انني هادئ ، لكن هذا أمر مشكوك فيه • أما غداً ، فسارتجف كقصبة ، أعلم هذا ! لا بد أيضاً من ربط ساعة المنبه •

الرسام ما زال متمدداً على حافة نافذته ••• الزم مكانك ، أيها الغلاط !

لم أنم أكثر من ساعتين • رغم ذلك ، خيل الي أني نمت وقتاً كافيـاً • كانت السـماء قد اصطبغت بلون رمادي ، لأن الفجر ، في شهر تموز ، يبزغ في الساعة الثالثة • وقد أخذت برودة الصباح ، تخترق جسمي • اني أتثاءب ، بشـكل رهيب • واني أرتعش قليـلا ، هذا صحيح ،

★ ★ ★

ولكني لاارتجف •

لم أدر ما أصنع بما تبقى لي من الوقت • اني لا أبتغي الهبوط الى الحديقة • فقد ألجأ الى الركض وأنا أرتعش ، وقد يتعبني ذلك • فيداي ما زالتا تؤلماني ، منذ البارحة • قد يكون في مقدوري ، أن ألقي نظرة على أوراقي وأسعى الى ترتيبها •

★ ★ ★

الساعة الخامسة والنصف وأنـا لا أزال منهمكا • ألقيت نظرة دائرية على غرفتي ، كأني أتحقق من أنني ما نسيت شيئاً • وما عسى أن أنسى ؟

وداعـا !

★ ★ ★

هرولت على الدرج واندفعت الى فناء الثكنة • اجتزت الباب الحديدي بقفزة وقد هممت أن

أبكي فرحاً كانت عيناي ، في الواقع ، نديتين ، كأنما أنا أغادر كهفاً مدلهماً ، لأدخل في وهج الشمس الساطع • درت في جميع الجهات ، وأنا لا أدري ، أين ينبغي أن أسير •••

ـ كروملوفسكي ؟

انه موروزيك ! هذا المسكين موروزيك ! ارتميت على عنقه ، والدموع تجري على خدودي • بيد أني عجزت عن الكلام ••• ـ والآن ، ستقاتل ؟ ـ انتهى كل شيء ! الحمد لله ! ولكن دعني ، انك ستحطم يدي • فطنت الى أني أضغط يده ، وكأنها بين فكي ملزمة • ضغطت يده مرة أخرى! ـ فلننطلق في عربتي •• استأجرت عربة ••• هل تناولت فطورك ؟ ـ فطوري ؟ كلا ! ـ اذن هلم الى أحد المطاعم ! ـ نعم ! لا ! الى غرفتي أولا ثم الى أحد المطاعم • ينبغي أن تعرف أوتيلي اني سليم معافى •

صعدنا الى العربة • كنت أهذر كولد صغير • الله أعلم بما أقول ! لم أفطن الى أننا قد بلغنا منزلي • في أسفل الدرج ، قمت برقصة ، وتكلمت بصوت مرتفع جداً ، كي يسمعني كل من في البيت • مع أن هذا مخالف للآداب •

ما كادت مؤجرتي ترنو الينا ، حتى هجرت مطبخها مهرولة ، لتختبيء في غرفتها • لن تثوبي الى رشدك ! رويدك ، فاني محتفظ لك بمفاجأة !

ماكدت أدخل غرفتي ، حتى هدأت ثائرتي • ان عودتي الى غرفتي أعادتني الى الحقيقة • قال موروزيك : ـ أتدري ، أنك حتى الآن ، لم تقص عليّ شيئاً ؟ وأشعل سيجاراً وتمدد على الاريكة •

أجل ، ما قصصت عليه حتى الآن شيئا •

يتوجب علي ، أن أستعيد رباطة جاشي •

★ ★ ★

عند مدخل الثكنة ، كان رجلان ينتظراني • فسارا بي الى الفناء • هبطنا الدرج ووصلنا الى القاعة المكشوفة ، حيث كان بانتظاري الملازم والطبيب • قام أحد الرجلين بتقديم نفسه الي ، انه شاهد لي • وأعلمني أن كل شيء مطابق لأدق الانظمة ، وان الاسلحة متشابهة تماماً • أعتقد أني أجبته باساءة من جذعي • في هذه الآونة ، تقدم مني صف الضابط الذي كنت على تمام المعرفة به ، وهو شاهد للملازم ، وأعلن : ـ هذان السيدان لا يضمران أي حقد لبعضهما ، فالمبارزةسوف تجري ، ولكني اقترح ايقافها عند حدوث أول جرح • أموافق أنت ، ياسيد ؟ فقلت : ـ حسناً وقال الملازم : ـ حسناً ، وخلع سترته • فحذوت حذوه • وأعطيت سيفاً ، فتأهبنا وصالبنا سيوفنا• شعرت بغضب مقدس يتملكني ! « هجمة سريعة ومفاجئة » ـ خيل الي ، أني سمعت في رأسي هدير شلال وأبصرت شرراً أمام ناظري ، في هذه البرهة ، صاح الشاهدان :

توقف ! وقفزا الى ما بيننا ، رافعين سيفيهما • فرجعت بصورة آلية ، خطوة الى الوراء ، وابصرت دماً ، يسيل على خد خصمي • واني ، لأعتقد اعتقاداً جازماً ، أني حييت بالسيف ، تحية ضابط وأعدت سلاحي الى شاهديمنحنياً أمامه ، بادب • ثم ارتديت سترتي في وقار ، وسمعتالطبيب يقول : جرح طفيف ! وانصرفت • وبينا أنا مبتعد ، سمعت أيضاً من يقول خلفي : ـ رجل شديد البأس ! حذار باستطاعتي الآن ، أن أقاتل الأرض برمتها ! ولن يثنيني أمر ! جرح طفيف جداً ، لعمري ، لن يبوح به أحد ! وفي مقدوري ، أن أوجه لك شكري ، يا عزيزي ، ياصديقي العزيز !

ضحك موروزيك : ـ حسناً ، كن في المستقبل مبارزاً بارعاً ، لأنك فاجاته مفاجاة حقيقية • وكان تصرفك حكيماً ، لأول مرة !

خلتني بطلا • فرحت أتمشى مقبلا مدبراً ، بخطى ثقيلة • توقفت أمام المرآة • نظرت الى نفسي ، وهممت أن أبتسم ، بيد أن بسمتي بدت لي بلهاء •

نهض موروزيك : ـ انني لجائع ، هلم بنا الى مطعم ! أما وجه الغرابة فهو اني لم أجعبعد• فسالته : ـ ولكنك ، أنت أيضاً ، لم تتناول بعد فطورك • ـ ومتى كان بامكاني أن أتناوله ؟

أدركت آنئذ ، كنه ما أبداه الى موروزيك من كرم ونبل • ـ وأين عثرت على عربة في مثل هذا الصباح الباكر ؟ ـ لقد أوصيت عليها ، أمس ظهراً ، وأنت مقيم عندي •

هذا الشهم ، هذا الشهم موروزيك ! وارتميت على عنقه • فلقي عناءً في الافلات مني • انني قوي في بعض الاحيان •

★ ★ ★

حانة صغيرة • وجهان أليفان : سامبر ، الخياط وصاحب الحانة • مددت يدي : ـ والآن أيها المعلم ، أتقوم بارتياد حانة ، غير حانتك ؟ ـ هذه هي أول مرة ، منذ عشر سنوات ، أطأ فيها أرضاً ، غير أرضي •

جلسنا الى طاولة أخرى أكلنا وشربنا ، وبين لي موروزيك وهو يحدثني بصوت خافت ، ضرورة الانتقال من البيت وعلى الفور • فمؤجرتي لن تسكت عني ، وانها ستشوش علي عملي ، والوقت ضيق ، لا يسمح لي • ان رأيه صائب • ولكن ، أين أستطيع السكنى ؟ من الافضل ، أن أرجع الىمسكني الاول • ـ هيا بنا ، نمضي اليه فوراً ، بالعربة ، قد يسهل علينا استئجاره من جديد• ان موروزيك صديق حميم ، رائع • رجل شهم ، بكل مافي الكلمة من معنى ، واني لأحبه حباً جماً ، ولا أذكر أنه تخلى عني ، في الشدائد ، ولو مرة واحدة •

كان صاحب المقهى ، بادي الاهتياج ، ظاهر الغضب • انه يتكلم بصوت يزداد حدة • يحاول اقناع سامبر بالاحجام عن الزواج مهما كلف الأمر ، كان ينهال بالشتائم على كليكس كانما هـو مصدر كل البلاء على هذه الارض خرج سامبر لياتي بسجاير ، فصحت بالمعلم قائلا :

– اسمع ، أيها المعلم ، لأي شيء ، تريـد أن تردع سامبر ؟ ـ اني صاحب حانة ، أليس كذلك ؟ ولي زبني النظاميون ، ومن واجبي أن أحتفظ بهم !

– ولكنه بحاجة الى ربة بيت وأم ترعى ابنته • ـ كلا ، انه زبون دائم ••• هو يتغدى عندي ويتعشى أيضا ، ولا باس به اذا سكر ••• رجع سامبر •

★ ★ ★

كانت الشقة خالية وقد أجرونيها بسرور • سانتقل اليها ، بعد غد ، الاثنين • فما عسى أوتيلي ، أن تقول ؟ أعتقد أنها ستوافقني ، فلسوف أكاشفها ببيان السبب وباعلان محبتي اياها معاً • لسوف يكون في وسعي أن أجيئها في كل يومين مرة ، بـل في كل يوم ، مرة • ولا مناص من ذيوع خبر المبارزة ، وعندئذ ، ساحظى بالاعجاب ، بيد أن كسب الرزق ، ياتي أولا •

دعاني موروزيك ، للغداء عنده •• وفيما نحن ناكل ، تحدثنا عـن المبارزة • فان موروزيك متفائل من كل شيء . ولكني ارى انه يسخر مني • وان أجملت القول ، فذلك تافه وعقيم •

★ ★ ★

سارعت مساء ، في الرجوع الى البيت وسرعان ما هرولت الى الحديقة •

كانت أوتيلي غاضبة حقاً • لقد تحاشتني ! وامتنعت عـن اجابتي • كنت أقدّر ، أن من المفروض عليها ، أن تبتهج •

النسوة المدلعات ، لسن دائمة محببات •

★ ★ ★

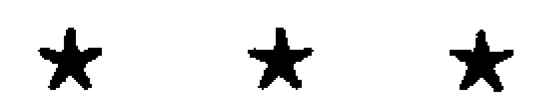
قضيت السهرة في مقهى المدينة القديمة ، التي كنت أرتادها ، فيما مضى • لشد ما سري عني• لقد كنت جذابة ، ان صح القول • لقد أعجبوا بطلاقة محياي وانفراج أساريري • أجل ، منذ أربع وعشرين ساعة ، تقريباً ، كدت أن أكون ميتاً وممدداً في نعش •

أملي عظيم في أن أنعم الليلة بنوم هانيء •

★ ★ ★

استيقظت باكراً جداً • انها ذكرى الليلة البارحة • ولكنني ، رأيتني مطمئناً ، مثل وليد في حمام فاتر ، فمططت جسدي الصغير ومددت ذراعي •

ونمت عقب ذلك ، حتى الساعة التاسعة كالمترفين •



الدكتور جنسن هنا • علام تجيء ؟ مهلاً ، انك لتزداد دهشة ، في وقت ، لن يكون أبعد من هـــذا اليوم •

شد على يدي بحمية خارقه ، بحرارة زائدة • حاول مرات عديدة أن يشعل سيجاره • قال لي : يجب أن أعرف ، لأي سبب ياتي الى هنا • حتى لا يذهب بي الظن الى مالا يعلم به الا الله ، وعاد الى الطاولة الصغيرة ، لياخذ صندوق الكبريت • أيقول لي ، أنا ، لأي سبب ياتي الى هنا ؟ يتصور أني لا أفقه عن الدافع شيئا ! وقف ، مرة أخرى ، أمام المرآة • حقاً ، انه لمزهو بنفسه ـ هنا ، يقطن من يدعى بروفازنيك ، مقابل غرفتك ، في الطابق الثاني • لقد حدثتني ، أنت عنه ، أكثر من مرة • كان قد أقام مرات عديدة ، عندنا ، في مركز الامراض النفسية ، مرة منذ عشر سنوات ومرة ثانية منذ ثماني سنوات • ومنذ ذلك الحين وبناء على رغبة أقرباء له ، وهم قوم أثرياء ، أخذت أراقبه ، بين حين وحين ، ولقد وجهوا الي ، الدعوة مرة أخرى ، منذ عهد قريب • لقد عمرتني بهجة عارمة ، إذ عرفت باقامتك هنا ، ولا سيما في هذه البناية نفسها ؛ كان يتحتم علي ، أن أتصرف باكثر ما يمكن من الكتمان • فهو يعرفني ويتجنبني ، فما نزل الى الحديقة ولا مـرة واحدة ، وأنا بصحبتكم ، رغم انه كان يفد على الحديقة ، كل يوم ، كما أكدت لي • هو يراقبني بقلق ، وهو في هذه اللحظة ، ينظر الي • اني أراه بوضوح ، هنا ، في مرآتك ، هو خلفالستارة، يمد رأسه قليلا • ولكن ، بالاستناد الى كل ما رأيت ، وما سمعت ، لا أعتقد ان ثمة مجالا ، للخوف من حدوث نوبة جديدة •

فغرت فمي وحملقت عيني : ـ كيف ، ما من شيء سوى هذا !

شعرت بضرب من الراحة ، تلك هي الحقيقة • بل ، بما يشبه الخيبة ، أيضا •

★ ★ ★

انصرف الدكتور • وددت أن أناديه وأقول له : ـ لو تدري ، ان كنت ترغب ، فيما يتعلق••• فلن أقف عثرة في طريقك •••

بدا لي فجاة ، أني ما فكرت قط باي منافسة •

بل أعتقد ••• آه ، ان البشر مخلوقات غريبة !

★ ★ ★

قلت لمؤجرتي بايجاز وجفاء أني حتى مساء غد ، ساكون مرتحلا عن هذا المكان • فاصاختالي، مطاطئة الرأس • اصبحت الآن ، تطاطيء راسها دائما ، أمامي • فقد روضتك ، ها •••

أما الغريب في الأمر ، فهـو أني ، طول مدة اقامتي ، ما أبصرت ، مرة واحدة ، زوجها ، المراقب في الخطوط الحديدية • ان هذا لم يحدث قط ، وأعتقد أن هذا أفضل ، لأنه قد يستثير فيّ الشفقة •

★ ★ ★

أوتيلي غاضبة أبداً ؛ وبعبارة صريحة ، لا أبالي كثيراً بغضبها • فكل ما أشعر به أني حانق بعض الحنق • انبأت الجميع ، في الحديقة ، أني مرتحل ، مع هذا ، ظلت باردة ، حقاً ، كأني انبئها بسقوط ملعقة على الأرض • ان النساء مخلوقات غريبة الأطوار جداً •

أحمد الله على أني لم أكاشفها بشيء •

★ ★ ★

كنت في مقهى المدينة القديمة • اني أروح عن نفسي بين هـؤلاء الناس ، بحيث أستطيع أن أرجع ، اثر ذلك الى ممارسة عملي الفكري • فالى العمل ، الى العمل ! بعد اجتياز فحص القبول في المحاكم ، سأفرغ نهائياً من الفحوص ، مدى الحياة !

★ ★ ★

اني منهمك بالانتقال الى المسكن الجديد •

★ ★ ★

في مسكن الرسام ، حملة تاديب عامة • جلبة رهيبة • الرسام يتاهب لتدبيج رسالة ثانية • عاد مرة أخرى ، يطلب مني ورقاً للكتابة • أجبته باختصار ، ان جميع حوائجي قد حزمت ، وأنا لا أدري ، أين صار الورق •

★ ★ ★

ابنة المالك تقطع الخضار من الحديقة للسلطة •

رنوت اليها ببرود • انها فتاة ذابلة •

قصتان قصيرتان

ترجمة : يوسف اليوسف

- ١ -

انسانان رقيقان

بقلم : غراهام غرين

جلسا على مقعد في حديقة مونسو لمدة طويلة دون أن يتوجه أحدهما الى الآخر بكلمة واحدة • كان يوماً من أيام الصيف الباكر ، مليئاً بالأمل ، ذا غمامات تتثنى عبر السماء أمام نسمة لطيفة • غير أنه في أية لحظة يمكن للريح أن تنقطع فتصبح السماء واضحة ، شديدة الزرقة ، ولكن الوقت أصبح متأخراً جداً ، فالشمس ستغرب قبل ذلك •

ربما كان بالنسبة الى الشباب يوم الالتقاء بالصدفة ـ التقاء يتم سراً خلف حاجز عربات الاطفال الطويل حيث لا يرى الا الاطفال والمربيات • أما هما فقد كان كلاهما في منتصف العمر ، ولم يكن أي منهما راغباً في وهم امتلاك الشباب المفقود ، مع أن الرجل يبدو أفضل مما يظن ، وخاصة بشاربه الحريري الذي ينتسب الى العالم القديم ، والذي يشبه وساماً من أوسمة السلوك الجيد • أما هي فقد كانت أجمل مما اعتادت المرآة أن تنبئها • ولقد أضفى عليهما الاحتشام والتحرر من الوهم

قاسماً مشتركاً · كان يفصل ما بينهما خمسة أقدام من المعدن الأخضر ومعذلك فقد ظهرا كما لو كانا زوجين يشبهكل منهما صاحبه · راح الحمــام الشبيه بكرات التنس الرمادية القديمة يتدحرج حــول أقدامهما دون أن ينتبها اليه · وأخــذ كل منهما ينظر الى ساعته بين الفينة والفينة ، ولكنهمــا لــم يتبادلا النظر · فبالنسبة اليهما كانت برهــة السلم والوحدة هذه محدودة ·

الرجل طويل ونحيف · كان لديــه ما يدعى بالملامح الحساسة ؛ وجهه عادي الى درجة مريحة ، مع انه لا يخلو من وسامة ، إذ ليس هنالك دهشة بشعةحين يتكلم، فالانسان قد يكون حساساً دونما خيــال · وكان يحمــل مظلة توحــي بالحيطة· أما هي فأول ما يلفت الانتباه فيها هــو ساقاها اللتان تبدوان غــير حساستين كساقي فتاة في لوحة عادية · ومن ملامحها نستدل على أنهــا وجدت اليوم الصيفي حزيناً ، ومع ذلك فقد أنفت من أنتطيع أوامر ساعتها وتدخل مكاناً ما ·

ما كان لهما أن يتبادلا الكلام لولا أن مراهقين أخرقين قد مرا من أمامهما، أولهما يحمل مذياعاً مدوياً على كتفه ، أما ثانيهما فيركل الحمامالمنشغلبنفسه· وراحت ركلاته تثير الضجيج ، تاركة احدى الحمامات مهروسة على الممر ·

نهض الرجل وهو يمسك مظلته كما لو أنها سوط الخيل · « أوغاد صغار شياطين ، » صرخ ، وبدت العبارة أكثر انتساباً الى العصر الادواردي بسبب من نغمتها الاميركية الخافتة ـ لا ريب فيأن هنري جيمس قد استخدمها ·

« يا للطائر المسكين ، » قالت المرأة· راح الطائر يتقلب على الحصباء وهــو يبعثر الحجارة الصــغيرة · كان أحــد الجناحين معلقاً بوهن واحدى قائمتيه مكسورة أيضا ، إذ كانت الحمامةتتخبط علىشكل دوائر وهيعاجزة عنالنهوض· وتحركت بقية الحمائم الى مكان آخر ، دونما مبالاة ، وهي تنقب في الحصباء بحثاً عن لباب الخبز ·

« ليتك تشيحين بنظرك قليلا ، »قال الرجل · وضع مظلته على الأرض وسار بسرعة الى حيث كان الطائر يتمرغ · التقطه وراح يلوي عنقه بخفة وبمهارة ـ كانت نوعاً من المهارة على كل رجل حسن التربيــة أن يمتلكها · وأخــذ يتلفت بحثاً عن سلة مهملات أودع فيها الجسد بكل ترتيب ·

« لم يكن ثمة ما نصنع غير ذلك ، » قال معتذراً حين رجع .

« لم أكن لأستطيع أن أفعل ذلك أنا بنفسي ، » قالت المرأة بلسان أجنبي حريص على الصحة النحوية للكلمات .

« استلاب الحياة هو امتيازنا ، » أجاب بتهكم ، لا بكبرياء .

حين جلس تقلصت المسافة الفاصلة بينهما ؛ أصبحا قادرين على أن يتحدثا بحرية عن الطقس وعن اليوم الحقيقي الاول للصيف . كان الاسبوع الماضي بارداً قبل الأوان ، وحتى اليوم ... أعجبته الطريقة التي تتكلم بها اللغة الانجليزية ، واعتذر عن افتقاره الى الفرنسية ، ولكنها أكدت له : لم تكن موهبة أصيلة . لقد تخرجت من مدرسة انجليزية في مارغيت .

« تلك منتجع بحري ، أليس كذلك؟»

« البحر يبدو دائماً رمادياً، » قالت، وغرقا لبرهة في صمت فاصل . وبعد ذلك، وربما كانت تفكر بالحمامة الميتة، سألته عما اذا كان قد التحق بالجيش . « لا ، كنت فوق الأربعين حين نشبت الحرب ، » قال . « خدمت في بعثة حكومية في الهند . لقد أغرمت بالهند . » راح يصف لها أغرا ولكنا و ، ومدينة دلهي القديمة ، وعيناه مشتعلتان بالذكريات . أما دلهي الجديدة فلم يحبها، لقد بناها رجل بريطاني ـ لطـ لط ـ لط ؟ لا أهمية لذلك . انها تذكره بواشنطن .

« إذن ، أنت لا تحب واشنطن ؟ »

« لأقص عليك الحقيقة ، » قال ، أنا لا أشعر بالسعادة في وطني . فأنا أحب الاشياء القديمة . في الهند ، وحتى مع البريطانيين ، شعرت بمواطنيتي أكثر ـ هل تصدقين ذلك ؟ والآن في فرنسا ، أشعر بالشيء نفسه . كان جدي قنصلا بريطانياً في نيس . »

« كانت نزهة الانجليز حديثة العهد اذ ذاك ، » قالت .

« نعم ، ولكنها شاخت . مانبنيه نحن الامريكيين لا يشيخ بشكل جميل . بناية كريسلر وفنادق هيلتون ... »

« هل أنت متزوج ؟ » سألت . تردد قبل أن يجيب ، « أجل » ، قالها كما لو كان راغباً في السكوت ، ولكنه قالها بمنتهى الدقة . أخرج يده وتلمس مظلته التي منحته الثقة أثناء هذا

الموقف المذهل ، موقف التحدث بهذه الصراحة مع أحد الغرباء ·

« ما كان لي أن أسألك ، » قالتوهي ما تزال حريصة على قواعد اللغة ·

« لم لا ؟ » اعتذر لها بأسلوبتعوزه اللباقة ·

« كنت مهتمة بما قلت · » منحته ابتسامة صغيرة · « حين خطر لي السؤال لم تكن لي القدرة على كبحه ·»

« هل أنت متزوجة ؟ » سألها فقط ليريحها ، إذ كان قد شاهد محبسها ·

« نعم · »

عند هذه اللحظة كان كل منهما يعرف فالكثير عن الآخر · وشعر الرجل أن من الفظاظة ألا يكشف لها عن هويته · قال ، « اسمي غريفز ، هنري س· غريفز · »

« اسمي ماري ـ كلير ، ماري ـكلير دوڤال · »

« لقد كان عصراً جميلا ، » قال الرجل الذي يدعى غريفز ·

« ولكن الطقس سيغدو بارداً قليلا حين تغوص الشمس · » فر أحدهما من الآخر ثانية بندم ·

« لديك مظلة جميلة . » قالت ، وكانت محقة تماماً ـ فالرباط الذهبي كان شديد التميز ، وحتى من مسافة بضعة أقدام يستطيع المرء أن يرى حروفاً محفورة عليه ـ حرف « هاء » بالتأكيد ، مجدولا ربما بحرف « س » أو حرف « غ » ·

« هدية ، » قال بغير سرور ·

« أعجبت كثيراً بتصرفك تجاه الحمامة · أما أنا فلست غير جبانة · »

« هذا ما لست متأكداً منه كثيراً ، » قال بلطف ·

« بل هي الحقيقة · »

« حقيقة فقط بمعنى أننا جميعاً جبناء فيما يتعلق بشيء ما · »

« انك لست جباناً ، » قالت معترفة بالجميل وهي تتذكر الحمامة ·

« بلأنا كذلك ، » أجاب ، « فيقطاع كامل من قطاعات الحياة · » بدا وكأنه على حافة انكشاف الذات ، فأمسكت بطرف معطفه تجره الى الخلف· والحقيقة أنها أمسكته تماماً من طرف معطفه ، وعند ذلك قالت ، « لقد لامست طلاء رطباً · » ها قد نجحت الحيلة إذن ؛ أصبح قلقاً على ملابسها ، ولكن لدى

تفحص المقعد اتفقا على أن مصدر الطلاء لم يكن هناك · « لقد كانوا يدهنون درجنا ، » قال ·

« ألديك بيت هنا ؟ »

« لا ، شقة في الطابق الرابع · »

« ذات مصعد كهربائي »

للأسف ، لا ، قال بحزن · انه بيت جد قديم في الدائرة السابعة عشرة من باريس ·

كان باب حياته المجهولة قد انشق قليلاً ، وأرادت هي أن تقدم شيئاً ما عن حياتها الشخصية ، ولكن ليس الكثير · قالت ، « شقتي جديدة جداً الى درجة الكآبة · وهي في الدائرة الثامنة · الباب يفتح كهربائياً دون أن يلمس · تماماً كما في المطار · »

حملهما تيار قوي من الانكشاف · عرف كيف كانت تشتري أجبانها في ساحة المادلين ـ كان هذا الشراء أشبه بحملة تقوم بها من المنطقة الثامنة ، قرب شارع جورج الخامس ، وذات مرة كوفئت بمشاهدة الخالة ايفون ، زوجة الجنرال ، الى جوارها وهي تشتري الجبن الابيض · ومن الناحية الاخرى، كان هو يشتري أجبانه من شارع توكفيل ، الواقع الى جوار شقته ·

« أنت بنفسك ؟ »

« نعم ، أنا أقوم بالتسوق ، » قال بصوت انقطع فجأة ·

قالت ، « الطقس بارد قليلاً الآن · أظن أنه ينبغي الذهاب · »

« أتترددين على الحديقة كثيراً ؟ »

« انها المرة الاولى · »

« يا للتوافق الغريب ، » قال · « انها المرة الاولى بالنسبة الي أيضاً ، على الرغم من أنني أسكن الى جوارها ·»

« وأنا أسكن في مكان بعيد عنها · »

نظر كل منهما الى الآخر برهبة ، وهما عالمان بغموض العناية الالهية · قال ، « أفترض أن ليس لديك شغل يمنعك من تناول وجبة خفيفة معي · »

جعلتها الدهشة تغرق في لغتها الفرنسية · « ليس لدي شغل ، ولكن أنتم ··· زوجتكم ···؟ »

« انها تتناول الغداء في مكان ما ، » قال · « وزوجك ؟ »

« لن يعود قبل الحادية عشرة · »

اقترح مطعم اللورين الذي لم يكن الا على مبعدة بضع دقائق من السير ، وسرها أنه لم يختر مكاناً أكثر أناقة أو أكثر زخرفاً · وهبها الجو

البورجوازي الثقيل للمطعم شيئاً من الثقة ، ومع أنها كانت تحسّ بعض الشهية ، فقد راقها أن تراقب السير المنتظم والمنسرح لعجلات عربة المشروبات • كانت قائمة الطعام أيضاً طويلة بما فيه الكفاية لتمنحها وقتاً يكيفهما مع الألفة المذهلة التي أبدياها أثناء تناول الغداء معاً • وحين أعطي الأمر ، أخذا يتحدثان على الفور •
« لم أتوقع ••• »

« إن طريقة سير الامور مضحكة ، » أردف وهو يشيد بغير قصد منه نصباً مزخرفاً لتلك المحادثة •

« حدثني عن جدكَ القنصل • »

« لم أعرفه البتة ، » قال • كان التحدث في قاعةالمطعم أصعب منالتحدث على مقعد الحديقة •

« لماذا ذهب أبوك الى أمريكا ؟ »

« ربما بسبب من روح المغامرة ، » قال • وأفترض أنها روح المغامرة هي التي أعادتني لأعيش في أوروبا • لم تكن أمريكا لتعني الكوكا كولا وصحيفة « الحياة » حين كان أبي صغيراً • »

« وهل وجدت المغامرة ؟ كم هي بلادة مني أن أطرح هذا السؤال• طبعاً لقد تزوجت هنا ؟ »

« أحضرت زوجتي معي ، » قال •
« بيشنص المسكينة • »
« المسكينة ؟ »
« انها مولعة بالكوكا كولا • »

« تستطيع الحصول على هذا الشراب هنا ، » قالت ، وهذه المرة ببلادة مقصودة •
« نعم • »
جاء نادل الخمور فطلب شراب السانسير • « اذا كان ذلك سيناسبك؟»

« أعرف القليل عن الخمور ، » قالت •

« ظننت أن الفرنسيين كافة ••• »

« نترك ذلك لأزواجنا ، » قالت • أما هو فقد شعر بألم غامض • كان يقاسمهما القاعة الآن رجل وزوجته ، مما جعلهما يصمتان قليلاً • ومع ذلك لم يكن الصمت ملاذاً حقيقياً • وفي الصمت كان الشبحان قد انغرسا بثبات، لو لم تجد المرأة الجرأة على التكلم •

« ألديك أطفال ؟ » قالت •
« لا • ألديك أنت ؟ »
« لا • »

« أأنت آسفة ؟ »

قالت ، « أفترض أن المرء يأسف دائماً لخسرانه شيئاً ما • »

« أنا مسرور على الأقل لأنني لم أخسر اليوم حديقة مونسو • »

« نعم ، وأنا كذلك أيضاً • »

كان الصمت الذي تبع ذلك مريحاً• ذهب الشبحان وتركاهما وحدهما•وذات مرة تلامست أصابعهما فوق القندس(١) السكري (كانا قد طلبا الفريز) • لم يملك أي منهما رغبة في المزيد من الأسئلة ؛ إذ غدا كل منهما يعرف صاحبه أكثر مما يعرف أي شخص آخر• كان ذلك أشبه بزواج سعيد ؛ انتهت مرحلة الاكتشاف ـ نجحا في فحص الغيرة، وهما الآن في منتصف العمر • الزمن والموت هما العدوان المتبقيان ، وكانت القهوة أشبه بانذار بالشيخوخة • وبعد ذلك كان من الضروري أن يكبحا الحزن بشيء من البراندي ، ولو أن ذلك لم يكن ناجحاً • كان الأمر كما لو انهما مارسا عمراً كاملاً يقاس بالساعات كعمر الفراش •

(١) نوع من الحلوى

قال عن رئيس الخدم العابر أمامهما، « انه يبدو أشبه بمتعهد • »

« نعم ، » قالت • ودفع الحساب وخرجا• انهما أكثر رقة من أن يقاوما نزع الموت لمدة طويلة• سأل ، «أأستطيع أن أراك في البيت ؟ »

« لا أفضل ذلك • حقاً ، لا • »

« أنستطيع أن نتناول قدحاً آخر وقوفاً ؟ » اقترح بقلب نصف حزين •

« لن يقدم لنا مزيداً من النفع ، » قالت • « كانت الامسية مكتملة • أنت حقاً رقيق • » لقد تأخرت كثيراً حين لاحظت أنها استعملت لفظه (أنت Tu) فأملت أن تكون لغته الفرنسية رديئة الى درجة تكفي لكي لا يلاحظ ذلك • لم يتبادلا العناوين وأرقام الهاتف ، إذ لم يجرؤ أي منهما على اقتراح ذلك • لقد جاءت هذه اللحظة جد متأخرة في حياة كل منهما • وجد لها سيارة أقلتها الى البعيد باتجاه القوس العظيم المنير ، وسار هو وحيداً باتجاه البيت فوق شارع جوفروى• ماهو جبن في الشباب حكمة في الشيوخ ، ولكن المرء ، على أية حال ، يستطيع أن يخجل بالحكمة •

★ ★ ★

عبرت ماري ـ كلبر الابواب الآلية الانفتاح ٠ وفكرت ، كما اعتادت دائما ، بالمطارات وبسبل الهروب ٠ وفي الطابق السادس دخلت الشقة ٠ كانت ثمة لوحة تجريدية ذات ألوان قاسية ، قرمزية وصفراء ، تواجه الباب وتعاملها كغريبة ٠

دخلت مباشرة الى غرفتها بمنتهى النعومة ، وأقفلت الباب وجلست على سريرها الوحيد في الغرفة ٠ ومن خلال الجدار استطاعت أن تسمع صوت زوجها وضحكه ٠ تساءلت عمن كان معه في تلك الليلة ـ توني أو فرانسوا ٠ كان فرانسوا قد رسم اللوحة التجريدية ، وتوني ، راقص البالية ، كان يدعي دائماً ، ولا سيما أمام الغرباء ، أنه صمم التمثال الحجري ذا العينين المرسومتين ، الذي كان له مكان الشرف في غرفة الجلوس ٠ راحت تخلع ملابسها ٠ وبيما كان الصوت في الغرفة المجاورة يغزل نسيجه ، عاودتها صور المقعد في حديقة مونسو وصور عربة الخمر في مطعم اللورين ٠ لو أن زوجها قد سمعها حين دخلت لكان قد تقدم اليها : لقد أذهله أن يعرف أنها كانت احدى الشهود (على مقتل الحمامة ٠ المترجم) ٠ قال الصوت معنفاً ، « بيير ، بيير » ٠ كان بيير اسماً جديداً لها ٠ نشرت أصابعها على طاولة الملابس لتنزع خواتمها وفكرت بالقندس السكري المخصص للفريز ٠ ولكن لدى سماعها الصرخات والقهقهات الصغيرة المنبعثة من الغرفة المجاورة ، إنقلب القندس السكري الى تمثال ذي عينين مرسومتين ٠ اضطجعت وفي أذنيها حبيبات لولبية من الشمع ، وأغلقت عينيها وفكرت كيف كانت ستختلف الأشياء لو أنها قبل خمس عشرة سنة كانت قد جلست على مقعد في حديقة مونسو ، وهي تراقب رجلا يقتل حمامة باشفاق ٠

★ ★ ★

« أستطيع أن أشم امرأة عليك ، » قالت بيشنص غريفز بسرور ، وهي تجلس متكئة على مخدتين ٠ كانت المخدة العليا قد أتلفتها حروق السجاير ٠

« لا ، أبداً ، لا تستطيعين ٠ انه خيالك يا عزيزتي ٠ »

« قلت إنك ستعود الى البيت في العاشرة ٠ »

« ولكنها الآن العاشرة والثلث فقط ٠ »

« لقد كنت في شارع دواي ، أليس كذلك ؟ في احدى تلك الحانات ، تبحث عن فتاة • »

جلست في حديقة مونسو ، وبعدها تناولت الطعـام في مطعـم اللورين • أيمكنني أن أعطيك دواءك ؟ »

« تريدني أن أنام بحيث لا أعـود أتوقع أي شيء • هذا هو الأمر ، أليس كذلك ؟ انـك جـد عجوز الآن بحيث لا تستطيع أن تفعلها مرتين • »

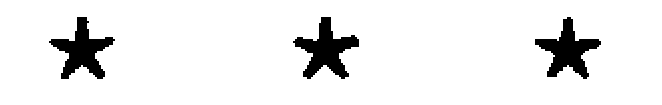
مزج العقار في غرافةالماء علىالطاولة القابعة بين السريرين المتماثلين • إن أي شيء قد يقوله سيكون خطأ حـين تكون بيشنص في حالة كهذه • بيشنص المسكينة ، قال لنفسه ، وهـو يقرب الدواء مـن الوجـه المتوَّج بالخصل الحمراء ، كيف خسرت أمريكا ــ لن تصدق أبداً أن الكوكا كولا لها الطعم نفسه هنا•لحسن الحظ لم تكن هذهأسوأ لياليهما ، لأنها شربت من الكأس دونما مزيـد من النقاش ، بينما جلس الى جوارها وتذكر الشارع الذي يمر من قربالمطعم ، وكيف أنه بالصدفة ــ بكل تأكيد ــ قد نوديبكلمة (أنت Tu) .

« بماذا تفكر ؟ » سألته زوجته •

« أما زلت في شارع دواي ؟ »

« أفكر بأن الأشياء قـد تكون على غير ماهي عليه ، » قال •

كان ذلك أكبر احتجاج سمح لنفسه طوال حياته أن يطلقه ضد الحياة •



الحاجز

بقلم : جانيس اليوت

طوى نفسه كطائر النحـام المغموس في الماء ليدرس عـن كثب تلـك السن الذهبية التي تلتمع في مؤخرة فمها • وبدد صممه بتقريب قبضته من أذنه• كان ثمة حول ذلك الضرس شيء مترف وشهي الى حد لا يصدق • وتساءل عما إذا كانت لديـه بعض منـازع فتشية الأسنان • لقد اعتادت زوجته جوديث أن تمارس معـه الحب وفمها مغلق ، كأنما هي تخاف من أن يدخله شيء ما • لم يكن يعرف أسنانها •

كانت الفتـاة النحيلة تقف معتمدة على نفسها ، لوحدها ولكنها لم تكن على مايبدو منفردة•وراح الناس يرمقونها بالنظرات حين يمرون بها كما لو انها تمثال • شعرها الطويل الباهت يتدلى تحت ذقنها على شكل جناحين خائبين • كان هنالك حولها شيء فارغ أبيض ، أشبه بقطعة من الورق•وبدت مندهشة لايقاظها • وتساءل عما اذا كان من الممكن تخديرها •

وكررت : « انهـا حفلة رائعة • »

ابتسم ، وشعر بالاستغراب ، وبانه لايجد جواباً•وحين أغلقت فمها عانى من لهفة حنين الى تلك السن الذهبية•وقال ليبقيها مواظبة على الكلام :

« أتحبين الحفلات ؟ »

« أحب مشاهدتها•» ومررت أصابعها فوق قمة نظارتيها • « من أنت ؟ »

« لا أدري • »

هزت رأسـها كما لو كانت هـذه العبارة مجرد ابتذال • قال ،وهو شارد، ولكنه غير عازم على افتقادها :

« انك أصغر من أن تشاهدي • »

« أوه ، أنا » ، ابتسمت • « ليس هنالك الكثيرات ممن هن على شاكلتي•»

كان الناس يتجولون في الخارج على الأرصفة • بينما راح أحدهم يندفع بين الحشود • ثم خرجا هما أيضاً•وبعدئذ نظر من خلال ثقب في تمثال برونزي•

« ان ما تحتاجه » ، قالت ، « هو أن يجيء شخص ما ليخبرك من أنت • »

كان للتمثال (ذكر ؟ أنثى ؟) حضن، فجلس عليـه • أما هي فقد استقرت بأناقة الى جواره • ان خنثوية التمثال قد خلصته من فعل غير محتشم •

« أعتقد أنني لهذا السبب أتيت •»

تربع وراح يعـدد الاعمال التي قـام بها خلال هـذا اليـوم • استيقظ في

السابعة ، خلص نفسه من ذراع جوديت الذي كان يرقد بثقل على صدره (كان قد حلم بالذبحة الصدرية) ، حلق ، نظف المطبخ ، أطعم الاطفال الأكبر سناً ، وغادر زوجته ٠لم يكن هو نفسه يعرف الى أية درجة ترك زوجته ٠ قد يعود في نهاية المطاف ، ولكنه قانع بأن مغادرته لها طابع الفعل النهائي ٠ كان قد أمضى النهار في حالة تصور مرفوع الىحد الغرابة (كلب بني خارج الكلية في شارع ثيوبالد له بياض سَلَطَة غدائه) ٠ ولما كان قد ترك السيارة لجوديث ، فقد ذهب في نهاية النهار الى حفلة كارل ٠

قالت : « أذكر أم أنثى ؟ »

« سيمون كارتر »

« اسمي ، بولا ولكنني سألت عن التمثال ٠ »

« تصعب معرفة ذلك ٠ » قاللنفسه ان الناظر اليهما سيظنهما صديقين ٠ كانت ثمة امرأة سمينة ترمي الزهور في حوض السباحة ٠

« مريح ٠ »

وافقت ٠ « لابد أنه أنثى ٠ »

« لماذا ؟ »

« ألم تلاحظي؟ليس للرجالأحضان٠»

نظر الى ركبتيه ٠ كان كارل يسبح ٠ يقال انه موهوب الى حد لا يصدق في مسألة إمتاع النساء ٠ إعتاد سيمون أن يعتبره رجلاً شرقياً ، بالمعنى الذي يختاره لفهم تلك الكلمة ٠ انه ناعم وسمين ٠ وهو يدللهن على صدره٠ كان سيمون يرغب في أن يحدثه عن حاجزه ٠ ولهذا السبب أتى ٠ وربما يحدث بولا بدلاً منه ٠

« ظريف ، ألا تظنين ذلك ؟ »

« ولكن ماهو ؟ »

وقف كارل منذهلاً٠« ألذلكأهمية؟»

« أعلم » ، قالت بولا ٠ «انه ٠٠٠»

« انه ماتصنع منه ، » قال كارل ، وأخذ بولا بعيداً ٠

أمسكها من نقطة ناتئة في أعلى عمودها الفقري ٠ التفتت الى سيمون ولوحت له بيدها ، نادمة كما أحب أن يظن ٠

تجرع قدحين من الوسكي وسار الى حوض السباحة ٠ وضعت بولي ، زوجة كارل ، مخلباً أبيضمضمداً على ذراعه٠ انها كارل المؤنث ٠ وتخيل أنهما يغذي أحدهما الآخر بالبهجة ٠

« أين جوديث ؟ »

« الأطفال » ، قال بغموض ٠

« وأنت ياسيمون ، تبدو مرهقاً ؟ تعمل بقسوة ؟ »

« الكتاب · لاأستطيع التركيزعليه· يالجهنم ! الحقيقة ، يابولي ، انني تركتها · »

هزت بولي رأسها · « لن تذهب الى البيت · ستبقى معنا · في المساء كان وجه بولي كاسطوانة تدور · شعر بأنه ضعيف الى درجة انه لا يحتمل البقاء· وظنت بولي أن جوديث شيء رديء ·

« انها فتاة عذبة · ولكنها لم تفهم·»

« لا · ترين يابولي ، انني لم أستطع الكتابة · »

ربتت على ذراعه من جديد · «ابق،» قالت ، « ابق معنا » · أراد أن يفسر الأمر ·

سأفكر بالأمر ، « يابولي ، » قال · تحقق للمرة الاولى منذ خمس سنوات انه كان يعرفها كزوجة لناشر مؤلفاته ، وأنها كانت يهودية · وهذا مما جعل وجودها ، وبطريقة أدهشته ، أقل واقعية · تهادت مبتعدة مما أنساه أن يسألها عن بولا ·

شرب المزيد · كان بعض الناس يرقصون زوجياً · وبقرب حوض السباحة كان ثمة فتاة ذات شعر بني مستعار (رجل ذو شعر بني نسائي مستعار ؟) تغني بنعومة لنفسها ، وقد وضعت أصبعاً على شفتيها وراحت تدور حول الحوض · كانت تلمس نهديها · لم يلاحظها أحد ·

وجد سيمون شاعراً له به معرفة سطحية ويكنُّ له بعض الكراهية ، وهو يجلس تحت شجرة وفي يده زجاجة · شربا بجد ، وحين أفرغت الزجاجة راح الشاعر يشتم بنعومة ولطف ولمدة طويلة · وتحقق سيمون من أن الشاعر ينتظر منه أن يتكلم :

« لقد تركت زوجتي هذا الصباح · أنا معلم لايستطيع أن يعلم · سبق لي أن كتبت روايتين والآن ، وبشكل مفاجىء ، لا أستطيع الكتابة · »

« يعترضك حاجز · »

« أتظن ذلك ؟ »

« ألا تشعر بأنك حقيقي ؟ »

« بشكل غريب تماماً ··· »

« عليك أن تشعر بأنك حقيقة · قبل أن تكتب ، عليك أن تعرف اسمك·»

« أنت على حق مطلق · ما أشعر به هو ··· »

تمايل الشاعر ونظر الى سيمون للمرة الاولى بشكل مباشر · كانت قسماته عدوانية · ثمة شعر بني على أنفه · لم يعد سيمون يحبه ·

« أتظن أنك شخص خاص ؟ »

« لا ، أنا ··· »

« هل ذهبت الى محلل نفساني ؟ »

« لا • »

« ماتريده • » كان الشاعر منحنياً بقرب سيمون تماماً الى حد أن هذا الأخير كان بوسعه أن يقبله •

« نعم ؟ »

« هو أن تكوى • » كان الشاعرالآن يربت له على وجنته • شعر سيمون بأن الشاعر يعتني به ، مما يبرر لهشعوره بأن جهوده المبذولة في المجيء الى هذه الحفلة ستعوض برسالة كان قد أخفق الى حد بعيد في الحصول عليها •

« مثلي • »

« لست أعرف اسمك ؟ »

« هيبتش » صرخ الشاعر للفتاة الراقصة ، التيكانت تبسم لهما وتهمهم فوقهما كما لو كانت كاهنة • « خذي هذا المتسلل بعيداً عن ظهري• » وبعدئذ لسع سيمون ، بشكل مؤلم تماماً ، في بطنه ، وفجأة نام •

وقف سيمون من أجل السيدة وهو يترنح على قدميه المتيبستين • لقدكانت نفس الفتاة التي رقصت قرب حوض السباحة ، وهي ، بخلاف بولا ، فتاة جميلة حقاً • وتساءل عما اذا كان بوسعه أن يستخبر عن جنسها • ثابرت على تمايلها أمامه ، وبعد ذلك قبلته•

لقد كانت أشبه بفراشة عابرة •

وبادرها قائلا : « اسمي سيمون •»

« مرحباً ياسيمون • انني سوف أسبح • »

تبعها الى حافة حوض السباحة • ناولته الشعر البني المستعار ، أو بالأحرى رمته اليه فالتقطه كما لو كان خادمة لعروس • وبعد ذلك غاصت في الماء غوصاً جميلاً ، وهبطت حتى القعر •

وجد كارل وبولا • كان كارل ،الذي بدا أكثر رزانة يتسلم دفة الحديث ، بينما راحت بولا تهز رأسها • ظهرا، كأي شخص آخر ، غير مكترثين بما يجري في المسبح • لم يكن سيمونيعرف السباحة •

« يوجد شخص ما في الحوض • »

لوح كارل بيده • « هناك دائماً شخص ما • »

حشد سيمون نصف دزينة منالناس• وقفوا بحزن عظيم حول الحوض ،وكان بعضهم يتحدث بأصوات خفيضة كما لو كانوا في كنيسة •

« أخبركم ، قال ، « انها غاصتولم تعد تظهر • »

« ليس ثمة أحد هناك » • كان الماء أكدر معتماً • ولم تزل الزهور التي

رمتها المرأةالسمينة طافية علىالسطح. أصبح الناس ضجرين وبدأوا يموؤن من أجل الشراب .

قال سيمون : لقد حصلت علىشعرها المستعار . » ولكنه كان قد أسقطه في مكان ما .

وجدته بولا يصرخ بقرب التمثال .

« كنت أبحث عنك . »

« ظننتك كنت مع كارل »

« انه سمين . »

« تلك الفتاة ، » قال ، « كانت تغرق حقاً . »

« أنتتحلم ، » قالت بولا ، وتسلقت الى جانبه .

« لماذا تملكين سناً ذهبية ؟ »

« ليس لي سن ذهبية ، » قالت . « لابد أنه الضوء . »

ولكنه استطاع في رحم التمثال أن يتلمسها دون أن تبدي استياء .

« لقد كان مساء بشعاً . »

« هيا بنا ، » قالت وهي تهبط الى الاسفل ، وبصوت سحري له وقع الحقيقة .

« أنت ، » كان عليه أن يسأل . « أنت حقيقية . »

« أخبرتك ، » قالت ، «انه أنثى .» حين غادرا شعر بأنه رجل وقور ، يصون ويحب . قادها الى أقصى مكان ممكن عن الحوض . لابد من أن شيئاً ما قد ظهر على السطح ، فقد احتشد الجمهور .

« سأراك ثانية ؟ »

« نعم ، » قالت ، «ستراني ثانية.»

كان للمنزل رائحة الاطفال والبصل. تعثر بدمية في القاعة فنادته جوديث من الطابق العلوي ، حيث جلست فيالفراش تشاهد التلفزيون الذي كان صوته خافتاً . بدأت أنيقة وذات كفاءة مما جعله يتساءل عما اذا كان قد تركها حقاً . راح يخلع ملابسه .

« ذهبت الى حفلة كارل . أعلم أنك لا تحبينها . »

نظرت اليه بانشداه . تنهد واستقر على حافة السرير . وظهرت علىالشاشة امرأة شابة نصف عارية وهي تستمتع بهزة التهيج (Orgasm) (١).حركت

(١) الاورغازم مصطلح سيكولوجي أوجدهفلهلم رايش ، بل هو أعظم اكتشافات رايش ، وقد اعتبره « الاقنوم الذي يفسر الكون كله » . ولقد عُرف الاورغازم بأنه«القدرة على التفريغ التام لكل الاثارة الجنسية المحبوسةخلال التقلصات اللذية اللا ارادية للجسد » .

(المترجم)

جوديث لسانها فوق شفتيها · كان ثمة شيء غريب ، ومألوف بشكل غامض ، يذوب في وجه الفتاة · انها بولا ·

« من هذه ؟ »

انتظرت حتى ظهرت فقرة أخرى من البرنامج ، وبعد ذلك ، وبزفير خافت، أجابته قائلة : « عشق بولا · »

« هذا ليس ممكنا · لقد كانت في الحفلة الليلة · »

« ولكن هذه الحلقة مسجلة من قبل ، » قالت جوديث وهي تضغط الزر لتطفىء الجهاز ·

وفي الظلام قال :

« لا يمكن لهذا الاسم أن يكون اسمها الحقيقي · »

« لا أفترض أنه اسمها · » وبعد ذلك بقليل أضافت : « أتعني أنك حقاً لم تسمع من قبل بعشق بولا ؟ »

« لا · »

« كيف هي هذه الفتاة ؟ »

« لم تكن تبدو هكذا هناك ·وخاصة في البداية · »

ولبرهة حمقى ، فانه قد عاد الى هذيانه ، لقد كانت بولا في الجهاز ، ولكنها لم تكن بولا في الحفلة ، بل كانت ظلها أو طيفها · انها المدلول الغامض لتلفزيون جوديث المحملق · أراد أن يخبرها ، كما سبق أن أخبرها ذات مرة ، وبدون خجل ، بأوهامه العميقة· لمس فخذها ، ولكنها لم تفهم :

« لقد تناولت حبة دواء · وفضلاً عن ذلك فانك مضطرب · »

« آسف · »

ولكنها نادته فيما بعد :

« سيمون ؟ »

« ممم ؟ »

« لقد كنت حمقاء بعض الشيء · آسفة · كنت مشحونة · كانت لدي فكرة سخيفة طيلة النهار ، مفادها أنك غادرتني نهائياً · »

وضع يده فوق كتفها وربت عليه مرتين ·

« نامي · » ولكنها كانت هاجعة تشخر بنعومة ·

نهض من الفراش ، وزحف الى الطابق الارضي وبدأ يكتب :

« طوى نفسه ، كطائر النحام المغموس في الماء ليدرس عن كثب تلك السن الذهبية التي تلتمع في مؤخرة فمها · » وبعدئذ كتب في أعلى قمة الصفحة :

الحاجز

ركس وارنر

إ. م. فوستر

تنقيح : جون موريس
ترجمة : د . منير صلاحي الأصبحي

هذه ترجمة لكتيب يحمل اسم الكاتب الانكليزي الشهير إ . م . فوستر E. M. Forster كعنوان له • وقد كتب ركس وارنر Rex Warner الكتيب عام ١٩٥٠ وأدخل عليه تعديلات بسيطة عام ١٩٥٤ • وكما تذكر ملاحظتان كتبتا في بداية الكتيب فان وارنر لم يستطع تنقيح الكتاب من جديد حين كانت هناك نية لاعادة طبعه في عام ١٩٦٠ ، لذلك عهد بالمهمة الى جون موريس John Morris الذي يقول في احدى الملاحظتين : « لقد تركت معظم المواد النقدية المتعلقة بالروايات الخمس كما كتبها السيد وارنر فيما عدا أنني وسعتها بعض الشيء وأشرت الى التغيرات في الموقف النقدي تجاه أعمال السيد فوستر التي طرأت بعد كتابة الكتيب • » وكذلك يبين موريس أنه أدخل بضعة تعديلات جديدة على الطبعة التي صدرت عام ١٩٦٤ والتي استخدمت كأساس لهذه الترجمة •

وقد كانت الطبعات المختلفة لهذا الكتيب جزءاً من سلسلة «الكتاب وأعمالهم» Writers and Their Work التي تنشر في انكلترا تحت رعاية المجمع البريطاني The British Council والعصبة القومية للكتب The National Book League .

وتنتوي « الآداب الأجنبية » نشر ترجمة لبعض قصص فوستر القصيرة في عددها القادم •

ولـد ادوارد مورغان فوستر في ١٨٧٩ · وقـد تلقى تعليمه في مدرسـة تونبردْج ، التي شعر نحوها بالكراهية ، وفي كينكز كوليدج في كامبردج ، التي شعر نحوها بمودة استمرت طيلـة حياته ، والتي أصبح فيها لعـدة سنوات عضواً مقيماً شرفياً · وفي ١٩٥٣ أصبح « رفيق شرف » ·

وقد كتب مجموعتين من القصص القصيرة وأربعاً من رواياته الخمس قبـل الحـرب العالميـة الأولى ، وظهرت آخـرها وأفضلهـا ، « **ممر الى الهند** » A Passage to India* ، عام ١٩٢٤ ، حين لم يكن فوستر قد تخطى الخامسة والأربعين ، ومنذ ذلك الحين لم ينشر أي عمل قصصي · وهكذا ، بينما هو مـن الواضح أنه لم يكن كاتباً خصباً قط ، فليس من الصحيح كما يقال غالباً أنه لم يكتب شيئاً تقريباً خلال الأربعين عاماً التالية · فمنذ الروايات الخمس ظهرت له سيرتان («غولدزورزي لوز دكنسن » ، ١٩٣٤ ، و « ماريان ثورنتن » ،١٩٥٦) ، ومحاضرات كلارك في كامبردج (« وجوه الروايـة » Aspects of the Novel ، ١٩٢٧)ونصأوبرا وضعها بنجامن بريتن («بيلي بد» ، ١٩٥١)،وبعضالذكريات عن الهند (« هضبة دِڤي » ، ١٩٥٣) ومجموعتان ضخمتان من المقالات ومراجعات نقدية وأحاديث اذاعيةَ (« حصاد أبنكر » ، ١٩٣٦ و « هتافان للديمقراطية » ، ١٩٥١) · وليست هذه القائمـة شاملة ، ولكنها كافيـة لأن تبين في نفس الوقت تعدد اهتمامات السيد فوستر ونتاجه المستمر · واضافة الى ذلك ، وبالرغم مـن أن فوستر في مجرى حياة معمرة * كتب خمس روايات فقط ، فمن المهم أن نسجـل أن أعماله اللاحقة تنصب بأكملها تقريباً على تطويـر الموضوعين اللذين يلعبـان الدور الرئيسي في أعماله القصصية بطريقة أو بأخرى · هذان الموضوعان ــ اللذان سيبُحثان فيما بعد بقـدر أكبر من التفصيل ــ هما ضرورة التسامح وأهميـة العلاقات الانسانية ·

يقال أحياناً أن إ · م · فوسـتر هو في الأدب آخر من بقي من تـراث ليبرالي مثقف جرفته الآن الحربان العالميتان ، والأحوال الاقتصادية والصراع الضروس بين أفكار دوغماتيه ومتضادة · واذا كانت الفكرة المكونة عن هذا التراث أنه لطيف ومتسامح وذكي ، أنه يحتوي حماساً شديداً للفنون وكراهية عارمة للامبريالية ، فانه من الصحيح أن السيد فوستر ينتمي اليه · ولكن يمكن له أن يقف خارجه · فهو مبدع بشكل يتعدى حدود التسامح المعتدل ، وتتأثر مشاعره بشكل أكثر عمقاً

★ يمكن ترجمة العنوان أيضاً بعبارة « عبور إلى الهند » · **(المترجم)**

★ توفي فوستر عام ١٩٧٠ · **(المترجم)**

ويؤثر في مشاعر الآخرين بشكل أكثر عمقاً من شخص يحمل شعلة موروثة لفترة قصيرة · ورغم أن الكثيرين تأثروا به ، فانه لا يبدي في أعماله هو أي تأثرات واضحة بالغير · وكتبه مليئة بتوق الى الصدق في الانفعالات والعلاقات الشخصية وبكراهية لما هو زائف ومعتز بالذات · وهو يقبل حجم العالم وروعته ، ثم يتوصل بتواضع مليء بالحيوية الى فهمه · وهكذا يتم خلق عالم من الفن ويقوم بدوره بتكوين وتغيير ما هو كائن ·

قبل معالجة الروايات ، سيكون من المناسب التطرق الى مجموعتي القصص القصيرة ، التي كتبت جميعها قبل عام ١٩١٤ · واحدى هذه القصص ــ « قصة ذعر » ــ هي كما أخبرنا المؤلف أولى محاولاته في الفن القصصي · وفي هذه الفانتازيا يزوربان * مجموعة من الأشخاص الانكليز التقليديين المضجرين الذين يمضون اجازتهم في ايطاليا ويجعلهم بصورة تقليدية يلجأون الى الفرار · ويملؤهم الرعب جميعاً ؛ جميعهم ماعدا صبياً استطاع على نحو ما أن يتحاشى قبضة العرف التقليدي والأصول الحسنة · فهو وحده يرحب ببان وبهذا ينجو من المصير الذي يلقاه أولئك الذين يكبرونه · ونحن نرى هنا أول مثال على واحد من الموضوعات Themes التي توجد في كثير من أعمال فوستر اللاحقة · وهو موسع بشكل خاص في روايته الثانية ، «**أطول رحلة**» ، The Longest Journey التي ترتكز، وان يكن بشكل غير مباشر وعلى نحو معقد ، على مقابلة مع الاله الصغير Genius loci .

جميع قصص ا · م · فوستر القصيرة تقريباً وعظية على نحو صريح ومتأثرة بالأساطير والأفكار الاغريقية · فهو يؤمن كما آمن الاغريق القدامى أن عواطف الجسد وانفعالاته الطبيعية جيدة ، وأن العالم سيكون مكاناً أفضل لو أن الانسان يستمتع بها بصدق وبدون خجل · ان هذا موضوع متكرر في معظم أعمال فوستر ، ولكنه مبين في القصص القصيرة بشكل أكثر صراحة · ولكن احدى هذه القصص ــ « الآلة تتوقف ــ تختلف جداً عن الأخريات · فهي رد فعل على واحدة من أفكار هـ · ج · ولز الخالية المبكرة ، وهي قصة تثير الانتباه لكونها كتبت في وقت مبكر بهذا الشكل من هذا القرن ·

لم تتلق قصص السيد فوستر القصيرة ما يكفي من المديح ، ويُنصح من يدرس أعماله بشدة ألا يهملها وأن لا تفوته قراءة بعضها على الأقل قبل البدء

* بان Pan هو في الأساطير الاغريقية إله الغابات والمواشي والرعاة ، ويتميز بأن له قرون وحوافر جدي ، وهو يعادل الاله الروماني فاونس Faunus .

بالروايـات • فهي ، بغض النظر عن قيمتهـا الجوهرية ، مشوقة الى حد زائـد فالموضوعات الرئيسية في الروايات تبدأ في الظهور ، رغم أنها تكون في شكل أكثـر شبهاً بالحلم وأكثر بعداً ، وهي بالتأكيد منذ ذلك الوقت أساس نظرة المؤلف الى الحيـــاة •

من بعض النواحي ، من المستغرب أن ا • م • فوستر اختار الرواية كشكل يستخدمه لشرح آرائه • فمن بين كل الأشكال الفنية ، تبدو الرواية أقلها تجريداً ؛ انها تتظاهر بأن الحياة هي مسألة مرتبة ومنظمة تنظيماً جيداً • ولكن حياة معظم شخصيات فوستر ليست جيدة التنظيم ؛ فهي شيء مشوش ، وهذا بالمناسبة تعبـير وفكرة يبدو أنه مغرم بهما جداً • ان رواياته تهتم كثيراً بما أطلقت عليه شخصية احدى هذه الروايات اسم « مُسكِّن التشوش » • مع ذلك فقد اختار الرواية ليعبر فيها عن أفكاره • وربما لاحظ هو نفسه الغرابة ، ففي مقطع كثر اقتباسه مـن « **وجوه الرواية** » ــ عمله الوحيد في النقد المتصل ــ أشار بتردد واشمئزاز ظاهرين الى أن « الرواية تحكي قصة ••• وانني أتمنى لو لم تكن كذلك ، لو أنها تستطيع أن تكون شيئاً مختلفاً ــ لحناً ، أو ادراكاً للحقيقة ، وليس هذا الشكل الرجوعي المتـدني » •

والقصص القصيرة هي من بعض النواحي حل وسط بالنسبة لوجهة النظر هذه • وكان من الممكن لنا أن نتوقع أن تتوجه الأعمال اللاحقة في اتجاه الفانتازيا المحضة • ولكن الواقع هو أن ا • م • فوستر هو أشياء أخرى بالاضافة الى كونـه فناناً • فكما كتب بيتر بورا في عام ١٩٣٤ « هو فنان على حافة الاصلاح الاجتماعي• فهو مهتم بالقضايا • وهو لم يبتر نفسه قط ، كما يفعل معظم الفنانين عاجلا أو آجلا ، عن المسائل السياسية والاقتصادية الخاصة بالعالم الخارجي » • وقد قـال فوستر نفسه أن « اغلاق البوابة الى حد ما هو أمر محتم بعد سن الثلاثين اذا قدر للعقل نفسـه أن يكون قوة خلاقة • » وعـلى الرغم من أن « الغاية » هي الشـيء المسيطر في معظم كتاباته اللاحقة الخاصة بالمناسبات ، فانه لم يحاول في أية من رواياته أن يلقي موعظة • وحتى « **ممر الى الهند** » ــ رغم أنها « كتاب لا يستطيع أي دارس للمسألة الهنـدية أن يتجاهله » ــ فهي أولا وأخيراً عمل من الابـداع الفنـي •

ولنلتفت الآن الى بحث الروايات الأربع التي نشرت قبل الحرب العالميـة الأولى ، أي بين ١٩٠٥ و ١٩١٠ • ان العالم الذي يجري وصفه هو بالطبع مختلف عن عالم يومنا هذا • ومع ذلـك فان المشاكل والصـراعات هي نفسها اليـوم •

وموضوع فوستر هو الطبقة الانكليزية الوسطى التي نشأ هو نفسه فيها وقد كتب عن أفرادها :

لقد كسبوا الثروة بواسطة الثورة الصناعية ، والقوة السياسية بواسطة قانون الاصلاح الصادر في عام ١٨٣٢ ؛ وهم ذوو علاقة بنشوء الامبراطورية البريطانية وتنظيمها ؛ وهم مسؤولون عن أدب القرن التاسع عشر • صلابة ، حذر ، استقامة ، فعالية • انعدام للمخيلة ، نفاق •

والصفتان الأخيرتان هما بشكل رئيسي موضع الهجاء في الروايات • فهما المسؤولتان عما سماه فوستر « القلب غير النامي » ، وهذا أحد المواضيع الأساسية في فكره • وقد أشار ، وهو يكتب عن هؤلاء الانكليز الذين تلقوا تعليمهم في معظم الحالات في المدارس الرسمية ، الى أنهم يخرجون الى العالم « بأجسام نامية نموا جيداً وعقول نامية الى حد معقول وقلوب غير نامية • وهذا القلب غير النامي هو المسؤول الى حد كبير عن المصاعب التي يلقاها الانكليزي في الخارج • وهو قلب غير نام ــ وليس قلباً بارداً » •

انه مما ينسجم مع فوستر أن يكون هذا المقطع قد كتب فيما يتعلق بالمدارس الرسمية • فهو نفسه كان طالباً نهارياً (وهو يصر على هذا التمييز في المراجع) في تونبردج ، التي هي على ما يظهر النموذج الذي استُمدَّت منه «سوستن» في أول روايتين له • لقد كان دائماً يكره نظام المدارس الرسمية ولم يكن لديه الكثير من المديح لهذا النظام ، رغم أنه ليس من المعروف ما الذي يريده بدلا عنه • وهذا النظام ، أكثر من أي شيء آخر ، هو الذي يكاد أن يدمر البطل في « **أطول رحلة** » •

وفي كامبردج ، من ناحية أخرى ، (حيث درس الآثار الكلاسيكية والتاريخ) يبدو أن فوستر وجد نقيض المدارس الرسمية التام • ففي كامبردج ، وفي كنكز كوليدج بالذات ، يلقى الأفراد الاحترام ، بدلا من أن يحشروا معاً كالمواشي ؛ وتبحث الأفكار ، بدلا من أن تحشى في أفواههم بالقوة • وكما كتب في سيرة حياة لاوز ديكنسن (الذي كان أيضاً من طلبة كنكز كوليدج) « يبحث الشبان عن الحقيقة بدلا من النصر ، وهم راغبون في المناشدة للحصول على رأي حين يثبت أنه لا يمكن الدفاع عنه ، ولا يحاولون التفوق على بعضهم البعض ، ولا يشعرون أن الحياء هو ثمن باهظ للاستقامة » •

لكن كامبردج ، بالرغم من حرية الفكر والنقاش فيها ومن أبهتها وجمالها فيما يتعلق بالعلاقات الشخصية ، لم تكن تمثل عالماً كاملا • فخارج كامبردج لم

تكن هناك فقط سوستن تونبرج ، عالم التحاملات التافهة والاضطهاد والابتذال ، وانما عوالم أخرى كثيرة أيضاً • لقد كانت هناك على سبيل المثال اليونان ، وسيكون من المشوق متابعة التغيرات والتطورات في نظرة فوستر لهذا العالم الحقيقي والمثالي • فهناك العالم نصف الصوفي ، عالم حوريات الغابات وقوى الطبيعة ، وهناك عالم التوازن والجمال الذي ندخله في عدة قصص من القصص القصيرة ؛ وهناك الاستمتاع بحقول التاريخ شبه المجهولة وكنتيجة مباشرة لخدمته المدنية في مصر خلال حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، هناك الكتابان المتعلقان بالاسكندرية ، حيث قابل لأول مرة الشاعر س • ب • كافافي ، الذي تعتبر أعماله الآن كجزء من التراث الذي بدأ في الشعر الاغريقي الكلاسيكي • وبالتأكيد كنتيجة لثقافته وفيما بعد لخبرته ، عنت اليونان شيئاً كثيراً لفوستر • وفي أعماله الأولى (وقد تم ذكر القصص القصيرة) ثمة مثل أعلى يجب الاقتراب منه برهبة واجلال • ربما بقدر أكثر مما ينبغي من الرهبة والاجلال ؛ ففي الروايات نجد ايطاليا المعاصرة وليست اليونان القديمة ولا حتى الحديثة هي التي تزود فوستر بالعالم الذي يستخدمه للمقارنة مع صورته الانكليزية الخاضعة للتقاليد •

ظهرت الرواية الأولى ــ « **حيث تخاف الملائكة أن تخطو** » Where Angels Fear to Tread في عام ١٩٠٥ حين كان فوستر في السادسة والعشرين • ومعظم الكتاب الجيدين يكررون أنفسهم على نحو مستمر ، مع تعديلات متعددة ، في أعمالهم المختلفة ، وليس فوستر استثناء لهذه القاعدة • ففي روايته الأولى نصادف معظم الموضوعات وقدراً كبيراً من الطريقة وحتى الكثير من الشخصيات التي ستظهر في أعماله اللاحقة • فهناك طريقتان في الحياة متباينتان ، متمثلتان في هذه الحالة في سوستن وايطاليا ؛ وهناك حدة البديهة والطابع الملهاوي اللذان تستتر وراءهما العواطف الجامحة ويقودان الى أفعال تكاد تكون ميلودرامية ؛ وهناك البحث عن الخلاص • وهناك توازن التفكير واستقامته اللذان يمتاز بهما فوستر• فبالرغم من أن سوستن تدان هي وكل ما تمثله ، فان ايطاليا لا يجري تمجيدها على نحو عاطفي • وهناك نقد حاد ولامع للتكبرات المختلفة ، الاجتماعية والفكرية ؛ وهناك الاصرار على كل من الحقيقة وصعوبة اكتشافها • وهناك أيضاً ــ على ما أعتقد ــ بعض العيوب التي تتكرر في الروايات الأخرى •

على حد قول الناقد الأمريكي ليونل ترلنغ ، « **حيث تخاف الملائكة أن تخطو** » هي رواية عن الشؤون الجنسية • وانني أعتقد أن هذا الحكم يبسط المسألة أكثر مما يجب ، ولكن من الصحيح أن الجنس يلعب دوراً كبيراً في القصة •

لذا فمن المؤسف أن فوستر يبدو مضطرباً على نحو يثير الاستغراب في تناوله لهـذا الوجه من وجوه الواقع • فهو ، رغم كونه لامعاً في معالجته للنساء في جميع المناسبات ما عدا حين يكن عاشقات ، يبدو أنه يعالج مشاهدهن الغرامية وكأنها وباء لا مفر منه • وليس هو أكثـر نجاحاً بكثير مع الرجـال الذين يصبحون ، وهم يعانـون الحب ، فجأة غير قابلين للتصديق • وانني لا أعتقد أن فوستر يقصد أن يحـدث هذا • انه قد يوحي الى حد معقول بأن الحب بين الجنسين هو تجربة انتقالية يؤمل منها الشيء الكثير ولكن لا ينجم عنها سـوى القليل • ولكن ليس هذا تماماً هـو ما يوحي به فعلا • اذ يجد المرء نفسه مدفوعاً الى الاعتقاد بأن هذا واحد من الأشياء التي ينبغي له (لفوستر) أن يحبها ، ولكنه لا يحبها ، ونساؤه هن عادة اللواتي يتحملن مسؤولية ذلك • فحين يكن متمتعات بالراحـة والدفء ، غالباً ما يكن صالحات • وحين يكن مسنات فانهن يعطـين أحياناً نوعاً من الأهمية الخارقة للطبيعة والتـي يصعب علينا رؤيـة ما يبررها • وحين يكن شابات ، فهن عـادة والى درجة غير عادية حمقاوات أو مترددات أو شريرات • وهن على هذا الأساس يجري تصويرهن بشكل يدعو للاعجاب ؛ فالعذارى الحمقاوات يصورن بالتأكيد بتعاطف وكـذلك بتفهم ـ دائماً ، باستثناء حين يكن عاشقات • وهنـاك عيوب مماثلة في العشـاق الذكور ومرة أخرى لا يستطيع المرء أن يصدق أن هذه العيوب مقصودة •

وهناك نقطة أخرى حول طريقة فوستر يجب ايضاحها قبل الشروع في بحث الروايات • فهي على نحو ما ، طريقة رمزية • فالشخصيات تعني أكثر مما تقول ؛ والحبكة توحي بأكثر مما هو موجود فيها فعلياً • فالعنصر الرئيسي مثلا في قصة رواية « حيث تخاف الملائكة أن تخطو » هي محاولة استرداد طفل رضيع من بلدة ايطالية صغيرة • والطفل هو نصف انكليزي ونصف ايطالي • وهو يلقى حتفه على يد ممثل للحضارة السوستنية * • من الواضح أن فوستر ، بحبكة مثل هذه ، يلمح الى شيء أبعد من مجرد قضية غباء وقسوة • ان آفاقه تمتد الى ما وراء الحـدود التي يضعها لها • فكتابته في الواقع شعرية وليست واقعية •

في « حيث تخاف الملائكة أن تخطو » تمثل عائلة هريتن الطبقات الانكليزية الوسطى • والسيدة هريتن ـ الأم ـ هي شخصية مرعبة • ووقارها هو قناعها التنكري • فتحت غطاء هـذا القناع ، ومـع كل مظاهر اللطف ، نجحت في التحكم بولديها واحباطهما وفي جعل أقربائها يخشونها • وحين تتعرض للخذلان ، تصبح لئيمـة وجبانة • لقد حمت نفسها بصورة لا شعورية من الواقع ، وتأثيرها على الآخرين

★ نسبة إلى سوستن التي ذكرت أكثر من مرة أعلاه • (المترجم)

سيء دائماً • وابنتها هارييت هي واحدة من أقل الفتيات جاذبية في الآدب • فهي ضيقة التفكير ومتشبثة بآرائها ومبالغة في قناعاتها الحقيرة وقاسية وعمياء عن كل شيء خارج الأعراف السوستنية • وبالاضافة الى ذلك ، فانها تصور باستمرار وعيونها متدفقة وأنفها محمر • ويعامل فيليب ، شقيق هارييت ، بعطف ، رغم أنه بعيد عن أن يكون بطلا • فهو شخصية ضعيفة ، مثقف تتسم مفاهيمه الجمالية بالعاطفية ، وكلبي على نحو باهت ، وهو حسب تفكيره أعلى منزلة من الآخرين ، بينما هو في الواقع مبتور كلياً عن ينابيع الحياة الرئيسية ويلخّص تاريخ حياته بالشكل التالي :

في الثانية والعشرين ذهب إلى ايطاليا مع بعض ابناء عمومته ، وهناك تشرّب أشجار الزيتون والسماء الزرقاء واللوحات الجدارية والأنزال الريفية والقديسين والفلاحين والفسيفساء والتماثيل والشحاذين جاعلا منها كلا جماليا واحداً • وعاد وعلائم النبوة تبدو عليه وكانه إما سيعيد تكوين سوستن أو سيرفضها • وفي فترة قصيرة انتهى ذلك • فلا شيء حدث في سوستن ولا في داخله • لقد أحدث صدمة لدى نصف دزينة من البشر ، وتشاجر مع أخته ، وتشاحن مع أمه • واستنتج انه لا يمكن حدوث شيء ، لعدم علمه أن الحب الانساني وحب الحقيقة ينتصران احيانا حيث يفشل حب الجمال •

ومع ذلك فهذا الشخص الذي لا يعد بالكثير هو على نحو ما بطل الكتاب • فأحد موضوعاته الرئيسية نمو هذا القلب غير النامي بواسطة الاتصال مع ايطاليا من نوع مختلف حيث الحب الانساني أكثر تركيزاً من الجمال وحيث هناك فارق بين التماثيل والشحاذين • وتشاركه تجربته شخصية أخرى تكوّن هذه التجربة الى حد ما ، وهي تقف ـ ولكن بطريقة مختلفة ـ بين العالمين • هذه الشخصية هي الآنسة كارولين آبوت ، فتاة شابة ومحترمة من سوستن • وهي أيضاً تتغير في شخصيتها بواسطة ايطاليا ، ومرة أخرى يحدث هذا التغيير على مرحلتين •

ويتم الاتصال بين العالمين بواسطة زيارة لايطاليا تقوم بها ليليا ، أرملة ابن السيدة هريتن • وليليا امرأة سخيفة ، رغم أنها تستدعي شيئاً من الرثاء • لقد قيل عنها أن « مؤهلها الوحيد للحياة هو نظرة مبتهجة متوردة ، تتحول الى المرح الصاخب أو الشجار حسب الظروف » • وقد تلقت الاضطهاد التام من حماتها (وكل ذلك مع أفضل النوايا) ، وتشعر بالسعادة لأنها ستقضي اجازة في ايطاليا ، بمصاحبة واشراف الآنسة آبوت •

وفي ايطاليا تقـع في هوى جينو وتتزوجه · ويسمع آل هريتن فقط عـن الخطبة ، ويُرسَل فيليب للاستقصاء · وبالطبع يعتبر أن الزواج غير ملائم · ففي الواقع ليس باستطاعته تخيل وجود أطباء أسنان في بلد هي بالنسبة له نوع مـن العالم الخرافي ، مزيج مركب من روما القديمة والعصور الوسطى وعصر النهضة · وهو يعرض نقوداً على جينو ليتخلى عـن ليليا ، ولو أنـه وصـل في وقت أبكر ، لكان من المحتمل أن يفكر جينو بالعرض · ولكن الزواج قد تم بالفعل · ولا تبعث فيه رؤية وجه فيليب سوى الضحك الجامح وفي نوبة ضحكه يدفع فيليب ويوقعـه على سرير في الفندق · ويعود فيليب الى انكلترا ، وقد جرحت كبرياؤه وحساسيته ، كارهاً ايطاليا والموقف الذي ليس في متناول فهمه بأكمله ·

وبالتأكيد يثبت بعد فترة قصيرة أن الزواج فاشل · فليليا تشعر بالملل في المجتمع الريفي الصارم في أعرافه بقدر صرامة سوستن رغم اختلاف هذه الأعراف · وبالتأكيد ، بما أن أعراف مونتريانو تبدو مصنوعة للرجال وليس للنساء ، تبدأ في استرجاع عالم آل هريتن في فكرها بتوق ، علماً بأن هؤلاء قد قطعوا الآن جميـع اتصالاتهم بها · ويبدأ جينو في التطور في اتجاهات لم تكن تتصورها · فبدلا مـن أن يبقى لعبة حلوة ، يصبح رجلا عادياً وضمن أعرافه يصبح أيضاً رجلا يحـاول الى حد معقول فرض سيطرته · وهو قد توقف عن الشعور بالحب نحوها ، اذا كان قد أحبها يوماً ما · وهو غير مخلص تجاهها ، ورغبته الرئيسية هي أن يكون والداً لطفل يكون مثله ·

وتلد ليليا صبياً وتموت أثناء الولادة · وكانت قد كتبت من قبل الى آل هريتن تصف تعاسة حياتها ·

والسـؤال الآن هو : ما الذي يجب القيام به تجاه الطفـل ؟ ان غريزة آل هريتن تدفعهم لأن ينسوه كلياً · فهم يفترضون أن أباه وغد وأمه حمقاء · ولكنهم في هذا يلقون مقاومة من قبل الآنسة آبوت ، التي تصر أنه اذا لم يقوموا بأي شيء تجاه الطفل فانها ستقوم هي نفسها بتبنيه · وعند ذاك يخترع آل هريتن (أو عـلى الأقل السيدة هريتن وهارييت) أسباباً أخلاقية مقنعة تجعل من واجبهم انقاذ الطفل من المصير الرهيب ، مصير العيش مع والده · ولا يخطر لأي منهم قط أن جينو قد يفضل الاحتفاظ بطفله ·

وبطريقة ما (مراحل الحبكة معقدة في هذا الجـزء) يصل فيليب وهارييت والآنسة آبوت جميعاً الى مونتريانو في طلب الطفل · ومـرعان ما يكتشف فيليب

والآنسة آبوت أن جينو ليس بتاتاً الغول الذي تخيلاه • ويحضرون أداءً لا مبالياً ولكنه شديد المرح في دار الأوبرا المحلية • ويستقبل جينو وأصدقاؤه فيليب وكأنه أخ طال غيابه • ويلقى الطفل الاعجاب • لقد أعاد كل من فيليب والآنسة آبوت اكتشاف ايطاليا – ليس على نحو جمالي ولكن على نحو انساني • هارييت فقط، التي ترفض بعناد الاستمتاع بأي شيء أو فهم شيء، تبقى مخلصة كلياً لأسوأ مبادىء عالم سوستن •

ويبدو المشهد مهيأ لنهاية ملهاوية، ولكن النهاية مختلفة • إذ تقوم هارييت – دون أن تدرك بتاتاً أنه يمكن لجينو أن يحب طفله، ومدفوعة بمعتقداتها الدينية – بسرقة الطفل وهي في طريقها إلى المحطة • ثم يقتل الطفل في حادثة • ويذهب فيليب، وقد كسرت ذراعه في الحادثة، الى جينو يحمل إليه الخبر، ويتلمس جينو، وقد انفجر في غضب عنيف، طريقه مطارداً فيليب في غرفة مظلمة، ثم يقوم بتعذيبه لاويا ذراعه المكسورة ويبدأ بخنقه على نحو منهجي • في اللحظة الأخيرة تصل الآنسة آبوت • وهي تظهر كالهة وبطريقة تكاد أن تكون معجزة تنقذ حياة فيليب وتجعل من الرجلين صديقين حميمين من جديد •

وتأتي مفاجأة أخيرة في نهاية الكتاب • لقد قربت التجربة الايطالية بأكملها بين فيليب والآنسة آبوت • ويكون فيليب، أثناء عودتهما إلى انكلترا، على وشك التقدم إليها بعرض زواج، حين تخبره أنها كانت طيلة الوقت، ودون أن تصرح لأحد بذلك، تشعر بالحب الجسدي تجاه جينو • ولم يبادلها جينو الحب، لأنه لم ينظر إليها كامرأة، وإنما كالهة • وهي ستعود الآن إلى سوستن، سعيدة إذا استطاعت في بعض الأحيان التحدث عنه إلى فيليب • وفي أثناء ذلك يكون جينو قد تزوج ثانية، بعد أن وجد أن عدم زواجه سيكون باهظ التكاليف •

ليست أولى روايات فوستر أفضلها • ولكنها مع ذلك تبدو محتوية للصفات المميزة لفنه، ولهذا السبب فقد تم وصفها هنا بتفصيل • لكن لا يمكن لأي وصف أن يعطي تداخلات الحبكة، والتغييرات التدريجية في الشخصيات، والتوقد الذهني والجمال والهجاء في مشاهد كثيرة – لا يمكن لأي وصف أن يعطيها حقها • ومما يستحق الذكر أيضاً في هذه النقطة أنه في الروايات الخمس جميعها هناك لجوء متكرر إلى غرس الدلائل كتحضير للأحداث اللاحقة • وهذه أعظم مهارات فوستر، إذ عادة تقدم الدلائل على نحو عرضي تماماً بحيث أنها تصبح واضحة فقط أثناء قراءة ثانية • وهذا صحيح بشكل خاص بالنسبة لرواية «ممر إلى الهند»، ولكن حتى في الرواية الأولى تظهر هذه الطريقة في المقطع الذي يصف الحادثة التي

تتسبب عاصفة بحدوثها والتي تنتهي بموت طفل جينو · لقد تم تحضير هذا بعناية قبل سبعين صفحة في نقاش حول الطقس ، ولكنه يتم بمهارة كبيرة إلى حد أنه لا يكون ظاهراً في البداية ·

والرواية التالية ، التي نشرت عام ١٩٠٧ ، هي « **أطول رحلة** » · ولقد ذكر فوستر (في مقدمة لطبعة « إيفريمانز لايبراري » من رواية « ممر إلى الهند ») أن معظم القراء اعتبروها فاشلة ونبذوها · وهناك على ما يبدو ما يدعو إلى افتراض أن فوستر نفسه يحمل محبة خاصة لها ، ربما بسبب ارتباطها بكامبردج وبدخوله هو إلى الحياة المتمدنة ، وهي من بين رواياته الرواية التي اختارها بنفسه لتكون ممثلة له في سلسلة « الأعمال الكلاسيكية العالمية » ·

وتهتم « **أطول رحلة** » ـ مثل سالفتها ـ إلى حد كبير بعالمين متناقضين وباستقصاء ما يمثل الحقيقة·انها تبدأ في كامبردج بمجموعة من الطلبة يتباحثون في الميتافيزيقيا (هل توجد بقرة ما حقاً حين لا يكون هناك من يراها ؟) · وتدخل إلى حماسة وود عالم كامبردج شابة من سوستن اسمها آغنس تنجح في إيقاع الفوضى في حياة ريكي ، المفكر الذي هو الشخصية الرئيسية في الكتاب · لكنه مثل بعض شخصيات فوستر الأخرى ليس مفكراً ممتازاً · فهو يجد صعوبة في فهم المناقشة الميتافيزيقية · وتتضخم حساسيته الشديدة بفعل كونه أعرج منذ ولادته ، وتبعث ذكرى أبيه الاشمئزاز في نفسه بقدر ما هو متعلق بذكرى أمه ·

ويبدو أن الموضوع الرئيسي في الكتاب هو تهاوي ريكي إلى عالم اللا واقع (كما يتمثل في زوجته آغنس وفي عالم المدارس الرسمية في سوستن) وخروجه إلى النور من جديد بارشاد من صديقه الكامبردجي آنسل ، وأخيه ستيفن · ومرة أخرى تكون ذروة الرواية رمزية وعنيفة · فالمذهب العقلي لا يعوق ستيفن ، الذي غالباً ما يكون ثملاً بل وغير مهذب ، لكنه كريم بالنسبة للنقود وعلى صلة بعالم الريف بطريقة ليس في وسع الشخصيات الأخرى التوصل إليها ·

وتكون خطبة ريكي وآغنس قد تمت حين يكتشف ريكي أن ستيفن ـ الذي نشأ في الريف بعيداً عن العائلة ـ هو أخوه غير الشرعي · ويقتنع ريكي ـ الذي يعتبر هذه الحقيقة مثالاً جديداً على فسوق أبيه ـ مع آغنس وأخيها مدير المدرسة أن ينكر القرابة وأن يعرض الرشوة للحصول على الكتمان · وتأتي الذروة حين يكشف آنسل ـ في خطاب متقد العاطفة وإن كان بعيداً عن الواقعية ، يجري في قاعة الطعام في المدرسة ـ أن آنسل ليس إبن والدريكي ، وإنما إبن أمه· وسيدرك أي شخص لديه اطلاع ولو بسيط على الحياة الانكليزية على الفور أن

مدرسة يمكن أن يحدث فيها شيء كهذا لن تستطيع الاستمرار طويلاً بعد حدوث المشهد . فهو ببساطة غير واقعي . ونحن نعرف هذا والمؤلف يعرفه أيضاً ، ولكن إحدى الخصائص الغريبة هي أنه حين تجري قراءة هذا المقطع ضمن سياقه (في الرواية) فانه مقنع بشكل تام ؛ إنه مثل الحبكة البعيدة عن التصديق في أوبرا ، والتي لا نعترض عليها حين نكون داخل المسرح بسبب عظمة الموسيقى. وبالمناسبة، ليس هذا مثالاً مفرداً . فالصدمات المختلفة النوعية تحدث في جميع الروايات تقريباً . فهي جزء من خطة المؤلف المتعمدة . اننا نقرأ في مقطع كبير المغزى في « ممر إلى الهند » « أن معظم الحياة مضجر إلى حد أنه ليس هناك من شيء يقال حوله والكتب والأحاديث التي تصف الحياة بأنها مشوقة مضطرة للمغالاة ، على أمل تبرير وجودها . » اننا نبدأ في أن نرى ما الذي يعنيه السيد فوستر حين يتشكى أنه « نعم ــ يا إلهي نعم ، ان الرواية تحكي قصة » (« وجوه الرواية ») .

بعد ذروة رواية « **أطول رحلة** » يصمم ريكي أن يكرس نفسه لأخيه . فمطمحه هو أن ينقذه من الادمان على الشرب ؛ أن يقوم بما هو في وسعه كي يمدنه . ولكنه من جديد يجد ــ كما وجد بالنسبة لزواجه ــ أن محاولته لدخول عالم الواقع فاشلة . وهو يموت أثناء إنقاذه لحياة أخيه ، موافقاً أخيراً مع احد الشخصيات الذي قال له قبل الحادثة تماماً : « انني أؤكد لك جاداً أن الأشياء الهامة في الحياة هي أشياء صغيرة ، وأن الناس ليسوا مهمين على الاطلاق . عد إلى زوجتك . »

من الواضح أن هذه الرواية أيضاً تتعلق بمفكر فاشل . ولا يمكن أن نقول أن ريكي هو شخصية محببة ، لكنه شخصية تتلقى الكثير من العطف ، وهو يكتسب قدراً من السمو من محاولاته لاكتشاف الحقيقة . وهجاء فوستر لعالم المدارس الرسمية في سوستن هجاء رائع ، ووصفه لتدهور شخصية ريكي في هذا العالم هو واحد من أفضل الأشياء التي كتبها . وبالتأكيد ليس الكتاب ككل خالياً من العيوب ، ولكنه ليس بتاتاً عملاً فاشلاً كما اعتبروه في الماضي . ففيه خاصة مؤثرة على نحو غريب وهو يكشف إلى حد كبير تفكير مؤلفه .

والرواية التالية أقل جدية وأقل عاطفية . وقد وضع مخطط « **غرفة ذات منظر** » A Room with a View ، التي نشرت عام ١٩٠٨ ، في عام ١٩٠٣ ، لذا فليس من المدهش أنها تشابه « حيث تخاف الملائكة أن تخطو » أكثر من « أطول رحلة » . وهي كتاب مليء بالملهاة المتقنة . والشخصيات النسائية ، أو معظمها ، بشكل خاص تعامل بمنتهى الرشاقة والظرف . ولكن ، مع الملهاة هناك

الموضوعات والطرق الجدية المعهودة ٠ومرة أخرى يُقَدَّم إلينا صراع بين الحقيقة والزيف ، بين الفن والحياة ، بين سوء فهم للفن وسوء فهم للحياة ٠ وتلعب إيطاليا، أو ذكرى إيطاليا ، مرة أخرى شيئاً من الدور الذي لعبته في رواية فوستر الأولى٠ ويحرك فعل رمزي من العنف آلية الكتاب ٠ إذ يطعن أحد الايطاليين إيطالياً آخر أثناء مشادة في الشارع ، ويجري بعض الدم على صور فوتوغرافية تخص لوسي هنيتشرتش ، التي تقع مغمى عليها بين ذراعي جورج إمرسن ـ وهذه الأحداث تمثل على نحو ما المشاكل المطروحة في الرواية تمثيلاً رمزياً ٠ وإن محاولة تحديد معنى الرمز بالضبط سيكون الايحاء بأن هذا الرمز غير واف ٠ لكن رموز فوستر تستحق بالفعل الدراسة ٠ فهي التي تجعل كتابته شاعرية والتي تمنح أعماله اللاحقة تميزها الخاص ٠ فالدم على الصور والرموز التقليدية إلى حد أكبر الخاصة بروابط الدم غير المتوقعة في « حيث تخاف الملائكة أن تخطو » و « أطول رحلة » تقود إلى الرمزية الأكثر جلالاً في « هواردز إند » Howards End وكهوف المارابار ٠

أما بالنسبة للوسي هنيتشرتش وجورج إمرسن فان مشكلتهما هي ببساطة أن يتزوجا ، ونحصل أخيراً على نهاية سعيدة ٠ ولكن مرة أخرى ليس من السهل اكتشاف الموقع الذي يتخذه فوستر نفسه ٠ حين تفسخ لوسي خطبتها لسيسيل فايس ـ واحد من مفكري فوستر القلائل الذين يجري تقديمهم على أن طبيعتهم الغالبة متزمتة ومغرورة ومنفرة ـ فانها لاتدرك أنها في الواقع مغرمة بجورج إمرسن ٠ وكما يقول فوستر :

> **لقد تخلت عن محاولة فهم نفسها ، وانضمت الى الجيوش الجرارة من الجهلة، الذين لا يتبعون القلب ولا العقل ، ولا يسيرون الى مصيرهم وفقا لشعارات معينة٠ هذه الجيوش هي أناس لطفاء واتقياء ٠ لكنهم استسلموا للعدو الوحيد ذي الأهمية ، العدو الداخلي ٠ لقد أثموا بحق العاطفة والحقيقة ، وسيكون كدحهم بحثاً عن الفضيلة ضرباً من العبث ٠**

« القلب والعقل » ، « العاطفة والحقيقة » ، « إيروس وپالاس أثينه » ـ تبدو هذه بالتأكيد مثل فوستر العليا ٠ ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ٠ ففي النهاية تدرك لوسي عواطفها الحقيقية وتستعد للزواج من جورج ٠ وعند هذه النقطة فجأة ينقلب ـ السيد بيب ـ وهو من رجال الكنيسة وقد كان حتى هذه اللحظة بشكل قاطع إلى جانب الحياة ، وأبدى تسامحاً وتفهماً ، وحمل المحبة للايطاليين وأظهر استعداداً لأن يسبح عارياً ـ ضد الزواج ٠

لقد حير هذا التغير المفاجيء معظم النقاد ٠ وقد فسره بعضهم بأن فوستر يكره رجال الكنيسة بشدة جعلته لا يستطيع تحمل وجود رجل كنيسة « صالح » في أي من كتبه ٠ لكن فكرة المرء عن استقامة المؤلف الفنية تمنعه من قبول هذا الحال ٠ ونحن نقرأ عن السيد بيب أن : « إيمانه بالعزوبية ، المخبأ بحذر شديد تحت تسامحه وثقافته ، طفا الآن على السطح وتوسع مثل زهرة دقيقة ٠ » وشعوره القوي المؤيد « حاذق جداً وبعيد تماماً عن الدوغماتية » ٠ وهو شعور يسبب شيئاً من الفساد للابتهاج العام الذي يشعر به القارىء العادي ، وفيه ــ كما أعتقد ــ يجد المرء مثالاً (ربما ليس مثالاً ناجحا جداً ، من وجهة نظر الرواية) على تردد فوستر في الالتزام على نحو نهائي حتى بشعارات مهيبة على نحو واضح مثل الحقيقة والحياة ٠ ومن جهة يمكن لومه بسبب التردد ، ولكن من جهة أخرى قد يسمو قدره بسبب تشككه ٠ وبالتأكيد الايمان والشك معاً ، الجرأة والجبن معاً ، هما من خواص فنه ، المبني بالتأكيد على صعوبة « التوفيق بين الأضداد ٠ »

وهذه هي مشكلته مرة أخرى في « هواردز إند » ، التي نشرت عام ١٩١٠ ٠ « فقط إربط » ــ هذا هو شعار الكتاب ، ولكن الواقع أن الربط يتحقق فقط من خلال ميتات وانهيارات في انتصار لنوع من الأنوثة المنعدمة الجنس ٠

هنا تقوم عائلتان بتمثيل العالمين ٠ ففي أحد الجانبين هناك الأختان شلكل (وهما نصف انكليزيتين ونصف المانيتين) وفي الجانب الآخر عائلة ولككس ، الخشنة ، الماهرة ، الجبانة ، العديمة المخيلة ٠ وتكرس مارغرت وهلين شلكل حياتهما « للثقافة » ، للحياة الداخلية ، للعلاقات الشخصية ٠ لكنهما تعيان وجود « حياة خارجية » ، وهي شيء يختلف عما يظهر في الكتب التي تقرآنها وفي نقاشاتهما مع أصدقاء مصقولين مترفين ٠ ومن جانب آخر ، نجد أن أفراد عائلة ولككس ، البارعين في شؤون « الحياة الخارجية » ، لا يعون وجود أية حياة أخرى على الاطلاق ٠

هذا هو الموضوع بشكل عام ٠ وليس هناك حاجة للقول بأن تطويره يتم بمنتهى البراعة ٠ فجهود « الربط » متنوعة وهي عادة فاشلة ٠ ولكن تبدو الجهود بأنها تحمل طابعاً عاماً ملحاً وجاداً يجعلها تختلف عن مثيلاتها في الكتب السابقة ٠ والكثيرون ، بما فيهم ليونيل ترلنغ ، يعتبرون هذا الكتاب تحفة فوستر ٠ وهو يقف عند نهاية مرحلة ؛فلقد انقضى أربعة عشر عاماً قبل نشر « ممر إلى الهند » ٠ ومع ذلك يبدو لي ، في العمق والجدية ، في نوع الرمزية الغزيرة أو المسيطرة ، أقرب إلى الكتاب اللاحق منه إلى الكتب السابقة ٠ فهو ، مثل « ممر إلى الهند » ،

أكثر طموحاً بكثير في مداه مما كانت تلك الروايـات · ونستعير مرة أخرى من الكتاب الممتاز الذي كتبه ليونيل ترلنغ ــ وهو كتاب أنا مدين له بـاستمرار في كتابتي هذه المقالة ــ « هواردز إند » رواية عن مصير انكلترا · وهو كتاب عن حرب الطبقات · والحرب مستترة ولكنها حقيقية ــ حقيقية بالتأكيد إلى حد أن سيفاً يشهر حرفياً ويتم قتل رجل فعلاً · وتظهر انكلترا نفسها في الرواية بشكل ملموس ، إذ أن القصة تتحرك بواسطة الرموز وشخصياتها ليست الوحيدة التي « تمثل أشياء أبعد من ذواتها » ولكن هذا ينطبق أيضاً على « شجرة دردار وزواج وسيمفونية ومكتبة عالم » ·

هذا صحيح ، وحبكة الرواية أكثر حذقاً من أن يكون من الممكن أن نتتبع هنا الرموز الموسعة التي يشير ليونيل ترلنغ إليها ، حالات نجاح وفشل الشرعية وعدم الشرعية · وهذه رواية تتحدى أكثر من أية رواية أخرى لفوستر أي نوع مــن التلخيص · فالكثير مــن العقــد الصعبة تُقطَع مــن جديد في مشــاهد من الميلودراما والعنف · ولكنها هنا أكثر نجاحاً مما هي عليه في الروايات السابقة ، ربما لأن ربطها برمزية الكتاب الأساسية هي أكثر صحة ودقــة · وهكذا يمكن للمرء التغاضي عن بعد احتمال علاقة هـلِن الغرامية القصيرة مع ليونارد باست ، وقيام تشارلز ويلككس بقتل ليونادر مرعب حقاً ·

أما بالنسبة لخاتمة الكتاب ، أي للنتائج النهائية لمحاولة « الربط » ، فقد لا يشعر المرء أنها مُرضية ، ولكن مــن العدل ان نقول أن قيمة الكتــاب هي في تحديده لمشكلة معينة وليس في حله لها · ففي النهاية يُنهزم آل ويلككس · واحد منهم في السجن ، والآخر يلجأ في حالة من القنوط إلى زوجته ، مارغريت شلكل ، التي ورثت في النهاية البيت الرمزي · ويمكن القول بأن هذا الانتصار للحياة الداخلية لم يكن هينـاً ، ولكن ، نستعير مرة أخرى قول ليونيــل ترلنغ : « ان الصورة التي يختتم فوستر بها ليست صورة سعيدة كلياً ، هــذا المشهد المصطنع إلى حد ما من الانهماك والقناعة في حقــل التبن ، فالذكر مخصي على نحو أكثر شمولاً ممــا يجب ، وبالنسبة للمرأتين ، تعترف هلن أنهــا لا تستطيع أن تحب أي رجل ، ومارغريت أنها لا تستطيع أن تحب أي طفل » ·

هناك رمزان كبيران في هذا الكتاب سيظهران ثانية في أشكال مختلفة بعــد أربعة عشر عاماً في « **ممر إلى الهند** » · أحدهما هو رمز المرأة المسنة الحكيمة ، التي هي في هذه الحالة زوجة ويلككس الأولى · ويبدو أن خواصها الرئيسية هي نوع من عدم الاكتراث الارستقراطي بغرامات ومخاوف العالم العادي ، والحقائق

المحضة لأنوثتها ، وربما سنها • وبعد موتها تكتسب أهمية أكبر ، إذ تصبح ربة من نوع ما أو حكيمة قبيلة ممثلة للحكمة الأنثوية وغير المنطقية •

لقد أشار فوستر في مكان آخر (طبعة « إيفريمانز لايبرري » من « ممر إلى الهند ») إلى ايمانه بأن الموسيقى هي أعمق الفنون وأنها تقع « على عمق تحت الفنون » • وباستعماله موسيقى سيمفونية بيتهوفن الخامسة كرمز ، عبّر عن معرفته لخواء أساسي في عالم الواقع وعن خوفه منه لحاسة من الذعر وعدم الطمأنينة ، شيء يوسع على نحو شديد نطاق بحثه للطبقات الاجتماعية الانكليزية • والمقطع الذي يحقق فيه هذا في « هواردز إند » هو واحد من أهم المقاطع بين كل أعماله •

سيكون من المسلم به بشكل عام أن سيمفونية بيتهوفن الخامسة هي أكثر الضجات التي تخللت ابداً أذن الانسان سمواً • فجميع الأنواع والظروف تجدها مرضية • وإذا كنت مثل السيدة مَنت ، وتنقر بشكل مختلس حين يسمع اللحن ـ طبعاً لكيلا تزعج الآخرين ـ أو مثل هلن ، التي تستطيع رؤية أبطال وحطام سفن في طوفان الموسيقى ؛ أو مثل مارغريت ، التي تستطيع فقط رؤية الموسيقى ؛ أو مثل تبي ، صاحب العلم العميق بالطباق ، والذي يضع النوطة الكاملة مفتوحة فوق ركبته ؛ أو مثل قريبتهم ، فراولاين موزباتش ، التي تتذكر دائما أن بيتهوفن « ألماني أصيل » ؛ أو مثل صديق فراولاين موزباتش الشاب ، الذي لا يستطيع أن يتذكر شيئاً سوى فراولاين موزباتش : في أية حالة ، تصبح العاطفة الأولى في حياتك أكثر حيوية ، وتضطر إلى الاعتراف بان ضجة مثل هذه تكون رخيصة حين تباع بشلنين •

والمقطع أطول من أن نورده بأكمله ، ولكن نهايته ذات مغزى خاص • فهي تشير إلى حركة السيمفونية الأخيرة : « الحركة الرائعة : قبل كل شيء العفاريت ، ثم ثلاثي من الفيلة ترقص ؛ ويرجو تبي الجمع بشكل عام أن ينتبهوا إلى المقطع الانتقالي على الطبل » •

ويرفع تبي اصبعه حين يقترب مقطع الطبل :

لأنه ، كما لو أن الأمور كانت مغالية أكثر مما ينبغي ، أمسك بيتهوفن بالعفاريت وجعلها تقوم بما كان يريده • وظهر هو شخصياً • دفعها دفعة خفيفة وبدأت تمشي في سلم كبير بدلا من صغير ، ثم ـ نفخ بفمه مما جعلها تتبدد ! تفجرات من الروعة ، آلهة وانصاف آلهة تتبارز بسيوف هائلة ، عطر ملون ينتشر على حقل

المعركة ، انتصار بديع ، موت بديع ! آه ، لقد انفجر كل ذلك امام الفتاة ، بل ومدت يديها المكتسيتين قفازاً وكانه شيء ملموس • كان اي مصير مصيراً ضخماً ؛ أيةمباراة مباراةمرغوبة ؛ وستصفقالملائكة واقصى النجوم بقدر مماثل للمنتصروالمهزوم•

والعفاريت ـ لم تكن هناك على الاطلاق ؟ لقد كانت مجرد اشباح الجبن وعدم الايمان ؟ حافز إنساني سليم واحد كفيل بان يبددها ؟ سيقول رجال مثل افراد عائلة ويلككس ، او الرئيس روزفلت ، نعم • لكن بيتهوفن كان اكثر معرفة • لقد كان العفاريت حقا هناك • وقد تعود ـ وعادت بالفعل • كان الامر كما لو ان روعة الحياة قد تغلي وتفور وتضيع على شكل بخار وزبد • وفي دمارها كان المرء يسمع النغمة الرهيبة المنذرة بالسوء ، ومشى عفريت ، بحقد متزايد ، هادئة فوق الكون من طرف الى طرف • ذعر وخواء ! ذعر وخواء ! وحتى متاريس العالم الملتهبة قد تهوي •

وقد اختار بيتهوفن ان يجعل كل شيء على ما يرام في النهاية • فقد شيد المتاريس • ونفخ بفمه مرة ثانية ، ومن جديد تبدد العفاريت • واعاد ثانية تفجرات الروعة ، البطولة ، الشباب ، بداعة الحياة والموت ، وفي وسط زمجرات هائلة من البهجة فوق البشرية ، سار بسيمفونيته الخامسة الى خاتمتها • لكن العفاريت كانت هناك • وبامكانها ان تعود • لقد قال هذا بشجاعة ، ولهذا السبب يمكن للمرء ان يثق ببيتهوفن حين يقول اشياء اخرى •

كان لا بد من مرور أربع عشرة سنة قبل أن يطور فوستر هذه الرموز في رواية أخرى • ففي عام ١٩١٢ ذهب إلى الهند للمرة الأولى ، وهناك وجد الرمز النهائي لرواياته ـ شيء هو بشكل اجمالي أكثر ضخامة من إيطاليا ، أكثر إبهاماً من المنزل الانكليزي • وبعد عودته بدأ العمل في « ممر إلى الهند » ، لكنها لم تسر سيراً حسناً وتركها مؤقتاً • بعد عشرة أعوام عاد إلى الهند لمدة ستة أشهر ، وأخذ معه الفصول الأولى (من روايته) بغية أن يستمر بها • « ولكن حال مقابلتها (هذه الفصول) للبلاد التي كانت تهدف لأن تصفها » ، يقول فوستر (في « هضبة دقي ») ، « بدا أنها ذوت وماتت ولم يكن بامكاني فعل أي شيء بالنسبة لها • كان من عادتي أن أنظر إليها خلال المساء في غرفتي في ديواس ، ولا أشعر بغير النفور واليأس • لقد كانت الهوة بين الهند كما صورتها الذاكرة والهند كما عرفتها الخبرة أوسع مما يجب • وحين عدت إلى انكلترا تضاءلت الهوة ، وأصبح بامكاني العودة إلى العمل • لكن كنت لا أزال أعتقد أن الكتاب سيء ، وربما ما كنت لأتمه لولا تشجيع ليونارد ولف » •

من المحتمل أن التأخير كان من حسن الحظ · فقبل ذهاب فوستر إلى الهند للمرة الثانية ذهبت به حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ إلى مصر حيث اكتسب ، أثناء وجوده في عدد من الوظائف غير القتالية ، خبرة أوسع بالأجناس المختلفة وبطبقة الموظفين الأوربية · ولكن النسيان لم يطو الهند كما يظهر من عدد من المقالات التي أعيد نشرها فيما بعد في « حصاد أبنكر » ·

ويعود عملان من أعماله إلى الفترة المصرية · أحدهما ـ الذي نشر محلياً عام ١٩٢٢ ، وهو « الاسكندرية : تاريخ ودليل » · والتاريخ فيه مشوق واستفزازي ؛ أما القسم المسمى دليلاً فهو واحد من أفضل الأدلة التي كتبت حول مدينة كبرى وأكثرها فعالية على الاطلاق · والعمل الآخر أقل قيمة ، لكنه يحتوي واحدة من أكثر مقالات فوستر حدة في البصيرة ، وهي المقالة التي تتناول شعر ك · ب · كافافي ، الذي لم يكن قبل ذلك معروفاً لدى أغلبية القراء الانكليز ·

وقد نشرت « ممر إلى الهند » عام ١٩٢٤ · ولا شك أن بعض نجاحها في إنكلترا وأمريكا يعود الى حقيقة أن الرواية تبدو في ظاهرها دراسة واقعية للعلاقات الانكليزية ـ الهندية · ومن الصحيح أن الرواية تبدأ بمحاولات ، منها السخيف المضحك ومنها الجاد ، يقوم بها الهنود والانكليز لفهم بعضهم البعض ، وأنها تنتهي بفشل من طرف الشخصيتين المذكرتين الرئيسيتين ، عزيز وفيلدنغ ، في إنجاز الصداقة التي يرغبان بها · ولا مجال لانكار العنصر الدعاوي في الكتاب ولكن يصعب أن يستنتج المرء أنه كتب لذلك الغرض · ومع ذلك ، فبالرغم من أن هذا الجانب منه لم يعدله أكثر من أهمية تاريخية فقد كان مسؤولاً إلى حد كبير عن نجاح الكتاب الفوري في إنكلترا والولايات المتحدة ، اذ فيه أشياء كثيرة لكل من الامبرياليين وأعداء الامبريالية للنقاش حولها · ولكن الآن من الممكن أن يرى المرء بوضوح أن الكتاب أكثر بكثير جداً من دراسة للحكم البريطاني ، بل وأكثر من دراسة للمصاعب التي ترافق العلاقات الشخصية ؛ فهو في الواقع أكثر روايات فوستر فلسفة · ورغم أن القصة واضحة المعالم ، وأنها ذات خلفية واقعية ، وتحتوي على هجاء فذ للسلوك الذي يحمل طابع المدارس الرسمية الانكليزية الذي يمقته هذا المؤلف على هذا النحو الخاص ، فان ما يحرك العقل في هذا الكتاب هو التردد المألوف ، المباينة بين نوع من الأمل وبين « الذعر والخواء » اللذين يبدوان في الهند خلال تلك الفترة وكأنهما اكتسبا طابعاً حقيقياً يكاد أن يكون مادياً · هل تستطيع أية عقيدة أن توجد ،

بعد التسليم بهـذا الذعر والخواء ؟ لا يريـد فوستر أن يجيب بـدقة على هـذا السؤال • ونجاحه في كتابة آخر وأعظم رواياته هو في طرحه للسؤال •

وبالنسبة لهـذا السؤال الضمني ، فـان شخصية السيدة مور ذات أهمية كبرى • فهي تأتي الى الهند مع ادِلا كوستدِ التي يتوقـع أن تتزوج إبن السيدة مور ،روني ، وهو مسؤول بريطاني • وهي لطيفـة ومتفهمة ، بـل وقادرة على القيام باتصالات مع الهنود • وهي تقول ، والاخلاص يطبع كلامها ، « الله ••• هو ••• الحب » وتوصي ب « النية الطيبة وقدر أكبر من النية الطيبة وقدر أكبر من النية الطيبة » • وفيما يسير الكتاب قدماً ، فانهـا على نحو ما تكتسب خصائص من الحكمة تكاد أن تكون خارقة للطبيعة • ويربطها تعاطفها مع حشـرة (دبّور) على نحو صوفي بالأستاذ غودبول الهندوسي • وتعاطفها المفترض مع عزيز يجعلها في النهاية ربـة من نوع ما . وتحت اسـم « إسميس إسمور » * يهلل لهـا الجمهور في الشارع أثناء محماكة عزيز • ومع ذلك ، فمن وجهة النظر التحررية (الليبرالية) والمسيحية ، تتغير شخصيتها خلال الرواية الى الأسوأ •

أثناء حفلة شاي يغني الأستاذ غودبول أغنية دينية ، هي صلاة الى ربالكون:

« إنه يرفض المجيء • ويكرر هذا عدة مرات ، » أعلن الأستاذ « لكنه يأتي في اغنية أخرى ، كما آمل ؟ » قالت السيدة مور برفق •

« أوه ، لا ، إنه يرفضالمجيء ، » كرر غودبول ، ربما دونأن يفهم سؤالها •

« إنني أقول له : تعال ، تعال ، تعال ، تعال ، تعال تعال • لكنه يهمل المجيء • »

ان هـذه رؤيا مختلفة تماماً عن الرؤيا المسيحية التحرريـة • وحين يأتي الطقس الحار ، وبينما يتشاجر الشابان ثم يتصالحان ثانية ، يبدو أنها تتحرك نحو عالم مختلف ، غير شخصي الى حد أكبر ، أكثر خواء • ويقال لنا أنها :

شعرت على نحو متزايد (رؤيا أم كابوس) انه رغم اهمية الأشخاص فـان العلاقات بينهم غير مهمة ، وان جلبة زائدة جداً قـد اقيمت بشكـل خـاص حـول الزواج ؛ قرون من العناق الجسدي ، لكن الانسان ليس اقرب إلى فهم الانسان •

وتخطر نفس الفكرة فيما بعد ، بعد تجربتها المروعـة في كهف المارابار • فهي تقول لابنها ، المقتنع أن محاولة قد تمت لاغتصاب خطيبته :

★ تحريف هندي لاسمها الأصلي : « مسز مور » •

« لم كل هذا الزواج ، زواج ؟ ... كان الجنس البشري أصبح شخصاً مفرداً قبل قرون عديدة لو كان في الزواج اية فائدة . وكل هذا الهراء عن الحب ، الحب في الكنيسة ، كما لو أن ذلك يؤدي الى اقل قدر من الاختلاف . »

تبدو هذه الأفكار استثنائية الى حد أنها تستحق التعليق . فمن الصعب أن نصدق أن الكثير من العشاق ، أكانوا متزوجين أو غير متزوجين ، اعتبروا « عناقاتهم الجسدية » على أنها خطوات في اتجاه تشكيل الأمم المتحدة. لكن الايحاء هو أن هذا كان ما يجب أن ينتج . وربما ذكرتنا السيدة مورمن بعض الجوانب هنا بالسيد بيب الأكثر صوفية . ان عدم الثقة بالجنس هنا تعني كراهية له . فهو نزهة شديدة الخطورة أو شديدة الاضجار في « الحياة الخارجية » . ومما ينسجم مع موقف فوستر نفسه السؤال الموضوع بين قوسين : « رؤيا أم كابوس » ؟

قد يكون وصف زيارة كهوف المارابار والمشاهد الطبيعية التي تطبع في العقل احساساً طاغياً بالذعر والخواء مكتوباً بشكل يفوق روعة أي مقطع آخر في هذا الكتاب . ففي أحد هذه الكهوف يتغلب الذعر على السيدة مور . « لطم وجهها شيء عار قذر ما واستقر على فمها مثل لبادة . » هذا الشيء هو ، كما نعلم فيما بعد ، ليس سوى رضيع تحمله أمه على وركها . ثم هناك الصدى . وكما تتذكره فيما بعد فانها تفكر بالصوت « باوم » أو « آو ـ باوم » الذي « لأن مجيئه كان في لحظة صدق فيها أنها كانت مرهقة ... فقد نجح في أن يدمدم : الشعور بالرثاء ، التقوى ـ الشجاعة ـ هذه الأشياء موجودة ، لكنها متماثلة ، وكذلك القذارة . كل شيء موجود ، لاشيء له قيمة ؛ » ثم فجأة عند حافة عقلها ظهر الدين ، المسيحية الصغيرة الثرثارة المسكينة ، وعرفت أن كل كلماتها المقدسة من (ليكن هناك نور) ، الى (انتهى الأمر) لم تعادل أكثر من (باوم) . »

ومنذ هذه اللحظة ، وحسب كل المقاييس المنطقية ، تتدهور السيدة مور بشكل سريع . فهي تصبح نزقة سريعة الغضب ، وهي لاتود القيام بأي شيء لمساعدة عزيز البريء أو أدِ لا الهيستيرية . وليس عدم اكتراثها عدم اكتراث القديسين ، ومع ذلك فانها بعد موتها تعيش ـ كما كانت الحال بالنسبة للسيدة ويلككس ـ كتأثير متغلغل في عقول وشخصيات الآخرين .

من منطلق العقلانية التحررية قد يبدو من المستحيل تبرير هذه الشخصية الغريبة ـ امرأة حكيمة دون أية حكمة ظاهرة ، مسيحية انحدرت الى الخواء ، أم كبيرة من نوع ما لكن صدى طلبها ليس ممتلئاً بالنشوة ، رغم أنها تبدو بأنها

تنتزع ممن يعبدها ــ عجزاً ارادياً أو متأرجحاً • وهذه عملية رأيناها تحدث في حالة مارغريت شلكل والسيد ويلككس • وهي عملية رأيناها في علاقات روتشستر وجين إير •

ومن جانب آخر يمكن القول أن السيدة مور هي صلة بين المسيحية وجو الهندوسية التي تكاد تكون غير مفهومة والذي ينتهي الكتاب به • وهي ذكرى مقدسة لكل من المسلم عزيز وغودبول الهندوسي • وولداها ــ الابنة تتزوج فيلدنغ ، الانكليزي « الجيد » الوحيد ــ مهتمّان بالدين الهندوسي • من الصحيح أن فيدلنغ ليس سعيداً مع هذه الفتاة سعادة كلية • فهي كما يقول « تسعى وراء شيء ما » ، ويقال لنا أنه « كان يعرف أن زوجته لم تكن تحبه بمقدار حبه لها »• ومع ذلك يبدو أن الحالة ، ممزوجة بتفهم عام لبعض جوانب الصوفية الهندية ، تحظى بموافقة المؤلف • فهو يقول : « بلغة اللاهوت ، بورك اتحادهما • » ولا يبدو أن هذا الاتحاد هو أية طوبى كبيرة ؛ وبالتأكيد ، رغم أن أشياء كثيرة تلقى الادانة ، فان لا شيء « مبارك » حقاً في هذا الكتاب الرائع والمحير حيث تسير الرؤيا والكابوس في تقارب شديد ، بل غالباً ما يمضيان متشابكي اليدين •

ويستحق جانبان ثانويان في « ممر الى الهند » ، ولكنهما مع ذلك يثيران بالغ الاهتمام ، الملاحظة • الأول ، الذي قد لا يلحظه سوى اولئك الذين عاشوا في الهند ، هو دقة ملاحظة السيد فوستر للواقع الهندي والدقة التي يسجل بها كلام شخصياته الهندية ، الذين يستعملون الانكليزية بايقاع يختلف عن أولئك الذين يتكلمونها كلغتهم الأم • والنقطة الثانية هي الطبيعية النبوئية للفقرة الأخيرة من الرواية ، التي لا بد أنها بدت ، عام ١٩٢٤ ، لأناس كثيرين غير واقعية على نحو جامح :

الهند أمة ! ياله من مطمح مجيد ! آخر القادمين إلى أخوة القرن التاسع عشر الكئيبة ! تدخل متهادية في ساعة العالم هذه لاحتلال مقعدها ! هي ، التي ندها الوحيد كان الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ربما ستكون في منزلة غواتيمالا وبلجيكا ! هزء فليدنغ مرة اخرى ، ورقص عزيز بغضب شنيع في هذا الاتجاه وذاك ، لا يدري ماذا يجب أن يفعل ، وصاح : « فليسقط الانكليز ، على كل حال • هذا مؤكد • انني اقول : اخرجوا أيها الأصحاب ، بأقصى سرعة • ربما كنا نكره بعضنا البعض ، ولكن كراهيتنا الكبرى موجهة لكم • إذا لم أجعلكم تخرجون ، فان احمد سيفعل ، كريم سيفعل ،* حتى ولو بعد خمسة آلاف وخمسمئة سنة ،

★ أحمد وكريم هما إبنا عزيز في الرواية • (المترجم)

فاننا سنتخلص منكم ؛ نعم ، سندفع بكل انكليزي بغيض إلى البحر ، وعندها » ـ توجه على حصانه مقابلا له (لفيلدنغ) ـ « وعندها ، » ختم حديثه ، وهو يكاد ان يقبّله ، « سنكون أنت وأنا صديقين • »

« لم لا يكون بامكاننا ان نكون صديقين الآن ؟ » قال الآخر ، وهو يمسكه بمحبة • « هذا هو ما أريده • هذا هو ما تريده • »

لكن جواديهما لم يريدا ذلك ـ فقد انحرفا مفترقين عن بعضهما ؛ والأرض لم ترد ذلك ، فقد أرسلت صخوراً تضطر الراكبين أن يعبروها في رتل أحادي ؛ والمعابد والصهريج والسجن والقصر والطيور والجيفة وقصر الضيافة ، الذي بدا للنظر حين برزا من الهوة ورأيا ماو في الأسفل ؛ كلها لم ترد ذلك ، وقالته باصواتها المئة : « لا ، لم يحن الوقت ، » وقالت السماء : « لا ، ليس في ذلك المكان • »

يمكننا أن نلاحظ في « ممر الى الهند » جميع الخصائص التي تجعل الروايات السابقة روايات لا تنسى ، بشكل أكثر حدة وأقرب الى الكمال • وهي أيضاً تحتوي نظرة المؤلف المدروسة الى الحياة ، وهي نظرة لم تتغير تغيراً جوهرياً خلال الأربعين عاماً التي مضت منذ تم نشر الكتاب • وفهم هذا قد يعني فهم السبب الذي منع فوستر من كتابة أية روايات أخرى •

وقد نشرت « وجوه الرواية » ـ وهي النسخة المطبوعة من محاضرات كلارك ، التي ألقيت تحت رعاية ترينيتي كولدج في كامبردج ـ عام ١٩٢٧ • وهي تكشف كما يتوقع المرء ذهناً حاداً وفردياً ، وحباً للأدب العظيم ينجح فوستر في كشفه للقارىء • وهي تمثل موقفاً لا يحبذه الكثيرون من الجيل الشاب من نقاد يومنا هذا • ويمكن جداً ألا تكون « وجوه الرواية » « نقداً » من أفضل صنف ؛ لكنها مع ذلك ملأى بالسحر والتشويق والكياسة • ويشير فوستر في ملاحظة تمهيدية الى أن المحاضرات الأصلية كانت «غير رسمية» ، بل كأنها بسبب من لهجتها نوع من الثرثرة ، وقد بدا من الأسلم حين تقديمها على شكل كتاب عدم تخفيف الكلام العادي ، خشية ألا يبقى أي شيء على الاطلاق • » وقد كُتب هذا في أيام لم تكن الاذاعة فيها قد توصلت الى شموليتها الحاضرة ، لكنه إشارة مثيرة للاهتمام الى فوستر المبكر بالكلمة المحكية • »

ووجود فارق محدد بين الكلمة المكتوبة والكلمة المحكية شيء واضح جداً بحيث أنه يكاد لا يستحق الذكر لولا واقع أن الكثيرين من المؤلفين والآخرين اللامعي

الذكاء والموهوبين جداً في مجالات أخرى يبدون غير قادرين على التمييز بينهما · لكن ليس إ · م · فوستر ، الذي أظهر منذ البداية أنه إذاعي بالفطرة ، إذاعي أصبح الآن ـ مثل معاصره القريب السير ماكس بيربوم ـ معروفاً عبر هذه الوسيلة الاعلامية الجديدة من قبل جمهور كبير ، لم يكن الكثيرون من افراده قد قرأوا رواياته من قبل · وقد نشر الكثير من أحاديثه الاذاعية في « حصاد أبنكر » و « هتافان للديمقراطية » · وتتميز هاتان المجموعتان بالفطرة السليمة ، والذكاء اللامع ، والعلم ، واذا كان عدد من هذه المواد يبدو حسب مقاييس اليوم نزوياً الى حد مفرط ، فقد كان لهذه المواد سحر متميز في زمنها · وحول الموضوعات التي يحمل فوستر شعوراً قوياً تجاهها ، يمكنه أن يكون متصلباً تماماً : هناك مثلاً عبارة كثر الاستشهاد بها من المقالة التي وصف فيها معتقداته (« انني أكره فكرة القضايا * ، واذا ما اضطررت الى الاختيار بين أن أخون وطني وأن أخون صديقي ، فانني آمل أن تكون لدي الشجاعة لأخون وطني · ») ·

والسيرتان الذاتيتان اللتان كتبهما فوستر يفصل بينهما أكثر من عشرين سنة ، وكلتاهما ، من وجهة نظر معينة ، من أفعال الشفقة · وقد نشرت « غولد زورذي لوزدكنسن » عام ١٩٣٤ · وقد عرف فوستر لوزدكنسن الذي كان يكبره بسبع عشرة سنة ، واستمرت معرفته به خمساً وثلاثين سنة · والأجزاء في هذا الكتاب التي تعالج دكنسن كفيلسوف وكخبير في الشؤون العامة ليست مرضية كلياً ، كما لاحظ فوستر نفسه أثناء كتابتها ، فهي تعالج مواضيع تخرج عن مجال اهتماماته · ومع ذلك فالكتاب يعطي صورة حميمية بشكل رائع عن الحياة في كامبردج في السنوات الأولى من القرن · وهو أيضاً تقدير لتلك الروح الخاصة التي كانت دائماً من ملامح الحياة في كنكز كولدج ، حيث يجري تشجيع الشباب والكبار على التلاقي على أساس من المساواة ، ربما بسهولة أكبر مما نجده في أماكن أخرى · ولقد كان لوزدكنسن شخصية أسطورية في أيامه في كنكز كولدج ، مثلما أصبح الآن فوستر نفسه ·

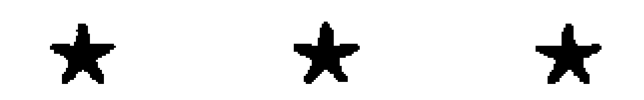
و « ماريان ثورنتن » ـ الكتاب الذي نشر في ١٩٥٦ ـ هو كتاب ذو اهتمام أضيق ، باعتباره سيرة حياة عمة المؤلف الكبرى التي ولدت عام ١٧٩٧ وماتت عام ١٨٨٧ · وأكثر فصوله قيمة هي الفصول القريبة من النهاية والتي تتضمن بعض ذكريات فوستر عن طفولته الباكرة ، لكن الكتاب ككل يعطي صورة سارة لامرأة رائعة جداً · حين توفيت ماريان ثورنتن ، خلفت ثمانية آلاف جنيه

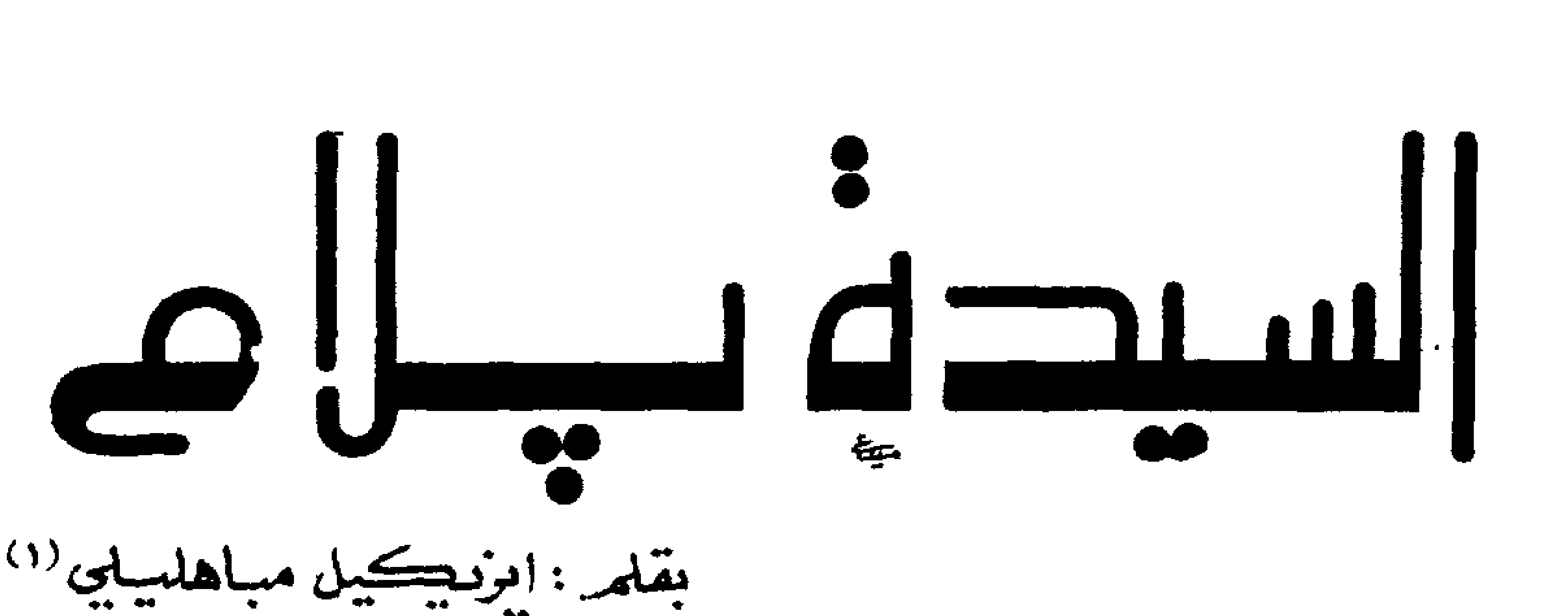
* المقصود هنا القضايا التي يتبناها المرء ويكافح من أجلها · (المترجم)

استرليني لفوستر كانت ـ كما يقول لنا ـ انقاذاً لحياته • « فبفضله (أي المبلغ)، تمكنت من الذهاب الى كامبـردج ـ وهذا شيء كان لولا ذلك مستحيـلا ، اذ أنني فشلت في الحصول على منحة • وتمكنت بعد كامبردج أن أسافر متجولا لمدة عامين تقريباً وقد دفعني السفر الى الكتابـة •••• انني ممتن لماريان ثورنتـن ، فهي ولا أحد غيرها جعلت احترافي للكتابة ممكناً ، وقـد تبعني حبها ، بشكل ملموس الى درجة أكبر ، الى ما وراء القبر • »

وظهرت « هضبة دڤي » عام ١٩٥٣ • ويصف هذا الكتاب القصير وظيفـة المؤلف غير العاديـة في بلاط مهراجا هندي ، كان ـ وهـذا ما يصعب تصديقه ـ سكرتيراً خاصاً له لفترة ستة أشهر في عام ١٩٢١ • وهو يتألف جزئياً من رسائـل كتبها في تلك الفترة لأمه وأصدقائه في الوطن ، بينما الجزء الآخر هو ذكرياتـه اللاحقة • وقد وجد بعض النقاد « هضبة دڤي » كتاباً مبهماً ، لكنـه في ظاهره أحد أعمال فوستر الصريحة الى حد يفوق أية من الأعمال الأخرى • وهو ذو قيمة كبيرة كمرجع لرواية « ممر إلى الهند » •

وبالرغم من كون كتابات فوستر المختلفة هامة وبالتأكيد ممتعة ، فانه يبدو من المحتمل أن شهرته النهائية ستستند الى الروايـات الخمس • وسيكون واضحاً أن رسالة هذه الروايات ، ان أمكـن القول أن لها رسالة ، ليست سهلـة وليست تحررية (ليبراليـة) كلياً • قـد تبـدو الفطـرة السليمة والنية الحسنة هي مقاييسه ، وغالباً ما يبدو أنه يكتب ضمن التراث المحرّر لأولئك الذين آمنـوا في الربع الأول من هذا القرن بالتغلب النهائي على الظلم وعدم التسامح والغبـاء التقليدي • لكن رواياته تذهب أبعد من هذا • انها تخترق حدود الاستياء واليأس العميقين ، ورغم أن ما تعود به لايبدو للوهلة الأولى قيماً على نحو براق أو مباشر، ولا تعود بمفتاح للفهم ، أو بأمل سريع في التحسن ، فان العقل الذي يزور عالمـه يصبح مع ذلك أوسع بسبب خبرات الرؤيا أو الكابوس أو كليهما •





بقلم : ازيكيل مباهليلي[1]
ترجمة : نزار عيون السود

كانت ربة عملي تدعى السيدة پلام • وكانت تحب الكلاب والافريقيين ، وتؤكد باستمرار ، بأن احترام القانون واجب على كل انسان • وقد باشرت عملي لدى السيدة پلام في « غرينسايد » بالقرب من العاصمة يوهانسبورغ (٢) ، بعد أن عملت لدى عائلتين من عائلات البيض • وكانت الأسرة الأولى التي عملت لديها ، كطاهية وغاسلة ، تعيش في « براكتوان تورث » •

وكان رب الأسرة وزوجته يماقران الخمرة باستمرار ، وينسيان دفع أجرتي • وبعد أن عملت لدى هذه الأسرة خمسة أشهر ، قلت في نفسي « كفى ! لا بد من مغادرة هذين السكيرين » •

---

(١) إيزيكيل مباهليلي **Mphahlele** : كاتب تقدمي بارز من جمهورية جنوب افريقيا وناقد أدبي • ولد سنة ١٩١٩ • عمل مدرساً ، غير أن نقده لسياسة الحكومة التعليمية تجاه الأفريقيين حرمه من مهنة التدريس • وفي سنة ١٩٥٧ هاجر الى نيجيريا ، هرباً من ملاحقة سلطات جنوب افريقيا ومنها انتقل الى باريس ، حيث لا يزال يقيم فيها حتى الآن • وهو مؤلف الرواية الشهيرة (« في الأسفل في الشارع الثاني » Down second avenue 1959 ١٩٥٩) وعدد كبير من القصص • ويحتل موضوع التمييز العنصري وفضحه مكاناً بارزاً في أعماله الأدبية ، فهو عدو لدود للعرقية وللروح العنصرية • وتعتبر قصته هذه « السيدة پلام » ، حسب رأي النقاد ، تعرية لا هوادة فيها « لليبراليين » البيض في جنوب أفريقيا •

(٢) عاصمة جمهورية جنوب أفريقيا •

وكان لدى العائلة التالية التي عملت عندها خمسة أطفال أفسدهم الدلال الفاحش • وقد قطنت الأسرة في ضاحية بيلغرايف • وعندما كان الأطفال ينادونني « إيه ! أنت أيتها السوداء !» كنت أركن الى الصمت ،لحداثة عهدي بمعاملة البيض ، ولحداثة مباشرتي العمل • لقد أردت أن أعرف البيض كي أعرف السلوك الواجب اتباعه معهم إذا ماقدّر لي العمل لدى أسر بيضاء أخرى •

وتركت هذه العائلة بسبب سلوك الشاب الأبيض الذي كان يتردد كثيراً إلى بيت الأسرة •

وكانوا يدعونه بابن العم • وكلما حل ضيفاً عليهم ، كان يتسلل إلى المطبخ ، ثم يبدأ بالتفاخر بصفاته الحميدة ، ويحاول إضحاكي ، وشرع بعد ذلك يربت على ردفي • شكوته إلى رب الأسرة ، لكن شكواي لم تغير من الأمر شيئاً • وعند ذلك طلبت من سيدة المنزل تسديد حسابي وتركت العمل •

غادرت « فوكنغ » متوجهة إلى يوهانسبورغ •

لقد كان عددنا كبيراً نحن الفتيات والشابات الأفريقيات القادمات من الضواحي إلى العاصمة طلباً للرزق •

ونصحتني فتاة واسمها « تشمين » بأن أعرض خدماتي على السيدة پلام•

وكانت هذه السيدة تقطن في البيت المجاور لبيت الأسرة التي تعمل لديها تشيمين • وتقبلت نصيحتها ، وها قد مضى علي ثلاث سنوات ، وأنا أعمل لدى السيدة پلام وأعيش معها ومع ابنتها « كيت » •

وعلى أية حال ، لم يكن عملي في « غرينسايد »أسوأ منأعمال الأخريات• كانوا يقدمون لنا غرفةصغيرة مستقلة ، ويطعموننا ويدفعون لنا ستة جنيهات في الشهر • وهكذا لم يكن باستطاعة أية فتاة منا أن تفتخر بأجرها الشهري الكبير •

وكنا نلتقي عصر كل يوم خميس ، وهذا وقت استراحة لجميع الخادمات الأفريقيات • وخلال لقاءاتنا كنا نتحدث كثيراً عن أهلنا وأمراضهم ومواسمهم السيئة ، وعن أخواتنا المحتاجات إلى الكتب والنقود من اجل المدرسة ، وعن أرباب أعمالنا ، وعن الأسر التي تقدم الطعام الجيد وتعطي الأجر الكبير وعن القتلة والمنتحرين والبوليس وعن ••• وعن •••

وفي كل خميس بعد الظهر ، كنا نتوجه عادة إلى المدينة ونتجول بين المخازن ، ثم نعرج علىالنادي النسائي ، ونلتقي مع شبابنا ، وسعيدة الحظ من بيننا تلك التي تحضر فيلماً سينمائياً •

وكنا نحاول ارتداء الثياب الأنيقة ،

كي نعرض على الآخرين أزياءنا المشتراة من بائعي العربات الأفريقيين · وكنا نشتري منهم عدة حاجات دفعة واحدة وندفع ثمنها أقساطاً شهرية محدودة · وكنا نقلد النساء والفتيات البيضاوات ، ونضحك ، ونغرق في الضحك ، عندما نلاحظ نظراتهن الموجهة إلينا ·

* * *

سألتني السيدة پلام في اليوم الأول من عملي عندها ·

ــ بماذا تدعوك صديقتك ، التي تعمل في البيت المجاور ؟

ــ جين ·

ــ هذا ليس إسماً افريقياً ، ما هو اسمك الأفريقي ؟

ــ كورابو ·

ــ كورابو · حسناً ــ قالت السيدة ــ نحن أيضاً سوف ندعوك كورابو ·

لقد دهشت من اهتمام السيدة پلام باسمي · لأنني عرفت الكثيرين من البيض ، الذين لم يبالوا باسمي الأفريقي ، وكان كل ما يهمهم أن يكون اسمي سهل اللفظ · ومع ذلك فقد سررت جداً لأن السيدة پلام سوف تدعوني باسمي الأصلي كورابو · وكان يطلق علي هذا الاسم أهلي وأقربائي وأصدقائي المقربون في بلدتي ·

وحدثتني صديقتي « تشيمين » ، التي تعمل في البيت المجاور ، عن « كيت » ابنة السيدة پلام ، وعن اندفاعها وتهورها ؛ كما حدثتني عن أبيها السيد پلام الذي انتحر باطلاق الرصاص على نفسه ·

أما السيدة پلام ، فهي امرأةطويلة القامة ، لا بالمتلئة ولا بالنحيفة ؛ تتحرك ببطء ، وبالبطء نفسه تنطق بالكلمات · ولا تخاف السيدة انساناً على وجه الأرض · وكانت أجفانها متورمة دوماً ، فتبدو مثل انسان أبيض لم يرقد ولم ينم ليالي طويلة · وذلك لأنها كانت تبث الدخان الكثيف من « السجاير » التي كانت تدخنها واحدة اثر الأخرى ·

وعندما كانت السيدة تكلمني ، كانت تنظر الى عيني ، وقد لاحظت بأنها تتحدث مع الآخرين بالطريقة نفسها · وقد شعرت ، في البداية ، بشيء من الخوف من نظراتها ، أما الآن فقد ألفتها ·

والسيدة پلام ليست امرأة كسلى ، فهي تعمل كثيراً خارج البيت ، في المدينة وفي الضواحي ·

قالت لي ابنتها « كيت » بعد أن تعارفنا :

ــ لا تنزعجي من والدتي ، فهي قد تنهال على شخص ما بسيل من الشتائم لأتفه الأسباب ، ثم لا تلبث أن تتحدث بلطف وكأن شيئاً لم يكن ·

إن « كيت » تروق لي جداً ، وأنا أيضاً حزت على أعجابها • فهي تقص علي أحاديث كثيرة ، لا يمكن لأية سيدة أو فتاة بيضاء أن تقولها لخادمة سوداء • فمثلاً ، كانت « كيت » تحدثني عن من تحبه وماذا تحبه ، وعن أعمال والدتها وغير ذلك من الأسرار الشخصية •

سألت « كيت » ذات يوم لماذا تذهب الى المدرسة وقد تجاوزت الآن سنوات الدراسة •

فضحكت « كيت » كثيراً ، ثم حاولت أن تشرح لي بأن مدرستها خاصة بالفتيات اللواتي أنهين المدرسة العادية ، وأنها تتلقى فيها أصول التدبير المنزلي وفن الطهي •

وبدأت « كيت » تعلمني ما تتلقاه في المدرسة ، ثم باشرت السيدة پلام أيضاً بتلقيني أصول الطهي ، ثم تدريسي كتب فن الطهي • وكانت عملية تعليمي تسير ببطء شديد ، أما الآن ، فقد حققت نجاحاً ملموساً • ولم تقتصر السيدة پلام على تعليمي أصول الطهي ، بل علمتني أيضاً آصول الضيافة وخلافاً للسيدات البيضاوات الأخريات اللواتي عملت عندهن ، كانت تمدحني وتشجعني عندما أقوم بعمل جيد •

وبالاضافة إلى ذلك ، كانت السيدة پلام تعلمنا ، نحن الخادمات الأفريقيات ، القراءة والكتابة مساء كل يوم في قاعة الكنيسة •

وكانت « كيت » تحدثني كثيراً عن والدتها • وقد قالت لي ذات يوم :

– ان أمي تشارك بنشاط في الأمسيات والاجتماعات المختلفة •

– لماذا ؟ – سألتها متعجبة •

– من أجل مصالح أقربائك •

فقلت لها :

– لكن أقربائي يعيشون بعيداً ، في « فوكنغ » ••• ثم إن لهم السنتهم الخاصة ! فلماذا تتحدث هي باسمهم؟ وأنى لها أن تعرف ماذا يريد أن يقول أبي أو أمي ؟ ثم إنهم يستطيعون هم بأنفسهم الحديث عما يريدون وعندما يريدون •

هزت كيت كتفيها قائلة : كيف يمكنني أن أوضح لك هذا الأمر يا كورابو ؟ عندما قلت أقرباءك لم أقصد عائلتك فقط ، بل قصدتكم جميعاً أنتم السود •

فصرخت متعجبة : آه ! وماذا يريد السود أن يقولوا ؟

هزت « كيت » كتفيها وتنفست بعمق •

ثم ما لبثت أن سألتها : ومن يشترك معها في هذه المسيرات والاجتماعات ؟

– الذين يفكرون مثلها – أجابتني كيت •

ـ هل تقصدين بأن هناك أناساً على الأرض يفكرون بطريقة واحدة وبشيء واحد ·

أو مأت كيت برأسها موافقة ·

ثم سألتها ثانية :

ـ وبماذا يفكرون ؟

ـ يفكرون بأنه سيأتي يوم يدخل فيه رجل منكم في عداد الذين يديرون هذه البلاد ، وأن الأفريقيين يجب أن يحصلوا على رواتب أعلى لقاء الأعمال التي يؤدونها للبيض و···

وماذا قالت أيضاً ؟ آه · أجل لقد أخبرتني بأن والدتها ومن يفكرون مثلها يودون لو أن أحداً من أبناء شعبي تكلم باسم الزنوج جميعاً ·

ثم قالت لي : أظن بأنه يجب أن يكون لديكم زعيم أو قائد ، مثل مختار قريتكم ·

فأجبتها : لقد فهمت الآن · ولكن أخبريني لماذا تضرب السيدة باستمرار على الآلة الكاتبة ؟

ـ إنها تؤلف الكتب ـ أجابتني كيت ·

ـ كهذه ؟ وأشرت إلى الكتب الموجودة في المكتبة الحائطية ·

ـ أجل ·

وأخبرتني « كيت » بأن السيدة تؤلف الكتب وتحرر المقالات للصحف والمجلات كي تعبر عن تعاطفها مع الأفريقيين ، الذين يجب أن يحصلوا على رواتب أعلى ، ويعاملوا معاملة أفضل ، وأن يتعلموا القراءة والكتابة ، ويرشحوا من بينهم الأشخاص القادرين على الدفاع عن حقوق السود ·

وقالت كيت أيضاً : إن أمي والنساء اللواتي يفكرن مثلها يضعن أشرطة سوداء على أكتافهن دلالة على الحداد ، وبذلك يعبرن للادارة البيضاء عن سخطهن على معاملة البيض للأفريقيين ؛ ثم يذهبن إلى مبنى الحكومة البيضاء ، ويشكلن طوابير وأفواجاً أمام المبنى دلالة على احتجاجهن ·

فسألتها بفضول : وهل تصغي الحكومة إليهن وتقدم لهن الشاي و « الكاتو » ؟

ـ أوف ! ما هذا الغباء ياكارابو ؟

قالت « كيت » ممتعضة ·

فقلت لها : لكن هذه عادات شعبي · فاذا ما وقف شخص ما أمام باب منزلي ، فانني أدعوه للدخول وأطعمه وأكرمه · أما أنتم البيض فلكم شأن آخر · كيف يقف الناس أمام مبنى الحكومة ، ولا تفكر هذه الحكومة باطعامهم وضيافتهم !

ـ غباء ـ صرخت « كيت » ثم نظرت إلي غاضبة وأضافت : لكنهن لا يقفن طوال اليوم أمام مبنى الحكومة ولا يطلبن الصدقة أو

الضيافة • يـا إلهي ! مـا هـذا الغباء !

وكانت السيدة پلام بعد أن تقرأ الصحف كـل يـوم تقدمهـا لي كي أقرأها وأحسِّن لغتي الانكليزية •

ثم أصبحت ترغمني على سـرد مـا قرأت • وأخـذت أكثر مـن القراءة والدراسة ، وبدأ أفقي يتسع ومعارفي تنمو • وأصبحت أدرك بشكل أفضـل حياة الأفريقيين في المدينة والضواحي • وعندما كانت تصادفني كلمات صعبة، كنت أسأل السيدة پلام ، فتشرح لي بسـرور كـل مـا صعب عـلي ، ثم تسألني :

ـ والآن ، هل فهمت أم لا ؟

وبالفعـل ، كانت السيـدة تكتب كثيراً من المقالات في الصحف والمجلات • وتنظـر بمعانـاة وألـم الى مختلف النقائص والعيوب : فقـد كانت تتألم مـن رجـال البوليس البيض عنـدما كـانوا يضـربون الافريقيين ضـرباً مبرحاً ؛ وتتألم عنـدما يرغم البيض الأفريقيين العاملين عندهم على الجلوس ساعات طويلة قرب البحيرة في حديقة الحيوانـات ، كي لا يثيروا الضجيج عنـدما يود البيض أن يستريحوا ، في أيام الآحاد بعد الظهر في البيت أو في الحديقة •

ومنـذ العـام الأول ، سمحت لي السيدة پلام بالجلوس الى جانبها عـلى مائدة الطعام ، وقد شعرت بالحرج ، لأنني لم أكن معتـادة على استخـدام الشوكة والسكين أثناء الطعام ، ولأنني لم أر مثـل هـذه المعـاملة لخـادمة سوداء • فكنت أخاف من كل شيء ، وخاصة مـن أن يراني ضيوف السيدة پلام بهذا الشكل غير اللائق • غير أن السيدة پلام كـانت تقول لي : « لا تكوني غبيـة • عليك أن تبـرهني وتثبتي أن الخادمة الأفريقية قادرة على تناول الطعـام ، مثـل البيض ، على الطـاولة » • وأخـيراً ، لـم يكـن باستطاعتي تنـاول أنـواع الطعـام الشعبية التي أحبهـا على الطـاولة • ولا يشعر المرء بلذة أطعمتنا إلا إذا أكلها بالأيـدي • فهي لـذيذة وطيبة لدرجة أنها لا تقف في اليد ، بل تنزلق فوراً إلى الحنجرة •

* * *

إذا كـانت ثمـة امرأة أو فتـاة افريقيـة لا تعرف نـادي « الغـراب الأسود » في « بري ستريت » ، فهـذا يعني أنها لا تعرف شيئاً • ففي هـذا النـادي وفي ما يحيطه يمكن للمرء أن يجد كل شيء • فهذا المكان يقـع في حي من أقـذر أحياء المدينة ، مليء بالمصانع والأسواق •

والسيدة ، حسب أقوالها ، تعرف كثيراً من الافريقيين العاملين في نادي « الغراب الأسود » وهي مسرورة جداً لأني أقضي فيه أوقات فراغي في أيام

الخميس بعد الظهر ، حيث يمكنني أن أتعلم فيه الخياطة والحياكة وغيرها من الحرف النافعة · وقد سألتني سيدتي ذات مرة :

ـ هل تحبين الرقص ؟

ـ أجل · كم أتمنى لو أتعلم الرقص·

فوافقت السيدة على دفع « شلنين » شهرياً لتعليمي الرقص ·

وفي ذلك اليوم اجتمعنا في الطابق الأول بانتظار وصول مدربة الرقص « ليليان نْغوي » · وكنا نتبادل الأحاديث الفكهة عن ربات وأرباب أعمالنا ، وعن أطفالهم وكلابهم وطيورهم البيتية ، ونتهامس فيما بيننا عن شبابنا وأصدقائنا ·

وتأخرت المعلمة قليلاً من الوقت · وكانت امرأة تتمتع برجلين قويتين ، ووجه مليء بالحيوية ، وشعر قصير وعينيين طيبتين · وكانت ترتدي ثوباً بسيطاً ملوناً · وكانت تمهد ، عادة ، لدروسها بالنوادر والفكاهات ثم تباشر دروسها بجد واهتمام · وفي نهاية أحد الدروس قررت المدربة أن تحدثنا عن بعض الأمور الهامة ·

قالت لنا « ليليان نغوي » بأنه قد ولت إلى غير رجعة تلك الأزمنة التي كانت تكتفي فيها الفتيات الافريقيات بالعمل وإرسال النقود للأهل ، واللقاء مع الأقارب مرة واحدة في السنة ·

وعلينا أن نتذكر بأن العالم لن يغدو آمناً بالنسبة لنا ، حتى نتوصل إلى الحصول على مقاعد في الحكومة ونكتسب حق إصدار القوانين · وهذا الحق يجب أن يُعطى لنا نحن الافريقيين ، لأننا نحن الأغلبية في البلاد وليس البيض ·

وكنا نطرح عليها الأسئلة ، فتجيب عليها بذكاء ، وسأذكر بعض ما علق في ذهني من هذه الأسئلة والأجوبة :

ـ هل سنحتل مقاعد البيض في الحكومة ؟

ـ أجل ولكن ليس كل المقاعد · يجب أن نحتل مقاعد أكثر من مقاعد البيض لأننا نحن الأكثرية· وعلى الناس من مختلف العروق والأجناس أن يتعاونوا · ثمة أشخاص من البيض يمكننا أن نؤيدهم ، وهناك أفريقيون أكفاء يستطيع البيض اختيارهم للاشتراك في الحكومة ·

ـ هناك ربات وأرباب عمل جيدون وسيئون · هل يمكننا اعتبار الجيدين منهم أصدقاء لنا ؟

ـ إن السيد والخادم لن يكونا أبداً صديقين · اطردن هذا الوهم من رؤوسكن · فأنتن غير متأكدات من طيبتهم · وقد يحاولون أن يظهروا أمامكن طيبين لأنهم لا يستطيعون العيش أو التنفس بدون

عمل أيديكن • عليكن دائماً أن تتعلمن ، وتحصلن المزيد من المعارف وتقدمن المساعدة لنا عندما ندعوكن •

عندما كنت أصغي إلى حديث « ليليان نغوي » ، كنت أفكر دائماً بالسيدة پلام ، وأتساءل في نفسي : كيف تنظر سيدتي إلى أقوال المعلمة التالية : « يحصل الطفل الأبيض على الرعاية من المربية السوداء ومن أمه البيضاء • وعندما يكبر تأخذ الحكومة البيضاء على عاتقها رعايته : فترسله إلى المدرسة ، وتقدم له كل ما تستطيع كي لا يعاني من الجوع • وتوفر له الامكانيات الكبيرة لاختيار الحرفة المناسبة إذا مارغب في ترك المدرسة » ؟

وكانت « ليليان نغوي » تطرح التساؤلات التالية : « يولد الأطفال البيض في المستشفيات الخاصة ، ويترعرعون في الأحياء الراقية ، ويرفلون بالثياب الفاخرة ، ويرقدون على الأسرة الوثيرة • ولكن إلى متى يستطيع البيض العيش في البيوت المنفردة ، المفصولة بجدران شاهقة عن أكواخ ذوي البشرة السوداء ؟ وكم سيبقى عددهم عندما يتعلم شعبنا طريقة التفكير السليم ، ويطرح تلك المسائل الكبيرة التي ستقضي على جميع هذه الامتيازات وأصحابها ؟ وكم سيبقى من هؤلاء البيض حينذاك؟ عدد قليل ، وقليل جداً • ان من طرح على نفسه ، من البيض ، هذه الأسئلة ، واقتنع بصحتها فسيعيش معنا بسلام وصداقة ، ومن لم يفكر منهم ، بعد بهذه الأمور فقد فاته الأوان » •

سألتني سيدتي ذات يوم :

- وماذا يعلمونكن أيضاً في ناديكن « الغراب الأسود » ياكارابو ؟
- لا شيء ياسيدتي - أجبتها وتساءلت في نفسي « ولماذا تطرح السيدة مثل هذا السؤال ؟ » •
- لقد تغيرت ياكارابو !
- كلنا نتغير ، ياسيدتي •

فأدارت ظهرها بسرعة وخرجت من المطبخ •

* * *

عندما بدأت قصتي هذه ، كنت عازمة أن أتحدث فيها عن كَلبَيْ السيدة پلام ، لكنني وجدت نفسي منقادة للحديث عن الناس •

أعتقد بأن « ديك » - اسم عامل حديقة السيدة پلام - كان مصيباً عندما قال لي ذات مرة : « تصوري ! أنه لم يبق علي سوى الاهتمام بالكلاب ! » • وبالفعل فقد كانت أعداد الكلاب في غرينسايد وبقية الضواحي كثيرة جداً • بحيث من السهل جداً أن يتوارى كلبا السيدة پلام ويختفيا بين الكلاب الأخرى •

وكانت السيدة پلام تدعو كلبها الأول « مونتي » والثاني « مالان » ؛ وكان « ديك » يلاحظهما ويراقبهما • وعليه أيضاً أن يأخذهما إلى النزهة ويطعمهما ويلاطفهما بمختلف الوسائل • وعلى الرغم من إخلاصه في عمله وتنفيذه الدقيق لواجباته ، لم تكن السيدة پلام توليه ثقتها الكاملة• وبعد أن يطعم « ديك » الكلبين ويغسلهما بالماء الساخن ، تقترب السيدةمن الكلبين وتسألهما مستفسرة : « هل أطعمكما ديك ياعزيزيَّ ! » و « هل حمَّمكما ديك ياحبيبيَّ ! »•

لقد كان « ديك » من عمرنا تقريباً ، ولذلك فعندما كان يقص علينا أحاديثه وفكاهاته ، كنا ، أنا وتشيمين ، نقاطعه بخشونة • وكان فمه الكبير يبدو وكأنه مستعد للضحك دائماً • غير أن هذه الصفة لم تحز على إعجاب السيدة • فكانت تسأله غالباً : مم تضحك أنت ثانية ؟ أو تقول له : انظر الى هذه الحديقة لقد أزهرت الوردة ولا شيء يضحك في أن عليك سقايتها ! ، أو تخاطبه ساخرة : لو أنك عملت أكثر ، وتوقفت عن ري حديقتي بضحكاتك ، لكان هذا أنفع وأجدى •

فينظر ديك إليها ويبتسم • لقد كان يخاف البيض ، على الرغم من محاولاته إخفاءه وكبته في داخل نفسه • وعندما تكون السيدة خارج المنزل كان يقلد حركاتها وطريقتها في الكلام • فيأخذ مزهريتين ويضمهما إلى صدره ، ثم يبدأ بمداعبتهما وملاطفتهما تماماً ، كما تفعل السيدة پلام مع كلبيها ؛ أو يجلس على أريكة السيدة وينظر إلينا من وراء كتفه ، ماداً عنقه ، وموجهاً إلينا سيلاً من الأوامر ؛ أو يقلد طريقة السيدة في تناول الشاي مُمْسكاً الكأس باصبعين من أصابعه وبتأنق مصطنع • أما أنا، فكنت ، في أثناء ذلك ، أكاد أسقط على الأرض من شدة الضحك •

ولكن كم كان « ديك » يرتجف ، وكم كان يتبدل ، عندما تبدأ السيدة پلام بتوبيخه • لقد كان الكلبان وطعامهما ومضجعهما ونزهتهما المصدر الوحيد لمتاعب ديك •

غالبا ما كانت السيدة پلام تقيم في بيتها حفلات واستقبالات وأمسيات ، وتدعو إليها الأفريقيين • وكانت « كيت » تشرح أسبابها ومناسباتها : كانتهاء السيدة من تأليف كتابها ونشره ، أو قدوم ضيف هام من دولة أجنبية ، أو لأسباب أخرى • ولم يحز الافريقيون الذين كانوا يحضرون لتناول المأكولات والمشروبات على اعجابي • فمن جهة ، كانت لغتهم الانكليزية صعبة على الفهم ،كصعوبة فهم الناس الذين قرأوا جميع كتب العالم ؛ ومن جهة أخرى كانوا ينظرون الي نظرة استعلاء وازدراء ،

كما ينظرون الى انسان حقير ، وأنا الافريقية مثلهم ٠

سألت كيت أمها ذات يوم ، وكنت أسترق السمع الى حديثهما :

ـ لماذا تدعين هذا العدد الكبير من الافريقيين الى بيتك ؟

ـ لان واحداً من هؤلاء الافريقيين سوف يلعب يوماً ما دوراً هاماً ٠

ثم أخبرتها بأشياء أخرى عن الحكومة لم أسمعها وتابعت اقناع ابنتها :

ـ أنت تعلمين بأن الكثير منهم ليست لديه حتى الآن امكانية اللقاء مع البيض ، وخاصة زيارتهم في بيوتهم ، ثم انهم يترددون الى بيتنا لا بحثاً عن الصداقة ، بل من أجل الجلوس وشرب الخمرة ٠

فغلى دمي في عروقي وشعرت بأنني لم أعد أحتمل أن أكون خادمة سواء لدى البيض أو لدى السود ٠

وكان شاب افريقي من المدعوين يتسلل الى المطبخ ليتحدث معي ويثرثر في المرة الأولى استقبلته بالحراب ،كما قالت لي ، بعد خروجه ، «كيت » ، التي كانت موجودة في المطبخ لسبب ما ٠ أجل لقد كنت مغتاظة جداً ، وشعرت بالخجل والألم ، لادراكي بأن بيت البيض ، ليس أبداً ذلك المكان الذي يمكن أن أنشد فيه سعادتي في نظر الافريقيين الآخرين ٠ ثم بدأت أسلك معه سلوكاً عادياً ٠

وذات يوم ، قدم الشاب الافريقي الينا ، وكانت السيدة خارج المنزل ٠ لن أنسى ما حييت تلك الأمسية ٠ لقد قص علي الأحاديث اللطيفة وخاطبني بالكلمات العذبة ، وامتلأ قلبي بالسرور ٠ وشعرت بالرجفة تسري الى جسدي ٠ ثم تكرر لقاؤنا ٠ ان نظرته الحقيقية اليّ كامرأة ستبقى سراً أبدياً ، لكنني أحببته ٠ وحتى الآن عندما أتذكره أشعر بالألم ينهشني ٠ لقد كان طبيباً ، وانساناً مثقفاً ، يتقن الانكليزية بطلاقة ٠ وهل كان باستطاعتي أن أطمح الى مثله ٠

لقد أدركت بأنه لن يستمر فياللقاء معي من أجل حبي له فقط ٠ أما « كيت » فقد جنّ جنونها ، وكادت أن تفقد عقلها ٠ وتحولت ، بدون سبب ، الى انسان آخر في سلوكها وفي تصرفاتها ٠وبدأت تفتح جهاز الحاكي حتى النهاية ، فتنبعث من غرفتها الأصوات الموسيقية الوحشية العالية٠ وترقص « التويست » في غرفتها بجنون ، من الصباح وحتى المساء ٠ وتركت مدرستها ولم تعد تتردد على حفلات ليلة السبت ٠ وعندما كنت أنظر الى وجهها ، كنت أجد صعوبة في تحديد عمرها ٠ فقد ظهرت في عينيها وحشية وغربة ، وعندما أفكر

بأنها لا تزال في مقتبل العمر ، ثم أنظر اليها أراها وقد بدت مثل امرأة هرمة عجوز ٠

لقد كانت مثلي في الثانية والعشرين من عمرها ، ويبدو لي بأنني قد فهمت أسباب اضطرابها ، أو بالأحرى أسباب معاناة والدتها ٠

وحدث أسوأ ما يمكن أن يحدث في أسرة السيدة پلام ٠ فقد تشاجرت الأم وابنتها ، وبدأتا تصرخان ، بلا حياء أو خجل ، الواحدة ضد الأخرى ٠ وكانت الأم وابنتها تبدآن الحديث ، عادة ، في غرفة الضيوف ، ثم تصعدان الى الغرفة العليا ، وتتبادلان بهيجان وانفعال ، العبارات اللاذعة التي لم أكن أفهمها جيداً ٠

لكن السيدة نفد صبرها ، في يوم من الأيام ، وقالت لي :

ــ أتعلمين ، ياكارابو ، بأن « كيت » قد أحبت ذلك الافريقي الطبيب ، الذي كان يتردد الى بيتنا ويتناول طعام العشاء ؟ وتقول «كيت» بأنه هو يحبها أيضاً ٠ والآن يريدان أن يتزوجا ويغادرا البلدة ٠ قولي لي ياكارابو ، كيف ينظر شعبك الى زواج افريقي من امرأة بيضاء ٠ ان هذا أمر غير طبيعي أليس كذلك ؟

فأجبتها والغيظ يقتلني

ــ لم أر مثل هذه الحالة في بلدتي ٠

ــ أنت على حق ياكاربو ٠ فهذا جنون مطلق ٠

وخرجت السيدة وكانت تبدو مثل حيوان أُطلقت عليه النار ٠

وهكذا أدركت الحقيقة ٠ ولم تعد لدي أية رغبة برؤية كيت أو التحدث معها ٠ لقد وقفت في طريقي كاللص ، كالذئب الذي يهجم على قطيع من الغنم في ليلة معتمة ٠ وشعرت نحوها بكراهية وحقد كبيرين ٠ فقد أغلقت أبواب هذا البيت أمامه ، ولن يظهر ثانية هنا ٠ ومع ذلك فقد سألتني « كيت » ذات يوم :

ــ لقد أخبرتني والدتي بأنك تستنكرين زواج الافريقي من فتاة بيضاء ٠ لكنني أشعر برغبة صادقة في مساعدته ٠

ــ مساعدته في أي شيء ؟

ــ في الصعود والارتقاء الى الأعلى، الى الأعلى حتى القمة ٠

شعرت بأني على وشك أن أقذفها بكل ما في صدري من حقد وكراهية نحوها ٠ لكنني تمالكت نفسي ولم أنبس ببنت شفة ٠

ثم سألتني ثانية :

ــ أنت لا زلت توافقين والدتي على رأيها ؟

فأجبتها بصعوبة ، وأنا أعتصر نفسي :

ــ لقد قلت لوالدتك بأنني لم أر

أسرة مكونة من زوج أسود وزوجة بيضاء • ثم انك استمعت الى حديثنا آنذاك • أما رأيي الشخصي حول هذا الموضوع ، فهو يخصني وحدي •

وأذكر بأنني كنت عازمة على كي ثوبي ، لكني درت على أعقابي وخرجت من المطبخ •

وجدد البوليس الحملة على غرف الخدم الافريقيين وأكواخهم ، وشرع بالبحث عن المتشردين والأشخاص الافريقيين غير الحائزين على تصاريح بالاقامة ، والمختبئين ، حسب رأي البوليس ، لدى أصدقائهم في ضواحي العاصمة •

وفي يوم من الأيام داهم رجلان من البوليس ، أبيض وأسود ، بيت السيدة پلام ، وأخبراها بضرورة تفتيش منزلها • ولم تسمح لهما السيدة بذلك • ألح البوليس على ضرورة التفتيش • فقالت السيدة بحزم : لا ! لن أسمح •

فدار رجلا البوليس حول البيت وشرعا يرقبان غرفتي وغرفة «ديك»• تناولت السيدة پلام خرطوم المياه وتبعتهما ، وسرت أنا خلفها كي أسمع ما ستقوله لهما• وكان رجلا البوليس قد شرعا بتوجيه الشتائم القذرة الشنيعة الى « ديك » • لكن السيدة لم تنتظر طويلا ، ووجهت خرطوم المياه نحوهما • فذهل الشرطيان من المفاجأة ودارا على عقبيهما بعد أن انصبت المياه على وجهيهما • ولم أستطع رؤيتهما ، لأنني كنت في تلك اللحظة في زاوية المنزل ، أفتح صنبور المياه حتى النهاية • وكدنا ، أنا وديك ، أن ننفجر من الضحك• صرخ الشرطيان وحاولا تجنب المياه ، لكن السيدة پلام تابعت توجيه خرطوم المياه نحوهما ، من الأسفل الى الأعلى• فلم يحتملا وأطلقا ساقيهما للريح •

قالت السيدة پلام : أعتقد بأنهما تلقيا درساً لن ينسياه بسهولة •

وفي اليوم التالي نشرت الصحيفة اليومية الصباحية ريبورتاجاً كاملا عن هذا الحادث •

لكن البوليس لم ينس الفضيحة • فبعد ظهر اليوم التالي ظهر الشرطيان السابقان ، اللذان عانيا الأمرين من « حمام » الأمس برفقة عناصر آخرين ، وأشارا الى السيدة پلام ، ثم اقترحا عليها الذهاب الى مخفر الشرطة بتهمة مضايقة رجال البوليس المقصودة وعرقلة تنفيذ مهامهم • وبعد عدة ساعات عادت السيدة وقالت بأنهم أطلقوا سراحها لقاء كفالة • ثم رُفعت القضية الى المحكمة ، فاعتبرت المحكمة تصرف السيدة پلام تصرفاً شائناً وحكمت عليها بالسجن أسبوعين أو بدفع غرامة مالية • فضلت السيدة الأمر الأول كي تثبت للجميع بأنها لم ترتكب أي ذنب •

وحاولت كيت اقناع والدتها بدفع الغرامة ، وأن تفضيلها للسجن بعيد عن الحكمة والتعقل • لكن السيدة عارضتها وذهبت الى السجن •

وبعد مضي أسبوعين ، عادت منقبضة كئيبة • فتذكرت كلمات « ليليان نغوي » :

ـ عليكن أن تكنّ مستعدات للذهاب الى السجن ،في سبيل عقائدكن وقناعاتكن ، التي تعتبرنها عادلة ، والتي يمكن أن يعتقلوكن من أجلها في كل وقت •

فما هي قناعات السيدة پلام تجاهي وتجاه تشيمين وديك وجميع الافريقيين الآخرين ؟

ولم أجد جواباً على هذا السؤال ، غير أن السيدة پلام كانت تكتب في الصحف عن الظلم والاضطهاد ، وتساهم في جميع الاجتماعات والمسيرات التي كان يتحدث فيها البيض عن الوضع البائس للافريقيين ، وعن معاملة الحكومة اللاانسانية لهم • كما كانت ، مع الآخرين ، ترتدي شريطاً أسود على كتفها تعبيراً عن احتجاجها ، وتقف مع الطوابير من المعارضين أمام الادارة البيضاء •• لا أعرف •• لا أعرف •• فهي تبدو وكأنها مهتمة جداً بنا نحن الافريقيين • فلماذا اذن تبدو مكبوتة ، وكئيبة ، ومنقبضة النفس ؟؟

وتابعت « كيت » اطلاق الموسيقى الصاخبة من جهاز الحاكي ، كما تابعت رقصها الجنوني من الصباح حتى المساء • وبعد فترة قصيرة ، بدأ يتردد عليها شاب أبيض • وقد راقبتهما من خلال شق الباب الواقع بين غرفة الضيوف والمطبخ • لقد كانا يتبادلان القبلات العنيفة والطويلة ••••

وكانت تدعوه « جيم » • لقد تمالكت نفسي عن الضحك بصعوبة ، فالبيض يدعون جميع بائعي العربات الافريقيين باسم « جيم » ، وبدأت « كيت » تقيم علاقة حب مع « جيم » ؛ وفي الوقت ذاته التقيت أنا بانسان أحبّني ، وأحببته أنا أيضاً • غير أن صورة الطبيب ظلت تراود ذاكرتي فترة طويلة من الوقت ، غير أنها لم تعد تسبب لي ذلك الألم كما في السابق •

وتوقفت عن مراقبة « كيت » من شق الباب ، وبدأنا نتبادل الأحاديث، بشيء من المودة ، كما في السابق •

وذات صباح ، سمعت صوت « تشيمين » يناديني ، عندما كنت أغسل صدارتي • وبعد أن نشرتها وعلقتها في حديقة المنزل ، توجهت الى السور ، حيث كانت تقف تشيمين متشوقة لتقص علي خبراً ما •

ـ مرحباً •

ـ مرحباً ياتشيمين •

ـ كيف أحوالك ٠
ـ لا بأس ٠
ـ ما هي أخبار البلدة ؟
ـ لا تسأليني ، ان الجميعيموتون يهلكون ، فقد كتبت لي والدتي بأن وباءٍ قد تفشَّى في منطقتهم ٠
ـ وأهلك بخير ؟ أمك ، أبوك ، أخواتك ؟
ـ بخير والحمد لله ٠ أتعرفين « ماليبو » الذي كان يعيش وحيداً في بيت صغير ؟ لقد مات ٠

وكذلك المعلم « سيديمو » الذيكان دائماً ضعيفاً ويشكو من المرض ٠ كما توفيت صديقة والدتي أيضاً٠ وأهلك ماذا يكتبون ؟

هزت تشيمين رأسها ، فأدركت من نظرات عينيها بأنها لا تفكر بأهلها ، وانما بشيء آخر ، ثم قالت :
ـ كارابو ، انك لا تعرفين شيئاً ٠
ـ أجل لا أعرف ٠
ـ انني حبلى ٠
ـ أواه !!
وران علينا صمت ثقيل ، ثم سألتها :
ـ من « تيمي » ؟
ـ أجل من « تيمي » ، لقد عاد لكي يقدم لي هذه « المكافأة » !
ـ لكنه يحبك يا تشيمين ٠ هل أخبرته بذلك ؟ وما هو رأيه ؟
ـ أخبرته البارحة ، التقينا معاً في المدينة ٠

وتذكرت بأنني لم أشاهد تشيمين مساء البارحة في « الغراب الأسود » ، ثم سألتها :
ـ هل أنت متأكدة ياتشيمين؟ وهل انتهى ميعادك ؟
فهزت تشيمين رأسها بالايجاب ، والحزن يقطر من وجهها ٠
ـ وماذا قال لك « تيمي » ؟
ـ قال بأن أطمئن ، وأنه يستطيع أن يتزوجني ٠
ـ ان « تيمي » شاب جيد ، فأي شاب في هذه المدينة يستطيع أن يعلن بمثل هذه الجرأة والصراحة : « نعم ان هذا طفلي » ؟!٠

ـ آه يا كارابو ، انك تتحدثين عن شيء آخر تماماً ٠ أتعرفين بأنني لم أعمل بعد الا فترة قصيرة ، ولم أتمكن بعد من مساعدة أهلي ٠ واذا ما تزوجت الآن فمن سيساعد والديَّ العجوزين ؟ انني ابنتهما الوحيدة !

ـ حسناً ، تشيمين ، أنت محقة ٠
وافقتها ، ثم حاولت أن أجد العبارات المهدئة ثم قلت لها :

ـ تشيمين ، عليك أن تبحثي الأمر مع «تيمي» ٠ ويبدو لي أن من الأفضل أن تذهبي الى أهلك وتتزوجي « تيمي » ، وبعد أن يصبح عمرالطفل ثلاثة أشهر ، يمكنكما أن تعودا الى العاصمة ، وتعملا معاً ، وترسلا ما تستطيعان ارساله من النقودلمساعدة

أهلك ، وسيهتم والداك بتربية الطفل ·

فقالت تشيمين :

ـ ومن سيقدم لنا لقمة العيش خلال فترة وجودي عند أهلي ؟ لقد انقضى ذلك الوقت الذي كنا نملك فيه الأرض ، وكانت والدتي تستطيع العمل من الصباح وحتى المساء !

لقد طارت أفكاري من رأسي ، ولم أعد أجد الجواب المناسب ، آه ! كم أصابني الذعر ، وكم سيطر علي الخوف من مثل هذه المصيبة · وحمداً لله أني تجنبتها حتى الآن · لقد كنا جميعاً نتجنب هذا الأمر ·

ثم قالت لي تشيمين :

ـ كارابو ، يجب أن أذهب كي أعد الشاي لسيدتي ، فالساعة الآن العاشرة والنصف ·

دخلت الى البيت ، وكانت السيدة بلام قد خرجت · فاستلقيت على الأريكة في غرفة الضيوف · وأسرع الكلب « ميلان » يتشمم قدمي ، ضربته برجلي على بطنه السمين ، فابتعد جانباً وهو ينتحب بصوت خافت · فقلت له :

ـ انتحب ! انتحب ! واعلم أخاك بما أصابك ، فقد يود هو أيضاً أن يجرب ، واخبر معلمتك المحسنة اذا شئت ، حالما تعود ·

رفعت عيني ، فشاهدت « ديك » واقفاً على باب المطبخ ، ثم قال مستغرباً :

ـ هل أصبحت تتحدثين مع الكلاب ، وهبطت الى هذا المستوى ؟

لم أقل له شيئاً ، واكتفيت بالنظر الى فمه الكبير المفتوح مثل غطاء حقيبة السفر · ثم خرجت الى الحديقة ، ووقفت أتأمل ساحة البيت المجاور ، فاقترب هر" رمادي اللون ذو أرجل ثلاث من سور الحديقة ، ونظر الي ، فالتقت نظراتنا ، ولا أذكر كم من الوقت بقي كل منا يحدج الآخر ، ثم قلت له في نفسي : « ولماذا لا تذهب الى سيدتك وترمي عليها مثل هذه النظرات ؟ » فما كان من الهر الا أن عاد أدراجه ، وكأنه أدرك ما يجول في ذهني ، فسار على أرجله الثلاث وأخذ يموء بشكوى وكأنه يشاركني أحزاني ويتعاطف معي · وفي غرفتي الحقيرة ، نظرت طويلا الى نفسي في المرآة وتساءلت : « هل أنت كارابو ؟ » ··

ولم تحضر تشيمين بعد ظهر الخميس الى « الغراب الأسود » فساورني القلق · وفي البيت وجدت تحت الباب ورقة مكتوبة بخط يدها : « اذا لم أعد حتى المساء ، فابحثي عني في العنوان التالي : تاوتشيب ـ الكسندرا ـ الشارع رقم ٣ ـ منزل رقم ٦٦٠ · لا تقولي شيئاً لربة عملي » · طلبت من « ديك » أن

يقودني الى « ألكسندرا » بعد أن أنتهي من غسل الصحون ٠

وفي سيارة الباص قص علي «ديك» الكثير عن أخته الصغيرة التي كان يرسل لها النقود دائماً ، كي يساعدها على إتمام دراستها ، وتتخرج ممرضة أو قابلة ٠ وكان يحبها كثيراً، ويتوسل إلى جميع الآلهة ليحفظوا له عمله ، ثم قال متأوها :

ــ ان ديوناً كثيرة علي أن أسددها ، فكثيراً ما كنت أفقد عملي ٠

قلت له ناصحة :

ــ يجب أن تستمر في عملك لدى السيدة پلام ٠

كم أنا آسفة لعدم إصغائي إلى « ديك » ٠ لقد كانت أفكاري كلها متجهة نحو تشيمين : ماذا فعلت بنفسها ؟ وماذا حل بها ؟ ولماذا هذه الورقة المكتوبة ؟

وجدنا تشيمين في الفراش ، في ذلك الحي المرعب من المدينة ، حيث يكثر العراك والضرب بالسكاكين وبسلاسل الدراجات ، وحيث تنبح الكلاب الجائعة ، ويسيطر البؤس الأبدي الرهيب على قاطنيه السود ٠ وانكمش قلبي عندما رأيتها ، فقد علت وجهها آثار الحزن والألم ، وحتى تحت ضوء الشمعة كان يبدو وجهها ترابياً رمادياً ٠

وبالقرب منها جلست على الأريكة امرأة ممتلئة ، متكئة برأسها على راحة يدها ٠ قالت المرأة فجأة : ــ هذه هي صديقتك ! صديقتك وابنة أختي ٠ أختي التي حملتها في بطنها ، رفضت أن تأخذ الحليب من ثديي أمها كي توفره لي ٠ اسأليها ، لماذا ارتكبت هذه الفعلة الشيطانية ؟ آه منكن ! أيتها الفتيات العصريات ! لحريّ بكن أن تشكرن ربكن الذي أعطاكن القدرة على إنجاب الأطفال ٠ ولو أنها أنجبت طفلاً لرعيته لها ، ولكانت أختي راضية جداً بأن تربي حفيدها ٠ ولكن ما فائدة الحديث الآن ! ؟

أما تشيمين فقد كانت تتأوه من الألم ٠ وتابعت المرأة حديثها دون توقف ٠ لكن صوتها الرتيب لم يعد يصل إلى سمعي ، لأني كنت أفكر بشيء آخر ٠

وأثناء جلوسي بالقرب من تشيمين، حاولت تذكر شيء ما يمكن أن يوحي إلي بطريقة أساعد بها صديقتي ، التي حلت في أقذر حي من أحياء المدينة ٠ ولم تراودني أية فكرة ٠ وماذا يمكن أن يخطر في ذهني من أفكار ؟ وأنا لست إلا خادمة سوداء ٠

وعادت تشيمين في نهاية الأسبوع إلى عملها ٠ فحمدت الله كثيراً ، وكانت لا تزال ضعيفة ، لكن شبح الموت قد ابتعد عنها ٠ طمأنتها قائلة : لقد أخبرت ربة عملك بأنك كنت مريضة

وأن أخاك قد أخذك معه إلى « فوكنغ » ٠

ولم أشعر بأي إثم للجوئي إلى الكذب ٠ فهؤلاء الناس لم يحاولوا أبداً معرفة الحقيقة ، ونادراً ما كانوا يطمحون إليها ٠ ويمكنك أن تكذب عليهم ما شئت ، فعلى أية حال لن يصدقوك ، حتى إذا قلت الحقيقة !

وفي مساء ذلك اليوم ، أثارت السيدة پلام مع ابنتها ، أثناء العشاء ، نقاشاً حول الكلاب ٠ ولم أتمكن من فهم تفاصيل نقاشهما ، لكنني أدركت بأن الكلاب كانت موضوع الحديث ٠ وكانت السيدة پلام تثبت لابنتها بأن مثل هذا العمل ينفذ في المدن الأمريكية منذ زمن طويل ، وهنا أيضاً يجب القيام بالعمل نفسه ، أما « كيت » فكانت تغرق في الضحك والسخرية ٠ ثم سمعت بأنه قد أعدت للكلبين «مونتي» و «مالان» جنازة مهيبة في حال موتهما ٠

وفي صباح اليوم التالي أيقظني صوت « تشيمين » من خلف سور المنزل ، وعندما اقتربت منها بادرتني بقولها : هل تعلمين ما حدث ٠ لقد قرر هؤلاء البيض إثارة سخط الرب وغضبه ٠ إنني لم أر في حياتي مثل هذه الوقاحة ٠ فقد أعلنت ربة عملي بأن سكان « غرينسايد » عازمون على شراء قطعة أرض ، وبناء مقبرة للكلاب عليها ٠ البارحة سمعتهم يتحدثون حول هذا الموضوع ٠

قلت لها : وسيدتي أيضاً ناقشت هذا الموضوع البارحة مع ابنتها ٠ وتعتقد والدتي بأن البيض سوف يجلسون الكلاب ، عما قريب ، إلى جانبهم على مائدة الطعام ٠ وسيضعون أمامها الصحون والملاعق ٠

فتنهدت «تشيمين» وقالت بحسرة :

ـ أليس من الأفضل ان يعطوني أجرة أكبر كي أشتري لنفسي جورباً ٠ فهم ، على أية حال ، سوف يرمون النقود على الأرض من أجل مقابر الكلاب ٠ أقسم بوالدتي أنني لا أملك شيئاً أرتديه ٠

وعندما هممت بتوديع تشيمين ، تذكرت الجنيهات الخمسة التي جمعناها ، أنا وأربع من زميلاتي ، لكي تدفعها تشيمين إلى المرأة في « الكسندرا » لقاء عملية الاجهاض ٠ على أن تعيد لنا تشيمين هذا المبلغ عندما يأتي دورها في « الصندوق الأسود » ٠

لقد كنا عشر فتيات ، وكل واحدة منا كانت تدفع جنيهين شهرياً لهذا الصندوق ٠ فكان باستطاعة كل فتاة من مجموعتنا أن تأخذ عشرين جنيهاً دفعة واحدة وفق دور معين ٠

* * *

لم يقل أحد متى بدأت هذه الاشاعة ، ومن هو واضع هذه

الأكذوبة • قد يكون البوليس نفسه مؤلف هذه الاشاعة وواضعها ، وذلك تبريراً لحملاته الهجومية على مساكن الخدم : بحثاً عن الافريقيين العاملين، والعاطلين عن العمل ، والمختفين ، بدون تصاريح إقامة ، لدى أصدقائهم •

وكانتشار النار في الهشيم ، انتشرت ، في يوهانسبرغ كلها ، شائعة تدعي بأن الخدم الافريقيين قد عزموا على تسميم جميع الكلاب الموجودة لدى أسيادهم ، وذلك لأنها تسبب لهم متاعب كثيرة • فما كان من البيض إلا أن ملأوا صفحات الجرائد بالرسائل ، التي تطالب البوليس بتوفير أمن الكلاب ، والقضاء على النوايا العدوانية للافريقيين وأغراضهم اللا أخلاقية •

وقال آخرون بأن على البوليس أن يحذر شيئاً آخر ، هو أن لا يلجأ الخدم الأفريقيون إلى تسميم سادتهم ، وذلك لأن الزنوج ، وبعد أن سيطر عليهم الهيجان ، لن يستطيعوا تمييز المحق من المسيء ، والكلب من السيد • واعتقد آخرون بأن السود لا زالوا أطفالاً صغاراً من حيث تطورهم •

وحسب أقوال السيدة پلام ، فقد كتبت هي أيضاً في الصحف عن هذا الموضوع •

وبعد ذلك ، وكالجراد الزاحف على حقول الذرة ، زحف البوليس على غرفنا وأكواخنا •

وبدأت عربات البوليس الشاحنة ، بشكل دوري ، وساعة إثر ساعة ، تنقل المعتقلين • وكانوا يطرحون على كل معتقل الأسئلة التالية :

- أين السم ؟
- أين أخفيته ؟
- ومن علمك تسميم الكلاب ؟
- إذا قلت الحقيقة سوف نطلق سراحك ، أتسمع ؟

أما ديك فكان يؤكد لي دائماً :

- إنه لأمر سيء ومؤسف حقاً إذا ما عزم أحد على القضاء على هذه الحيوانات البائسة • وما هو ذنبها كي نقتلها ؟ وهل الكلاب هي التي ترغمنا على حمل تصاريح الاقامة ؟ أم أن الكلاب هي التي تشرع القوانين الجائرة ضدنا !؟• لقد فقد الناس عقولهم ، واستسلموا للحماقات •

لكن « ديك » عندما وقف أمام رجل البوليس ، نسي بسرعة أحاديثة السابقة الجريئة وسيطر التلعثم على لسانه وكأنه أخرس • وقف مرتجفاً خائفاً • وعندما بدأ رجل البوليس بتفتيش جيوبه ، ظل واقفاً ، رافعاً يديه ، إلى الأعلى كما طلب منه ، ولم يخفضهما إلا بعد أن أومأت له بذلك عدة مرات • وابتعد البوليس ، فعاد

« ديك » إلى عمله في الحديقة كالمعتاد ·

قادت السيدة پلام كلبيها الى غرفة الضيوف وأجلستهما إلى جانبها · كانت تبدو مضطربة قلقة · ودعتني إليها مخاطبة :

ـ كارابوا ! اسمعي ! ما رأيك ، هل يمكننا نحن أن نشق بديك ؟

فذهلت من هذا السؤال وارتبكت ، ولم أدرك قصدها من كلمة « نحن » ، ثم أجبتها :

ـ لا أدري يا سيدتي ·

ـ بل أنت تدرين !

نظرت إليها بحزم قائلة :

ـ لا أعرف بماذا تفكر سيدتي · فاستدركت السيدة پلام ·

ـ إنني لا أفكر بشيء ، ولا أدري لماذا طرحت عليك هذا السؤال ·

وكادت أن تفلت مني ضحكة كبيرة · ففي هذه اللحظة كذبت السيدة ولم أكذب أنا · وكان من الممكن أن لا يثيرني كذبها كما أثارني الآن · وعلى أية حال كانت كل واحدة منا تكذب على الأخرى ، كما حدث يوم عودة السيدة من السجن بعد تنكيلها برجلَي البوليس · لقد قالت السيدة آنذاك بأنها قد أعجبت بحياة السجن ، غير أنني رأيت مدى خجلها من اعتقالها وزجها في السجن · فهي ليست بذلك الأفريقي الذي ألف السجون ، والذي ينظر إلى الاعتقال كما ينظر إلى دعابة سمجة شيطانية يقوم بها رجل أبيض ·

وكانت « ليليان نغوي » قد حدثتنا كثيراً عن ذلك ، وها قد أثبتت السيدة پلام صحة كلامها ·

وإنني على ثقة بأننا لم نحتمل بعضنا بعضاً إلا بفضل الكذب المتبادل · ولكن في الوقت ذاته ، ولدى استماعي الى السيدة پلام ، في ذلك اليوم ، لاحظت شيئاً في وجهها ارعبني ، وأثار ، في آن واحد ، الشفقة في نفسي · لقد رأيتها في مواقف مختلفة : رأيتها يوم خروجها من السجن ، ورأيتها بعد شجارها مع « كيت » ، لكن وجهها لم يكن أبداً على هذا الشكل ، كما هو الآن ، بعد أن انتشرت الاشاعة عن الابادة المعدة للكلاب ، فعيناها وأنفها ، وشفتاها وأسنانها ، وكل قطعة من وجهها كانت ملأى بالحقد والاعياء والاستعداد للاقدام على أي شر · وفي الوقت نفسه ، فان شيئاً ما في وجهها كان يومي إليَّ برغبتها في جذبي إلى ناحيتها ·

وأخيراً ، قلت لها : يمكنك أن تطمئني إلى « ديك » ياسيدتي ·

أمسكت السيدة بالكلبين وضمتهما

إلى صدرها ، وهي تداعب رأسيهما ، ثم قالت :

ـ حسناً ، يمكنك أن تنصرفي • ولكن أرجوك أن تبقي هذا الحديث سراً بيننا •

ورغم رجائها ، فقد نقلت الحديث كاملاً إلى « ديك » ، فأصابه القلق والهلع • قلت له مهدئة : لا تقلق ، ليس هذا إلا هراء •

فقال ديك : لقد قررت مسبقاً أن لا أتصل أبداً باولئك العازمين على تسميم الكلاب البائسة ؛ أما الآن ، وبعد تدخل البوليس في الموضوع ، فاني أريد أن ابقى جانباً •

ـ ولكن هل باستطاعتك تسميم الكلاب اذا ما أرغموك على ذلك ـ

سألته بخبث :

ـ كلا • وعلى أية حال ، فهذا الموضوع لا يهمني إطلاقاً ـ أجاب ديك بحزم •

وتابع البوليس حملته من جديد • فقد كانت هذه الاشاعة فرصة ذهبية له أصَرّ على استغلالها •

وقد لاحظ الجميعذلك وأدركوه •

وفي اليوم التالي أعلمت السيدة پلام « ديك » بأنها ليست في حاجة إلى خدماته بعد الآن •

وكاد ديك أنيبكي عندما غادرنا ، وقال متحسراً :

ـ هل من المعقول أن السيدة تشك بي ! إنني لم ألاحظ أبداً على نفسي القدرة على إدخال الرعب في قلوب البيض •

واستلمت بعد يومين من أهلي في « فوكنغ » الرسالة التالية : « لقد توفي خالك •••• » ، وذكرت في الرسالة أسماء الموتى الآخرين : « ومنهممن لا تذكرينهم جيداً ، لكنك تعرفين الكثير منهم حق المعرفة •••» وفي آخر الرسالة وردت قائمة بأسماء المرضى من أهل بلدتي • قررت أن أطلب من السيدة پلام اذناً بالسفر إلى بلدتي • وبعد أن أخبرتها بالرسالة وبعزمي على زيارة أهلي بهذه المناسبة ، سألتني السيدة پلام :

ـ متى توفي ؟

ـ منذ ثلاثة أيام •

ـ ألا تعتقدين بأنهم قد دفنوه ؟

ـ أجل يا سيدتي •

ـ إذن ، لماذا تودين الذهاب إلى بلدتك ؟

ـ لأن خالي كان يحبني كثيراً •

ـ وماذا ستفعلين هناك ؟

ـ سوف أنوح على قبره وأبكي ، وأعزي أرملته •

فقالت السيدة پلام : كلا لن أسمح لك بالذهاب يا كارابو ، ثم انك تعملين عندي أليس كذلك ؟

ـ أجل يا سيدتي ·

ـ وأنا من يدفع لك النقود وليس أقرباؤك ·

ـ ولكن ، يجب علي أن أذهب يا سيدتي ، فهذه عادة من عادات شعبي ·

صمتت السيدة پلام وذهبت الى المطبخ وعادت وهي تقول :

ـ اذا كنت لا تزالين مصرة على رأيك يا كارابو ، فلن أدفع لك أجراً لقاء أيام غيابك عن العمل ·

ـ ستحسمين من راتبي يا سيدتي ؟

ـ أجل يا كارابو ·

وفي صباح اليوم التالي ، اقتربت من السيدة پلام وأخبرتها بقراري الرحيل إلى بلدتي « فوكنغ » ، وعدم العودة إلى العمل عندها · ورجوتها أن تحرر لي وثيقة تثبت أنني كنت أعمل عندها ·

وبعد لحظات قصيرة سلمتني السيدة پلام الوثيقة المطلوبة ، وهي تضغط على شفتيها · فشعرت وكأن شيئاً ما لفحني ، ولفح السيدة پلام من الداخل ، وكأننا ابتلعنا قبضة من الفليفلة الحادة ·

وقد جاء في الوثيقة أنني عملت لدى السيدة پلام ثلاث سنوات ولا شيء غير ذلك · وكان طرد السيدة پلام « لديك » من العمل ، لا يزال يحز في نفسي ·

وفي المساء عشية رحيلي ، جاءتني تشيمين ، وكان لديها من الهموم والمتاعب ما يكفيها ، فقد هجرها « تيمي » لأنها قتلت الطفل ، كما ادعى ذلك · فسألتها :

ـ وهل أجريت عملية الاجهاض دون موافقته ؟

ـ أجل يا كارابو ·

ـ ألم يشعر بالقلق عندما أخبرته بأنك حامل ؟

ـ لقد قلق مثلي إلا أنه قال لي الآن : بما أنك قد تخلصت من طفل واحد ، فهذا يعني أنك ستقتلين أطفالي الآخرين إذا ما تزوجنا ·

ـ وهل هو جاد في قوله ؟

ـ أجل ، لقد قال لي بأن والديه لو علما بأن المرأة التي ستغدو زوجة ابنهما قادرة على انجاب الأطفال ، لكانا مسرورين جداً ·

واستسلمت تشيمين للبكاء بصوت مخنوق · فحاولت تهدئتها ، وسردت عليها البراهين بأن تيمي لم يقرر

أصلاً الزواج منها وانه اتخذ عمليه الاجهاض ذريعة كي يهجرها ·

لكن أقوالي لم تبد مقنعة لها ، ولم أجد العبارات المناسبة فأخذت أردد « باستمرار : لا تبكي يا أختي ، لا تبكي ، لاداع للبكاء ·

وفي الصباح ، قدمت « كيت » ، وكانت مسافرة ، فرجت والدتها ، أن تبقيني ، لكن السيدة پلام لم تعرها أذناً صاغية : وأنا أيضاً لم أكن مكترثة ، ولم أرغب في البقاء لديها ·

وبعد ساعة صعدت إلى سيارة الباص التي ستوصلني إلى فوكنغ · في الطريق ، كنت أعيش حالة انتقالية ، وكانت أفكاري تتراقص وتقفز من السيدة پلام الى خالي ، إلى أهلي وفوكنغ · وكنت أصحو ثم أغفو ثم أستيقظ ، ثم أستسلم للنوم من جديد · وقد شاهدت ـ في الحلم أو الحقيقة ، لا أدري ـ سيارة حمراء كانت تبتعد عني ثم تتبعني من جديد · وكانت أحلامي تراودني تارة وتختفي تارة أخرى ·

وفجأة وصل إلى مسامعي صوت يردد :

« لقد قتلت نطفتي ، وأنا الذي قررت تقديمك إلى والدتي كالمرأة التي يمكن لبذرتي أن تنمو فيها ····· قبل أن يعتقلك البوليس ، عليك أن تكوني واثقة من أنك تذهبين إلى السجن من أجل قضية عظيمة عادلة ، وإلا فستخرجين من السجن بقلب دام ووعي مسموم ··· » ·

وعندما وصلت إلى البيت سردت على أهلي أخباري · فقال لي أبي :

« أنت لا زلت حية ترزقين ، وصحتك جيدة ، هذا هو المهم يا ابنتي · والعمل باق ولا نهاية له · منذ طفولتي ، أذكر بأنه كان يقال لي : إن الشيء الهام في الحياة هو الجسم السليم والعقل الناضج · أما العمل فهو كثير وكثير جداً » ·

فقلت له :

ـ لقد مضت تلك الأيام يا أبي ، وسأضطر للعودة إلى المدينة بحثاً عن عمل جديد · سأستريح بعض الوقت عندكم · وبعد ذلك علي أن أفكر بكم ، فالناس الآن فقراء ، وأفقر من أن يقدموا لكم المساعدة ·

وكنت قد اتخذت قراراً ، عند رحيلي من غرينسايد ، بالعودة إلى العمل في يوهانسبرغ · ومع أن البيض يدفعون رواتب ضئيلة ، لكن هذه الرواتب تبقى أفضل من الجلوس في فوكنغ أرقب شروق الشمس وغروبها · كما طلبت من تشيمين أن تبحث لي عن عمل آخر ·

ولم أقض في فوكنغ سوى أسبوع واحد ، عندما قدمت إلى فوكنغ سيارة

حمراء . وإلى جانب السائق جلست سيدة بيضاء هي السيدة پلام . لقد كادت نبضات قلبي أن تتوقف عندما خرجت السيدة من السيارة .

وكانت تعلو وجه السيدة پلام ابتسامة مضنية ، لكنها رقيقة . وخطر لي بأنها قد تود الجلوس فأسرعت إلى بيتنا وأحضرت مقعداً . وأخيراً ، قالت لي السيدة پلام :

ـ لقد جئت من أجلك يا كارابو . إنـي أرغب في أن تعودي إلينا . هل أنت موافقة ؟

فقلت لها :

ـ لا أعرف يا سيدتي . عليّ أن أفكر بالموضوع .

ـ هل تستطيعين أن تفكري اليوم ؟ . سوف أقضي هذه الليلة في الفندق، وغداً صباحاً سأحضر إليك . وإذا ما وافقت فسنعود معاً في السيارة .

لقد وددت جداً إرغامها على الاعتراف بأسفها على تصرفها ، لكنني لم أعرف كيفية الوصول إلى ذلك . فالبيض يعتقدون أن الانحطاط إلى مستوى الاعتذار أمام الافريقيين أمر غير مقبول .

وبما أنها لم تكن عازمة على الاعتذار ، فقد اختلقت سببين يعيقان السيدة پلام عن أخذي معها أو يجعلان من عودتي إليها أمراً مستحيلاً .

قلت لها : يجب عليك ، في البداية، أن تطلبي الموافقة من أبي . هل أدعوه ؟

فأجابت موافقة : أجل ، إدعيه .

خرج أبي وأمي وسلمّا على السيدة پلام . أحضرت لهما مقعداً كي يجلسا، ثم أخبرتهما بهدف قدوم السيدة . فنظر أبي إلى أمي ، ثم أمي إلى أبي ، واتجه أبي الي . فقلت لهما :

ـ إذا كنتما موافقين ، فسأفكر أنا بالموضوع ، وغدا صباحاً سوف أخبر السيدة بقراري .

قال والدي : إفعلي ما يمليه عليك قلبك يا ابنتي .

اتجهت الى السيدة پلام قائلة :

ـ إذا كنت راغبة حقاً في عودتي إلى العمل لديك ، فلا بد أن أعرف فيما إذا كنت مستعدة لزيادة راتبي السابق . وحتى الآن . كنت تدفعين لي أجراً زهيداً .

ـ ما هي الزيادة التي تريدينها ؟

ـ أربعة جنيهات .

أغلقت السيدة عينيها لحظة . فتابعت حديثي :

ـ وعلاوة على ذلك ، أريد أن تكون لدي عطلة لمدة أسبوعين في عيد الفصح من كل عام وليس يوماً واحداً .

وفكرت في نفسي : إنها إذا كانت مهتمة حقاً بعودتي فعليهـا أن تزيـد راتبي ، ثم إن ذلك يظهر مدى أسفها على طردي وتصرفها السيء تجاهي ·

وأخيراً قالت السيدة پلام :

ـ يمكنني أن أعطيك أسبوعاً واحداً في عيد الفصح · أنت تعرفين يـا كارابو ، بأن لديك عطلاً كثيرة ، أثناء سفري شتاء إلى « دوربان »·

ـ حسناً ، سأفكر بالموضوع ·

وفي صباح اليوم التالي ، وجدتني السيدة پلام متأهبة للسفر معها ·

وبدت السيدة پلام راضية وطيبة جداً · ولا أذكر أبداً أنني رأيتهـا ، في وقت مـن الأوقـات ، بمثل هـذه الوداعـة · وهـذا ما أشعرني بثقـة كبيرة في نفسي ، أكثر مـن أي وقت آخر ·

قـالت السـيدة بحزن وأسى : لن تشاهدي « مونتي » و « مـالان » بعد الآن ·

ـ وماذا حـدث لهمـا ؟ ـ سـألتها بلهفة ·

ـ لقد سرقا في اليوم التالي لرحيلك · ولم يعثر لهما البوليس على أثر · أعتقد بأنهما قـد أصبحا في عـداد الأموات ·

وتذكرت ديك ! وهل يمكنه القيام بمثل هذه الفعلة ؟ ! وهذه السيدة ! هل جاءت لتأخذني فقط لأنها فقدت كلبيها الحبيبين ؟

ثم قالت السيدةپلام وهي غارقة في أفكارها ·

ـ تعلمين ، يـا كارابو ، بأنني أحب شعبكم ، أحب الأفريقيين ····

ففكرت فينفسي : « وهل تحبني ! وهل تحب ديك أيضاً ! ! ! »

* * *

مطاردو الوظيفة

ترجمة : ميخائيل عيد
وليد داوود

ايفان فازوف

١٨٥٠ ـ ١٩٢١

شارك ايفان فازوف شعبه آلام العبودية وأفراح التحرر • وقد وجد ذلك الألم وتلك الأفراح أصداء لها في كل ما كتبه هذا المبدع الكبير • لقد خلف تراثاً أدبياً كبيراً فلم يترك صنفاً من صنوف الأدب لم يسهم فيه فقد أصدر عدة دواوين شعرية وعدة مسرحيات أشهرها « مطاردو الوظيفة » و « ثوار في المنفى » وأشهر رواياته « تحت النير » التي ترجمت الى أكثر لغات العالم •

وقد كتب المقالات الوصفية في ربوع وطنه الساحرة وأبدع العديد من القصص القصيرة •

مطاردو الوظيفة

« ستانتشو كفاسنيكوف في زيارة للوزير »

مسرحية هزلية من فصلين

ايفان فازوف

أشخاص المسرحية

نيقولاي بالتوف : وزير

انيتشكا : ابنتـــه

الجدة دونـــا : والـــدة بالتوف

ستانتشو كفاسنيكوف : قريب بالتوف · عجوز تبدو الصحة على وجهه الاحمر·· يرتدي الزي الفرنسي ·

جيكوخوروف : شاب ، مدع سطحي التفكير ·

كاكافيلوف : انسان ضئيل الجسم ، رث الثياب ·

بوزدوغانسكي : متوسط القامة ، كبير الشاربين ·

السيدة تيرزيسكا : امرأة جميلة ترتدي الزي الحديث ·

تشالكانوف : نائب ·

دراموف : صحفي ·

ستويانكا : خادمة ريفية عند بالتوف ·

ايليـــــا : وصيف مسرح ·

والحاجب ·

تجري أحداثها في صوفيا ·

الفصل الأول

مكتب الوزير بالتوف

طاولة عليها كتب • مزهرية ، كنبة من اليسار • أريكة • مرآة كبيرة من اليسار • بابان متقابلان أحدهما من اليسار والآخر من اليمين • في الصدر نافذة • هاتف •• أم الوزير (الجدة دونا) جالسة على الاريكة تحيك صوفاً • الخادمة ستويانكا واقفة •

المشهد الأول

الجدة دونا وستويانكا

الجدة دونا : تنسين كل شيء ياستويانكا • أين عقلك ؟ اقول لك : اغلقي الابواب فتتركينها مفتوحة وكاننا في فندق • أرسلك الى السوق لتشتري لحم خروف فتشترين سمك الشبوط ••• وتقولين : هذا أيضاً لحم • هل غرقت سفنك في البحر ، اليس عقلك في مكانه •

ستويانكا : نحن اناس بسطاء ياسيدتي ••• لو كان عقلي اكبر مما هو عليه لكنت اذن زوجة رائد •

الجدة دونا : لك عقل ، ولكنه شيطاني • من هذا الوصيف الذي ياتيدائما لزيارتك ؟

ستويانكا : انه وصيف النقيب شيكوف • لقد سرحوه اليوم •

الجدة دونا : لماذا ياتي ؟

ستويانكا : « بخفر » هكذا !!•••

الجدة دونا : (باسمة) هل تنويان الزواج؟

ستويانكا : كلا ••• يريد أن اجد له وظيفة •

الجدة دونا : اعطه ••• ولكن ماذا يريد أن يعمل ؟

ستويانكا : آذن ••• أرجو ياسيدتي ان تقولي لسيدي الوزير •

الجدة دونا : ليس لدي سوى هذا العمل •• ان سيدك لا يرتاح للحظة من الباحثين عن عمل • سواء في الوزارة أو في البيت • كلهم يريدون عملا ••• وقلب سيدك طيب • من يسعل هناك ؟ لقد تركت الباب مفتوحاً أيضاً ! (يدخل كاكا فيدوف منالجهة اليمنى) •

المشهد الثاني

الجدة دونا وستويانكا وكاكا فيدوف

كاكا فيدوف : (منحنيا) صباح الخير ياسيدتي المبجلة (يمد يده) ٠
الجدة دونا : أسعد الله صباحك ياسيد (تصافحه) من تكون حضرتك ؟
كاكا فيدوف : من ؟ أنا ؟
الجدة دونا : اجـــل ٠
كاكا فيدوف : (مبتسمة) أنك تعرفينني ياسيدتي ٠
الجدة دونا : من أين أعرفك ؟
كاكا فيدوف : التقينا هذا الربيع في كنياجيفو ٠
الجدة دونا : هكـذا ؟
كاكا فيدوف : كنتم في السيارة قرب النهر وكنت أجتاز الجسر فزلقت رجلي وسقطت في الماء ٠٠٠ واذكر انكم ضحكتم وقلتم : لقد استحم ٠ ولقد انحنيت لكم عندئذ ٠٠٠ هل تذكرون ؟

الجدة دونا : (ضاحكة) لا ، لا أذكر ٠٠ من أنت ؟
كاكا فيدوف : من أنــا ؟
الجدة دونا : نعم ، أنت !
كاكا فيدوف : كاكا فيدوف ٠٠٠ اعذروني٠٠لي خمسة أولاد وزوجتي حبلىوستلد قريبا٠
الجدة دونا : مــاذا ؟
كاكا فيدوف : السادس على الطريق ٠٠ اعذروني ٠٠
ســــتويانكا : (تضحك)
كاكا فيدوف : (متابعة) وبه سنصبح ثمانية أفواه وأنا كما ترون ولن اذهب ، مع ثقافتي ، لاحفر ٠٠٠ استعطفي ياسيدتي سيدي الوزير ٠٠ فانتم أمي وابي (يحاول تقبيل يدها) ٠

الجدة دونا : (تسحب يدها) لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ حسناً ٠ هل تعرف ابني ؟
كاكا فيدوف : من ؟ أنا ؟ طبعاً ، كيف لا ؟ اعرفه من كالكوفو ٠ حين مر الوزراء من هناك استقبلتهم والقيت خطابا ٠
الجدة دونا : وهل حضرتك خطيب ؟

كاكا فيدوف : منحني الرب هذه الموهبة ... وحينذاك سرحوني .
ستويانكا : (تخرج)
الجدة دونا : أكنت تعمل هناك ؟
كاكا فيدوف : معلم ومرتل . والآن كما ترون جائع .. هذا مكتوب علينا .. فالطيبون يتعذبون .

الجدة دونا : ما الوظيفة التي تريدها ؟
كاكا فيدوف : موظف الجمارك في خارمانلي مشرف على الموت .
الجدة دونا : لينقذه الرب ... هل هو من اقربائك ؟
كاكا فيدوف : كلا .
الجدة دونا : ولكن ماذا تريد أن تشتغل ؟
كاكا فيدوف : أريد مكانه .
الجدة دونا : هكذا اذن !! وهل تستطيع القيام مقامه ؟!
كاكا فيدوف : بوسع الانسان أن يتعلم ياسيدتي .. الدب دب ومع ذلك يتعلم .. المهم الا نبقى دون عمل .

الجدة دونا : (تنهض) حسناً ساقول لابني .
كاكا فيدوف : أيتها السيدة المبجلة .. كوني لي بمثابة المنقذ والوالد (يقترب ليقبل يدها) .
الجدة دونا : حسناً ، حسناً .
كاكا فيدوف : شكراً (ينحني ويخرج)
الجدة دونا : (لنفسها) لا نهاية لهذا . نيقولا يشكو من المراجعين . وكلهم ياتون الى بيتي أول الامر .. لقد قال أول أمس : أريد أن أهرب الى مكان ما ... أريد أن أترك كل شيء .

المشهد الثالث

الجدة دونا ، انيتشكا ، ثم ستويانكا

انيتشكا : أنا ذاهبة ياجدتي الى السيدة شيكوفا فاليوم هو موعد استقبالها لضيوفها . (تاخذ زهرة) أمي رفضت الذهاب . صحتها منحرفة . الا تاتين معي ؟

الجدة دونا : (مبتسمة) صارت أيام الاتسقبال « مودة » الآن ٠
انيتشـــــكا : (مبتسمة) استقبال وليس اتسقبال ٠
الجدة دونا : كنت قديماً أقلد الاوروبيات ٠٠ ولقد صحبتك البارحة الى حفلة راقصة٠ من هو ذلك الشاب الذي رقصت معه كل ذلك الرقص ؟
انيتشـــــكا : الفالس ؟
الجدة دونا : الفالس وسائر الرقصات
انيتشـــــكا : انه السيد خوروف ٠
الجدة دونا : تصادقتما اذن !!
انيتشـــــكا : انــه لجذاب

تدخل ستويانكا من اليمين ٠

ســـــتويانكا : (للجدة دونا) أتى ضيف ودخل الى غرفتك يا سيدتي ٠
الجدة دونا : الى غرفتي مباشرة ؟ من هو ؟
ســـــتويانكا : لا أدري ٠٠ يبدو وكانه غريب ٠
الجدة دونا : من تراه ؟ (تخرج من اليمين)
انيتشـــــكا : (لنفسها وهي تعلق زهرة على صدرها) لقد لفت نظر جدتي أيضاً !٠٠٠ شـارباه جميـلان ٠٠٠ لبـق ٠٠ جـذاب ٠٠٠ ولكن علي أن أذهب ٠ (لستويانكا) ما هذه البطاقة التي تحملينها ؟
ســـــتويانكا : أعطانيها سيد شاب (تقدمها لها)
انيتشـــــكا : (تنظر الى البطاقة) آه انه السيد خوروف ٠ ادعيه الى الدخول (تخرج ستويانكا) اني مضطربة على مايبدو ٠ لماذا دعوته مادام أبي مشغولا ٠ (تقف ، يدخل خوروف)

المشهد الرابع

آنيتشكا ، خوروف

خـــــوروف : (ينحني بادب) قد أكون أزعجتكم ؟
انيتشـــــكا : (وهي تمد يدها) ابداً ، ابداً ٠ تفضل اجلس (تشير الى الكرسي)٠
خـــــوروف : شكراً (يجلسان) ٠
انيتشـــــكا : أنت تسال عن أبي حتماً ٠

خــــوروف : عنك أولا • أشعر أن من واجبي أن اقدم لك احترامي • واني لاشكر هذه المصادفة التي أتاحت لي فرصة تقديم احترامي ••• كيف حالكم ؟ أظن أنكم متعبون منذ الليلة البارحة •

انيتشــــكا : أبداً يا سيد خوروف • على العكس ، ان الرقص ينعشني ••• لكن أمي تشعر بتعب اليوم •

خــــوروف : أجل ••• كانت سهرة رائعة • مجتمع •• وزينات براقة • وأنت ، اعذريني ، كنت فاتنة •

انيتشــــكا : (مبتسمة) انك لبارع بالمجاملة • أنت تعرف جيداً طبيعة جنسنا الضعيف•

خــــوروف : ليس ضعيفاً • المرأة اليوم هي الدنيا ••• هي التي تمنح الحياة الجمال والقوة • أية انسانية بدون المرأة ••• جسد بلا روح •• وطبعاً أنا أفهم الجميلات ••• أما القبيحات فغير موجودات بالنسبة لي •

انيتشــــكا : (مبتسمة) أنت ظالم • قلت مرة أن السويسريات غير جميلات ؟

خــــوروف : هم ! لم أرهن •• فتنت بغيرهن من الجميلات اللواتي أحببتهن •

انيتشــــكا : أجنبيات ؟

خــــوروف : من هناك • متباهيات •• بعيدات المنال • (يبتسم ابتسامة ذات معنى) ولكن بالنسبة لي ••• كان الوصول اليهن جميعاً سهلا •

انيتشــــكا : (دهشة) نعم ؟

خــــوروف : جبال الالب ! لقد فتنتني •

انيتشــــكا : (مبتسمة) أوه ••• جبال الالب ؟ لقد فكرت بالروعة هذا ؟! أنت شاعر بدون ريب ؟

خــــوروف : (منحنية) أحب ادعاء ذلك •

انيتشــــكا : هل لك أشعار منشورة ؟

خــــوروف : نعم في مجلة النور

انيتشــــكا : عجبة ، كيف لم أقع على اسمك ؟!

خــــوروف : نشرت باسم مستعار « بارون دوبورك »

انيتشــــكا : (مبتسمة) آه •• لانك من بلدة بوركاس •• هل درست الأدب ؟

خــــوروف : (متقبضاً) لا ••• انهيت المدرسة الزراعية •• درست رغماً عني •• ذلك كان نصيبي •• فلم تكن ثمة أماكن شاغرة • وقد أجبرني أبي على ذلك ، فهو يملك مزرعة •• الاعمال العضلية بغيضة الى نفسي •• وقد تلاحظين •• ثم الريف •• انه رهيب • في العاصمة وحدها يستطيع الانسان أن يعيش • أشعر منذ الامس انها منحتني قوة سحرية •

انيتشـــــــكا : (مرتبكة) هل تسمح بان تقرأ لي شيئا •

خـــــــوروف : بكل سرور •• هل ترغبين في سماع قصيدة حزينة أهديتها للآنسة روزا اديلينا دو نوار فيل ؟

انيتشـــــــكا : ومن تكون ؟

خـــــــوروف : شقيقة كونت ! قريبة الرئيس كارنو •• من الوسط الارستقراطي •• تعرفت اليها في قمة « مون بلان » •

انيتشـــــــكا : أقرأ أيها السيد خوروف أرجوك •

خـــــــوروف : (ينهض ويخرج من جيبة ورقة) أرجو أن يكون في علمكم أن هـــذا محض تخيل • (يقرأ)

يا للحقارة ؟ أن روحي لمضطربة
وضعي يقتلني ، تلاشت قـواي
ماذا في قلبي ؟ مـاذا ؟
لا ينبس بكلمة
يصمت والدماء في سعار
يغيب ••• لا يطيق صبراً

★ ★ ★

لم أنجز شيئاً حتى الآن •
كنت طفلاً بين الأطفال في السهل والغاب •
لا أحسب حساباً لشيء
ولم اعرف لشيء قيمة
لم أضارب بالجوع ولا البرد ولا القيظ •

★ ★ ★

يا جبال الالب الملهمة
حظي أسود ، أسود دائماً
وأنت التي احببتك
وضعتني في مرحلة سوداء
أحس تحولات لا متناهية
اتمنحينني ابتسامة كنجمة !!

انيتشـــــكا : (مبتسمة) جميل !

خـــــوروف : هو شعر غير واضح .

انيتشـــــكا : اجل ، مبهم حتى كلمة تحولات ثم يصبح واضحا بعدها . ولكنني لست اهلاً للنقد .

خـــــوروف : الشعر العميق .. يبدو مبهما . يجب ان يكون الشعر الحقيقي كذلك.. لقد أسرفت في مضايقتكم ... ولكنني كنت مدفوعا الى ذلك . (ينهض)

انيتشـــــكا : عفواً ، ابداً (تنهض)

خـــــوروف : عندما يزعج انسان آخر تكون غلاظة . اما اذا كان هذا الآخر ملاكاً ... فتكون جريمة عفواً ، هل تحدثت الى السيد والدك ؟

انيتشـــــكا : نعم ، نعم ، ولقد رغب في رؤيتك . آسفة ، انه مشغول الآن . تفضل في الحادية عشرة .

خـــــوروف : شكراً .. الف شكر .. الى اللقاء (يقبل يدها ويخرج) .

انيتشـــــكا : (وحدها) ياله من لامع ! حقاً انه لجذاب .. من المؤسف ان يعمل شاب كهذا في مزرعة . (تطرق مفكرة) ولكن هل هي جميلة حقاً تلك الفتاة، نوارفيل ؟ أوه ... لقد نسيت نفسي (تخرج من اليمين) يدخل بالتوف من اليسار .

المشهد الخامس

بالتـــــوف : (ملتفتا نحو الباب) ستويانكا .. قولي للباقين ان ينتظروني في الوزارة. اغلقي الباب كيلا يدخل أحد (يجلس) اني مرهق فعلا ... مراجعون ، مراجعون .. سيل من المراجعين .. حتى لكان كل من في بلغاريا يبحث عن عمل .. لا أجد الراحة في بيتي ولا استطيع العمل في الوزارة .. حالة لاأستطيع احتمالها ... لو كنت اكثر جراة لاعتذرت منذ الاسبوع الاول .. لا يسمح لي الطبيب بالخروج اليوم ... ولكنني مرهق هنا في البيت ايضاً .

يدخل كفاسنيكوف وفي يده سيجارة .

المشهد السادس

بالتوف وكفاسنيكوف

كفاسنيكوف : كان الله في عونك يانيقولا •

بالتوف : (ينهض) أو ، الجد ستانتشو ! أهلا وسهلا ! لم نلتق منذ عدةسنوات! (يتصافحان) اجلس ! (يشير الى المقعد) •

كفاسنيكوف : رأيناكم بخير يانيقولا • جئت لرؤية صوفيا فقررت ان امر واراكم فنحن اقرباء وستسالني العجوز عنكم • تحدثت في الداخل مع اختنا الكبرى دونا (يجلس ويضع قبعته على الطاولة) •

بالتوف : (يجلس) كيف صحتك ؟

كفاسنيكوف : (ممازحة) الا ترى ! اصفر كالآجر في الماء • (بجد) من هم هؤلاءالذين تحت ؟ في المشى وفي الطريق •

بالتوف : (مؤكداً) مرشحون لمائدة الحكومة ، طالبو وظائف •

كفاسنيكوف : أهكذا تفسدون بلغارنا ! ليعملوا ويعيشوا !

بالتوف : قل لهم ذلك ، ينتظرون حتى في الشوارع ، يتزاحمون في ممرات الوزارة، يملؤن الحديقة ، يروحون ويجيئون أمام مائدتي وانا آتناول الطعام • لا آكل لقمة هانئة • هذا فقط عندي وحدي فتخيل كم يوجد عندالآخرين! يتصل بكأقرباء وأقرباء أقربائهم ، يظهر لكأصدقاء لا حصر لهم منالذين تسمع لاول مرة بخدماتهم التي قدمت في زمن ما ومكان ما ، أما لي او لوالدي أو لجدي •• بطاقات توصية من النواب الذين وعدوهم بوظائف اثناء الانتخابات تتساقط اكواماً واجمعها كل يوم ، كيف لا ، وانا ادير مؤقتاً وزارتين ـ انه لامر مخيف •

كفاسنيكوف : (يدخن) سنواتكسل ، لا أحد يريد أن يعمل•حتى ابني السافلبنتشو•••

بالتوف يقاطعه : اخاف حين اسير في الشارع • ثمة رجل اسمه كاكا فيدوف : اعترضني امس في شارع دوندوكوف بسرب كامل من الاطفال ، صرخوا ، شدوا اطراف ثوبي بتحريض وتدريب من والدهم • ثمة آخر في الحديقة اسمه زورلوف • اعرفه • بربري • جاء طالباً وظيفة حارس غابات أو محاسب

في ثانوية ديفيتش الداخلية • لماذا ؟ لانه حلق في احدى المرات لابي • وآخر صاحب بقالية لا يدعني أرتاح لانني آويت ، وكان المطر ينهمر ، الى دكانه • لقد اصبحت مدينا له • يريد ان يغلق دكانه ويصبح موظفا• ثمة آخر ، فلاح ، من ناخبيّ ••• ترك حقله •• ويريد ان يصير حاجبا ••• ولكن لماذا ياعم ستويتشو ؟ فيقول « اعرف الكتابة » لقد ضيعنا ياجد ستانتشو فضائلنا القديمة • تحررنا حقا ولكننا تفككنا • نهرب من العمل ••• الغرباء يعملون ويغتنون عندنا ونصبح موظفين كي نصبح خدماً لهم •• كل يوم ياتيني ضيوف ، وكلهم من مطاردي الوظائف • قد تكون أول من ياتي لزيارتي دون غرض •

كفاسنيكوف : (يدخن بشدة) لتعلم اني جئت شوقا اليكم •

بالتوف : أشكرك (يشد على يده) وكيف تعيشون في خارمانلي ؟

كفاسنيكوف : آخ ، لو ترى الحقول هناك وأشجار الكرمة • نربي دود القز ، نتاجر، نجمع طرفي الامور •• ولكننا هرمنا • (تدخل الجدة دونا) •

المشهد السابع

بالتوف • الجدة دونا ، كفاسنيكوف ، ثم ستويانكا

كفاسنيكوف : تعالي يا أختنا الكبيرة دونا • ما الذي قالته لك النساء في الغرفة ؟

الجدة دونا : (تبتسم) الا تعرف ؟ لماذا أنا أم وزير ؟

كفاسنيكوف : تمامة ، تماما ، مثل القديسة والدة الاله لدى يسوع المسيح : شفيعة•••

الجدة دونا : جاءت السيدة تيرزيسكا ترجو شيئا •

بالتوف : كفي يا أماه ! أنت تعدينهم ولي وجع الرأس •

الجدة دونا : يوجد أناس لا تستطيع ردهم دون كلمة طيبة •

كفاسنيكوف : هذا معروف • كلمة طيبة من الوزير تظل رطبة طوال ستة أشهر •

الجدة دونا : منذ فترة بكى أحدهم هنا •

بالتوف : من هو ؟

الجدة دونا : كاكا فيدوف •

بالتوف : هذا الكاكا فيدوف الرهيب !

الجدة دونا : وظفته

بالتـــــوف : لا أستطيع فقد تصرف هذا الاحمق تصرفا معيبا • وهو لا يصلح ليكون معلما ولا يصلح حتى ليكون كناسا في مدرسة •

الجدة دونا : وماهي غلطته ؟

بالتـــــوف : حين ذهبت وبقية الوزراء الى سامالكوف مررنا بقرية كالكوف فاستقبلنا مع الفلاحين والتلاميذ والقى كلمة فدعانا « ملائكة السيرافيم الستة المجنحين ! »

الجدة دونا : (تبتسم) امتدحكم قليلا •••

كفاســـــنيكوف : وأنا أرى أن « ملائكة السيرافيم الستة المجنحين » ليست شتيمة • ألا نرتل في الكنيسة « الملائكة الهيروفيم ، ألا يقاسون بالسيرافيم ؟ » وأنا احيانا أفعل شيئا كهذا •

بالتـــــوف : رويدكما • ثم أطلق علينا ، قراصنة الشعب المجيدون » •

كفاســـــنيكوف : آ ! الاخيرة سيئة • ماذا تعني قراصنة هذه ؟

بالتـــــوف : « قراصنة » تعني لصوص البحر •

كفاســـــنيكوف : آ ! يستحق الشنق لهذه •

الجدة دونا : ان هذا المسكين ينتقي هـذه الكلمات السياسية كما تفعل جدته دونا • يخيل الي انه ساذج •

بالتـــــوف : أوجدت له عملا براتب سبعين ليرة شهريا في مصنع التبغ في دجونيانوفا لكي أتخلص منه فلم يرض • لـم يشا أن يهـان علمه ! اسـمح ياجد ستانتشو ان اقرا لك هذه الرسائل (يخرج من عبه رسائل ويقرأ)

الجدة دونا : أذهلني هؤلاء يا ستانتشو فنسيت أن أسالك عن الأولاد •

كفاســـــنيكوف : هم بحالة جيدة يا أخت دونا • اكبرهم تيودور ضابط وستيفان قاض مدني وخريستو كذلك • وسينهي بنتشو المدرسة الحرفية هذا العام •

الجـــدة دونـــا : ونيقولا ؟ أليس هو الخامس ؟

كفاســـــنيكوف : نيقولا معلم ـ لا أعرف اي معلم هو : يهرب دائما من المدرسة ويشنق القطط • لا يدع قطة في المحلة • وديمو كاتب عند الرئيس في مدينة سليفن • امـا خطـه ، يا اخت دونـا ، فمن الرداءة بحيث اظـل ساعة كاملة لاكمل قراءة رسالته •• اضع قلمي في ماء بارد (يبتسم

بالتوف) أما ابراهيم فيتعلم في المدرسة الروحية وسوف يصبح مطرانا. له صوت هرموني : حين يرتل يخرس مئة زورلا « آلة موسيقية ، هي نوع من الكلارينيت » .

الجـدة دونـا : جميل ، أنت من نسل كهنة .

كفاسـنيكوف : اجل ، عمدناه على اسم عمه الكاهن ابراهيم . اما اي كاهن سيكون ، فلا ادري ! جاء أثناء العطلة : ليقرأ كل غاريبالدي . وانشد لبوتيف « مستقيمو الرأي البهائم » ودمـغ صدر أمـه بخاتم القديس ايفان ريلسكي . باختصار سيقودنا جميعاً الى جهنم .

الجـدة دونـا : حمقى .

كفاسـنيكوف : اما بافل فيعمل على الهاتف .

الجـدة دونـا : أيعمل أيضاً ؟ لديك معاونون .

كفاسـنيكوف : والثامن ــ سكوبيلتسو ، في القسم الرابـع ، عقله قاطع كالموسى .. سيسنبل هذه السنة .

الجـدة دونـا : ماذا تقول ؟

كفاسـنيكوف : سيسنبل ، يعني سيعطي أول سنبلة . أما ماريا وكونكا فتذهبان بالقميص وتسبحان كالبط في السواقي .

الجـدة دونـا : « باسمة » آ ! ولديكم بنات !

كفاسـنيكوف : اثنتان فقط . انهما مثل يمامتين . كونكا تعرف جيداً كيف تصنع دمية من كل خرقة تجدها .

الجـدة دونـا : يالك من أب سعيد !

كفاسـنيكوف : علقي بي رأساً من الثوم كي لا أصاب بالعين . أما آسين فيشبه البندقية.

الجـدة دونـا : أوخ ، أوخ ، أوخ ، هذا زيادة !

كفاسـنيكوف : الرب حين يعطي لا يسأل ابن من تكون . أما كروم ...

بالتـوف : (يترك الرسائل ويبتسم) الديك أيضا ياجد ستانشو ؟

الجـدة دونـا : (مبتسمة) مهلا ، انهم يشكلون مملكة .

كفاسـنيكوف : ولد ولد آخر بعد كروم وهو الاصغر ولا أعرف ان كان سيصبح نقيباً أم سيدة .. ماذا ترون ؟ نحن في الريف لا نعمل سوى هذا . سر في الشوارع تر الاولاد أكثر من الحصى . (تدخل ستويانكا) .

المشهد الثامن

نفس الأشخاص وستويانكا

ســـــتويانكا : (لبالتوق) أحد السادة قدم هذه (تعطيه بطاقة) •

بالتـــــــوف : (ينظر الى البطاقة ويتجهم) من أين دخل ؟ ألم أقل لك : لا تسمحي لاحد؟

ســـــتويانكا : الباب مقفل ولقد تسلل من العاجز الخلفي من خلال لوح مخلوع •

بالتـــــــوف : قولي له اني غير موجود

ســـــتويانكا : قالت له الجدة غونا أنك هنا •

بالتـــــــوف : (غاضباً) ألم أصدر أوامري للطباخة بان تقول اني غير موجود ؟

ســـــتويانكا : قلت لها ذلك ولكنها لم تجرؤ على الكذب فهي تستعد لتناول القربان المقدس •

بالتـــــــوف : (ينهض ، غاضبا) يا للشيطان ! فلقني هذا السيد بسبب الوظيفة • لا مهرب ••

كفاســـــنيكوف : من هو هذا الرجل ؟

بالتـــــــوف : رجل أرعن مسرف • قدم لي نفسه على انه محارب متطوع ولكن تبين أن الوثائق التي قدمها مزورة • كان مجرد رجل اطفاء في بودابست أثناء الحرب الروسية التركية •• ولكنه مقتنع بأنه سكب دمه من أجـــل بلغاريا وهـــو يتشكى دومـــا من أن الوطن لـــم يكافئه على خدماته • منذ شهر أشهر مسدسه في الوزارة لينتحر أمامي قائلا : « من الافضل أن أموت برصاصة بدلا من أن أموت جوعة » •

كفاســـــنيكوف : يا الهي ! وهل أنتحر ؟

بالتـــــــوف : أعطيته خمس ليفات فوافق على ألا ينتحر •

الجـــدة دونـــا : من يكون هذا ؟

بالتـــــــوف : (ينظر الى البطاقة) اسمه ستراخيـل بوجيداروفيتش بوز دوغانسكي « معنى الاسم بالعربية » : المخيف بوجبداروفيتش « الدبوسي » « من الدبوس الحربي » •

كفاســـــنيكوف : أسماء مخيفة •

الجـــدة دونـــا : هل جاء ثانية !

كفاســـــنيكوف : أرسلهم الى العمل !

بالتـــــــوف : (باسمة) هل أتجاسر ؟ تجاسرت مرة وقلت لاحدهم : اشتغل فاشهر مسدسه •

كفاســـــنيكوف : ليقتل نفسه ؟

بالتـــــوف : كلا ، بل صوبه الى صدري

كفاســـــنيكوف : (يرسم اشارة الصليب) الله ينجينا ! الناس هنا من كل الاشكال • اشفق عليك يانيقولا • لماذا لا تطلق كلباً شرساً في الحديقة ؟

بالتـــــوف : (لستويانكا) هل عاد الحاجب ؟• قولي لهذا أن ياتي غداً الى الوزارة• اسمعي ! افتحي أذنيك جيداً : اليوم لا أستقبل أحداً • لا تدعوا أحداً يدخـــل •

ســـــتويانكا : حاضر •••

بالتـــــوف : قولي اني غير موجود في البيت •

ســـــتويانكا : ولكنهم لا يصدقون •

بالتـــــوف : قولي اني غير موجود في صوفيا • قولي اني ذهبت الى بلوفديف • الى أميركا ، الى بيت المقدس !

ســـــتويانكا : (باسمة) هم شياطين ولن يصدقوا •

بالتـــــوف : (نافد الصبر) اذن قولي لهم انني مريض ، أو انني مت ، وقد دفنت في أورلاندوفيتسي •

ســـــتويانكا : (باسمة) واذا لم تمت ؟

كفاســـــنيكوف : (لستويانكا) لا تكثري من الكلام • اسمعي مايقوله لك • ثـم متى ستتناول غوتا القربان المقدس ؟ (تخرج ستويانكا • الى بالتوف) ساهرب قبل المساء •• ولكن أريد أن أقول كلمة واحدة يانيقولا •••

الجـــدة دونـــا : ابق في صوفيا قليلا •

كفاســـــنيكوف : اشتقت الى قريتنـــا يا أخت دونا ، أنـــا هنا في الغربة • أما قيل : « مسقط الرأس عزيز ؟ » ولكن مهلا ، هل جاءت صاحبتنا بوليكسينا ؟ هي هنـــا !

الجـــدة دونـــا : أهي هنا ؟ لم تات الينا •

كفاســـــنيكوف : أتت لتطلب تعيينها معلمة ••• ولكن أية معلمة ؟ ستخيف الاطفال •• الافضل لها أن تتزوج •• صارت عانساً •

الجـــدة دونـــا : من سيتزوجها ؟

كفاســـــــنيكوف : لن يتزوجها أحد ··· فهي كبيرة وعادية من جهة وهي قبيحة من جهة أخرى · لم يمنحها الله جمالا ·· فهي مدورة كالبرميل · احدى عينيها سوداء والاخرى رمادية ، وهي حولاء تنظر اليك فتراني · وهي شريرة ! أفعى سامة · (نحو بالتوف) اقترح أن يزوجها نيقولا ما دام وزيراً ·

بالتـــــــوف : (باسماً) ولكن من سينافسك على قريبتك ؟

كفاســـــــنيكوف : قريبتي وقريبتك أيضاً · اد خدمة لوالدها العجوز وزوجها · أهي مذنبة في كونها حولاء ؟ (تبتسم الجدة دونا) لماذا تبتسمين ؟ هذا ما يحدث : ألم يزوج الســكير الاول لوكوف اخواتــه الست هكذا ؟ وظف رجالهن (تدخل انيتشكا من الباب الايمن) ·

المشهد التاسع

بالتوف · الجدة دونا · كفاسنيكوف ، انيتشكا ثم ستويانكا

بالتـــــــوف : (لابنته) أتعرفين الجد ستانتشو يا انيتشكا ؟

انيتشــــكا : (بفرح) أهلا وسهلا ياجداه · لازلت شاباً (يتصافحان) ·

كفاســـــــنيكوف : (ممازحاً) لو قلت انني عجوز لـمـا صدقتك ·· أما أنت فيالك من صبية ! يجب أن يبصق الانسان كي لا تصابي بالعين · أعرفك يوم كنت صغيرة ، هكذا ، تنامين مع اللمى ·

انيتشــــكا : سنلتقي أيضاً ياجدي ستانتشو (تتجه الى اليسار) لا تنس ياأبي وعدك لي بشأن السيد خوروف ، مع أحر تمنياته لشخصك الكريم · سياتي·

بالتـــــــوف : حسنا (تخرج انيتشكا) ·

كفاســـــــنيكوف : (يلاحقها بنظراته) ابن ملك فقط ، جدير بهذه الفتاة · ألم يعجبها أحــد بعد ؟

بالتـــــــوف : أطلقت لها كامل الحرية في هذا المجال ياجد ستانتشو · وقلت لها : حين تختارين أوافق · لا أريد أن أقسر قلبها · لتر من يطلب يدها ، وليكن من أجلها هي لا لكون والدها وزيراً · وهي ذكية فلتفتح عينيها ·

كفاســـــــنيكوف : لا أوافقك على هذا · فاعقل النساء حمقاوات · ما أن ترى عيونهن خرقة ملونة حتى تلتمع نظراتهن · شعورهن طويلة وعقولهن قصيرة · هكـذا

يقول الناس • اتعرف كيف اخذتني زوجتي نونكا ؟ يضربها والدها وتلحقني • أبوها ينتقي لها الأفضل فتجن باحد الخلعاء الذي يمد الآن يده ـ والآن هنيئاً لجدك ستانتشو ـ فهو الاول في خارمانلي حيث له اثنا عشر ولداً •

بالتـــوف : (ضاحكاً) عددناهم ثلاثة عشر ياجد ستانتشو •

كفاسـنيكوف : لقد نسيت عددهم •

بالتـــوف : (ضاحكاً) يحفظهم الرب ياجد ستانتشو (يعتذر ويخرج) •

الجـدة دونـا : (تلاحقه بنظرها) لحق به بعضهم في الممر • نيقولا اليوم مريض ولديه عمل كثير • ولا يدعونه يتنفس • عقوبة حقيقية •

كفاسـنيكوف : هل لي عشرة أولاد أم أحد عشر ، أم ترى كم عددهم •• حين ساعود سآخذ وعداً بأن لا يصبح أحد منهم وزيراً •
(تدخل السيدة تيرزيسكا)

المشهد العاشر

الجدة دونا • كفاسنيكوف ، السيدة تيرزيسكا ثم ستويانكا

الجـدة دونـا : تفضلي يا سيدة •

السيدة تيرزيسـكا : أزعجكم دائماً • هل الآنسة هنا ؟

الجـدة دونـا : هي هنا • اجلسي (الى كفاسنيكوف) السيدة تيرزيسكا صديقة انيتشكا منذ المدرسة (تحني السيدة تيرزيسكا رأسها وتجلس) •

كفاسـنيكوف : (بصوت خافت) ليست سيئة •

الجـدة دونـا : ابني مشغول جداً • يكون عند الظهر حراً • هل زوجك بدون وظيفة ؟

السيدة تيرزيسـكا : أجل ياسيدتي • تصوري وضعنا المبكي • ولنا أطفال (تتابع كلامها بصوت خافت) •

كفاسـنيكوف : (بصوت خافت) لم تر وضعها المبكي حين حبلت ••• ولكن من يعلم••• فالمظهر خداع • أليس ثمة قول مأثور : يرتدي الحرير ويأكل القُرّاص• عالمنا الذي نعيش فيه مخادع •

الجـــدة دونـــا : (بصوت عال) سارجو نيقولا • سننهي الامر ، لا تقلقي •

السيدة تيرزيســـكا : (تمسح عينيها بمنديل) •

كفاســـــنيكوف : لا تبكي ياسيدتي (بصوت خافت) • حين أرى امرأة شابة تبكي تتسرب الدموع الى حلقي فلا أستطيع أن أرد لها طلباً •

السيدة تيرزيســـكا : جئت وحيدة لاطرق بابكم • لـم يحصل لي شرف التعرف على سـيادة الوزير ولكني أعرف أنه عظيم الشفقة على التعساء • وأنا أحمل بطاقات من عدد من النواب المتنفذين (تمسح عينها ثانية) •

كفاســـــنيكوف : (بصوت خافت) أنا واثق من أنها شيطانة وستجد وظيفة لزوجها • رجل لديه امرأة جميلة لا يُرمى على الطريق • (تدخل ستويانكا حاملة القهوة وثلاثة كؤوس من الخمر) •

الجـــدة دونـــا : (الى السيدة تيرزيسكا) هل لك أخت ؟ أين هي ؟

السيدة تيرزيســـكا : (تتناول القهوة) السيدة دوموزوفا ؟ انها معلمة في ترن •

كفاســـــنيكوف : أيسمح القانون بوجود اسم دوموزوفا في المدرسة ؟ (يشرب كاس الخمر ويتناول القهوة) •

السيدة تيرزيســـكا : (مبتسمة) هذا لايعيق •

كفاســـــنيكوف : (يحك رأسه) أعرف واحدة من خارمانلي تحمل اسماً عجيباً الى حـد مخجـل •

السيدة تيرزيســـكا : (تبتسم) •

كفاســـــنيكوف : أرغمتها البلدية على تغييره (يهز فنجان القهوة ويرتشف منه) ولكن أين السيد دوموزوف •

السيدة تيرزيســـكا : يعلّم منذ ثلاث سنوات في دوبريتش •

كفاســـــنيكوف : هو في دوبريتش وهي في ترن • على الطرفين • هل يلتقيان أحيانا ؟

السيدة تيرزيســـكا : يتبادلان الرسائل •
(تخرج ستويانكا) •

كفاســـــنيكوف : يركضان وراء الكسب • كيف يمكن ذلك ؟ أنا لا اترك عجوزي منالعتبة الى الداخل ـ كما يقال ـ لا أستطيع البقاء من دونها يوماً واحداً •

السيدة تيرزيســـكا : (تبتسم) انك سيء الظن جداً بالنساء •

كفاســـــنيكوف : لا أثق بهن والحقيقة تقال • المرأة والدجاجة لا يحجزهما حاجز •

السيدة تيرزيسكا : (تبتسم) هكذا ، هكذا ، ياسيدي • ولكن ثمة مثل آخر : « ان كنت تحبها فلا تتركها عند العتبة » كان ذلك في الزمن الغابر •

كفاسنيكوف : كيف في الزمن الغابر ؟

السيدة تيرزيسكا : عندما كانت النساء إماء •• اما الآن فنحن في عصر جديد • صارت فيه النساء بشراً أحراراً •

كفاسنيكوف : المعذرة ياسيدة تيرزيسكا • أليس ضرورياً وجود كمامات ؟

السيدة تيرزيسكا : لماذا ؟

كفاسنيكوف : لانني أرى الدجاجة تصيح عندنا •

السيدة تيرزيسكا : (مبتسمة) كفى الديوك صياحاً •

كفاسنيكوف : أي ، أنا لا أدع زوجتي تذهب لتبحث لي عن وظيفة • لو فعلت لذبحتها •••

السيدة تيرزيسكا : (تبتسم) انت غيور مثل تركي •

كفاسنيكوف : المرأة تحت القفل • تحت القفل !

السيدة تيرزيسكا : أوخ ، وهل سياكلها الرجال ؟

كفاسنيكوف : (يدخن) لن ياكلوها • فمن آكلوا ؟

الجدة دونا : (لكفاسنيكوف) الآن الدنيا غير الدنيا ياستانتشو • ونحن لانزال معجبين بالماضي •

السيدة تيرزيسكا : (تنهض) ساعود بعد الظهر يا سيدتي وساري انيتشكا • وداعاً (تسير الى عند الباب وتلتفت نحو كفاسنيكوف) وداعاً ياسيد كفاسنيكوف توسط لنا أنت أيضاً عند سيادة الوزير •

كفاسنيكوف : حسناً ، حسناً ياسيدتي (يحني رأسه) •

الجدة دونا : ساشيعك (تخرج مع تيرزيسكا) •

المشهد الحادي عشر

كفاسنيكوف وستويانكا

كفاسنيكوف : (لنفسه) يبدو لي انني قد نظرت كثيراً اليها • ستقول الاخت دونا : « عين الثور دائماً على الذرة » (يشرب كأساً ثانياً من الخمر) تسه !

هذا الشيء يكوي من جهة ويدغدغ الحلق وينعش الروح من جهة أخرى (يرفع الكاس) هذا العالم مثل كهرمان قبر الرب (يشرب الكاس) تسه ! ساشتري زجاجة وأقدمها هدية لعجوزي • أهي غالية الثمن ؟

ستويانكا : (تدخل من اليمين) أعطاني سيد هذه البطاقة (تقدمها له) •

كفاسنيكوف : أليس ممنوعة ادخال أحد ؟

ستويانكا : (وهي ترفع الصينية) أوصتنا الآنسة أن ندخله حين ياتي •

كفاسنيكوف : (ينظر الى البطاقة) هي بالفرنسية • دعي الصينية هنا كي لا ينسكب ما عليها (يتناول الصينية من ستويانكا ويعيدها الى الطاولة) سيعين فتاك الشجاع حاجبة كما أخبرتني الجدة دونا • لماذا صار لونك أحمر• مثل تفاحة من كوستنديل ؟ انه ليحلو للمرء أن يقضمها • (تتراجع ستويانكا خجلى) لا تخافي يا ابنتي ! سوف تتزوجان ، أليس كذلك ؟

ستويانكا : (بمكر) وهل أعرف ؟

كفاسنيكوف : لتعملن قدر استطاعتكن ، فلا بد للمملكة من جنود • أعطى الرب لجدك ستانتشو اثني عشر ولداً ولكن جدك ستانتشو لا يغفو • (تهرب ستويانكا) الفلاحات لسن بحاجة للنصائح : قرات أمس في جريدة أن واحدة من رادومير قد ولدت ثلاثة توائم دفعة واحدة • (ينظر نحو الباب) آ ، ادخلوا ! ادخلوا ! (يدخل خوروف) •

المشهد الثاني عشر

كفاسنيكوف وخوروف

خوروف : (ينحني باحترام) لي الشرف بان امثل امامكم •

كفاسنيكوف : (ينظر اليه) الست جيتشكو بن ديمتر بوخلات ؟

خوروف : (بصوت خافت) هل يعرف أبي ! يتكلم دون تكلف •

كفاسنيكوف : (يجلس) لقد كبرت !

خوروف : (بصوت خافت) لم يمد يده !

كفاسنيكوف : أما زال والدك محتفظا بالمزرعة ؟

خـــــوروف : يحتفظ بها (بصوت خافت) لم يدعني للجلوس !
كفاســـنيكوف : كيف هي المزرعة ؟ (يشرب الكاس الثالث) •
خـــــوروف : لم أذهب الى بورغاز بل أنا آت من النمسا مباشرة الى سيادة الوزير •
كفاســـنيكوف : (يبتسم ، بصوت خافت) يظن أنني الوزير !
(بصوت عال) ماذا درستم هناك ؟
خـــــوروف : (بصوت خافت) عجبة ، قالت لي انها أخبرته (بصوت عال) أنهيت كما تعلمون المدرسة الزراعية في لوزان •
كفاســـنيكوف : (بسرور) آ ! هذا جيد ، جيد ! ذلك أفضل من المحاماة • أنا أكره المحامين • كلهم ثرثارون ، يصنعون من القشة جبلا (يشير الى الكرسي) اجلس •

خـــــوروف : شكراً (يجلس) •
كفاســـنيكوف : (يدخن مراراً) هل وسائل المعيشة رخيصة هناك ؟
خـــــوروف : لم أعر الامر اهتماماً • النمسا كما تعلمون بلاد جبلية •
كفاســـنيكوف : أعرف ، أعرف (يدخن ويفكر) والآن أنت عائد لتذهب الى المزرعة لمساعدة والدتك ؟ يفرحني ذلك •

خـــــوروف : (مشمئزاً) أنا خاصة •••
كفاســـنيكوف : (مقاطعاً) أحترم أولئك الشباب الذين يبتعدون عن الوظائف • العاجز والمشوه هما اللذان يحبان الوظيفة ، أليس كذلك ؟
خـــــوروف : (مشمئزاً) أنا أفكر بشكل خاص •••
كفاســـنيكوف : (يقاطعه) أعرف • أنت تفكر مثلي • لهذا أحترمك ولكن هناك اخرين كلمتهم قبل قليل هنا : حلاق ترك الحلاقة وتاجر ترك التجارة وفلاح ترك المحراث وكلهم يريدون التوظف • كلهم يريدون أن يصيروا عالة على الشعب •• ولكن من سيعمل ؟ من سيسند الدولة ؟ بلغ سلامي الى والدك •

خـــــوروف : أنا ساذهب في المستقبل اليه •• أما الآن فاريد البقاء هنا •
كفاســـنيكوف : ستبقى هنا ؟

خـــــوروف : هكذا ارتأيت • كل ما قلتموه صحيح ••• ولكني لا أشعر بميل نحو ذلك فأنا راغب في البقاء في صوفيا على اعتبارها مركزاً ثقافياً وأنتم تعلمون •••
(يمسح جبينه)

كفاســـــنيكوف : هل لشأن يخص الزراعة ؟
خـــــــوروف : كيف ، يخص الزراعة ؟
كفاســـــنيكوف : هكذا ، عمل زراعي •

خـــــــوروف : (بصوت خافت) كيف يتباله ! (بصوت عال) كلا ، وانما أبحث عن وظيفة تناسب طبيعتي (بصوت خافت) قالت لي انهــا أخبرتــه ! (يجفف عرقه) •

كفاســـــنيكوف : (بصوت خافت) يريد وظيفة ويظن أنني الوزير وهذا طريف ! لن اخبره• لاسمع مايقوله هذا اللورد غورتشاكوف • (بصوت عال) وما الوظيفة التي تريدها ياسيد دفوريانسكي ؟

خـــــــوروف : كيف ؟
كفاســـــنيكوف : غلطت •• ماهي الوظيفة التي تريد أن أعطيها لك ؟
خـــــــوروف : توجد حاجة لرئيس فرع حرية المعتقد الذي تديره وزارة الخارجية •
كفاســـــنيكوف : توجد حاجة • هل أعجبتك هذه الوظيفة ؟
خـــــــوروف : حتى الآن جيدة • (مبتسما) في المجال الروحي • وهذا ليس بالقليل •
كفاســـــنيكوف : ولكن ، هل ستصبح روحياً ؟ هل درستم الروحيات ؟

خـــــــوروف : (مبتسمة) يبدو أن المزاح يروق لكم ياسيادة الوزير (بصوت خافت) من قال لي انه سمج ؟ هذا صحيح •••

كفاســـــنيكوف : لا يمكن •• سنضع في هذا المجال الروحي انسانا روحيا •
خـــــــوروف : انسان روحي ؟
كفاســـــنيكوف : نعـم •
خـــــــوروف : هذا غير ضروري في رأيي •
كفاســـــنيكوف : ضروري ، ضروري ، اطلب وظيفة غيرها •

خـــــــوروف : (بصوت خافت) من نصب هذه الخشبة وزيرا ؟ (بصوت عال) سمعت أن مركز مدير المطبعة الحكومية شاغر • أنــا مستعد لقبوله •

كفاســـــنيكوف : (يدخن) وهل تعرف شيئاً عن الطباعة ؟
خـــــــوروف : وهل ذلك ضروري ؟

كفاسنيكوف : يلزم للمطبعة الحكومية مدير طبّاع • هذا ما أعرفه • للحلاقة حلاق• وللعمل الروحي روحاني • اما انتم فكيف ترون ؟ تعلمت الزراعة وتريد عملا روحيا • أيجوز هذا ؟ كما لو انني اريد ان اصير رقيبا أول أو مساعدا •

خوروف : (مهانا) قل لي : نعم ، أو لاتتلاعب بي (ينهض) •

كفاسنيكوف : اذهب ياعزيزي الى والدك • اسمع نصيحتي •

خوروف : (حردا) احتفظ بنصائحك (يتناول قبعته) •

كفاسنيكوف : (ينهض) أقلت مايسيء لك يافتى ؟ لك طبع معين • تريد أن تكون انسانا غير منتج • اذهب الى المزرعة • اعتن بها • اشتغل • امسك المحراث وارشد الفلاحين البسطاء ليحرثوا حقولهم بالاساليب الحديثة

خوروف : (غاضبا) أنت تنسى !

كفاسنيكوف : وهل ساتحفظ معكم ؟ لقد حفرت ثقبا في البحر حين كنت في اوروبا •

خوروف : تتعلمون بشكل معيب !

كفاسنيكوف : (غاضبا) أأنت أحمق ؟

خوروف : (يتجه نحو الباب) متوحش •

كفاسنيكوف : لا تصرخ أيها الصبي الاحمق (يتبعه) •

خوروف : عقل صدىء ! ظلامي ! بومة !

كفاسنيكوف : دعي ! أبوك هو البومة ! أهكذا تخاطب رجلا مسنا ؟ (يرفع كتابا مجلدا فوق رأسه) اخرج • أنا السيد هنا !

خوروف : أبله (ينظر اليه بضراوة ويصفق الباب) •

كفاسنيكوف : (وحيدا) أرأيتم ابن الدب ! لحسن الحظ اني لم أرمه بهذا •• (يبتسم) صرت عظيمة لمرة في حياتي • ماذا دفعني الى ذلك ؟ كان ثمة شيء يرقص في عقلي ويهتف بي « لا تخبره من انت « لا تخبره من أنت لا تقل له ! صر وزيرا ! » (يبتسم) انا انسان سيء • لو كان نيقولا هنا لما فعل ذلك ! لهذا لا نزال بهذه العادات البدائية ياستانتشو كفاسنيكوف •• اما قيل : « البقرة التي تنطح لا يرزقها الله قرونا » (يدخل ايليا من اليمين مرتدياً ثيابا فلاحية ، وعلى رأسه قبعة عسكرية)•

المشهد الثالث عشر

كفاسنيكوف • ايليـا

كفاسـنيكوف : عمن تبحث ؟
ايليـا : (مضطرباً) ابحث عن الآنسة • (ينظر حوله) •
كفاسـنيكوف : من أنت ؟
ايليـا : كنت حاجب الرائد شيبكوف وقد سرحت اليوم •
كفاسـنيكوف : أنت الذي قالوا لي انك تبحث عن وظيفة حاجب ؟ أنت فلاح فلماذا لا تذهب وتفلح حقول والدك ؟
ايليـا : (يبتسم خجلا ، يدير القبعة) لا نستطيع في القرية •
كفاسـنيكوف : أمر جميل • لو أراد كل الفلاحين أن يصيروا حجاباً ووزراء ويتركوا المحراث ، ألن نموت جوعاً نحن المدنيين ؟
ايليـا : هذا صحيح •
كفاسـنيكوف : صحيح • ما اسمك ؟
ايليـا : (ينتصب مستقيماً وبنبرة عسكرية) ايليا بيتروف ، جندي استكشاف في البطارية الثالثة من فوج توروفو الرابع للمدفعية ، الذي يقوده الامير الكسندر ، الكتيبة الاولى •
كفاسـنيكوف : أوخ ! أوخ ! آوخ ! من هنا الى لوفيش مسافة كبيرة ! (بصوت خافت) هوذا فلاح آخر يطارد الوظيفة • يتعبه المحراث : من يعرف فقد يجول في أعماقه أن يصبح وزيراً ذات يوم ! ولماذا لايصبح ؟ لا يولد الناس وزراء بل يصيرون كذلك • لاتناول عصا واقول له : « صر وزيراً » فيصير • ولكن عليّ أن أتصل هاتفياً بعجوزي ، ثم أعود لارى نيقولا بعد الظهر • (يخرج من اليمين وتدخل انيتشكا من اليسار) •

المشهد الرابع عشر

انيتشكا وايليـا

انيتشـكا : (دون أن ترى ايليا الذي يقف وقفة عسكرية) اني مستثارة جداً • والسيدة شيبكوفا مسرورة منه ـ هما قريبان • الكل يمتدحونه كمرافق جيد (كافالير) •• أشعر ، أشعر ولكنني لا أستطيع تحديد شعوري

جيداً ولا أستطيع مناداته باسمه (تفكر) كم يحيط بي من الشباب ؟ كم من المعجبين ؟ أما أنا فاشعر ان الجميع يفعلون ذلك لانني ابنة وزير وليس من أجلي أما هذا ··· أنا احتاج الى السكينة ·· وان استجمع أفكاري · (تفكر) أأنا احب ميغار ؟ (ترى ايليا) ماذا تريد يا ايليا؟

ايليـــــا : أرسلتني سيدتي لاوصل لك هذه الرسالة (ينزل قبعته ويخرج رسالة)·

انيتشـــكا : (تاخذ الرسالة) هل تحب ستويانكا ؟

ايليـــــا : (يبتسم بخجل ويدير قبعته) لا أجرؤ على التصريح ياسيادة الرا ··

انيتشـــكا : أعرف ، أعرف ، وهي تحبك ·

ايليـــــا : هـذا صحيح ·

انيتشـــكا : اتريد ان تصبح حاجبا ؟

ايليـــــا : هذا صحيح ، ياسيدي الرائد ·

انيتشـــكا : هذه الخدمة ستكون لصالح ستويانكا وما عليك الا ان تحبها فهي فتاة طيبة (تفتح الغلاف بهدوء) ·

ايليـــــا : أمـرك ·

انيتشـــكا : (بصوت خافت) ها همـا قلبان سعيدان لايعذبهما الشك · المستقبل لديهما واضح والحياة بسيطة وسهلة (بصوت عال وقد فتحت الرسالة، باسمة) هل الرائد صارم ؟

ايليـــــا : انه طيب ·

انيتشـــكا : والسيدة ؟

ايليـــــا : (غير جازم) وهي جيدة ·

انيتشـــكا : تكذب ، هي تضرب ·

ايليـــــا : مرة واحدة فقط · حين أضعت لها منديل الحمام الحريري ·

انيتشـــكا : (لنفسها) ما الذي كتبته لي السيدة شيبكوفا ؟ قبـل ساعتين كنت عندها · (تنظر في الغلاف فترى غلافاً آخر) ماهذا ؟ (تفتح الغلاف الداخلي) أوه ! من السيد خوروف ! (تقرأ بعض الوقت) يبوح لي بحبه ! (تخرج مسرعة من اليسار) ·

ايليـــــا : قررت الآنسة أن ترد الجواب كتابـة فلأنتظرهـا · (يخرج من عبه علبة فيها مرآة ، يتمرأى ويفرك أعلى أنفـه) ساشتري ، قبـل كل شيء لستويانكا خفاً له شراريب لتفرح ثم ساشتري لها فستانا ! لا أريدها

أن ترتدي ثياب فلاحة • كم سيدهش والدي حين يراني على هذا الشكل• أزرار لامعة ، لقد أعجب الرائد بها • (يفكر) ولكن الن ادخل الى المكتب بهذه القبعة الممزقة والخفين الباليين حين أصير محاسباً في الوزارة!•• لا لن أفعل ذلك فاخجل ••• ليحدث بعدها ••• ماذا ساصبح ؟ سكرتير لا • اريد أن أصبح مدير هذه النواحي ، سيف وشرائط على الكتف ••• عندها ، حين سياتي والدي الى زيارتي سيقول : « اهذا انت يا ايليا ؟ » (يفكر) ثم ساتقاعد • ساشتري لها مظلة من الحرير ذات مقبض أبيض من العاج • ساوصيها بالعناية بها كي لا تنكسر فاضربها •• وحين تذهب الى السوق يوم الجمعة فان جماعتنا ••• (ينظر الى المزهرية) يالجمال هذه الازهار (يشم الازهار) اآخذ زهره لستويانكا ؟ (يهم باخذ زهرة ، تدخل ستويانكا) •

المشهد الخامس عشر

ايليا ، ستويانكا

ستويانكا : (تندفع نحوه) ايليا ، ماذا تفعل ؟ دعها (تمسك يده) •

ايليا : (ضاحكا) لك ، لك !

ستويانكا : اخرج • سيراك السيد (تسحبه نحو الباب ضاحكة) •

ايليا : انتبه ! عدواً سر ! (يديرها ويقبلها) •

ستويانكا : (متجهمة) انصرف • هنا ! اوف يا للطاعون ! وهو سيصير مدنيا ! يليق ذلك بك كما يليق الجرس بالخنزير • هيا الى المطبخ لتاكل فقد أبقيت لك بعض البقلاوة منذ البارحة (تدفعه نحو الباب الايمن ، يضحكان ويخرجان) •

الفصل الثاني

المشهد الأول

انيتشكا ثم ستويانكا

انيتشكا : (تذهب وتنظر من النافذة) تاخر أبي مع بعض الضيوف في القاعة • ولم يات قبل الظهر • سياتي الآن • انا واثقة من ذلك لانني مضطربة•

أية مشاعر متقدة ! (تتناول الرسالة من زنارها وتقرأ) • روح شاعر••• يحدثني عن جبال الالب يرغب في أن يتسلق معي الى الارتفاعات السماوية، الى الغبطة ، والمستقبل السعيد المضاء بانوار الحب ••• ثمة قصائد ••• حب ! لاول مرة ، لاول مرة أعاني مشاعر من هذا النوع • الق دون وجل : انها الاناقة المجردة ••• (تنظر الى المرآة) أخاف أن يراني شاحبة جداً • بولكسينا عندي منذ ساعة وهي تثرثر وتثرثر بشكل مخيف دون أن تكون لدي رغبة بالاستماع اليها (تدخل ستويانكا وفي يدها بطاقة) ياستويانكا ! سيأتي الآن السيد خوروف فدعيه يدخل الى هنا • ماذا تحملين ؟

ستويانكا : جاءت السيدة الشابة مرة أخرى (تعطيها البطاقة) •

انيتشكا : (تنظر الى البطاقة) أوه ، يا الهي ، السيدة تيرزيسكا ! فلتدخل (تخرج ستويانكا من اليمين) منذ متى لم أر الينكا ، تزوجت حين كانت في الصف الرابع • ألا تزال جميلة ؟ لحسن الحظ انها جاءت لتنقذني من ثرثرة بولكسينا (تخرج من اليسار وتدخل السيدة تيرزيسكا من اليمين) •

المشهد الثاني

تيرزيسكا

تيرزيسكا : هل ستعرفني انيتشكا ؟ (تنظر الى المرآة) سمنت • عيناي تشعان جمالا لقد قال لي الآخرون ذلك ••• أما الابتسامة ! (تبتسم) ففاتنة •• العظماء لا يردون طلباً لهاتين العينين وهذه الابتسامة (تستدير) أوه، يا الهي أصلح لاكون وزيرة ، ولكنني أجر هذا العاري ! دبرت له ثلاث وظائف وضيعها بحماقاته •• وماذا الآن ••• مع السيد بالتوف ؟ سابكي أول الامر وسيترك ذلك أثره • (تستدير نحو أريكة صغيرة) « أوه ، ياسيادة الوزير أنا تعيسة ! » (تمسح عينيها تمثيلا تقلد صوت رجل) « قري بالاً ياسيدتي ، ماذا ترغبون ؟ (تمسح عينيها) قولي ياسيدتي ! » وحين ينظر اليّ ساحكي له ••• « سافعل كل ما استطيعه لخدمتكم » ويرتعش صوته • امسك يده « شكراً ياسيادة الوزير • انت منقذنا » لا أترك يده ولا يسحبها •• تلتمع عيناه (بصوت غليظ)

« أليس من الافضل أن تنتقل السيدة تيرزيسكا الى هنا ؟ » « أوه ، كم أنـا معترفة بجميلك ! لقد نصحني الاطبـاء بمغادرة بلوفديف فجوها يضر بي » « المناخ هنا أكثر ملاءمة للصحة ياسيدتي » لا أترك يده • (تقلد صوت رجل طروبا ولطيفا) « هكذا سيدات حسناوات يجب أن يبقين في العاصمة » « انك تجاملني ! » « لا أجاملك مطلقا ! » يدانا لا تزالان متشابكتين • يده ساخنة كالجمر • قال لي الوزير بيبروف ذات مرة : « سيدتي ! أنا ظريف دائما مع الظرفاء » وهكذا دواليك(ترتعش) لقد ذهلت ونسيت (تلقي نظرة على المرآة وتخرج من اليسار •• يدخل بوز دوغانسكي من اليمين مرتدياً سترة فراك رسمية قديمة) •

المشهد الثالث

بوز دوغانسكي وحيداً

بـــوز دوغانســـكي : استقبلتني الخادمة بحرارة وطلبت مني أن انتظر الآنسة هنا • ماذا يعني هذا ؟ (يتمشى ويداه خلف ظهره) سيدبر لي بالتوف وظيفةالآن• ثمة ضرورة ماســة لاقدم خدماتي الى الوطن • الى الجحيم أيها البؤس والشقاء • ساصبح انسانا منذ الآن • أتقن لغتين وأنا أهل لكل شيء • لي عقل يدير مملكة ومع ذلك أموت جوعا • شقاء ! عملت كل شيء وفشلت في كل شيء • صرت صحفياً • لم يمش الحال • اوقفنا الجريدة منذ العدد الثاني • ماذا ربحت ؟ سبعة اشتراكات لا غير • وامتهنت الادب ـ دون جدوى ـ الثقافة وسيلة للموت البطيء جوعا •• تزوجت فتركتني زوجتي في الاسبوع الثاني ، لم تستطع تقديري حق قدري ••• (يفكر) يحزنني التفكير بهذا ، آلاف وآلاف الوظائف في بلغاريا وليس لي وظيفة • (يضرب الارض عابساً) ولكني لن اموت جوعاً ! أم تراني ساذهب لاعمل رغم علمي ومواهبي ؟ أنا خادم لبلغاريا ! أعطني عملا ياسيد بالتوف ! ثلاث وزارات في يدك الآن ! الوظيفة أو الموت ! وظفني معلماً ، وظفني في البوليس ، أتقبل كل شيء ••• وفي أسوأ الاحـوال شغلني في الهندسة ، سكرتيرا عند موظف ديبلوماسي • رئيس الاطفاء•• لا يوجد ! « اذن توجد وظيفة شاغرة ، انها وظيفة مدير تحرير الجريدة

الرسمية » لقد ناضلت وضحيت في سبيل الشعب (ينظر نحو الباب الايسر) أوه ، يالها من امرأة فاتنة ! افتوس بيوس ؟ من تراهـا ؟ (يسند بطنه بيديه) آه ، ليس لي زوجة تخفف عني ••• (ينظر من الباب الايمن) انسان بائس (يجلس على الكرسي) يخرج جريدة من عبه ويقرأ يدخل كفاسنيكوف) •

المشهد الرابع

بوز دوغانسكي وكفاسنيكوف

كفاسنيكوف : (دون أن يرى بوز دوغانسكي) أرسلت برقية لاخبرهم انني ساصل غداً • ستقرأها العجوز • رأيت صوفيا ، غنية : قصور ، حدائق ،عربات، آرتال ، وقد أصم أذني اطلاق النار • عندنا هدوء • هناك أفضل بالنسبة لي • اربط كيسك هنا عند كل خطوة • (بوز دوغانسكي يهز رأسه من حين لآخر ويتطلع اليه) لم أشتر للعجوز من الصفراوات • يريدون سبع ليفات ثمنة للواحدة • عملتنا تساوي اثنين وأربعين قرشا • ساشتري بها أحذية للأولاد • فلنشرب حساء الخضار فهو : يصلح المعدة ولايسكر• (ينظر الى بوز دوغانسكي) من تكون حضرتكم ؟

بوز دوغانسكي : أنت فضولي جداً ياسيد •• (يتابع القراءة) •

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) هو هنا من أجل وظيفة (بصوت عال) هل تنتظر السيد بالتوف ؟

بوز دوغانسكي : نعم (يتابع القراءة) •

كفاسنيكوف : لماذا تلاحقه ؟

بوز دوغانسكي : (عابساً) ساحكي له ماسوف أحكيه ياسيد •

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) ياله من فظ ! يضايقني وجوده هنا • (بصوت عال) سيتاخر • من أنت لاقول له ؟

بوز دوغانسكي : (يترك الجريدة وينهض) بحيث انك تريد ، بمثل هذه أن تعرف من أنا ، فانا ستراخيل بوجيداروفيتش بوز دوغانسكي •

كفاسنيكوف : (يرتعد ، بصوت خافت) أوه ، انه صاحب المسدس •

بوز دوغانسكي : لماذا تنظر اليّ هكذا ؟

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) ماجاء لخير •

بوز دوغانسكي : (بصوت خافت) لا شك انه من أحد الاقاليم (بصوت عال) أنت تشبه فلاحاً غنياً « شوربجي » وهؤلاء يعيشون من عرق الفقراء • لهذا لا أحبهم •

كفاسنيكوف : (ينظر اليه بازدراء)

بوز دوغانسكي : لماذا تنظر الي هكذا ؟ أنا لا اتحمل نظرات الشوربجيين •

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) يجب أن أستدعي الشرطة فقد يشهر مسدسه ويطلق النار • (بصوت عال مبتسماً) أنا أنظر الى هذا (يشير الى وسام معلق بسلسلة ساعته) •

بوز دوغانسكي : (باعتداد) نلت هذا الوسام في بودابست عن حريق •

كفاسنيكوف : عن حريق ؟

بوز دوغانسكي : نعم ياسيدي كنت أعمل حينذاك في الاطفاء • أمر مخجل ، ولكن ماالعمل؟ الحاجة تدفع الانسان الى كل شيء • أليس كذلك ؟ كتبت الصحف اني القيت بنفسي في اللهب وحملت كونتيسه فاتنة كانت تحتضر ••• نسيت في تلك اللحظة حقدي على الارستقراطية • أليس كذلك ؟

كفاسنيكوف : (يتلفت حوله ، بصوت خافت) لا لم يأت أحد •

بوز دوغانسكي : من أنت ؟

كفاسنيكوف : كفاسنيكوف من خارمانلي •

بوز دوغانسكي : بما أنك من الضواحي ، فانا على ثقة من أنك لم تقرأ البيان الشيق حول : الجبرية ودوس الحقوق واضطهاد المواهب في أواخر القرن التاسع عشر (يخرج كتاباً من عبه ويقدمه له) •

كفاسنيكوف : ما هـذا ؟

بوز دوغانسكي : مؤلفي • ليفا •

كفاسنيكوف : لـم أفهم •

بوز دوغانسكي : (متجهماً) أعطني ليفا ولا توقظ أسد الغضب الغافي في صدري !

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) كيف تركني نيقولا وحيداً مـع هـذا ؟ (يعطيه ليفا ويأخذ الكتاب) •

بوز دوغانسكي : لم تكرمني وانما أكرمت نفسك •

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) أوقيتان من اللحم مع الخضار ••• احترقت نفسي •

بوز دوغانسكي : هل سيأتي السيد الوزير وشيكاً ؟ (يفتش في عبه) ساحضر بطاقات التوصية من جيب المعطف • (يخرج من اليمين) •

كفاسنيكوف : (وحيداً) ضاعت الليفا ! من أين أتى هذا المحتال ؟• فلارحل من هنا فمن يعلم باي ناس سالتقي • ولكن سانهي ذلك العمل أولا ••• سيصرخ لماذا ؟ لقد اشتغلنا نحن أيضا ••• حين مر بينكوفسكي في خارمانلي قال : « خميرة ! أعط للشجعان عشرين زوجة من الخفاف وحين تتحرر بلغاريا ستصير قائمقاماً » خبأت مرة متمرداً •• وحيث أنني قمت بهذه التضحية يتوجب أن يرتبوا لي معاشة تقاعدياً • (ينظر عبر النافذة) رجل ! (ينسحب) حرامي ! يا أخت دونا ! (يندفع عبر الغرفة) سيقتلونني بدلا من نيقولا ! سيجعلون أولادي أيتاماً • (يقفز كاكا فيدوف من النافذة) •

المشهد الخامس

كفاسنيكوف وكاكا فيدوف

كفاسنيكوف : (متخذاً وضعية الدفاع حاملا ساطوراً) من أنت ؟

كاكا فيدوف : (يضم يديه مترجية) سبعة حلوق ! أنا كاكا فيدوف !

كفاسنيكوف : (متنهداً) ماذا تريد ؟ أخفتني ! اذهب !

كاكا فيدوف : نبلكم ! الباب مقفل •• لم يرني الحارس • شغرت وظيفة لفقيرمثلي••• قد ياخذها غيري غداً ! سمعت أن بوز دوغانسكي جاء يطلبها • ليعطكم المعطي العظيم ! توسطوا لي عند السيد الوزير • شتمه بوز دوغانسكي البارحة في الخمارة • أنا مع الحكومة •

كفاسنيكوف : لماذا لا تبحث عن عمل لا عن وظيفة ؟

كاكا فيدوف : من ، أنا ؟

كفاسنيكوف : أنت •

كاكا فيدوف : أليس ذلك مخجلا مع التعلم ؟

كفاسنيكوف : المخجل أن تقفز من نافذة الوزير وتخيفني مثل لص •
كاكا فيدوف : أنت لست لصة ، أنت أبوه العظيم !
كفاسنيكوف : أين الهراوة ! وماهي هذه الوظيفة المستعجلة الى هذا الحد ؟
كاكا فيدوف : مستعجلة ، مستعجلة • المدير المسؤول للجريدة الرسمية •
كفاسنيكوف : أنت مدير ! الجرس للخنزير ••• هل تكتب ؟ ستبحث عن بعض«القراصنة» ليطاردوك •
كاكا فيدوف : لن أكتب • سأنام في السجن وستأخذ زوجتي راتبي الشهري •
كفاسنيكوف : رئيس تحرير لا يكتب وينام في السجن •• لئن كنت أفهم شيئاً ••• فانت مجنون ! (يصغي) عساه نيقولا • ليات ويستقبل ضيوفه الداخلين من الباب والشباك • ينسربون من كل مكان •• وقد يتدلى أحدهم من السطح (ينظر الى الاعلى) لم أسمع بمثل هذه الاعاجيب ولم أر ! (يدخل بوز دوغانسكي) •

المشهد السادس

كفاسنيكوف • كاكا فيدوف بوز دوغانسكي

بوز دوغانسكي : (ينظر الى كاكا فيدوف) متى دخل هذا الصديق ؟
كفاسنيكوف : جاء من النافذة •
بوز دوغانسكي : (عابسة) أجب بانسانية ياسيد كاشكافالوف !
كفاسنيكوف : (بصوت خافت) هاهو ذا المسدس تحت سترته !
(يدخل ايليا)

المشهد السابع

كفاسنيكو • كاكا فيدوف بوز دوغانسكي ، ايليا

كفاسنيكوف : ألا تستطيع الانتظار في الخارج • لا تبق هنا ! (بصوت خافت) الافضل أن يوجد هنا هذا العسكري • كاكا فيدوف لا يستطيع مساعدتي في شيء •
ايليا : (ينظر قلقا الى الباب ويختبيء خلف بوز دوغانسكي) •
كفاسنيكوف : ممن تختبي ؟

ايليـــــــا : جاء أخي الاكبر ليأخذني الى القرية •
كفاســــــنيكوف : اذهب الى هناك يافتى ! ما حاجتك لان تبقى خادماً ! اعمل في حقول أبيك •
بــوز دوغانســكي : (لكفاسنيكوف) أنت ياسيد انسان تفوح منه رائحة العفونة !
كفاســــــنيكوف : عفونة ؟
بــوز دوغانســكي : أأنت ترغم هذا الفتى على أن يصير فلاحاً ؟
كفاســــــنيكوف : (بصوت خافت) يريد مخاصمتي • (بصوت عال) أنا لا أرغمه •• أبوه يبحث عنه •
بــوز دوغانســكي : وأنت تستحسن أن يصبح مثل أبيه ؟
كفاســــــنيكوف : من يستحسن ؟
بــوز دوغانســكي : (الى ايليا) ما درجة تعليمك ؟
ايليـــــــا : أنهيت الصف الثالث •
بــوز دوغانســكي : الصف الثالث ؟ متعلم ! ومـع ذلك يستدعونـه للعمـل في الارض ! (لكفاسنيكوف) أتريد أن يكون العمل المنحط للمتعلمين ؟
كفاســــــنيكوف : من يعرف • نحن جميعاً نعمل لبعضنا •
بــوز دوغانســكي : وأنت تريد أن تظل فلاحاً متحجراً ؟
كفاســــــنيكوف : من يريد ؟ لا أحد يريد • (بصوت خافت) حامض مثل التركي في رمضان •
بــوز دوغانســكي : هـذا مايبدو لي على الاقل من أفكارك العتيقة • فانت تريد ياسيد كاشكافالوف عبيداً فقط • حضرته سيعمل الآن مستخدماً وغـداً يصبح كاتباً ثم قد يصير وزيراً • واذا ظل في القرية سيبقى بهيمة • أليس كذلك ؟
كـــاكـــا فيـــدوف : من المخجل أن يعمل الانسان المتعلم • الافضل أن يموت جوعاً •
كفاســــــنيكوف : (بحزم لكاكا فيدوف) ومن يسالك أنت ؟ أقاض بلا لحية ؟
بــوز دوغانســكي : (لكاكا فيدوف) ومن أنت ؟
كـــاكـــا فيـــدوف : لنتعارف (يمد له يده) •
بــوز دوغانســكي : (يستدير نحو كفاسنيكوف) هذا يعني انك وحدك تخالفني في الرأي !
كفاســــــنيكوف : (بصوت خافت) ها هوذا يريد التحرش (بصوت مرتفع) أنا ؟
بــوز دوغانســكي : لديك نفس شوربجي •
كفاســــــنيكوف : ليحفظني الرب • أنا موافق على أن يصير حضرته •• وزيراً • ولكن•••
بــوز دوغانســكي : ولكن ؟
كفاســــــنيكوف : ولكن حين يفصل من الوظيفة سيخجل من العودة الى الحراثة وسيصبح سافلا كالآخرين •

بـوز دوغانسكي : أتريد أن تهينني بهذه الكلمات ؟
كفاسنيكوف : أنت ؟ انني أحترمك منذ !
بوز دوغانسكي : هل قرأت كتابي ؟
كفاسنيكوف : حين ساذهب الى البيت سأقرأه قبل أن أقوم باي عمل •
بوز دوغانسكي : اقرأ عن الحريق الهائل الذي •••
كفاسنيكوف : الذي أخمدته ؟
بوز دوغانسكي : الحريق الاجتماعي الذي سيكنس كل شيء • هل تفهم ؟
كفاسنيكوف : أفهم (بصوت خافت) لا أفهم شيئا •
بوز دوغانسكي : (لايليا) تمسك بالوظيفة يافتى ! (لكفاسنيكوف) أليس كذلك ياسيد؟
كفاسنيكوف : (لايليا) تمسك بالوظيفة يافتى !
بوز دوغانسكي : (لايليا) ليحرث أبوك وأخوك الحقول وحدهما • (لكفاسنيكوف) أليس كذلك ياسيد ؟
كفاسنيكوف : (لايليا) ليحرث أبوك وأخوك الحقول ! (بصوت خافت) ساعزف على مزماره ، ماذا أفعل ؟ انحن لشره وكانك تنحني لصلاحه •
ايليا : أخي لا يستطيع فهو يعمل في الجباية •
بوز دوغانسكي : وهل صحة والدك جيدة ؟
ايليا : صحته جيدة •
بوز دوغانسكي : فليعمل هو •
ايليا : انه يعمل مراقب طرق •
كفاسنيكوف : أوف ! والحقل ؟
بوز دوغانسكي : بدأت أحترم هؤلاء الفلاحين !
كاكا فيدوف : (لكفاسنيكوف) ارجوك أن تسترحم الوزير ياسيد كاشكافالوف •
كفاسنيكوف : (غاضبة) أي كاشكافالوف تكلم ؟ (لبوز دوغانسكي) وهذا قد دخل من النافذة •
بوز دوغانسكي : (متعجبة) حقة ؟
كفاسنيكوف : يريد أن يصير مديرا •
كاكا فيدوف : لا ! المدير المسؤول عن « الجريدة الرسمية » •
بوز دوغانسكي : (ينظر باحتقار الى كاكا فيدوف) يا للتعس ! هل خدعوك ! لا يوجد مدير مسؤول للجريدة الرسمية وانما يوجد مدير عام •

كـــاكــــا فيــــدوق : وأنا أصلح لذلك !
بـــوز دوغانســـكي : أنت أحمق (لكفاسنيكوف) هل حضرتكم من أقرباء السيد الوزير ؟
كفاســــــنيكوف : أجل قريبه
بـــوز دوغانســـكي : اذن سترجو منه (بحرارة) أنا مؤيد متحمس للحكومة (بصوت خافت) لم أكن أعرف • أكان يجب أن أكون أكثر لطفا ؟
كفاســــــنيكوف : وأنت تريد نفس الوظيفة : مدير الجريدة الرسمية ؟
بـــوز دوغانســـكي : الآن توجد وظيفة رئيس جمارك • ولكنها مع الاسف في الضواحي • في خارمانلي •
كفاســــــنيكوف : اياك أن تذهب الى خارمانلي ! خطرة ! ثمة أتراك وقطـاع طرق عـلى الحدود ! يذبحون ويقتلون ! سيئة !
بـــوز دوغانســـكي : يا للعجب ! لـم أسـمع شيئاً مـن ذلك • ألم يمت موظف الجمـارك كوركافوف ؟
كفاســــــنيكوف : لم يمت ولا يفكر بالموت •• ابحث عن مكان آخر •••
بـــوز دوغانســـكي : ثمة وظيفة أخـرى ولكنها أيضـاً في الضواحي • مفتش في علم قمـل النبات في فيدن •
كفاســــــنيكوف : ها ! اذهب الى هناك ! فمن جهة ستكافحون قمل النبات ومن جهة أخرى ستاكلون الكافيار الاسود • أنت انسان مجتمعي ••
بـــوز دوغانســـكي : أنا لست ارمل ولكنني مطلق •
كفاســــــنيكوف : ألن تتزوج ؟
بـــوز دوغانســـكي : أريد الزواج • ولكن ماذا ساطعم زوجتي ؟
كفاســــــنيكوف : (يدخن ويفكر بعض الوقت ، بصوت خافت) فلا دفعه صوب قريبتنا بوليكسينا (لايليا) اخرج يافتى ! (يخرج ايليا) •

المشهد الثامن

كفاسنيكوف وبوز دوغانسكي

كفاســــــنيكوف : لقد اعجبت بك ياسيد بوز دوغانسكي • سادبر لك وظيفة وزوجة : لي قريبة تليق بك •• وهي أيضاً مطلقة •

بـــوز دوغانســـكي : (دهشاً وفرحاً) أوه ! أشكرك • لا أريد أكثر من ذلك • (يشد على يده)•
كفاســـــنيكوف : وبما أن بولكسينا قريبتي فهذا يعني انها قريبة الوزير طبعاً ؟
بـــوز دوغانســـكي : أنا مدين لك ياسيد كاشكافالوف •
كفاســـــنيكوف : يدعونني كفاسنيكوف •
بـــوز دوغانســـكي : آ ، المعذرة ••• أين هي الآن ؟
كفاســـــنيكوف : هنا • ستصبح معلمة •
بـــوز دوغانســـكي : هل هي شابة جداً ؟
كفاســـــنيكوف : ليست صغيرة السن جداً • في مثل سنك تقريباً •
بـــوز دوغانســـكي : هذا يعني انها صغيرة ••• وكيف مظهرها ؟
كفاســـــنيكوف : عن الجمال ؟ لماذا يلزمك المزيد من الجمال •• ليحيط بها الاوغاد •
بـــوز دوغانســـكي : أهي قبيحة ؟
كفاســـــنيكوف : لا أستطيع القول انها قبيحة • وليست حورية • جمالها ••• وسط • ولكنها ذكية جداً • أقول لك : هي ليست امرأة بل ماسة •••

بـــوز دوغانســـكي : (بصوت خافت) لم أكن أحلم بسعادة كهـذه : ان اصير من اقرباء وزير • الآن ـ مراسل • ابتسم لي القدر • (بصوت عال) هـــل أستطيع رؤيتها اليوم ؟

كفاســـــنيكوف : بل الآن • وساكون شاهد زواجكما • (يفتل بوز دوغانسكي شاربيه أمام المرآة) لا تكن عابساً أمامها كما كنت قبلا •• تحدث بتودد « أنت مثيرة يا آنسة •• لي الشرف •• متى جئت ؟ » واذا كنت تحمل سلاحاً فاتركه خارجاً : تخاف كثيراً من السلاح ، ترتعد كالطائر •• هي الآن هنا عند الآنسة (يشير الى اليسار) •

بـــوز دوغانســـكي : (بفرح) هذا يعني أنني قد رأيتها من هذا الباب !
كفاســـــنيكوف : اي !
بـــوز دوغانســـكي : رائعة ، رائعة !
كفاســـــنيكوف : رائعة ؟
بـــوز دوغانســـكي : أليست سوداء العينين ؟
كفاســـــنيكوف : أجل ، أجل ، لها عين سوداء من هذه الناحية • هل أعجبتك ؟
بـــوز دوغانســـكي : خنزير هو الذي لا تعجبه •
كفاســـــنيكوف : (بصوت خافت) لياخذه الشيطان •••

بــوز دوغانســكي : بدت لي شابة جداً ٠
كفاســنيكوف : وهل قلت لك انها عجوز ؟
بــوز دوغانســكي : لدي الآن سؤال آخر : هل ساعجبها أنا ؟
كفاســنيكوف : أوقع لك على ذلك ! (ينظر اليــه مكشـراً) أتت غاربالدي بعينه ٠ (يحتضنه بوز دوغانسكي) لقد أخطأت : تحتضنني انا ٠ (يتراجع) ٠
بــوز دوغانســكي : طبعاً أحتضنك تعبيراً عن شكري لك ٠
كفاســنيكوف : الشكر الناشف لا يشبع الحلق ٠ أعطيك وظيفة وامرأة ودفعة الى الامام وحياة سعيدة ٠٠ وأنت مـاذا تعطيني ؟٠٠ اسمع ، سترسل كل شهر لاشبينك علبة كافيار جيد من فيدن ! هذا شرطي ٠

بــوز دوغانســكي : (فرحاً) أوافق ! (يشد على يده) متى ستقدمني لها ؟
كفاســنيكوف : الآن ٠ دعني أراها أولا لاخبرها فهي خجول جداً ٠ (يذهب الى الباب الايسر ويستدير) ولكن لا تنس الكافيار الاسود ٠ هذا شرطنا ٠

بــوز دوغانســكي : اتفقنا ٠ مادام المرء كاهناً فهو مستعد ٠ (يخرج كفاسنيكوف ، يفتل بوز دوغانسكي شاربيه أمـام المرآة عدة مرات) لست سيئاً ٠ دعاني غاريبالي ٠ من أين والى أين ؟ (يبتسم) ما يشدني هو : انها جميلة ٠٠٠ لكي يعطوا بهذه السهولة قريبة وزير ، لابد من أن يكون ثمة قبح خفي (يعبس) حين يهدى الحمار لا ينظر الى حنوتـه ٠ (يروح ويجيء عدة مرات ٠ يفكر ٠ يقف ويتمرأى ، يفتل شاربيه طويلا) أشعر بقشعريرة في جسدي (يرجع ، تدخل تيرزيسكا من اليسار)٠

المشهد التاسع

بوز دوغانسكي وتيرزيسكا

السيدة تيرزيســكا : (تتجه مسرعة نحـو بوز دوغانسكي ، تنحني أمامـه وتمد له يدهـا) تيرزيسكا ٠
بــوز دوغانســكي : (يمسك يدها) أنا سعيد ياسيدتي ٠
السيدة تيرزيســكا : (لا تترك يده) أنت دمث جداً (تنظر اليه برقة) ٠
بــوز دوغانســكي : ماذا ؟ ماذا ؟ ماذا قلت ؟ أنا سعيد جداً أن ٠٠ (يشد على يدها بلطف)٠

السيدة تيرزيسكا : كلا ، بل أنا السعيدة (تمسح بيدها اليسرى عينيها) ٠
بوز دوغانسكي : ستكونين سعيدة ٠ أنت لي منذ الآن ٠
السيدة تيرزيسكا : (تتنهد بارتياح) كم تمنيت لو أكون هنا ٠ طقس بلوفديف يضر بصحتي٠
بوز دوغانسكي : ملعون طقس بلوفديف (ينزل يدها اليسرى عن عينيها ويمسكها) لاأحب أن تذرفي الدموع فانا شديد التاثر ٠ كوني مسرورة وانظري الي بهاتين العينين الرائعتين يابولكسينا ٠ انا لك وانت لي !
السيدة تيرزيسكا : اسمي الينكا ٠
بوز دوغانسكي : أوه ، يا الينكا ! أجل ، أجل الينكا !
السيدة تيرزيسكا : أنا شاكرة لكم الى الابد ٠ يعني أن الامر قد تم ؟
بوز دوغانسكي : حين قال لي السيد كشكا ٠٠٠ كفاسنيكوف قبلت بابتهاج ٠ أتقدم منك باحتفاء طالباً يدك ٠
السيدة تيرزيسكا : وأنا مبتهجة جداً ٠ يالك من انسان فائق الطيبة !
بوز دوغانسكي : أيها الطائر العذب (يقبل يدها) ٠
السيدة تيرزيسكا : لا يجوز ، قد يرانا أحدهم (تسحب يدها) ٠
بوز دوغانسكي : (بشغف) ليرنا كل العالم ٠ أنت لي منذ الآن (يقبلبشغفكلتا يديها)٠
السيدة تيرزيسكا : (بصوت خافت) يا الهي ، هل جن ؟ (بصوت عال) لا يجوز هنا ٠
بوز دوغانسكي : أنت على صواب يا ملاكي ٠٠٠ هذا المكان غير لائق ٠ ولكنني اتحرق شوقا ٠٠ لن نفترق بعد الآن ٠ هل سبق لك ان ذهبت الى فيدن !
السيدة تيرزيسكا : لم اذهب ٠
بوز دوغانسكي : المناخ جيد هناك ٠ الدانوب ٠٠ النهر ، رائع ! سيعجبك ٠
السيدة تيرزيسكا : (دهشة) كيف سنكون في فيدن ؟
بوز دوغانسكي : في فيدن ، في فيدن ، يايمامتي !
السيدة تيرزيسكا : اليس في صوفيا ؟
بوز دوغانسكي : كرهت صوفيا ٠ غبار وضجيج وجوع ولصوصية ٠ لنهرب من هنا ٠ وعدت السيد كفاسنيكوف بأن أرسل له كل شهر الكافيار الاسود ٠ هكذا اتفقنا هل فهمت ؟
السيدة تيرزيسكا : (ضاحكة) وكيف ستذهب الى فيدن ؟
بوز دوغانسكي : ماذا سالت ؟ نعم ، نعم ، نعم ! لا انا من دونك ولا انت من دوني ٠
تيرزيسكا : (بصوت خافت) يا الهي ، اانا في حلم أم تراه قد جن ! (بصوتعال) لماذا تقول هذا ؟ وزوجتك ؟ انت متزوج ٠

بــوز دوغانســكي : أأنت لاتعرفين ؟ أنا مطلق يا الينكا •
السيدة تيرزيســكا : مطلق ؟
بــوز دوغانســكي : منذ سبعة أشهر • وأنت منذ متى ؟
السيدة تيرزيســكا : أنا ؟ أتلهو بي ياسيادة الوزير ؟
بــوز دوغانســكي : (يمسك جبينه بيــده ، بصوت خافت) تظن انني الوزير • هــو ! (بصوت عال) منحتني شرفاً كبـيراً : أنا لست الوزير واعتذر بصدق عما جرى •• اسمحي لي أن أقدم نفسي : بوز دوغانسكي •
السيدة تيرزيســكا : (تحول نظرها وتهرب من اليمين) •
بــوز دوغانســكي : (يظل فترة شارداً ويداه مضمومتان) افتوس بيوس ؟ (يتمايل لبعض الوقت ويركض على المسرح • يدخل كفاسنيكوف من اليسار) •

المشهد العاشر

بوز دوغانسكي • كفاسنيكوف • وثم كاكا فيدوف

كفاســـنيكوف : (ينظر بعض الوقت الى بوز دوغانسكي دهشا) لماذا تضحك ؟
بــوز دوغانســكي : (يركض على المسرح ويضحك) •
كفاســـنيكوف : (يشرع في الضحك) قف ! قف ! (يضحك) أأنت مسرور لانك ستتزوج؟ لقد وافقت • قدم الضيافة (يبتسم) •
بــوز دوغانســكي : (يتمايل) •
كـــاكـــا فيــدوف : (يدخل من اليمين) نسيت قبعتي (يتجه الى النافذة) ويبحث ، يرى أن بوز ودغانسكي وكفاسنيكوف يضحكان فيشرع في الضحك) •
كفاســـنيكوف : (لبوز دوغانسكي) لقد وافقت •
بــوز دوغانســكي : (يكف عــن الضحك) على أن لا تكون جميلــة ؟ لا أريدهــا جميلة (يضحك) •
كفاســـنيكوف : من قال لك انها جميلة جداً (يضحك أيضا) •
بــوز دوغانســكي : الافضل أن تكون قبيحة •
كفاســـنيكوف : لا تحزن • أعرف ذوقك • استعد ! (يضحك ببلاهة) •
بــوز دوغانســكي : (لكفاسنكوف مجفلا) كيف ، ولكنها لم ترني ؟

كفاسنيكوف : رأتك في اليوم في الممر • ولقد امتدحتك حتى ارتمت على عنقي وقالت « أرضى به زوجاً ، انهنصيبي » وقد ذهبت الى البيت لتعد نفسها وستاتي الى عند الجدة دونا في الاسفل لتتقابلا • (ينظر من النافذة) هاهي ذي ذاهبة •

بوز دوغانسكي : (يندفع الى النافذة وينظر) أهذه هي ؟ أهذه القردة ؟ أهذه الفزاعة ؟

كفاسنيكوف : كيف هذا ؟ قلت قبل قليل انها « رائعة » وتقول الآن انها « فزاعة ! » هذا ماتراه نهاراً •

بوز دوغانسكي : (محتداً ومحملقاً) من تظنني ياسيد ؟ أتعلم أن حياة الانسان بالنسبة لي تساوي لا شيء ؟ (يندفع بشكل مخيف نحو كفاسنيكوف • يركض في الغرفة • يدخل الحاجب) •

المشهد الحادي عشر

بوز دوغانسكي • كفاسنيكوف • الحاجب

الحاجب : جاء السيد الوزير فارجو أن تذهبوا الى الممر • (يخرج بوز دوغانسكي من اليمين وهو ينظر شزراً الى كفاسنيكوف • كاكا فيدوف يفتش عن قبعته بسرعة ويتحرك نحو الباب الايمن • يدخل بالتوف من اليسار) •

المشهد الثاني عشر

كفاسنيكوف • بالتوف • كاكا فيدوف

كفاسنيكوف : (لبالتوف) تعال ، يالله • تعال يالله !

بالتوف : (ينظر الى كاكا فيدوف) من سمح لحضرته بالمجيء الى هنا ؟

كفاسنيكوف : لم يسمح له أحد • جاء من هنا • (يشير بيده الى النافذة) •

بالتوف : (دهشاً) كيف ؟ من النافذة ؟

كفاسنيكوف : انسل كالسنونوة !

كاكا فيدوف : (يرفع يديه راجياً) لتتعظم ياسيادة الوزير !

بالتوف : (للحاجب) ادع الحارس !

كـــاكـــا فيـــدوف : (مضطرباً وجلاً) لثات الشرطة ومعها مئة الف مدفع وبندقية فلن أخرج الا ميتاً من هنا ! (يركع) اما الوظيفة واما أن يموت هذا القلب كمداً وحزناً عند قدميك المجيدين !

بالتـــــوف : (للحاجب) قف ! (لكاكا فيدوف) كيف تجاسرت على الدخول من النافذة؟

كـــاكـــا فيـــدوف : لست أنا الذيدخل وانما سبعةأفواه جائعة وواحد على وشك ، فاعذروني•

بالتـــــوف : قلت لك : اذهب الى المعمل !

كـــاكـــا فيـــدوف : إطعني بمدية كبيرة بدلاً من أن تقول لي هذه الكلمة !

كفاســـنيكوف : هه ، هذا مابقي علينا !

بالتـــــوف : اخرج (يسحب الحاجب كاكا فيدوف نحو الباب) •

كـــاكـــا فيـــدوف : وأرغم دون مقابل على امتداح « القديسة بينكا » (يجره الحاجب ويغلق الباب خلفه) •

كفاســـنيكوف : (لبالتوف) وبوز دوغانسكي أيضاً هنا !

بالتـــــوف : بوز دوغانسكي ؟ مخيف ! من سمح له ؟

كفاســـنيكوف : أقول لك كرة أخرى : يجب أن تطلق كلباً في الحديقة •

الحــــاجب : لم أكن موجـوداً • ستويانكا هـي التي سمحت لبوز دوغانسكي بامر من الآنسة •

بالتـــــوف : (دهشة) ماذا يعني هذا ؟ (يرى الرسائل عـلى الطاولة ويتصفحها) رسائل تهنئة • وتوصيات • دائماً توصيات ! (يفتح رسالة دون صوت ثـم بصـوت) « لا ترفضـه يا عزيزي الســيد بالتـوف فهـذا الانسان رجلنا المخلص » (متلمظاً) رجلنا ! هــذه كل جدارتـه ! ولانه رجلنا يجب أن أعطيه وظيفة انسان آخر جدير ولكنه ليس رجلنا وانما هو انسان • (يفتح رسالة ثانية ويقرأ) « الودود بالتوف ! اطلب منكم بحرارة تلبية رجاء السيد ايفان غيورغيف مؤيدنا الذي أسهم في انتخابات الحزب الى حد أصيب معه بالخبال فترك تجارته ••• » هذه الرسالة من ممثل الشعب ديمتروف • (يرمي الرسالة على الطاولة) يعني انه ضحية الحزب ! يا للشهيد ! (يفتح رسالة أخرى) نائب آخر يطلب مني توظيف السيد ميخائيلوفيتش•لقد قضى سنتين في السجن بسبب سرقة أو اغتصاب •• لا يتذكر جيداً •• وهو شهيد الحزب ! مقرف ! (يقرأ رسالة أخرى ثم بصوت مرتفع « السيد داتشف الذي سياتيإليكم

شخصياً أوقف جريدته وقرر ان يصبح مواليا بعد ان كان معارضاً • وليس من العقل ان نترك قوة كهذه • انه لمن الحكمة السياسية أن تدبر له وظيفة » (يرمي الرسالة على الطاولة ويفتح أخرى) من النائب كيريلوف (يقرأ) « حامل هذه الرسالة (يقرأ بصوت خافت فترة ثم يرتفع صوته وهو يقرأ) لا ترد عنه هذه الوظيفة حيث انه فقد اثنتين من أسنانه الامامية وكسر له ضلع في احدى المعارك الانتخابية في العام الماضي • وأنا مدين له أساسا بانتخابي » (يأخذ رسالة أخرى) من رئيس القاعة ! يتشفع ببوز دوغانسكي (يبتسم بمرارة) أكيد أن بوز دوغانسكي قد صوب مسدسه اليه أيضا • (يقرأ رسالة أخرى بصمت، يضرب الطاولة بيده) يخنقونني بكل بساطة ! فساد ! أين هي مصلحة الوظيفة ، مصالح الوطن ؟ وأما الاضرار الخطير بالمجتمع فمن يفكر به ؟ لدى كل حزب آلاف الجياع ، آلاف من « الذين لنا » الذين يجب أن تعد لهم مائدة الدولة • وحين يصل هذا الحزب الى السلطة يجب ابعاد آلاف الموظفين وعليهم أن ينتظروا تغيراً سياسياً جديداً ليتكوموا ثانية حول العظيم • لدى كل حزب جيش من الطفيليين المنفصمين عن الحياة وغير المنتجين في المجتمع الذين لا يعيشون الا من ظهر الشعب ••• هؤلاء الرعاع يزدادون وينمو عددهم كل يوم وكل ساعة • هكذا كان الامر حتى الآن وهكذا سيستمر في المستقبل • هذا مخيف ! هذه العاهة الازلية للحياة البرلمانية عندنا • كلنا نسهم في نشر عدوى التقاعس وافساد روح الشعب ، نضيع كل الجيل بجعله غير قادر على العمل الشريف ! أمر مثير للسخط ! (كفاسنيكوف طوال هذه الفترة ينظر من النافذة • يدخل الحاجب من اليمين) •

المشهد الثالث عشر

كفاسنيكوف • بالتوف ، الحاجب ثم الجدة دونا وآنيتشكا

بالتوف : (للحاجب) متى احضروا هذه الرسائل ؟

الحاجب : حملها الناس الذين ينتظرون خارجاً ياسيادة الوزير • ثمة سيدان ينتظران أمام الباب وقد أعطياني هاتين البطاقتين • (يقدم له البطاقتين) •

بالتوف : (ينظر الى البطاقتين) عجيب ! احدهما نائب والآخر صحفي وهما من المعارضة • (للحاجب) افتح لهما ليدخلا • (يخرج الحاجب تدخل انيتشكا والجدة دونا من اليسار) •

بالتوف : (ينظر الى انيتشكا) اكتشاف جديد هام ساخبرك به حول الذي توصين به ، خوروف : له خطيبة في النمسا وقد تركها • (يتقدم كفاسنيكوف)•

انيتشكا : كيف ؟

كفاسنيكوف : أهكذا ؟ هذا وحده ماكان ينقص البغل ! (يبتسم) أوف ، انتظر يانيقولا لاخبرك بما جرى لي معه اليوم •

بالتوف : (يقاطعه وينظر الى انيتشكا) تلقيت هذه الرسالة الآن من الملحق الدبلوماسي الفرنسي هنا • ابلغنا اعلاماً عن البعض • (يقرأ في الرسالة) روزا اديلينا ـ فتاة ابنة مؤجرته البيت في لوزان • وهي آتية في أثره الآن •

انيتشكا : (ماخوذة) أوه ! (تغطي وجهها) •

كفاسنيكوف : (باسماً) لياخذ الشيطان شباب اليوم ! افسدوا الكون • وهذا لايعد شيئاً • لو رأيت المحامي ميخائيل دادولوف من خارمانلي الذي أتى بزوجته من أوروبا فرات زوجته الاخرى •••! اذن لرايت الغرائب !

الجدة دونا : وماذا حدث حينذاك ؟

كفاسنيكوف : هربت الفرنسية وتركته البلغارية وبقي له اسم « ميخائيل صاحب الزوجتين » وهو بدون أية امرأة !

بالتوف : دع هذا الآن (للحاجب الذي ظهر على الباب) ليدخلا إلى هنا (يخرج الحاجب) أمر محير ، لماذا آتيا !

انيتشكا : (بصوت خافت) أوه ، يا للفاسد ! له خطيبة في النمسا ويكتب لي رسائل غرامية ! في أية أيد قذرة كنت أوشك أن أرمي قلبي ! (يدخل درامكوف وتشالكانوف) •

المشهد الرابع عشر

بالتوف • كفاسنيكوف • الحاجب • الجدة دونا • آنيتشكا • درامكوف وتشالكانوف

بالتوف : ما الذي أوجب هذا التشريف ؟

تشالكانوف : جئنا ياسيد بالتوف بشان قضية شرف •

بالتـــوف : قضية شرف ؟
تشـالكانـوف : أجل ، من قبل السيد خوروف ٠
درامكـــوف : نحن شاهداه للمبارزة ٠
بالتـــوف : مبارزة ؟ لماذا ؟
كفاســنيكوف : (بصوت خافت) قد يكون قد طلب منه احدهم أن يعمل ٠
الجـدة دونـا : (خائفة) أية مبارزة ؟ انصرفا ! انصرفا !
بالتـــوف : تمهلي يا أماه ؟ أنا لا أفهمكما أيها السيدان !
تشـالكانـوف : نحن لا نصدق ياسيد بالتوف انك تريد الاحتماء خلف منصبك الرسمي لترفض رغبة انسان مثقف ، أهنتموه بفظاظة ٠

بالتـــوف : هذا أمر يعود لي تقييمه ٠٠ ولكنني لا أعرف خوروف هذا ٠
درامكـــوف : كيف ! لقد الحقت به اهانة في بيتك اليوم !
بالتـــوف : (مستغربا) اليوم !
درامكـــوف : كان عندكم قبل الظهر ، في تمام الحادية عشرة ٠
بالتـــوف : أنتما واهمان أيها السيدان !

كفاســنيكوف : (بصوت خافت) أليس هو ابن بوخالوف ؟ أهو الذي يدعونه خوروف ؟ قضي عليّ ! (يدنو من بالتوف ويهمس له بعض الوقت ويقوم بحركات معبرة بيديه) ٠

بالتـــوف : (مستغربة) كيف ؟
كفاســنيكوف : (بصوت خافت) تصرف يانيقولاي حسب معرفتك ولا تورطني فلدي اثنا عشر ولـداً ٠

بالتـــوف : (للشاهدين اللذين يتهامسان) اخطاتما العنوان أيها السيدان ٠ ثمة سوء تفاهم هنا ٠ تخاصم خوروف مع أحد ضيوفي في غيابي وقد حسبه خطا أنا ٠

تشالكانوف ودرامكوف : مع أي ضيف ؟
بالتـــوف : (يشير نحو كفاسنيكوف باسماً) مع حضرته ٠
كفاســنيكوف : (بصوت خافت) نيقولا ! ازهقت روحي!
درامكـــوف : حضرته ؟ (ينظر بكراهية الى كفاسنيكوف) ٠
بالتـــوف : سمع حضرته كل شيء ٠

كفاسنيكوف : (بصوت خافت) أوه ، خفف عني (بصوت عال) تماماً ، لقد سمعت كل شيء • وقفت عند الباب وخيل للسيد انه الوزير •

تشالكانوف : أتعرف من هو ؟

درامكوف : هو التباس على الارجح ؟

كفاسنيكوف : هو ذو شاربين ، شارباه هكذا •

درامكوف : ماهو شكله ، من حيث الحجم؟

كفاسنيكوف : الحجم ؟ أطول مني بمرتين •

تشالكانوف : (لبالتوف) المعذرة اذن ياسيادة الوزير •

بالتوف : (لكفاسنيكوف) ولكن ، ما الذي أزعجه ؟

كفاسنيكوف : تفوه باقبح الكلمات • قال : أنت متوحش ! أنت بوم ، وقال أن رأسك صدىء وأنت ظلامي ••

بالتوف : من الذي قال ذلك ؟

كفاسنيكوف : هو الذي قاله ، ذاك •

تشالكانوف : لذي الشاربين ؟ قل ما الذي قاله لذي الشاربين ؟

كفاسنيكوف : ماذا قال له ؟ لم يقل شيئاً • قال له أحمق

درامكوف : وغير ذلك ؟

كفاسنيكوف : قال له : بغل ، سافل ، لئيم وهو كذلك •

تشالكانوف : (لدرامكوف) لم يحك لنا خوروف بدقة •

درامكوف : (لكفاسنيكوف) وغير ذلك ؟ وغير ذلك ؟

كفاسنيكوف : وماذا غير ذلك ؟ طرده •

درامكوف : (لتشالكانوف) لم يقل لنا خوروف هذا •

تشالكانوف : (لكفاسنيكوف) ألم يقل له أن يذهب ويفلح ؟

كفاسنيكوف : قال له ذلك قبل أي شيء آخر •

ادرامكوف وتشالكانوف : (بحيوية) أحقاً ؟

كفاسنيكوف : وهل هذا مسبة ؟ أبوه صاحب مزرعة •

درامكوف : خوروف حامل شهادة ياسيدي •

بالتوف : (مبتسماً) أتعرف ياجد ستانتشو ان أكبر اهانة تلحقها بانسان في بلغاريا هي أن تقول له : اذهب واشتغل • وهذه الوصمة لا يغسلها غير الدم •

تشـــالكانـــوف : (لبالتوف) انكم لا تظهروون أية محبة للناس !
بالتــــــوف : المعذرة أيها السيدان ، لقد انتهت مهمتكما • (ينحني لهمـا قليـلا يخرج الشاهدان) •

المشهد الخامس عشر

نفس الاشخاص بدون الشاهدين ثم الحاجب

بالتــــــوف : (لكفاسنيكوف) أية طبخة خلطت ياجد ستانتشو ؟
كفاســـــنيكوف : (ضاحكا) أية تجارب تعرضت لها اليوم ! ثمة ما ساحكيه للعجوز • لن تستطيع ان تفهم كم من الصعب أن تصير وزيراً ولو على سبيل المزاح•
بالتــــــوف : (ينصت) ما هذا الصخب في الممر ؟ (يدخل الحاجب من اليمين) •
الحـــــــاجب : سيدي الوزير ! حين أوصلت ذاك الى المدخل اندفع حشد كبير من الناس فلم أستطع وقفهم •

بالتــــــوف : مخيف !
كفاســـــنيكوف : (لبالتوف) هل أنت عبد ، يا الهي ؟ (يعطي الحاجب رسائل لبالتوف)•
بالتــــــوف : (ينظر الى الرسائل) وأيضاً توصيات ! وخوروف يطلب السماح بالمثول ويطلب المسامحة وقبول الاعتذار • عرف خطاه •
كفاســـــنيكوف : أأختبىء اذن ؟
بالتــــــوف : لا حاجة لذلك • لن أستقبله (ينظر الى رسالة أخرى) وهذه الرسالة ؟ مقرفـة !
الجـــدة دونــــا : ماذا جرى يانيقولا ؟

بالتــــــوف : كسول رفض عدة وظائف ويكتب لي انه قانط وسوف يقتلني ويقتل نفسه مالم أوظفه حتى مساء الغد • لقد استلمت العديد من هذه التهديدات•• سفالة (يتمشى متجهما) •
كفاســـــنيكوف : (بصوت خافت) لا ، لا لن أصير وزيراً ! صرته على سبيل المزاح فنلت الكثير من المخاوف • يجب أن ارحل فقد اقترب موعد سفر القطار (يمد يده الى الجدة دونا) •
الجـــدة دونــــا : (تنهض) المزيد من التحيات الى زوجتك واولادك •

بالتوف : (بتوكيد) أعطني يدك ياجد ستانتشو (يمسك يد كفاسنيكوف) أشكرك من القلب : أنت الوحيد الذي لم يات من أجل طلب وظيفة من بين مئات الضيوف (يشد على يده بحرارة)

كفاسنيكوف : جئت من شوقي اليكم ••• (ياخذ منديلا ويمسح وجهه به) •

بالتوف : هل لديك صورة شخصية كبيرة ؟ أعطني واحدة ؟

كفاسنيكوف : لدي في البيت •

بالتوف : (لكفاسنيكوف) أرسلها لي •

كفاسنيكوف : سارسلها لك على أن لا تريها للناس • المصورون عندنا يعملون دائماً من أجل تجميل الانسان دون جدوى • قبل ثلاث سنوات أخذت صورة فوتوغرافية • أدار رأسي المصور مراراً وأرغمني مراراً على الابتسام والحملقة وعصرني مراراً وحين خرجت من عند المصور لم يعرفني أحد • قال بعضهم : هو بسمارك ! وقال آخرون : ياله من لص ؟ وما حاجتك اليها؟

بالتوف : ساعلقها هنا لاتذكر دائمة انك الاستثناء الوحيد اذ زرتني في البيت دون غاية ••• (يشد ثانية على يده) •

كفاسنيكوف : عفواً (يفرك بالمنديل) كدت أنسى كلمة صغيرة ••

بالتوف : قل •

كفاسنيكوف : سجلها ملاحظة

بالتوف : أية ملاحظة هي ؟

كفاسنيكوف : عمل لبنتشو

بالتوف : أي عمل ؟

كفاسنيكوف : ثمة مكان شاغر في مركز بريد خارمانلي •

بالتوف : هل هناك عمل لمثله ؟

كفاسنيكوف : يوجد ، يوجد فارز •

بالتوف : (ساخطا) أحتى أنت ياجد ستانتشو ؟ من أجل ماذا أعددته ؟

كفاسنيكوف : يريد عملاً سهلا •

بالتوف : (غاضبة) علمته حرفة وتريده أن يعمل في البريد !

كفاسنيكوف : أنحن سنصلح بلغاريا ؟

الجدة دونا : (باسمة) هاي ، ستانتشو منا •

بالتوف : (ينظر اليه طويلا بصرامة) كيف أرد طلبك ! (يجلس قرب الطاولة ويكتب) •

كفاسنيكوف : (يوصوص من فوق كتفه) مهلاً ، لا تكتب بنتشو « كفاسنيكوف » بل اكتبه « دفوريانسكي » .

بالتوف : (دهشا) دفوريانسكي ؟ من اين الى اين ؟

كفاسنيكوف : هكذا اسموا ابن الحمار ليصير نبيلا (تبتسم انيتشكا) هذا هو الدارج. ولقد أسموا ابن ايفان كراستاتا « بلواورلوفسكي » على اسم جنرال روسي ! رفض التسمي باسم والده !

بالتوف : (مبتسماً) كتبت (ينهض) .

كفاسنيكوف : (مبتسما) واحد آخر يانيقولا .

بالتوف : واحد آخر ؟ ظننت أنك أتيت لترى صوفيا .

كفاسنيكوف : اكتب ، اكتب الغرباء هم غرباء . أما أنا فلا ترفض طلبي .

بالتوف : لمن تريد أيضا وظيفة ؟

كفاسنيكوف : لابننا كريستو فهو بلا عمل .

بالتوف : أليس كريستو حذاء ؟ أين صارت مبادؤك ياجد ستانتشو ؟

كفاسنيكوف : علقتها على المسمار ! هو لا يريد أن يكون حذاء بل يريد أن يصبح قاطع تذاكر .

بالتوف : ألا يحتاج لتدريب !

كفاسنيكوف : لديه ، لديه ميل فطري نحو الخطوط الحديدية : حين يسمع الصافرة يندفع ليرى . (تبتسم انيتشكا) كريستو متعلم . أنهى الصف الثالث.

بالتوف : (يفكر) الافضل أن نعينه اذن معلماً أصيلا ؟

كفاسنيكوف : لا يريد . يكره المعلمين ... لا يذهبون الى الكنيسة ، لا يحترمون العجائز ، لا يعرفون المسيح .. وظفه قاطع تذاكر ...

بالتوف : ولكنه ليس كفؤاً !

كفاسنيكوف : وماهي الكفاءة ؟

بالتوف : ليس لديه المؤهلات التي يحددها القانون من أجل وظيفة حكومية كهذه..

كفاسنيكوف : ليس كفؤاً ؟ ولكننا نفوز حين يقود خمسمئة فلاح على موسيقا الغايدا الى الانتخابات ؟ أية مؤهلات أكبر من هذه ؟

بالتوف : (يدلك جبينه ، يبتسم) هاي ، اذن ـ وظيفة ضابط بوليس أكثرملاءمة لموهبته . ماذا أفعل لك ؟ كانت لائحتك اليوم معبرة (يكتب) .

كفاسنيكوف : (ينتظر قليلا) هل انتهيت يانيقولا ؟

بالتـــــــوف : انتهيت وقلت : آمين • (يقف) •
كفاســــنيكوف : لا يجوز قول آمين الآن (للجدة دونا) هل تتذكرين يا أخت دونا ايفان كروشاتا ؟ ليغفر له الله • ابنه تشونو فقير جداً وله أطفال • جياع •• لو أخبرتك عن حياتهم القاسية لبكيت • انهم يسترحمونك (لبالتوف) وظفه حارساً في خارمانلي يانيقولا : ثمة مكان شاغر • هو من الحزب•

بالتـــــــوف : (يبتسم) ما اختصاصه ؟
كفاســــنيكوف : كان بنّاء
بالتـــــــوف : فليعمل في البناء
كفاســــنيكوف : لقد وعدته • فلا ترد طلبي
بالتـــــــوف : سابقة كان الطلب يتعلق بخاصتك أما الآن فمن أجل الغرباء ؟
كفاســــنيكوف : ليسوا غرباء الى هذا الحد : أخت زوجة جده كانت عمة خالة جدتك
بالتـــــــوف : (مبتسماً) لفحتهما شمس واحدة !
كفاســــنيكوف : وهو من جماعتنا • لا تضحك • اذا رفضت سابقى هنا واذهب أنت الى خارمانلي لتراه وتشفق عليه (يشير الى الجدة دونا لتسهم في الرجاء)•

الجـــدة دونـــا : وأنا أرجوك يانيقولا • والد تشونو صنع لنا وجاقاً ، رحمه الله !
بالتـــــــوف : وليكن هذا أيضا (يكتب ويقرأ بعض الرسائل) •
كفاســــنيكوف : (بصوت خافت) هكذا ساحصل على ديوني من هذا الوغد والا فلا سبيل للحصول على النقود • ساحصل منه على تفويض بان اقبض راتبه • اذا استلمه فسيشرب به ابن الكلب ••• كم تحملت بسببه ، وجعلته من أقربائي !••• لِمَ لم أصبح نائباً ؟ كنت حصلت على أرباح جيدة ••• فالنائب عندنا حين يتوسط لانسان فهو يقدم له خدمة « الاشهر الستة الاول لي والباقي لكم ! » يبني بيتاً !

بالتـــــــوف : هيا وليصبح تشونو البناء موظفاً (يقرأ أيضاً) •
كفاســــنيكوف : (ينتحي جانباً ، بصوت خافت) ومن أيضاً ؟ (يخرج قطعة ورق وينظر اليها) ثمة أيضا ثمانية أشخاص ••• أنا خجل ، فنظرات نيقولا تذبحني• هاي فقط هذا ••• (لبالتوف) مات عندنا البارحة مساء كوركانوف يانيقولا •••
بالتـــــــوف : ومن يكون ؟
كفاســــنيكوف : مدير الجمارك في خارمانلي ، ومكانه شاغر •

بالتـــــوف : لا تخف • ثمة مئة رجل ينتظرون •

كفاســـنيكوف : (وكأنه يمسح وجهه) سجل يانيقولا •

بالتـــــوف : (متجهماً) ماذا ؟ أيضاً ؟

كفاســـنيكوف : (مبتسمة) لا تعبس هكذا ! حين توجد ثمار القرانيا يأكل الحاضرون !

بالتـــــوف : (غاضباً) أتريد أن توظف كل أهالي خارمانلي ؟

كفاســـنيكوف : لا ، وانما واحد وهو الاخير •

بالتـــــوف : هذا هو الفساد بعينه ! لا ترسل لي صورتك •

كفاســـنيكوف : وهذا الرجاء يانيقولا !

بالتـــــوف : خيبت ظنوني تماماً ياستانتشو !

كفاســـنيكوف : هيا ياملاكي ! (يربت على كتفه ويشير للجدة كي تؤازره) •

الجـــدة دونـــا : وأنا أرجوك يانيقولا • من أجل خاطري •

بالتـــــوف : من هو ؟ أهو جدير بهذه الوظيفة ؟

كفاســـنيكوف : مولود من أجلها • وقد لعب دائماً بالنقود • ظل خازنا ثلاث سنوات في العهد التركي وكان يقدم لوائح نظيفة دائماً ••• ليس فتى غراً ، لتقول انه سينفق أموال المملكة في القمار أو الحانات (يشير لانيتشكا) •

انيتشـــكا : (تبتسم ، لوالدها) وأنا أرجوك • وظفه • أنا متأكدة من أنني لن أخجل هذه المرة مع أنني لا أعرف الذي أتوسط له •

بالتـــــوف : (بكآبة) أنتم الثلاثة تخنقونني (لكفاسنيكوف) قل من هو •

كفاســـنيكوف : اجلس •

بالتـــــوف : (يجلس) من ؟

كفاســـنيكوف : (يسعل) اكتب ، اكتب يانيقولا •

بالتـــــوف : (بنفاد صبر) اسم من ساكتب ؟

كفاســـنيكوف : (مشيراً له) ستانتشو كفاسنيكوف •

بالتـــــوف : (يثب خانقاً ويشبك يديه • تدخل ستويانكا) •

المشهد السادس عشر

نفس الاشخاص وستويانكا

ستويانكا : سيدي ! ثمة أناس في الحديقة • تسللوا من خلال اللوح الخشبي المخلوع في الحاجز الخلفي ويقف آخرون أمام المدخل والشارع مكتظ •

بالتوف : (ينظر من النافذة) فيضان ! طوفان ! ياللهول !

كفاسنيكوف : (يصرخ من النافذة) اذهبوا اعملوا • ألا تريدون سوى الوظائف ؟ يا للعار ! (يدق جرس الهاتف) •

بالتوف : (يذهب الى قرب الهاتف • يرفعه ويسأل •) الو ؟ من ؟ (يصغي) هنا الوزير بالتوف (يصغي لعدة ثوان) رائع ! موافق • (يصغي لبعض الوقت) مدهش • لن أعاني من شيء بعد الآن • أهنيء نفسي • وداعاً! (يغلق الهاتف ويتقدم مسرعاً) المجد لك يا الله !

كفاسنيكوف : ولكن عم تكلمت هناك مع الجدار ؟

بالتوف : (للحاجب) دعهم يدخلوا جميعاً (يخرج من اليسار) •

الحاجب : (ينظر الى الباب الايمن) ادخلوا واحداً فواحداً • (يدخلون بالدور وينحنون • بوز دوغانسكي ، ايليا ، كاكا فيدوف تتبعه امرأةوستةاطفال• تيرزيسكا تنظر شزراً الى بوز دوغانسكي الذي ينظر الى الناحية الثانية وعشرات المواطنين • فلاحتان شابتان • خوروف ينحني كثيراً باحترام لانيتشكا التي تدير له ظهرها باحتقار يقف أمامه كفاسنيكوف وهو يتكلم بصوت خافت مع الجدة دونا ثم يهرب ويختفي خلف الآخرين • يحتشد أناس عند الباب • يسود الصمت دقيقة على المسرح ••

بالتوف : (يدخل ، للحاضرين) أيها السادة ! ساخبركمخبراً مفرحاً : تخلصتم مني وتخلصت منكم ! لقد سقطت الوزارة •

تمت

كانون الثاني ١٩٠٠

الواقعية والواقع *

بقلم : بوريس سوتشكوف
ترجمة : حنا عبود

إن العملية الخلاقة في الفن ، وهي أهم النشاطات العقلية لدى الانسان ، تستلزم التفكير بلغة الصور • وتلك الصور ، حسب الطبيعة الحقيقية لادراكنا ، يولدها العالم الخارجي في ذهن الفنان •

وحتى عندما يبتكر الفنان شيئاً ما ، وكل ظنه أنه يقع بعيداً عن كل احتمال، لا يكون ، في حقيقة الامر ، قد قام بأكثر من اعادة تنظيم الأجزاء المكونة لكل ما نسميه الواقع ، في شكل جديد ، واعادة تركيب هذه العناصر تركيباً جديداً •

عندما رسم الفنان هيرونيموس بوش لوحة « تجربة القديس أنطونيوس » استخدم كل المواد التي يقدمها الواقع بوفرة ، في تصوير الأشباح التي انطلقت من الجحيم للاجهاز على الناسك في صومعته• وفي واقع الأمر ، كانت الأبالسة والعفاريت في اختبارها صبر الناسك وإيمانه ، تتكون من مادة طبيعية مألوفة تماماً ، رغم مظهرها السحري • وقد جمع بوش فيها العناصر المرئية للكائنات الطبيعية والأشياء التي صنعتها يد البشر ، تلك التي كان يراها حوله كل يوم • لقد غيّر ببساطة نسبها الطبيعية ، فوضع أجزاء العضوية الحية في أغرب تجميع ، مسنداً الأشياء اليوسية مثل الأوعية والصواني والسكاكين والخوذات إلى أذيال الحشرات ومجساتها ، ومضفياً على الحيوانات أجساد العناكب والجنادب ، وقد جعل تلك الأشباح شاكية

★ الفصل الأول من كتاب « تاريخ الواقعية » •

السلاح ، مانحاً ابداعات خياله الجريء عواطف إنسانية ، وجعل أبالسة الجحيم تتصرف تصرف المهرجين الخبثاء • وهكذا ، بينما تفاجئك صوره أول الأمر وكأنها تخالف التجربة اليومية ، فانها في الواقع متلائمة تماماً مع القيم والمفاهيم اليومية لعصره •

إن صور كالوت الخيالية أو رسوم غويا ، أو تلك الأعمال التي تحرر فيها الفنان ، عن وعي وقصد ، من المشابهة السطحية للواقع ، إنما هي مبنية على عناصر الانطباعات الفكرية والعاطفية والمرئية التي يولدها الواقع بصورة موضوعية •

وحتى عندما حاول الانسان البدائي أن يضفي على ثمرة خياله سمات الالوهية، ويعبر عن فهمه وادراكه للاله ، بوسائل الفن ، لم يستطع تجاوز حدود هذه الأرض، في تشخيصه لابداع خياله• إن النظرة البسيطة سوف تميز العناصر الأولية للمفاهيم الواقعية للعالم ،وقد انعكست في الفكر البشري ، في الأوثان والطواطم كما ظهرت في الشعوب البدائية ، والآلهة الظالمة المرعبة والرموز الطقسية والأقنعة في الحضارات البائدة • وعلاوة على ذلك ، وحتى لو اعتبرنا الشكل « المجرد » للفن زينة وزخرفاً ، فانه يقوم على تركيب للأشكال الهندسيةالتي تعكس العلاقات الموضوعية للأشياء ، أو يرسم الحيوانات والنباتات رسماً تقليدياً ، أو الجمع بينهما •

ومن الجدير بالذكر بالملاحظة أن منظري الفن التجريدي « ونتروبسارجنت » و « أندريو ريتشي » و « ريجينالد » ، وقبلهم عميد الرسم التجريدي « ڤاسيلي كاندنسكي » ، حاولوا تبرير هذا الاتجاه في الفن الحديث ، بالزعم أن لوحة الفنان التجريدية تعكس أدق الاكتشافات في الفيزياء النووية ، ولذلك فانها تخترقالجوهر الحقيقي للكون • وهكذا اضطر هؤلاء المعادون للواقع ، إلى استلهام الواقع لدعم نظرياتهم الجمالية ، لأن الفيزياء النووية وتحول الطاقة لهما من الواقعية مثل ما للأشجار والثمار والجبال والمساكن والناس والازهار ومثل أي شيء آخر تتناوله ريشة الرسامين العباقرة ، الذين يغرقهم أبطال الفن التجريدي بازدراء حاقد ، موجهين إليهم تهمة التجريبية العمياء • هذا الاستلهام للعالم الدقيق ، لواقع غير منظور ، ولكن الفكر البشري يدركه ، ليس سوى محض هراء • وليس ثمة رابطة بين التطبيق المتعسف لمعنى اللون في تمثيل العمليات التي تأخذ مجراها في دنيا الاشياء الدقيقة ، والواقع البين الواضح • بيد أن طبيعة الحجج التي يستخدمها أنصار الفن التجريدي لتبرير نظرياتهم لا تستحق شيئاً : فهم في نضالهم ضد الواقع يستسلمون له •

ليس الفن تمثيلاً تاماً للواقع الواضح • فالعمل الفني ليس نسخة طبق الأصل عن الواقع • والابداعات الفنية تختلف كل الاختلاف عن أشياء العالم الخارجي ، فكما أنها تتمثل الانطباعات والمفاهيم المنتزعة من الواقع ، تعكس أيضاً العالم الداخلي للانسان ، وتجربته ، وشخصيته ، وموقفه من العالم المحيط به • والفن ، باعتباره شكلاً خاصاً من النشاط الروحي والفكري ، وتعبيراً قوياً عن قوى الانسان الخلاقة ، إذ يؤخذ بصورة مطلقة ، من الواقع ، فانه الى حد ما مستقل عنه• وقد أبرز غوته بحذاقة هذه العلاقة الديالكتيكية الفنية والمعقدة بين الواقع والفن• وقد كتب غوته ، أثناء جداله مع ديدرو ، الذي أرجع هدف الفن الى تمثيل مظاهر الطبيعة تمثيلاً دقيقاً :

« لا يحاول الفن منافسة الطبيعة في اتساعها وعمقها ، بل يبقى على سطح الظواهر الطبيعية • إن للفن عمقه الخاص ، وقوته الخاصة • انه يقتنص المظاهر الفائقة لهذه الظواهر السطحية ، ويبتعد عما هو نظامي فيها ـ الكمال المعقول للنسب ، وذروة الجمال ، والمعاني الشريفة ، والعواطف النبيلة •

« إننا نرى الطبيعة تعمل على طريقتها الخاصة ، بينما يعمل الفنان كانسان ـ على طريقته الخاصة • ومما تقدمه لنا الطبيعة لا نأخذ في حياتنا سوى كمية صغيرة، وهي تلك التي تستحث الرغبة وتمنح المسرة ، أما مايقدمه الفنان للانسان فسهل المنال ومبهج للمشاعر ، يمنح المسرة وله مفعول مهدىء ، ويقدم الغذاء للروح فيربي ويهذب ، والفنان ممتن من الطبيعة التي أوجدته ، فيعيد اليها بهذه الطريقة نوعاً ما الطبيعة الثانية : الطبيعة المولودة من المشاعر والأفكار ، الطبيعة التي أكملتها يد الانسان •

« ولكن لو كانت الأمور كلها هكذا ، لكان على الفنان ، حسب مهمته ، أن يعمل وفقاً للقوانين والأحكام التي تضعها الطبيعة نفسها ، القوانين التي لا تتناقض معها، والتي تشكل ثروته الكبرى ، إذ بمساعدة هذه القوانين يتعلم كيف يتقن ويجسد ثروة موهبته والغنى الكبير للطبيعة »(١) •

إن الواقع هو أساس كل تصور • هذا أمر طبيعي لأن الفن نوع من اللغة الخاصة تتحدثها البشرية منذ العصور القديمة ، وكما أن الكلمة لا يمكن أن توجد من دون مفهوم متبادل ، كذلك لا يمكن أن ينتزع الفن الواقعي صورة واحدة من

(١) غوته « Diderots versuch uber die Molerei » ليبزيغ ص ١٠٠ ـ ١٠١ •

مضمونه ، أي من علاقته مع ماهو موجود موضوعياً ، سواء في مملكة الطبيعة ، أم في مملكة الفكر البشري والشعور الانساني التي هي جزء من الواقع مثلها مثل العالم المادي ٠

لقد كان الفن الصديق المخلص للانسان عبر التاريخ ، يتطور ويتقدم مع تطور الفكر البشري وتقدمه ٠ وهذا هو السبب في أن الفن لا يستطيع أن يكون لهواً يملأ ساعات الفراغ ، أو مصدراً للمتعة السعيدة ، أو وسيلة راحة تلبي المطاليب الجمالية فقط ٠ إن الوظيفة المزدوجة للفن ــ المعرفية والجمالية ، وقد اتحدت الاثنتان بحيث لا يمكن الفصل بينهما ــ كانت منذ البدء ، منذ اللحظة التي ظهر فيها الفن ٠

إن الأمثلة المبكرة لرسوم الكهف ومشاهد الصيد التي وضعت بدقة ملحوظة وتعبير واضح ، تجمع بين هذين المظهرين للفن ٠ إن الفنانين البدائيين ، في خلقهم هذه الأعمال ، قد استسلموا لقوة الفرح وسحر الخط واللون ، ناقشين على الصخر العنيد الصور والانطباعات التي تجيش في نفوسهم ٠ ولا جدال في أن أولئك الفنانين المجهولين ليسوا وحدهم فقط الذين حرضهم ابداعهم ٠ ويمكن أن نفترض أن رفاقهم ذوي الشعور الطويلة في القبيلة كانوا أيضاً يتمتعون ببريق الفن في دجوة التاريخ القبلي القديم ٠ وقد كانت رسوم الكهف أيضاً جزءاً من طقس سحري يرتبط بالعمل ، من طقس سحري عاطفي ــ ضراعة للظلام ، وللقوى التي تهدد الأرض والسماء ، وتتحكم في حياة القبيلة ٠ يكتب جورج طومسون ، الخبير الحديث في ثقافة ما قبل التاريخ فيقول : « لقد كانت عادة الاستراليين تزيين الصخور والكهوف بأشكال البشر والحيوانات ٠٠٠

« والأشكال البشرية هي من الجنسين ، مع مبالغة في ابراز المعالم الجنسية المؤنثة ٠ وبما أن الحيوانات والنباتات موحدة ، فانها جميعاً أنواع صالحة للأكل ــ الكونغر والسحالي وثمار النالغو ٠٠٠

« ولشرح هذه الاشارات يمكن أن نلجأ إلى المواطنين أنفسهم ٠ ففي مطلع فصل الاخصاب يعاد رسم الصور أو تنقيحها بغية استسقاء المطر أو الدعاية للأنواع التي تمثلها ٠ وبهذه الطريقة يمكن تأمين وفرة من الكونغر وثمار النالغو ، وجعل

النساء مخصبات »(١) وبالاعتماد على عدد من الاشكال الشائعة في الفن البوشماني ورسوم الكهف في العصر الحجري الأخير في فرنسا واسبانيا يقول طومسون متابعاً : « والمشابهة قريبة جداً بحيث أن بعض المختصين اعتبروها من عمل شعب واحد ••• إن كل علماء الآثار الآن يوافقون على أن الهدف الأول لهـذه الرسوم كان هدفاً سحرياً »(٢) • وحول تكوين الفن يدلي بالتصريح التوكيدي التالي : « لقد نشأ الفن من الطقوس • إنها فرضية لا يرفضها أي دارس جدي »(٣) •

وهكذا عندما أصبح فكر الانسان واعياً للصور الفنية ، منذ فجر التاريخ ، نجد أن للخبرة الاجتماعية كلمتها في المسألة • إن رغبة الفنان البدائي في التعبير عن انطباعاته عن الحياة تسير يداً بيد مع محاولة فهم الحياة وشرحها •

هذه السمة النفيسة للفن ، المتمثلة منذ البدء ، هي التي تجعل من الفن تاريخاً عظيماً ، تاريخاً الجنس البشري يروى بكلمات ، سطرها أو رسمها مؤرخون متطوعون ، تضمنوا أحداث الحضارات البائدة وروحها أكثر بكثير من قماطير الرقاق التي تحمل قوانين الحكام وتعليماتهم أو من الآثار الصامتة للحضارة المادية التي يشرحها لنا الأثريون والمؤرخون •

إننا لا نزال نفهم أفكار مواطني دولة اليونان أو روما ومشاعرهم بفضل مآسي اسخيلوس وملاهي ارستوفان واشعار كاتولوس المؤثرة • إن عشبة بلاد الدون أزهرت وذبلت مرات لا تحصى ، وتحولت عظام الروس من بونتاف وخزر إلى رماد منذ أمد بعيد ومـع هذا فان أصوات المحاربين الروس الذين غرفوا ميـاه الدون الصافية بخوذاتهم لا تزال تقرع في قلوبنا ، سجلها لذراريهم مؤلف « دفن ضيف ايغور » المجهول • إن العواطف السياسية العاصفة التي اجتاحت المدن الايطالية في الوقت الذي اكتشفت فيه أوروبا الوسيطية التراث الثقافي الخالد لشعب صغير عاش في الشريط الجنوبي لشبه جزيرة البلقان ، قدمتها لنا موشحات الكوميديا الالهية لدانتي ولوحة مايكلانجلو « الدينونة الأخيرة » •

لقد سجل الأدب والفن ، بوجودهما ، بمقياس حساس دقيق ، كل التغيرات

(١) جورج طومسون : دراسات في المجتمع اليوناني القديم • الايجيون في فترة ما قبـل التاريـخ لندن ١٩٥٤ ص ٥٣ ـ ٥٤ •

(٢) المصدر السابق ٥٤ ـ ٥٥ •

(٣) المصدر السابق ٤٦٣ •

في مجرى التطور البشري العاصف • إن انهيار المثل الانسانية العليا لعصر النهضة، التي سحقت تحت أقدام العلاقات الاجتماعية البرجوازية الوليدة ، قد انعكس في مآسي شكسبير المتأخرة ، وفي الحزن الرزين لدون كيشوت ، وفي مأساة كالديرون « الحياة حلم » التي قرعت ناقوس الموت لثقافة عصر النهضة الحيوية المتفائلة • إن هجاء سويفت المرير ، والدوافع التراجيدية المنفجرة في سيمفونيات موزارت أشبه بفصل افتتاحي للقرن التاسع عشر « عصر الحديد » بكل تناقضاته الاجتماعية المنفجرة •

ليست صورة العالم التي تقدمها الأعمال الفنية نسخة ذليلة للواقع ، إنها تحتفظ بألوان العالم وروائحه لسبب بسيط هو أن الفن في كل الأزمان والعصور يتعامل مع المظاهر الاساسية للطبيعة والحياة البشرية • إن الفن لا يستطيع أن يساعد النظام العظيم للواقع بل يخضع له ، بيد أن هذا لايعني أن الفن كان واقعياً دائماً وفي كل الأزمان •

إن الواقعية ، كطريقة خلاقة ، ظاهرة تاريخة نشأت في الوقت الذي طفق فيه الناس يشعرون بالحاجة الملحة لفهم الطبيعة ومنحى التطور الاجتماعي ، عندما طفق الناس يتحققون ، بغموض أولاً ثم بوضوح ، أن الأعمال والمشاعر الانسانية ليست وليدة العواطف الهوجاء أو الشارة المقدسة ، بل هي وليدة الواقع ، أو بدقة أكثر ، وليدة الأسباب المادية •

لقد ظهرت الطريقة الواقعية في الفن والأدب عندما واجه أعضاء المجتمع مهمة فهم القوى الخبيئة التي تقرر عمل ميكانيكية العلاقات الاجتماعية •

إن ثمة معالم من الواقع في كتابات القدماء ، وفي الفن الغوطي ، الباروكي والروكوكي ، أو في مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين ، ولكن دراسة حياة المجتمع والأفراد في كل علاقاتهم المعقدة لا تكون إلا عن طريق الواقعية فقط • ان مؤلفات الواقعيين الأوائل تقدم لنا صورة حقيقية لحياة المجتمع وللمصالح والمطالب التي تشغل أذهان الناس من شتى الفئات والطبقات في الماضي • إنهم يطلعوننا على تطور يقظة الانسان الاجتماعية ، وكيف يعيش الناس في مجتمع قائم على الملكية الخاصة المتصارعة مع ذلك النظام الاجتماعي غير الانساني • ومن بينهم الكتاب الواقعيون الذين أنتجوا ملحمة العصر الحديث • وفي عدة حالات ، وعن طريق تصويرهم الموضوعي الرزين للحياة التي يرون ، أدانوا شرور حضارة أصحاب الملكية الخاصة ، هذه الحضارة غير المعقولة •

لقد طفقت الواقعية تشق طريقها في ميدان الحياة اليومية • فتصوير الحياة التي يراها المرء حوله ظهر في قصص الفكاهة والخرافة والشوانك « Schwanke » وقصص المتشردين فيما بعد ، وقد تولدت من هياج التمردات الشعبية ، وانتفاضات الفلاحين والحروب الدينية الدامية في القرنين السادس عشر والسابع عشر • وعلى كل حال فان هذه الواقعية لم تكن واقعية بالمعنى الدقيق للكلمة • إنها ، بالأحرى ، تمهيد للواقعية •

بيد أن الفكر الفلسفي أيضاً ، في صراعه مع قضايا الوجود في بداية العصر الحديث ، ونضاله لتحرير نفسه من المفاهيم الروحية التي بثها اللاهوت والاسكولائية عميقاً في أذهان الناس ، كان فقط يحبو لفهم العالم كوحدة مادية •

إن ديكارت بفكرته عن عدم انفصال الوجود والفكر ، وفرانسيس بيكون ، الذي لفت الانظار الى أهمية التجربة في معرفة العالم ، جعلا الفكر العلمي ثورياً ، ففتحا له الطريق لينفذ الى طبيعة الأشياء •

وعلى الرغم من أصالة حدسهما وحدته ، ظلا مقيدين بصورة كبيرة بمستوى الفكر الذي وصل اليه عصرهما • إن الثنائية الترانسندنتالية والفهم الميكانيكي في آراء ديكارت عن العالم الحي منعاه من تقديم صورة ديالكتيكية عن الواقع • وبطرح قضية تلاحم الفكر والوجود شجع على البحث في علاقتهما • وتوفرت لدى معاصره الاكبر بيكون عبقرية فهم المطلب الرئيسي لفكر العصر الجديد ـ الحاجة إلى البحث التحليلي للواقع •

كتب هرزن في « رسائل في دراسة الطبيعة » أن المبدأ الأساسي لفلسفة بيكون هو « أنه يبدأ من الخاص ، من التجربة ، من ملاحظة الظواهر ، ويصل إلى التعميم، الى جمع كل ماحصل عليه • إن التجربة ، بالنسبة لبيكون ، ليست فهماً سلبياً للعالم الخارجي مع ظروفه الملازمة • بل العكس تماماً إنها التفاعل الواعي للفكر والأشياء الخارجية ، إنها نشاطهما معاً ، هـذا النشاط الذي بتطوره ، لا يسمح للفكر أن يستخلص النتائج التي لم تهيئها التجربة ، ولا يسمح للتجربة أن تبقى تجميعاً آلياً لوقائع آلية لم يهضمها الفكر • وبقدر ما يكون مجموع الملاحظات كبيراً وغنياً ، يكون حق استقراء الاحكام العامة منها عن طريق الاستنتاج أكثر تماسكاً ، ولكن بيكون حالما يكتشفها ، وهو الشكاك الحذر ، يطلب الغوص مرة أخرى في حزمة الظواهر ، بحثاً عن تعميم أو تصنيف •

« كانت التجربة قبل بيكون صدفة ، كانت تستخدم كقاعدة بأندر مما تستخدم كعرف ، دع جانباً التأمل العقلي · لقد قلبها بيكون إلى عامل أولي أساسي للمعرفة ، يصحبه بالنتيجة التطور الشامل للمعرفة ، الذي يفرض ، بصورة سابقة، اثباتاً دائماً ، وبواسطة دقتها التي لا تدحض وشموليتها الملموسة ، فانها فعلت فعل الكابح على ميل العقول المجردة ، لتنقي جو التعميمات الميتافيزيقية · لقد آمن بيكون بالعقل كما آمن بالطبيعة ، ولكن ثقته كانت عظيمة عندما شكلا شيئاً واحداً، لأنه تنبأ بوحدتهما · لقد قال إن الفكر في اعتماده على التجربة ، سوف ينجح يداً بيد مع الطبيعة ، تلك الطبيعة التي ترشد الفكر كتلميذ لها حتى يصبح في حالة تقود الطبيعة الى الوضوح الكامل في الفكر ·

لقد كان ذلك جديداً ، جديداً جداً ورائعاً ··· »(١) ·

لقد اتخذ البحث في العالم الخارجي عدة طرق · وقد امتصت الفلسفة أكثر فأكثر من المعرفة التي جمعها العلم الطبيعي ، الذي كان يعد العدة بالتدريج للثورة الصناعية الكبرى · وأثنـاء ذلك ، وبينما تطورت العلاقات البرجوازية ، وغدت الصراعات الطبقية حادة جداً ، قوي الاتجاه الى تحليل الواقع أكثر فأكثر في الفن والأدب أيضاً ، وهذا يعني ، قبل كل شيء وبصورة طبيعية ، تحليل البيئة الانسانية·

والتحليل ، الذي هو واحد من السمات الأساسية للواقعية ، شرع يتطور في فن النهضة ، هذا الفن الذي أظهر عدة أنماط ، مع الأشكال الغوطية القائمة جنباً إلى جنب مع القصة الأسلوبية والقصة الطريفة ، كما تعكسها أعمال بوغيو براشيليني ومازوشيو دي ساليرنو ، حيث تحولت أقصوصة الحركة التي سادت في العصور الوسطى الى الشعر الساخر لبولشي ، أو البسالة البطولية لملحمة أريوستو « Orlando Furioso » حيث حلت ذاتية الأفلاطونيين الجدد ، والطرائقية والروح الباروكية تدريجياً محل التقليد الشعري الخالص المنحدر من بترارك ·

وقد ظهرت الخطوة التحليلية من قبل في مؤلفات أغلبية كتاب عصر النهضة ـ رابليه وسرفانتس وشكسبير · إن القصة الرابلية ، التي قربت الصلات مع الأدب الشعبي والأسطورة ، وأهملت المنطق الخارجي العقلي في القصص ، قد حلت مشكلة جمالية جديدة وهامة في ذلك الوقت · إن الشخصيات في قصته غارغانتوا وبانتاغريل ، رغم المبالغة والأوضاع الغريبة ، كانت قريبة الى الحياة جداً · إن

(١) أليكساندر هرزن « المؤلفات الفلسفية المختارة » موسكو ١٩٥٦ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ·

القصة لا شك تتضمن فهماً تحليلياً ، وقد ترعرعت في أحضان الميثولوجيا ، ولكنها ـ والحق يقال ـ كافية لتمكن الكاتب من الاحاطـة بالسمات الاجتماعية للبابويـة والسكولائية والحكم الاقطاعي للدولة والأخلاق ، وأهم من ذلك كله ، سمات الانسان الجديد ، مشروطة بالنظرة المبكرة للبرجوازيـة الآخذة في التكون • ومـن بين الشخصيات الرئيسية ، شخصية بانورج ، الذي قال إنه يعرف عدة طرق للوصول الى الثروة ، وبهذه الطرق يكون أعظم شريف عبارة عن لص في وضح النهار ، فهي تمثل بسحرها العجيب عنصراً تدميرياً ، وتجسد القوى الاجتماعية الجديدة الآخذة بالنضج في قلب النظام الاقطاعي • إن ديرتيلما ، الذي يمثـل الفكرة الانسانية لعصر النهضة عن اليوتوبيا ، لا يتفق أبداً مع البانورجية ، مع العلاقات الانسانية الواقعية ، التي لم تكن تتطور كما تمنى رابليه والانسانيون الآخرون • إن ظهور هذا الصراع في القصة يدل على أن رابليه قد أحس بالتناقض الأساسي في الحيـاة الاجتماعيـة ، دون أن يكون حذراً من طبيعتها الحقيقية أو كفة ميزاتها • وعلى كل حال ، إن ثمة حقيقة واقعية هي أن رابليه بكشفه هذا الصراع كان خطوة هامة نحو الواقعية •

وبعد خمسين عاماً يشكل هذا الصراع نفسه أساس دون كيشوت ، الكتاب الذي استرفد العناصر من عدة أنواع مختلفة من العصر ، من النثر الرعوي الفخم ومن الاشعار الساخرة لأقصوصة الحركة حتى القصة السلوكية Tale of manner ورغم واقع أنه خلال تجوال دون كيشوت في الطرقات العارية الصخرية ، يقابل عملياً أناساً من كل مستوى من مستويات المجتمع ، وتسوقه نزهاته الى الفنادق الريفية والقصور الدوقية ، فان القصة لا تقدم صورة كاملة عن اسبانيا في ذلك الوقت • والقصة ، إذا نظرنا الى التفصيلات ، تقدم لنا الأخلاق والحياة اليومية ، إلا أنها أقل أهمية من كتاب مجهول الكاتب يدور حول رحلات الشريد لازاريلو دي تورمي• بيد أن القصة تتسنم قمة أدب ذلك العصر بفضل صفاتها الأدبية وشمولها ، وصراعها الذي يعكس الهوة المأساوية بين الطموح النبيل للانسان من أجل الخير والعدالة ، والحياة كما هي في الواقع •

إن الاتجاه التحليلي ظاهر في قصة سرفانتس أكثر من قصة رابليه ، مع أن العنصر الوهمي يلعب دوراً بارزاً فيها • إن تحليل سرفانتس للمجتمع أكثر دقة من سلفه • إنـه يحلل العلاقات الانسانية بصورة أكمـل ، وينفذ بعمق أكثر الى الأسباب الجذرية للتباين بين المثل الانسانية والواقع • وهذا بسبب أنه يلجأ ، في تحليله جوهر تناقضات عصره ، الى حكمة الشعب ، التي صيغت صياغة شعرية في

شخص سانشو بانزا • ولو أن رابليه آمن بحق أن الانسجام يمكن أن يتحقق في الحياة ، ويمكن أن تحصل يوثوبياتيلما على حكمة دون كيشوت المبثوثة في مكان آخر ، لكانت طريقته كطريقة سرفانتس ، الذي ، بينما يمجد الخير ، يدمر الوهم الذي يزعم إن انتصار الخير ممكن في الأوضاع القائمة •

لقد حاز الناس في فجر العصر الحديث ، على خبرة مرموقة للحياة في مجتمع قائم على الملكية الخاصة • لقد انحنى الأسياد الاقطاعيون أنفسهم ، الذين كانوا يضطهدون العبيد ، للملكية المطلقة • لقد كانت الثروة المتجمعة في الكنوز الملكية تجري وإن ببطء ، إلى صناديق المصرفيين والمرابين •

ولم يكن للفوغريين تأثيراً في شؤون الدولة أقل من عدة رؤوس متوجة في أوروبا ، وقد شنت البرجوازية صراعاً وحشياً لا هوادة فيه ضد النبلاء من أجل مكان لها تحت الشمس •ومخر جمهور كبير من المغامرين عبر المحيطات الهائلةالمجهولة بحثاً عن الدورادو (الذهب) ، لأن الذهب بات مقياس الفضيلة والنظام والحرية والسعادة • وكما كتب شكسبير في مسرحيته « سيد من أثينا » :

الذهب ؟ الذهب الأصفر الرنان البراق ؟

إن كثيراً منه يجعل الأسود أبيض والأحمق ذكياً •

والخطأ صواباً ، والوضيع نبيلاً ، والشيخ فتى والجريء جبانا •••

وخلف جدران المدن الطحلبية المرتفعة ، حيث ينتج الصناع المهرة أعمالاً جميلة أخاذة ، انتشرت الأبنية الهزيلة المنخفضة للمانيفاكتورات حاشدة مجمعاتها• وقسم التفاوت المادي أبناء الشعب • وأصبحت العواطف الأنانية والتعطش للثروة جزءاً من لحمهم ودمهم ، والعامل الأساسي لسيكولوجيتهم الاجتماعية •

وقد صاحب انهيار الأخلاق البطريركية القديمة والتلاؤم مع الأوضاع التاريخية الجديدة ، تعاظم السمات العضوية المستمرة لمجتمع الملكية الخاصة الذي نجم عن البناء الطبقي • لقد عبر ميكلانجلو ، بكلمات نفاذة تدل على طراز المفكرين السابقين للعصر ، عن احساسه بالنصر النهائي للنظام البرجوازي •

ايه ، في هذا العصر الشيطاني المشين ، ألا تعيش

وألا تشعر هو نصيب تحسد عليه

وأعظم شيء هو أن تنام ، وأن تكون كالحجر •

وكما أخذ العلم يقدم للبشرية أعظم معرفة بقوانين الطبيعة ، كذلك الفن والأدب الواقعيان ، ببحثهما في أعمـال الانسان وحياته الاجتماعية والروحيـة ، وأفكاره ومشاعره ، أخذا يلقيان الضوء على طبيعة التقدم التاريخي . إن تصوير شكسبير المتعدد المستويات للحياة قام على أساس الجوهر الحقيقي للعلاقات الاجتماعية . إن الصراع الذي يعتبر مركزياً وأساسياً في مؤلفات رابليه وسرفانتس ، هو نفسه الصراع الموجود في مؤلفات شكسبير ، بعد أن فقد هذا الصراع لونه العادي والخيالي ، واكتسب شكلاً تاريخياً ملموساً ، دون أن يفقد شموليته في العملية ، لأن شكسبير كان مفكراً وفناناً عبقرياً عمّم السمات الأساسية والمستمرة لنظرة الناس الاجتماعية في مجتمع الملكية الخاصة . هذا هو في الحقيقة السبب الرئيسي في أن مؤلفاته واجهت اختبار الزمن .

وعلى كل حال ، فحتى رأي شكسبير في العالم لا يخلو تماماً من المفاهيم الصوفية والوهمية . إن شكسبير غاص في أغوار النفس البشرية ، ومع ذلك تعرض للعديد من الأوهام السائدة في زمنه وعصره . إن فنه توفيقي ، مع عناصر واقعية وغـير واقعية متداخلة . ولكن الشيء السائد في أدب شكسبير هو رسم الشخصيات رسماً واقعياً ، والتصوير الحقيقي الأصيل للبيئة التي ولدت التصادمات الأخلاقية التي تحيط بأبطاله ، وكذلك ـ وهذا أهم شيء ـ فهمه الواقعي للعلاقة بين الانسان والمجتمع . إن الأوضاع التراجيديـة التي يجد أبطاله أنفسهم فيها لا ترجع الى القضاء أو القـدر . إنها دائماً محددة بأسباب مادية ، وأولاً وقبل كل شـيء ، بظروف الحياة نفسها . إن مصـير روميو وجوليت ، والدراما الروحية لهاملت ، ونفور تيمون من العالم ، وفقدان الايمان بالبشر لدى الملك لير أو عطيل ، كل ذلك نتيجة التناقضات الموضوعية في الحياة نفسها . إن الحياة ينبوع التراجيديا .

لقد رأى شكسبير من خلال وصفه آلام أبطاله والصراعات العاطفية الداخلية وتحليل أفكارهم وعواطفهم ، كل التمثيلية الحرة للمصالح المادية ، التي تكبـح طبائع الناس ، وتهز الايمان الانساني الذي تدفعه فوضى الحياة إلى حالة من الانسجام . إن الذم المرير الذي وجهه ميكلانجلو لعصره كان ، ولا شك مفهوماً تماماً من قبل شكسبير . ولكن شكسبير لم يفهم فهماً بسيطاً دراما العصر التي كانت « خارج كل رابطة » بالالتفات الى الينابيع الحقيقية للمشاعر والأفكار والأفعال الانسانية ، فقد بين أن فقدان الانسجام ناجم عن بناء المجتمع نفسه . واذا كان قد مال بعواطفه الى بروسبيرو ، فقد فطن بعقله الى أن شيلوخ يمكن أن يكون تماماً رجل المستقبل .

وحتى يصور المجتمع كمسرح حرب بين المصالح المادية المتصارعة ، فقد ذهب الى الدراسة التحليلية للمجتمع ، فأرسى بذلك حجر الأساس للواقعية ٠

وبعد شكسبير ظهر في الساحة تدريجياً الاتجاه نحو دراسة الحياة الاجتماعية دراسة تحليلية ، رغم حقيقة أن ثمة فترات كاملة احتلت فيها الساحة الاتجاهات غير الواقعية الأخرى أمثال الباروكية والسلوكية والكلاسيكية ٠ إن هذا الاتجاه يتفق وروح العصر ٠ وعندما أثبت جون لوك أن ليست هناك أفكار فطرية فيالفكر البشري ، تلقاها من قوة خارجية عليا ، أجبر التفكير الاجتماعي على البحث في بيئة الانسان ، التي هي القوة المحرضة الأساسية التي تحدد طريقته في التفكير وتقيد أفعاله٠لقد رأى لوك في بيئة الانسان أولاً وقبل كل شيء مجالا لممارستهالاجتماعية ، هذه البيئة التي عليه أن يعرفها بصورة أساسية ، وإلا بات معدوم الحول في مواجهة قوى مجهولة تهيمن على حياته ٠ إن بحث الفن في النشاط الانساني بمعناه الواسع أدى أخيراً في الواقعية الى اكتساب سمات متميزة واضحة وظهور الواقعية كطريقة خلاقة ٠

في القرن الثامن عشر ، في الفترة التي أدت الى الثورة الفرنسية ، حيث تم الانهيار النهائي لبناء الاقطاعية الاقتصادي والايديولوجي ، حققت الواقعية خطوة الى الامام ، من تصوير الحياة اليومية والسلوك الذي يرسم الوجود الاجتماعي ٠

إن مؤلفات الكتاب الواقعيين الأوائل ، الكبار والصغار ــ أمثال ريتشاردسن وديفو وسموليت وفلدينغ وسويفت وستيل وديدرو وغوته وليسنغ وميرسيه وماريفو والكثير غيرهم ــ تمكننا من تحديد السمة البارزة الأساسية للطريقة الجديدة ، وهي الفرق الأساسي بينها وبين بقية الحركات الأدبية الأخرى ٠

كان جوهر الواقعية التحليل الاجتماعي ، أي دراسة حياة الانسان في المجتمع وتصويرها ، ودراسة العلاقات الاجتماعية ، والعلاقة بين الفرد والمجتمع ، وبناء المجتمع نفسه ٠

لقد أخذت الواقعية مضمون كل الفنون والآداب ــ تصوير العالم والأفكار والمشاعر الانسانية ــ وجعلته مبدأ ، وبذلك ارتفع فوق النسخ الحرفي للواقع والتمثيل الذاتي للطبيعة الانسانية كملعب للعواطف الطليقة ٠ إن الواقعية لا تعزل الانسان عن البيئة الاجتماعية التي يعيش ويعمل فيها ، ولكنها بدلاً من ذلكتتصدى لفهم ديالكتيك العلاقات الاجتماعية مع تناقضاتها الواقعية وتصويره ٠ وتماماً كما

أن التحليل الطيفي يمكن الفيزيائي من اكتشاف أسرار حركة المادة ، كذلك التحليل الاجتماعي ، الذي هو جوهر الواقعية ، يمكن الكاتب أو الفنان من ادراك السمات الجوهرية للحياة والسعي الى فهم قوانينها • وكلما أمعن الواقعي في فحص الواقع والبحث في الروابط بين الأحداث التي يصفها في أثره ، ازداد الواقع الذي يعيد انتاجه حيوية واقناعاً ، لأنه لم يفهمه عاطفياً فقط ، بل شرحه وعممه أيضاً •

إن الكاتب الواقعي يفحص النموذج العام للحركات والحركات المضادة لشتى القوى الاجتماعية وراء الأحداث والظواهر الفردية • وهكذا نجد أن الواقعية تقوم على معرفة الكاتب للواقع • وكما وضع شللي القضية مرة : « حتى ينتزع المرء الظاهرة السائبة ، عليه أن يربطها بعظام القانون ، أن يقطع الجسد الجميل الى مفاهيم ويحافظ على روحه الحية في اطار العمل اللفظي » • إن العنصر الثقافي الذي يتخلل المؤلفات الواقعية يتطلب من الكاتب أن يكون ذا نظرة ثاقبة لا لبس فيها في الحياة ، لأن تعميم الحياة والناس كما هم تماماً أمر مستحيل اذا كان الكاتب يقدم بديلاً للواقع ، أو إذا كان يعامل جوهر الاحداث والظواهر التي يفحصها بطريقة تعسفية وذاتية • إذا كان التحليل الاجتماعي للبيئة التي تتحرك فيها الشخصيات واقعياً ، فان على الكاتب أن يرى وأن يصور الواقع في مظاهره المحددة النموذجية التي تقدم موضوعياً في ميدان العلاقات الاجتماعية الانسانية ، منكسرة خلال موشور التشخيصات الفردية • ولقد ألح انجلز على أن هذا كان المطلب الرئيسي للطريقة الواقعيـــة •

إن المبدأ الواقعي للنموذجية يشـــمل السببية التي توجد في عالم الظواهر الاجتماعية • وبما أن الحياة الانسانية وحياة المجتمع هي التي تشكل المادة الأساسية للعمل ، فان العالم الداخلي للبطل ، ومجموع سماته الفردية التي ندعوها شخصية، يفحصها الكاتب الواقعي ويصفها على اعتبارها انتاجاً لظروف عديـــدة نموذجية ، ترتبط بعلاقة سببية مع المصير الشخصي للبطل • وهكذا فان الشخصية النموذجية نوع من الاشتقاق من القوى الاجتماعية • ان الشخصية النموذجية للبطل تجمـــع السمات المحددة الرئيسية للبيئة التي أنتجته ، ومن خلاله وخلال حظوظه الشخصية تتجلى سمات تلك البيئة •

إننا لانجد هذه النموذجية للشخصيات في المؤلفات غير الواقعية • وهكذا فان راسين ، أستاذ تصوير الشخصية ، كان ــ مثل موليير ــ كلاسيكياً في نظراته الجمالية وطريقة الخلق الفني • الا أن كلاسيكية موليير كانت تقوم على روابط وثيقة مـــع

العنصر الشعبي ، ولشخصياته سمات تاريخية ملموسة شرحها الى حد ما بالتحليل الاجتماعي • لقد بالغ في شخصياته الى حـد الكاريكاتير ، فينقصها العمق لتكون واقعية تماماً • انها أحادية الجانب ، تسيطر عليها عاطفة واحدة ــ مثال ذلك ، الجشع في شخصية هرباغون ، والنفاق في شخصية تارتوف • إن هذه الشخصيات أحادية الجانب لأن موليير كان يسترشد بعلم الجمال والفلسفة العقلية الخاضعين للكلاسيكية • ومع هذا فان عند شخصياته ، التي أصبحت لفظية ، شيئاً ما تفتقر اليه شخصيات راسين • هذا « الشيء ما » هو نتيجة المحاولة المحددة لاستيعاب السمات الشاملة مثل الجشع والنفاق في سياق المشهد الاجتماعي المعاصر • وهذا هو السبب في أن موليير ، رغم أنه كلاسيكي ، يعتبر بشيراً للواقعية في الأدب الفرنسي الحديث•

لقد ركز تلميذبورت رويال ،من جهة أخرى ، على تحليل العواطف والمشاعر الانسانية • ولكن لافيدرا ولا هيرميون ولا روكسانا ولا افيجيني ، ولا أي شخصية أخرى من شخصيات راسين ، على غناها وامتلائها ، قد أصبحت نموذجية • إن الرجال والنساء عنده قد انتزعوا وفصلوا عن المجتمع ، عن الحياة الفجة الظالمة للمجتمع الفرنسي في فترة الحكم المطلق • وكمـا قال المؤرخ الأدبي السوفياتي المشـهور ف ــ غريب : « إن مؤلفات موليير تعكس الصراعات والقضايـا الرئيسية للقرن السابع عشر • أما كورنيل وراسين فقد استوعبا النتائج النفسية لقضايا عصرهما الاجتماعية الكبرى • ان من المستحيل أن تشير بالاعتماد على راسين الى هذه القضايا وماذا كانت في الواقع التاريخي الحقيقي ، أو ماذا كانت المادة الحقيقية للحياة التي أخذت طريقها الى مسرحه »(١) • ومن الطبيعي أن شخصيات مآسي راسـين ، والعواطف التي تعذب نفوسهم كانت نتاج عصره • ولكن شعورهم كما رسمه راسين كان مصفى وساميا الى درجة تجريده من الحياة • لقد جردت من مادة الحياةالحقيقية الأصيلة ، وهكذا رغم احتمال وجود الشخصيات والاحداث نجد أن مسرحياته ليست من حيث الأساس واقعية •

إن مسرحيات راسين تعتبر من عيون الأدب • فقد احتفظ بحدود الكلاسيكية ، وأجاد استخدام الوسائل التي وضعتها تحت تصرفه ، وأبدع مؤلفات على درجـة كبـيرة من الجمال والانسجام الداخلي ، رسمت العواطف التي تتحكم بالعلاقات الانسانية ، والتناقضات والتصادمات في العالم الأخلاقي للفرد • ولا شيء غـير نظامي حول هذا ، لأن التأثير الجمالي يمكن أن يتحقق في الأدب بشتى الوسائل ،

(١) ف غريب ــ المؤلفات المختارة الطبعة الروسية موسكو ١٩٥٨ ص ٣٥٧ •

وهذا التأثير هو سر القدرة على التطور ، ووجود مختلف الاتجاهات والحركات ، وكل اتجاه يختلف في مبادئه الجمالية ، وفهمه الايديولوجي والجمالي لادراك الواقـع وتصويره ·

من الطبيعي أن ينجم عن وجود مختلف الاتجاهات والحركات جنباً الى جنب عداء وصراع بينها ، وكذلك تأثير متبادل في العديد مـن الحالات · وخلف تنوع المبادىء الجمالية التي تأخذ بها شتى الحركات الأدبية (وغالباً اطار حركة محددة) يكمن ديالكتيك التناقضات الاجتماعية ، إن تباين المنازع الاجتماعية تجد تعبيرها الجمالي في الفن · ليس تاريخ الفن والأدب أنشودة ريفية هادئة : إن هناك تضارباً عنيفاً للأذواق والآراء والمفاهيم الجمالية تسير عبر مجراه ·

وبارساء ليسنغ علم الجمال الواقعي ، الذي يرفض كلاً من النسخ الطبيعي للواقـع والتعميـم المجرد لظواهر الحيـاة ، قـدم مجهودات كبرى في كتابيـه (laocoon) و (die Hamburgische Dramaturgie) ليثبت أن مضمون المؤلفات الكلاسيكية وشكلها لا حياة فيهما ، وأن العواطف قدمت بطريقة رنانة ، وأنالاسلوب كان خطابياً ، وأن المثل الاجتماعية كانت عقيمة ·

« إن راسين يتحدث بلغة المشاعر · وبالطبع اذا نحن وافقنا على تلك الفرضية فلا شيء عليه · ولكنني لا أدري أين ومتى تتحدث المشاعر بمثل هذه اللغة · إن هذا تصوير مستهلك للمشاعر ، ولكنه لا يكون أبداً أو قلما يكون حركات غـير مزوقة وحيوية وفورية للروح ، بحثاً عن الكلمات وايجادها » (١) · وهكذا دافع هردر عن مبادىء الفن الواقعي · ورغم الطبيعة الجدلية الحادة لهذه الكلماتالصادرة عن مفكر وديمقراطي عظيم ، فانها قائمة على أسباب تاريخية موزونة وليس على نزعة ذاتية ·

على الرغم من أن الرومانسيين السابقين في القرن التاسع عشر ساهموا مساهمة كبيرة للأدب العالمي ، فانهم لميخلقوا شخصية نموذجية واحدة · ففي اشعار بايرون، باحتجاجها الاجتماعي العنيف ، ليس البطل سوى تجسيد لعواطف الكاتب وآرائه السياسية أكثر من أن يكون شخصية بالمعنى الحقيقي للكلمة · إن السمات النموذجية في شخصية البطل أخذت بالظهور مع بيبو ، أي بطل القصيدة التي حددت انتقال بايرون من الرومانسية الى الواقعية ·

(١) هردر « شكسبير » ص ٧٣ ـ ٧٤ ·

لا الرومانسيون الفرنسيون ولا الرومانسيون الانكليز قدموا أي شيء يمكن أن يقارن بالكمية الكبيرة للشخصيات النموذجية التي نجدها في مؤلفات الكتاب الواقعيين ، الذين تتضمن قصصهم الملحمية تحليلاً عميقاً نفاذاً للبيئة الاجتماعية ، للظروف النموذجية التي تحدد نصيب أبطالهم · وعلى كل حال فان الرومانسيين فهموا وقدموا سمات محددة وتناقضات المجتمع البرجوازي الذي لم يكن الكتاب الواقعيون قد وعوه مباشرة · ولن يستطيع الواقعيون ، لولا مساهمة الرومانسيين قبلهم ، أن يحققوا مثل هذا التقدم في تحري التاريخ الحي لعصرهم ·

وإذ تمكن الواقعية من تصوير الواقع تصويراً موضوعياً ، باعتبارها طريقة خلاقة تجعل في الامكان تحليل البيئة الاجتماعية والعلاقات السببية التي تنشأ ، فان لكل كاتب واقعي نظرته الفردية الخاصة في العالم · إن نظرته في الأحداث وفهمه للحياة والتاريخ يعكسان موقفه من الصراع الاجتماعي المعاصر الذي يشارك فيه بصورة حتمية ·

إن الأثر الأدبي الذي يصور الواقع مضطر الى أن يعكس أيضاً نظرة الكاتب الشخصية ، والكاتب ليس مؤرخاً حيادياً لعصره ، بل إنه دائماً يرود المثل التي تجسد في رأيه حكمة عصره · ومن الطبيعي أن فهم التاريخ عند الكاتب فهماً ذاتياً يتطابق بصورة مطلقة مع مادته الموضوعية ·

وعلى كل حال ، فان الكتاب الواقعيين ، بتحريهم تطور الواقع الدائم التغير وتحليل العلاقات الاجتماعية ، أنتجوا صورة جمالية للحياة الاجتماعية والفردية المعاصرة ، طالما أن المبدأ الأساسي للطريقة الواقعية ، أي المعرفة الفعالة ، قد قدم منجزات جديدة هامة · كان الواقعيون قادرين على تصوير الصراعات الأساسية لعصرهم ، المشروطة بالعالم الداخلي لأبطالهم ، لطريقة تفكيرهم · وسلوكهم ، ورؤية منابع الاثم الاجتماعي الذي له تأثير مدمر على الشخصية الانسانية · ولذلك فان الادراك الانساني للواقع يبرز الواقعيين الذين قاموا بتحليل اجتماعي للحياة في عصرهم طبقاً لفلسفة فردية في الحياة ·

هذه السمة المميزة لواقعية ما قبل الاشتراكية كانت واضحة في المراحل المبكرة لظهور الطريقة في فترة الثورات الفرنسية والانكليزية ·

كان شعار القرن الثامن عشر هو شعار التقدم البرجوازي ، الذي كان منفذاً لتدمير البناء الاقتصادي والاخلاقي للنظام الاقطاعي · كانت المهمة التاريخية

الرئيسية للعصر هي تحويل المجتمع • وكانت أفكار الحرية المدنية تهب مع الريح، وكانت أفكاراً عظمية ، تبشر بمرحلة جديدة في تطور المجتمع الانساني •

وإلى أن كشف المجتمع البرجوازي الوليد عن تناقضاته ، كان يجري الترحيب به من قبل الفلاسفة والكتاب المرتبطين بالحركة الديمقراطية للعصر كشكل مثالي وكامل للحضارة ، يؤمن انسجام المصالح الفردية • وصعدت الى المقدمة فكرة الحرية أو الانسان « الطبيعي » ، الانسان المستقل عن الأخلاقية المطلقة والمفهوم الكهنوتي والاقطاعي للواجب تجاه السلطة الاقطاعية ، تجاه الفرضيات الأخلاقية والسياسية للنظام الاقطاعي المحتضر •

كان الانسان « الطبيعي » حراً من عقائد الملكية المطلقة التي تدعو اليها الكلاسيكية • لقد كان ايديولوجيو الطبقة الثالثة يعتبرونه كائناً يتمتع بصورة طبيعية بمثل هذه الفضائل الجديدة كالشرف والمغامرة والمثابرة • لقد كانوا يعتبرون جوهره الداخلي ، وليس ذلك الذي يأتي من الخارج ، أي الذي تزرعه فيه الأخلاق الاقطاعية •

إن أبطال فيلدنغ الصاخبين باندفاعهم المتمتع بالحياة ، وروبنسون كروزر الحكيم العملي كانوا ممتلئين بنعمة التفاؤل التاريخي • إن توم جونس يتصرف كما تملي عليه طبيعته ، واذا كانت طبيعته أحياناً تتخلى عنه ، فتدفعه الى التصرف بلا تفكير أو بصورة خاطئة ، فانه ولا شك يعتمد على فضيلته الحقيقية : إنه يكشف الطبيعة الانسانية كما هي بكل بساطة •

وعندما ترك روبنسون كروزو وحيداً ليعارك العناصر ويبني حضارة كاملة في جزيرته ــ ولكن لنعلم أنه استفاد من الخبرة المجمعة السابقة للبشرية ــ وتبقى روحه « الطبيعية » الأساسية سليمة ، وتخرج منتصرة من كل التجارب •

إن الواقعيين الأوائل ، بشخصياتهم الفعّالة المستقلة التي تتمتع بالاندفاع الشديد والتماسك ، عكسوا في مؤلفاتهم السمة الرئيسية لعصرهم ــ ظهور انسان جديد ، يختلف اختلافاً أساسياً عن البطل المصفى للكلاسيكية • لقد كان خلق انسان جديد انتصاراً كبيراً للواقعية ، انتصاراً لا يستطيع انجازه في الحقيقة سوى الواقعيين، لأنهم كانوا يبحثون ويحللون البيئة الاجتماعية •

وعلى كل حال ، بينما حقق الواقعيون الاوائل نجاحات مرموقة في رسم

الشخصيات الجديدة ، فان وصفهم للبيئة كان تجريبياً في عـدة وجوه • إنهم لـم يستخلصوا روح العالم المحيط بهم ، الذي كان بالنسبة إليهم ليس موضوعاً جمالياً مستقلاً كما هو في الواقعية الحديثة • لقد كان نثرهم دقيقاً ومصنفاً ، وقد أبرزوا المواقف ، ولكن بغير ظلال ماهرة ولا تفصيلات• إن قصة روبنسون كروزو في جزيرته هي استقصاء حقيقي رزين لرحلة عمل أكثر من أن تكون وصفاً أدبياً لعالم إزاء • وهذا الفهم العملي الرزين يميز أيضاً نثر سموليت وسويفت ، وقـد أصبح عند الأخير بدعة أسلوبية أصيلة ، تنسجم تماماً مع الذوق الجمالي للعصر •

إن التجريبية هي أهم سمة تميز الأوصاف الواقعية الأولى للبيئة • ويمكن أن نلمس هذا في ابراز نفسية الأبطال ، الذين ينكشفون من خلال أعمالهم أكثر من أعمال عقولهم وقلوبهم الداخلية • لقد كان القارىء يتوقع أن نمجد حياة البطل الداخلية من أفعالة ، لأنها ليست شخصية مثـل السمات الشاملة التي كانت تهيمن على سيكولوجية الشخصية إن الحياة الروحية للشخصيات لـم تكن قد خضعت بعد للتحليل العميق في النثر الواقعي المقرن الثامن عشر ــ دعك عن جوانب عديدةأخرى• ولم يكن ميدان الحياة الشخصية قد جرى البحث فيه الى أن حل القرن التاسععشر•

في الواقعية المبكرة ، سارت التجريبية في رسم الواقع يـداً بيد مع الاتجاه الواضح لجعل البطل مثالياً • وليس هذا ، للوهلة الأولى ، أكثر من تناقض غريب نشـأ من مفهوم الحريـة الذي تبنته الواقعية ، التي كانت قائمة عـلى الأخـلاق والفلسفة التنويرية •

إن كلمات روسو « خلق الانسان حراً ، ومع هذا فهو مكبل بالأصفاد في كل مكان » قرعت في منتصف القرن مثل ناقوس الخطر • هـذه الصيغة القوية التي أعلنت أن الحرية حق طبيعي للانسان الطبيعي ، عبرت عن جوهر العصر الحقيقي ، ونجمت عن الاختمار الثوري الذي اجتاح أوروبا عشية الثـورة الفرنسية • لقد استوجب الانعتاق من المبادىء الأساسية الخانقة للاقطاعية التي كانت تزيد بؤس الشعب ، وظهرت الحاجة الى تغيير بنية المجتمع • إن ايديولوجيي الطبقة الثالثة لم يأخذوا بعين الاعتبار المظهر العملي للقضية • إن كل شيء يبدو بسيطاً تماماً : تحررالانسان من الأصفاد ، وسوف يصبح أبدأ المواطن الحر للمجتمع المنسجم ، ما دمنا نعتبر كل الناس ، من وجهة القانون المجرد ، متساوين منذ الولادة •

في الحقيقة ، لم يكن الانسان حراً منذ الولادة ، أو حتى قبل ولادته • لقد

تجاوز روسو واقعاً بسيطاً هو أن الطفل الذي يطلق صيحته الأولى في زريبة الفلاح الوضيعة ، ليس حراً ، مادام يرث حتماً ، ليس فقط مظهر والديه ، بل أيضاً وضعهما المـادي • والطفل الذي يولـد في قصر نبيل أو منزل تاجر محترم اكثر حريـة منذ البدايـة •

لم يكن الانسان يولد حراً ، ما دام المجتمع الذي عاش فيه والموجود قبله ، يصون التفاوت المادي ،ولذلك لا يمكن أن يحوز مساواة الحرية الحقيقية •

لقد بحثت البرجوازية عن حريتها الخاصة من أجل نفسها ، وعندما كسبتها أخيراً ، حصرتها بقوانين غدت قدس أقداس الديمقراطية البرجوازية • وقد قدمت المادة السادسة من الدستور الفرنسي ١٧٩٣ ، الذي وضعته الثورة البرجوازية ، تعريفاً كلاسيكياً للحريـة كما فهمتها الطبقة الثالثة التي استولت على السـلطة : « الحرية هي حق الانسان في أن يفعل أي شيء لا يضر بحقوق الآخرين » • وفي المادة السادسة عشرة تلقت هذه الأطروحه الأخلاقية دعماً سوسيولوجياً واضحاً • فقد سمحت للانسان « الطبيعي » أن « يستخدم ويتصرف بممتلكاته ودخله كما يراه مناسباً » • وهكذا فان حرية الانسـان في أن يفعل ما لايضر بمصالح الآخرين ، المثال الأخلاقي الذي أعلن في الميثاق ، قد شرعت حرية غامضة ، لأنها ثبتت عـدم خرق مبدأ الملكية الخاصة ، المبدأ الأساسي لمجتمع قائـم على الاستغلال • وبهذه الطريقة وقف الانسان ، في الحقيقة ، بعيداً عن المجتمع ، ويكتسب ضمناً حق شن الحرب على جاره وكل المجتمع ، لأن « ما يعتقده مناسباً » مرتبط بالصراع مـع « ما يعتقده مناسباً » أعضاء آخرون من المجتمع •

لقد كشف ماركس بصورة رائعة الفتوى المعقدة لفكرة البرجوازية عن الحرية• فقد كتب مقابلاً الحرية الحقيقية مع مفهوم الاجبار الاجتماعي للمواطن كما هو مجسد في دستور ١٧٩٣ : « ••• وهكذا فان حق الحرية ليس قائماً على الوحـدة الانسانية ، بل على العكس ، انه قائم على العزلة الانسانية • إنه حق هذه العزلة ، حق الفرد المحدود » ويتابع « حق الانسان في الملكية الخاصة هو حق استخدام ممتلكاته والتصرف بها كما يرغب ، من دون النظر الى الآخرين ، إنه حق الأنانية »(١) ••

وهكذا نجد أن حقوق الانسان الطبيعي ، أي « الحر » ، التي يفترض أن تكون الطبيعة هي التي منحتها له ، قد سيجت الآن باطار حديدي من القانون ، الذي

(١) ماركس وانجلز : المؤلفات • الجزء الاول ص ٣٦٤ •

لجأ ، من أجل الحفاظ على مبادئه من أولئك الذين قـد يرغبون في تقديم الحرية الحقيقية للجميع ، وليس فقط للانسان صاحب الملكية ، الى آلات من أمثال المقصلة (في حالة البرجوازية الفرنسية الآكثر تقدمية) والمشنقة (التي تفضلها البرجوازية الانكليزية الأكثر محافظة) ٠

كانت المقصلة في انتظار البابوفيين ، أعضاء مؤامرة المتساوين الذين أعلنوا الحرية للجميع ، وكانوا رواد فكرة التنظيم الشيوعي للعلاقات الاجتماعية ٠ لقد رأت البرجوازية الفرنسية في كراشوس بابوف عدواً مخيفاً أكثر من كل المهاجرين الى كوبلنز ٠

وقد اختصر قانون البرجوازية المنتصرة الجزء الثاني أيضاً من صيغة روسو ٠ لقد أزيلت حقاً أصفاد الاقطاعية ، ولكن الانسان « الطبيعي » وجد نفسه ، وكله خوف وحيرة ، وقد ناء بأغلال أكثر أناقة ودقة في الصنع من الأصفاد القديمة الجلفة التي كان يصنعها الرق الحداد في مستودع السيد ٠

إن منطق التاريخ الذي لا يرحم كشف القناع عـن الانسان « الطبيعي » ليفضح البرجوازي النبيل المثالي ، فاذا هو عبد مصالحه الشخصية الأنانية ٠

كان هذا ، اذن ، الديالكتيك الواقعي لتطور المجتمع الطبقي البرجوازي ، الذي ظهر في مملكة الأيديولوجيا والوعي الاجتماعي على شـكل تناقض بين فكرة الانسان « الطبيعي » كما ظهر لمفكري عصر التنوير الثوريين ، والمضمون العملي لهذه الفكرة ٠

كان البرجوازي الواقعي منشغلا بالمضاربة والصفقات المالية المنظمة ، ويقرض المال بالفائدة للارستقراطي الطائش المبذر الذي لا يفكر في الغد ٠ لقد عبد الطرقات وبنى السفن التي أرسلها الى بلاد نائية عجيبة فاح منها عبـير أحمال الذهب وجوز الهند والحرير المسكر الذي أدار رأس الـ (Pater Familias) المحترمة ، فشجعه هذا على القيام بمشاريع خطرة ٠ واستوعب البرجوازي الواقعي فوراً الامكانات التي تقدمها الآلات بالمقارنة مع الايدي البشرية ، فنظم المشاغل متعلماً كيف يحول طيبة العمال الى محفظة نقود قاسية ٠

إن التناقض بين الفكرة الاجتماعية عن الحرية والواقع كان لغزاً بالنسبة للعديد من الكتاب الواقعيين ، ما داموا قد رغبوا بجد ، في انعكاس طريقة الجماهير الديمقراطية العامة ، أن يروا المجتمع الجديد مجتمعاً منسجماً ٠ ومع أنهم كانوا

مفكرين برجوازيين ، بالحدود التي تتضمنها البرجوازية فانهم أبرزوا في مؤلفاتهم التباين الاجتماعي الحاد للعصر والنقص الكبير للنظام الاجتماعي ، لذلك تركوا الدلالات التافهة ·

ولكن الواقعيين الأوائل كانوا ميالين الى أن يعزوا نقائص التنظيم الاجتماعي الى نقص الطبيعة الانسانية ، والصفات الطبيعية التي تحتاج الى تصحيح وتثقيف بروح العقل · هذا الاتجاه الطبيعي الى جعل البطل مثالياً عكس الاندفاع الثوري الموضوعي للعصر والايمان بالجماهير الشعبية وتعليق الآمال عليها ، وكان الفن الواقعي قد صاغ معتقداتها بأن الانعتاق من المؤسسات الاقطاعية يمكن أن يحرر الشعب كله تحريراً تاماً ·

إن الميل الى جعل البطل مثالياً كان أيضاً تعبيراً عن الأهداف الديالكتيكية للأيديولوجية التقدمية التي أنتجت الانسيكلوبيديا ونظام الطبيعة لهولباخ واليوثوبيا التربوية لكتاب أميل على أمل أنه اذا تغيرت الآراء والأفكار السائدة في المجتمع ، فان المجتمع نفسه يمكن أن يتغير نتيجة ذلك ويكتسب ما كان ينقصه من انسجام وعدالة · فلو زرعنا ، على حد إيمان التنويريين ، أفكاراً عقلية في أذهان الناس ، لأمكن تحويل المصالح الآنانية الدخيلة الى مصالح عضوية منسجمة ، وعندئذ يساهم الأدب والفن ، بما لهما من قوة تأثير عن طريق الصور الحية ، في ثقافة المجتمع · وهذا هو السبب في أننا نجد في مؤلفات واقعيي القرن الثامن عشر نزعة تعليمية وعنصراً أخلاقياً قوياً · وهذا لا ينطبق فقط على الأمثلة الواضحة ، مثل كانديد لفولتير ، حيث تتقابل أخلاق العقل والأخلاق غير المعقولة السائدة في المجتمع · هناك أيضاً عنصر ديالكتيكي قوي مصنوع في فبارك من نوع مؤلفات مول فلاندر لديغو وبرية يوناثان لفيلدنغ ، وكذلك في روايات ريتشاردسن · وحتى في مسرحيات بومارشيه ، التي تتدفق بالتمتع بالحياة (Joie de Vivre) هذا التمتع الثوري العامي ، وتمجد مهارة الطبقة الثالثة وحذرها وطاقتها ومهارتها العملية ، أدينت الأخلاق الاقطاعية من وجهة نظر أخلاق البرجوازية الثورية ·

في الواقعية المبكرة ، سارت الحملة الأخلاقية يداً بيد مع نقد الأخلاق الاجتماعية · وكان هذا طبيعياً تماماً ، لأن العالم الاقطاعي والوعي الاقطاعي إذ يعكسان انحطاط النظام القديم ، كانا على الأقل يحافظان ويدعمان المبادىء الأخلاقية · وبينما كان المقلدون المحزنون للمسرحيين الكبار في القرن الثامن عشر يحاولون رفع فكرة السيطرة الاقطاعية ، مع تيار من التراجيديات المفخمة البراقة

الطنانة ، مصعدين العواطف البائسة للنبلاء المتفسخين ، كانت بقية الأدب الارستقراطي تمثل الابيقورية المبتذلة والطيش السخيف • لقد كان العالم الاقطاعي يقترب من نهايته في جـو بعيد عن الوقار • لقد حلت ملذات الجسد محل المفاهيم الدقيقة للأخلاق التي كانت تؤلف العمـود الفقري للتراجيديا الكورنيليـة • لقد أخفت الأرستقراطية فسادها وافلاسها الروح وراء سـتار الدماثـة ، وتحت أطباق من المساحيق والزخارف والتجميلات • وقد سخر الشعر التافه وكوميديات الصالون في مواقف تقرب من قلة الحياء من المبادئ التي كانت البرجوازية تقدسها وتصونها ، مثل الحياة العائلية ، والأسرة ، والثقة الزوجية ، والتوفير والاقتصاد ، واحترام الصغير للكبير ••• وهلمجرا •

إن الأدب الديمقراطي الثوري ، في فقده الأخلاق الاقطاعية الارستقراطية ، لم يحصر نفسه في نطاق فضح الأسس الأخلاقية للمجتمع القديم • وقد ساهمت آثـار عديدة مثـل Kabale und lieble لشللر ، و le Neveu de Rameau لديدرو ، وقصص غودوين وكريبلون ، ومقالات ستيل وأهاجيه ، في كشف نقائص النظام الاجتماعي القائم ، من خلال نقد الأخلاق • ولكن بينما حققت الواقعية المبكرة بعض المنجزات الكبرى لصالحها نظراً لادانتها النظام القديم واتجاهه الاخلاقي ، ولاقت تأييداً في التخمر الثوري للعصر ، وبينما ألهمت مواقف المعارضة الاجتماعية آثار كبار الكتاب والمفكرين في القرن الثامن عشر ، ورافق ذلك نضال الجماهير الاجتماعي ، فان الأدب البرجوازي الوليد عكس التنافر بين الفكرة المثالية الاجتماعية عن الحرية وتحقيقها العملي بدقة وثائقية • وجنباً الى جنب ، مع تطور الرواية ، ملحمة العصر الجديد ، تطورت الدراما ، التي طردت بالتدريج كلاً من التراجيديا « الراقية » والكوميديا ، اللتين كانتا النوعين السائدين في القسم الأول من القرن ، كما كانتا تلبيان مطالب المجتمع الاقطاعي • وقد حملت الدراما ، أو « الكوميديا المنتحبة » أو « تراجيديا الطبقة الوسطى » كما كانت تدعى يومئذ ، العلائم المميزة لنشأتها البرجوازية •

إن الأساس الواقعي للدراما الجديدة يكمن في تصويرها الاصيل الدقيق للحياة البرجوازية ، وصراع الطبقة الثالثة لتحتل مكاناً تحت الشمس ، في وقت كانت السلطة والمراكز العليا لا تزال في أيدي الطبقات صاحبة الامتياز • إن موضوعها المألوف هـو تصوير الصراع الناشب بين المجتمع البرجوازي والمجتمع الاقطاعي ، والتشخيص الأدبي لهذا الصراع استوجب البحث في البيئة وتحليلها • إن الطبيعة

الواقعية للصراع الرئيسي في الدراما البرجوازيـة كانت تتسم بالدقة في تقديم تفصيلات الحياة اليومية ، وطريقة حياة الأسرة البرجوازية ، والبيئة الاجتماعية ٠ وعلى كل حال ، كانت « الكوميديـا المنتجة » لا تزال تتسم بالعقلانية أكثر من الأبطال « الأصليين » مع ميل الى الفلسفة ، والأخلاقية الواضحة الطويلة النفس ٠ إن مبدعي الدراما الأخلاقيـة ـ ليلووديستوتش ونيفودي لاشوسي وحتى ديدرو ولسنع ـ لم ينجحوا في التغلب على الطبيعة الفجة الطبيعية لـ « الانسان الطبيعي »، أي البرجوازي ، رغم المبالغة المتعمدة في ابراز صفاته الايجابية ٠ إن التناقضات الجمالية للدراما البرجوازية كانت تناقضات ايديولوجية ، لأن الهدف الذي تصدى له مبدعوها ، وهو جعل الانسان الفردية انساناً شاعرياً ، كان هدفاً مستحيلاً ٠ لم يكن البطل الواقعي لـ « الكوميديا المنتحبة » موضوعاً ملائماً للشاعرية ٠ إن نشاطاته العملية كانت تقوم على المصلحة الأنانية ، وكان وجهه الحقيقي أقصى مايكون عن الشكل المثالي الذي تخيله مبدعو الدراما البرجوازية ٠ وباعتبارهم واقعيين ، ومراقبين حذرين للواقع ، لم يولوا اهتماماً بالمظاهر السلبية لأبطالهم ، لأنانيتهم ، لقساوتهم ، لضيق تفكيرهم ٠ ولكن بما أن التطور البرجوازي لم يكشف نقائصه الرئيسية ، فان السمات السلبية لأبطال دراما الطبقة الوسطى كانت تعزى بالتدريج، حسب الأوضاع السائدة في تلك الأيام ، الى نقائص الطبيعة البشرية ، التي يمكن أن تتغلب عليها وتصلحها بتوالي الأزمان ٠

وعلى كل حال ، فان الزمن دمر ورفض هذا النموذج الوهمي للواقعية المبكرة٠ إن العملية التاريخية لم تتسم فقط بانهيار الروابط الاقطاعية وظهور المعارضـة الثورية من طرف الجماهير المضطهده ، بل اتسمت أيضاً بتوطيد العلاقات الاجتماعية البرجوازية ٠ إن السمات الجديدة للحياة أجبرت الشعب على النظر بعين الاعتبار الى أسئلة أمثال : ألا يمكن أن تكون الظروف الجديدة سبب النقائص والضعف في الطبيعة البشرية ؟ هل يمكن التغلب على السقطات الانسانية عن طريق المقاييس الدعائية والثقافية ، التي تعمل ، حسب رأي المتنورين الثوريين ، دون فشـل ، مع أنها أظهرت في التطبيق العملي نجاحاً هامشياً محضاً ، وإن لم تفشل كلها معاً ؟

إن التناحر بين التطور الروحي للانسان والتطور الاجتماعي ، الذي يعكس التناقضات الاجتماعية ويشعر به مفكرو العصر وكتابه ، استدعى الشرح والتفسير ٠ فاذا كانت الطبيعة البشرية ناقصة وغير قابلة تماماً للتأثير بالفكر المستنير ، فان الحاجة عندئذٍ تستدعي البحث أكثر فأكثر في الطبيعة البشرية نفسها وفي سيكولوجية

الانسان · لقد نجمت الأزمة في مفهوم الانسان الحديث باعتباره انساناً «طبيعياً» ، عن التطـور البرجوازي الذي غرس الأفكار والعادات المناقضـة لمبـادىء الفضيلة الانسانية المدنية المثالية التي صاغتها أخلاقية عصر التنوير ، فأدى ذلك الى اتجاه بسيكولوجي في النثر الواقعي ، ظهر أولاً في آثار بريفوست وشترن وغوته في فترة كتابه « فرتر » وفيما بعد في آثار شودرلوس دي لاكلوس · لقد اختبر هـؤلاء الكتاب مظاهر الروح البشريـة التي فشلت الرواية التنويريـة في ملاحظتهـا أو تجاهلتها عن عمد ·

لقد أدرك لورنس شترن وكشف التعقيد الحقيقي للقلب البشري · إن أحداً من قبل لم يخضع حركات الروح البشرية لمثل هذا البحث الدقيق · لقد اختبر القلب البشري ، مثل العالم الطبيعي المجد ، من خلال عدسة مكبرة ولم ير فقط جوانبه البراقة ، بل رأى التناقضات التي كان من الصعب أن نجد لها تفسيراً معقولاً · إن كآبة غريبة خيّمت على آثاره · إن العالم الداخلي لشخصياته هو عالم صحي بصورة بارزة · لا شيء يتعلق بالأمراض حولهم ، ولا انحرافات عن الخط السوي · ومع ذلك ، فانهم جميعاً ــ وعلى الأخص القصاص ــ ينقصهم ثقة بالنفس كثقة توم جونس أو بيرغرين بيكل ، اللذين لم يكونا مترددين ، وأبحرا بحبور عبر أشـد أوضاع الحياة تعقيداً · لقد كانت الحياة بالنسبة اليهما كتاباً ، قرآ فيه دون خوف ، وعانيا نزوات الحظ والعديد من تقلبات الحياة ارتفاعاً وانخفاضاً ·

إن أبطال شترن وجدوا الأشياء أقل وضوحاً وبساطة بكثير من أبطال القصص التنويرية · إن أدنى فعل من الافعال كان يتضمن كثيراً من التفكير والتردد · وبينما يتشبث أبطال فيلدنغ وسموليت بالعالم بشجاعة ، ويسيرون مرحين مبتهجين واثقين في شعاب انكلترا ، يقتحمون الفنادق والساحات العامة يمازحون الخادمات البدينات ، باحثين عن الشجار والعراك ، ويشقون طريقهم عبر القنال الى مواخير الاثم في العاصمة الفرنسية ليجدوا سبيلهم محفوفاً بالمشقات والمخاطر فيخوضوها بعزيمة لا تعرف الكلل ، فان أبطال شترن الهامشيين كانوا مشدودين الى عالم أنانيتهم والمحيط الصغير لأصدقائهم ، تزعجهم وتربكهم الحياة ·

كان شترن ، مثل غيره من ممثلي الاتجاه البسيكولوجي في القرن الثامن عشر ، واعياً حذراً لتعقيدات الروابط بين الانسان وبيئته الاجتماعية ، ويشعر أن هذه البيئة ، هذا الواقع ، الذي صاغه التاريخ ليس حسب قوانين الفلسفة ، والأخلاق في عصر التنوير ، بل حسب قوانينه الخاصة ، كان أكثر تعقيداً مما بدا لأنصار

واقعية الأنوار العقلية • وفي الوقت الذي يقوم بتحليل شعور أبطاله تحليلاً دقيقاً ، يبرز جانباً السمة السائدة ممثلة بتفاعلها الأصيل مع السمات الأخرى الأقل أهمية• إن ما كان يميز شتيرن عن معاصريه ، ليس التركيب الأصيل لتريسترام شاندي ، أو المزاج السوداوي الذي أضفى على نثره سحراً فريداً ، بقدر ما كان فهمه العلاقة بين ماهو شخصي وماهو اجتماعي في الحياة • وبينما رفض كوندرسيه أي تناقض بين المصالح الشخصية والمصالح الاجتماعية ، ورأى صيانة التقدم في انسجام هذه المصالح ، ولذا تجاهل فقدان الانسجام الطبقي وفشل في التحقق أن أية محاولة لتوحيد المصالح المختلفة مبدئياً يمكن أن تعني فقط الحرية العشواء للمصالح الشخصية ، أظهر شتيرن التباين بين الفرد والمجتمع • إن سخرية شتيرن العنيفةيمكن أن تخفف وتكسر حدة مرارة هذا التباين ، وتموه أسبابه ، بيد أن أبطاله كانوا محصورين بعالمهم الخاص الصغير ، لسبب بسيط هو أنهم رأوا أن العالم الخارجي ليس مجالاً ملائماً لنشاطهم •

لقد كشف غوته الجذور الاجتماعية لحتمية التباين بين الشخصي والاجتماعي بوضوح جذاب في كتابه آلام فرتر ، حيث يقدم الحياة الروحية والعالم العاطفي للانسان مع غنائية لا نظير لها تردفها فطنة تحليلية •

لقد اعترف غوته ، هذا العبقري العالمي ، بقوة الطريقة الواقعية بصورة مبكرة نسبياً • وإذ اكتشف لنفسه (وللأدب ككل) الامكانات التي تقدمها الطريقةالجديدة، التفت هذا الكاتب اليافع أولاً وقبل كل شيء الى درس شكسبير وطيلة القرن الثامن عشر ظهرت فائدة هذا المسرحي الانكليزي العظيم إلا أن غوته اليافع فهم ، أكثر من كل أنصار شكسبير والمعجبين به السمة الأساسية لفنه ، وهذا ما جعله يعتبر مؤسس الواقعية •

لقد كتب غوته خطابه « Zum Shakespeare tag » قبل قليل من مباشرته العمل في تراجيديته « غوتس ذو القبضة الحديدية » ـ وهي عمل من أعظم منجزات واقعية القرن الثامن عشر ، والفضل في ذلك يعود الى مسرحيات شكسبير التاريخية ـ التي تضمنت صياغة دقيقة للعقيدة الأساسية للمذهب الواقعي • لقد أبرز غوته أن تراجيديات شكسبير « تدور حول نقطة خافية ••• حيث كل ماهو أصيل في أنانيتنا والحرية الجريئة لارادتنا سينجرف كل ذلك في المجرى العام العنيد »(١) • إنالقوانين الطبيعية لـ « المجرى العام العنيد » ، أي ، المجرى والتطور العام للعلاقاتالاجتماعية، يمكن أن تظهر بصورة طبيعية عن طريق المذهب الواقعي فقط ، الذي يتيح تحليل

(١) غوتـه (Zum Shakespeare tag) .

الظواهر والبحث عن أسبابها ونتائجها • ولقد تحقق غوته من أن شخصية الانسان والبسيكولوجية الفردية لا يمكن أن يفهما ويشرحا ما لم يجر الكشف أولا عن الاسرار الفنية المعقدة لـ « المجرى العام العنيد » •

عندما أبدع القس بريفو مانون ليسكو المحيرة ، وجد نفسه ، على الرغم من أنه عالم نفسي ذكي ومسجل بارع للسلوك ، مرتبكاً في شرح التناقضات الداخلية لبطلته ، التي تجمع بصورة واضحة صفات يستحيل تمازجها : الثقة بالحب والتقلب الشديد ، تقوى النفس والطيش الذي يقرب من حدود اللا أخلاقية في افعالها ، الرفعة والوضاعة ، الطيش والطبيعة الجدية وهلمجرا • ان الأب بريفو يشبه كيميائياً قديماً يمزج مواد مختلفة يتصور أنها لا يمكن أن تمتزج في دورقه ، ويالعجبه إذ يرى هذه المواد قد أنتجت مركباً جديداً غير معروف حتى الآن • إن الظروف الجديدة لم تغير فقط العلاقات الاجتماعية في المجتمع الطبقي ، بل أعطت شكلا لعلم النفس الجديد ، وهي خصائص أدهشت القس بريفو •

وقد اعترى العجب غوته طيلة حياته من جوهر « المجرى العام العنيد » وهدفه الأخير • وقد كشف الغطاء بجرأة في كتابه « آلام فرتر » عن العالم الخفي للمشاعر الانسانية وربط مجال العواطف بواقع العالم الخارجي • لقد أذهلت قصته معاصريه، والسبب في هذا لا يعود إلى سلطة الحب فقط ـ وغالباً ما اقيم هذا على قاعدة التراجيديا ، أو الزخرفة بالعاطفية ، أو التبسيط وابراز « النار العارية للرغبة »ـ بل أيضاً لأن القصة حققت شاعرية البساطة والطبيعية ، وانغمست في مجال الحياة اليومية • ومع الوصف الغنائي للمشاعر البشرية المعقدة ، هناك اشارات قوية في إدانة الطغيان ، وأهم من ذلك أن القصة كشفت التناقض بين شوق الانسان الى الحرية وامكانية تحقيقها • هذا التناقض المصيري الذي عذب روح الفتى فرتر كان الموضوع الشاغل في ذلك الوقت • إن واقعيي القرن الثامن عشر ، بكشفهم الواقع الجديد ، ونفوذهم وتحريهم في مظاهره العديدة ، واخضاعهم مبادىء الاقطاعية ، وسلوكها وأخلاقها لنقد لا يرحم ، دون أن يتوقفوا عن نقد الجوانب السلبية في تطور المجتمع البرجوازي ، أظهروا أنهم عاجزون عن تقديم أية حلول للصراع الأساسي للعصر • والحقيقة أنه جرياً مع التغيرات في الوعي الاجتماعي وتحت ضغط الطرائق الأدبية الأخرى ، قد بدأ التحول يدب في الواقعية •

إن الفكر الاجتماعي الديمقراطي الثوري في القرن الثامن عشر والأيديولوجيا البرجوازية الناشئة ، أوجدا الشعور العام باقتراب الثورة التي أخذت أنفاسها النارية

تلفح كل القارة ، وكان كل منهما يحارب من أجل التطبيق العملي للحرية الانسانية ·
وكانت الظروف المادية والروحية للثورة قد نضجت ، ومثل أي ثورة ، جذبت اليها العديد من العقول ، وبثت الرعب في قلوب أولئك الذين كانوا ضد أي تغير في النظام الاجتماعي القائم · وكانت ، مثل أي ثورة برجوازيـة ، تتضمن تناقضاً لا يمكن تحويله عن مجراه : فبينما كانت تعلق الحرية ، كانت في الوقت نفسه توطد شكلا جديداً للاستغلال · إن اجتياح الباستيل ، والأحداث اللاحقة للثورة الفرنسية ، التي أصبحت وحشية أكثر فأكثر كلما تعمقت الأزمة الثورية ، بينما ألهمت الفكر الثوري ، غيرت الأهداف الاجتماعية ، والجمالية بالتالي ، للأدب والفن الديمقراطيين، اللذين لم يرتفعا حتى يصـلا الى مرتبة الثوريـة · وكما كتب ماركس في مقالته « النقد الأخلاقي والأخلاق النقدية » : « إن عهد الارهاب في فرنسا استطاع فقط ·· أن يخدم في أن يمسح من الوجود مسحاً سحرياً كل دمار فرنسا الاقطاعي بضربات مطرقته المخيفة · إن البرجوازية بحذرها ما كانت لتستطيع القيام بمثل هذا العمل حتى لعشرات السنين · إن أعمال الشعب الدموية لم تفعل سوى أنها مهدت الطريق أمام البرجوازية »(١) · إذا كان الفن والأدب الديمقراطيين الثوريين في ذلك الوقت (فورستر ، شوربات ، جوزيف شينيه ، راديشتشيف ، والرسـام دافيـد والملحن غوزيك وغيرهم وغيرهم) قد استلهما الثورة ، دون أن يرتعبا مما يدعى «افراطات» الثورة ، فان الأدب والفن الديمقراطيين ، دون أن نقول البرجوازيين ، مع أنهما كانا يفوران بالأفكار والعواطف المدنية ، ويعتبران انعتاق الانسان من عبء العلاقات الاقطاعية ضرورة تاريخية ، قد ارتعبا من « التخدير الجبان » ·

إن سمة تطور الفكر في نهاية القرن الثامن عشر حددتها حقيقة أن النظرة التنويرية التي دعاها الى الحياة نضج الوضع الثوري ، لم تكن قادرة على أن تحرر نفسها من تناقضاتها الداخلية · ولذلك فان ايديولوجيي الطبقة الثالثة والديمقراطيين الثوريين ، المعبرين عن المصالح الحقيقية للجماهير المضطهدة ، والدوافع الجذرية للعملية التاريخية وتوقعاتها الحقيقية ، ظلوا لغزاً من الألغاز · فلم يكن هنـاك مذهب واقعي في مركز يمكنه من اخراجهم الى النور ، لأن قوته وضعفه كامنان في التحليل الاجتماعي للواقع ، الذي كان يتغير باستمرار ويفعم دائماً باتجاهات وسمات للتطور خفية وجديدة كل الجدة ·

وفي وصف المنجزات النظرية للفكر الاجتماعي في القرن الثامن عشر في تعميم

(١) ماركس وانجلز « المؤلفات المختارة » مجلد ٤ ص ٣٣٩ ·

الخبرة والمتطلبات العملية للبرجوازية ، كتب انجلز في مؤلفه : « هوامش على نقد الاقتصاد السياسي » :

« إن القرن الثامن عشر ، قرن الثورة ، هو أيضاً قرن تثوير الاقتصاد ٠ ولكن كما أن كل ثورات هذا القرن كانت أحادية الجانب تغوص في مستنقع الطباق ـ تماماً كما لو وضعنا المادية المجردة مقابل الروحية المجردة ، والجمهورية مقابل الملكية ، والعقد الاجتماعي مقابل الحق المقدس ـ كذلك فان الثـورة الاقتصادية لم تجتز الطباق ٠ وقد ظلت الشروط قوية في كل مكان : المادية لا ترضى بالازدراء المسيحي للانسان ومذلته ، ولم تفعل سوى أن وضعت الطبيعة مكان الاله المسيحي باعتباره المطلق الذي يواجه الانسان ٠ وفي السياسة لم يحلم أحد في اختبار شروط الدولة٠ ولم يخطر على بال الاقتصـاد أن يسأل عن حقيقة الملكيـة الخاصة ٠ ولذلك فان الاقتصاد الجديد لم يكن إلا في منتصف طريقه فقط ٠ لقد كان مضطراً أن يخون وأن يتنصل من شروطه الخاصة ، أن يلجأ الى السفسطة والنفاق تغطية للتناقضات التي غرق فيها ، بحيث يصل الى النتائج التي دفع إليها لامن قبل شروطه الخاصة بل من قبـل روح القرن الانسانية ٠٠٠ كل شيء كان عظيماً تماماً ورائعاً ـ ومـع هذا فقد اكدت المقدمات المنطقية ذاتها بصورة كامنة ، وأنتجت مقابل هذه الأخوة الانسانية الزائفة نظريـة السكان المالتوسية ـ وهي أظلم وأكثر نظرية بربرية وجدت ، انهـا نظام من اليأس يعصف بالمقاطع الجميلة عـن حب الجار والمواطنة العالمية ٠ وقد أنتجت هذه الشروط وأقامت نظام المشغل والعبودية الحديثة ، التي لم تقدم جديداً من حيث الظلم واللا انسانية الى العبودية القديمة ٠ ويكشف الاقتصاد الحديث ـ نظام التجارة الحرة القائم على أساس كتاب آدم سميث « **ثروة الأمم** » ـ فاذا هو النفاق والتفكك واللا أخلاقية ذاتها التي تواجهها الانسانية الحرة في كل ميدان »(١) ٠ هذا التحليل لتناقضات الفكر الاجتماعي في القرن الثامن عشر ، يوضح لنا أيضاً لماذا كانت الواقعية عاجزة عن تلبية متطلبات العصر ، ولم تستطع أن « تجتاز الطباق » ، وقد أخرجها من الميدان تدريجياً نمط جديد من الكلاسيكية، التي تمثل محاولة ، عن طريق الأدب والفن ، لحل التناقضات الأساسية المتطورة في الحياة ٠ إن الاتجاه الجديد ، الذي يختلف اختلافاً أساسياً عن النوع الكورنيلي القديم للكلاسيكية ، كان يتمتع بميزة واحدة مشتركة معها ، وهي أنـه كان يمثل الروح المدنية ٠

---

(١) ماركس : المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام ١٨٤٤ ٠

لقد نهضت الكلاسيكية كطريقة في الأدب ، في الفترة التي كانت فيها الأقطار الأوروبية قد أسست الدول القومية ، عندما اضطهدت السلطة المركزية الحريات الاقطاعية (وكان هذا ولا شك في صالح البرجوازية) ومن أجل هذا قامت الايديولوجيا الأساسية للكلاسيكية على أساس مدني ، على مطلقية الواجب الملكي ، الذي كان فوق المصالح الشخصية • وفي عصر الثورة البرجوازية ، اتخذت الكلاسيكية وعبرت عن العواطف والميول المدنية ، وعن اليقظة المدنية ، ولكنها الآن جعلت **الواجب الشعبي** هو المطلق وليس الواجب الملكي • لقد كان اليعاقبة ، أشد الثوريين وأعظمهم ، أشد الكلاسيكيين وأعظمهم أيضاً ، وهذا طبيعي ما دامت قضية الواجب المدني والروحية ــ الجماهيرية بالنسبة إليهم قضية حياة أو موت • ومن خلال الكلاسيكية أيضاً أثبت الوعي الديمقراطي والبرجوازي فهماً لواجب الانسان تجاه المجتمع في الظروف الجديدة التي خلقتها الأزمة الثورية •

لقد كان لسنغ وديدرو ، وحتى روسو ، يميلون بتعاطف الى الكلاسيكية الثورية بسبب مضمونها الاجتماعي ، لأن الديمقراطيين الثوريين رسموا خطاً فاصلاً بين المصالح الاجتماعية (من حيث المبدأ : مصالح الشعب ككل) والمصالح الأنانية الاستبدادية الشخصية • إن الايديولوجيا البرجوازية المعتدلة للطبقة الثالثة المتسمة بـ «الحذر الجبان» ــ حسب تعبير ماركس ــ اعتبرت الكلاسيكية ، أولاً وقبل كل شيء ، وسيلة مساومة مع الواقع ، مع أن نظريي الكلاسيكية البرجوازية أكدوا أيضاً على مبدأ الحرية ، باعتباره الشرط السابق لكل تقدم بشري • إن ونكلمان ، الذي سعى حثيثاً للارتقاء بدراسة الفن العريق ، قد أعلن في كتابه (Geschichte der Kunst des Altertums) ملاحظة هامة في تطور الفكر الاجتماعي للقرن الثامن عشر « الهدوء هو أعظم صفة من صفات الجمال » ، تعبر من خلال النظرية الجمالية عن المطالب السياسية للبرجوازية المعتدلة ، وتصوغ برنامجاً من أجل تطور الفن الجديد •

لم يرغب ونكلمان أن يربط الفن الجديد مباشرة بالنضال الاجتماعي • كتب : « إن في عقل الكائن المفكر توقاً الى مادة سامية في مملكة الأفكار المجردة » إن هذا التعريف يمكن أن يقال لوصف الايديولوجيا الألمانية ككل مع قابليتها لانجاز الثورات التاريخية العالمية في مملكة الفكر المجرد • إنه يكشف بوضوح عجز مواطني ألمانيا (وليس ألمانيا وحدها) عن الايغال في نقد الواقع بطرائق عملية واقعية ، كنقيض للطرائق النظرية • وفي السنوات التي صاغ فيها ونكلمان العقيدة السياسية

ـ الجمالية للكلاسيكية البرجوازية ، كان « الكائن المفكر » وهو أبعد ما يكون عن استلهام « مملكة الفكر » ، يحاول بطريقة عنيدة أن يجعل المطالب الفكرية للأيديولوجيا تدخل الحياة اليومية • لقد كان ونكلمان من حيث الأساس يصالح نفسه مع الواقع ، ويقدس مصالحته مع الجمالية المحددة المشوبة بروح العراقة •

إن الاتجاهات الكلاسيكية المختلفة ، في القرن الثامن عشر ، مع كل اختلافاتهم الهامة ، كلها قامت من أجل أسباب منطقية تماماً ، على اعتبار أن هذه الاسباب انعكاسات للتغيرات في الوعي الاجتماعي • إن منطق ظهور الاتجاهات الكلاسيكية تمكن رؤيته واضحاً بصورة خاصة في التطور الروحي لغوته وشللر اللذين تمثل أعمالهما تكملة للأبحاث الاجتماعية والجمالية في أدب القرن الثامن عشر الذي يعتبر مرحلة مستقلة في تطور الأدب العالمي •

إن كلاً من غوته ومعاصره الشاب ، مبدعي واقعية القرن الثامن عشر وخير ممثليها ، كان يملك ادراكاً غريباً لجوهر عصره التاريخي • وكان كل واحد منهما يتخذ مواقف ابداعية جديدة عامداً متعمداً ، متحققاً أن الوسائل الواقعية الموجودة القائمة على فهم ناقص لقوانين التطور الاجتماعي ، لم تكن تسمح بحل العقبات التي ظهرت بظهور العلاقات الاجتماعية البرجوازية • وبالعودة الى الكلاسيكية ومحاولة احياء الروح النبيلة المنسجمة للفن القديم ، بشكله الكامل ، والاحساس العظيم بالنسبة الفنية التي فيه ، كان شللر وغوته يحلان بصورة أساسية القضايا الانسانية ذاتها كما طرحاها في مؤلفاتهما السابقة على الكلاسيكية •

وعلى نقيض الكلاسيكية اليعقوبية ، التي أيدت فكرة الثورة في كل شيء ، انطلقت كلاسيكية غوته وشللر من رفض الارهاب كطريقة لغرس العلاقات الاجتماعية الجديدة • ولكن إذا كانت كلاسيكيتهما رد فعل لأحداث الثورة ، فانها بكل بساطة قد انحطت الى اعتذار مبتذل عقيم عن الواقع ، أو الى شكلية محضة تعالج الدوافع المستعارة من العراقة الكلاسيكية ، وبصورة جوهرية العراقة الانتقائية والعقيمة • وكما هو الأمر ، فان كلاسيكيتهما بنيت على نتائج التغيرات الثورية التي فشلت في أن تكون مرشداً في عصر السعادة الانسانية الأصيلة • طبعاً إن غوتز وفرتر وكابال وليب ، رغم احتجاجهم العنيف ضد شواذ العلاقات الاجتماعية ، كان يخالجهم الشك في امكانية تحولهم بواسطة الثورة • إن النظام العالمي الذي أقيم عقب انتصار الثورة الفرنسية ، وعلى الأخص بعد الترميدور* ، لم يكن فقط أبعد من أن يزيل تناقضات

★ الشهر الأخير عن السنة حسب تقويم الثورة الفرنسية ويمتد من ١٩ تموز حتى ١٧ آب •
(المترجم)

المجتمع الطبقي الموروثـة فقط ، بـل كان يزيدها تفاقماً · وفيما يتعلق بالفن الجميل ــ والأخلاقي أيضاً ــ القائم على النماذج الكلاسيكية التامة كطريقة لتثقيف الانسان وتحطيم الأنانية وتنافر النفس ، كان غوته وشللر يتابعان مبدئياً دعم مثل عصـر التنوير ، ناشرين الايمان الانساني الحكيم بفكرة امكانيـة كمال الطبيعة الانسانية ، وكمال المجتمع · إن كلاسيكيتهما ، على عكس كلاسيكية ونكلمان ، لم تكن تمثل حلاً وسطاً · إنها ، ، وقد اتسمت بشمولية الواجب الأخلاقي الانساني، تمثل بالأحرى محاولة لحل القضايا الاجتماعية والأخلاقية الجديدة بطريقة جديدة، تلك القضايا التي كشفها مجرى التقدم التاريخي ، والتي قامت على أساس منجزات الواقعية · ومع أن أدب القرن الثامن عشر كان يتسم بالتراجع عن الواقعية وولادة الاتجاهات الرومنتيكية وما قبل الرومنتيكية ، فان هذه الاتجاهات كانت عاجزة عن التطور من غير أن تأخذ في حسابها منجزات الواقعية ·

لقد كان غوته وشللر واعيين لعقم العبادة الفردية البرجوازية للارادة الذاتية التي كانت تدعو إليها مدرسة العاصفة والاندفاع · لقد وجد كل منهما أنه لايوافق على محاولات معاصريهم الرومانتيكيين وماقبل الرومانتيكيين في ايجاد طرق جديدة تعكس الواقع ، هؤلاء الذين أخذوا يفهمون الحياة على أنها مصنع الأوهام المتشابكة، تهجر عالم الواقع الى عالم الوهم ، ولم يكونا ، على سبيل الافتراض ، مثل نوفاليس في كتابـه (Die christenheit Oder Europa) ينويان بعث النظام القديم الذي دمره التاريخ·ولم يكن الوقت قد حان لتحتل الرومانتيكية الثورية مكانهاعلىالمسرح·

وفي نهاية القرن ، كان الأدب الذي عكس نتائج الأزمة الثورية مثل الفكر الفلسفي ، يقوم بمحاولة جدية لفهم ما حدث وما نشأ على ركام الآمال المحطمة والأوهام المبعثرة ، إنها نظرة جديدة وفهم جديد للطبيعة والمجتمع والوعي الانساني·

وبينما كان الاقتصاديون البرجوازيون منهمكين في تبرير التقدم البرجوازي مثبتين حتميته بغبطة واضحة ، وبينما ركز الفلاسفة المثاليون والفلاسفة الطبيعيون همهم على نقد المادية الميكانيكية لعصر الأنوار ، وكانت الرومانتيكيـة الوليدة ، الواعية بصورة مؤلمة للاختلاف المتعاظم بين الفرد والمجتمع ، عاجزة عن إلقاء أي ضوء على أصل هذا الاختلاف ، في وسط هذه المرحلة المضطربة للغاية ، كانت هناك فكرة تأخذ بالظهور لتثور الفكر ــ **إنها فكرة التطور · في نهاية القرن** ، صيغت مجموعة القضايا الأساسية من قبلهيغل في كتابه الفينومينولوجيا (اثباتالديالكتيكــ تعريف قانون نفي النفي ،والاهتمام بالتاريخ) لنظرة أخذت تتشكل · وعند هذه

النقطة أخذت عدة نظريات جديدة تتطور ، نظريات اجتماعية تقترح حلاً غير متوقع لمسألة الحرية الانسانية المستعصية ، التي فشل في حلها مفكرو عصر التنوير، نظريات تنطلق من رفض علاقات الملكية الخاصة الرأسمالية ، وتثبت بالوقائع صحة قانون هيغل في نفي النفي . وعلى أطلال النظام الاقطاعي ، ومن ضراوة النظام الرأسمالي ، قامت الاشتراكية الخيالية ، محاولة تطبيق فكرة التطور على التاريخ ، باحثة عن منطق لسريان هذا التطور .

أشار فوربيه بحكمة في كتابه « نظرية الحركات الاربع » الذي ظهر بعد عام من ظهور كتاب هيغل الفينومينولوجيا ، الى الحاجة الى عصر جديد من أجل تركيب روحي جديد قائم على أساس اجتماعي وأيديولوجي آخر أكثر من الأيديولوجيا الديمقراطية لعصر الأنوار ، دون الاشارة تماماً الى الاقتصاد السياسي البرجوازي والفلسفة البرجوازية . « بعد كارثة ١٧٩٣ تمزقت كل الأوهام ، فقد كانت العلوم السياسية والأخلاقية في وضع مخز ، وقد فقد الناس الايمان فيها مطلقاً . ولذلك صار الناس يرون أن السعادة لا يمكن أن نتوقعها من أية معرفة مكتسبة ، ذلك أن الرخاء الاقتصادي يجب أن يبحث عنه في بعض العلوم الجديدة والسبل الجديدة التي تمهد للروح السياسية ؛ إذ كان من الواضح أنه لا الفلاسفة ولا منافسوهم يعرفون علاج الآلام الاجتماعية ، وانه تحت غطاء عقائدهما كليهما ستستمر الى الأبد الأمراض المرعبة بما فيها البؤس »(١) . هذه الحاجة الى تركيب وتعميم التجربة الاجتماعية اللذين حصلا في ابان الثورة البرجوازية وبعدها شعر بهما أيضاً هيغل ، الذي أقام صرح نظام فلسفي موسوعي ، وسان سيمون بفكرته الجديدة عن موسوعة جديدة ، وأيضاً المفكر البرجوازي المتحذلق المحدود أوغست كونت ، الذي جعل الجوهر الثوري الاشتراكي عند سان‌سيمون عقيماً ، مستعيراً من نظريته المظهر الفكري الايجابي فقط .

إن الحاجة الى امتلاك فهم الواقع الاجتماعي الجديد الذي كان يتخذ شكلاً أدى بصورة طبيعية الى اهتمام بالغ بالتاريخ ، الذي كان يبرز الحياة الفكرية لبداية القرن التاسع عشر .

إن عباقرة من أمثال غوته وشللر قد وجهوا اهتمامهم الى التاريخ أيضاً وحاولوا فهم دروس الثورة الفرنسية من خلال أحداثها ونتائجها . إن شللر ،

---

(١) فوربيه « المؤلفات الكاملة » ج١ « نظرية الحركات الاربع » الطبعة الرابعة باريس ١٨٤٦ ص ٢ ـ ٣ .

صاحب المؤلفات عن تمرد نايزلاند وحرب الثلاثين عاماً والنضال السياسي في فرنسا في عهد هنري الرابع ، وهي مؤلفات فنان أكثر منها مؤلفات أستاذ مختص ، أدرك أن المحرك الرئيسي المستتر للأفعال والعواطف البشرية كامن في المصالح المادية، أو بكلمات أخرى تبنى الفهم الواقعي في تحليله للأحداث • إن النظرة الواقعية للحياة التي مكنت شللر من التحليق فوق نظريات الكلاسيكية ومبادئها ، هي ذاتها التي تظهر في كتابه « الحب والمكيدة » • في مسرحياته المتأخرة ؛ في ثلاثية ولنشتاين وماري ستيوارت ، وعلى الأخص في وليم تل ، يخضع كل عمله لهذا المبدأ • إن شللر لم يرجع الى التاريخ فقط بحثاً عن موضوعات واشكال عظيمة من أجل الدراما والتراجيديا • لقد اعتبر التاريخ نضالاً بين المبادىء الأخلاقية المختلفة ، وكانت تلك الدراسة للتاريخ هي التي دفعته الى الاعتقاد بفكرة حكم الشعب في سنواته الأخيرة مع أنه كان قد رفض من قبل الطريقة اليعقوبية في تحويل المجتمع •

لقد ظهرت سمات الطوباوية أيضاً في نظرته بصورة واضحة ، لأن الأساس الموضوعي للتغيرات التاريخية بقي سراً بالنسبة إليه ، سراً كان سيحله في المستقبل العاجل الفكر الاجتماعي والفن والأدب ، حالما تصبح تناقضات النظام الرأسمالي واضحة •

إن شللر في كتابه « رسائل حول التربية الجمالية » ، حيث يعبر عن أمله الكبير في قدرة الفن على تغيير الانسان ، وبالتالي المجتمع ، وفي تراجيدياته الأخيرة ، تمسك بالقانون الجمالي لكلاسيكيته ، مبالغاً في قدرة جوهر الانسان الاخلاقي الداخلي دون أن يولي سوى اهتمام قليل لدراسة وتحليل العوامل الكامنة الواقعية للعملية التاريخية • ولذلك فان تدخلات القدر في حظوظ أبطاله ليس الا الضرورة التاريخية الخفية المشروطة التي فشل المؤلف في فهمها (ولنشتاين) • وتصويره العواطف الشخصية والأفكار والشعور يدخل في خلفية البيئة التي تتحرك فيها الشخصية وتعمل « خلفية فالستافية »(١) يمكن أن تنقل الكمال الواقعي الى بنية تراجيدياته • وشللر يجْنَفُ عادة عن الموضوعية ، فيجعل بطله حامل أفكاره ، ويلجأ الى التمجيد وشيء من البلاغة المجردة • كل سمات دراما شللر هذه لها شرح تاريخي منطقي ، وتضيف شهادة الى الواقعة التي تقول إنه كان باستمرار يتطور كفنان ، باذلاً جهده لتجسيد الواقع الجديد في صور فنية ، هذا الواقع الذي لا يمكن أن يستوعب ويقدم في شكل ألفاظ الا بواسطة الواقعية ، وليس بتلك الكلاسيكية

(١) فالستاف من شخصيات شكسبير (المترجم)

المنبعثة التي أعلن الشاعر مراراً انتماءه إليها · وعلى كل حال ، فان مسرحيات شللر الأخيرة تشمل حباً طافحاً للانسان ، للشخصيات الجذابة ، وملأى ، بصورة ملحوظة ، بتقديم دقيق للعالم الداخلي للشخصيات ، والصراعات الأصيلة الكثيفة بصورة فائقة · وأهم من كل ماسبق أن شللر اقترب من التحقق أن النتيجة العملية للثورة الفرنسية ، النظام الجديد الذي وطد نفسه مكان العالم القديم الذي دمرته الثورة ، هي أن هذا النظام ليس النتيجة النهائية للتطور الاجتماعي ، وأن التاريخ كان عملية في مجرى تتنحى فيه الطرق القديمة للحياة والأشكال الاجتماعية القديمة وتخلي مكانها لطرق وأشكال جديدة · إن فكرة حكم الشعب التي وصل إليها شللر ، في « وليم تل » ، بعد تغلبه على مخاوفه البرجوازية من التمرد الشعبي ، تظهر أنه تحقق من أن المستقبل وحده فقط سيكون قادراً على حل تناقضات عصره المستعصية ·

إذا كان شللر قد رجع الى التاريخ ليفهم معنى الثورة الاجتماعية التي يشاهدها ، فان مؤلفات غوته وتطوره الروحي عكست جوهر العصر بصورة أكثر مباشرة الى حد ما · لقد قدم شللر في كتابه **(في الشعر الساذج والشعر العاطفي)** تحديداً قاطعاً للسمة الرئيسية لعبقرية غوته الأصيلة ، التي عبر عنها بصورة عفوية في فهمه الواقعي القوي للحياة · لقد أبدى غوته استياءه من شتى أشكال الذاتية في الفن والفلسفة وغالباً ما عبر عن احتقاره لها · وقدر موضوعية العالم والطبيعة فوق كل شيء آخر ، وشعر باستمرار بنبض الوجود الحيوي : فضل التركيب السبينوزي للحتمية على محاولات الفلسفة الطبيعية المعاصرة لاستخلاص قوانين الطبيعة من الفكر البشري ، بعيداً عن الطبيعة · وقد اعتبر غوته **التطور** سمة طبيعية للطبيعة ، ووسع هذا المفهوم حتى شمل التاريخ ، مستخدماً ومطبقاً آراء هردر في كتابه « أفكار في فلسفة تاريخ الجنس البشري » ·

وشارك كتاب « محاولة لتفسير تحول النباتات » الذي يشبه مؤلفات جيو فروي سانت هيلير ، في فكرة التطور ، وتعم في « فاوست » تلك الترنيمة الجريئة المنتصرة الداعية الى الفكر البشري الخلاق البناء ، فكرة التطور ، فكرة الحركة الدائبة للحياة ، المتغيرة باستمرار ·

كان غوته يرى دائماً أن الانسان مثل طفل الطبيعة الدفاقة الدائمة التغير ، مثل ورقة في شجرة الأبدية الدائمة الاخضرار · وبينما يثير فاوست روح الأرض ويعرف قوتها ، يشعر في الوقت نفسه أنه هو نفسه جزء من الكون ، الذي من أجل معرفته كرس كل قواه العقلية ·

ولكن إذا كانت موضوعية الطبيعة وقوانينها واضحة لغوته واذا كان قادراً على استيعاب السمات الحسية لتطور الكائن الحي (يكفي أن نتذكر اكتشافه لعظم الفك الوسطي) ، إذا وافقنا على قول الشاعر الروسي : « كتاب النجوم تجلى له ، وموجة الملح حادثته » فان فكرة التطور التي كانت جزءاً عضوياً من كتاب غوتـه Weltanschanung ، لم تستلزم معاينة حقيقية في مؤلفاته الأخيرة عندما طبقها في الميدان الاجتماعي ، الميدان الذي يسود تاريخ الأحياء • إن غوته الذي حذا حذو هردر فوافق على أن التاريخ ، مثل الطبيعة ، يعمل حسب قوانين معينة ، كان عاجزاً عن اكتشاف القوى التي تحدد العلاقات الانسانية الاجتماعية • لقد وضع الزمن أصفاداً حتى على عقله الذي لا يقهر •

وعلى الرغم من الاختلافات المبدئية بين الكاتبين العظيمين ، نجد ثمة تشابهاً واضحاً في تقديم التاريخ ، وهذا يعزى الى الظروف الاجتماعية الواحدة التي نضج فيها فنهما • وإذ يسير ولنشتاين بصورة محتومة نحو مصيره ، فان مصير التعاسة حل على نظيره أغمون الذي يرمي نفسه بعاطفة وغبطة مماثلتين في الملذات الحسية والنضال الاجتماعي • وحين صور غوته أغمون مساهماً فعالاً في حركة التحرر الوطني ، ركز اهتمامه على العماء السياسي المثالي لبطله ، على التقدم الحتمي نحو نطع الجلاد ، اكثر من تركيزه على الصراع بين القوى الاجتماعية ، التي تدنت الى الخلفية • ولم يكن هذا محض صدفة : فقد جعل غوته تحليل العالم الروحي لبطله التراجيدي يحل محل ديالكتيك التناقضات التاريخية للمنشأ الطبقي الذي حـدد سلوك أغمون باعتباره نموذجاً تاريخياً ، وهكذا تبدو القدرية ، التحديد المسبق للقضاء ، تماماً كمـا في ثلاثية شللر ، دليلاً عـلى جهل الشاعر لطبيعة الضرورة التاريخيـة •

إن غوته ، مثل شللر ، لم يرحب بالثورة الفرنسية واندفع بالاتجاه المعاكس ليعارض العواطف السياسية الهوجاء المتأججة في فرنسا ليؤيد الوجود البرجوازي المعتدل والمحدود والنظامي ويطريه ويجعله مثالياً في مقاطع شعرية جميلة في هيرمان ودوروته • ومرة أخرى مثل شللر أيضاً ، قد فهم تماماً أن نتائج الثورة لا تمثل المرحلة النهائية في التطور التاريخي للبشرية •

واتبع غوته ، في سنيه الأخيرة ، نجاحات الفكر الاجتماعي والسياسي والجمالي المعاصر • وفي الفترة التي أعقبت ثـورة ١٧٨٩ ، الفترة المليئة بأحداث هامـة وخطيرة ، استطاع غوته أن يلاحظ الكثير مما كان مجهولاً بالنسبة للقرن الثامن

عشر ، وأخذت العناصر الطوباوية تبرز بصورة واضحة أكثر فأكثر في نظرته ومؤلفاته الأدبية ٠

كانت فكرة التربية كوسيلة لخلق الفرد المنسجم أولاً ثم المجتمع المنسجم ثانياً تسم بطابعها كلاسيكية فيمار أيضاً ، وتشكل محور وليم ميستر ٠ بيد أن العصر الجديد كان قد أدخل عناصر جديدة في البرنامج الايجابي لاتمام العلاقات الاجتماعية المعروضة في القصة ٠ إن موضوع الجزء الثاني . تجوال وليم ميستر ، يفصح عن تشابه واضح للأفكار العملية من أجل اعادة تنظيم المجتمع الذي قام بالدعاية له فورييه وسان سيمون ٠ كانت أفكار غوته ترجع خاصة الى الأفكار التي اتخذت تعبيرها النهائي في أطروحة سان سيمون « آراء أدبية وفلسفية وصناعية » متضمنة المقطع المشهور : « سيأتي العصر الذهبي الذي سيكون فيه التقليد الأعمى محصوراً في الماضي » ٠

كتب سان سيمون : « سيقوم الآن فلاسفة القرن التاسع عشر بمهمتهم التي تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي حققها فلاسفة القرن الثامن عشر ٠

« سوف يتحد فلاسفة القرن التاسع عشر ليعرضوا تماماً وباستيعاب أنه في الحالة الراهنة للمعرفة والحضارة يمكن للمبادىء العلمية والصناعية أن تستخدم كأساس للتنظيم الاجتماعي ، أو تظهر أنه في الحالة الراهنة للمعرفة والحضارة يمكن تنظيم المجتمع بطريقة تجعله يميل مباشرة نحو تحسين رفاهه المادي والأخلاقي ٠

« لقد أوجد فلاسفة القرن الثامن عشر الانسيكلوبيديا ليدحضوا النظام اللاهوتي والاقطاعي ٠ وسوف يوجد فلاسفة القرن التاسع عشر بدورهم انسيكلوبيديتهم لاقامة النظام العلمي والصناعي ٠

« وهناك سوف تخضع كل الأفكار للتحليل بغية اثبات أن الرفاه العام سوف يكون النتيجة الضرورية للتأثير الذي تمارسه المبادىء الصناعية والعلمية بدلاً من التأثير الذي مارسته في المجتمع حتى الآن المبادىء اللاهوتية والاقطاعية »(١) ٠

وفي حين تنبأ غوته في كتابه « تجوال وليم ميستر » بالدور الجبار الذي ستلعبه الصناعة في حياة البشرية ، وافق على إقامة قسم كبير من الفراغ وانعكاسات تنظيم الصناعة على نوع من الأساس التعاوني ٠ وأولى أهمية مماثلة للعمل التعاوني في الأرض ، وجعلها ملكاً للجميع ٠ وكان العمل بالنسبة لغوته لا ينفصل عن مشكلة

---

(١) سان سيمون ٠ آراء أدبية وفلسفية وصناعية ٠ باريس ١٨٢٥ ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

التربية واعداد الانسـان للنشاط الاجتماعي الفعال · « عالم التربية » ، تلك الطوباوية الاجتماعية التربوية ، مثل النظام العام لتنظيم الحياة الذي جاء وصفه في القصة ، يستخدم طرفاً واحداً ـ المستقبل ، تأكيد ودعاية لنظام أكثر عقلانيـة للعلاقات الاجتماعية من ذلك الذي نجم عن الثورة الفرنسية ·

وفي فلسفة فاوست أيضاً نجد عنصراً طوباوياً · إن المرتكز الروحي للتراجيديا هو ولا شك منظر الكفارة ، منظر انتصار فاوست على مفيستوفيلس ، حين انقلبت رغبة فاوست الجامحة في المعرفة إلى خيرٍ للآخرين ، وحين أخذ على عاتقه ، وقد أتم دورة وجوده الأرضي وخبر كل المباهج والأحزان البشرية ، يتعهد باعادة خلق كل الأرض ، وفي العمل باسم السعادة والحرية الانسانية يجد السعادة لنفسه ويحقق دورة وجوده الأرضي وخبر كل المباهج والأحزان البشرية ، التعهد باعادة خلق كل هذا المشهد حيث غبطة الانسان المبدع ، ادى اكتشافه معنى الحياة في العمل المثمر، والرغبة العارمة تملأ أجواز الفضاء ، ويتلاشى صوت جرس الأرض في الضريح الذي يقوم أتباع مفيستوفيلس المخلصون بحفره لفاوست · إن التفاؤلية التاريخية في المناجاة الأخيرة حيث يقول :

يستحق الحياة والحرية

فقط أولئك الذين يحاربون من أجلهما كل يوم

تثير جواً تراجيديا قاتماً للمشهد ، ولكنها ليست الصعوبة الحقيقية في تحقيق المثل الأعلى المحرية الذي مجدّه غوته في فاوست ·

وقد فهم الشاعر العظيم ، إذ قبل فكرة التطور باعتبارها حتمية شرعية بصورة تاريخية ، أن التقدم الاجتماعي الضخم الذي واكب الثورة لن يكتمل ، لأن الثورة تستدعي أيضاً قوى تحد من تقدم البشرية نحو العلاقات الاجتماعية العقلية · لقد رأى غوته أن الأنانية والرغائب الفردية تلتهم المثل الانساني الأعلى للسعادة العامة وتمنعها من أن تمد جذرها في تربة الحياة ، التي حرثتها الثورة ، وسوف تروى بالدم البشري في الحروب الأوروبية التي تلت · ولكنه لم يكشف الأسـباب الحقيقية للأنانية الاجتماعية ولا القوى المحركة للعملية التاريخية ، وهكذا بينما يتطور باتجاه الاشتراكية الطوباوية كان يتفق في الرأي دائماً معها في كل شيء ·

طبق فورييه وسان سيمون فكرة التطور على التاريخ واقتربا من النتيجة أن

القوة المحركة في العملية التاريخية كانت الصراع الطبقي · إن سان سيمون على الرغم من مصلحته في نظريته عن المسيحية الجديدة ، شرع يتحدث في أواخر حياته باسم « الطبقة الدنيا » ، القوة التي تشكلت في أعماق المجتمع البرجوازي ، أي باسم البروليتاريا · إن التنظيم الاجتماعي الذي سوف يحل حسب رأيه محل الحضارة الأنانيــة التي قامت على انقاض النظام الاقطاعي ، ســوف يعزز « تزايد رفاه البروليتاريين »(١) · و لايزال سان سيمون ، مثل فورييه وروبرت أوين ، يحمل أوهاماً حول طرق ووسائل تنظيم المجتمع ، ولكنه سبق وتحدث بايمان تام عن قدرة البروليتاريا على المساهمة في حكومة « نظام الرفاه الاجتماعي » وتنظيمه ، ولذلك أظهر حذاقة تاريخية وتنبؤاً مسبقاً · إن الجمع بين فكرة التطور ونظرية الصراع الطبقي واكتشــاف قوانين التاريخ التي تتحكم بالعلاقات الاجتماعية قاد الى ظهور الاشتراكية العلمية ، التي أحدثت ثورة كبرى في الفكر البشري والحياة الاجتماعية· ولكن هذا الاكتشاف ذا الأهمية التاريخية العالمية كان قد جرى مؤخراً ، وفي السنوات المبكرة من القرن التاسع عشر كان الفكر الاجتماعي التقدمي قد بدأ بالتعرف على الواقع الجديد ، بحيث أن من الطبيعي جداً أن نجد سان سيمون ، الذي تابع تقليد مفكري القرن الثامن عشر المشهورين أمثال مورلي ومابلي ،وتابع تقليد كراشوس بابوف باعتباره أقرب أسلافه اليه ، قد قطع أشواطاً أبعد منغوته في آرائهالتاريخية· إن الخط الفاصل بين آراء غوته الديمقراطية والانسانية والنظريات الاشتراكيــة للطوباويين ، ظهر بسبب بسيط هو أن Weltanschanung الذي ألفــه الشاعر العظيم قد تشكل في قطر متخلف مع برجوازية جبانة مساومة ، تلك التي أظهرت أكثر من « تحذير جبان » تجاه الثورة · ورغم أن غوته كان عبقرياً إلا أنه كان سليل الطبقة المتوسطة الألمانية ، وهذا يعني أنها تترك شارتها في موقفه من التاريخ ·

إن تطور آراء غوته الاجتماعية في الجزء الأخير من حياته ، استلزم تغيرات مقابلة في مبادئه الجمالية الأساسية · وأخذت العناصر الكلاسيكية في عمله تتقلص فقد غدا يبحث بامعان أكثر فأكثر عن طرق ووسائل فنية جديدة لتقديم « الطريقة الصلبة الشاملة » · لقد اغتنى وليم ميستر من حيث التجربة سواء من جهة المضمون الروحي الداخلي ، أم من جهــة الطريقة التي يعبر بها · وكانت صور الحيــاة وطرائقها تتغير واقعياً بتغير المشاهد الرومانسية التي كان غوته يسمح لها بالتسلل الى قصته ، وغالباً دون قصد ، رغم موقفه من الرومانسية ، بينما يمثــل الجزء

(١) المرجع السابق ١٥٨ ـ ١٥٩ ·

الأخير حقاً أطروحة فلسفية اجتماعية · لقد كان غوته يبحث عن اصطلاح أدبي جديد يمكنه من التعبير عن الأفكار التي وصل إليها ويحمل سمتها التاريخية الموضوعية · ولكن جهله بالأسباب التي تحدد « الطريقة الصلبة الشاملة » حال دون تجسيد هذه الأفكار تجسيداً واقعياً ·

إن الكتاب الذي يتوج أعمال غوته الأدبية هو مأساة الدكتور فاوست الذي باع نفسه للشيطان في سبيل معرفة كنه الأشياء وبعد معاناة طويلة وآلام مريرة من جراء البحث الشخصي الفردي عن معنى الحياة لتقدير قيمة الصالح العام وخدمة الأصدقاء ، كان كتاباً توفيقياً في الشكل · إن أسطورة الساحر والعرّاف ، التي عليها قامت عقدة التراجيديا ، هـذه الاسطورة الشعبية قدمت لوناً تاريخياً لماضي ألمانيا السحيق ، ووردت في شعر هانس ساخس ، وقد أدخل موضوع الفتاة العذراء الدراماتيكي ، هذه الفتاة المغوية التي انقلبت الى قاتلة أطفال ، تياراً فولكلورياً في التراجيديا ، وتتوازى اللغة المجازية الظليلة للميثولوجيا الشمالية مع عناصر من الميثولوجيا القديمة متلائمة ومتطورة في شيء من التعقيد ؛ إن الروعة الباروكيـة لمشاهد البلاط اجتمعت مع الصرامة الكلاسيكية لموضوع هيلين ، إن العرض الشعري لنظريات العلوم الطبيعية لم يحل دون تضمين التراجيديا وقار الخاتمة الطقوسية ؛ إن مجاز مشاهد ولبورجنخت متداخل تماماً مـع الرموز الرفيعة ، والعمل كله ، مع غناه بالعناصر الفنية وتعقيده يذكرنا ببناء المسرحيات الدينية القديمة ومرتبط بمسرح الدمى ، أي بالتقليد الفولكلوري ، بالحكايات والأساطير الفولكلورية · لقد خلق غوته عالماً خيالياً غريباً ملوناً ، والفضل في كماله يعود الى الوحدة بين المضمون وطريقة الأداء · ومادام القدر الشخصي للبطل يمثل قدر البشرية كلها في بحثها عن الصراط المستقيم في الحياة والتاريخ لاكتشاف آسرار الكون والدعوة ، حسب رأي غوته ، الى تذليل العقبات الجمة في طريقه التاريخية وتقديم أساس عقلي للحياة ، فان فاوست وخصمه مفيستوفيلس ليسا غير رمزيين · إن الرمزية (وعادة تكون سديمية للغاية) والمجاز يتصلان أيضاً بشخصيات أخرى في التراجيديا ·

إن من طبيعة الصـورة الفنية أن تخضع لتفسـيرات مختلفة (بما في ذلك التفسيرات الرمزية) لأن الفن لا يعكس الواقع بدقة المرآة ، إلا إذا كان نسخة واضحة تماماً عن دنيا الأشياء والظواهر · وحتى هـذا لا يقدر عليه لأن الذهن البشري لا يعكس الواقع الموضوع مثل مرآة سلبية · يمكن أن توجد هناك مبادىء شتى تخضع لها الصورة الفنية : يمكن أن تقوم على التآزر أو التشابه أو المقارنة ، يمكن أن

تكون صارمة أو خيالية أو كاريكاتورية ؛ ويمكن أن تكون مجازية ، وتشكيلية ذات أبعاد ثلاثة ، وحرفية وشكلية ، في الوقت نفسه ، ولكن مهما كانت بنيتها وسماتها السائدة ـ العقلية والعاطفية ـ فانها تقوم دائماً على طريقة خاصة في فهم الواقع اعتماداً على الطبيعة الاجتماعية لنظرة الكاتب ·

لقد بدأ علم جمال المدرسة الطبيعية بالظهور في أواسط القرن التاسع عشر عندما أخذت تغيرات عميقة تحدث في الوعي الاجتماعي البرجوازي القائم على الفهم التجريبي للواقع ، الذي اعتبره منظرو الطبيعية وشراحها مقولة ثابتة لا تخضع للتطور · وتبنت الطبيعية مبدأ نسخ الواقع وتصوير الصور التي لا يمكن تعميمها تصويراً فوتوغرافياً لتعبر عن جوهر الاشياء · وهكذا لم يفقر علم جمال المذهب الطبيعي الفن والأدب فقط بل قلل من القيمة المعرفية للصورة ، وبذلك قلل من القيمة المعرفية للفن نفسه ·

إن الواقعية ، خلافاً للاتجاهات الأخرى ، تستخدم استخداماً جيداً كل امكانيات التفكير على شكل صور ، التي تساعد في التعبير عن جوهر الموضوع المطروح · إن الواقعية تتمثل كل المبادىء القيمة في خلق الصورة ، وتكشف مزايا وسمات الواقع · وبهذا المعنى فان الصورة الواقعية تجسد الواقع تجسيداً موضوعياً وهي مساوية له بحسب طبيعتها · إن الواقعية تنقل جوهر الأشياء وليس مظهرها السطحي كما تفعل الطبيعية ولذا فان علم جمالها غني حقاً ومتنوع · إن القوة الملحمية لتصور تولستوي الذي يعيد خلق النسيج المادي المحسوس للوجود ، هي نموذج للواقعية مثل تصور ستندال العقلي والثقافي المنصاع له ؛ والتصور الانفعالي العاطفي العصبي لقصص دوستويفسكي قدمت أيضاً صورة واقعية لحياة عصره ، تماماً كما قدم نثر تشيخوف الموجز الدقيق بايقاعاته المعقدة التي تحمل أعمق تيارات الأحداث · لقد استخدم سالنيكوف شيدرن ، الساخر الروسي ، الرمزية والتشويش الخيالي في نقده المرير للبنية الاجتماعية لمجتمع روسيا الاقطاعي ـ الرأسمالي · إن كتابه « تاريخ مدينة غلوبوف » ، مع أنه يتجنب التبسيط والمجاز التعليمي ، مليء بالرمزية ، وشخصياته أيضاً رمزية هي الأخرى · ولكن تقديمه الرمزي لموظفي المدينة ، وهو بعيد عن أن يختلف عن الواقعية ، ينبع تماماً من التقليد الواقعي ، لأن المؤلف يجسد في تلك الشخصيات السمات التاريخية الحسية والنموذجية للواقع الاجتماعي · وخلف السطح الوهمي لسخرية شيدرن يكمن واقع الحياة الروسية شبه الاقطاعية ، ورؤيا

الكاتب لطريق المستقبل والمصير المحتوم للنظام القائم · لقد لجأ شيدرن الى الرمزية باعتبارها أفضل وسيلة وجدها لتقديم السمات العامة للنظام الاجتماعي بصورة نموذجية ·

إن الاتجاهات الذاتية التي نشأت في بداية هذا القرن كان ينقصها النظرة الشاملة للحياة فتطرفت أكثر من الطبيعية فيما يتعلق بتحطيم الوظيفة المعرفية للصورة · فالسرياليون ، مثلاً ، حطموا الرابط بين الصورة والواقع وعالجوا الصورة وكأنها شكل ليس له مضمون موضوعي ، واستخدموها كأداة نقل لمشاعرهم وعواطفهم المشوشة ، وتداعي المعاني والاحاسيس التي تنشأ في نفس الشاعر ، والتي يفترضون أنها مستقلة عن العالم الخارجي غير عابئة بمنطقه · ويبدو نظريو السريالية (أندريه بريتون وأصحابه) وكأنهم غير عابئين بحقيقة أن الروح « الغامضة » للشاعر والعواطف التي تعبر عنها قد تشربت تشويش العالم الخارجي· إن الرمزيين ، أولئك الذين كان جوهر الواقع معتماً وغامضاً بالنسبة اليهم ، قدموا مفهومهم عن الواقع بغموض وبأوهام واهية · لقد عرف فياشسلاف ايفانوف ، أحد النظريين الرواد وشراح الرمزية ، طبيعة التصور الرمزي على النحو التالي : « لا يكون الرمز حقيقياً إلا عندما يكون محدداً ومفهوماً في معناه ، عندما يعبر بلغته السرية (الموروثة والسحرية) عن الوهم ويقترح شيئاً ثابتاً وطيداً ، أي إنه ليس مساوياً للكلمات الخارجية · إنه قابل للتأويل المتعدد وهو معتم دائماً في أعماقه السحيقة · إنه تشكيل عضوي ، مثل الكريستال · إنه موناد (ذرة) ولهذا فانه يختلف عن الانشاء المركب في الاستعارة والأمثال والتشبيه · الاستعارة تعليم بينما الرمز إشارة »(١) · إن فياشسلاف ايفانوف وبقية الرمزيين (ميترلنك وهوفمانستال وبيلي) أقاموا حداً عسير العبور بين الأدب والواقع ، رافضين فهم الواقع ومعلنين أن الرمز وحده وسيلة التعبير عن جوهر الحياة · لقد أسندوا ، بتبنيهم نظرة حدسية ، الى الأدب الدور البائس لعراف الأسرار المقدسة المنتشرة في الكون عن طريق قوة عليا فائقة أسموها ، كما أملاها ذوقهم ، ونزعتهم الشخصية ، وكما قرؤوا في الأدب الفلسفي واللاهوتي بالروح الكونية أو الارادة أو الحافز الحياتي ، أو الموت أو شيء ما أكثر وضوحاً هو ـ المبدأ المقدس ·

ليست الرمزية في فاوست سوى نتاج الخيال الشعري : إنها نتيجة فهم ناقص للأشكال الحسية للعملية التاريخية ، ولأسسها وأسبابها الجذرية · وقد تجلى التجريد

(١) فياشسلاف ايفانوف : من نجم الى نجم ١٩٠٩ ص ٣٩ (بالروسية) ·

الفلسفي والمجاز والرمز في تراجيديا غوته في الأماكن التي لم يكن قادراً على نقل جوهر الحياة الحقيقية الجمالية الى إنعكاساته عن المصير التاريخي للانسان والمجتمع البشري. ولكن غوته ، مثل بطله ، طمح في تخطي الجهل الى المعرفة ، الى ادراك معنى التطور الاجتماعي للانسان والهدف منه . وغوته ، مثل كل المفكرين التقدميين في زمنه ، اقترب من الاستنتاج القائل إن العصر الذهبي ليس في الماضي بل في المستقبل . ان المثل الأعلى النبيل للبشرية الذي يحقق في يوم من الأيام سعادة أرضية والذي أضاء جوانب كتابه الأخير ، هذا الكتاب العظيم ، والذي نجد فيه التناقض بين فكرة الحرية وطرق تحقيقها ، ومع أنه تناقض لم يحل ، كان على الأقل عملية تأخذ بالتصاعد . لقد كانت هذه الفكرة فعّالة للغاية ، تضرب بجذورها في أعماق تربة الحياة ، وتلبي المطاليب القائلة إن التاريخ منتوج في قلب الجماهير الشعبية ، هذه الجماهير التي كان تغير شكل الاستغلال ، وهو النتيجة الرئيسية للثورة البرجوازية، يعني بالنسبة إليها بداية مرحلة جديدة في النضال من أجل التحرر . إن تراجيديا غوته تتوج فترة كاملة في تطور الفن والأدب العالميين ، مؤكدة أن حل المسائل التي نجمت عن الثورة البرجوازية ، يجب أن نبحث عنه في التاريخ نفسه .

إن ما حدث هو بالضبط ما يلي : مع تفاقم تناقضات المجتمع البرجوازي التي برزت في الساعات الأولى لانتصاره على الاقطاعية ، أصبح التاريخ بالضرورة موضوع ادراك الأدب والفن والتحري عنهما .

★ ★ ★

في المكتبات

قصص من الأدب الفارسي المعاصر

■ أبو الفتح محمد أديب عزت ■

« ٩ نيسان ١٩٥١ » ·· وكالات الأنباء :

اقتحم البوليس الفرنسي شقة واقعة في شارع « سان ميشال » ، في باريس ، بعد أن أخبر الجيران البوليس بتصاعد رائحة جثة بشرية متعفنة ، ووجد البوليس في الشقة جثة رجل ، وأثبتت التحقيقات أن الرجل قد انتحر بالغاز ، وأنه ليست في الأمر أية جريمة ، كما أثبتت تحقيقات البوليس الفرنسي أن الرجل المنتحر هو الكاتب الايراني المعروف « صادق هدايت » ، وقد تم دفن الكاتب المذكور في مقبرة الأب لاشيز في « باريس » ··

و ·· بهذا النبأ الذي أوردته وكالات الأنباء ، تم إلقاء الستار على حياة حافلة بالعطاءات وبالعذاب عاشها الكاتب والقاص الايراني « صادق هدايت » ، الذي يعتبر أحد كبار الكتاب العالميين الذين سخروا أدبهم ووضعوا كل طاقاتهم في خدمة شرفاء الناس من مناضلين وطليعيين وعمال وكادحين وفلاحين فقراء « في أوطانهم وفي شتى أقطار العالم » ·

وقد خصص الكاتب والباحث والمؤرخ الفرنسي « أندريه روسو » فصلاً كاملاً وخاصاً بأدب « صادق هدايت » في كتابه المعروف : « أدب القرن العشرين » ـ المجلد الخامس ، كما أصدر الكاتب الفرنسي « فنسان مونتييه » كتاباً عنه بعنوان « صادق هدايت » ، وفي « موسكو » صدر كتاب بالروسية لـ « ت كشلاوا » وتحت عنوان « النثر الفني عند صادق هدايت » ·· كما أن الكاتب الايراني « حسان كمشاد » كتب عنه عدة فصول في رسالته التي قدمها الى جامعة « كمبردج » عام « ١٩٦٦ » عن « النثر الفني في الأدب الايراني المعاصر » ، وقد ترجمت قصص عديدة له إلى اللغات الفرنسية والانكليزية والتشيكية والألمانية والروسية ·

و ٠٠ أهمية هذا الكاتب الايراني الكبير أنه قد حوّل الأدب الايراني من أدب تهويمات صوفية ورومانسية لاتقدم أي شيء للناس ، ولا تخدم أية قضية، أو تضيىء أية فكرة إلى أدب إشتراكي، أدب في خدمة الناس وقضاياهم ومعاناتهم وتطلعاتهم ٠٠

وقد صدرت مؤخراً في جمهورية مصر العربية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب مجموعة مختارة من الأعمال القصصية لهذا الكاتب الايراني ، وعنوان المجموعة « قصص من الأدب الفارسي المعاصر » ، وقد ترجم القصص ودرسها ، ودرس حياة الكاتب « د٠ إبراهيم الدسوقي شتا » وراجعها « محمد رشاد إسماعيل زادة » وقدم لها : د٠ يحيى الخشاب عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة ورئيس قسم اللغات الشرقية فيها سابقاً ٠٠

و ٠٠ في مقدمته لهذه المختارات ـ القصص يقول د٠ خشاب ، بعد أن يتحدث عن نشأة الكاتب البرجوازية في أسرة إيرانية عريقة :

« وقد ذهب الشاب الى أوروبا ليتم تعليمه العالي في الهندسة ، ولكن الميل الأدبي يصرفه عن الهندسة ويجعله يتبحر في الثقافة الفرنسية ، ثم ينصرف الى الأدب ويعيش فترة من حياته في « باريس » في الثلاثينات ، حيث كانت باريس تحوي خلايا الشباب الأذكياء الشرقيين ، ولأن هدايت يرفض أسرته وبرجوازيتها ، فانه يضطر الى ترك باريس ليعمل في طهران ٠٠ فلم تكن موارده تسمح له بأن يظل في باريس ولم يكن له من المؤهلات الجامعية ما يتيح له حياة يرضاها في باريس فيعود الى طهران وقلة من المثقفين يتحدثون عن العدالة الاجتماعية ويناضلون من أجلها ٠٠ ولكنه يترك طهران بعد فترة ويعود الى باريس ثم يسافر الى موسكو، ويظل في أذربيجان ثلاثة أشهر ٠٠ ولم يكن هدايت يتكسب من كتاباته ، بل كان يكتب للذين يستطيعون أن يبثوا رسالته بين الشعب ، وكان أصدقاؤه يعرفون عنه ذلك ، ولم يكد « هدايت » يموت حتى قام أصدقاؤه ودور النشر بطبع عشرات الألوف من مجموعاته القصصية واذا بالاقبال عليها يجعل من إسمه علماً من أعلام الأدب الايراني الحديث ، ويقبل المستشرقون على كتاباته فيترجمونها الى اللغات الأوروبية المختلفة ، ويكتبون عنه ، ويصبح « هدايت » الذي كتب للشعب الايراني واحداً من كتّاب الانسانية الذين يعتز بهم الأدب الرفيع ، ويصبح قراؤه في كل مكان٠

وفي مقدمة الترجمة الروسية لمنتخبات آثار « صادق هدايت » التي ترجمها كميسروف وروزن فيلد يقول صادق هدايت عن نفسه :

مهما يكن فليس في تاريخ حياتي ما يلفت النظر : لم يحدث فيها ماهو جدير بالانتباه ليس لي منصب هام ،

ولا أنا من حملة الشهادات العظيمة ، لم أكن أبداً طالباً بارزاً على عكس ذلك كان نصيبي دائماً هو عدم التوفيق ، ومهما كنت أعمل كنت أبقى خاملاً ورؤسائي غير راضين عني ، ربما لو استقلت لرضوا » .

ويقول «مجتبى منيوى» بشأن الأصول الفكرية لهدايت وجماعته الأدبية :

كنا نكافح باصرار ونجاهد من أجل الحصول على حريتنا ، وكان هدايت هو مركز دائرتنا ، كما أن الكاتب الايراني « برزج علوى » يضيء في مقال له جانباً آخر من جوانب حياة هذا الكاتب الذي بلغ به التواضع أن يقول «فليس في تاريخ حياتي ما يلفت النظر » .. يقول « برزج علوى » : كان هدايت رجل مقاومة ومبارزة ، ويعلم أصدقاؤه المقربون ، أنه في أيام الشدة حين تغلبت قوى « أهريمن » « إله الظلام » كان يكافح في حماسة وإيثار من أجل تسكين آلام المطالبين بالحرية ، زاجاً بنفسه في التهلكة .

والى جانب ذلك .. فان « هدايت» قام بجهد كبير في ترجمة الآداب العالمية الى لغة بلاده وكان أول مترجم لأعمال « تشيكوف » وترجم لكافكا وسارتر وجيرار دي نرفال وكان يعتبر الترجمة جانباً من نشاطاته الفنية ومن واجبه القومي تجاه وطنه ، عبر نقل الآثار الأدبية العالمية كي يقرأها ، يطلع عليها، يستوعبها الناس في بلاده .

ويقسم المستشرق السوفييتي « كميسروف » أعمال هدايت الأدبية المئة التي كتبها خلال اثنتين وعشرين سنة الى فترتين ، الفترة الأولى من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤١ ، والثانية من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٥٠ .

ويبدو تأثير آداب أوربا الغربية واضحاً في فن « هدايت » في فترته الاولى فأحداث قصصه تقع في العوالم الأخرى إذ تتناجى أرواح الموتى عن الحياة على وجه الأرض وتناقش ظهورها في الحياة الأخرى ، وثمة في تلك المرحلة قصصاً له تشمل إنعكاسات عن الوضع غير المستقر للروح ، وتتردد في قصص تلك الفترة تعبيرات السخط والرفض والعبث وعدم جدوى الحياة ، واكثر أبطال قصصه إنهزاميون هاربون وجميع أبطاله يصارعون ويفشلون وفي النهاية تصيبهم خيبة أمل واحدة ، فينهارون ويتشردون أو يودعون الحياة منتحرين في الغالب .. هذا في المرحلة الأولى من عطاءاته .. بينما تتجسد مواقفه الى جانب الشعب والحياة والانسان في مرحلته الثانية .. ففي هذه المرحلة من عطاءاته نجد الميل الواضح الى الواقعية ، فالمشاكل الاجتماعية الصارخة والصراعات المرتبطة بالناس والوطن كانت دعائم تيار القصة الواقعية في ذلك العصر ، وساعد تغير الحالة السياسية في إيران في تلك الآونة على نمو هذا التيار عند « هدايت » الذي بدأ في مرحلته الثانية هذه بالانفعال

جيداً مع الجماهير وبدأ يستمد أعماله منهم ، واكتسب بذلك مكانته وأهميته ٠

ولقد بحث الكثيرون عن السبب في انتحار « هدايت » ، بعضهم يرده الى أسباب شخصية بحتة ، ومنهم من يقول أنه أصيب بيأس من الحياة بعد وفاة أحد أصدقائه ، وبعضهم يرد إنتحاره الى مصرع زوج أخته « رزم آرا » الذي كان رئيساً لوزراء إيران واغتيل ٠٠ ومهما يكن فان فكرة عدم الرضا عن أوضاع وطنه في تلك السنوات البعيدة ترتبط في شكل ما بمسألة إنتحاره فقد كانت ايران في الخمسينات حيث غادرها «هدايت» ، قد ركنت الى يأس مرير ٠٠ وكما يقول هدايت نفسه عن تلك الفترة:

« لقد انزوى المثقفون ، وعادت الكعوب الحديدية تدق أمام أبوابهم في الليل ، ورأيت أن كل ما سأكتبه سيصبح غير ذي شأن » ٠٠ وأمام ذلك الوضع النفسي أحرق أوراقه ومضى ، فقد كانت هناك فجوة واسعة تهدد بعدم وصول ما يكتبه الى من يكتب من أجلهم ٠٠ ولا ريب أن هذا الموقف ٠٠ مدان ٠٠ ويشكل هروباً من الحياة ويجب أن يكون الكاتب أبعد ما يكون عن إتخاذ مثل هذا الموقف المدان ٠٠ غير أن المسألة أن الكاتب رحل ٠٠ واستطاع أن يستمر في الحياة عبر أعماله وعطاءاته الهامة ٠٠ وكما كان يقول « بوتيف » الشاعر البلغاري الشهيد :

« إن من يسقط في معارك الحرية والحياة ومن أجل الشعب
لا يموت ٠٠
لا يستطيع أن يموت أبداً ٠

ويحتوي الكتاب « قصص من الأدب الفارسي المعاصر » لصادق هدايت على أربع عشرة قصة قصيرة تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة لهذا الكاتب وكما يقول د٠ ابراهيم الدسوقي في مقدمته لهذه المجموعة من القصص :

« ولما كان هذا الأديب العظيم لم يظفر بما يستحق من معرفة عند القراء العرب ، ولم يُترجم من أعماله الى العربية الا ما قدمه الدكتور « أمين عبد المجيد بدوي » من ترجمة لقصته « ثلاث قطرات من الدم ٠٠ فاني أقدم الى قراء العربية أديباً تأخرت معرفتهم به ، أقدمه من خلال أربع عشرة قصة قصيرة ، حاولت قدر الامكان أن أجمع فيها كل اتجاهاته الانسانية والفلسفية ، واني آمل أن أكون قد ُوفقت في نقل أدب هذا الأديب ذي الشهرة العالمية ، حتى يتم إلتقاء التيارين العظيمين للأدب الشرقي والأدب الغربي في بلادنا التي كانت وستظل دائماً ملتقى الحضارات» ٠

و ٠٠ قد بذل الدكتور المترجم جهداً مشكوراً وواضحاً في ترجمة قصص المجموعة ٠٠ مما يجعلها إضاءة لعالم هذا الكاتب الايراني الكبير ٠٠ ومما يجعل بالتالي من هذه المجموعة إضافة لها حضورها وأهميتها في المكتبة العربية ٠

عادل أبو شنب :

صفحات مجهولة من تاريخ القصة السورية : دراسة ونماذج*

بقلم : ماريا خيوس بيغيرا
ترجمة : رفعت عطفـه

ماهي التأثيرات الاجتماعية ـ ابتداء من الروح وحتى الشـكل الاجتماعي مارّين ب ... ـ للأقصوصة ؟ : « هذا الكتاب يحاول أن يجد جواباً » (ص٥) .

قليلة هي الدراسات التي كُرّست لهذا الموضوع ـ وهي لا تتعدى الكتابين وبعض الأطروحات الجامعية التي لم تنشر : ـ « هــذا الكتاب يحاول أن يسـد فراغاً » (ص ٦) .

هذان الغرضان : البحث عن أجوبة ـ وسدّ فراغات ، يميزان كثيراً مرحلة التحقيق عند عادل أبو شنب (المرحلة الأخرى هي مرحلة الابداع : أربع مجموعات قصصية ، خلال الأعوام ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ و ٧٣ ؛ ومسرحية للأطفال ، ... إلخ). وقد حاول هذا الكاتب السوري في ثلاثة كتب أخرى تنظيم أعمال أدبية غير متناسقة، معتمداً على التحليل الذي لا مأخذ عليـه : **حياة الفنان عبد الوهاب أبـو سعود** (١٩٦٢) ،**ومسرح عربي قديم : « كركوز »** (١٩٦٤)**وكان ياما كان** (١٩٧١).

في الفصل الأول من كتابه هذا (ص ١١ ـ ٧٦) يحيي المؤلف من جديد ويحلل بعض الباكورات الواعدة . إن دراسة شاكر مصطفى (**القصـة في سـورية حتى الحرب العالمية الثانية** ، دمشـق ١٩٥٨ ٥٨٣ ص) هي مرجـع « أبـو شنب »

(*) منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق : ١٩٧٤ ـ ٢٣١ صفحة ، ١٩ × ١٣٫٥ سم ؛ ٣٫٥ ليرة سورية .

لاستقصاء المواد (التي لم تؤخذ بعين الاعتبار حتى ذلك الحين) عن تلك الروائية المجهولة تماماً ، والتي تمثل فقط روائية الربع الأول من القرن العشرين (وقبلها ، ترى هل هـذا صحيح ؟ هاهم فرانسيس المراش ١٨٣٥ ـ ١٨٧٤ وفرح أنطون ١٨٧٤ ـ ١٩٢٢ ـ بين مجموعة من المترجمين والآخذين بتصرف والمبدعين لم تدرس حتى الآن بشكل فعال ، لا لشيء إلا لأنها تحمل في ظاهرة تاريخها ظاهرة تعريفها) •

عادل أبو شنب يكشف النقاب عن خمسة نماذج من القصة الواعدة : **المخدر يبيح الأسـرار** (١٩٢٨) ، **عاطفة في نظر القانون جريمـة** (١٩٢٨) ، **الحب العصري الشريف** (١٩٢٧) ، **طارق بن زياد وفتح الأندلس** (١٩٢٨) ، **على مذبح الأنانية** (١٩٣٠) ، وكلها منشورة في المجلة الشهرية **العرفان** •

لقد رجع إلى الصحافة الدورية ، كبرنامج ومنهاج ، وكان مصيباً في هذا ؛ وهنا يكمن القسم الأول • الصحف تبـدأ بنشر الأقاصيص • اجراءات كل منها تسبق ، كما هي متناغمة جدتها ، وانتصارها ، الخ • إن الصحافة والأدب العربيين الجديدين يسيران معاً بشكل جذري : الأولى تنشر قصصاً وتخلق معجبين ـ هـذا التعاون الذي يصل الى أن يصبح متبادلاً ـ ؛ هناك مظهر آخر . الصحف أنعشت مبادرات كثـيرة ، إدارات تحريرها أظهرت « شجاعات جماعية » في التطور لما هو جديد[1] (هذا الشيء ، الذي لم يكن سوى حدس خالص ، انتهيت الى تأكيده في رواية عراقية : **خمسة أصوات** لغائب طعمة فرمان (بيروت ١٩٦٧) : في بغداد عام ١٩٥٠ إدارة تحرير صحيفة تخفي خمسة مفكرين يحملون ميولها الشخصية للتكيف) •

إن تحليل القصص المطروحة ، الذي يقوم به « أبو شنب » باسهاب ، يقدم لنا ملامح أصيلة : بعض الشخصيات تحمل أسماء أجنبية (هيلين ، روك) ، هكذا كانوا يستطيعون أن يأخذوا دور معالجة ما (شخصية ، واقعية ، وعاطفية) للحب ، الذي كان من المحرمات لأنه يفهم بهذا الشكل : بمعنى أنه كان يتكلم عن الحب بشكل مثالي أو قبيح ، الشيء الذي كان يسمح به الشرع أو العرف ، بينما كان الغريب واللا مقبول هو التعبير الطبيعي (ميكل أنخل أستورياس قال ، وبشكل عام ، أن ألفاظ الحب في الأسبانية كانت إما صوفية وإما ثكنية) • إن موضوع الحب هو أحد الموضوعات الأساسية في الملامح الأصيلة للروائية العربية الجديدة •

(١) عندي في « فيشي » إشارة الى أن **مجلة العرفان** نفسها ، عام (١٩٢٥) عدد ١١٢ ص ٣١١ ، نشرت مقالاً بعنوان **الصحافة والأدب** ، إنني لـم أقرأه ، ولكن العنوان لوحـده ذو معنى بالنسبة لما أنا بصدده •

تهمنا من بين القصص المنتقاة وبشكل خاص قصة **طارق بن زياد :** « بصراحة إن دراسة موضوع الأندلس في الأدب العربي المعاصر هو ينبوع مضمون » هذا ما يقوله بدرو مارتينث مونتابث **في محاضر الحوار الثاني الاسباني التونسي للدراسات التاريخية** (مدريد عام ١٩٧٣ ص ٢٤٤ ، رقم ٢٣) • عدا عن كون هذه القصة هي أطول القصص فانها تحوي ملامح ذات معنى : فهي بتوقيع مستعار « ابن البادية » لا أكثر ولا أقل ، إنها تأكيد لهوية جماعية ، لا فردية ، تماماً مثل هيكل : « مصري فلاح » • « أبو شنب » يشير جيداً إلى أن هذه الموضوعات كانت تلقى إعجاب الجمهور ، لأسباب من بينها الدافع الوطني أو القومي (ص ٣٣) • ومن محصولي الخاص أضيف عاملاً آخر يمكن أن يكون هزيلا ومعوجاً : في ذروة الاختناق الاستعماري الغربي يمكن إفتراض نوع من « الانفلات » للتذكير بأنهم وضعوا رمحاً لهم في أوروبة • ومما يؤكد هذا أن الرواية تقول إن طارقاً عاد الى الأندلس ليتزوج من ابنة دون خوليان ، وهكذا اختار الكاتب هذه النهاية ، التي يجهلها التاريخ •

شخصياً يؤسفني أن « أبو شنب » لم ينقل قصة طارق بن زياد في ملحقه الأخير (ص ١٧١ ـ ٢٢٨) حيث يقتطف نماذج قصصية لربع قرن : **المخدّر يبيح الأسرار** (١٩٢٨) لمحمد أديب رهونجي ، **الضيف الثقيل** (١٩٣٣) لعلي خلقي ، التي لم تنشر قبلاً ، **سرّ الهاربتين** لمحمد النجار ، **المرحلة الأولى** (١٩٤١) لوداد سكاكيني ، **ودرب إلى القمة** (١٩٥٢) لمواهب كيالي •

في الفصل الثاني يطرح أبو شنب موضوع الواقعية في قصص علي خلقي (ص ٤٥ ـ ٧٦) وهو من مواليد عام ١٩١٠ وعرف وهو في العشرين من عمره بمجموعة يذكرها الكاتب : **ربيع وخريف** ، رغم أن « أبو شنب » يحلل في الواقع قصصاً أخرى متفرقة لهذا المؤلف ، « واحد من أوائل من فهموا أن القصة فن أدبي جديد (ص ٤٦) ، « إنه الأول تقريباً الذي كتب القصة وهو يعرف أنه يكتب قصة » (ص ٧٥) ويكتب أدباً ملتزماً ، « وطرح دون أن يعلم ذلك ، الالتزام الروائي للخمسينيات » •

ويكرس لمحمد النجار ، صاحب مجموعتين قصصيتين ، (١٩٣٧ و ١٩٤٦) ، الفصل الثالث (ص ٧٩ ـ ١٠٠) ، وهنا يكرر النموذج : مقدمة عن سيرة المؤلف ، استدعاء بيئوي مسهب ثم تحليل لبعض القصص • النجار هو مؤلف آخر تم إنقاذه اذ مات يلفه النسيان في نهاية عقده السادس •

إن سنوات الحرب العالمية الثانية ، بشكل خاص ، كانت فارغة ــ بالطبع في حقل الأدب ــ ، إلا أن « أبو شنب اكتشف منجماً مــن القصص : مضمنة في مجلة **الصباح** الأسبوعية التي أسست في دمشق عام ١٩٤١ • ولشرح هذا يكرس الفصل الرابع (ص ١٠٣ ــ ١٥٤) : يقص علينا أولاً الظروف وأسماء كتاب وإشارة الى نظرية أدبية هامة لفؤاد الشايب (ص ١١٢ ــ ١١٥) ، وبدايات العجيلي ، الذي نال الجائزة الأولى التي أعلنت عنها عــام ١٩٤٢ المجلة • ثــم تحليل للقصــة الفائزة والأخيرة •

يعالج الفصلُ الخامسُ (ص ١٥٧ ــ ١٦٨) موضوع جيل الاتهام . إنــه جيل الخمسينيات (هذا الجيل الذي عالجته على الأقل ثلاث روايات شهيرة لحسيب الكيالي ، ١٩٥٦ ، ومطاع صفدي ، ١٩٦٠ ــ ١٩٦١) •وقــد شــهد هــذا العقد ولادة **رابطة الكتاب السوريين** ، التي أغلقت عام ٥٩ ، لأسباب سياسية • ويعتبر بيانها الذيأذاعته هاماً (ص ١٥٨) • ظهر في عام ١٩٥٢ كتابها العامالأول: **درب إلى القمــة** ، مجموعة قصصية • وهكذا : « **انتهى عهد البدايات** » •••• بهذا ينهي الكتاب •

في الحقيقة ، قدم لنا المؤلف ، بهذا المشــروع المطرد ، والمصيب ، تاريــخ الروائية السورية لأربعة « عقود » (ويمكن تلخيصها في الحقيقة بربع قرن) واضعاً في الاعتبار رموزاً ضائعة ، ومجهولة (وربما لهذا حولها الى رموز زائدة عن الحد) جاعلاً إياها مطلقة ، على شــكل تمثيلي ، وقد همه « تجسيد الشخصيات كنماذج في الواقع » (ص ٧٥) من أجل استنتاجاته وتركيباته •

إنه لمن الأهمية بمكان كيف وفّق أبو شنب بين نوع من التركيبية ونوع من التاريخية الحقة • إن مؤلفه هذا لمساهمة ذات قيمة لمن يكرس نفسه ، مثلنا هنا ، لموضوعات كهذه •

---

(١) المقال عن مجلة « المنارة الاسبانية » العدد ٧ ــ ٨ عام ١٩٧٥ التي يصدرها الاستاذ مارتينث مونتابث في مدريد •

الولايات المتحدة الأمريكية

شــارع جونز العظيم

تأليف : دون ديليللو
اعداد : محمد الظاهر ـ الاردن

قبل صدور هذه الرواية بعام واحد فقط ، أصدر دون ديليللو رواية « نهاية الدائرة » ، تلك الرواية التي استطاعت من خلال لغتها الهزلية ، ومضمونها الذي يفرض نفسه على القارىء - من خلال عمليتي الأخذ والعطاء ، أن تلفت نظر القراء والنقاد اليها ، محققة بذلك نجاحاً كبيراً للكاتب ، مثبتة وجوده على خارطة الرواية الامريكية - ومعلنة أن لديه الكثير مما يريد قوله ٠

وها هو بعد عام واحد ، فقط ، يطلع علينا بروايته « شارع جونز العظيم » مؤكداً الخط الذي سار عليه في روايته السابقة ، مضيفاً اليه بعداً نفسياً سيكولوجياً٠ من خلال وقوفه على حادثة انتحار بطل روايته « بكي وندرلك » ومن خلال تحليله للمواقف المتناقضة التي تتبلور من خلال عملية الرصد الواعية لتلك الحادثة ٠

فها هو « بكي وندرلك » يترك مجموعته ، ـ تاركاً بذلك حياة الصخب ـ في « هوستن استرودوم » ويعود الى شقته في « منهاتن » ، لينتحر هناك بصمت ٠ وها نحن ندخل تلك الشقة التي كان يقيم فيهـا « وندرلك » لنجد أنفسنا أمـام موقفين متناقضين :

★ ذلك الجار الرغاء الهرم ، الذي يزعم انه كاتب كبير ، وانه يكتب تحت اسم « ادوارد بي فينغ » :

« لابد وانك سمعت بي ، لابد وانك سمعت شيئاً عني ٠ لقد دعيت مرتين من أجل البت في جريمة « لاسزلو بياكوف » الغامضة ، كما انني قد تقدمت بأبحاث عظيمة لكلية الزراعة في « اركنساس » ٠٠٠ انني أعرف كل مجمعات الكتاب ، وهذا الشيء لا يعرفه الا القليل من الناس ٠٠

★ هذا هـو الموقف الأول أما الموقف الثاني ، فانه لا يخرج عن نطاق ذلك المكان ، بل في نفس الشقة في غرفة مجاورة ، حيث يرقد أحـد الاطفال المعوقين « اخرس » يتأوه ، وينظر الى سطح الغرفة وجدرانها ، مازجاً الجمال بالرعب ، محاولاً التعرف على تلك الأشياء المبهمة التي لا يدرك لها معنى •

بعد ذلك التناقض الغريب بين الشيخوخة والطفولة ، بين النطق والخرس ، يعبر بنا المؤلف الممر الطويل الى غرفة « بكي وندرلك » بطل قصته ، حيث نصطدم برزمة المخدرات • تلك المخدرات التي عشعشت في عقل « بكي وندرلك » وقادته نحو المجهول ، حيث يصف لنا ديليللو بطريقة الايحاء النفسي المنظم والفعال كيف تسربت ذرات الرعب الحقيقي الى عقل « وندرلك » :

« ستكون معافى تماماً ، لن يكون بمقدورك التعامل مع الكلمات • هذا هو كل شيء ، لن تتسرب الاشياء الى ذاكرتك بالطرق المتعارف عليهـا ، استسلم ، استسلم ونفذ كل ما أمليه عليك » •

هنا تظهر مقدرة « ديليللو » على التلاعب بالكلمات ، ذلك التلاعب الذي يعطيها سحرها ، ويوطد علاقتها وصلتها بالقاريء •

لكن هل استطاع « ديليللو » بالرغم من اضافاته ، أن يتجاوز روايته السابقة• « نهاية الدائرة » ؟؟

في الحقيقة لا••ذلك أن هذه الرواية تقع في مطبين كان من الواجبتجاوزهما•

أولاً ـ السوداوية والتشاؤم ، اللذان يفرضان نفسيهما على جو الرواية ، منذ البداية ، وحتى النهاية •

ثانياً : محاولة الكاتب ، فرض تصوراته الذاتية ، واقحامها في سياقالرواية، من خلال اقحام عملية موت الفتاة ، تحت تأثير الصمت والرعب ، من خلال التركيز الشديد على بث الرعب والصمت في كافة خلايا الرواية •

هذان الخطان لم يقع فيهما « ديليللو » في روايته السابقة « نهاية الدائرة » ولكن بالرغم من ذلك ، فان هذه الرواية تبقى واحدة من الاعمال الناجحة التي تفرض نفسها على القاريء من خلال تفاعلها المباشر معه •

«الآداب الأجنبية»
من خلال المجلات والصحف والقراء

الآداب الأجنبية في سنتها الثانية

فاجاتنا مجلة الآداب الأجنبيــة الفصلية التي يصدرها اتحــاد الكتاب العرب بدمشــق بنكهة جديدة وذات طعم خاص تسيطر علىهذا العدد من سنتها الثانية بعد أن غاب عنا العدد الاول لهذه السنة دون ان نعرف سببا لذلك.

نحن مبدئيا بعد قراءتنا للعدد الاول من هذه المجلة وكان ذلك لسنة مرت طالبنا بالحاح أن تكون شهرية أو قل مرة في كل شهرين ، لا ترفا بل ضرورة كنا نبحث عنها وجاءت هي لتحقق لنا شيئا هاما من تلك الفرحةالغامرة.

ان الآداب الاجنبية تضعنا عبر أعدادها في قلب العالم المتحرك شرقه وغربه وتطلعنا عــلى نماذج من آداب أممه وانماط من تعابير أهله . ولعلهــا المنبر الادبي الوحيــد الذي استطاع أن يحقق لنا أمنية طال لهاثناوراءها. لا نقول ان الآداب الاجنبية حققت كل شــيء لكنها حققت أشياء مما نحلم ونتمنى ، خاصة بالنسبة للذين لا يجيدون من اللغات العالمية الا العربية .

ويأتي هذا العدد « الثاني-السنة الثانية » ليرسخ الفكرة ويضيء جوانبها . فينفرد عن الترجمــة مجرد الترجمة الى استحداث محاور هامة جدا عن بعض أدباء العالم . أو محاور هامة عن بعض آداب العالم .

في البداية يقدم لنا الدكتور أحمد سليمان الاحمد ـ رئيس التحرير ـ محوراً عن الشعر التشيكوسلوفاكي المعاصر.ويقــدم لنا مجموعة منهذا الشعر عبر أربعة من شعرائه المعاصرين مع نبذ مكثفة عن حيواتهم . ويطالعنا محــور ثان عن القصة البلغارية من خلال « نيقولاي خايتوف » ويترجم ميخائيل عيد أربع قصص كاملة عنه ، بينما يقدم الياس نلور محورا طويلا عــن الشاعر ميشال ديغي تحت عنوان « أعمال ١٩٦٦ » ونقرا ديوان شعر كاملاً لهذا

الشاعر • ويقدم القاص جورج سالم محوراً ثالثاً عن القصص الايطالية فيترجم عن دينو بوتزاني خمس قصص كاملة بعد مقدمة نقدية وتاريخية ضافية • ويقدم الدكتور منير الاصبحي محوراً رابعاً عن القصة الانكليزية القصيرة عبر ثلاث أديبات •

هذه أهم المحاور الابداعية في العدد وهي تضع قراء المجلة أمام أربع موائد أدبية مختلف ألوانها • وفي مجال النقد والدراسة يترجم الدكتور أحمد الحمو بحثاً طويلا عن « منطق بريخت في المسرح » مع تقديم نقدي • ويقدم الناقد اللامع يوسف اليوسف ترجمة لقصة انكليزية لغابرييل جوزيفتشي ويعقبها بدراسة نقدية موازية لها • ثم يقدم الياس سعد غالي دراسة مقارنة بعنوان المعري ولوقيانوس السمسياطي •• ودراسة نقدية أخرى لـ « ف• شيربينا » عن الاغتراب والادب المعاصر يترجمها نزار عيون السود • وتظل في العدد قصة واحدة لآنا زيجرز يترجمها عبده عبود عن الالمانية •

وأهم ما في هذا العدد هو أن كل مواده من الانتاج العالمي الجديد والمعاصر ، وهذا يضع تاكيداً على قدرة هذه المجلة على ملاحقة تطور الادب العالمي باستمرار •

مجلة « الرسالة » ــ الكويت

العدد ٦٩٥ السنة ١٥

الآداب الأجنبية (فصلية ــ سورية):
يصدرها اتحاد الكتاب العرب أيضاً • المجلة الاولى من نوعها في الوطن العربي تنحصر مهمتها في عرض آداب الأمم الاخرى أي أن الأعمال الأدبية المعربة عن اللغات الأجنبية تشكل لبنتها الأساسية • ونعتقد أن هذه المجلة سيكتب لها نجاح أكبر اذا أصبحت مجلة شهرية فالقارىء العربي قد ينتظر شهوراً ثلاثة حتى يقرأ مجلة اقتصادية أو تربوية أو طبية أو عسكرية ولكن ذلك يصعب عليه عندما يكون الأمر متعلقاً بالأدب فهو يتوق الى مطالعة المجلة الأدبية في مطلع كل شهر أو أسبوع •

ياسر الفهد

في كتابه « مواقف مع الصحافة العربية »

■ دخلت مجلة الآداب الأجنبية عامها الثاني ، وقد اكتسبت خلال هذه الفترة القصيرة ثقة القراء والأدباء العرب بما اعتمدته من نشر لترجمات الكتب والمقالات والبحوث والقصص والشعر العالمي •••• كما أنها خلال هذه الفترة الوجيزة أصبحت متميزة عن المجلات الأدبية العربية الأخرى باختصاصها واقتصارها على الآداب الأجنبية العالمية وخاصة ما يخدم قضايا الثورة العالمية داخل وطننا العربي •

جميل محمود أبو صبيح

مجلة « أفكار » ــ الاردن

العدد (٢٩) تشرين الاول ١٩٧٥

■ يسعدني أن يكون بمتناول أيدينا مثل مجلتكم القيمة تلك معتبراً إياها انجازاً أدبياً كبيراً لابد منه ·

فوزي عطية شناق

الاردن

■ حقاً إن مجلة الآداب الأجنبية لدليل واضح على نماء المحاولات التثقيفية في وسطنا الحالي الفقير بكل المصادر الضرورية لتطوير الأفق والثقافة العربيين فشكراً لكم ··· أعتقد أنها ظاهرة جديرة بالاهتمام من قبل مثقفينا وخاصة لأنها تتبنى الفكر التقدمي الثوري · وأشكر أيضاً الفنانة سمر موسى باشا مصممة الأغلفة وأتمنى أن أحظى بعنوانها لأراسلها وأهنئها على رسومها الملونة بشكل جميل وعصري · ولي طلبان صغيران هنا :

أولاً ـ أن تنشر في كل عدد صورة ملونة كبيرة لأحد مشاهير الأدب العالمي ليضعها المهتمون في غرفهم بدل صور الممثلين والممثلات ـ كما يفعل بعضنا ـ فهي تلوّن حياتنا بشعور مسؤول عن الأدب الحقيقي ·

ثانياً ـ سرد مختصر لتاريخ تطور الأدب في البلد الذي تقدّمُ المجلة نماذج من عطاء أدبائه · وحبذا لو تبينون ما نوع الأوزان الشعرية التي يكتب فيها شعراء تلك البلدان والتي تختلف عن الأوزان العربية كما نوهتم في كتابكم « هذا الشعر الحديث » ·

مي منصور

اللاذقية

أقرأ كثيراً ·· بالنسبة للمجلات أتصفح أغلبها وأقرأ بروية « الآداب الأجنبية » · حبذا لو صدرت شهرياً ·

أديبة معروف

مدينة الثورة (سد الفرات)
مجلة الثقافة الشهرية
تشرين الاول ـ ١٩٧٥

■ مجلتكم ·· استطاعت أن تنقل للقارىء العربي خلال فترة قصيرة تغطية عريضة لأهم المساهمات في الأدب العالمي · وانه لاتجاه ثمين أن يبادر اتحادكم لتوثيق علاقة المثقف العربي بانجازات وتطورات الثقافة في العالم خلال رصدها ومتابعة آفاقها ·

صلاح عبد اللطيف

بغداد

■ لا نشك أن الحياة الأدبيــة في سورية نشيطة متوثبة والأدباء يخوضون جميع التجارب الفنية بعزم لا يعرف التردد ، واذا كانت نهضتنا الحديثـة قــد قامت على دعامتين : بعث تراثنــا القديم ، ونقــل التراث الاوروبي الى حياتنا الفكرية والوجدانية ، فأنت أكثر الرواد حماسة للتراث المتقدم من الفكر الاوروبي ، عرفت أعلامه ، ونفذت الى لبابه وأصوله ، ثــم حملت بعد ذلك قلمك ورحت تكافح قوى الظلام ، من رجعية فكريــة واجتماعية وسياسية ، واستعمار باطش ينهب خيرات الشعب ويقف في طريق نهوضه وتطوره . لقد كنت منذ اللحظات الاولى التي حملت فيها القلم داعية الفكر العلمي ، والمبشر بالاتجاهات التقدمية ، مع رقة وعذوبة شديدة في الشعر والنفسية .

وكتاب « الآداب الأجنبيــة » الذي تقدمه من خير ما تقدمه على مائدة الفكر لشبابنا الذي يريد أن يعرف ويختبر ، وينتقي ويجدد لأنك لا تقدم اليناجرد ترجمة وانما تدلنا في دقة العالم وعمق الفيلسوف وحساسية الفنان الى القيم التي نمارسها اليوم في حياتنا ، والتي نتطلع الى ممارستها في غدنــا القريب والبعيد .

نرجو ونود لو نقرأ شيئاً عن شعر الشاعر العظيم شيللي .

دمشق ــ **ثريا مورهلي**

في العدد الرابع من « الآداب الأجنبية »

نقــرأ :

■ مختارات من الشعر اليوغوسلافي المعاصر

ترجمة : د. أحمد سليمان الاحمد

■ مختارات للشاعر الايطالي ايوجينيو مونتالي الحائز عــلى جائزة نوبل ١٩٧٥ .

ترجمة : عيسى الناعوري

ضيــوف الاتحـــاد

■ زار دمشق بدعوة من اتحاد الكتاب العرب وفد من اتحاد الكتاب السوفييت مؤلف من : فلاديمير أملينسكي سكرتير الاتحاد ، القصصي وكاتب السيناريو المعروف ، وكذلك المستشرق السوفييتي ايغور يرماكوف مستشار اللجنة الخارجية للشؤون العربية في الاتحاد ، وقد اجتمع الوفد الى رئيس إتحاد الكتاب العرب الاستاذ حافظ الجمالي وأعضاء المكتب التنفيذي وجرى بحث التعاون بين الاتحادين كما تم تجديد الاتفاقية الى عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ـ وتنص الاتفاقية ـ فيما تنص ـ على تبادل المجلات والمنشورات الصادرة عن الاتحادين ، وتعريف شعوب الاتحاد السوفياتي على مؤلفات وأعمال الكتاب والأدباء العرب ، والعكس • وكذلك تبادل الوفود من أجـل تدعيم الروابط الثقافية والاطلاع على أهـم المنجزات •

ويعتبر فلاديمير أملينسكي واحداً من أبرز كتاب القصة والاقصوصة في الاتحاد السوفياتي • كان في الرابعة من عمره عندما بدأت الحرب الوطنية العظمى عام ١٩٤١ • هاجر مع أهله الى سيبيريا ، وعاد الى موسكو بعد النصر •

كَتَبَ اول عمل أدبي وهو قصة قصيرة للأطفال عندما كان في الثالثة عشرة من عمره • وبعد أن أنهى الثانوية انتسب الى المعهد السينمائي في موسكو وبدأ انتاجه الأدبي في النصف الثاني من الخمسينات حيث كان ينشر باستمرار في مجلة « الشباب » (يونيست) • وكان رئيس تحرير المجلة ، في تلك الفترة ، الكاتب السوفياتي الشـهير فالنتين كاتاييف الذي يعتبر المعلم الروحي لأملينسكي • وقد رأى فيه كاتاييف شاباً مبدعاً مبشراً بمستقبل أدبي باهر •

عمل أملينسكي مراسلاً صحفياً للصحيفة الأدبية الصادرة عن اتحاد الادباء السوفييت ، وجال في مختلف أرجـاء الاتحاد السوفييتي ، وعـلى الأخص ، سيبيريا ، حيث كان يكتب عـن التغيرات الجذرية فيها • وفي الوقت ذاته تابع نشر أعماله الادبية في مختلف المجلات الأدبية ، وصدر له حتى الآن خمسة عشر مؤلفاً أدبياً منها قصة « حياة ارنست شاتالوف » وقد قررتها وزارة التربيـة للدراسة في الصفوف الثانوية •

وآخر مؤلفاته رواية « عودة الاخ » التي تقص مصير إنسان تمكن من إيجاد مكان له في المجتمع بعد أن قضى فترة طويلة في السجن • وقد ترجمت الى عدة لغات أجنبية وفازت بجائزة « أفضل كتاب لعام ١٩٧٤ » في بولونيا •

محتوى العـــدد

المـوزعون

سورية : مكتبة حسين نوري ـ دمشق

الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

تونس : الشركة التونسية للتوزيع

بقية الأقطار العربية : الشركة العربية للتوزيع ـ بيروت

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :

- للأفراد ١٥ ل.س
- للدوائر الرسمية ٣٦ ل.س

في البلاد العربية :

- البريد العادي ٢٤ ل.س
- البريد المسجل ٤٨ ل.س

تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي

الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكاً أو يدفع نقداً الى محاسب اتحاد الكتّاب العرب

سعر العـدد

سورية	٣٠٠	ق.س	عـدن	٦٠٠	فلس
لبنان	٣٠٠	ق.ل	السعودية	٦	ريالات
الكويت	٤٥٠	فلس	ليبيا	٣٧٥	درهم
ابو ظبي	٩	دراهم	تونس	٧٠٠	مليم
دبي	٩	دراهم	المغرب	١٠	دراهم
الخليج العربي	٩	دراهم	الجزائر	٦	دنانير
الاردن	٤٠٠	فلس	السودان	٧٥٠	مليم
قطر	٦	ريالات	العراق	٤٠٠	فلس
البحرين	٦٠٠	فلس	مصر	٥٠٠	مليم

مطابع الف باء ـ الأديب ـ دمشق

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة الثانية ـ العدد الرابع ـ نيسان ١٩٧٦

الادارة: اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ شارع مرشد الخاطر

هاتف ٤٤٦٧٠٠ ـ المراسلات باسم رئاسة التحرير ص ب ٣٢٣٠ دمشق

تنويـــه

- جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير •
- تتوجه رئاسة التحرير الى الأدباء والمترجمين في الوطن العربي لتزويدها بمواد مترجمة من الأدب العالمي في مجـالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الأدبي ، وتقديم أو تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائدة الفنية والفكريـة • ويرجى من الأساتذة الذين يرسلون المواد المترجمة أن يرفقوها بالأصل ، من أية لغة كانت ، أو الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهوراً • وتعتذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت أو لم تنشر •

كلمة المجلة

مع هـذا العدد من « الآداب الأجنبية » نودّع عاماً ثانياً ، ونستشرف عاماً ثالثاً جديداً . وهكذا تمرّ الأيام ، وهكذا يظل الشيء الأساسي أن تكون مرّت علينا بالجمال والجدوى .

ولا بأس من استطلاع لغةالأرقام ، من العودة الى الاحصاء ، واستقرائه . أليس أنّ العلم قد أصبح يتدخل في كل شيء ، أو أنّ كل شيء أصبح ينتمي الى العلم ، أو أنّ العلم أخيراً أصبح القاسم المشترك في كل إبداع إنساني . أنا مع كل هذا جملةً وتفصيلاً .

لقد حملت أعداد المجلة الثمانية آداب من سنذكر من الامم ، موزعة ـ تكاد تكون موزعة ـ على هـذا الشكل ، وبحسب المـواد : فرنسا ـ ١٢ مادة أدبية ، انكلترا ـ ١٠ ، الولايات المتحدة ٩ ، الاتحاد السوفياتي ٩ ، المانيا ـ ٧ ، بلغاريا ـ ٧ ، اليابان ـ ٢ ، السويد ـ ٢ ، تشيلي ـ ٢ ومادة أدبية واحدة لكل من : نيوزيلندا ، وجنوب أفريقيا ، ورومانيا ، وتركيـا ، وغويانا وبولونيا وكنـدا والبرازيل وهنغاريا وبلجيكا وايرلندا وفيتنام . وكان عددُ القصص التي قدمناها ـ ٢٩ ، والدراسـات ـ ٢٧ ، والأعمال الشعرية ـ ٢٠ ، والمسرحيات ـ ٣ . وتراوحت هذه المواد طولاً وقصراً ، وكان بعضها أعمالاً متكاملة حقاً بلغت مئة صفحة أو

زادت وأعطت فكرة تكاد تكون ، بدورها ، متكاملة عن أدب من الآداب ، أو اتجاه من الاتجاهات في هذه الآداب .

وقدمت المجلة أدباء وشعراء ، ربما لأول مرة في اللغة العربية ، بشكل يرضى عنه التقديم .

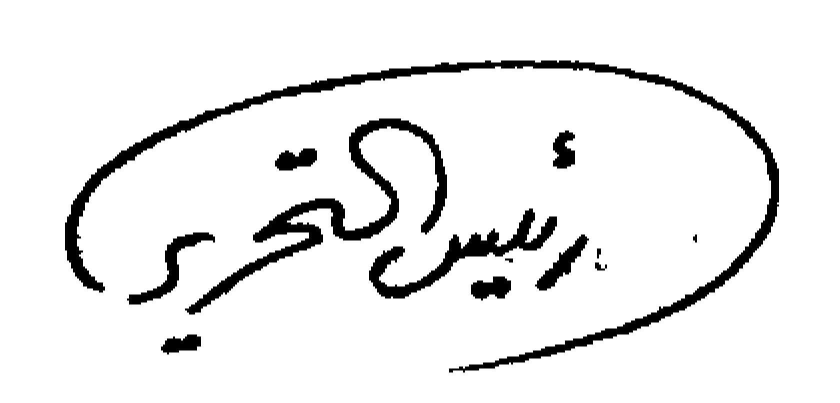
إننا ، في خط المجلة الواضح ، الهادف ، نحاول أن نقترب ، أكثر فأكثر من ايقاع العصر الأدبي ، ونحاول أن نمدّ حقلنا المغناطيسي لنجذب ألواناً جديدة من العطاءات العالمية ، لنعرّف آداباً جديدةً لم يسبق أن قدمناها ، لأننا ، من خلال إحصائياتنا ومن خلال غيرها بالطبع ، نتبيَّن أنّ عالم الأدب ، ما زال رحباً أمامنا ، على مدى ما يرمي البصرُ والبصيرة . وسيظلّ ، حتماً ، كذلك ، ولا نطمح أبداً في عكس ذلك . وإنما ، هو بالذات ، علّةُ رسالتنا وطموحنا في هذا المجال .

ولقد مرّ بنا أعمى المعرّة الذي يهدي المبصرين ، فترك لنا في عيدنا هاتين الشمعتين ـ النجمتين :

رُدّي كلامَكِ ما أَمْلَلْتِ مستمِعاً
وهل يُمَلُّ من الأنفاس ترديدُ

●

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا



مختـــارات

من الشعر اليوغسلافي المعاصر

ترجمة : د . أحمد سليمان الأحمد

ديسانكا ماكسيموفيتش (١٨٩٨)

DESANKA MAKSIMOVITCH

تتميز ديسانكا ، بين شعراء جيلها ، بلغتها وحساسيتها الأنثويتين . تلامس النفس غنائيتها العذبة ، العاطفيّة ، وبساطتها وعفويتها الشاعرية .

في العاصفة

طوال السهرة ، على التلة المقفرة
ينتصب خيـــال ،
دعيني أنظر ، يا أم ،
أهو رجل أم صنوبرة .
دعينـــي أتأمـــل

من يرنو طوال السهـرة
الى بيتنا المتواضع الأبيض .

دعيني ، يا أم ، فالسير
لا يتعبنـي قط :
التلة قريبة ، قريبة من منزلنا .
أوه ، أشعر أنه قريب مني ، قريب ،
هذا الرجل أو هذه الصنوبرة
الذي يتحدى ، طوال السهرة ، الصاعقة
وينتصب ، ويرنو الى بيتنـا .

أنظري هذه الغيمة الداكنـة ،
سفينة ضخمة مشؤومة
تبحـر في اتجـاهه
حاملـة المـوت .
اوه يا أم ، ناديـه ،
وليحتم بسقفنـا ،
هذا الرجل او هذه الصنوبـرة
الذي ينتصب طوال السهرة ويرنـو
الى بيتنا المتواضع الأبيض .

وحيد هو على التلة المقفرة

مثل طفل يطوي الذراعين
على ألمـه الأول ،
فدعي أناملي اللدنـة
تكون هدف الرياح الشريرة .

دعيني ، يا أمي الطيبـة ،
فكم هـي مخاتلـة
وشريرة هذه الغيمـة
التي تدوّم فوقـه .

تين أويفيتش (١٨٩١ ـ ١٩٥٥)

TINE OUYEVITCH

يمثل شعر تين اويفيتش مرحلة من أهم المراحل في الشعر اليوغسلافي . ولقد بقيت أجيال من الشعراء ضمن الحقل المغناطيسي لصوره الرائعة ولسحره الموسيقي . تذكرنا حياته البوهيمية ، وعذوبة أشعاره المنتقاة بالشاعر الفرنسي بول فيرلين . متاثر بشعراء « البرناس » وشعراء « الرمزية » كما اننا نلمح ، ولو من بعيد ، آثار الفلسفة الهندية ، في شعره .

نشيد الى جسدي

أنا لا أغني مدائحـي ،

لا أبكي على قبحـي •
دون خجل أو زهو على رملـة رائقـة
أتأمل شكلي العاري ، ويهبط الصفاء على فكري •

كنت هشاً في طفولتي ، ولكني أمسكت دموعي
وتخليت عن الألـم ،
أخذت الفصول أجمل أفراحـي
وتركت لغيرها الآلام والدموع •

مجيدة حياة هـذه الدودة ،
فقد عرفت كيف تتصدّى لضعفها الشديد •
كان اليأس والزهو نقيصتها الأولـى ،
وكان طعم الثمار اللذيذة فضيلتها الأخيرة •

أيها الجسد ! فيك اكتشفت الثالوث الأصليّ :
مجموع مقاييسك الثلاثـة ،
الروح والفكر ، كنهي وذاتي ،
وفي أعماقك القلق واصطخابه •

الذي يربط بين هذه المقاييس الثلاثة يسمى « الزمن » ،
المقياس الرابع حيث الحياة تدور ،
حقيقة الابداع الضحلة : البذرة الانسانيـة

التي يتكاثر فيها اللحم والوجود •

يا جسدي ! يا جزيئة كونية ،
ما أنت الا صقالة عظمية عجيبة ،
ليس مدحاً ما أزجيه وانما فيك ألقى الكواكب والسماء ،
الغبار والشمس ، كل الحياة ، الغنية البسيطة •

كل هذا العمل في اليد ، كل هذه الفراسخ في الساق ،
هذه الآمال في العيون ، وبركان الاشتهاء بين الصلب والترائب ،
هذه الوجبات الشهية في الأنف ، هذه القامة التي تحسدها الآلهة ،
هذه الملحمة المنطوية على الظمأ والنزوات •• كل الظمأ والنزوات •

وهذا النهم في الدماغ النشيط
حيث الدمى الفاتنة توشوش كما في حلم
حيث انامل المثال تعجن الشمع ،
مدينة المعرفة هذه ، عاصمة ودسكرة •

ثم هذه الأعصاب التي يتلاعب بها الكون ،
هذه الرئات التي تتنفس فيها الألوهة ،
الذي كان ، الذي سيكون يتكوّر في صدري ،
ما أنا الا غبار وحياة ، وكل الضياء •

هكذا أنا ، اله الأسحار والحليب ، خاطىء كبير ،

انسان يحوّل الأحلام الى ملذّات حقيقية ،
بي نهـم الى جميع النظرات ، الى جميع المداعبات ،
رغبتي اللامتناهية أن أحيا في عالم العشق ،

أن أكون مساوياً لكل شيء كي أندمـج
عندما تحين الساعة ، في هذا الكل الذي يأوي اليّ ،
كي تصبح جثتي الجامدة ، الخرسـاء
عدماً ، وشيئاً مجيـداً مع ذلـك •

أنا لا أمجّد الجمال ولا العواطف المتقدة
لا ولا ميـاه الينابيع الفـائرة
ولكنني ، وأنا الشيخ ذو الشعر الأبيض ، أمجد الآلام
التي يحتلّ خريفهـا فكري الناضج •

كانت مهمتك ان تنتصر على الآلام ،
على جميع الخيانات في كل عام جديد ،
أنت يا ضحية العالم ، ايها المصلوب الوحيـد ،
ثم أن تنتصب بعد ذلـك في الافـق •

لقد حول الآلهة الصلصال الى فولاذ ،
هذا الجسد هو انعكاس الشكل الالهـي ،
زائلا وراعشاً ، ولكن جميلا في خطرته ،

منارة ذكاء ، معبد ارادة ، قلعة فكـر .

أغني صبرك ، قوتك ، احتدامك ،
احتمالك الألم كما يحتمله عملاق ،
يا جسدي الجبّار حتى على عتبة القبر ،
أي شيء أنت ما لم تكن وجداناً وروحاً حية ؟

أي شيء أنت ما لم تكن معرفة يقظى ،
منبثقة أخيراً من كل الدياجير ،
من كل الحضور المفقود ، الأنا وحدته
على الطريق التي تجتازها الذرة في الفضاء ؟

يا جسدي ! كم من الأفراح خبت فيك ،
كم من الحماسة ، ومن المواهب المهـدورة ،
انت لم تخلق للندم أو للتبتّل ،
انت مضطرم بالحياة ، سليم ، معافى ، قوي ،

عات على العتـاة ، شهيد مصلوب ،
نكرة وحقيقي ، مجد فتي في الموت ،
صيف في البـرد ، مقاتل شرس ،
وأنا أغنـي نشاطك الخالـد .

ما هو ثمن القطرة الكريمة من الدم الأحمر
التي يسكبها الانسان دون حساب ،
ما ثمن رعشة اللحم والفكـــر ،
ان لم يكن الحياة والخلود بأسره ؟

جسدي ، دعابة القدر ، نزوة الكون ،
تعبير عن الخواء وعن المجانيـــة
ما يبقى منـــك بعد المحرقـــة
يدلُّ على تلك المعركة الكبيرة .

ليس لديك من امنيات الا أن تكون ينبوع الخمر ،
عنقود النشوة في جنـــى الأرواح ،
قدحاً على الصخرة التي يأتي اليهـــا الموت
ليشرب بين الآلهـــة الجفـــاة ،
أصحاب القطاف الشرعيين .

دوشـان ماتيتش (١٨٩٨)
DOUCHAN MATITCH

احـد مؤسسي المدرسة السريالية فيما قبـل الحرب •
عرف كيف يطبق تجاربه السريالية الثمينة على شعر مثقف
ذي لغة مترفة •

البحـــر

تنام ، يا جمـــالا صيفياً كثيفـاً
تنضج في قلب آب
مثل انثى ادركت ان الحب هو كل شيء ،
رماد ولكنه لا ينفـــد ،
شعلة تؤججها النفخة الاولى ،
تطفئها النفخة الثانيـــة
ولكن الثالثة تؤججها من جديـــد
وهكـــذا دواليـــك ،
أطفال ولدوا ، وأطفـــال يولـــدون ،
أبداً لا تكترث الموجة الغائضـــة •

تنام ، يا جمـــالا صيفياً كثيفـاً
أنت يا سعة باهـــرة

يا ثريّـا على ثريـا ، يا ثريـا في ثريـا ،
يا هوة على هوة ، يا هوة في هــوة ،
صيحات جميع الغرقى متماثلة فيــك
وهاكهم خامدين في انسجامك الماسي المتغطرس ،

نـم ، أنت أيضـاً ، أمام هذا اللامحـدود
أمام هذه الروعة الأروع من الروعـة
نم على وسادة الذكريات الهائجـة
الذكريات التي فتحت اللحظات الضائعة ثغرة فيها •

نم ، ثمـلا بالنسـيان
نم على شاطىء السحر الذي لم تعرف كيف ترنو اليـه
على ساحل المعرفـة الجـديب
على ضفة العمى واللذة المفقـودة
وحيث تلتقـي العـواصف
وحيث ينقسـم الشفـق
وحيث لا توجـد أنت البتـة
لا في الصيحات ولا في خضرة الديمومة •

نـم
ولكن مـاذا تريـد اذن
مزامير العقل الفضوليـة هـذه

وتلك الأيدي الدائبة على العمل الذي تجهله
تبتل الخلود هذا لا أريده ، لا مقابل الاجهاضات
ولا مقابل أسحار الأطفال الذين سيولدون من نساء مغتصبات
عندما يمر على الارض الفاتحون الطيبون للسراب الباطل
ما هم الا قمم جــرداء
تنام فيها الأمساء ، والأغاني المحطمــة
للعشاق الأنانيين ملاء البطــون •

على أول سرير تنشر خارطة العالــم
تسجل جميع الاحداثيات وتفتح جميع البركارات
من هنا حتى افريقيــا
دوماً نفس الدوران ، نفس هبات الرياح ، نفس نــداءات الصحراء
نفس الأيدي الحزينة الواقعة في شرك اللحم كما في قلب اول عابر •

نــم ، فهــذا أفضــل
لا تضحك اذا أحببت ما لم تعتقد انك تحبه
شــدّ رأســك بين يديــك
فهل يمكن تحطيم هذه الدائرة الحديدية ؟

الشتائم والقلب لن ينفجرا قبــل
أن تضع شفتيك على الشفتين المرتين

اللتين تفصلان العالم الخائف من الفرحة ، والخائف من الألم •

يا وردة الرعب الناعم ، يا وردة الغياب المهشمة ،
يا نفس وردة الـرعب
يا وردة الـدم الوحشيـة
نهـار ، ولا نهـار
ليـل ، ولا ليـل
الكواكب والـدم مطفـأة •

نـم ، فهـذا أفضـل
هـرة تتمطى على الجدار الظليـل
والعنب ينضج على الكرمـة
وهدوء البحر مستلق على الكون •

نـم
فراشتان متأخرتان تسرعان نحو الشمس الخادعة
وعند هبوط الليـل تتواريـان
ومعهمـا جمـالان •

نم ، ما دام شيء آخر لم يبـق لـك
نم ، فالحب ينتظرك ، أنت والغد والأجنحة المسحورة
للفضاء الذي تأتلق فيه ألـوان الخلـود
حتى ولو كانت الظلمات في جذور بصرك وفي صدرك المعـذب

حتى ولو جذبتك غابة دمك العذراء
حقيقتــك الفانيــة •
نــم
فالخلود هو هذه الثريــا ، هذا اللامحدود
هذا الانسجام المتغطرس فوق زغب الغرقــى
وحلمك عبر كل العدالات والمظالــم
والخلود هو هذه الموجة التي تفور بلا كلل
علــى أعقابــك الفانيــة
هذه الموجة العاصفة الجبارة التي تعرف كيف تحطــم
وتغدو كلباً صغيراً وديعــاً
عند أقــدام الأحباب المغفين بلا شفقة •

ميلان ديديناتز (١٩٠٢)

MILAN DEDINATZ

لغة ميلان ديديناتز نقية ، لا فضول فيها ، ولا تبحث عن أية زينة ما لم تكن هذه الموسيقى الفريدة التي تنبعث منها • كتب قصيدته التي نترجمها هنا أثناء الحرب ، في احد معسكرات الاعتقــال وهي مقتطفة مــن دفتر مذكرات شعرية سجلها الشاعر •

فجأة انبثق الجوع

فجأة انبثق الجوع ذو العينين الواسعتين الرصاصيتين !
ـ ولكن كيف تمكن من المرور عبر الأسلاك الشائكة والحرس ؟ ـ

ثم قدّم مآدب لأحـلام ليالينا الخاويـة
وترك لنا الأيام مقروضـة ، قاسية .

اجتاز المعسكر ، مهروت الشـدق
وها هو يلتهم ، بدلا عنّا ، جميع الوجبـات ،
ولا يترك وراءه الا العظـام والرعب
كي يهتـدي الموت الينـا ولا يتيه .

لدى اقترابه ، كانوا قد تركوا الباب مفتوحاً على مصراعيه
وبلمحة عين كنس المكان بأسره .
والآن ، بين السماوات العلى والرمل المقفـر
لا شيء الا هياكلنا الجوفاء .

لقد جاب الجوع المعسكر
ثاقباً كـل القصـاع
لم يعد ثمـة من حسـاء ساخن :
لم يعد ثمة الا الجـوع !

سنبلتاي اللتان ربيتهما ، طوال شهور ، في الأرض القاحلة
سنبلتان تحت الأسلاك المنتشرة
هذه الليلة ايضاً التهمهما الشره !
من كان سيفعل ذلك غيره ؟ فالسماء دون عصافير !

دخل الجوع المعسكـــر
وبمخرزه النفاذ يعيث تخريباً في أجسادنا •
خطانا تغدو أبطـــأ فأبطأ
ولـكنها تقودنا الى الموت أسرع فأسرع •

لقد جاب الجوع المعسكر منقباً عن كل شيء :
لم نستطع أن نخفي عنه كسرة خبز واحدة !

ذلك لأن الجوع ذو عينين واسعتين ترصدان وتسهران ،
وللجوع اذنان دقيقتان ، تسترقان السمع
وللجوع وجه شاحب وشعر قاتـــم
وللجوع فم مهروت وجسد من نـــار •

الطرق التي يختارها متماثلة دومـــاً :
يمضي مع الحروب ، والمعسكرات ، والصيف الجديب •
ويـــداه نظيفتـــان •
وفارغتـــان •

تزيني فيبوتنيك (١٩١٤)

TZENE VIPOTNIK

فنان مرهف ، كتب في مواضيع مثيرة ، مقلقة يعيشـها عصرنا ، ولكنه استطاع ان يعبّر عن عاطفة الوحدة بأقوى ما يكون من الزخم .

الساقية الجوفية

الشمس العذبة تخرج من مأواها الليلي ،
ويمتـد السحر علـى العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني اليه الأرض .

الساعة المخاتلـة ربطتني بالأرض ،
وموكب الاهانات الأسود قوّض
السحر الأول للأحـلام الشـاردة .

في الحفرة العميقة يواصل ماء قـذر
مسيرته المشؤومة الى طبقته الأخيرة ،
وينفطـر قلبـي ، وأسقط في الظـلام .

الشمس الربيعية تبعد عن فمـي
أشعتّها التي تشربها براعم الـوردة ،
وفي نعشي أستلقي خرسـاء .

السماء والغرين ، في تغيراتهما ،
وجداني وسط العاصفة الخالدة :
الظلمات تحيط بي أسوارها المغلقة •

وعندما ، على توالي الفصول ، غدا الظلُّ جاهزاً
لاستقبال روحي ، المتجمدة على شكل نوازل ،
دخل النهار سجني معيَّدا •

تغادر الشمس مأواها الليلي ،
ويمتدُّ السحر على العالم الحجري ،
وأدخل في الليل الذي تدعوني اليه الأرض •

يوري كاشتيلان (١٩١٩)

YOURE KACHTELANE

قصائده دعوة حارة ، مواظبة ، الى التاخي بين الناس ، والى عالم إنساني العواطف • تذكرنا قصائده الموسيقية ، البسيطة ، بالشاعر الاسباني لوركا وبالشعراء الذاتيين الايطاليين •

لقاءات

الأموات يحيون فينا • يكبرون • دوماً يكبرون •
رفاقي الفتيان الذين ينشدون •

الأموات فينـا يحيـون .
وفي الأكواخ ، في الورشات ، في السحـر ،
وفي ضحـوة النهـار
غالباً ما يجيئون ، واحداً واحداً . ويعبـرون .

ودون أن تتبادل التحية ، دون أن تتصافح ،
مستغرقين في الحيـاة ،
نمشي الواحـد الى جانب الآخـر .
الأموات والأحياء . الواحد الى جانب الآخـر .

ڤيسنا بارون (١٩٢٢)

VESNA PAROUN

ساهمت ڤيسنا پارون بتجديد الشعر الحديث . تدلُّ لوحاتها المثيرة ، المفعمة بالقلق والغموض ، والشباب المسجون في إطار الحرب الرهيبة ، على خيال خلاق وقوة إبداعية نادرة . غدا الحبُّ ، فيما بعد ، نشيد انشادها ، وعبَّرتْ عنه بكل الغنائية البسيطة ، الهادئة ...

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يدي

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يـديّ ،
أنت يا وديعـة كاللامبـالاة ،

يا أمهر مني • اذ تقرأين على جبينـــه
الوحدة التي تثقل عليـــه ،
يا أقدر مني على ابعاد ظـــل
التردد عـــن وجهـــه ،
مثل أنفاس الربيـــع
التي تبدد الغيوم المحوّمة على الجبـــال •

اذا كانت ذراعـــاك تشجعانـــه ،
اذا كان حضنـــك يهدهد آلامـــه ،
اذا كان اسمك يغدو ملجـــأ
لأفكـــاره ، وعنقـــك
ينطوي أغصانـــاً على مضجعـــه ،
اذا كان ليـــل صوتـــك
بستاناً تهابـــه العـــواصف ،
فظلـــي قربـــه
وكوني أكثـــر اخلاصـــاً
من جميع من أحببنـــه قبلك ،
انتبهـــي للأصـــداء
التي تقترب من أسرّة العشاق العفيفـــة •

اسهري علـى اغفاءتـه
تحت الجبـل اللامرئي
على شاطىء البحر المزبـد •

جوبي شاطئـه ، صـادفي
الـدلافين التعيسـة ،
انسي نفسك في غاباته • فالجراذين الأنيسـة
لـن تصيبـك بأذى •

حتى الأفاعي المنهومة التي روضتها
ستخرّ أمامك سـاجدة •

فلتنشدك ، في الليالي الصقيعية ،
العصافير التي أهديتها ملجأ دافئاً ،
وليحـن عليـك بحـب

الفتى الـذي حميتـه
من قطاع الطرق على الدروب المقفرة
ولتغمرك بعطرهـا الزهـور
التـي سقتهـا دموعـي •

الحظ حرمني من أجمل لحظات رجولته •
وفات نهـديّ أن يكونـا

مستودع خصبـه ،
نهدي ، اللذين اجتاحتهمـا
نظرات رعـاة البقر الغربـاء
واللصـوص الخلعـاء .

أبـداً لن أقـود بيـدي
أطفاله . والحكايات التي كنت أعدهـا لهم
لربمـا قصصتهـا باكيـة
على الدبية الصغيرة التعيسـة
الضائعـة في الغابـة .

أنت يا ذات اليدين الأنقـى من يديّ
اسهـري علـى رقـاده
الذي ظـل طهـوراً ،
ولكن فلتسمحي لي أن اشاهد وجهـه
على امتداد السنوات التي تتكدّس فوقـه
قصّي عليّ أحيانـاً بعض شؤونـه
كي توفري علي ، ان أسأل الغربـاء
المشـدوهين ، والجيران
المشفقين على استمراري في حبـه .

أنت يا ذات اليدين الأنقى من يـدي
ظلّي عنـد سريره
واسهري برفـق على احلامـه •

داني زايتز (١٩٢٩)

DANE ZAYTZ

أحـد أبرز ممثلي الشعر السلوفيني الموهوبـين • متحرر من قيود التقليدية ولكنه يرفض مزاجيات الحداثـة التي انساق فيها بعض اقرانه • يعبر في شعره عن عزلة الفرد وعن المأساوي في حياة عصرنا •

أغنية الشبيبة

المـوت
من معـارفي القدامـى •
شجـرة أنـا
لن تحمل أزهـاراً •

منذ زمـن طويـل أوى الخـريف
الـى أغصـاني •

أحمـل في نفسـي

عقدة الحبل الدامي
في وتد السنديانة •

أحتفظ في نفسي
بالقبور الصقيعية
والعظام المقروضة
والجمجمة الملقاة
على التراب الرطب •

تبدو وكأنها تقول : انظر ، لقد كنت •

مأساة ، مهزلة ،
ذلك لأن اذنيها وعينيها
مسدودة بالتراب ،
وفوقها تدوّم
أغنية حزينة
نسمة
وسماء الخريف القاتمة •

فليتغلغل عطر الزهور
هناك حيث لم يعد ،
حيث لم يعد هناك شيء •

جمجمة ذات سمات لم تحقق هويتها •

الموت مــن معارفي القــدامى •
شجــرة أنــا
أوراقهــا متناثــرة على القبــور •
في نفسي أحمل مشنقة أحلامي •

وحتى النهاية سيرنّ في سمعي
النشيد القاتــم الذي لا يرحــم :
« هذا اليــوم الممتلىء سعادة ! »

الذئب الأســير

يركض ، يركض ، يركض •
برجليه الرشيقتين الوحشيتين
وخطــاه المخمليــة •
يجري صامتاً مثل شــبح رمــادي •
يجــري فــي قفص •
علــى أوراق مهترئــة •

يجري الــى الأمــام ،
يجري الــى الــوراء ،
الشــدق مهــروت ،
اللســان أحمــر ،

يجري في قفص مثل ظـــل أشهب
ظل للحقد ، أخرس ، أشهب
ظـــل للكـــره أشهب
يجـــري ، يجـــري ، يجـــري •
يعـــوي ، يعـــوي
شرســـاً وحشـــياً ،

أين جماعات الذئـــاب الحـــرة ؟
أين قطعان الأطيـــاف الرماديـــة
السابحـــة في حليب القمـــر
مثل عصابة من الشياطين الرشيقـــة ؟
أين هي أعنـــاق الخـــراف الناعمـــة ؟
أوه ، ما أعذب ازدراد دم النعاج اللـــذيذ !
وبعد ذلـــك العـــواء ! العـــواء !

لمـــاذا تئن ايهـــا الذئب
كمـــا لـــو تئـــن الأرض
تحت ركـــام الصخـــور ؟

لماذا تئـــنّ ايهـــا الذئب
كما لو أنّ حرابـــاً طويلة سوداء
تنغرز في عنقـــك ؟

ستيفان راتشكوفيتش (١٩٢٨)

STEVAN RAITCHKOVITCH

شاعر غنائي عاطفي ، عفوي ، استطاع ان يرتفع بعالمه الأثيري ، المخدر ، المعمور بالعصافير والعشب والصخور ، الى افكار ، اشمل ، حتى الى الرمز .

نشيد العشب

للعشب فكرة ثقيلة كالحجر
ذلك لأنه يقول لي : « باطل نشيدك .

قرّ فيّ . ضع رأسك على يديك المتلاصقتين .
وحافظ على الصمت حتى نسيان اللغة .

تأمل ، طلق الوجه ، الجبل البعيد الأزرق
الصامت بعمق . عند ذاك ، ارفع عينيك ، بطيئاً ،
نحو الغيوم الصاخبة ، البيضاء ، التي تجوب السماء .

ومن هنا ، اخفض بصرك الى نفسك . ثم ، بلا حراك
وعيناك غائصتان في كيانك ، ظل مستلقياً تحت السحابة
عند سفح التلّ .

ثم ، ممتزجاً بالليل الداخلي ، ارفع نظرك وافهم ببساطة
(ببساطة ، كما لو أن نسمة تلامسك) :

فوق الجبل توارت الغيمة • والجبل يصمت ، وحيداً ،
وقد خلع عليه الغروب لون السمرة الحزينة ،
مستلقياً على العشب الداكن ، تتوالى أفكاري غائمة •

نملة على ركبتي ، مثل رجل على هضبة •
قلقة ، تلبث بلا حراك • وأحافظ على الصمت • هكذا نشيدي •
ساهساً ، أظل مستلقياً على العشب •

والعشب يصخب ثقيلا مثل حجر •

ماتي ماتيفسكي (١٩٢٩)

MATEY MATEVSKI

شاعر الرؤى والأحلام ، يواجه أعقد قضايا العبارة الحديثة بثقة فنية تدعو للاعجاب • شعره ذو موسيقا أخاذة •

القلق

الخيول المنهكة خيول الفضاء المثقلة تقترب
هيدبى بعيدة للغة المنسية نحسها
وحيدة تندفع بلا هوادة تحت النوافذ المغلقة
وتدق بحوافرها الحافية ، تدق أبداً •••
أوه ايتها الأرض الراشحة عرقاً ، الغضارية ، الصبور

انهمّا تخبّ عليك في عراك كئيب
كيف النجاة من هذه الكوكبة
من هذا الأفق القطني دون حدود
من هذا اللحم القاتم للسماء والليل
من هذا الركام الكثيف والعميق معاً
انهيارات ثلجية بالنسبة للبصر وتقصف جليدي بالنسبة للفضاء

أين أنت ماض أيها البحر اللامتناهي المرعد
أيها السطح المتسق الافقي المتعب
الملهوف الى فرحة صاحية ، عمودية ، معرضة للريح
أين تمضي ، أين اذن
عجينة كثيفة من مطر وتراب
حجراً بين الأيدي حمأة في العيون

الأغنيـة

من أين تأتين ، أنت المعروفة جيداً أين تمضين
ايتها الأغنية التي لا تنسى ، يا طفلة يائسة ساذجة
سهماً طرياً عصفوراً من حمأ
درباً قاحلا لامتناهياً تحت المطر
درباً يتعرج أفعى فضية الجرس
أين تمضين بي •

أنت دوماً نحسّك في أعماق المياه والظلمات
عرفاً ناعماً عرفاً خشنا
متمرداً تلقائياً

لحماً نيئاً للأرض والليل
عرفاً قاطعاً حداً معكراً للنظر
كاسحاً درب الفضاء الفضي
مؤتلقاً ساطعاً

فلتحمليني ، أقول لك احمليني ايتها الطفولة
احمليني قصيدة هرماً خالداً لا ينسى
وهماً أسمى دون تورية
ملتقى مفتوحاً بخرق ، عميقاً بقسوة
على جميع ألوان الخلود •

احمليني درباً عبر هذه العاصفة
وعودي معي هادئة الى مرفأ العبور هذا
عش الأحلام الناعم

الجياد

الجياد المنهكة جياد الفضاء المثقلة تقترب
(أمطاراً باهتة صامتة لا تعبر ،)

تحت مهود راحتيَّ في مفترق الطرق
اوه أيها الغذاء ، أقول غذ نفسك ناضحاً من العرق
مرتعداً من الرطوبة الدافئة التي ترشح
من أعطـاف الليـل

انطلق يا عصفوراً منسيَّ الجناحين
راقصة بأقدام الماعز ، فرساً منهكـة ،
لنقفز عبر هـذه المفترقـات
ثم من جديـد ، عبر النافـذة
بـلا انقطـاع ، أبـداً
في وضح الفضـاء الظليـل

ميو دراغ بافلوفيتش (١٩٢٨)

MIODRAG PAVLOVITCH

بعـد رحلة في عـالم الخيالات ، ثم الشعر الثقـافي والاستدلالي عاد الشاعر الى الطبيعة حيث اكتشف الاساطير الجماعية القديمة • ويعتبر واحداً من ابرز شعراء جيله ، يتميز بلغته المبهمة بعنايـة ، والواضحة بتحدٍ وصلف في الوقت نفسه •

صلاة للموتى

(الى شاعر مات تحت القصر)

الشاعر

لمن أقول : وداعاً
وأنا الذي عرفت أن ليس ثمة مسافات ؟
الشكل الوحيد والزمن الوحيد
الذي احتفظت منه بذكرى فوق الشجرة المقتلعة
هو الألم
لقد جعلني مرئياً
في حياتي
وادعاً في مماتي
ولكن لا يمكن أن نقول للألم وداعاً
أو أي شيء آخر

قلب النساء

قلب الأموات

وداعاً تحت القبة السوداء
اضغط جبينك على الوسادة الفولاذية
أعد لنا الأزهار التي ازدريتها
أرفق بدموعنا المتواصلة
وساعدنا على أن نبقى أحياء

وفر على نفسك الحلم بالنشــور
أنت الذي اختارك فك من بارود
أصغ ــ أنت الذي تعلمت سهولة التواري ــ
الى الأصوات المتحلقـة للطيور الجوفيـة
دون تفكير بأسباب انبثـاق اللحم

وداعـاً يا من تمضـي
شرايين مفتوحـة وفمـاً مفتوحـاً
بين الحجـارة التي تنتظـرك

يا من اختـاره الغضب المألوف
يواكبـك ولاء طـارىء
ثمار انحلالك الكابيـة

اعرض قناعـك الفولاذي
على حشود آكلـة اللحوم السـذج
الذين سيبهجونك بخدماتهم الصغيرة

حرر نفسك من فضول ما وراء القبـر
ليس ثمـة آفاق لا مجدية
في عمق الأحداق الصفراء هـذه

أعد لنا الهدايا التي لا تحتاجها
أعد لنا الفضة والشمع
اللذين حفظانا منك

ستزدرد ، دون مشقة ، اللقمة الكبيرة
لجسدك الذي يفقد مفهوم ذاته
وقد غدا جزيرة استطلاعات سرية

ارفق بالدموع الشقية
بقربان الخدود الملتهبة

انس هول الفولاذ الذي يدور
أصغ الى صوت الأوتار الجوفية

ساعدنا على أن نأكل عندما نجوع
وأن ننقذ جلودنا
تحت الضربات التي تصنع آلاف الكيلومترات

دون أن نفكر بمعنى التمديد
أو بشروق الشمس وغروبها
اللذين يتكاثران كالفطر

الشـاعر

لمن سأقــول وداعــاً
عندما تتمزق آذان الهواء ؟
من سيتعرف عليّ في الأهرام الخشبية
دون باب دخول الــى القبــر ؟
على المفترق الطارىء حيث يرتدّ البصر حسيراً
مــا من نشيــد يشير
الــى اللقــاء الخائب ،
ماذا لدي من قول يذيعه حلقي المسحوق
في هذا الوعــاء حيث استلقيت
عارياً من العادات ومن مجرّد الذاكرة ؟
وفرّوا على الأرض مزيداً من الحراثة
دعوني أتنفس في العفــن
واذكروني عندما تكون الكواكب قد غيرت مسارهــا
وتكون الريح قد تحدثت بصوت يحمل العزاء

القلبان

وداعـاً تحت القبـة السوداء

يا من اختارك فـكُّ البارود

اضغط جبينك على الوسادة الفولاذيـة

حرِّر نفسك من الايمان بالقيامـة

وأعد لنا الأزهار التي ازدريتهـا

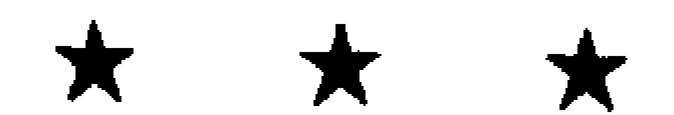
أنت الذي تعلم سهولة التواري

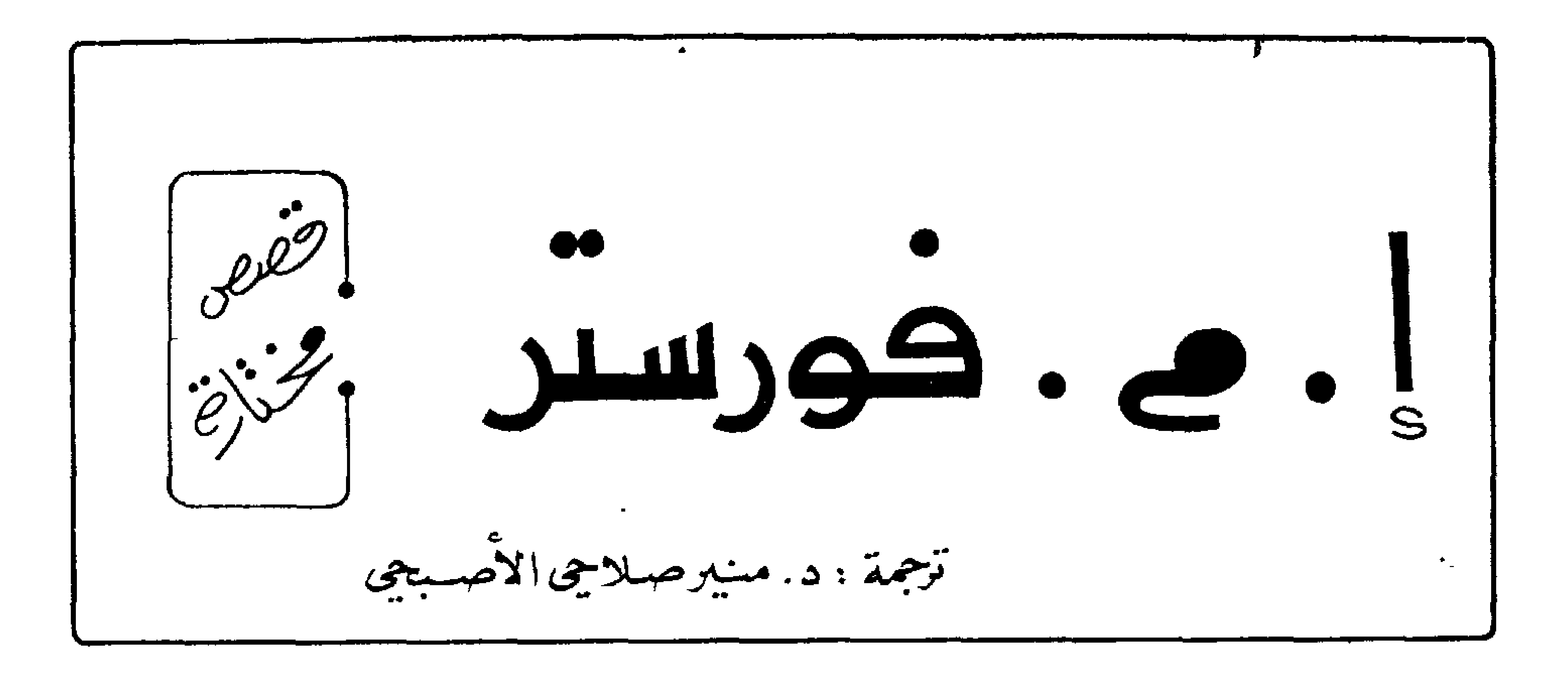
مصغيـاً الى دموعنـا المتواصلة

اسمع غناء العصافير الجوفيـة

وساعدنا على البقاء أحيـاء

دون تفكير بأسباب الولادات القديمـة





لا شك أن الكتيب الذي قدمته « الآداب الأجنبية » عن إ • م • فورستر وأعماله في عددها السابق يكفي كمقدمة للقصص التي نقدمها في هذا العدد • ولسنا بحاجة إلى أكثر من أن نذكر أن هذه القصص هي من مجموعتي القصص القصيرة الوحيدتين اللتين كتبهما فورستر وهما « الأمنيبس السماوي » **The Celestial Omnibus** و «اللحظة الخالدة» **The Eternal Moment** وقد طبعت المجموعتان فيما بعد في مجلد واحد تحت عنوان **Collected Short Stories** والقصص التي اخترناها ليست بالضرورة أفضل قصص المجموعتين ولكن طبيعة هذه القصص وطولها تجعلها أنسب قصص المجموعة في رأينا لهذه المجلة • والقصص الثلاث هي : **«The Other Side of the Hedge»** (جانب السياج الآخر) ـ مع ملاحظة أن كلمة **Hedge** تعني سياجاً من الشجيرات ـ و **«The Curate's Friend»** (صديق راعي الأبرشية) و **«Co-Ordination»** • ونحب أن ننوه هنا أننا كتبنا اسم الكاتب في العدد السابق « إ• م• فوستر » ولكننا وجدنا أن الأصح هو « فورستر » •

جانب السياج الآخر

عداد الخطى الذي كان معي بين لي أنني في الخامسة والعشرين ، وعلى الرغم من أن التوقف عن السير أمر فظيع ، فانني كنت أشعر بتعب شديد جعلني أجلس على إحدى علامات الطريق لأستريح • أخذ الناس يسبقونني ، ويسخرون مني

أثناء ذلك ، لكنني كنت في حالة من اللامبالاة جعلتني لا أشعر بأي غضب ، بل حتى حين مرت بي الآنسة إلايزادمبلبي ، المربية الكبيرة ، بسرعة خاطفة ، وهي تحضني على المثابرة ، اكتفيت بالابتسام وبرفع قبعتي •

في البداية اعتقدت أنني سأكون مثل أخي ، الذي اضطررت أن أتركه على جانب الطريق عند المنعطف قبل عام أو عامين • لقد بدد طاقته في الغناء وبدد قوته في مساعدة الأخرين • أما أنا فقد كنت في ترحالي أكثر حكمة ، ولم يكن ما جعلني أشعر بالاغتمام سوى رتابة الطريق ـ الغبار تحت قدمي والحواجز البنية التي تحدث حفيفاً منذ أبعد وقت تعود بي الذاكرة إليه •

وقد أسقطت حتى الآن أشياء عديدة ـ حقاً ، لقد كان الطريق ورائي مغطى بالأشياء التي سقطت منا جميعاً ، وكان الغبار الأبيض يستقر فوقها ، بحيث أنها لم تكن في مظهرها أفضل من الحجارة • كانت عضلاتي منهكة إلى حد أنه لم تعد باستطاعتي حتى أن أتحمل ثقل تلك الأشياء التي لازلت أحملها • انزلقت من على علامة الطريق وسقطت فوق الطريق ، مستلقياً على ظهري ، ووجهي نحو السياج الكبير الملفوح بالشمس ، وأنا أدعو أن تنفذ قدرتي على الاحتمال •

أنعشتني هبة من الهواء • وقد جاءت على ما يبدو من السياج ، وحين فتحت عيني ، كان هناك وميض من النور عبر تشابك الفروع والأوراق الميتة • لا بد أن السياج لم يكن كثيفاً كما هو في العادة • وفي حالتي الضعيفة المرضية شعرت بتوق لاقتحامة ورؤية ما يوجد في الطرف الآخر • لم يكن هناك من شخص على مدى بصري ، وإلا لما جرؤت على المحاولة • إذا أننا ـ جماعة الطريق لم نكن نعترف في أحاديثنا بوجود طرف آخر على الاطلاق •

استسلمت للاغراء ، وأنا أقول لنفسي أنني سأعود خلال دقيقة • خدشت الأشواك وجهي ، واضطررت لاستعمال ذراعي كدرع وقاية ، معتمداً على قدمي وحدهما في التقدم إلى الأمام • كنت أود العودة من منتصف الطريق ، إذ أن جميع الأشياء التي أحملها سقطت أثناء مروري ، وتمزقت ملابسي • لكنني كنت قد انحشرت بشكل جعل العودة مستحيلة ، واضطررت أن أشق طريقي إلى الأمام

متلوياً على نحو عشوائي ، وأنا أتوقع في كل لحظة أن تخونني قواي وأن ألقى حتفي بين الشجيرات ٠

فجأة غمر الماء البارد رأسي ، وبدا لي أنني أغوص إلى الأسفل غوصاً أبدياً ٠ لقد سقطت من السياج إلى بركة عميقة ٠ أخيراً طفوت إلى السطح ، وأنا أصيح طلباً للنجدة ، وسمعت شخصاً على الضفة المقابلة يضحك ويقول : « واحد آخر ! » ثم انتُشِلت ومُدِّدت فوق الأرض اليابسة وأنا ألهث ٠

حتى حين لم يعد الماء يملأ عيني استمر شعوري بالدوار ، إذ لم أكن قبل الآن قط في مكان بمثل هذا الاتساع ، ولا رأيت عشباً مثل هذا أو أشعة شمس كهذه ٠ فالسماء الزرقاء لم تعد مجرد شريط ، والأرض تحتها ارتفعت بأبهة مشكلة هضاباً ــ أعمدة نظيفة عارية تضم أشجار زان بين ثناياها وتمتد مروج وبرك صافية عند أقدامها ٠ لكن الهضاب لم تكن عالية وكان هناك في المشهد الممتد أمامي ما يشعر بوجود الانسان ــ بحيث كان من الممكن للمرء أن يسميه متنزهاً أو حديقة لولا أن هاتين الكلمتين توحيان بشيء من التفاهة والتقييد ٠

في نفس اللحظة التي التقطت فيها أنفاسي التفتُّ إلى منقذي وقلت :

« إلى أين يقود هذا المكان ؟ »

« لا يقود إلى أي شيء والحمد لله ! » قال ، وضحك ٠ كان رجلاً في الخمسين أو الستين ــ بالضبط في تلك السن التي كانت توحي إلينا ، جماعة الطريق ، بعدم الثقة ــ لكن لم يكن هناك اضطراب في تصرفاته ، وكان صوته صوت صبي في الثامنة عشرة ٠

صحت : « ولكن لا بد أن يقود إلى مكان ما ! » وقد غلبتني الدهشة لدى سماع جوابه حتى أنها أنستني أن أشكره على إنقاذه حياتي ٠

« يريد أن يعرف إلى أين يقود المكان ! » قال ذلك صائحا موجهاً كلامه لبضعة رجال على طرف الهضبة ، فأجابوه بالضحك وبالتلويح بقبعاتهم ٠

عندئذ لاحظت أن البركة التي سقطت فيها كانت في الواقع خندقاً مائياً

يتعرج إلى اليمين وإلى اليسار ، وأن السياج كان يتبعه باستمرار · كـان هـنا الطرف من السياج أخضر ـ وبدت جذوره في الماء الصافي ، والأسماك تسبح بينها ـ وكانت تُتَوِّجُه أزهار من أنواع مختلفة · لكنه كان حاجزاً ، وفي لحظة فقدت كل شعور بالسرور لرؤية العشب والسماء والأشجار والرجال والنساء السعداء ، وأدركت أن المكان رغم كل جماله وامتداده لم يكن سوى سجن ·

ابتعدنا عن الحاجز ، ثم بـدأنا بالسير على ممر مواز له تقريبـاً يمر عبر المروج · وقد وجدت صعوبة في المسير ، ذلك انني كنت طيلة الوقت أحـاول أن أسبق رفيقي ، ولكن لم يكن ثمة جـدوى في ذلـك إذا كـان الطريق لا يقود لأي مكان · ولم أكن قد مشيت بنفس السرعة مع أي شخص قط منذ تركت أخي ·

وكان من المسلي له أنني توقفت فجأة وقلت بوجوم ، « هذا مريع تماماً لا يمكن للمرء أن يسـير إلى الأمـام ، لا يمكن له أن يتقـدم · بينما نحن جمـاعة الطريق ··· »

« نعم · أعرف · »

« كنت على وشك أن أقول أننا نتقدم باستمرار · »

« أعرف · »

« اننا دائماً في حالة تعلم ، توسع ، تطور ، في الواقـع حتى خـلال حياتي القصيرة أتيحت لي رؤية قـدر كبير من التقدم ـ حرب بلاد « ما وراء القال » ، المسألة المالية ، العلم المسيحي ، الراديوم · ها هنا على سبيل المثال ··· »

أخرجت مقياس المشي ، ولكنه لا يزال يشير إلى خمس وعشرين ، دون أن يزيد حتى درجة واحدة ·

« أوه ، لقد توقف · كنت أود أن أريك · كان المفروض أن يسجل جميع الوقت الذي سرت فيه معك · لكنه يجعل عمري خمساً وعشرين فقط · »

قال : « أشياء كثيرة لا تعمل هنا · في أحد الأيام أحضر رجل آلة ولكنها لم تعمل · »

« ان قوانين الطبيعة تنطبق بشكل شامل . لا بد أن الماء في الخندق هو الذي عطّل الآلات . في الظروف الطبيعية كل شيء يعمل . العلم والرغبة في التفوق ــ هاتان هما القوتان اللتان جعلتا منا ما نحن عليه . »

اضطررت الى قطع كلامي للاستجابة إلى التحيات اللطيفة الصادرة عن الناس الذين كنا نمر بهم . كان بعضهم يغني ، والبعض يتحدث ، والبعض الآخر ينهمك في أعمال الحدائق أو صنع التبن أو في صناعات أولية أخرى . كانت تبدو عليهم السعادة جميعاً ، وكان من الممكن أن أشعر أنا أيضاً بالسعادة ، لو استطعت أن أنسى أن المنطقة لا تقود إلى أي مكان .

بوغِتُّ لرؤية شاب يعدو بسرعة عبر ممرنا ، ويقفز بطريقة رائعة فوق سياج صغير ، ويجتاز حقلاً مفلوحاً إلى أن رمى بنفسه في بحيرة وأخذ يسبح عبرها . كانت هذه حيوية حقيقية ، وصحت : « سباق ضواحٍ ! أين الآخرون ؟ »

« ليس هناك آخرون ، » أجاب مرافقي ؛ وفيما بعد ، حين مررنا بحشائش عالية كان يصدر عنها صوت فتاة تغني لنفسها برقة شديدة قال مرة أخرى : « ليس هناك آخرون » . وشعرت بالحيرة لهذا التبديد للانتاج ، وتمتمت أخاطب نفسي : « ما هو معنى هذا كله ؟ »

قال : « انه لا يعني أكثر من ذاته » ــ وكرر الكلمات ببطء كأنني طفل .

قلت بهدوء : « انني فاهم ولكنني لا أوافق . انه لا قيمة هناك في أي انجاز إذا لم يكن حلقة في سلسلة التطور . وعليّ ألا أستغل لطفك أكثر مما فعلت . فلا بد لي أن أعود بطريقة ما إلى الطريق ، وأن أصلح مقياس المشي الخاص بي . »

أجابني : « يجب أولا أن ترى البوابات ، اذ لدينا بوابات وان كنا لا نستعملها أبداً . »

وافقت بأدب ، وقبل مضي زمن طويل وصلنا الى الخندق المائي مرة أخرى عند نقطة امتد فيها جسر فوقه . كانت هناك فوق الجسر بوابة ضخمة ، لونها

أبيض كالعاج ، أقيمت في فتحة في السياج الفاصل • كانت البوابة تنفتح نحو الخارج ، وتفحصتها بدهشة ، اذ أنها كانت بداية لطريق ـ يماثل تماماً الطريق الذي غادرتُه ـ يغطيه الغبار عند موطئه ، وعلى جانبيه سياجان لهما حفيف ممتدان على مدى البصر •

صحت : « هذا طريقي ! »

أغلق البوابة وقال : « لكن هذا ليس جزء الطريق الخاص بك • ان هذه هي البوابة التي خرجت منها الانسانية قبل عصور لا عد لها ، حين تملكتها رغبة السير لأول مرة • »

أنكرت ذلك ، مشيراً الى أن جزء الطريق الذي غادرته أنا نفسي لم يكن يبعد أكثر من ميلين • ولكنه كرر بعناد من هم في سنه : « انه نفس الطريق • هذه هي البداية ، ورغم أن اتجاهه من هنا يبدو مستقيماً فانه ينعطف انعطافات كثيرة جداً بحيث أنه لا يبعد أبداً عن حدودنا وأحياناً يحاذيها • » وانحنى فوق الخندق المائي ورسم على حافته المبللة شكلا يشبه متاهة • وبينما كنا نسير عائدين عبر المروج حاولت أن أقنعه بأنه مخطيء •

« الطريق ينعطف أحياناً بالتأكيد ،ولكن ذلك جزء من نظامنا • من يستطيع الشك بأن اتجاهه العام هو الى الأمام ؟ لانعرف الى أي هدف ـ قد يكون الهدف جبلاً يوصلنا الى السماء ، قد يكون عبر هاويات الى البحر • ولكن من يستطيع الشك بأنه يتجه الى الأمام ؟ ان التفكير بذلك هو الذي يجعلنا نسعى الى التفوق ، كل بطريقته الخاصة ، ويعطينا حافزاً تفتقرون أنتم اليه • فالرجل الذي مر بنا مثلا : من الصحيح أنه أحسن الجري وأحسن القفز وأحسن السباحة ، لكن لدينا رجال يستطيعون الجري بشكل أفضل • لقد أعطى التخصص نتائج ستدهشك • وكذلك تلك الفتاة ••• »

هنا قاطعت نفسي وصحت : « ياللعجب ! أكاد أقسم أنها الآنسة إلايزا دمبلبي الواقفة هناك ، وقدماها في البحرة ! »

كانت هي بذاتها في اعتقاده •

« مستحيل ! لقد تركتها على الطريق ، والمفروض أنها ستلقي محاضرة هذا

المساء عند ترنبردج ولز . وقطارها سيفادر شارع كانن بعد ... طبعاً توقفت ساعتي مثل كل شيء آخر . انها آخر شخص يفترض أن يوجد هنا . »

« يندهش الناس دائماً للقاء بعضهم البعض . جميع الأنواع تأتي عبـــر السيـــاج ، وتأتي في أي وقت ـ حين يكونون عـلى وشك احتلال المرتبـة الأولى في السباق ، حين يكونون متعثرين في الخلف ، حين يتركهم الآخرون على اعتقاد أنهم ماتوا . غالباً ما أقف عند الحد الفاصل وأصغي الى أصوات الطريق ـ انك تعرف ما هي هذه الأصوات ـ وأتساءل ما اذا كان أحد ما سينتحي الجانب . ان سعادتي الكبرى هي في مساعدة شخص ما على الخروج من الخندق ، مثلما ساعدتك . فبلادنا تمتلىء ببطء ، رغم أنها وجدت من أجل الجنس البشري بأكمله . »

« الجنس البشري له أهداف أخرى ، » قلت بلطف ، اذ انني استخلصت أنه حسن النية ، « ولا بد لي من الالتحـــاق بهم . » تمنيت له مساء سعيداً ، اذ كانت الشمس في طريق الغروب ، وعبرت عن رغبتي في أن أكون على الطريق لدى حلول الليل . ولكنه أمسك بي ـ مما أزعجني ـ وصاح : « لم يحن وقت ذهابك بعد ! » حاولت التخلص منه ، اذ لم تكن تجمعنا أية مصالح مشتركة وقد بدأت أضيـــق ذرعاً بتأدبه . ولكن رغم كل جهودي لم يفلتني ذلك العجوز المزعج ، وبما أن المصارعة ليست من اختصاصي فقد اضطررت لأن أتبعه .

من الصحيح أنه لم يكن بامكاني على الاطلاق أن أجد بنفسي المكان الذي دخلت منه ، وكان أملي هو أن يعود بي اليه حين أنتهي من رؤية المشاهد التي كانت تشغل تفكيره . لكنني صممت ألا أنام في ذلك المكان ، لأنه لم تكن لدي ثقة به ، ولا بشعبه ، رغم كل مودتهم . وعلى الرغم من جوعي لم أقبل أن أشاركهم وجباتهـــم المسائية المؤلفة من الحليب والفواكه ، وحين أعطوني أزهاراً ألقيت بها بعيداً حالما كان بامكاني فعل ذلك دون استرعاء انتباه أحـــد . كانوا قـــد بدأوا منـــذ الآن بالاستلقاء كالماشية استعداداً لقدوم الليل ـ بعضهم في العراء على سفح الهضبـــة العاري وبعضهم في جماعات تحت أشجار الزان . وفي ضوء الغروب البرتقالي هرعت في سيري مع دليلي الثقيل ، وقد أنهكني التعب وأضناني الجوع ، لكنني كنت أتمتم

بعزيمة صلبة : « هبني الحياة ، بكل كفاحها وانتصاراتها ، بكل خيباتها وكراهياتها، بمغزاها الأخلاقي العميق وهدفها المجهول ! »

أخيراً وصلنا الى نقطة امتد فيها جسر آخر فوق الخندق المحيط بالمكان وقامت بوابة أخرى في السياج الفاصل الممتد • كانت تختلف عن البوابة الأولى ، اذ كانت شافة مثل مادة قرنية وتنفتح نحو الداخل • لكنني رأيت مرة أخرى من خلالها ، في النور الشاحب طريقاً تماماً مثل الطريق الذي غادرته : رتيباً ، مغبراً ، على جانبه سياجان بنيان لهما حفيف ، ممتداً على مدى البصر •

سبب المشهد لي قلقاً غريباً ، بدا وكأنه لا يترك في أية قدرة على ضبط نفسي • كان هناك رجل يمر بنا ، عائداً مع قدوم الليل الى الهضاب ، يحمل على كتفه منجلا وفي يده علبة فيها سائل ما • نسيت مصير جنسنا • نسيت الطريق الذي كان يقع تحت بصري ، وقفزت نحوه وانتزعت العلبة من يده وأخذت أشرب •

لم يكن السائل أقوى من البيرة على الاطلاق ، ولكنه تمكن مني في لحظة بسبب حالتي المنهكة • وكما لو أنني في حلم رأيت العجوز يغلق البوابة وسمعته يقول : « هذا هو مكان انتهاء طريقك ، وعبر هذه البوابة ستأتي الانسانية ـ كل ما تبقى منها إلينا • »

رغم أن حواسي كانت تنحدر الى اللاوعي ، فقد بدا أنها تتوسع حين وصولها اليه • إذ أدركت أغنية العنادل السحرية ، ورائحة التبن غير المرئي ، والنجوم الثاقبة في السماء المضمحلة • مددني الرجل الذي سرقت بيرته لأنام تحت تأثيرها، وحين فعل ذلك رأيت أنه أخي •

صديق راعي الأبرشية

ليس معروفاً بشكل مؤكد كيف حدث أن وُجِد اله المروج* في وِلتِشَر • من

★ إله المروج Faun هو واحد من عدد من الآلهة الرومانية الريفية الثانوية ، ويرسم عادة بشكل كائن له جسم انسان وقرنا وأذنا ورجلا جدي •

(المترجم)

المحتمل أنه قدم مع جنود الفيلق الروماني ليعيش مع أصدقائه في المعسكر، يحدثهم عن لوكرِتليس ، أو عن غارغَنْس على سفوح إتنا ؛ وفي فرحتهم حين استدعائهم للعودة نسوا أن يأخذوه معهم ، وبكى في المنفى ، لكنه أخيراً وجد أن هضابنا أيضاً تفهم أحزانه ، وتفرح لسعادته ٠ أو ربما كان سبب وجوده هناك أنه كان دائماً هناك ٠ وليس من شيء كلاسيكي بشكل خاص فيما يتعلق باله المروج : كل ما في الأمر هو أن اليونانيين والرومان كانوا دائماً ذوي عيون ثاقبة ٠ إنك تجده في « العاصفة » وفي « الدعوات » ؛ وكل بلد فيه آجام من شجر الزان وعشب منحدر وجداول شديدة الصفاء يمكن تماماً أن ينتجه ٠

أما كيف تمت لي رؤيته فهذه مسألة أكثر صعوبة ٠ اذ تتطلب رؤيته صفة معينة ، واستعمال كلمة الصدق هو تسمية لها باردة أكثر مما ينبغي والمزاج الحيواني تسمية جلفة أكثر مما يجب ، وهو وحده يعرف كيف حدث أن وُجِدَت هذه الصفة لدي ٠ لا يحق لأي شخص أن يصف نفسه بأنه أحمق ، لكن يمكنني القول أنني كنت أشبه شخصاً أحمق شبهاً كاملا ٠ كنت مزوحاً دون روح نكتة وجاداً دون اقناع ٠ كنت كل يوم أحد أحدث أبناء ابرشيتي الريفيين عن العالم الآخر بلهجة شخص كان وراء الكواليس ، أو أشرح لهم أخطاء البيلاجيسيين** ، أو أحذرهم من الركض المتواتر وراء اللـذات ٠ كل يوم ثلاثاء ، كنت أقوم بما أسميته « أحاديث صريحة مع أبنائي » ــ أحاديث تجاوزت كل ما هو محرج ٠ وكل يوم خميس ، كنت أتحدث الى « اتحاد الأمهات » عن واجبات الزوجات أو الأرامل ، وأعطيهن أفكاراً عملية عن ادارة شؤون عائلة مؤلفة من عشرة أشخاص ٠

لقد خدعت نفسي ، ولفترة من الزمن خدعت إميلي بالتأكيد ٠ لم أعرف قط أية فتاة تصغي بهذا الاهتمام لمواعظي ، أو تضحك من القلب بهذا الشكل على نكتي ٠ لا عجب إذن أنني خطبتها ٠ لقد برهنت أنها زوجة ممتازة ، تصحح بحرية سخافات زوجها ، دون أن تسمح لأي شخص آخر أن يتفوه بكلمة واحدة عن هذه السخافات ؛ تستطيع التحدث عن العقل الباطن في غرف الاستقبال ،

** اتباع بيلاجيوس Pelagius ، وهو راهب بريطاني عاش في القرن الرابع عشر وأنكر مبدأ الخطيئة الأولى وقال بأن الانسان يتمتع بحرية إرادة مطلقة ٠

(المترجم)

ولكن أذنهـا تصغي للأطفال وهم يبكون في غرفتهم أو للصحون وهي تتكسـر في حجرة الأطبـاق • زوجة ممتازة ـ أفضـل مما تخيلت في أي وقت • لكنهـا لم تتزوجني •

لو أننا بقينا في البيت عصر ذلك اليوم لما حدث شيء • وكانت أم إميلي ، التي أصـرت على أن نتناول الشاي في الخلاء ، هي سبب كل مـا حدث • قبالة القرية ، عبر الجدول ، يوجد تل حوّاري صغير ، تتوّجه غيضة من أشجار الزان وبعض المتاريس الرومانية • (لقد حاضرت بحيوية بالغة حول هذه المتاريس ، ثم تبين فيما بعد أنها ساكسونية) • إلى هذا المكان جررت سلة فيها معدات الشاي وبساطاً ثقيلاً من أجل أم إميلي ، بينمـا مشت إميلي وصـديق صغير الحجم في المقدمة • كان الصديق الصغير الحجم ـ الذي لعب خلال الحادث بأكمله دوراً أقل أهمية بكثير مما يعتقد ـ شاباً لطيفاً ، ممتلئاً بالذكاء وبالشعر ، خاصة ما يدعوه شعر الأرض • كان تواقاً لأن ينتزع من الأرض سرها ، ولقد رأيته يضغط وجهه بحماس عاطفي على العشب ، حتى حين كان يظن أنه وحده • وكانت إميلي في ذلك الوقت ملأى بالتطلعات المبهمة ، ورغم أنه كان عليّ أن أفضـل أن تدور هـذه التطلعات كلها حولي ، فقد بـدا من غير المنطقي أن أنكر عليهـا الفرص الأخرى لتثقيف الذات التي كانت تتوفر في المنطقة •

كانت عـادتي في ذلك الوقت حين الوصول الى قمة أي مرتفـع أن أصيح مازحـاً : « ومن سيقف عـلى كلا الطرفين ويشكل جسراً معي ؟ » وفي نفس الوقت أحرك ذراعي بعنف أو أهجم بيقظة تامة على خصم وهمي • وقد تلقت إميلي وصديقها نكتتي كالمعتاد ، ولم ألحظ أي تصنع في مرحهما • لكنني كنت على قناعة أن شخصاً كان موجوداً لم يجدني مضحكاً ، ولا بد أن أي خطيب بين الناس سيقدر توتري المتزايد •

وقد سرّت أم إميلي عني قليلاً ، إذ انتفخت قائلـة : « ما ألطف هـاري ، الذي حمل جميع الأشياء ! ماذا سنفعل بدونك ، حتى في هذا الوقت ! آه ، يالجمال المشهد ! هل تستطيعون رؤية الكاتدرائية العزيزة ؟ كلا ! الضباب شديد • الآن سأجلس أنا فـوق البسـاط • » وابتسمت بغموض • « الانحطاط في ايلـول ، كما تعلـم • »

أبدينا اعجاباً لا حماس فيه بالمشهد ، الذي كان حقاً جميلاً فقط لأولئك الذين يعجبون بالأرض ، وبالنسبة لهؤلاء فانه قد يكون أجمل مشهد في انكلترا . إذ هنا يقع جسم العنكبوت الحوّاري الكبير الذي يمد أطرافه فوق جزيرتنا ــ والذي أرجله هي المرتفعات الجنوبية والمرتفعات الشمالية وهضاب تشلترن ، والذي تظهر رؤوس أصابعه في كرومرودوفر . وهو مخلوق نظيف ، ينبت أقل ما يمكنه من الأشجار ، وهذه الأشجار القليلة تنبت في آجام منسقة ، وهو يحب أن تدغدغه الجدوال السريعة الجريان . وتنتشر فوق جميع أنحاء جسمه بثور من المتاريس ، إذ منذ بداية التاريخ يتقاتل الناس للاستئثار بحق الوقوف فوقه ، وأقدم معابدنا مبنية فوق ظهره .

لكنني في تلك الأيام كنت أحب لبلادي أن تكون مريحة دافئة وجميلة ، ملأى بمنازل السادة والأكواخ الظليلة والناس الذين يلمسون قبعاتهم . كانت الامتدادات الشاسعة الكئيبة التي يمكن للمرء أن يمشي أميالاً عدة عليها تقريباً دون أن يغير أياً من علائم الطريق أو أن يقابل أي شخص مهذب لا تزال بالنسبة لي لا تطاق . لذا استدرت حالما أعطتني اللباقة فرصة لذلك وقلت : « وهل لي الآن أن أعد الكأس الذي ينعش ؟ »

أجابت أم إميلي : « يا لك من رجل لطيف ، إذ تساعدني . انني دائماً أقول أن الشاي في الخلاء يستحق الجهد الاضافي . كم أتمنى لو أن حياتنا أكثر بساطة . » ووافقناها على قولها . أخرجتُ الطعام . « ألن يثبت الابريق ؟ آه . إجعله يثبت . » فعلتُ ذلك . صدرت صيحة ، خافتة ولكن واضحة ، كما لو كان شيء ما يتألم .

« ما أشد السكون في كل شيء هنا ! » قالت إميلي .

سقط مني عود كبريت مشتعل على العشب ، ومرة أخرى سمعت الصيحة الخافتة .

سألتُ : « ما هذا ؟ »

قالت إميلي : « لقد قلت فقط أن كل شيء ساكن جداً . »

« ساكن بالتأكيد ، » ردد صديقها الصغير الحجم ٠

ساكـن ! لقد كان المكان ممتلئاً بالأصوات ٠ لـو أن عود الكبريت سقط في غرفة استقبال لما كان الأمر أسوأ ، وأعلى الأصوات صدر من جانب إميلي نفسها ٠ لقد كان إحساسي تماماً كاحساس المرء حين يذهب الى حفلة ، وينتظر أن يعلن اسمه في قـاعة الأصـداء ، حيث بامكـانه أن يسمع أصوات الضيوف ولكن ليس بمقدوره بعد أن يرى وجوههم ٠ انها لحظة عصبية لرجل خجول ، خاصة إذا كانت جميع الأصوات غريبة بالنسبة له وإذا لم يكن قد قابل مضيفه قط ٠

« عزيزي هاري ! » قالت السيدة الأكبر سناً ، « لا تشغل نفسك بعود الثقاب ذاك ٠ انه سينطفىء ولن يؤذي أي انسـان ٠ الشـاي ـ ي ـ ي ! انني دائماً أقول ـ وستجد أن إميلي على نفس الوتيرة ـ أنه حين تقترب السـاعة الخامسة السحرية ، ومهما كان غداء المرء دسماً ، فانه يبدأ بالشعور بشيء من ٠٠٠ »

إن إله المروج هو من النوع الذي يمرح عابثاً في النقوش النافرة من المدرسة الأثينية الحديثة ، وإذا لم تـلاحظ أذنيه أو ترى ذيله ، فانـك ستظن أنه رجـل وستشعر بالرهبة ٠

صحت متهيجاً : « سباحة ! صبيان قريتنا يقومون بمثل هذا العمل ، لكنني أوافق تماماً ٠٠٠ اشـراف أكبر ٠٠٠ انني ألوم نفسي ٠ اذهب مـن هنا ، أيها الولد الشقي ، إذهب من هنا ! » ٠

« ما الذي سيخطر له بعد هذا ! » قالت إميلي ، بينما نهض الكائن الموجود إلى جانبهـا وأومـأ إليّ ٠ مشيت نحوه بجهـد كبير وبخطوات صغيرة وأنـا أقوم بايماءات وأصيح صيحات مروّعة ، محاولاً طرد الشبح بتحريك قبعتي ٠لم أمش بشكل مختلف في اليوم السابق ، حين أرتني بنات أخت إميلي خنزيرهم الهندي ٠ ولم يكن الضحك القلبي الذي أثرته الآن أقل ٠ وإلى أن أطبقت الأصابع الغريبة عليّ ، كنت لا أزال أظن أن هـذا كان أحـد أعضـاء أبرشيتي ولم أتوقف عن الصياح : « دعني أيها الولد المشاكس ، دعني ! » وأجابت أم إميلي ، معتقدة أنها

فهمت النكتة : « في الواقع عليّ أن أقر أنهم أولاد مشاكسون ويلحقون بالمرء حتى على البساط : انحطاط أيلول ، كما قلت من قبل . »

عندها لمحت الذيل ، وأصدرت صرخة جامحة وهربت الى أجمة الزان التي كانت خلفي .

« لقد وُلد هاري ليكون ممثلاً ، » قالت أم إميلي وأنا أبتعد عنهم .

أدركت أن أزمة كبيرة في حياتي كانت على وشك الوقوع ، وأنني إذا فشلت فيها فانني قد أفقد احترامي لنفسي فقداناً دائماً . كان حشد من الأصوات قد بدأ يجعلني أشعر بالقلق ــ أصوات الهضبة تحت قدميّ ، والأشجار فوق رأسي ، بل والحشرات وهي داخل جذوع الأشجار . بل انني استطعت سماع الجدول وهو يلتهم قطعاً صغيرة من المروج والمروج وهي تحتج احتجاجاً حالماً . وفوق الضجيج ــ الذي لم يكن أعلى من أزيز أجنحة نحلة ــ ارتفع صوت إله المروج يقول : « أيها القسيس العزيز ، تمالك نفسك ، تمالك نفسك . ما الذي يخيفك ؟ »

قلت : « لست خائفاً » ــ وبالتأكيد لم يداهمني الخوف . « لكنني حزين : لقد ألحقت بي العار على مرأى من سيدتين . »

« لم يرني أي شخص آخر ، » قال وهو يبتسم بكسل . « السيدتان ترتديان جزمتين ضيقتين والرجل ذو شعر طويل . هذه الأنواع لا ترى أبداً . منذ سنوات وأنا لا أتكلم إلا مع الأطفال ، وهم يتوقفون عن رؤيتي حالما يبلغون الرشد . أما أنت فلن تستطيع التوقف عن رؤيتي ، وإلى أن تموت ستظل صديقي . الآن أبدأ باسعادك : استلق على ظهرك ، أو تسلق الأشجار ، أو هل أحضر لك بعض التوت ، أو الجريس ، أو الزوجات ... »

بصوت رهيب قلت له : « قف خلفي ! » ووقف خلفي . « للمرة الأولى والأخيرة ، » أضفت ، « دعني أقول لك أنه من العبث محاولة اغواء شخص تتكون سعادته من إعطاء السعادة للآخرين . »

« إنني لا أستطيع فهمك ، » قال بلهجة أسف . « ما هو الاغواء ؟ »

قلت وأنا ألتفت : « يالكائن الغابات المسكين ! كيف يمكن لك أن تفهم ؟ لا جدوى هناك في قيامي بتأنيبك · ليس من طبيعتك الضئيلة أن تفهم حياة مبنية على انكار الذات · آه ! لو كان بامكاني أن أنفذ إليك ! »

« لقد نفذت إليه » ، قالت الهضبة ·

« لو كان بامكاني أن ألمسك !

« لقد لمسته ، » قالت الهضبة ·

وانفجر إله المروج يقول : « لكنني لن أتركك أبداً · إنني سأقوم بكنس معبدك ، وسأرافقك إلى اجتماع السيدات · وسأغنيك في الأسواق · »

هززت رأسي · « إنه لا اهتمام لدي بهذه الأشياء على الاطلاق · وفي الواقع ملت في البداية إلى رفض عرضك لخدماتك كلياً · لكنني كنت مخطئاً في ذلك · انك ستساعدني ··· ستساعدني على جعل الأخرين أكثر سعادة · »

« أيها القسيس العزيز ، يالها من حياة عجيبة ! أشخاص لم أرهم من قبل قط ، أشخاص لا يستطيعون رؤيتي ، لِمَ عليّ أن أسعدهم ؟ »

« أيها الصبي المسكين — ربما مع مرور الزمنستعرف السبب · اذهب الآن · باشر·على هذه الهضبة بالذات تجلس فتاة أكن لها احتراماً كبيراً · أبدأ بها·هاك! ان الخيبة ترتسم على وجهك · هذا ما ظننتُه · انك لا تستطيع فعل أي شيء · وهذه خاتمة المسألة باكملها ! »

أجاب : « يمكنني جعلها سعيدة اذا أمرتني ، وحين أنتهي من القيام بذلك فانك قد لا تثق بي بعدها · »

كانت أم إميلي قد بدأت في التوجه الى البيت ، لكن إميلي والصديق الصغير الحجم جلسا بجانب معدات الشاي — هي في ثوبها الأبيض المضلع وقبعتها السمراء وهو في بذلته الصيفية الخشنة والتي هي مع ذلك جيدة الخياطة · وارتفع رأس إله المروج بقوامه الوثني الضخم وراءها بوقاحة ·

كان الصديق يقول : « وهل شعرت قط بالوحدة المرعبة وأنت بين حشد من الناس ؟ »

أجابت إميلي : « لقد شعرت بذلك كله ، وأكثر بكثير جداً ... »

ثم وضع إله المروج يديه فوقهما . وهما ، اللذان لم يقصدا أكثر من عبث حضاري بسيط ، قاوماه أطول فترة ممكنة ، ولكن كلاً منهما دُفع بالتدريج الى ذراعي الآخر ، وتعانقا بعاطفة شديدة .

صحت منفجراً من الأجمة : « أيها الشرير ! لقد خنتني . »

« أعرف ذلك : ولا يهمني ، » صاح الصديق الصغير . « قف جانباً . انك في حضرة شيء لا تفهمه . في العزلة الكبرى وجدنا نفسينا أخيراً . »

« ارفع يديك اللعينتين ! » صحت مخاطباً إله المروج .

انصاع لأمري ولكن الصديق الصغير تابع كلامه بهدوء أكبر : « لا طائل وراء التقريع . ما الذي تعرفه أيها الكائن الكهنوتي المسكين عن سر الحب بين الرجل الأزلي والمرأة الأزلية ، عن بناء الروح لذاتها ؟ »

« هذا صحيح ، » قالت إميلي بغضب . « لم يكن من الممكن لك أبداً يا هاري أن تجعلني سعيدة . انني سأعاملك كصديق ، ولكن كيف أستطيع أن أعطي نفسي لرجل يقوم بمثل هذه النكات السخيفة ؟ حين مثلت دور المهرج ساعة تناول الشاي ، تقرر مصيرك ، يجب أن أعامَل على نحو جديّ : يجب أن أرى اللاتناهيات تتسع حولي حين أنهض . قد لا توافق أنت على ذلك ، ولكن هكذا أنا . في العزلة الكبرى ، وجدت نفسي أخيراً . »

صحت : « يا للفتاة التعيسة ! العزلة الكبرى ! يا للزوج من الدمى العاجزة ... »

بدأ الصديق الصغير يبتعد باميلي ، لكنني سمعتها تهمس قائلة : « انه لا يمكن لنا ياعزيزي أن نترك السلة لهاري بعد هذا الذي حدث ، وبساط أمي ، هل لديك مانع أن تحمله في اليد الأخرى ؟ »

وهكذا غادرا المكان ورميت أنا نفسي على الأرض بكل مظاهر اليأس ·
« أهو يبكي ؟ » قال إله المروج ·
« إنه لا يبكي ، » أجابت الهضبة « عيناه جافتان كالحصى · »
جعلني معذبي أنظر اليه · « إنني أرى السعادة في أعماق قلبك ، » قال ·

قلت بعناد : « لا بد أن لدي ينابيعي السرية · » ثم أعددت خطاب شجب انتقادي ، ولكن من بين كل الكلمات التي كان من الممكن أن أستعملها ، لم أقل سوى واحدة تبدأ بحرف « ل » · *

ندّتْ عنه صحية مبتهجة : « آه ، الآن أنت تنتمي الينا حقاً · حتى نهاية حياتك ستصب اللعنات حين تغضب وستضحك حين تكون سعيداً · الآن اضحك ! »

خيم صمت كبير · الطبيعة بأسرها وقفت تنتظر بينما كان راعي أبرشية يحاول أن يخبيء أفكاره ليس على الطبيعة فقط بل على نفسه أيضاً · فكرت بكبريائي الجريحة ، بلا أنانيتي المحتارة ، باميلي ، التي فقدتها لا لخطأ ارتكبته ، بالصديق الصغير الحجم ، الذي في تلك اللحظة تماماً تعثر تحت وطأة سلة الشاي الثقيلة ، وهذا ما جعلني أتخذ قراراً ، اذْ ضحكت ·

في ذلك المساء ، سمعت للمرة الأولى المرتفعات الحوارية تغني لبعضها البعض عبر الوديان ، كما يحدث لي الآن غالباً حين تكون الريح هادئة وحين يكون يوم هذه المرتفعات مريحاً · من غرفة مكتبي استطعت رؤية اله المروج يغمره نور الشمس ، وهو يجلس أمام أجمة الزان كما يجلس الرجل أمام بيته · وحين أتى الليل عرفت معرفة أكيدة ليس فقط أنه نائم بل أن الهضاب والغابات نائمة أيضاً · الجدول بالطبع لم ينم قط ، تماماً مثلما أنه لم يتجمد قط · حقاً ، ان ساعة الظلمة هي بالتأكيد ساعة المياه ، التي تكون الى حد ما قد خنقت طوال النهار على يد نبضات الأرض الكبيرة · هذا هو السبب في أنك تستطيع أن تشعر بالمياه وأن تسمعها من مسافة أبعد في الليل ، وفي أن الاستحمام بعد الغروب رائع جداً ·

(*) في الأصل . حرف « D » أول حرف في كلمة «Damn» (اللعنة) وسبب امتناع راعي الأبرشية عن ذكر الكلمة بوضوح هو أنها كلمة يفترض أن لا يتداولها الشخص المهذب ·

لا تزال سعادة ذلك المساء الأول واضحة في ذاكرتي ، بالرغم من جميع السنوات السعيدة التي تلت . انني أذكرها حين أرتقي منبري — فالآن هناك دخل خاص لكنيستي — وأنظر الى خيرة الناس يجلسون تحتي على مقعد خلف مقعد ، كرماء وقانعين ، والى أسوأ الناس ، المزدحمين في الأجنحة ، والى المغنين ذوي الأصوات العالية والسوالف الطويلة في الجوقة ، والى رجال الكنيسة والقيمين عليها المثقفين وأصابعهم تعبث بحقائبهم ، والى القندلفت الشامخ الذي يمنع المتأخرين من الدخول . وأذكرها أيضاً حين أجلس في السكن المريح المخصص لي كقسيس أعزب ، بين الخفوف التي صنعتها لي الشابات الطيبات ، وحاملات المصابيح السنديانية التي حفرها لي الشباب الطيبون ، ومجموعتي من أباريق الشاي المهداة وشهادات التقدير المذهبة وجميع الهدايا الأخرى من الناس الذين يعتقدون أنني مددت لهم يد المساعدة ، والذين هم أنفسهم ساعدوني على الخروج من الوحل . ورغم أنني أحاول أن أنقل تلك السعادة للآخرين — مثلما أحاول أن أنقل كل شيء يبدو جيداً — ورغم أنني أنجح أحياناً ، لكنني لا أستطيع بالضبط أن أخبر أي شخص كيف حصلت على هذه السعادة . إذ لو أنني تفوهت بكلمة واحدة عن ذلك ، فان حياتي الراهنة ، المُرضية والمجدية جداً ، سوف تنتهي ، وستتركني رعيتي ، وهكذا فانني بدلا من أن أكون مصدر نفع لأبرشيتي ، سأجد نفسي عبئاً على الأمة . لذا فانني أرغمت أن أستعمل بدلا من المعالجة الشاعرية والخطابية ، المناسبة جداً لهذا الموضوع ، والمنسجمة تماماً مع مهنتي — أن أستعمل الصيغة القصصية التافهة ، وأن أضللكم بالتصريح بأن هذه قصة قصيرة ، مناسبة للقراءة في القطار .

تنسيق

« لا تضربي ، » قالت الآنسة هادن . « وكل تعاقب للنغمات يجب أن يكون مثل عقد من اللآلىء . لكنه ليس كذلك ما السبب ؟

« إلـِن ، أيتها البهيمة ، لقد عزفت النغمة الخاصة بي . »

« لا ، لم افعل . أنت التي عزفت نغمتي . »

« فاذن نغمة من هذه ؟ »

نظرت الآنسة هادن بين ضفيرتيهما ، ثم قررت · « انها نغمة مِلْدِرد · عودا الى الفواصل المزدوجة ، ولا تضربي · »

عادت الفتاتان ، ومرة أخرى تنازع خنصر يـد ملدرد اليمين على الـ G المتوسطة مع خنصر يد الن اليسرى ·

قالتا : لا يمكن عزفها · ان الخطأ هو خطأ الرجل الذي ألفها · »

« يمكن عزفها بسهولة اذا لم تطيلي إلى هذا الحد يا الن ، » قالت الآنسة هادن ·

دقت الساعة الرابعة · خرجت ملدرد وإلن ، وتلتهما روز وإنِد · عزفتا الثنائية بشكل أسوأ من ملدرد ، ولكن ليس سيئاً مثل عزف إلن · في الرابعة والربع أتت مارغرت وجين · عزفتا بشكل أسوأ من روز وإند ، ولكن ليس سيئاً مثل عزف إلن · في الرابعة والنصف أتت دولورِس وڤيولت · عزفتا بشكل أسوأ من إلن · في الخامسة الا ربع ذهبت الآنسة هادن لتناول الشاي مع المديرة ، التي شرحت سبب رغبتها في أن تتعلم التلميذات نفس الثنائية · كان ذلك جزءاً من نظامها التنسيقي الجديد · فالمدرسة تناولت موضوعاً واحداً للعام بأكمله ، واحداً فقط ـ نابليون ـ وتوجَّب أن تكون كل الدراسات متعلقة بهذا الموضوع الواحد · وهكذا ـ اذا أغفلنا ذكر اللغة الفرنسية والتاريخ ـ كانت التلميذات في مادة الاستظهار يتعلمن قصائد وردزورث السياسية ، وفي مادة الأدب يدرسن مقاطع من « الحرب والسلم » ، وفي مادة الرسم يقلدن بعض أعمال ديفِد ، وفي التطريز يصممن أثواباً امبراطورية ، أما في الموسيقى ـ فانهن بالطبع كن يتمرن على سمفونية « البطولة » لبتهوڤن ، والتي بُدئت (ولكن لم تُكمل) على شرف الامبراطور · كان هناك عدد من المعلمات الأخريات يتناولن الشاي ، وقد عبرن عن مدى حبهن للتنسيق ، وكيف أنه نظام رائع ، فهو يجعل عملهن وكذلك عمل الفتيات أكثر تشويقاً بكثير · لكن الآنسة هادن لم تتجاوب · اذ لم يكن هناك أي تنسيق في يومها ذاك ، ولم تستطع فهم السبب · كل ما عرفته هو أن الكبر بدأ يدب فيها وانها تعلم الموسيقى على نحو أسوأ فأسوأ ، وتساءلت كم من الوقت سيمضي قبل أن تكتشف المديرة هذا وتقيلها ·

أثناء ذلك ، وفي مكان عال من السماء ، جلس بتهوفن ، وحوله من كـل الأطراف جلس موظفوه ، مصطفين على غيوم أصغر حجماً . كان كل منهم يدون قيوداً في دفتر ، وكان الموظف الذي يحمل دفتره اسم « سمفونية البطولة : وزعها على أربعة عازفين كارل مولر » يدون هذه القيود : « ٣ر٤٥ : ملدرد وإلـن ، بقيادة الآنسة هادن . ٤ر٠٠ : روز وإنـد ، بقيادة الآنسة هـادن . ٤ر١٥ : مارغرت وجين ، بقيادة الآنسة هادن . ٤ر٣٠ ... »

قاطعه بتهوڤن يسأل : « من هي هذه الآنسة هادن ، الذي يتكرر اسمها مثل قرع الطبـل ؟ »

« انها تقوم بتفسير أعمالك منذ سنوات عديدة . »

« وجوقتهـا ؟ »

« انهن فتيات من الطبقة المتوسطة العليا ، يعزفن (البطولة) باشرافها كل يوم طوال النهار . ان صوت السمفونية لا ينقطع أبداً . وهو ينساب خارجاً من النافذة مثل بخور لا ينفذ ، ويُسمع في طرفي الشارع . »

« هل يقمن بالعزف ببصيرة ؟ »

وبما أن بتهوڤن أصم ، فقد تمكن الموظف من أن يجيب ، « ببصيرة عميقة جداً . لقد مر وقت كانت إلن فيه أكثر بعداً عن روحك من الأخريات ، ولكن لم تعد الحال كذلك منذ وصول دولورس وڤيولت . »

« ألهمتها الرفيقات الجدد . انني أفهم ذلك . »

سكت الموظف .

« انني أوافق ، » أضاف بتهوڤن ، « وكدليل على موافقتي آمر أن تستمع الآنسة هـادن وجوقتهـا وكل من في بيتهن هذا المسـاء بالذات الى عـزف مثالي لرباعيتـي الـ A minor »

بينما كان يجري تدوين الأمـر وهيئة الموظفين تتساءل عن كيفية تنفيذه ، جرى مشهد يفوق حتى هذا في الروعة في مكان آخر من السماء . هنا جلس نابليون، يحيط به موظفوه ، الذين كان عددهم كبيراً الى حد أن العروش التي جلس عليها أكثرهم بعداً بدت لا تزيد حجماً عن سحاب النمر . وكانوا منهمكين في تدوين كل

ذكر لمستخدميهم يجري على الأرض ، وهي مهمة نظمهم بنفسه من أجلها • وكان يسأل بين كل بضع دقائق : « وما هي آخر تطوراتنا ؟ »

أجاب الموظف الذي يحمل دفتره عنوان « قصائد وردزورث التقديرية » : « ٥ر٠٠ ملدرد وإلن وروز وإند ومارغرت وجين ، جميعهن رددن قصيدة (ذات مرة كان الشرق الرائع في قبضتها) • وقد حاولت دولورس وفيولت ترديدها ، ولكنهما فشلتا • »

« في هذه القصيدة يمجد الشاعر غزوي لجمهورية البندقية ، » قال الامبراطور ، « وقد ارتج على دولورس وفيولت بسبب عظمة الموضوع • من الطبيعي أن تفشلا • والتطورات التالية ؟ »

قال موظف آخر : « ٥ر١٥ : ملدرد وإلن وروز وإند ومارغريت وجين يرسمن الرجل الأمامية اليسرى لكنبة پولين بوناپرت • بينما لا تزال دولورس وفيولت تحفظان القصيدة • »

قال نابليون : « يبدو لي أنني سمعت هذه الأسماء الساحرة من قبل • »

« انها في دفتري أيضاً ، » قال موظف ثالث • « قد تتذكر يا سيدي أنهن قبل حوالي ساعة عزفن سمفونية (البطولة) لبتهوفن ••• »

« التي كتبت على شرفي ، » أكمل الامبراطور • « انني أوافق • »

قال موظف رابع : « ٥ر٣٠ : باستثناء دولورس وفيولت اللتين عهد اليهما ببري الأقلام ، تغني المجموعة بأكملها نشيد المارسيليز • »

« هذا بالضبط ما كان ينقصني ، » صاح نابليون وهو ينهض واقفاً • « لدى هؤلاء الأوانس اندفاع نحو المجد * • انني آمر كمكافأة لهن ولبيتهن أن يشتركن صباح الغد في انتصار أوسترلتز • »

دون الأمر •

كان وقت التحضير المسائي في السابعة والنصف • أخلدت الفتيات الى غرفتهن

(*) بالفرنسية في الأصل : Ces demoiselles ont un vrai élan vers la gloire .
(المترجم)

والكآبة تسيطر عليهن ، فقد وصل بهن الضجر من النظام الجديد الى حد البكاء . ولكن شيئاً رائعاً حدث . اذ مرت فرقة من الفرسان من أمام المدرسة ، تسبقها جوقة موسيقية ممتازة . طار عقل الفتيات من السرور . نهضن من مقاعدهن وغنين ورقصن وقفزن وصنعن أبواقاً من الورق واستعملن اللوح كطبلة . وقد أتيح لهن القيام بذلك لأن الآنسة هادن ، التي كان ينبغي أن تشرف عليهن ، تركت الغرفة قبل ذلك للعثور على شجرة عائلة ماري لويز ، فقد شددت معلمة التاريخ عليها أن تحضرها الى غرفة التحضير كي يتاح للفتيات أن يتسلقنها ، لكنها كانت قد نسيت . « انني لا أصلح لشيء على الاطلاق ، » فكرت الآنسة هادن ، بينما كانت تمد يدها لتناول الشجرة ، التي كانت موضوعة فوق أوراق أخرى تحت صدفة حصلت المديرة عليها من سينت هيلينا . « انني غبية وتعبة ومسنة ، ؛ كم أتمنى لو كنت ميتة . » وبينما هي تفكر بهذا الشكل ، رفعت الصدفة الى أذنها؛كثيراً ما فعل والدها ـ الذي كان بحاراً ـ نفس الشيء معها حين كانت صغيرة ...

سمعت صوت البحر ؛ في البداية كان صوت المد يهمس على الاستواءات الطينية ، أو يثرثر وهو يرتطم بالحجارة ، أو صوت موجة تزمجر زمجرة طويلة ذات صدى وهي تصطدم بالصخور ، أو أصوات أواسط المحيط ، حيث تراكم المياه نفسها مشكلة جبالا أو تنحسر عن نفسها مشكلة ودياناً ؛ أو حين يهبط الضباب وترتفع الأعماق وتهبط بلطف ؛ أو حين يكون الهواء عليلا بشكل يجعل الأمواج الكبيرة والأمواج الصغيرة التي تعيش داخل الأمواج الكبيرة تغني جميعاً من الفرحة، وترسل واحدتها الى الأخرى قبلات من الزبد الأبيض . سمعت هذه الأصوات جميعها ، ولكن في النهاية سمعت البحر نفسه ، وعرفت أنها امتلكته الى الأبد .

« آنسة هادن ! » قالت المديرة . « آنسة هادن ما السبب في أنك لا تقومين بالاشراف على الفتيات ؟ »

أبعدت الآنسة هادن الصدفة عن أذنها ، وواجهت مستخدِمتها بعزم متزايد .

تابعت المديرة : « انني أستطيع سماع صوت إلن رغم آننا في الطرف الآخر من المبنى . كدت أظن أن هذا وقت حصة التدرب على الخطابة . من فضلك يا آنسة هادن ، ضعي مثقل الورق هذا في الحال وعودي الى واجباتك . »

تناولت الصدفة من يد معلمة الموسيقى ، بنية وضعها على الرف المناسب · ولكن قوة التأثر بمثال الآخرين جعلها ترفعها الى أذنها · وقد أصغت هي أيضاً ···

سمعت حفيف الأشجار في غابة · لم تكن أية غابة عرفتها قط من قبل ، لكن جميع الناس الذين تعرفهم كانوا يتجولون فيها على ظهور الجياد ، وينادي بعضهم البعض باستعمال أبواق ناعمة الصوت · كان الوقت مساء ، وهم منهمكون بالصيد· بين الفينة والأخرى تحركت حيوانات محدثة حفيفاً ، وفي احدى المرات سمعت صوت يقول « هالو و و ! » وتلت ذلك مطاردة ، ولكن على الغالب تجول أصدقاؤها على جيادهم بهدوء ، وكانت هي معهم ، يخترقون الغابة في جميع الاتجاهات والى الأبـــد ·

وبينما كانت تستمع الى هذا باحدى أذنيها ، كانت الآنسة هادن تتكلم على هذا النحو مخاطبة الأذن الأخرى :

« لن أعود الى واجباتي · لقد كنت أهملها باستمرار منذ قدومي الى هنا ، ولن يُحدث اهمـــال جديد أي فرق كبير · انني لا أمتلك موهبة موسيقية · وقـد خدعت التلميذات والأولياء وخدعتك · ليست لدي موهبة موسيقية ، لكنني ادعيت ذلك للحصول على النقود · انني لا أعرف ما سيحدث لي الآن ، ولكنني لم أعـد قادرة على الادعاء · انني أعطيك انذاراً · » *

دهشت المديرة حـين عرفت أن معلمة الموسيقى لديهـــا لا تمتلك موهبة موسيقية ، فأصوات البيانو كانت مستمرة منذ سنوات عديدة مما جعلها تفترض أن كل شيء يجري على ما يرام · وفي الظروف العادية كانت ستجيب بصرامـــة قاسية ، اذ أنها سيدة مكتملة ، لكن همهمة الغابة جعلتها تقول : « أوه يا آنســـة هادن ، في غير هذا الوقت · لنبحث الموضوع غداً · والآن اذا سمحت أريد منـك أن تستلقي في غرفة جلوسي بينما أستلم أنا التحضير بدلا عنك ، اذ أن وجودي مع البنات يشعرني دائماً بالراحة · »

(*) المقصود بالطبع ان الآنسة هـادن هنا تعطي انذاراً بأنهـا ستستقيل ، كما هو مفروض فيمن ينوي ترك عمله · (المترجم)

وهكذا استلقت الآنسة هادن ، وحين غلبها السبات عادت روح البحر اليها ٠ وذهبت المديرة ، ورأسها ممتلىء بهمهمة الغابات ، الى غرفة التحضير ، وسعلت ثلاث مرات قبل أن تفتح الباب ٠ كانت جميع الفتيات على مقاعدهن ما عـدا دولورس وفيولت ، وقد تظاهرت بأنها لم تنتبه إليهما ٠ بعد فترة ذهبت لاحضار شجرة ماري لويز ، التي كانت قد نسيتها ، وأثناء غيابها مرت فرقة الفرسان من جديد ٠٠٠

في الصباح قالت الآنسة هادن : « لا أزال أود الاستقالة ، ولكن أتمنى لو أنني انتظرت قبل أن أتحدث اليك ٠ اذ لدي خبر غير عادي ٠ قبل سنوات عديدة أنقذ والدي شخصاً من الغرق ، وقد توفي هذا الرجل قبل أيام ، وترك لي كوخاً عـلى حافة البحر ، ومبلغاً من المال يساعدني على العيش فيه ٠ لست بحاجة الى العمل بعد الآن ، ولذلك لو أنني انتظرت حتى اليوم لأمكنني أن أكون أكثر لباقة معك ، » وهنا احمر وجهها من الخجل بعض الشيء ، « ومع نفسي ٠ »

لكن المديرة شدت على كلتا يديها وقبلتها قائلة ، « انني سعيدة أنك لـم تنتظري ٠ ان ما قلته أمس هو كلمة الحقيقة ، دعوة واضحة من داخل الدغل ، وأتمنى لو أنني أنا أيضاً ٠٠٠ » وتوقفت ٠ « لكن الخطوة التالية هي اعطـــاء المدرسة عطلة يوم كامل ٠ »

وهكذا استدعيت الفتيات ، وألقت المديرة خطاباً والآنسة هادن خطاباً آخر ، أعطت فيه عنوان الكوخ الى الجميع ودعتهن لزيارتها فيه ٠ ثم أُرسلت روز الى محل المعجنات لاحضار حلويات وإنــد الى الخضري لاحضار فواكه ، وملدرد الى دكان المرطبات لاحضار عصير ليمون ، وجين الى اصطبل الجياد لاحضار مكابح ، وركبن جميعاً منطلقات خارج المدرسة مسافة هائلة داخل الريف ، ولعبن ألعاباً لا نظـام فيها ٠ اذا اختبأن جميعاً ولم تقم أية منهن بالبحث ، وضربن كلهن الكرة ولم تردها أية منهن ، ولم تعرف أي واحدة في أي فريــق هي ، ولم تحاول أية معلمـة أن تخبرهن ، بل وكان من الممكن لعب لعبتين في نفس الوقت ، وأن تكون الواحدة كلمبس في احداها وبيتربان في الثانية ٠ أما نظام التنسيق ، فانه لم يُذكر مطلقاً ، أو ذكر في مجال الهزء ٠ مثلا ، ألفت إلن أغنية ضده ، تقول :

بوني العجوز السخيف
جلس على مهرته ،
ياكل من حلوى عيد الميلاد .
وغمس اصبعه
وأخرج خوخة
وقال : « يالي من صبي شاطر » ، *

ورددتها الفتيات الأصغر سناً لمدة ثلاث ساعات دون توقف .

في نهاية النهار استدعت المديرة الجميع إليها وإلى الآنسة هادن . وتحلقت حولها الوجوه التعبة السعيدة . كانت الشمس تغرب ، والغبار الذي أثاره النهار قد بدأ يهمد . قالت ، وهي تضحك بمسحة من الحياء : « إذن يابنات لا يبدو وأنكن تعطين قيمة كبيرة لنظامي التنسيقي ؟ » .

أجابت الفتيات : « في الواقع كلا ! » « ليس كثيراً ! » وما شابه ذلك .

تابعت المديرة : « يجب علي أن أدلي باعتراف . فأنا أيضاً لست راضية عنه . في الواقع إنني أكرهه . ولكن اضطررت إلى تبنيه لأن هذه الأشياء لها أثر جيد على مجلس التربية » .

وهنا ضحكت جميع المعلمات والفتيات وهتفن ، ودولورس وفيولت ، اللتان ظنتا أن مجلس التربية هو لعبة جماعية جديدة ، ضحكتا أيضاً .

★ هذه الأغنية هي تقليد لأغنية شائعة من أناشيد الأطفال تبدأ : « جاك هورنر الصغير / جلس في زاوية . / ياكل من حلوى عيد الميلاد ... » والأسطر الباقية هي نفس المذكورة هنا . والمقصود ب « بوني » هنا نابليون نفسه ، إذ أن الكلمة هي اختصار لبونابرت .
(المترجم)

قد يخطر فوراً للذهن الآن أن مفيستوفوليس* لم يغفل عن هذا الحادث المشين . ولدى سنوح أول فرصة توجه إلى منصة القضاء وهو يحمل لفافة ضخمة كتب عليها « إنني أتهم ! »** في منتصف الطريق إلى الأعلى قابل الملاك رفائيل ، الذي سأله بأسلوب لبق إذا ما كان بامكانه أن يقدم له أية مساعدة .

أجاب مفيستوفوليس : « شكراً ، ليس هذه المرة . إن لدي قضية رابحة حقاً الآن . »

« قد يكون من الأنسب أن تطلعني عليها ، » اقترح الملاك الكبير . « سيكون من المؤسف أن تتكبد مشقة الطيران بلا فائدة ، خاصة وقد سبب أيوب لك خيبة أمل كبيرة . »

« أوه ، ذلك كان أمراً مختلفاً . »

« ثم كانت قضية فاوست ، وقد كان الحكم النهائي فيها ضدك ، إذا كانت ذاكرتي صحيحة . »

« أوه ، كان ذلك أيضاً شيئاً مختلفاً . لا ، أنا متأكد هذه المرة . بامكاني أن أثبت عقم العبقرية . يعتقد الرجال العظام أن الناس يفهمونهم ، بينما الأمر ليس كذلك ، ويعتقد الناس أنهم يفهمونهم ، ولكن ليس هذا هو الواقع . »

« اذا كنت تستطيع أن تبرهن على ذلك ، فان لديك قضية رابحة حقاً » ، قال رفائيل . « إذ المفروض أن الكون يرتكز على التنسيق ، وكل المخلوقات تنسق حسب طاقاتها . »

« إسمع . التهمة الأولى : بتهوڤن يصدر أمراً بأن تستمع إناث معينات إلى عزف لرباعيته الـ A minor . فماذا يسمعن ـ بعضهن يسمعن جوقة عسكرية ، وأخريات يسمعن صَدَفَة . التهمة الثانية : نابليون يصدر أمراً أن

★ الشيطان الذي باعه فاوست روحه في مسرحية مارلو . (المترجم)
★★ بالفرنسية في الأصل : J'accuse

تشترك هؤلاء أنفسهن في انتصـار أوسترلتز • والنتيجـة ــ إرث ، يتبعه حفـلة مدرسية • التهمة الثالثة : تعزف الاناث بتهوفن • وبما أنه أصم ، ويقوم على خدمته موظفون عديمو الأمـانة ، فانه يفترض أنهم يعزفونه ببصيرة • التهمـة الرابعة : لتكوين انطباع حسن لدى مجلس التربية ، تدرس الاناث نابليون • و'يدفع هو إلى الاعتقاد بأنهن يدرسنه بشكل صحيح • لدي نقاط أخرى ، ولكن هذه تكفي • إن العباقرة والناس العاديين لم يعملوا في تناسق ولا مرة واحدة منذ قتل قابيل هابيل • »

« والآن دعنا نستمع إلى قضيتك ، » قال رفائيل بعطف •

تلعثم مفيستوفوليس قائلاً : « قضيتي ؟ هذه هي قضيتي • »

صاح الآخر : « يالك من شيطان بريء • يالك من روح مستقيمة رغم كونها جحيمية • عد إلى الأرض وتجول من جديد • لقد قام هؤلاء الناس بالتنسيق يا مفيستوفوليس • لقد قاموا بالتنسيق عبر المصادر المركزية **للنغم والمجد** • »

★ ★ ★



لادا غالينا في سطور

لادا غالينا ، من أبرز الكتاب البلغار المعاصرين . كرست قصصها للمعاصرة والتناغم اللذين يطمح اليهما المرء ، في واقعه وفي أحلامه . تعالج مواضيع متعددة ، ولكن لعلّ أحب هذه المواضيع ، التي غالباً ما تعود اليها ، هي العمل والعمل الخلاّق . ورغم قِصر قصصها فانها تقدّم دراسة بسيكولوجية لا تنفصل عن الفكرة الشعرية والصورة الفنية . متممة لتقاليد العالمية في الأدب البلغاري . من أشهر مؤلفاتها : « الأحلام غير مرميثة بالرصاص » (حول أحداث تشيلي) و « رواية « ألوان الينابيع والبلّور » وغيرهما . تكتب للأطفال ، وللمسرح .

ولدت عام ١٩٣٤ فيمدينة بورغاس على البحر الأسود وأنهت دراستها العليا في علم اللغات السلافية والاسبانية . وعملت محررة في الصحافة الأدبية ، ومستشارة فنية في « المسرح الساخر » .

لاداغاليـنا

قصص

ترجمها عن البلغارية : ميخائيل عيد

دوائر السنين

قام الترولي باص بدورته الاخيرة قبل أن يأوي الى مرآبه • الركاب القلّة يهومو"ن نعاسا على المقاعد • قاطعة التذاكر تحصي التذاكر وسط الترولي باص• يضرب النوافذ مطر يهطل مائلا • الدوائر وحيدة المركز تنداح على الزجاج الذي ينعكس عنه خيال لرأس امرأة شقراء • ارتعش الدكتور برايكوف دون ارادة منه وسمّر نظره على جانب وجهها الجلي" ، الطري ، اللطيف كظل في المـاء • ارتدت المرأة المجهـولة ممطرها ونـزلت عند المـوقف • أظلمت النافـذة وعادت زجاجا عاديا مبللا •

تكلمت فتاتان سرحتا شعريهما تسريحة منتفشة بشيء عن المرأة التي نزلت• قالت احداهما :

ـ راقصة باليه ! بماذا توحي لك ؟ لها ركبتان كساعتي قياس الماء •

ضحكت الاخرى بصوت مرتفع • استدار الدكتور برايكوف نحوهما ونظر اليهما بما يشبه الكراهية • وصلوا الى الموقف الاخير • المطر هنا قرب الجبل أقل غزارة ولكنه أشد برودة• يهب هواء بارد عبر مضيق «فلاداي» الجبلي• يسير الدكتور برايكوف ، أغلب الاحيان بعربته فلم يعتد حمل المظلة أو الممطر • رفع ياقـة سترته واستدار منطلقا على طريق الفيلات • مظلتان مبللتان منتفختان تخفيان

وجهين التقتا على الرصيف الضيق وتصادمتا ، متصافحتين ، وافترقتا٠فتاة متأخرة تسرع نحو سرادق شجرة جوز ٠ قفزت هرة من المكان الجاف فاندفعت الفتـــاة لتحيد من طريقها ٠ صفر فتى ٠ استدار الدكتور برايكوف ولكنه لم يعرفه ٠ يظهر في هذه الفيلات التي على الاوستراد ، دائما ، المزيد من الناس الجدد ٠ وقلة هم الذين يقيمون فيها بشكل دائم ٠

صار الطريق في الاعلى أكثر انحدارا ٠ انتهى الممر ٠ تحت أضواء المصابيح الكهربائية الشاحبة النادرة تلتمع السقوف المبللة وأوراق الحور الصفـــراء ٠ اجتاز الطبيب الجسر الخشبي المقـام فوق مسيل جاف نمت على جانبيه أشـجار الاكاسيا ورأى نافذة غرفة النوم ٠ انها مضاءة ٠ زوجته لا تنتظره ، عادة ، حين يعود من مناوبة متأخرة ٠ رالوكا ترفض حياة الليل التي تهرمها فتدير « المنبه » وتنام باكرا كقرويي بويانا ٠

نافـذة ابنه معتمة ٠ رآه الليلة البارحـة يتسلق شجرة التفاح ويتسلل الى غرفته عبر الشرفة ٠ توقف الـدكتور برايكوف على الدرب ، ضخمـا ، يرتدي ملابس حسب الطراز الحديث ، وخط الشيب شعره ، وراح ينظر باتجاه شـجرة التفاح التي علق القمر بأغصانها ٠ اعتصر ، فجأة ، حزن خاطف فؤاده ٠ تحرك الكلب واندفع نحـوه ٠ تضوعت نبتات الخبازي الموطوءة بقوة ٠ الحديقة الرحبة المهملة غارقة في الرطوبة ٠

أشعل المصباح الكهربائي في المدخل فرأى أن السجادة الفارسية ملمومة كـي لا تتسخ بالوحل وقد بدت ، حيث كانت ، الالواح الخشبية المرقعة بدهانهـــا القديم الممحو ٠ لم يكن عري المدخل الكامل مريحا وقد تكدست فيه قطع الموبيليا القديمة ومقاعد ثقيلة وصنوف الزينات : شمعدانات ومزهريات وأمشاط ٠

سمع الدكتور برايكوف وقع خطى زوجته ٠ خرجت الى المـــدخل متدثرة بمعطفها الليلي الكرزي اللون ٠ جلست على أريكة ، سقط النور من المصبـــاح على خفيها اللذين التوى مقدماهما الى الاعلى كالاحذية الآسيوية الغريبة ٠ لقـد اشترتهما خلال رحلة الى اسطمبول ٠

ـ هتفت اليك في العيادة ولم تكـن هناك · ثم أخبروني انـك بقيت في المستشفـى ·

ـ رجاني نيكولوف أن أنوب عنه في المناوبة ·

ـ هكذا أنت تناوب عن أي كان ! لديك كل هذا العدد من المرضى ولا ترى من المفيد أن تأتي اليهم ! أنت رئيس قسم · لمـــاذا يرغمك نيكولوف عـــلى أن تنـاوب عنه ؟

كان وجه زوجته في الظل ولمح قوسي حاجبيها المرتفعين والتجعيدات الطفيفة حول أنفها الدقيق ذي الفتحتين المستطيلتين جدا ·

ـ وهل هذه مسألة هامة ! سينوب عني في مرة قادمة ·

نهضت رالوكا عن الأريكة · مشت قليلا ودقت بقدمها على السجادة برفق ·

ـ ذهبت اليوم أيضا الى الوزارة · بعد يومين الامتحان بالفرنسية · هذا لن أستطيع تقديمه بدلا منك · ستسافر المجمـوعة في منتصف كانون الاول اذ يكون الطقس مناسبا جدا في غينيا · التوقف لمدة عشرة أيام في باريس ·

ـ لماذا يتحتم علينا الذهاب الى افريقيا وخلال هذا الخريف · أنت تعلـم أن من الصعب عليّ التعود على التقلبات ·· سيكون الطقس مناسبا جدا ! تتكلم وكأنك مرشد سياحي ·

ـ ذهب أصدقاؤك الى المانيا بدون مرشد سياحي · واذ فاتنا السهـل يبقى لنا أن نعجب بالوعر ·

تنهد الدكتور برايكوف متبرما وتوجه الى الطابق العلوي · لماذا يعـودان الى المشاكسة وفك خيوط الحوار الذي يحفظه عن ظهر قلب · ستقول رالوكا في البداية : « لن أترك أولادي بدون لغـة » وسيوضح لها ، أن تجربـة الطبيب في افريقيا جديدة علينا · وسوف تصمت لان همها الاول هو النقود من اجل الشقة · التفت قبل ان يدخل الى غرفة عمله · رالوكا تلاحقه بنظراتها ، لا يزال وجهها متوتراً من تأثير الاهانة الصامتة · نهضت عن الاريكة وبسطت السجادة بعصبية

فوق الألواح المرقعة · انها تشبه طفلا وهي منحنية هكذا · أسف من أجلها ، ود لو يقول لها شيئاً جميلا · لن تنسى رالوكا أبدا شقة السكن التي دمرتهـا القنابل والتي ورثتها عن أبيها · انهـا تعتذر دائماً لضيوفها وتذكر ما تبقى لهما حسب القانون من الشقة المهدمة · كساء الجدران الخشبي في غرفة عمله ، المصنوع مـن السنديان السلافي محفر تحت الجدران المتداعية ويصل الى السقف المنخفض ويثقل على الغرفة الصغيرة · برايكوف يفهم هموم زوجته وهو لا يغتاظ من توبيخهـا اياه · ولكنه لا يريد أن يفكر الآن في ذلك ، لانه يعيش منذ شهر حياة اخرى ، وما الاشياء والناس من حوله سوى نقاط استناد مألوفة ·

ابنته نائمة على المتكأ في غرفة عمله · انها تشبهه ـ كبيرة ، ذات ملامـح مستديرة وحركات بطيئة متعبة · يداها غير الطفوليتين بمفاصلهما النامية من التدريب على البيانو تتركان أثرا على الوسادة · قرب الفراش منضدة صغيرة عليها زجاجات فيها كواشف كيميائية · هو لا يريد أن تنام الصغيرة في العيادة التـي تحمل أنفاس المستشفى ، ولكن زوجته قـد وزعت الغرف الصغيرة الثـلاث ذات السقوف المائلة · ! الفيلا لها ، وكانت الشقة لها · ما الذي يملكه هنا ـ الزجاجات التي فيها الكاشف والكتب ، أم هـذه الرسوم الغرافيكية الثلاثـة التي حملها معه الى آخر العالم · الدكتور برايكوف أمامها أيضا ، ليستشعر ارتعاش تلك اليـد الصغيرة التي قطفتها من المدى الرحب ، بقع دافئة من الحبر الهندي المحو ، خط دقيق يسيل على الورقة منحدرا من الغابة « بيلكاريت » · في وجه العجوز حيويـة وطيبة ، وتسليم · هو يفهم لغة الاعشاب النافعة والطيور وخفايا أفكار الناس · « فتاة من الرودوب » هي ابنة تلك المرأة الصغيرة التي ترتدي السواد وتحيـك السجاجيد والبسط ذات الشراشيب · أصابع الطبيب تمس في أغلب الأحيان العظام الدقيقة في الجبين الوضاء · يشبع في نظرة الرودوبية القاتمـة خوف حقيقي · الرسم فج ومعبر · مـن قصور بودابست القديمة · يذكـر بشكل آسـر بعربات البرابرة وبالسمـاء التي لا تنال · الدانوب يمتـد في خط وحيد أسود ويتنفس ويرتعش بالاضواء المنعكسة ·

استدار الدكتور برايكوف · زوجته واقفة على العتبة بخفيها اللذين اشترتهما

من اسطمبول وبمعطفها الليلي الكرزي اللون · انها تبتسم باقتصاب شرير ·
ـ ألا تمكث في صوفيا حباً بفن التصوير ؟ لقد شددت الاقفـال ياعزيزي !
ـ أنت تريدين مني النقود ، طوال حياتك لم تريدي سواها · ستنالينها ·

صفقت رالوكا الباب فأجفلت الفتاة النائمة واضطربت · تقدم الـدكتور برايكوف على رؤوس أصابعه وسوى غطاءها · جلس الى المكتب وفتح دون تبصر « العلاج في المشافي » ، حاول التركيز · أمن الممكن أن تعرف وأن تسكت ؟ بـــدا ذلك غير ممكن في دنيا مشاعره المكثفة كماهو غير ممكن أنتكون العين بلا حساسية· مر برايكوف بيده على وجهه وكأنه يريد أن يمحو شيئا عنه · نظر مرة أخرى الى المرأة الرودوبية المرسومة بطباشير حجرية والى ابنتها ذات السنوات التسع · ثـمة شيء في وجهيهما ، شامل ، وطري ونقي ·

سأقول لها · وصلت الامور الى حد المكاشفة · عشنا معا تسعة عشر عاما · عليها أن تفهمني ، أن تحاول فهمي · أنا بحاجة الى الوقت لاعيش ، لافكر ·

تقلت القمر من أغصان شجرة التفـاح وأنار غرفة النوم عبر النافـذة · رالوكا غافية · يدها ممسكة بالغطاء ذي الوبر قرب كتفيها · حجر الفيروز الكبير في خاتمها يومض بشحوب · « لا تريد أن تعرف شيئا » ـ قالها ورغب لاول مـرة في أن يدنو ويوقظها ، أن يسحب الغطاء الدافىء عن كتفيها · انه ينام في الطرف الظليل في زاوية المتكأ ، وكأنه يحرص على ألا يمس زوجته ·

أخرج في الصباح الباكر سيارته من المرآب · الضباب ينسحب على الشجيرات البليلة · الشوارع لاتزال مقفرة · صادف على الطريق أول باصات نقل العاملين في المناجم وفي المصنع التعديني · حول المحرك الى القوة الثالثة · هدّأ روعـــه صوت المحرك الرتيب المألوف · لم يسمعه أحد في المنزل حين أقلع · « هذا أفضل » ـ فكر برايكوف ـ الرجال يرفضون كل شيء في مثل هذه الحال · انها لحماقـة لمن في مثل سني أن يدلي باعترافات وان يستجدي المودة · مَن من أصدقائنا سيقول لزوجته أنه يحب امرأة أخرى ؟ رالوكا على صواب · هذا مضحك ومهين · هـي سريعة رد الفعل ولديها دائما جواب جاهز ، أما الآن فهي لا تريد أن تعرف شيئاً·· اذاك اعتداد أم تلك وسيلة للدفاع الذاتي ؟

كانت رالوكا لا تزال طالبة حين تزوجت منه ، هو الطبيب الشاب في مستشفى والدها الخاص • الدكتور دارغـان نيديف له نفس الانف الدقيق المحدودب الذي يتشمم دون خطأ الناس والاحداث • لم يخطيء حين تقبل في العمل لديه ، الفتى الصموت المتماسك الذي لا يرتدي سوى بذلة واحـدة لائقة ويحمل شهادة بدرجـة ممتاز تحمل توقيع البروفسور كولفتس من برلين • كان الطبيب الشاب يعمـل طوال عشرين ساعة في المستشفى وصار يوحـي الاحترام للمرضى • أخـذ دارغان نيديف ، مـرة ، العروسين في سيارته « الفورد » السوداء في نزهة قصيرة • وقبل أن يصلوا الى بانكيه أشار بيده الى الحقل : « لو أنك تدق هنا وتدا يحمل لافتة لتدفقت النقود ! » وتدفقت النقود ، سيل غير مضمون من أوراق البنكنوت المدعوكة في أكياس ومناديل ، ومن سندات عريضة كالدفاتر • ونجح دارغان في تحويـل بعض هذه الأوراق الى سجاجيد ولوحات فنية ومنازل • شيد خلال الحرب « فيلا » في بويانا ولكن الأعوام كانت قد تحولت فخرج البناء رديئاً وغالي التكاليف •

• • • •

أشجار الحور على جانبي الطريق الاسفلتي تشبـه شموعا صفراء كبـيرة • الصباح في حقول بلوفديف مشمس وبارد • في البساتين قرب القرى تجمع النساء البطاطا • لم يعرن أية التفاتة الى السيارة التي تتجاوزهن مسرعة • ما الغرابة ـ الموسكفيتش ! » ثمة العشـرات من الموسكفيتش الرماديـة الضاربة الى الزرقـة والحمراء ـ الزنبقية في هذه القرى الغنية •

قال ابنه مـرة : « أصبحت سيارتنا طرازاً قرويا » فأجابه « حين تصبح ذا دخل ، من عملك ، اشتر الطراز الذي يناسبك ! » وتدخلت رالوكا :

« اشترى المهندس نيكولوف سيارة أوبل من ايطاليا ، في طريق عودته مـن تونس بألف وخمسمئة دولار • »

ألح عليها حين تزوجا كي تكمل دراستها وتجتاز الامتحانات الرسمية • وحين كبر دارغو اقترح عليها مراراً أن تشرع في العمل « أنت طبيبة ، فهل نسيت ذلك مؤخرا ! » ورفضت رالوكا : « لدينا طفل ولن أتركه بين أيدي الخادمات فيمـر

عبر قفار القرى • » ومن ثم ولدت ماريانا • وأعلن عن الامتحان الاختباري ولم تتقدم رالوكا اليه ففقدت الحق في ممارسة اختصاصها • قابلت ذلك ، دون مبالاة ، كأنه بلاغ اداري لا لزوم له • ولقد سمعها ذات مرة تقول للبستاني الذي يأتي في الربيع والخريف ليشذب حوش منزلهم : » احمل شهادة عليا ولم أعمل يوما واحدا • » تعتني رالوكا صباحا بالبيت وتتحدث هاتفيا الى صديقاتها وتنام بعد الظهر وتعزف على البيانو • تشتري كتبا حول تاريخ الفن والموسيقا والبومات رسوم وهي تستطيع توجيه الحديث نحو آخر كتاب قرأته • وهذا يترك تأثيرا على زملائه الذين يعملون صباحا في المشافي والمستوصفات وبعد الظهر في عياداتهم الخاصة ويقرأون بين مناوبتين بعض الكتب الطبية أو المجلات • يوما السبت والاحد لديهم ضيوف دائما • وفي أي وقت زرتهم ، بعد نضج ثمار التوت أو خلال شهر أيار ، وحين يحتشد الجميع على الجبل فانك لن تجد مكانا تجلس فيه على شرفتهم • رالوكا لا تريد أبدا أن يظلا وحيدين • انها بحاجة الى تيارات طاقة حيوية من الاعجاب الانساني ، لتشحن حدة ذهنها وتعلن عن ثقافتها •• السفر الى الخارج بمثابة فريضة لا محيد عنها في عائلة الدكتور دراغان نيديف • كانت للدكتور العجوز مبادؤه « يتم تعلم اللغة في البلاد التي يتكلمونها فيها • » ولقد أخذ رالوكا الى انكلترا مذ كانت في المدرسة الثانوية • أما هو فلديه الكثير من الصلات خارج الحدود ، يكتب الرسائل لاصدقائه وللمعاهد الطبية • ويستلم أغلب الاحيان هدايا ويرسل هداياه ، ويؤدي خدمات للذين يتوقع منهم شيئا • والماكر يعرف ، دائما ، الاماكن التي يكون الشراء منها أكثر نفعا ، حتى ما يتعلق بالادوات المنزلية كالمرشة التي تستخدم في صنع الحلوى أو مصفاة القهوة • وأول خطوة لرالوكا نحو الغربة كانت رحلة لبلقان توريست عبر الأبيض المتوسط • ثم رتبت أمر سفرهما لمدة عامين الى غينيا • لم تكن خططها تثيره • ولحياته الآن مغزى آخر يخضع له كل شيء •

• • • •

لهث المحرك وطقطق بشكل مشبوه • نظر الدكتور برايكوف الى لوحة العدادات فوجد أن السهم الذي يشير الى الزيت قد توقف بثبات على الصفر • ثمة

مصيبة كبيرة كانت بانتظاره بعد أن قطع عشرات المئات من الامتار ذاهلا • أوقف السيارة في ظل مهلهل لشجرة خوخ غبراء • تختبىء على أغصانها العالية ثمار كهرمانية ناضجة • فتش في مكان الحقائب من مؤخرة السيارة عن علبة الزيت الاحتياطية وسكبها في خزان الزيت • اقتربت منه سيارة « سكودا » زرقاء تجلس أمام مقودها امرأة شابة سوداء الشعر طويلته وتسافر وحيدة • خففت السير للوقوف • لم يلتفت الدكتور برايكوف ليتقبل المساعدة • اندفعت المجهولة بحدة • « اندفاع نسوي » وابتسم الطبيب •

اقتفت « الموسكفيتش » آثار السكودا الزرقاء الطرية التي لاحت عند منعطف ـ أو اثنين ثم اختفت • « لا أسافر لمسافة طويلة بالسكودا » يقولون أن هيكلها كثير الارتجاج • ذهبت تيوفانا وحيدة بسكودا كهذه الى ألمانيا • تيوفانا لا تخشى الارتجاج كثيرا •

تيوفانا هي ابنة عم زوجته • وهما متشابهتان حتى لكأنهما أختان ـ قصيرتان نشيطتان بأقواس حواجب مرتفعة وبالانفين المميزين لنوعهما بفتحاتيهما المتطاولة • وهي عاملة مختبر في مشفى المنطقة ولديها نقود مما ورثته من أملاك • وهي تفضل الاهتمام بالامور المسلية على أن تصبح عجوزا قروية تحمل أبرتها • تعرفت هذه السنة على « الرمال الذهبية » الى العم السمح الميونيخي المتلىء والتفت حوله كدالية ساحلية لدنة • دعته الى ضيافتها في صوفيا في فيلاها وجعلته خطيبا لها • النمساوي يقول بالبلغارية « نهارك سعيد » و « بصحتكم » ويدخن السيجار ويخفي كرشه تحت طرف قميصه الصيفي المرخى « لقد نتفوا المسكين في مكتب تبديل النقود • ليس بخيلا • هذه النوعية من الرجال تثمن جيدا • كم أنفق من النقود في « استوريا » و « السمكة الذهبية ! » أراني مرة صوراً لمنزله ، أعجبتني ، ولئن وجدت ما لا يفيد فسوف أعود • سأرى أوروبا ، رحلة شهر عسل عامة الى سويسرا » ظن برايكوف أن هذا مجرد سخرية ومزاح مبتذل ، ولكنهما سرعان ما استلما دعوة الى غداء على شرف القران • كانت تيوفانا في صالة « بلغاريا الحمراء » تعبر عن سرورها بأن ترشق زوجها بملاحظات تهكمية بالبلغارية وتترجمها له بعكس معناها • سافر العريس بالطائرة وتبعته تيوفانا بعد شهر بسيارتها وبخمس حقائب كبائنة • جاءت قبل سفرها الى

بويانا فأعطتها رالوكا المآزر الموروثة عن الجدة تيوفانا ، وبعض الرقع والوسائد التي أهداها له قرويو دوبروجا « سيكون هذا الفلكلور جذابا في ميونيخ » قالت ذلك تيوفانا ، مثمنة ، وأخذت الكل • عبأت سيارتها وانطلقت وحيدة عبر ثلاث دول لتحط في الرابعة •

« كان أقل السفر كلفة ، في زماني ، بالنسبة للطلبة هو الذي يتم بالسفينة عبر الدانوب حتى فيينا ومن هناك بالقطار حتى برلين • ترى هل سلمت من الحرب خمارات التيرول على الحدود النمساوية ـ الالمانية ؟ أشربت هناك نبيذا مقبضا أم أن أحدا حكى لي عن ذلك ؟ لقد تغير العالم وعليك أن تطير معه حتى لا تتعرض لصدمة تناقضات قصوره الذاتي • تيوفانا واليمامتان الليلكيتان على مئزر الجدة تيوفانا ••• شيئان متسقان مع المقود اللدائني والدروب تؤدي الى القفر » •

طارت ورقة جافة العروق وحطت على أعلى زجاج السيارة الامامي ثم التصقت بالماسحتين المتوقفتين عن الحركة • انها أشبه بأثر يد طفل على رسالة • ابتسم الدكتور برايكوف ثم أطلق الماسحتين سريعا • طارت الورقة • راحت تضرب النافذة كراحة يد صغيرة تريد الدخول •

ذاب جليد الزجاج بحرارة الاصابع • ظهرت أولا راحة يد طفل ثم تلتها عظام جافة دقيقة شاحبة من القر • وصوصت عينا القروي من القسم العلوي من النافذة حيث رق طلاء الصقيع وكانت تتوهج انعكاسات اليوم الشتوي الوردية والزرقاء •

طرق الفلاح على استحياء في البداية ، ثم بمزيد من الاصرار • يد الطفل تزن ايقاع تنامي القلق • وتصاعد ابتهال أصم •

قالت المرضة :

ـ لماذا يدق هذان ! الا يقرآن اللائحة التي تحدد وقت الدوام ، ••• وكانت تنورتها الصوفية تكشف عن ركبتين متينتين وساقين مليئتين مستويتين •

تمطى الجراح ڤاسف وألقى نظرة خاطفة على أوراق آخوتو •

ـ ليذهبا الى عيادة الرئيس • فكره مبدع • المستوصف يفتح حين ينطلق

البـاص • لو لم نكـن معبأين في هذه الناحيـة النائية لكان عليّ أنا الآخـر أن أضع لافتة •

لعبة الورق « بريدج بيلوت » بعد الظهر في مضافة (ستارا بلانينا العتيدة) وبريدج بيلوت في الليالي الطوال ••• أكوام الثلج الزرقاء ، الملل وساق رجـل المرضة ، أكبر « رأس بطاطـا » • كبير الأطباء من أبناء المنطقة ويعرف شغله ، تحل أمام بيته عربات ديلورمان كما لو أنها أمام نزل •

الفلاح الذي يدقّ ويد الطفل التي تذيب الجليد ذكرتاه رسائل رالوكا • كانت تطبع عليها يد دراغو ذي السنوات الاربع • كانت الحرب قد انتهت ولـم يكن قد سرح بعد • انها التعبئة المدنية • هي ليست على الجبهة في يوغوسلافيا ولا في هنغاريا • الدكتور دراغـان نيديف لـم يعد لديه مستشفى خاص ولكـن كلمته لم تزل ذات وزن هنا وهناك •

أراد أن يفتح الباب ولكنه واجه نظرات ڤاسيف وآخوتو الساخرة • وبقيت في اليد الآس والعجوز والبنت •

ذهب القروي وطفله •

دلك الدكتور برايكوف عينيه براحة كفه وكأنه يريد أن يزيح غبارا • الارض البور المحروقة وأعقاب الحصيد تنبسط منسابة وتطير نحو سلسلة الجبال الزرقاء عند الافق •

« سواء أكل الانسان بملعقة من ذهب أو بملعقة من خشب ، فان ما ينقصه كثير حين ينقصه الحب والوفاق » متى سمع هذه الكلمات ـ أثناء طفولته وهـو يحمل حقيبة الراعي أم بعد أن نال الشهادة العليا وعاد الى بلغاريا ، الى هـــذه القرية الصغيرة ، الى الجد والجدة حيث يضعون ، صباحـا ، على المنضدة الصغيرة رغيفاً كبيراً كالشمس وقد كتب على شُوكِ الطعام « هنيئاً ؟ » •

انه يعود الى جذور حياته ، أفكاره هادئة وناضجة كهذه السهوب والحقول التي جنيت غلالها • رغب في أن يمضي بلائحة حساب مصفاة الى حبه المتأخـر واليد الصغيرة الصلبة التي تحمل أصابعها آثار الغرافيت والألـوان لتنثر بذوراً معافاة على أيامه الغابرة • بلغ الدكتور برايكوف حدود السنوات التي يزيل فيها

التعب الانفجارات المخيفة وتترك فيها السكينة أثرها الواضح على الانسان ·
هشم الحب مشاعره الغامضة وهو منذ الربيع رهن شرود مقلق وهانىء لا يستطيع
التغلب عليه ولا يريد ذلك · انه يحرص على هـذا الشعور وكأنه هبة نـادرة
لا يمكن لاي كان أن ينالها · يلتمع أحيانا في نظراته وفي تفكيره المنطوق ويخفق
بريق نعماه الخفي · جعله فرحه يرفض الزهو بالمطامح والاهداف الضئيلة ···
أليس الامر سواء ، أكانت الملعقة من ذهب أم من خشب ـ حين يخسر حبه ؟

كنت طبيبا معها في ساعات الشدة · وظهر مذ كنا في المستشفى ميل كل منا
نحو الآخر في تلك اللمسات الوجلى · أردنا أن ننتقل الى الحياة العادية · لم تكن
قد رأتني خارج جدران المستشفى · ما الذي سيؤثر فيها حينئذ ـ هيبتي كطبيب
أم شيء آخر ؟ أتستطيع أن تعرف ما الذي يثير اعجاب النساء ؟

كانت تنام على السرير الاول قرب الباب ـ نحيلة دقيقة الملامح · خطـا
حاجبيها سوداوان كثيفان ، تضفي ظلال نظرتها الزرقاء طابع الجد على وجهها ·
شفتاها الطريتان المكتنزتان تحتفظان بلون شبابهما المورد لانها لم تكن تصبغهما
بأحمر الشفاه · سجلت في لائحة المستشفى باسم نيفينا ايفانوفا وليس رادوييفا ·
ولن يخطر لاحد أن هذه هي الفنانة نيفينا رادوييفا · كانت قلقة ، صموتا ،
تكلم الأطباء باقتضاب · كان المستشفى مكتظـاً بسبب جائحة « الكريب » وقـد
وضعت أسرّة في الممرات · كانت ستمضي دون أن يعرفها أحد بين تيار المرضى
لو لم يسأل عنها مخرج الافلام الكرتونية الحاج خريستو الذي كان ضيفهم ذات
احد في الفيلا · لقد أجاب ذاهلا بأنها هي الفنانة بنفسها وسوف يعتني بها ·
خطرت في ذهنه المرأة المزعجة التي تنام في الغرفة الخامسة ذاتها ··· انها تسعى
لجذب انتباه الاطباء وتتعب الجميع بنزواتها · وتردد : الفن ، الفن ··· ثـم
عرف فيما بعد انها ممثلة في المسرح الموسيقي ·

دخل الغرفة الخامسة عند الظهر فجأة وقد فات وقت الزيارة منذ زمـــن
وشرع المرضى يتمشون في الممرات بحرية · كانت رادوييفا قد وضعت ورقـــة
تحت مزهرية فيها بذور ، تنــاول الورقة دون تحرّجٍ وقلبهـــا · كانت مخطط
لوحة تبدو فيها ناظرة المرضى الاخت مارا وقد أهوت بمكنستها الكبيرة ونم وجهها

الصارم عن الاحتقار الكامل لهـذا العالم الذي لا تعرف فيه سوى تكويم الكناسة ٠
ــ دراسة جميلة ــ قالهـا وأعـاد اللوحة الى فوق المنضدة ٠ فلسفة المكنسة
ــ وأردف فجأة ــ في بيتي العديد من اللوحات ٠

ــ انه لشرخ حقيقي ٠ أنتم الاطباء تحبون أعمالا عذبة كهذه ٠٠٠

ابتسم دون أن يمس قولها شـعوره ٠ كيف ستهينه مثل هذه الفتـاة ذات العينين القاتمتين والفم الموبر العذب ٠٠

ــ سيسرني أن تري لوحاتي وأن أسمع رأي فنانة بارزة ٠

أمسك يدها ليحصي نبضها ٠ نظرت الى عينيه تماما كما يفعل الاطفال ٠ أذهلته استقامة نظرتها ٠ أحس اضطرابا خفيا ٠

منذ ذلك الحين صار يزورها كل يوم ويعرف من بسمتها أنها تنتظره ٠ حصل على يومي استراحة ، وحين عاد الى المستشفى لم يجدها في الغرفة الخامسة ٠ صرفها الطبيب المعالج ٠ أحس بشيء من الوحشة ٠

قال البروفسور البرليني كوفيتس لطلابه : يقتضي شرف مهنة الطب منا أن ننسى في العيادة وفي المستشفى أن مريضنا امـرأة ٠ ان اقتناعه بهذا منـذ شبابه ، والعائلة التي ملأت ساعات فراغه وطبع رالوكا المهيمن قد أزاحت النساء من طريقه ٠ انـه يخفي سماجته ببعض النكات الطبية المكشوفة أمـام الضيوف في الفيلا أو بحديث تافه مع جماعة الرجال بين لعبتي ورق ٠

التقيا للمرة الثانية في فيلا المهندس المعمـاري نيكولوف ٠ كان ذلـك في أواخر نيسان ، اذ يندلع حريق الكلوروفيل الاخضر فلا يبقى ما هو أبيض سوى « القمة السوداء » التي لم تبلغها شعله بعد ٠ كان الهواء راعشا رطبا وعذبا كماء الينبوع ٠ انفصلت نيفينا عن الضيوف لتتحدث اليه ٠ كانت ترتدي بذلة رمادية فاتحة ، اللون الاكثر لياقة للنساء الشقراوات ٠ دعاها لأن يوصلها بسيارتـه الى منزلها ، وكأنه يدعوها قبل كل شيء ليسيرا معا ٠ وافقت نيفينا بصمت ٠ واتخذ الطريق المعتم نحو « أوفيليتي » ٠

شعرها غزير حي ، يعبق برائحة حقل لفحته الشمس • وعرف فيما بعد أنه يعبق برائحة البابونج •• وداعب شعرها وجهه المتقد الهانيء •

المطعم الصغير في طرف المدينة ، وهو عبارة عن مشرب عائلي للبيرة • لا يقدم وجبات الطعام الا مساء • هو يعرف العديد من المطاعم الجيدة في المدينة • ولكن ، ثمة هناك العديد من الاصدقاء والزملاء وهو لا يريد أن يلتقي بأحد منهم فيضيع وقته • كانت الطاولات في الحديقة المكشوفة خالية وبدون أغطية • يهوم في الصالة عجوزان • توقع الدكتور برايكوف الا يجد سوى السردين للغداء ، ولكن الخادم فرش بمهارة غطاء نظيفا على الطاولة وقدم وجبة ريفية كأنما هي لوليمة • دفع الحساب بسخاء وجلس من جديد خلف المقود •

ذهب مع نيفينا صيفا في رحلات • « عديني أنك لن ترسمي وانك ستبقين لي طوال الوقت ! » « يا الهي ! ألا ترى أن لا شيء يشغلني سوى أن أنتظر لأتسلل وألتقي بك • عاشقان كلاسيكيان وحديقة وقمر • »

كانت رالوكا في فارنا ، في « تراكيا » تذهب كل صيف لتصطاف مع الطفلين في ملحق صغير قرب فيلا والدها التي هي الآن دار استراحة للمعلمين • من يعرف كيف نجحت في الاحتفاظ بالملحق • وهي تقطف العنب من كرم الفيلا بموجب حق « ملكية » المزرعة •

نيفينا تعد الطعام للرحلات • فوجيء بذلك لأول مرة • زوجته تبحث دوما عن مطعم « أنت محببة وطبيعية كبنات الريف ـ خاطب نيفينا وهي تقطع الخبز المصرور في قطعة من القماش ـ وأنا سأظل انسانا من الريف ما حييت • وهذه المناعة متبقية لدي منذ قادتني أمي وأنا طفل الى زيارة خالتي في صوفيا » •

قالت نيفينا •

ـ هل تعرف ؟ انني لم أحب الاطباء أبدا • اعتنت بي جدتي ، هناك أفضل من عند أبي الثاني • لم يضربني أحد ولم يدللني أحد •• كانت لي في المدرسة الاعدادية زميلة تدعى كيتي ، ابنة طبيب • وكانت له أكبر « لافتة » ، **خلال تلك السنوات ، في تلك المدينة الصغيرة ، تطأ أولها فترى آخرها • « هل**

نقرن العربات أمام بيت هذا الطبيب وكأنها في خان ؟ » « لا أتذكر ذلك ، ولكني طوال حياتي ، وخلال أشد الدورات الدراسية أهمية ، لم أخض نضالا حبا بالفخر كالذي خضته حينذاك مع كيتي · ونجحت مرة في التغلب علي · أتتذكر ربيع عام ألف وتسعمئة وخمسة وأربعين ، حين سقط الثلج في يوم عيد القديس جاورجيوس ؟ لبست فستاناً جديداً في تظاهرة كيريل وميتودي ، خلفته لي ابنة عمي وخرجت مزهوة الى باحة الاعدادية · تفحصتني كيتي وأعلنت أمام الجميع : « لدى خادمتنا فستان من هذا القماش ، ولكن فستانها أكثر جدة من هذا » ·

لفت انتباهه ، أكثر ما لفته ، حين تعرف على نيفينا رادويفا ، عدم تصنعها وصراحتها وتحررها الداخلي الذي به تحاسب نفسها والناس · « رالوكا لا ترتدي فستانا قديما لاخرى ـ فكر ـ ولن تقبل بذلك أبدا » وهي تربي أولاده كما تربت هي في بيت حيث لا تستطيع العين الغريبة أن تستشف نصف الحقيقة بدلا من الحقيقة ، أو المنفعة بدلا من الاستقامة · كان يرغب باستقامة واخلاص في أن يعلم زوجته بعلاقته مع الفنانة ، ولكن لم تكن لديه القدرة على ذلك ولم يكن قادرا على التفكير بالطلاق والافتراق عن أطفاله · انه ينتظر الايام القادمة لتحمل اليه قرارا · كان واثقا دائما من أنه لا يرتكب عملا مشينا ، ومن أن له الحق في هذا الحب · هو يحب نيفينا ويرغب بها رغبته بأولاده ويريد أن يعرف المزيد عن دقائق حياتها دون أن يثير ذلك غيرته ·· تخيل كيف ذهبت الى المدرسة وحيدة دون شريطة تربطها في شعرها يد أم ، وكيف اجتازت الامتحانات دون أن يأبه أحد لنجاحها ، وكيف سافرت وحيدة الى المصح وحمل الهواء المندفع كلماتها : « سوف أحيا ! »

ذهبا الى « أوفيلتي » في « بوليانا » قبل ذهابها الى الساحل لترسم · ثمة ايكة الى الاسفل من الصخور القائمة عند النهر · مر من حولهما حطابان ، أكبرهما يعلم الاصغر : لا يجوز قطعها الآن · النسغ لم يتجمع بعد في الجذور » توقفت نيفينا قرب شجرة قطعت حديثا · تتبعت بأصبعها خط دوائر السنين المتعرج · سألها مبتسما :

ـ ما هذا ؟ أحفر في الخشب أم في المعدن أم تراه تطريزا بالابرة ؟

أمسكت نيفينا القرمة الواسعة وأسندت وجهها الى القشر الخشن ٠
ـ نقوش النسغ خطوط للحب والكراهية ٠ نهرم من حب واحد أو من كراهية واحدة ٠ حين تحبني ستهرم كهذه الشجرة ٠

كان يصعب عليه أحيانا أن يتتبع انعطافات خيالها ، والمسارب والصلات التي تكونها فجأة بجد طفولي ٠٠٠ صعب أن تجد حديثا كحديثها ـ ودودا ، قلقا ، تمثيليا ٠٠٠ في المستشفى وفي بيته تدور أحاديث للاشياء فيها قيمة واحدة ، أما التيقن ، والعقل المتشكك فلهما الاحترام ٠

جلس قرب الشجرة المرتمية ٠ كانت قشرتها ساخنة تفوح منها رائحة صمغ الصنوبر ٠ أشار الى اكثر خطوط الجذع وضوحا :

ـ رسمت دائرة سنين كهذه في حياتي ٠٠٠٠ لن يمحوها أي شيء ٠
ابتسمت عينا نيفينا فقط ٠ احتضنها وسألها بهدوء زائد :
ـ أتريدين العيش معي ؟ ٠ الى الابد ٠
ـ ولكنني معك ، دائما معك٠٠٠كان آخر ما أفكر به قبل النوم هو عملي٠ أما الآن فأفكر بك ٠ قليلون هم الناس الذين كانوا طيبين معي مثلك ٠ لاتقل لي المزيد ٠ أعلم أن الامر صعب عليك ٠

لا تريد منه شيئا ، ولم تُلمح بأي قرار ٠ أخافه تغير مزاجها وثباتها اللذان ينبعان من استقلاليتها ٠ أحس أنه ينزلق ، يغرق في عالمه ، الذي دخله كمشاهد ٠

أوقف الدكتور برايكوف السيارة عند مفترق الطريق الرئيسية التي تؤدي الى الفندق ٠ الهواء الذي يهب من ناحية البحر يحمل آخر الاوراق البليلة من الجبال وينشرها على البلاجات المقرورة٠ الفندق بارد وممل كالشارع الذي على الشاطىء ٠ ثمة الكثير من الغرف الخالية ـ يحل هنا الآن هؤلاء الذين هم في مهمة أو المسافرون العابرون ٠ الخدم يجرون احصاءات طويلة مفصلة ، يحصون قطع البياض والكؤوس والسجاجيد ٠ يدونون ألواح الزجاج المحطمة ٠ عاملات التنظيف يجررن خفافهن بكسل عبر الممرات ويتنادين بأصوات مرتفعة ، الامر الذي كان يغضب الادارة صيفاً ٠ وفي المدينة ، كما في الفندق ، يبدو كل شيء عاديا ، مكشوفا ٠ ولم

يتبق مـن لغط الصيف الصاخب سوى مكانـين ـ ثلاثة ، عـلى شكل الفطر ، لبيع عصير الليمون • حيث لا يتوقف عندها سوى الشذاذ • الهـواء يعصف بالاعلانات نصف الملتصقة التي تدعو الى عروض المنوعات على المسرح الصيفي ، وباعلانـات القطارات والطائرات •

سار على غير هدى عبر المدينة التي يجهلها وراح ينظر بانتباه وقلق الى وجوه الناس الذين يجتازون الشوارع • قد تمر ، سيختبيء خلف احدى الزوايا ، وقـد يذهب الى مدينة أخرى ، وستحوم سعادته حوله كعربة للاسعاف السريع •

كتبت لـه نيفينا تخبره أنها استأجرت شقة في بيت أحد التكنيكيين في معمل البترول ، والذي بيته معرض حقيقي للوحات • هي لا تحب الفنادق ، وفي هـذا المنزل أناقة ودفء • اتجه الدكتور برايكوف نحو حي السماكين واهتدى الـى بيت التكنيكي الانيق • ثبت جرس كهربائي على المدخل الخشبي • فتحت له الباب امرأة رشيقة وأدخلته الى البيت فورا •

ـ نيفينا هنا ، ولكنها ذهبت لترسم • ستعود مع غروب الشمس ألست زميلا لها ؟ سأل عنها أمس بعض الزملاء •

فتحت المرأة أمامه بابا ثانيا وأشارت الى أقصى الغرفة :

ـ ها هي غرفتها • ابننا عسكري في غرودنو • أجرنا الغرفة صيفا الـى مستجمين ، وتستأجرها هي الآن • موقف المصنع غير بعيد •

لاحظ الدكتور برايكوف بساطة الترتيب ، ولمح أشياء نيفينا التي مـلأت الغرفة فورا بالالفة • ألبست سترتها الخضراء الضاربة الى الرمادي ظهر الكرسي ، أمام المرآة علبة زينة ، ثمة لوحات قماشية صففت لتجف أسفل الجدار العاري •

ـ هذا زوجي ـ اشـارت المرأة الثرثـارة الى لوحـة غير مكتملـة ورسـمت نيفينا ابنتي مع البلدوزر ايضاً والرسم يشبهها تماماً •

قال الطبيب :

ـ قد انتظرها هنا او اذهب الى الموقف •

ـ الموقف باتجاه جسر السكة الحديد • الباصات تجيء الآن بكثرة •
ـ اوضحت صاحبة البيت واغلقت الباب •

تناول السترة وأغرق وجهه فيها • شم منها الرائحة الطفيفة لحقل تلفحه الشمس • جلس على السرير ، انسحب الغطاء برفق فرأى تحت الوسادة طرف قميص نومها • قميص نوم بسيط من القطن لامرأة اعتادت النوم وحيدة • دنا من اللوحات غير التامة • كانت نيفينا رسامة غرافيك ولكن الحفر والطبع لم يكونا يرضيانها • ان وفرة مناظر الارض النقية الالوان التي تراها لا يمكن التعبير عنها الا بالفرشاة والقماش والألوان • ها هو « ايزتوبي » الذي خصصت له نصف رسالتها • طبقات نضيدة ارجوانية ، تلوين متماسك ولكنه دافيء ، والوان شفافة مضاءة ـ التل وبراكة البنائين المسقوفة بالحصر • ثمة تنويعات اخرى في اللوحة ـ البقع هنا بارزة ولكنها مرتمية بفتور ، وانما بمزيد من التظليل والعمق• نيفينا ، تستقصي شيئاً ، تنقى الشكل • قد يكون هو الآن الاقل نفعاً لها • هي تشاركه الافكار حول عملها ولكنها لا تمارس النصح ابداً تمحص آراءه بابتسامتها التي تنطق بانها لا تأخذ بها •

خرج وسار نحو الموقف • نزل من الباصات اناس ذوو عيون فتية وعضلات قوية ، تلتصق على ثياب عملهم وحول بلون رسوم نيفينا • وقف قريباً جداً من الباص وكان الناس يصدمونه دون أن يعتذروا • تضايق فتراجع • لم يكن يريد ان يرى امرأته بين هذا الحشد • لقد رن وتر دراغان نيديف في خاطره وافكاره القلقة •

لم يستطع لاول وهلة ان يميز نيفينا من بين الاخرين • هي الاخرى ترتدي بنطالاً وتحتذي حذاء قصيراً • ومنديلها المعقود من الخلف يخفي شعرها •

نظر الدكتور برايكوف اليها بشغف ، واحس من اعماق قلبه ، ان المصنف الرقيق الذي تحمله سيميزها دائماً عن الناس في الباص ، وعن كيتي المستهزئة وعن رالوكا النحيلة وسيفصلها عنه هو ذاته وعن الجميع ممن يرون القليل من اللون الارجواني في العالم ولا يستطيعون ابداع جمالاته •

هتف بصوت اصم :

ـ نيفينا !

استدارت . لم ير قط وجهاً اجمل من هذا الوجه المتوهج من وقع المفاجأة ومن السرور .

اندفع نحوها ، امسك يدها وقبلها . كانت جافة برداً وملطخة بالالوان .

ـ أجلّها حتى اغتسل ـ وابتسمت نيفينا سعيدة .

ـ رأيت لوحاتك ، لماذا لم تكتبي لي انك انجزت كل هذا ؟

ـ يخيل لي انني بدأت الآن افعل شيئاً . اكتشفت بنفسي السر القديم لكل رسام ـ غنى الألوان لا يكمن في كثرتها وانما في الظلال والتنويعات التي تزحف على القماش . ارأيت المسودة الثانية ؟ انها افضل .

ـ الن تنجزي اعمالاً غرافيتية ؟

ـ اريد ان ارسم البحر ولكن ليس كما رسمته في السابق . ليس ثمة داع لان ابحث عن موضوع لاعبر عن شيء هو لي . ارى لوحة الغرافيك عن البحر فجة رغم استيفائها كافة العناصر ، انها تشبه الانطباع عن الموسيقى .

ـ اتفكرين بي يا نيفينا ؟

ـ طبعا ـ قالت نيفينا وتأبطت ذراعه ـ قال لي بعض الزملاء أمس انهم قد ضموني في نقابة الفنانين الى مجموعة ستزور تشيكوسلوفاكيا وبولونيا . سيفتتح هناك معرضان يضمان أعمالا لي . ناهيك عن معرضنا ! لن يكون الوقت كافيا لي . أجهد كي أعمل كل يوم ولكن دون استعجال .

ـ يجب أن أرحل الى مكان بعيد ولفترة طويلة . أما اذا بقيت هنا ، فلا أريد أن أحيا منفصلا عنك .

توقفت نيفينا ونظرت الى عينيه . ثم مشت وقد ألصقت جبينها بكتفه . لم يتلفت كعادته في صوفيا حين تتأبط ذراعه . وتسلل خفية وبرفق ، ذلك الضيق الذي يخز قلبه . هرب ليتحدث معها عن طفليه على الرغم من أن ذلك ـ وهي

تعرفه ـ أغلى مكنونات أحاديثه · لقد رأت هذين الطفلين ، انهما كبيران ذكيان يعرفان كيف يكرهان ، وهي تهرب منهما كاللص · كان ذلك حوالي الظهر من ذات يوم · كانت أشجار الاكاسيا حول المسيل الجاف مزهرة ، والجسر الخشبي يصـر صريرا موقعا ، وعند طرف الشارع غير المفروش بالاسفلت ينمو عشب فتي ·

كانت تلك آخر أيام الدراسة · تسير الفتاة مع صديقتها وتؤرجح حقيبتها · عرفت نيفينا أنها ابنته رغـم أنها بعيدة عـن الفيلا ـ فالفتاة تشبه أباهـا شبهاً كبيرا · توقفت الفتاة مع صديقها أمام باب حديدي ذي دفتين · كانت رالوكـا وابنه في الحوش قرب الحاجز ـ رالوكـا ترتدي قميصا « بلـوزة » صوفيا لامعا وبنطالا ضيقا · تمسك مقص البستنة وتشذب بمهارة بعض الشجيرات ·

ومنذ أن مشت في الشارع ، حيث كل شيء ذو معنى بالنسبة اليها ، فهمت ان من غير الممكن أن تربط حياتها بهذا الطبيب الهرم المثقل بهموم طفليه · هـو انسان خلق للعائلة ، ذو شعور أصيل بالشهامة ، الى وضوح وانسجام يصعب عليه معهما أن يقيم علاقات مزدوجة · « مثل هـذا يمكن أن ترسله الى الحرب وتنتظره بثقة ! » فكرت بهذا نيفينا بنوع غامض من التعاطف الوجداني · عليه أن يتغلب على تناقض ضخم وقد يحول هذا فرحهما الى رماد ، ويثقلها بالتزامات قاسية · كل علاقة مع متزوجين ، ان لم تكن مجرد تسلية ، تخفي شيئا مأساويا · لقد خبرت ذلك خلال سنوات اللهو الضائعة في شبابها · وهـي تعرفه الآن وقد أصبحت قادرة على اعالة نفسها ولم تعد لديها أفراح أو أحزان خارج دنيا الفن ·

ـ كل امـرأة تحلم بأن تُحب كمـا تحبني ـ قالت بصوت خافت ـ ولكنك لا تملك القوة كي تنفصل عن طفليك · عرفت ذلك منذ اليوم الاول ، ومع ذلـك طمحت اليك · اني سيئة ! ·

ـ كشفت لي عالما آخر ، لم أكن أعرفه · رهيب أن أفكر بأن حياتـي ستنقضي بدون حب كهذا ·

تدفأت يدها في كفه كما تدفأ أيدي طفليه الباردة · لم يكن يرى الشـوارع

التي يسيران فيها ، وعرف من الهــواء القوي وحده أنهما خرجــا الى « البوليفار » الذي على شاطيء البحر · لم تكن تسير معه ولم يكن طفلاه وحدهما يقفان بينهما بل كانت تقف أيضا لوحاتها التي لم تنته بعد · لم تقل نيفينا ذلك بل فكرت به· هي لا تريد أن تعيش دراما طلاقه ، وانما ستحافظ على قواها من أجل الفن ·

ــ أنت وحيدة ــ احتضنها ــ كيف ستعيشين وحدك ؟

جلسا على مقعد في فجوة جــدار التدعيم الأبيض الذي ينزل حتى المسبح · أضيئت المنارة وقد أظلم البحر ، انحنت السماء فوقهما · أمسك أحدهما يد الآخر كطفلين ، كي لا يضيعا في هذا العالم ، الذي تغلبت فيه القطارات على جاذبيــة الارض وجاذبية القلوب ، أما البواخر فتمخر بحارا غامضة دافئة · قد تمر حياتك في هذا العالم دون أن تواجه حبا كبيراً ، ولئن وجدته متأخرا جدا فلكي تفقده ··· الغيوم المثقلة بالماء وبالشحنات الكهربائية الغضبى تجر بطونها فوق دينغيراي ، حيث تقيل الجواميس · ارتعشت أشجار المانجو انذاراً بالعاصفة · والهواء يهشم قش سقوف الحظائر ·

الدكتور برايكوف جالس على الشرفة ، يحتسي شايا خفيفا · يتنفس بتثاقل · وجهه رطب · يسمع من النافذة المفتوحة على مصراعيها صوت رالوكا التي تتحدث الــــى القابلة :

ــ انقطع التيار الكهربائي فجأة ، حدث ذلك في بنايتنا وحدها · ولم يعمل البراد ولا مكيف الهواء طوال الليل · يا للهول ! لم يبق مكان لم يبحثوا فيه عن العطل · ولم يفطنوا حتى اليوم التالي الى المحول في الحوش · فماذا وجــدوا ؟ أفعى كبيرة نفقت وهي ملتفة على الاسلاك· تصوري ! حدث هذا في مركز كوناكري·

ارتشف الدكتور برايكوف جرعة أخرى من الشاي ونهض ليتمشى ·· جذور شجرة المطاط الهندي المكسوة بالبثور تنسحب فوق الافعى المشوية ·· والجــذور تشبه كرة من الافاعي · هو لا يحب هذه الشجرة الضخمة ذات الاوراق الصلبــة التي تبدو ناشزة هنا ، وليست كذلك في غرفة الانتظار في صوفيا حيث تنمـــو في صندوق ·

رأى ، عن بعد ، الهنغاريين الذين تجمعوا حول المسبركي لا يداهمهم المطر • ثقب ايرجي الارض الجافة هنا وهناك خلال العام الماضي ، ولكنه لم يصمد ، ذهب الى داكار • شرب معه قبل سفره آخر زجاجة من الكونياك الافرنسي • احتضنه وخاطبه بالالمانية :

ـ أنت الاله الابيض لهذا الشعب الاسود • فهل صنعت لهم الرقى حتى أحبوك كل هذا الحب ؟ لست آسفاً على شيء سوى الصيد ! الاقواس ، الرمي ، الظباء ـ لو أن لدي قطعة « غونفاس » بدلا من هذه البندقية • لا أحتمل أكثر مما احتملت ، فليتفضل من يشاء •

جاء هذا العام هيدرولوجيون جدد • انهم ثلاثة ـ وهنغاريون أيضا • فتيان يتكلمون الروسية بشكل رديء • زوج القابلة سعيد •

لقد وجد رفقة • هو تكنيكي كهرباء ، أما في دينغيراي فالكهرباء في الغيوم فقط • يساعد زوجته في دار التوليد ، أفضل جناح في البناء المريح الذي رتبوا فيه الصيدلية والمستشفى الجراحي • لم يكن قد خطا طبيب هنا منذ تكوين العالم • ورغم ذلك ، خرج الناس بثقة مدهشة من الغابات وقدموا اليه ليعرضوا عليهم جراحهم ، وليداوي أوجاعهم • كان يشتري الدواء بأمواله غالبا فليس ثمة هنا ما تنفق المال في سبيله سوى ذلك •

بقيت رالوكا وابنته في كوناكري • دراغو يدرس في صوفيا • قبلوه في كلية الطب فورا بعد نيله الثانوية وهكذا سهلت خدمته العسكرية •

ينتهي تعاقده بعد شهرين • رالوكا تحسب ما سيشترونه من باريس وميلانو • نجحت في تحويل الكثير من الليرات الغينية الى دولارات • لم تشتر من هنا سوى التماثيل المصنوعة من عظام الفيلة والابنوس • وجلدين ـ لتمساح وفهد • وبحثت عن بعض الاقنعة الجاهزة ولكنها خشيت أن تكون زائفة • لن يكتشف أحد من ضيوفها في صوفيا ، طبعا ، زيفها ، ولكنها تفضل دائما حلية للصدر من الخزف على الاشياء الثمينة الزائفة • أثرت أحاديث رالوكا على القابلة فأرسلت فتاها ليساعدها ، ليحمل لها الماء من النهر ويغسل الصحون • دخلت رالوكا المستشفى

مرة فتأذت · أسندها ثم حملها على ذراعيه الى غرفتهم · ورغبت في اليوم التالي بالقيام بزيارة معا فراح يمزح ورفض النهوض من الفراش · لقد لمس في نظرتها رقة وسؤالا ما ، وجلا ·

استيقظ هذا الصباح باكرا جدا وارتعش · رالوكا تنام قرب كتفه ، ، وقد رأى في الحلم امرأة أخرى · أغمض عينيه ليحتفظ بطيفها تحت أهدابه · صخور نيتوشا تصل الى صيوانه وهو جالس على صخرةكروية عليها طحالب ذهبية · جاءت اليه ، دنت كثيرا ، هي بلحمها ، وانه ليرتعش · أرسل لها عدة رسائل خلال السنة الاولى من قدومه الى هنا ثم انقطع عن المراسلة · وها هو يتذكر الامسية الاخيرة ·

الفجوة الحجرية وغرفة التكنيكي · بدا له أن نيفينا قد قررت مسبقا انهاء علاقتهما ، لهذا تقبلت الافتراق بيسر وسرعة · لم تقم بأية محاولة لايقافه ، وبدا ذلك وسيلة لضمان مستقبل طفليه وتربيتهما · أحس بالمرارة لانه تركها تتحدث عن هذا · حبه النقي يسوطه بسياط دقيقة · صمم على ألا يفكر بها · أبعده اهتمامه بتنظيم المستشفى والعمل المضني عن الذهول الحزين · كان متيقنا حتى هذه الليلة من أنه نسيها ·

ملأ سطوع البرق الاول الافق · الغيوم تود أن تنسكب كالوبر على الغابات وعلى قش سقوف الاكواخ التي يحافظون عليها في عاصمة غينيا القديمة ـ دينغراي ، حيث تقيل الجواميس · سترتشف الاشجار الرطوبة الزائدة قبل أن يحل الشتاء الجاف ، وسيرسم النسغ على الجذع خطا قاتما متعرجا لدائرة سنة أخرى · انهرم من كراهية واحدة ومن حب واحد ؟ هذا مضحك ، ليس ثمة انسان يحب الى هذا الحد ·

وسمع صوت الفتى يهتف :

ـ دكتور ، دكتور ·

لقد أرسلت رالوكا الفتى أجعد الشعر ليدعوه ·

الخريف في غابات البلوط

« الى زلانكا دوبوفا

توقفت ريلا أمام شجرة نيرية « من الفصيلة البلوطية » ، شجرة هرمة ملفوفة الجذع متشابكة الغصون • تجاويفها ملأى بالأوراق المتعفنة ، شجرة دون عصافير ، مثيرة وغامضة كتمثال تجريدي • رأتها ملء سمائها الصغيرة ••• استدارت نحو المصور ، ولكنه زرر غلاف الكاميرا الجلدي المهترىء •

ـ لديك عدسة ، لماذا توقفت ؟

ـ غدا صباحا لن تهرب الظلال الطويلة •

ـ الممثلون مرتدون ملابسهم يا فاسيل •••

صفر المصور صفرة قصيرة شريرة ، ريلا تفهم ماذا يعني هـذا الصفير • صمتت لان الفظاظة تهينها •

ـ سنتابع غدا صباحا ـ قالت مستديرة نحو الممثلين • دست كتاب الاخراج في حقيبتها المعلقة بكتفها بايماءة متعبة لقاطعة تذاكر في ترام • دار الناس ليعبروا الجسر أما هي فراحت تعبر الماء على أحجار كروية مرصوفة كطيور بط وسط النهر • في الناحية المواجهة جدول يمور بالزبد والالوان • ثمة بسط من الشعر والصوف تجفف تحت شمس الخريف الدانية • رفعتها النساء وهي مبللة وطوينها فوق الدعائم • حيينها ثم استدرن خلفها • أصغت الى كلماتهن دون خجل أو اشفاق :

ـ أرسلت أطفالها الى المدرسة في صوفيا وبقيت هنا لترأس السينمائيين •••

سارت ريلا على الدرب ، وصوت النهر البليل يلاحقها • كانت المياه الخريفية قد فاضت وانسكبت على الضفة المنخفضة غامرة آثار أظلاف الثيران

وعربات الحطابين · طفح النهر واعتكر فغمر الجسور وأعشاش الطيور والاشجار المرتمية من ضفة الى أخرى وقد انجدلت حولها زواحف النباتات المورقة مختلطة بالصلصال · تطايرت أمام ناظريهـا بذور ، دقيقة مسنونة كالرمـاح الصغيرة · التقطت ريلا عددا من هذه الصفراوات الملونة بالليلكي اللطيف ، التي لا اسـم لها · وضعتها في حقيبتها – فقد تروق لنيفينا · الغابة ذات الاوراق العريضـة تفرط بذورهـا بسخاء مفرط ، فالخريف فصل الحياة · نيفينا فنانـة مجموعـة التصوير تجوب الغابة أثناء الاستراحات طلبا لثمار البلوط وبذور الغابة التي تصنع عقودا منها بمهارة · وهي تبحث بين الالوان المتعددة عن لونها الاوحـد وتكون سعيدة حين تجده ·

جلست الجماعة تحت الطنف حول الطاولات العارية في مطعم تابع لمؤسسـة الغابـات · تسلل المصور الى المقهى ، ثـم رجـع مـع السائقين معربديـن وطلب العجائز « مئة درهم حلاوة » · يقع البريد في الناحية المواجهة قرب البلاطـة التـذكارية لشهداء الحـرب · ريلا تتجه في مثل هـذا الوقت اليه طلبا للصحف والرسائل التي تحملها السيارة الباص · ولقد تلكأت قبل أن تذهب الآن · انها لا تريد أن تلتقي بتلك المرأة التي تلقت منها برقيتها صباحا ·

انتظرت ريلا الى أن عدت المرأة غرزات نسيج دقيق · يكون جميلا في صباح بـارد كهـذا أن تقلب بيديك شيئاً طريـا ودافئاً · ابتسمت ريـلا حـين قدمت البرقية ، وقـد تكون ابتسامتها أزعجت المرأة أكثر مما أزعجها النص · « المشهد مقبول · اتبع النموذج · لا شيء خلف « الكادر » « اللقطات السينمائية » حتى الآن · أأعود ؟ أكتب · ريلا · »

– ريلا اسم جبل – قالت الموظفة في البريد ، وكانت تعابير وجهها جارحة · أجابت المخرجة :

– كلا ، بل هـذا اسمي · كان أبي معلمـا لمادة الجغرافيـا · سمّى أخي بريسلاف وسماني ريلا ·

وكان يجب تقديم ايضاح مناسب لخيال معلم الجغرافيا كذلك لزوجها قبل

ثلاثة عشر عاما • وكأن ريلا ترى الملازم الاول يحمل في يده برقيتها : « لا غيوم في صوفيا • ريلا » •

قال عابسا :

ـ هذه شيفرة •

ـ كلا ، هذه زوجتي ـ أجابه المخرج الشاب المعبأ منذ الامس في المطار •

ومع ذلك أرسلت البرقية الى وزارة الدفاع • وكان الامر بسيطا على الشكل التالي : استلقيا متعانقين وارتعشا حبا • كان الغروب يسيل في النافذة غيوما متوهجة لا مثيل لها • « سأكون حزينا ، أكثر ما أكون ، من أجلك ومن أجل هذه الغيوم » ـ خاطبها زوجها الذي كان عليه أن يصبح جنديا في الصباح • وأخبرته ريلا في اليوم الثاني ببرقية ، أن ليس ثمة غيوم في صوفيا •

ـ تعالي ياريلا ، أقدم لك شيئا ـ امسك كتفها أحدهم بمودة •

استدارت وأزاحت اليد عن كتفها •

ـ سأقدم لك كأسا من النعنع ، لقد تلاشت المتع الاخرى •

ـ في مرة أخرى يا فاسيل • لا أرغب في أن أشرب أي شيء •

ـ لم أكلمك أمام الناس حتى لا يترددوا ، فليس ثمة لزوم لاعادة التصوير • « البروفة » الاولى كانت جيدة •

ـ أنت غير واثق من ذلك •

ـ اسمعي ، كرهت ذلك ••• صرنا متوحشين لبقائنا طوال الصيف في الغابة • الكمال سراب ، ولكن فيغروارب • أريد أن أذهب الى « بامبوكا » وأرى أصدقائي •

ـ ابني محموم ، وليليا في الصف الاول وهي تذهب الى المدرسة بدوني • لا أعرف من يربط لها شريطتها صباحا ، ولم أر بعد معلمتها • وحين سيشاهد الناس الفيلم لن يسألني أحد عن هذا •

ـ سامحيني ، أنا ببساطة هكذا • ليلتك سعيدة ـ قال المصور رغم أن الظلام لم يخيم بعد •

يؤدي الى بيت مؤجرتها بينا بونار خيساريلكا شارع شديد الانحدار فوقه حجارة تبدو وكأنها في حوض نهري جاف · الحوش الذي يزدحم صيفا بالخضرة ذاو الآن فما فيه سوى رائحة البيلسان البري الحادة ، والبرسيم والمربى المعرض للشمس · أصفرت أكوام القرع المنتفخة وأكواز الذرة المقشورة · تأتي ريلا أحيانا الى السهرة وتصغي الى الأحداث التي تقصها المرأة الهرمة بحيوية مؤثرة وبعذوبة لفظ بلقانية · قتل أحد المغاربة عند توترا كان وبقي فتيا كالأغنية ، ولا تزال الشرائط البيضاء مشدودة على كاسية ساقه السوداء ، أما خطيبته يانكا فبرن دلواها النحاسيان عند العين · سقطت زجاجة العرق « الراكيا » التي أرسلتها له الى الجبهة مع أحد المأذونين ولم تنكسر · وكان الدن طافحا بالمياه الباردة الحليبية ليذهب اليهم طافحا ومنعشا · ابتسمت ريلا من أعماقها لهذه التعابير المبهمة · كانوا بسطاء متهللين كالخبازى الافرنجية قرب العين ، وكالقرانيا المنثورة لتجف فوق حجارة رملية ملساء · كل الاشياء في هذا البيت بسيطة وسليمة، أشكالها ناعمة مركزة · استشعرت ريلا باحساسها المهني للعالم المادي ، السكينة بين الأشياء والناس بقدر ما تقلقها غرابة بيتها المديني · ثمة ما بين البراد والتلفزيون شيء معطل وستبحث طويلا لتجد من يصلحه ·

تعيش معلمة عجوز ، مستأجرة ، في بيت بينا بونار خيساريلكا الفسيح قالت مرة لريلا :

ـ أعرف مكان كل حصاة في الحوش ، وكل حصاة عزيزة عليّ · ليس البيت بيت أبي ولكن حياتي انقضت هنا ·

كان قد علّم انطون ستراشميروف ، في القراية ، في زمن ما ، « معلمنا أندون » يتذكره القرويون العجائز ، ولا تزال المعلمة تتضايق من الوحل الصمغي الذي غازل ستراشميروف · سيجسد الفيلم يانكا والمغربي والمعلم ، وكما لو أنهم انعكسوا على صفحة الماء ، وكجذور تهمس للأوراق · « لماذا سيتذكرونني ؟ ـ فكرت ريلا ـ نساء القرية يسألنني عن سبب تركي طفليّ وحيدين · ولو قلت لهن أني أحب عملي كطفلي فسينظرن اليّ وكأنني خالة « زوجة أب » وأنا أخاف من اعلان ذلك لنفسي · قال لي المصور صراحة : « كل هذا العمل من أجل هذه

النقود · » أرى في الحلم مشاهد من الفيلم وفي النهار لا أرى شيئا على الشريط · لا شيء حتى الآن ، لا ايقاع للحياة · هذا تعبيرك ياعزيزي ، ألن تفهم ان هـذا يثقلني ، وانني أتألم بسببكم ؟ وحدنا نعلم أية ألحان ستنبعث من الآلات المدوزنة في دقيقة ما قبل الكونسرت ووحدنا نستطيع أن نحيا احتفال مدير الفرقة » ·

صاحت المعلمة من السرادق :

ــ لم تقفين وسط الحوش يا ريلا ؟ انزلي الحقيبة ، على الاقل ، فانهـا تثقلـك ·

ــ شغلت بشيء ··· حـين كانت أمي تذهب الى دراغا ليفتسي ، كـانت تعشب أزهارها والجراب على ظهرها ·

وتدعوها الجدة بينا :

ــ اتركي طاس الطحين هذا ··· تعالي كلي ·

غابات البلوط المشتعلة بلهب عسلي ضارب الى الحمرة قـد ملأت النافـذة الضيقة · النهر يرجّع خريره بعذوبة في مجراه ما بين التلال · تناولت ريلا كتابا مليئا بملاحظات زوجها · كانت قد وضعت خطوط تأكيد في نفس الاماكن ·

··· الخريف في صوفيا وقتهمـا المحبب · يعودان معـاً من الاستوديو ، يتحدثان عن الاصدقاء والاعداء · أوه ، هذا ليس حديثا ، انه معرض لوحـات رائع · ذهنه الحاد الصافي يقابل بالمعارضة الناعمة للارشادات السرية التي تداوي بهـا جـراح اعتداده · ولكنهمـا لا يسيران وحيدين الا فيما نـدر عبر الشوارع الخريفية ، كما أنهما لا يظلان وحيديـن في البيت الا نادرا · أصـوات فتية ــ متحمسة ومشككة ، احتفائية أو مختنقة تمـلأ بيتهما تماما · القهـوة تهسهس في « الاكسبريس » البولوني ويختم البخار الدقيق العطر سيل احتدام المتخصصـين حول الاخبار الثقافية والافكار · ولكن ، ان لم يبتدعا شيئا ان لم يكن غنى عالمهما مكتسبا من تطوافهما الطويل بحثا عن الكنوز ومـن النفي الطوعي فسوف يتحول الالق الى رماد من الكلام الفارغ · تقع عيناها على عينيـه في الاستديو فتلمس ،

أحيانا ، وهنا أو ذهولا فيهما فتعلم ، انه يفكر بالطفلين أو يتمعن في بعض الصور القاتمـــــة ٠

صدم الهواء اطار النافذة المتآكل ٠ تركت ريلا الصفحة دون أن تتم قراءتها وجلست على الكرسي الصغير قرب الزجاج القاتم ٠ لفّها الصمت والغبش وكأنهما أرجوحة من شبك ولكنهما لم يهدئاها ٠ « تركت جميع الهموم عليه ٠ سيضايقه هذا الفراق ، ويوحش كلينا ، وقد يكون الفيلم كذلك في النهاية ٠ جمعت كومة من بعض حاجياتها بتمهل ودقة ٠

انطبق باب الحوش وسمعت أصوات ٠ وصوصت الجدة بينا بونارخيسارليكا والمعلمة الى غرفتهـا وقالتا بصوت واحـد يحمل قلـق الناس العاديين مـن برقية تصل متأخرة :

ــ لك برقية ٠

زمت الموظفة في البريد شفتيها بتأنق وفهمت ريلا أنها تعرف محتواها عـلى الورقة كلمتان : « أحب ٠ ابقي ٠ »

المدينة الجميلة

تسلل دفق من الماء عبر النافذة ، وطنّ الزجاج في الاطار الدقيق المتآكل ٠ استيقظ رايتشو من نومه الصباحي الهنيء ونظر الى الأعـلى وكأنه ينظر من قعـر بئر ٠ ثمـة غسيل منشور عـلى الشرفـات والسمكات المنظومـة في سـلك لتجف تسبح في الهـواء الازرق ، أما المدرس في مدرسـة « التكنيكوم » المسائية فيسقي حديقته بالخرطوم ٠ رايتشو لا يعرف اسمه الحقيقي ٠ قال ستامبو :

ــ هذا المعلم توبالكو ٠

وهكذا صار

قرقع أولا « محرك » المحاسب رايكو قبل أن يستيقظ تماما ومن ثـم راحت مؤجرة ستامبو تنفض البسط ،٠كانت تضرب بشدة وكأنها تريد أن تنفض همومها

ومزاجها السيء • وماذا تراها تنفض ، في حين لا يدخل أحد الى الغرف التي تظل نوافذها المغلقة مغطاة بالورق دائما • بعد النفض سحبت خرطوم الماء الأسود اللامع الى الشرفة بعد أن مرت بالفرشاة برفق على خفيها المصنوعين من الصوف• يعيش في المطبخ ستامبو وفتى آخر من معمل الكابلات الكهربائية • انتقى المعلم توبالكو مستأجري شقته من بين تلامذته ، فهذا الذي هو مطبخ في النهار يفرغ مساء ويصير للنوم • ويعيش في القبو اثنان من طلاب معهد المعلمين وأما في غرفة السقف فثلاثة من تلامذة الاعدادية •

تفضلن الى فندقنا الايطالي « ريفا فيوريتا » ـ خاطب ستامبو الفتيات اللواتي دعاهن بعد الحصة الاخيرة لتناول كأس من الكونياك في « مالينا » •

ضحكت الصبايا وفرحن • كان رايتشو مع الجماعة فابتسم لان ريفا فيوريتا » هو اسم للسفينة الايطالية التي أفرغوا حمولتها نهارا • كان عبير البرتقال يتسرب عبر الصناديق الخشبية ويحمل الاحساس بقرب الارض البعيدة الدافئة • بضائع مورمانسك تعبق برائحة برد سيبيريا البهيج ، وبضائع هامبورغ بنقاء ونكهة قهوة الصباح ، أما بضائع الشرق الاوسط فتسكب فوق الميناء مزيجا من الروائح الدافئة الغامضة •

البيت الصغير الذي يشبه العش المتجمع وسط الحوش تفوح منه رائحة القدم ، رائحة ثوب خلق • صاحبته ، العمة بويانكا ، تغسل وتغلي ولكن رائحة الشراشف القديمة والثياب القديمة تفوح من كل ركن ، حتى من شعر المرأة ، الذي وخطه الشيب •

أحست العمة بويانكا أنه مستيقظ فشرعت تخبط بالمنفضة ، مثنى وثلاث ورباع• توقفت قليلا وقلبت البساط فوقالحاجز القماشي الذي انشق تحتأصابعها الصلبة • أصبح الضغط على المطبخ ـ حيث ثمة مقعد صغير وسل كبير فيه مواسير ، أما الغرفة فمؤجرة الى أن يعود ابنها من الجندية • كانت العمة بويانا قد دقت قفة من القطع القطنية الملفوفة ومن قشور أكواز الذرة وتركتها في غرفته طوال الليل لتمتص كل صباغ الانيلين •

ـ وصوصت مؤجرته من الباب فجأة :

ـ أمستيقظ أنت يارايتشو ؟ لقد عاد هذا المبتز ليمنعك من النوم !

ـ سأشد يوما خرطوم الماء منه وأجعله يطير معه ·

ـ لا يضايقني سواه من أهالي التعاونية · يقول ان مخطط البناية يمر تماما وسط سقفك ، أي الى قطع القرميد المارسيلية · ويقول لي : لئن كانـوا أبقوك حتى البلى ، فانا لن أنتظرك طوال الحياة · انظري الى الجيران الذيـن يتصرفون بحوش كامل أية بساتين أقاموا للبندورة والبصل وسوروها بحجارة مطلية بالكلس ووضعوا قطـع القرميد بين المساكب » عسى أن تسد حزمتان مـن البصل بلعـومـه !

أصغى رايتشو اليها باشفاق ، فأفضت اليه العمة بويانا بهمومها التي تجعلها تخبط طوال النهار بالمنفضة ·

ـ أنا امرأة تخبط وحيدة في الظلام ، وهو يرش لي الزجاج ! حين يعود « فارين » سأذهب الى القرية ، المدينة لا تناسبني ·

ـ لماذا يا مؤجرتي ، المدينة جميلة جدا ·

ـ المدينة كالعالم ، ولكن لأولئك الذين يعيشون في شقق ·

استدار رايتشو نحـو الجـدار ، رفعت العمة بويانا القفـة وأغلقت الباب بهـدوء · والمدينة كالعالـم بالنسبة له هـو الذي لا يملك سوى بذلة جديـدة وحلم ··· أغمض عينيه ليراها ، مرة أخرى ، تسير حول مستودعات الميناء عـلى مهل دون أن تهتدي الى الطريق · خط السكة الحديد المشرش في الممر الكبير ينجدل حول خطاها الرفيقة · المرأة تنظر نحو البحر ويدفع النسيم شعرها الثقيل الاشقر ليتجمع على كتفيها ، عرفها رايتشو مذ رأى ظهرها ، مر قربها مباشرة ، حتى كادت العربة الكهربائية تعلق بفستانها الرقيق · لم تهتف به ولم تلوح بيدها · اجتازت خطوط السكة الحديد وانحدرت نحو الميناء · يكشف فستانها عن كتفيها المكسوين بنور الشمس

وقفت جماعات من نساء بحارة « رودينــا » أمام مركز المــراقبة • رصيف الميناء محاط بأكوام من الحديد • تجمهر عمال مغبرون بنترات الجير والجبس عند جدار الميناء كتماثيل غير مكتملة • تنقر الرافعات بمناقيرها الطويلة عنبر سفينة سويدية وتؤرجح حمولتها فوق رؤوس النساء دون أن يتراجعن • ثمة جهاز للهاتف في مركز المراقبة ، والهــاتف يعلمهن بعد كم دقيقــة ستصل السفينــة • الشمس تغوص في الامواج كبرتقالة ضخمة ومن الزرقة البعيدة تنسم رعشة الانتظار •

اومأت نساء البحارة للشقراء حين اقتربت وتحركن ليفسحن لها مكاناً . انها زوجة القبطان . وقفت قربهن دون ان تكلم احداً ولو كلمــة حتى انهــا لم تسأل مركز المراقبة عن الدقائق المتبقية .رفع النسيم شعرها الشمسي كنوفرة، سوتــه بحركــة عصبية واستدارت نحو البحر • كان وجههــا دقيقاً ، مستطيلا ، قلقاً . نظرت الليلة البارحة ايضا الى البحر . لم يكن ذلك اثناء الليل تماماً وانما مع الفجر الرمادي الساكن . كان الضوء ينزلق من الشفق المبيض على الامواج. افاقت المسابح المقرورة على وقع الخطوات الغامضة . كان رايتشو عائــداً من الوردية الثالثة . هو في الصيف لا يذهب الى البيت صباحاً بل ينام بين اعمــدة المسبح الى ان ينفض المعلم توبالكو بسطه جيداً .

لفحته الشمس وأيقظــه صخب السنونوات • امــرأة القبطــان الشقراء تجلس على الرمل البارد متكئة على صدر رجل رشيق . صفر رايتشو آنــذاك فغطت وجهها بيديها . التفت الرجل ونظر اليه ، ثم اعطاها يده واختفيــا في الممر الظليل .

نادى رايتشو ستامو الذي كان يطلي الصوامع بفوسفات الجير واشار لــه باتجاه الشقراء . ستامو اخصائي في هــذا الميدان وهــو يرى ان السفن تمخر البحر وتمخر الشوارع النساء .

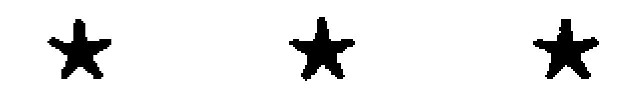
ــ هل اعجبتك ؟

ــ يالها من قطة . قبطان برغاس وحده لديه امرأة جميلة . وهي تعزف على البيانو في قمرته .

سبحت اضواء « رودينا » فوق البحر المنطفيء وتحركت النساء امام مركز المراقبة . تقدمن كجفاف القيظ . زوجة القبطان وحدها لم تتحرك . السفينة تقترب متأرجحة . نظرت اليها وكأنها لم ترها ثم استدارت وانصرفت، متمهلة ، كما اتت . رأى رايتشو المراة تذهب وفهم تصرفها . يقيم في اعماقه سر غريب وحب عجيب . شيء كبير مرّ قربه ورماه باشارته السرية .

انطلق عبر شوارع المدينة ، عبر شوارع المدينة الجميلة . بحث عنها بين آلاف المجهولين . فتش عنها طوال ايام عديدة ، ثم رآها فجأة ــ تسير متأبطة ذراع ذلك الرجل الرشيق ولم تغط وجهها بيديها ، بل رفعته عالياً مثل زهرة. عبرا . امتلأت الساحة الصغيرة بالأسى والوحشة وبصرخات زمج الماء .

اوى رايتشو الى البيت ، تمدد على السرير ونظر الى الاعلى وكأنه ينظر من قعر بئر ، سبحت السمكات الفضية النافقة في محيط آخر .



جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٧٥

تويج الشاعر الايطالي

ايوجينيو مونتالي EUGENIO MONTALE

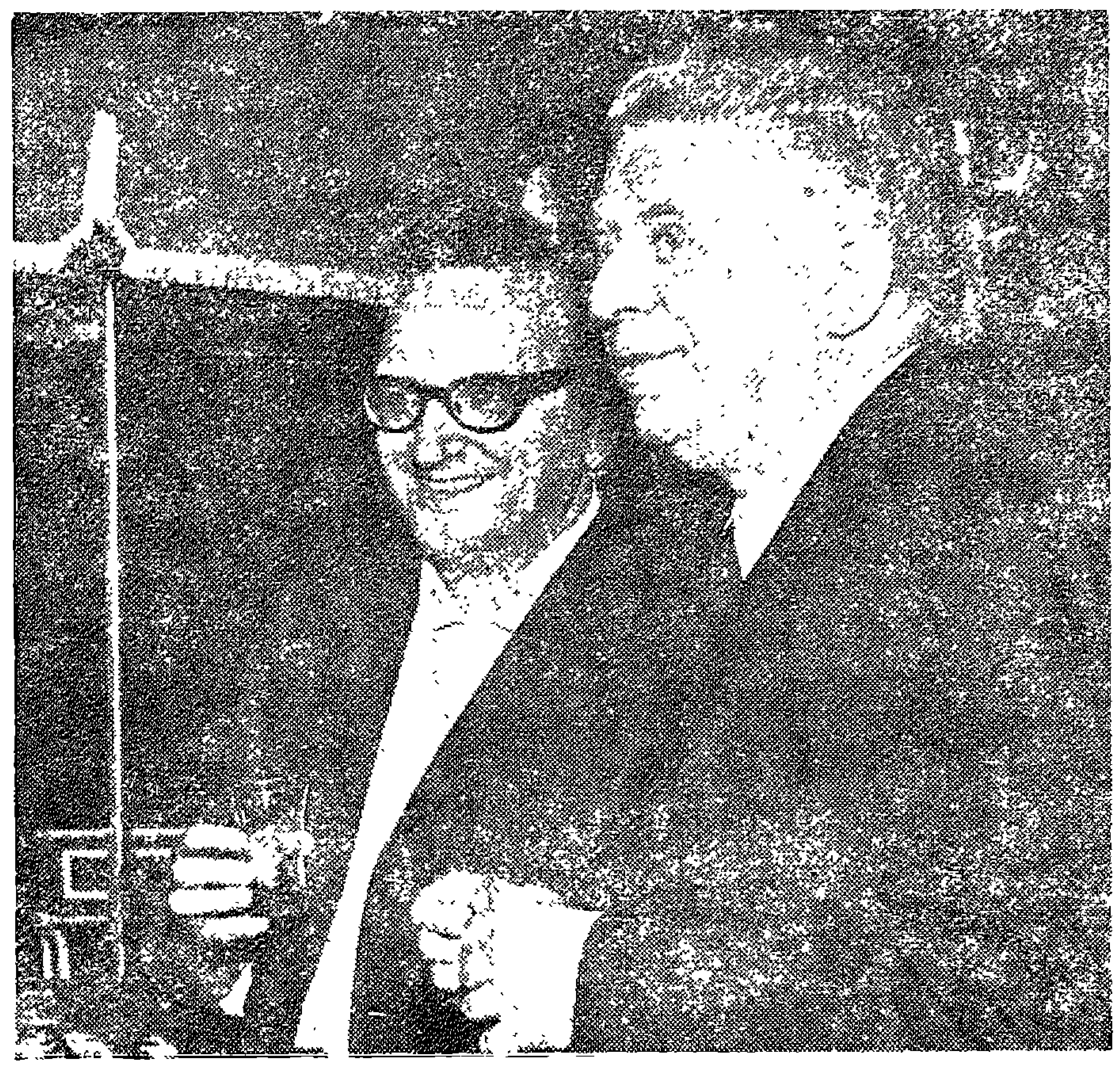
عيسى الناعوري

قبل أن أقدم الى القارىء العربي الشاعر الايطالي الكبير أيوجينيو مونتالي ، الفائز أخيرا بجائزة نوبل للآداب ، أود أن يكون شعره هو الذي يقدمه • ولذلك عدت الى مجموعاته الشعرية الخمس ـ وتضم كل شعره المنشور في كتب حتى عام ١٩٧٢ ـ ونقلت الى اللغة العربية عدة قصائد من كل منها ، لتصور مختلف المراحل التي مرّ بها الشاعر في حياته الشعرية ، ومختلف الأفكار التي استوحى منها شعره ؛ وتصور كذلك اللون الشعري المبهم ـ الرمزي ـ الذي يكتب به ؛ وهو لون شديد الغموض ـ في المراحل الأولى على الأخص ـ والأفكار فيه غالبا ما يكون مبعثها الكآبة ، والحزن ، بل القنوط أحيانا ، حتى لقد دعي مونتالي في فترة من حياته الشعرية بشاعر القنوط •

مجموعات الشاعر مونتالي الشعرية الخمس هي :

١ ـ عظام سمك السبيدج ـ (OSSI DI SEPPIS)
٢ ـ المناسبات ـ (LE OCCASIONI)
٣ ـ العاصفة ـ (LA BUFERA)
٤ ـ خليط ـ (SATURA)
٥ ـ يوميات عام ٧١ وعام ٧٢ ـ (DIARIO DEL '71 E DEL' 72)

وقد صدرت المجموعة الأولى عام ١٩٥٢ ، وأغلب قصائدها مستوحاة من



■ الشاعر مونتالي الى اليمين ، وبجانبه الروائي الشهير فاسكو براتوليني ■

فواجع الحرب العالمية الأولى ، التي اشترك فيها الشاعر ضابطا في الجيش الايطالي· وصدرت المجموعة الثانية عام ١٩٣٢ ، والثالثة عام ١٩٥٦ ، والرابعة عام ١٩٦٣ ، والأخيرة عام ١٩٧٣ ·

ولكي تكون الصورة واضحة وشاملة الى أبعد حد ممكن ، رأيت أن يكون عدد القصائد المترجمة كبيرا ومتنوعا ، وشاملا لجميع هذه المجموعات الخمس ·

١ ـ من مجموعة (عظام سمك السبيدج

١ ـ استهلال ـ ((Il Limine)

استمتع اذا كان الهواء الذي يدخل الى البستان
يعيد اليه موجة الحياة :
هنا حيث يغرق ميت
ممتزج بالذكريات ·
لم يكن بستانا، بل مستودع ذخائر(١)·
والرفيف الذي تسمع ليس طيرانا
بل هو التحرك الأبدي في الصدر ·
أترى كيف يتحول هذا الذيل المنفرد
من الأرض الى وعاء ·

· · ·

ان في هذه الجهة من الجدار المرتفع لغضبا ،
فان انت تقدمت ، فلربما التقيت
بالشبح الذي ينقذك :
هنا تتآلف الحكايات ، والأعمال
غير المحجوزة ، للعبة المستقبل ·

· · ·

إبحث عن حلقة مقطوعة في السلسلة
التي تشدنا ، واقفز الى الخارج ، اهرب !
إذهب ، لقد دعوت لك ـ والآن سيصير الظمأ
أهون علي ، والصدأ أقل مزازة ···

(١) الذخائر هي البقايا المحفوظة للتذكار ·

٢ ـ الليمون (I Limoni)

اصغ الي ، فالشعراء المجدون
يتحركون فقط بين النباتات
ذوات الأسماء القليلة الاستعمال :
كالبقس ، والحنّاء ، والنباتات الشائكة
اما أنا فأحب الدروب التي تفضي الى
الحفر المعشبة ، حيث المستنقعات
نصف الجافة ، يتصيد فيها الأولاد
بعض أسماك الحنكليس الهزيلة ،
والمسالك الضيقة التي تحاذي حوافي الحفر
تنحدر بين جمم القصب الكثيفة
وتصل الى الحدائق ، بين أشجار الليمون

· · ·

من الخير أن تنطفيء حروب العصافير
وتبتلعها الزرقة الرحيبة :
ويسمع بوضوح أشد همس
الأغصان الأصدقاء في الهواء الذي
يكاد لا يتحرك ،
وتحس أنفاس هذا العطر
الذي لا يعرف كيف ينفصل عن الأرض
وتمطر في الصدر حلاوة غير هادئة ·
هنا ، بسبب رغائب لذيذة ، تصمت
الحرب بمعجزة ·

وهنا ننال نحن المساكين أيضا نصيبنا من الغنى ·
وهذا من عطر الليمون ·

ـ ٢ ـ

أنظر ، في هذا الصمت الذي تتراخى فيه الأشياء
وتبدو على وشك
أن تفضح سرها الأخير ،
وأحيانا نتوقع أن نكتشف خطأ في الطبيعة ،
النقطة الميتة من العالم ، والحلقة التي لا تُمسك ،
والخيط الذي علينا أن نتبعه ، والذي سيضعنا أخيرا
في قلب بعض الحقائق ·
ان النظر يتلمس مَن حوله ،
والعقل يبحث ، ويجمع ويفرّق
في العطر الذي ينداح
كلما ازداد النهار اضمحلالا ·
انه الصمت الذي يُشاهد فيه
في كل ظل انساني يبتعد ،
شيء من الألوهية المضطربة ·

· · ·

غير ان الوهم يعوزنا ، ويعيدنا الزمن
الى المدن الصاخبة ، حيث تبدو الزرقة
متقطعة فقط ، في الأعالي ، بين الأبراج ·
ان المطر يُتعبُ الأرض بعدئذ ، وتتراكم
سآمة الشتاء على البيوت ،
ويبخل الضوء ـ وتزدادمرارة النفس·
وفي ذات يوم ، من باب كبير نصف مغلق ،
تبدو لنا من بين الأشجار ، في ساحة ما
صفرة الليمون ،
فينقشع الجليد عن القلب
وتنطلق في الصدر
أغاني الليمون
وأبواق الشمس الذهبية ·

٣ ـ عظام سمك السبيدج ـ
(Ossi di Seppia)

ـ ١ ـ

لا تطالبنا بالكلمة التي تطوّق من كل جانب
نفسَنا التي لا شكل لها ، وبحروف من نار
تنيرها ، وتلمع كالزعفران
الضائع في وسط مرج كثير الغبار ·

· · ·

يا للانسان الذي يمضي واثقا
من انه صديق للآخرين ولنفسه ،
ولا يبالي ظله بغير الشعرى اليمانية
المطبوعة فوق جدار غير مجصص ·

· · ·

لا تطلب منا الصيغة التي تستطيع أن تفتح لك العوالم ،
ربما كان لدينا مقطع أعوج وجاف كالغصن ٠
هذا وحده ما نستطيع أن نقوله لك اليوم ،
وهو ما لسنا اياه ، وما لسنا نريده ٠

ـ ٢ ـ

أقف عند الأصيل شاحبا مستغرقا
عند جدار حديقة محمرة من وقدة الشمس
وأصغي من بين العُليّق والأغصان
الى زقزقة الحساسين ، وحسيس الأفاعي ٠

٠ ٠ ٠

في شقوق الأرض أو على البرسيم
أتأمل أسراب النمال الحمر
التي تتفرق حينا ، وحينا تتلاحم
حول أكوام من حبات الحنطة الصغيرة ٠

٠ ٠ ٠

وأراقب بين الغصون هديرا
بعيدا من تلاطم أمواج البحر
في حين ترتفع أصوات راعشة
من الجداجد في القمم الجرداء ٠

٠ ٠ ٠

وأمضي في ضوء الشمس الذي يبهر النظر
شاعرا ، في دهشة حزينة ،
كيف تمضي الحياة كلها ، وما فيها من كدر ،
تلاحق هذا الجدار
الذي تملأ أعلاه قطع الزجاج الحادة ٠

ـ ٣ ـ

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا ٠
ففي دورانك المضطرب يتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفسنتين ٠

٠ ٠ ٠

والقلب الذي يرى الحقارة في كل حركة
يقفز مهتزا ٠
كذلك تئز أحيانا في
صمت الغابة طلقة بندقية ٠

٠ ٠ ٠

ـ ٤ ـ

كثيرا ما قاسيت من تعبي من الحياة :
لقد كانت كالجدول الحبيس ، الذي يبقبق ،
وكسقوط الورقة
المحترقة ، وكالحصان المنطرح لشدة الحر ٠
لم أعرف الخير ، في ما عدا المعجزة

التي تمنحها نعمة اللا مبالاة :
كانت كالتمثال الغارق في
نوم الأصيل ، والغيمة ، والباشق
الطائر في الأعالي ·

★ ★ ★

ـ ٥ ـ

أيتها السعادة ، من أجل بلوغك يسير
المرء اليك
على حد الشفار ·
أنت للعيون بصيص يترجرج ،
وللقدم جليد ممتد يتشقق ،
ولذلك لا يهمك من هو أكثر حبا لك ·
فاذا ما وصلت ، ونفيت عن النفوس ما
ينهشها من حزن ، فان صباحك
سيكون حلوا ومزعجا كأعشاش القمم
العالية ·
ولكن ليس من شيء يغني الطفل عن
البكاء
عندما يهرب منه « بالونه » بين
البيوت ·

★ ★ ★

٤ ـ البحر المتوسط ـ
(Mediterraneo)

أيها البحر القديم ، لقد ثملت
بالصوت
الذي يخرج من أفواه أمواجك حينما
تنفتح وتتأرجح
كأجراس خضر ، ثم تنداح
الى الخلف وتنحل ·
منزل صيفيّاتي البعيدة
كان على مقربة منك ، كما تعلم ·
هناك في البلدة التي فيها الشمس
محرقة ،
وغيوم البعوض تملأ الفضاء ·
انني أقف اليوم في حضرتك متحجرا،
كما كنت أفعل حينذاك
أيها البحر ، ولكن لا أظنني ما أزال
أهلا
لهذا الاشعار الحافل
من أنفاسك · لقد كنتَ أنت أول من
قال لي
ان خفقات قلبي الضئيلة
لم تكن سوى لحظة عابرة
أمام خفقات قلبك · وعلمتني أن
أكتشف في أعماقي
ناموسك المغامر : فأكون رحيبا ،
منوع التجارب
وثابتا على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أتطهر من كل دنس
كما تفعل أنت اذ تقذف على
الشواطىء
الأقذار ونجوم البحر

وغـيرها من الأشياء الباليـة التي في أعماقك ·

★ ★ ★

٢ ـ من مجموعة (المناسبات ـ (LE OCCASIONI

١ ـ الشرفة ـ (Il Balcone)

كان يبدو لعبة سهلة
أن أحول الى العدم الفضاء
الذي كان قد انفتح لي ، والى السآمة
المشكوك فيها أحول نارك المؤكدة

★ ★ ★

والآن ، الى ذلك الفراغ أضفتُ
كل ما لديّ من أسباب متأخرة ،
وعلى العدم القاسي يبرز
قلقي الحي في انتظارك ·

. . .

ان الحياة التي تمنح بصيصا من نور
هي تلك التي تلمحينها أنت وحدك ·
اليها تتطلعين من هذه النافذة ·
غير المضاءة ·

★ ★ ★

٢ ـ كلمـــات ـ (Mottetti)

ـ ١ ـ

انك لتعلمين أن علي أن أفقدك ولا أستطيع
كرصاصة محكمة الاطلاق يَهيجُني
كل عمل ، وكل صراخ ، وكـــذلك التنفس
المالح المتدفق
من أرصفة الميناء ، ويجعل الربيع قاتما
في (صوتوريبا (Sottoripa

. . .

مدينة حديد وأشجار
كالغابات ، في غبار المساء ·
ويأتي صريــــر طويل من الفضـــاء المفتوح ،
كصوت ظفر على الزجاج · فأبحث عن العلامة
الضائعة ، العهد الذي تفضلتِ عليّ به وحده
والجحيم بعدئذ مؤكدة ·

★ ★ ★

ـ ٢ ـ

أعوام كثيرة ، وواحد منها هو أقساها، على البحيرة
الغريبة التي تشتعل عليها الأمسيات·
ثم هبطتِ من الجبال لتعيدي اليّ
عَلَمَ القديس جورج والتنّين ·

. . .

وددت لو استطعت أن أطبعها ·

علـى العَلـمَ الذي يخفق في الريـح الشمالية ،
وفي قلبي ... ومن أجلك أنزل في
دوامة من الوفاء الأبدي .

★ ★ ★

ـ ٣ ـ

استمرار العصافير السوداء والبيضـاء
في الصعود والهبوط
من عمود التلغراف
الى البحر
لا يخفِّف منكآباتك على رصيف الميناء
ولا يردُّك الىحيث لم تعودي توجدين.

. . .

لقد أخذ يفوح عطر البيلسان المزروع
في المنخفض ، والمطر المدرار أخـذ
يخف .
واذا كان الصحو استراحة
فان تهديدك العزيز يستنفدها .

★ ★ ★

ـ ٤ ـ

في أول الضوء ، حين يخاطبني
ضجيج
سكة الحديد المفاجىء
من أناس في الداخل مسرعين
في نفق من الحجر
يدخله الضوء متقطعا
وممتزجا بماء المطر

. . .

وفي أول العتمة ، حين
يروح الازميل يزيد من قوته
في انتهام طاولة الكتابة
وخطى
الحارس تقترب :
في الضوء وفي العتمة ، ما تزال هنالك
استراحات انسانية
ان كنت تصرين على أن تحبكيها معـا
بخيطك .

★ ★ ★

٣ ـ من مجموعة (العاصفة ـ (LA BUFERA

١ ـ العاصفة ـ ((La Bufera

العاصفـة التي تنهمـر عـلى أوراق
المانوليا القاسية
ورعود آذار الطويلة
والبَرَدُ
(رنين البلور في عشك
الليلي ، يفاجئك : من الذهب
المطفأ على الخشب ، على
الكتب المجلدة والمختلفة الأحجام ، وما
تزال تحترق
حبة سكر في
غلاف أهدابك)

البرق الذي يحلّي الأشجار
والجدران ، ويفاجئها في
تلك اللحظة الأبدية ـ الرخام والمن
والدمار ـ المحفورة في داخلك
والتي تحملينها دينونة لك ، وتشدك
الى أكثر مما يشدك الحب ، أيتهـا
الأخت الغريبة ـ
ثـم التمـزق القـاسي ، والآلات
الموسيقية ، وارتعاش
الدفوف فوق الحفرة المظلمة ،
ودوس الأوراق في رقصة الفاندانغو ،
ومن فوق
حركة ايماء ...
مثلما فعلتِ
حينمـا التفتِ ، وقـد انزاحت عـن
جبينك غمامة الشعر ،

و بيديك
حيّيتني ، لكي تدخلي في الظلام .

★ ★ ★

٢ ـ سيرينادا هندية ـ
(Serenata indiana)

لنا انقشاع الأمسيات
ولنا الشريط الضوئي الذي يصعد
من البحرالى الساحة ويجرح الصبّار .

في وسعك أن تقوديني بيدك،اذا كنت
تتظاهرين بالاعتقاد بأنك معي ، وان
أكُنْ أنا من الحماقة
بحيث أتبعك بعيداً .وما تشدّينعليه،
وما تقولينه، يبدو أنهفي مقدورك ..

. . .

ليتها كانت حياتك تلك التي تبقيني
على العتبـات . وليت في وسـعي أن
أعيرك وجها ،
وأنأعطيك شكلا خادعا .ولكنليسهذا.
ليس الأمر كذلك . ان السمك الذي
يمـد
حبـلاً من الحبر ما بين صخور البحر،
يمكنه أن يستخدمك . انك تنتمين اليه
دون أن تعرفي ذلك . انك هو، وتظنين
أنك أنت .

★ ★ ★

٣ ـ تاركا السؤال « أين ؟ » ـ
(Lasciando un “Dove ?”)

حمامة بيضاء هبطت علي
بين أعمدة ، أسفلها حاد ، وعليهـا
تعشش السماء .
أصباح وأنوار ، معلقة . لقد أحببت
الشمس ،
ولـون العسـل . والآن أريـد لـون
الرماد ،
وأريد النار المقيمة ، هذا القبر

الذي لا يطير ، ونظرتك التي تتحداه·
(أدنبره)

★ ★ ★

٤ ـ سوريا ـ (SIRIA)

كان القدماء يقولون ان الشعر
سُلّم الى الله · ربما لم يكن كذلك
اذا أنت قرأت شعري · ولكنني عرفت ذلك اليوم
حين عدت فوجدت صوتي لأجلك
منطلقا مع قطيع من الغيوم والأغنام
متفرّقٍ في منحدر ، يقضم
أوراق العليق والأعشاب المائية ،
وقد ذاب وجها القمر والشمس
المعروقان ·
لقد تعطل محرك السيارة ؛ وقطعة من الدم
على حجر أسود كانت تشير
الى طريق حلب ·

★ ★ ★

٥ ـ على العمود الأعلى ـ (Sulla colonna piu' alta)

يجب أن يقوم في الأعلى
المسيح الديان
لكي يقول كلمته ·
ما بين حصباء الأنهار السبعة ،
ستخجل الغربان والبلابل على السواء ،
ونباتات القُرّيص ودوار الشمس ·

· · ·

ولكنك في ذلك الغسق كنت هناك في الأعلى :
قاتمةً ، وجناحاك مقطوعان
من شدة صقيع لبنان المقابل ·
وكان بريقك يحيل الى مثل صمغ الشجر
التيجانَ السوداء على رؤوس الأغصان ،
وكانت الحمامة تتلو مقاطع الشريعة
عليك وحدك ·
(من مسجد دمشق)

★ ★ ★

٤ ـ من مجموعة (خليط ـ (SATURA)

أرى أنني ههنا في حاجة الى تعليق ، قبل أن أدخل في الترجمات · والسبب في ذلك أن كلمة (Satura) لاتينية ، وكان معناها : « القصائد الشعبية الرومانية غير المستمدة من أصل يوناني» وتعني أيضا : صحنا من الطعام الشعبي يضم خليطا من أطعمة متنوعة · ومن هنا ترجمناها بكلمة (خليط) ·

وهذه المجموعة الشعرية الرابعة للشاعر ، التي ظهرت عام ١٩٧١ ، تمثل موقف الشاعر من أزمة اللغة

الشعرية الحاضرة ، الناجمة عن الجدال بين الفردية الرمزية والفرضية الواقعية الحديثة ، الداعية الى جعل الشعر وعاء لمضامين المجتمع وايديولوجياته . ولم يكن مونتالي في يوم من الأيام ايديولوجيا ، يسخر نفسه وشعره لايديولوجيات المجتمع وعقائدياته ، لا في العهد الفاشيستي والنازي ، ولا في العهد الاشتراكي ؛ فهو يرد الشعر الى أدواره الأبدية التي تجعله بطبيعته شيئا للمجتمع ، ولكنها لا تجعلُ منه عملا سياسيا ، أو مذهبا اجتماعيا أو حزبيا ، ولا ترضى بأن يكون عملا يفرض من الخارج ، لأن الشعر عمل فني ينبع من احساس داخلي .

وينقسم ديوان (Satura) هذا الى قسمين أساسيين : القسم الأول عنوانه : (XENIA) ومعناها : نبذ من الكلام ترسل مع الهدايا المرسلة الى الأصدقاء . وهي مجموعة من القصائد عددها ٢٨ قصيدة ، استوحاها الشاعر من ذكريات زوجته التي توفيت عام ١٩٦٣ . والقسم الثاني قصائد متفرقة .

ونلاحظ أن الشاعر ، ابتداء من هذه المجموعة الشعرية ، قد أصبح أقل غموضا في شعره ، وأسهل لغة منه في مجموعاته الثلاث السابقة . فليس من السهل أن يدرك القارىء — حتى غير العادي — مرامي شعره السابق بسهولة ؛ وهو فيه متأثر كل التأثر بصديقه الشاعر الأميركي (عزرا باوند) وبالشاعر ت. س. ايليوت ولا سيما في قصيدته (الأرض البوار — The waste land) ورمزيته — أو انغلاقيته الابهامية — من هذه الناحية تختلف عن ابهام زميله (جوزيي اونغاريتي) المتأثر برمزية (بول فاليري) .

أما في (Satura) وما يليها ، فقد أصبح شعر مونتالي أكثر شفافية — ليس الى حد كبير جدا ، بل الى حد ما — وهذا ما يسمح لنا بأن نختار من هذه المجموعة أكبر عدد ممكن من القصائد ، من القسمين اللذين يشتمل عليهما الديوان .

(المترجم)

★ ★ ★

١ — من مجموعة (Xenia) :

(— الاستماع كان طريقتك الوحيدة للرؤية

وقد انخفضت الآن نفقات الهاتف...

. . .

٢ ـ العودة الى تذكر بكائك (وكان بكائي مضاعفا)
لا يفيد في اطفاء تفجر ضحكاتك
التي كأنما كانت سبقا لدينونة عامة
منك ، ولكنها دينونة لم تقع قط ،مع الأسف ·

· · ·

٣ ـ « أكانت تصلي ؟ » ـ « نعم، كانت تصلي الى القديس أنطونيوس
لكي يجعلها تعثر من جديد
على المظلات المفقودة، والأشياء الأخرى
من خزانة القديس ايرميتي » ·
« أمن أجل هذا فقط ؟ » ـ « ومن أجل موتاها ·
ومن أجلي « ···· » يكفي هذا ، قال الكاهن ·

· · ·

٤ ـ مات أخوك في ريعان الشباب ·
وأنت كنت الطفلة التي تنظر الي
« في استراحة » في اللوحة البيضوية ·
كان يؤلف قطعا موسيقية غير مكتوبة ، وغير مسموعة ،
هي الآن مدفونة في صندوق ، أو لعلها
تمزقت · وقد يعود الى تاليفها واحد
لا علمله بها، ان كان ماكُتِب قد كُتِب
لقد كنت أحبه دون أن أعرفه ·
ما عداك لم يكن يتذكره أحد ·
وأنا لم أقم بأي بحث · ولا فائدة من ذلك الآن ·
من بعدك بقيت أنا وحدي الذي يشعر
بأنه كان موجوداً · ولكن من الممكن ،
كما تعلمين ، أن يحب المرء ظلا ؛
فنحن أنفسنا ظلال ·

· · ·

٥ ـ أيتها الحشرة الصغيرة العزيزة
التي لا أدري لماذا يدعونها ذبابة ؛
هذا المساء ، في مثل العتمة ،
وبينما كنت أقرأ في سفر (تثنية الاشتراع) من التوراة
ظهرتِ من جديد الى جانبي
ولكنكِ كنت دون نظارات ،
فلم تستطيعي أن تريني ،
ولا استطعت أنا أيضا ، لولا ذلك البريق ،
أن أعرفك في الضباب ·

· · ·

٦ ـ لم أستطع قط أن أفهم هل كنت
أنا كلبك الأمين ، والمصاب بالسل ،
أم أنك كنت أنت لي كذلك ·
أما الآخرون فلا ؛ لقدكنتِ لهم حشرة حولاء

ضائعة في ثرثرات
المجتمع الراقي • كانوا بسطاء ،
أولئك الخبثاء ، ولم يكونوا يعرفون
أنهم هم أنفسهم مجال تندّر وسخرية
لك ،

وأنه قد شاهدهم ، حتى في الظلام ومن
دون أقنعة ،
حس منك لا يخطىء ،
ورادارك الخفاشي •

• • •

٧ ـ في فندق سان جيمز، في باريس،
عليّ أن أطلب
(غرفة مفردة) ـ انهم لا يحبون
الزبائن غير المزدوجين ـ وكذلك
أفعل
في بيزنطية الزائفة ـ فندقك في
البندقية ـ لكي أبحث بعدئذ حالا
عن مقصورة عاملات الهاتف ،
صديقاتك الدائمات • ثم أغادر
الفندق
وقد استنفدت كل الشحنة الميكانيكية ،
رغبة الحصول عليك من جديد ، ولو
في حركة واحدة ، أو عادة واحدة من
عاداتك •

• • •

٨ ـ لقد نزلتُ ، وأنت تتكئين على
ذراعي ، مليون درجة على الأقل،
والآن لم يبق بعد غيابك غير الفراغ
عند كل درجة •
وبهذا أيضا كانت رحلتنا الطويلة
قصيرة •
ان رحلتي ما تزال مستمرة ، ولم
تعد تعرض لي
مصادفات أو حواجز ،
أو مصائد ؛ ولا مصائب مما يعرض
لمن يؤمنون
بأن الحقيقة هي ما نراه فقط •

• • •

لقد نزلت ملايين الدرجات وأنت
تتكئين على ذراعي
ليس لأن الرؤية بأربع عيون قد
تكون أفضل •
لقد نزلتها معك لعلمي ، منْ بيننا
نحن الاثنين
ان البؤبؤين الحقيقيين الوحيدين ،
على الرغم من خبوهما ،
كانا بؤبؤيك أنت •

• • •

٩ ـ كان الخمار يسكب لك شيئا
من الجحيم • وأنت تقولين مذعورة :
« هل ينبغي أن أشربه ؟ ألايكفي
أننا كنا في قلب نار بطيئة ؟ »

• • •

١٠ ــ والجنة ؟ هل ثمة جنة ؟
ــ أظن ذلك يا سيدتي . غــير أن الخمور الحلوة
لم يعد يريدها أحد ...

. . .

١١ ــ يقولون ان شعري
شعر لا انتماء له .
ولكنه اذا كان لأجلك فهو منتم الــى أحد :
اليك أنت بعد أن لم تعودي شكلا ،
بل جوهرا .

. . .

ويقولون إن الشعر في قمته .
يعظم (الكل) في زواله ،
وينكرون أن السلحفاة
أسرع من البرق .
أنت وحدك كنت تعرفين ان الحركة
لا تختلف عن الاحتقان ،
وأن الفراغ هو الامتلاء والصفاء
وأنه أكثر انتشارا من السحب .
هكــذا أدرك ادراكا أفضل رحلتــك الطويلة
وأنت حبيسة اللفائف والجبص .
ومع ذلك لا يريحني
أن أعلم أننا ، واحدا كنا أم اثنــين ،
شيء واحد .

★ ★ ★

٢ ــ من القسم الثاني (Satura)

١ ــ نهر الفرات ــ (Eufrate)

رأيت نهر الفرات في الحلم ؛
جريانه البطيء ما بين
منخفضات متآكلة ووقفات عريضة في
فجوات من الرمل مزدانة بنسيج مــن عناكب الشجر .
ترى ماذا رأيت أنت خلال ثلاثين سنة
(أو مئة) . يقينا أن ما رأيته كان
شيئا منك .
لا تَعدُ عليّ القول ان مسواكا
أو فتات طعام ، أو شيئا تافها ، يمكنه
أن يشمل كل شيء .
ذلك ما كنت أظنه حين كانت الدنيــا
موجودة ،
ولكن تفكيري يتغير . أو يتعلق حيث
يستطيع ،
ليقول لنفسه إنه لم ينطفيء . انــه
هو نفسه لا يعرف شيئا ،
فالطــرق التي يسلكهــا عديدة ، وفي
بعض الأحيان ،
لكي يعطي نفسه اسما ، يبحث عــن
نفسه فوق المحيط الأطلسي .

. . .

٢ ــ قبل السفر ــ (Prima del viaggio)

قبل السفر يُقلّب جدول المواعيد

والمصادفات ، والاستراحات ، وعدد
الليالي ،
والحجوز (لغرف مع حمّام
أو رشاش مائي ، بسرير واحد ، أو

لشقة كاملة)
ويستشار دليل السياحة ، ودليل
المتاحف ،
وتبدل العملات ، وتُقسَم
الفرنكات الى « سكودات » ،
و « الروبلات » الى
« كوبيكات » ٠

قبل السفر يجري اعلام
بعض الأصدقاء أو الأقارب ، ويتم
تدقيق
الحقائب وجوازات السفر ، وتستكمل
الملابس
ويُشتَرَى العدد الكافي
من شفرات الحلاقة ٠ وعادةً
تُلقَى نظرة على حالة الجو ،
رجاء أن تكون النسبة المئوية
للكوارث الجوية في درجة الصفر ٠
قبل السفر يكون المرء مطمئنا ، ولكنه
يتوجس
ويشك في أن لا تتعطل الآلة ، أو
تصاب
فرحة العودة بخطأ ما ٠

ثم يتم السفر ، وكل شيء على ما
يرام ،
ويجرى كل شيء على أفضل ما يكون ٠

٠ ٠ ٠

وسفري أنا ؟
لقد درسته بكل دقة
ولكنني لم أعرف عنه شيئا ٠

الصدفة هي الأمل الوحيد ٠ ولكنهم
يقولون لي
إن من الغباء أن أقول مثل هذا ٠

٠ ٠ ٠

٣ ـ المقشطة ـ (Il Raschino)

أتظن أن التشاؤم
قد وُجد حقا ؟ انني اذا ما نظرت
من حولي ، لم أجد له أثرا ٠
في داخلنا ليس من صوت
يتذمر ٠ فاذا ما بكيت ، فهذا غناء
معاكس
لا غناء البلدة الكبيرة الموعودة
التي هي الغد ٠
لقد قشطنا بالمقشطة
كل هبّة من هبّات الفكر ٠ وها هي
الألوان جميعها تمجّد لوحتنا ،
باستثناء اللون الأسود ٠

٠ ٠ ٠

٤ ـ التاريخ ـ (La storia)

ـ ١ ـ

التاريخ لا ينفك في ترابطه
فهو كسلسلة
من الحلقات غيرمنقطعة ·
وعلى كل حال ،
كثير من الحلقات لا يتماسك ·
التاريخ لا يشمل (قَبْلُ) و (بَعْدُ)
وليس فيه ما يفور
على نار بطيئة ·
التاريخ لا يُنتِجُه
من يفكر فيه ، ولا حتى
من يجهله · التاريخ
لا يجعل من نفسه طريقا · انه يمتنع،
ويرفض البطء ، ولا يتقدم
ولا يتأخر · انه يغير سكته
واتجاهه ،
ولا يدخل في برنامج ·
التاريخ لا يبرر
ولا يعرف الشفقة ·
وليس التاريخ باطنيا
لأنه في الخارج ·
ولا يعطي التاريخ
مداعبات ، ولا لسعات سوط ·
وليس التاريخ سيدا
لشيء مما يخصنا ·
ومعرفة ذلك لا تفيد
في جعله أصدق وأعدل مما هو ·

★ ★ ★

ـ ٢ ـ

التاريخ ، على كل حال ،
ليس تلك المدحلة المدمرة التي يقولون عنها ،
فهو يترك ممرات سفلى ، وكهوفا ، وثقوبا ،
ومخابىء · ويظل ثمة من يبقى حيا ·
والتاريخ رحيم أيضا : يدمر
كل ما يستطيع تدميره ·
فاذا ما بالغ في ذلك ، طبعا ،
كان ذلك أفضل · غير أن التاريخ ،
لنقص في معلوماته ،
لا يُكمل كل انتقاماته ·

· · ·

التاريخ يحتك بالأعماق
كشبكة مجرورة ،
فيها ثقوب ، تهرب منها بعض الأسماك ·
وقد تصادفُ أحيانا الطبقة الخارجية لخلية حيّة
لاحدى الأسماك الناجية · انها سعيدة بشكل خاص ·
فهي تجهل أنها خارج الشبكة · ولم يقل لها أحد ذلك ·

أما الأخريات داخل الكيس ، فتعتقد
بأنها أكثر حرية منها ·

★ ★ ★

٥ ـ نهاية عام ١٩٦٨ ـ
(Fine del' 68)

(هذهالقصيدة منوحي حرب فييتنام)

تأملتُ من القمر ، أو قريبا منه ،
الكوكب المتواضع الذي يحوي
الفلسفة ، واللاهوت ، والسياسة ،
والكتابة الداعرة ، والآداب ،والعلوم،
ظاهرة أو خفية · وفيه يوجد أيضا
بنو الانسان

وأنا من بينهم · وكل شيء شديـــد
الغرابـة

· · ·

بعد ساعات قليلة يهبط الليل ، والعلم
ينتهي بينانفجارات زجاجات الشمبانيا
والبارود · ربما كانت انفجـــارات
قنابل ، أو أسوأ ،
ولكن ليس هنا ، حيث أنا الآن · فاذا
مات أحـد

فلا يبالي به انسان ، مادام
مجهولا وبعيدا ···

· · ·

٥ ـ من مجموعة (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢ ـ
(Diario del' 71 e del' 72

١ ـ الصيـد ـ (La caccia)

يقال إن على الشاعر أن يمضي
لاصطياد مضامين شعره ·
ثم تكون النتيجة أن طريداته
ينبغي أن تتجـاوب مع ما يحـدث في
العالم ،

أو ، على الأصح ، معما قد يكونالعالم
الأفضل ·

· · ·

غير أنه في العالـم الأسوأ يمكـن أن
يصاب بالرصاص

صياد آخر ، أو فرخ صغير
هارب من القفص ·

وأما في العالم الأفضل فلن تكون ثمة
حاجـة
الى الشعراء · سنصبح كلنا ممـــن
يلتقطون الطعام بمناقيرهم···

· · ·

٢ ـ النـــار ـ (Il fuoco)

نحـن في عيد الفصـح ، وليس مـن
وسيلـة
لأن تنزل من السماء ألسنة نارية ·

ومــع ذلك فان نبيــاً اسمه (إرميا)
قد ظهر على الشاشة
وقال إن الأمر آتٍ عما قريب ٠
ولكن النار لم ير أحد منها شــيئا ،
ســوى
بعض القنابل الدخانية عند زاويـــة
شارع (بيليي)[1]
هؤلاء الذين يخلطون الكلام بصداريهم
المزدوجة ، أو بالفساطــين ،
يبدو أنهــم لا يعرفون الكثــير عــن
مظهرهم السريع الزوال ،
ان النار لن تأتي من فوق ، بل مــن
تحت ٠
وهي لم تنطفىء قط ، ولم تكبـــر
أبــدا ،
ولم يرها قط أحد ، سواء من علمــاء
النار أو من علماء البراكين ٠
والذي يفطن لها لا يُنذر الآخرين ،
بل يظل أبكم ٠
وطيور الشؤم لم يعد يؤمن بها أحد ٠

٠ ٠ ٠

٣ ـ أين تبدأ المحبة ؟ ـ (Dove comincia la carita ?)

هذه الدفقة العنيفة من المحبة
التي تنصّب فوقنا
هي فرض أخير يُفرض علينا ٠

٠ ٠ ٠

ولن يحدث أبدا أن تبدأ بالنفس
كما خدعونا في مدارس (برليتس)
ولن يحدث أبــدا أن توجــد في كتب
القراءة ٠
وبكل تأكيد لن تأتــي منك ، أيهـــا
الشرير ، أو من عصبتك ،
ولا من صوت البوق ، ولا ممن
يتخذ منهــا جلدا آخــر لا يلبث أن
أن يُلقي به عنه ٠

٠ ٠ ٠

المحبة ليست ملكا لاحد ٠ ومثلها
رغوة الصابون التي تلمع لحظـــة ،
وتنفجــر
ولا تدري من أين جاءتها النفخة ٠

٠ ٠ ٠

٤ ـ في المؤتمر ـ (Al congresso)

ان كان الانسان هو مخترع الحياة
(ومن ترى يهتم بها لولاه ؟)
أفليس من حق الانسان أن يدمرها ؟
ذلك ما كان يقوله في المؤتمر
المفكر المحتــرم ، الذي لم يرفــع قط
اصبعا
لكي يخرج من القطيع ٠

(١) هو الشارع الذي يقيم فيه الشاعر ، قريباً من دار مسرح (لاسكالا) الشهير في مدينة ميلانو٠

٥ ـ الذي يمسك بالخيوط ـ
(Chi tiene i fili)

الذي يُمسك بالخيوط يعرف عنهاأكثر
منـا ،
والذي لا يُمسك بها يعرف عنها أكثر
أو أقل ٠
ونقارن بينهما ، فاذا
بالمصيبة تقع ، والكارثة ،
لا أقل ولا أكثر ٠

٠ ٠ ٠

٦ ـ الحصـان ـ (Il cavallo)

أنا لست حصان كراكلا ،
كما يعتقد (بينفوليو) ٠
لست أجري في « الدربي » ، ولا أقتات
بالحشائش ،
ولم أكن قط رجل سباق ، ولا أعرف
حتى الخبب ٠ حاولت أن أكون
انسانا ٠ وهذا كثير جدا
عليّ (وعليه) ٠

٠ ٠ ٠

٧ ـ بهذه العلامة ٠٠٠
(In hoc signo)

في روما وكالة للجنازات الفخمة
اسمها (المستقبل) ٠ ثم يقال

إن النكتة السوداء قد ماتت مع جان
بـول ،
ومـع جوناتـا سـويفت ، وأشـيل
كمبانيله !!٠٠٠

٠ ٠ ٠

٨ ـ الايجابي ـ (Il positivo)

فلنكتئب حين تشرق الشمس
وليلتفت كل منا الى مكتبه ٠
اذا بقي لنا شيء ، ولو كلمة (نعم)
على الأقل
فلننقلها ، ولو بعيون مغمضة ٠

٠ ٠ ٠

٩ ـ السلبي ـ (Il negativo)
من صفار بيضة واحدة يدخل الشبان
في تمارين الحياة ٠ ڤينوس
تقودهم ، وعطارد يفرقهم ،
ومارس يصنع البقية ٠ ولن يطول
بريق ضوء ما على آكروبول
هذا الربيع الـذي ما يزال متهيبـا
خجولا ٠

٠ ٠ ٠

١٠ ـ لدينا الكفاية من ٠٠٠
(Ne abbiamo abbastanza di...)
لدينا الكفاية من ٠٠٠
هذا ما يتكرر بالاجماع ٠

ولكن من ماذا ؟ من الحياة ؟ كلا ؛
ومن الموت ؟ أبدا ؛ لا يقول هذا أحد.

. . .

من الـ (من) يبدأ التشعب
الذي يتفرع منه كل غصن
لكي يزداد بعدئذ تشعباً ، وهكـذا • ربمـا
كانت المادة أيضا
قد تعبت من كثرة ما توالدت •

. . .

١١ ـ نحو القعر ـ
(Verso il fondo)

الشبكة التي تلامس القعر
لا تصيب
غير الأسماك الصغيرة •
بشبكات أخرى ، أصبت
أسماكاً خطافة
وسلحفاة أيضا
ولكنها كانت ميتة •
والآن وأنا أحاول من جديد
بصنارة وخيط
يظل الطعم غير ملموس
في المياه العكرة •

. . .

الكثافة شديدة من حولي ،
ومن فوق ، ومن تحت في الهواء •
ليس من تقدم ؛ والحركة
هي تمزق •

. . .

١٢ ـ للختـام ـ (Per finire)

وصيتي لمن سيخلفونني
(إن وجدوا) في دنيا الأدب
ـ وسيظل من غير المحتمل
أن يشعلوا نارا جميلة لكل ما
يتعلق بحياتي ، وأفعالي ، وما لـم أفعلـه ـ :
أنني لست الشاعر ليوباردي ؛ ولـن أخلف غير القليل للاشتعال ،
فكثير جدا أن أعيش بنسبة مئوية •
لقد عشت بنسبة خمسة في المئة • فلا تزيـدوا
العيار • غير أنه كثيرا ما ينزل المطر
على المُبتَلّ ...

حــول الشــاعر

ربما كان العالم العربي لا يعرف شيئا ــ أو قد يعرف البعض القليل جدا ــ عن الشاعر الايطالى ايوجينيو مونتالي ، الذي فاز أخيرا بجائزة نوبل للآداب لعام ١٩٧٥ . ولعله لم يكن يسمع باسمه قبل أن تتوج حياته وأعماله الأدبية هـذه الجائزة العالمية ، التي تعتبر أعظم تقدير يتوج بـه أديب على نطاق عالمي . غـير أن مونتالي في الغرب يتمتع بشهرة واسعة ، وشعره مترجم الى العديد من اللغـات الغربية . وأما في بلده ، ايطاليـا ، فمونتالي هو شاعر الايطاليين الأكبـر من بين شعرائهم الأحياء . وكان قبل وفاة زملائه الشعراء الثلاثة العظماء (أومبرتو سـابا) المتوفى عـام ١٩٥٧ ، (وجوزيبي أونغاريتي) المتوفى عـام ١٩٧٠ ، و (وسلفاتوره كوزايمودو) المتوفى عام ١٩٦٨ ، واحدا من أعظم شعراء ايطاليا (بعد جيل غبرييلي دانونتزيو ، وجوزويه كردوتشي) ، بل كان أشهر كثيرا مـن كوازيمودو قبل فوز كوازيمودو بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ . وحين فاز كوازيمودو بالجائزة في ذلك العام ، كان فوزه خيبة أمل للأغلبية الساحقة من الايطاليين ، الذين كانوا يتوقعون أن يفوز بها (أونغاريتي) أو (مونتالي) ، ولم يخطر في بال أحد منهم أن التاج سيخطىء طريقـه الى رأسيهما ، ويهبط فجأة عـلى رأس كوازيمودو .

ولد مونتالي في مدينة جنوا البحرية ، في الشمال الغربي من ايطاليا ، في ١٢ اكتوبر ١٨٩٦ . وهـو آخـر خمسة أخـوة لأبيه (دومينغو) وأمـه (جوزيبيّنا ريتشي) . وكان أبوه يدير محلا تجاريا مع أقربائه . وقد توفي أبوه عام ١٩٣١ .

بعد أن أنهى ايوجينيو دراسته الابتدائية ، دخل مدرسة مهنية ؛ ولكنه لم يلبث أن اضطر الى قطـع دراسته لسوء صحته . وكانت شقيقته (ماريانّا) أول من قاد خطاه الثقافية . وكانت ماريانّا قد أنهت دراستها الثانوية ، وبدأت دراسة الفلسفة في المرحلة الجامعية . وكذلك سـاهمت صيفيّات الشاعر مع ذويـه في

بيتهم الريفي في (مونتيروسّو) في تكوينه النفسي ، وتوجيهه نحو النظر في الأعماق • وقد ظهر أثر ذلك في شعره فيما بعد •

وحاول مونتالي أن يدرس الموسيقى في أثناء بحثه عن وسيلة تناسب طموحاته وميوله ، ولكنه ظل حتى الخامسة والعشرين من عمره يبحث دون أن يصل الى قرار •

في سنة ١٩١٧ دخل مونتالي مدرسة الضباط المشاة في مدينة (بارما) ، ثم اشترك في الحرب العالمية الأولى • وبعد الهدنة ، عهد اليه بقيادة أحد معتقلات الأسرى • ثم أعفي من الخدمة العسكرية عام ١٩١٩ • فعاد الى جنوا ، وهناك بدأت صلاته الأدبية مع الأدباء الذين كانوا يلتقون في (مقهى ديانا) في المدينة • وفي الوقت نفسه عكف على دراسة الانكليزية والاسبانية على نفسه • وأخذ يقرأ قصائد لشعراء عديدين ، ويهتم بالفلسفة • وقد وجد بغيته في كتابات الناقد الايطالي الشهير (بنيديتو كروتشي) التي كانت تتميز بالمثالية الايجابية • تم تأثر بعدد من الكتاب الفرنسيين • في سنة ١٩٢٢ صدرت في مدينة تورينو مجلة (الزمن الأول Primo tempo) وكان عددها الثاني ، الصادر في منتصف حزيران من ذلك العام ، يحتوي على سبع قصائد معا لايوجينيو مونتالي • وهذه القصائد سنجدها فيما بعد في مجموعته (عظام سمك السبيدج) في طبعة دار (موندادوري Mondadori) وهي من القصائد التي كتبها الشاعر عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، الا واحدة هي أقدمهن جميعا ، لأنها كتبت عام ١٩١٦ ، وهي التي مطلعها : « أقف عند الأصيل شاحبا مستغرقا » • ثم مضى مونتالي بعد ذلك يكتب في المجلات الأدبية شعرا ونثرا ، وبدأ اسمه يأخذ مكانه في حياة الأدب الايطالي الجديد ، شاعرا وناقدا •

وفي سنة ١٩٢٥ صدرت مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيدج) ، وكان عمره ٢٩ عاما • وكانت هذه المجموعة ــ كما نرى من النماذج المترجمة منها ــ شديدة الغموض ، معقدة المعاني ، وتتناسب تماما مع شعر الشاعرين الأميركيين (عزرا باوند ، وتوماس شتيرن ايليوت) ، ولا سيما مع قصيدة ايليوت المطولة (The waste land) الغامضة المعقدة ، والملأى بالأحاجي والطلاسم • وكان شعر مونتالي ، الى جانب الرمزية الشديدة الغموض ، يجنح الى الكآبة الشديدة ، والى

الخيالات السوداء ، وكثيرا ما يجنح الى القنوط ، حتى لقد دعي بشاعر القنوط ·
وكان أغلب شعره في (عظام سمك السبيدج) من وحي الحرب العالمية الأولى ، وما جرّته من الفواجع والدماء والدمار ، وما تلاها من آثار أليمة ، جاءت معها بالحكم الفاشستي الدكتاتوري ·

وفي شهر آذار عام ١٩٢٧ انتقل مونتالي الى مدينة فلورنسا ، وعمل في دار (Bemporad). للنشر · وكان العمل قاسيا ومرهقا بالنسبة اليه ، وغير ملائم لصحته · وهو يصفه في رسالة الى صديقه (ايتالو سفيفو ـ Italo Svevo) الكاتب الايطالي المعروف ، بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٢٧ ، فيقول :

« أنا الآن في دار (بيمبوراد) وأعمل ثماني ساعات في اليوم · وداعا أيها الأدب وأيتها الدراسات !! وليتني كنت في مدينة مثل ميلانو ، تتوافر فيها مصادر العيش ··· » · ويذكر مونتالي في الرسالة انه يعيش في ظروف سيئة ، وأن راتبه ضئيل جدا · ويضيف قائلا :

« كم أود لو أغير عملي · ولكن كيف ؟ أظن أنني سأبلغ الثمانين من عمري دون أن أعثر على سبيلي ، أو على نوع الحياة المستقرة التي أريد » · ثم يقول أيضا في رسالة أخرى من صيف ذلك العام نفسه : « انني مخطىء حقا في عملي في مؤسسة للنشر ، بدلا من بيع السمك المقدد ، أو لبان المضغ ··· » وفي رسالة أخرى يقول : « ان صحتي سيئة دائما ، وأنا أسوأ ما أكون من حيث تنظيم الأمور المالية ·· » ·

غير أن مدينة فلورنسا كانت ، من ناحية أخرى ، ذات أهمية بالغة في حياة مونتالي الثقافية ، وفي لقاءاته الأدبية · فلم يلبث أن اشترك في تحرير مجلة (صولاريا (Solaria) الأدبية · وهي مجلة أنشئت عام ١٩٢٦ ، وكانت ذات أثر كبير في قيادة الحركة الأدبية الايطالية ، وربطها بالآداب الأوروبية الجديدة · وكان يشترك في تحريرها نخبة من كبار النقاد والكتّاب الايطاليين ذوي النفوذ الواسع في الحياة الأدبية الايطالية ، وذوي الاطلاع الواسع على الآداب الغربية الأخرى ، في أوروبا وأميركا ·

وترك مونتالي العمل في دار (بيمبوراد) عام ١٩٢٨ ، وعينه محافظ

فلورنسا مديرا لاحدى دوائر قصر المحافظة · وبهذا العمل انحلت لديه المشكلة الاقتصادية · وفي سنة ١٩٣٠ نال أول جائزة أدبية ، وهي جائزة(Antico Fattore) على مجموعة من قصائده،ظهرت بعدئذ في منشورات دار (Vallecchi) بعنوان (بيت رجال الجمارك وقصائد أخرى ـ وهي الآن قسم من ديوان (المناسبات)·وظل مونتالي في الوقت نفسه على أوثق صلة بمجلة (Solaria) الأدبية،ذات الصلة القوية بالآداب الغربية ، لفك عزلة الأدب الايطالي ، وربطه بالآداب الأخرى · وعن طريقها عرف الايطاليون العديد من أسماء الكتاب الاميركيين والانكليز والفرنسيين والروس ، من أمثال (ويتمان ، وملفيل وفيتزجيرالد ، وهمنغواي ، وجويس ، وفوكنر ، وماياكوفسكي) وغيرهم · ولكن المجلة لم تلبث أن أصبحت عرضة لمضايقات النظام الفاشستي ، وللمصادرة أحيانا ، وأخيرا للاغلاق ، ولاسيما بعد أن نُشرت فيها متسلسلة ، عام ١٩٣٤ ، رواية (القرنفلة الحمراء ـ Il garofano rosso) للروائي (ايليو فيتوريني Elio Vittorini) الذي كان قد تسلم سكرتيرية تحريرها منذ عام ١٩٣٠ ، ثم ظهور المجموعة الشعرية (العمل يرهق ـ Lavorare stanca) للشاعر (تشيزاره بافيزه Cesare Pavese) عام ١٩٣٦ ·

أما مركز مونتالي في الفئة الأدبية العاملة في مجلة (Solaria) فقد كان مركز المحور للحركة الشعرية الايطالية الحرة ، وللفكر الايطالي الذي لم يتأثر بالفاشستية ، ولا خضع لتوجيهاتها الفكرية والعقائدية · وكان الانتماء الى تلك المجلة ، يعني حينذاك ، في الأوساط الأدبية : « مناوأة الفاشستية ، والانتماء الى العالمية ، وعدم التقليد » ـ كما يقول (فيتوريني) ـ وقد رفض مونتالي الانتماء الى الحزب الفاشستي بصلابة عنيدة ، مما أوقعه تحت المراقبة الدقيقة من قبل النظام الفاشستي ·

في سنة ١٩٣٩ صدرت مجموعة مونتالي الشعرية (المناسبات) في تورينو · وكان الشاعر بعد اغلاق مجلة (Solaria) قد راح يتعامل مع مجلتين أخريين ، هما : (الآداب ـ Letteratura) و (حقل مارس Campo di Marte) وهما مجلتان كانتا تحاولان المضي على الطريق التي نهجتها من قبل مجلة (صولاريا)· وكانت الأولى قد ظهرت عام ١٩٣٧ ، أما الثانية فقد عاشت سنة واحدة فقط

(آب ١٩٣٨ ـ آب ١٩٣٩) ، وكانت تمثل الشعر الرمزي الايطالي الجديد ٠

وتعاون مونتالي كذلك مع مجلة أخرى تدعى (Primato) عاشت من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٤٣ ٠

وفي أعوام الحرب العالمية الثانية ظهرت لمونتالي مجموعة شعرية صغيرة ، عنوانها : (أطراف الأرض ـ Finisterre) ، وقد صدرت في سويسرا عام ١٩٤٣ ، لأنه لم يكن ممكنا ظهورها في ايطاليا بسبب الارهاب الفاشستي ٠ وهذه المجموعة تؤلف الآن القسم الأول من ديوان (العاصفة) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٦ ٠

في عام ١٩٤٠ دعي مونتالي مرة أخرى الى السلاح ؛ وظل في الجندية الى عام ١٩٤٢ ، ثم أعفي من الخدمة ٠ ولما كان عمله في قصر المحافظ قد انتهى باستدعائه الى السلاح ، فقد أصبح عليه أن يعمل ليعيش من جهده الخاص ٠ فعكف على الترجمة من الآداب الأجنبية ٠ فترجم لملفيل ، وفيتزجيرالد ، وشتاينبيك ، وهمنغواي ، وفوكنر ؛ كما ترجم عن الفرنسية رواية (السيد) لكورناي ، و (فاوست) لمارلو ؛ وترجم عن الانكليزية رواية (هاملت) لشكسبير ٠ ولقيت هذه الترجمات نجاحا حسنا ٠

وفي نهاية الحرب انضم مونتالي الى جمعية الثقافة والفن ، والى حزب العمل ٠ وتولى عام ١٩٤٥ ادارة مجلة (العالم ـ Il mondo) الاسبوعية ٠ وفي هذا العام عينه ظهرت في فلورنسا الطبعة الايطالية الأولى من مجموعته الشعرية (أطراف الأرض) التي كانت قد ظهرت من قبل في سويسرا عام ١٩٤٣ ٠

في تلك الفترة التي بدأ فيها الوعي للواجبات التي تنتظر من سيتولون قيادة فترة ما بعد الحرب في ايطاليا ، راحت كتابات مونتالي تتناول القضايا الأخلاقية ، ودور الثقافة في هذه الفترة الحرجة ٠ ولكنه ظل على ابائه الانتماء الى أي حزب سياسي ، ليظل حرا يمارس الشعر الحر ، والنقد الحر ، والثقافة الحرة ، لاعتقاده الجازم بأن الحرية أقدر على القيادة من القيود الفكرية الحزبية والسياسية ٠

عام ١٩٤٨ انتقل مونتالي الى مدينة ميلانو ، ليعمل محررا في كبرى

جرائد ايطاليا اليومية (Corriere della sera) وكان يكتب فيها منذ عام ١٩٤٦ ٠ وفي عام ١٩٥٥ أصبح ناقداً موسيقيا لاحدى الصحف الأسبوعية التي تصدر عن دار الجريدة المذكورة ٠ وحين عرفته عام ١٩٦٠ ، كان رئيس تحرير القسم الأدبي فيها ٠ ولما زرته بعد ذلك عام ١٩٧٣ ، وكان قد بلغ مرحلة من الشيخوخة تمنعه من العمل ، قال لي انه لا يزال ،رسمياً ، رئيس تحرير للجريدة ، ولكنه عملياً لم يذهب الى هناك منذ سنتين ، ومع ذلك لا يزال يتقاضى راتبه منها كما لو كان يعمل فيها ٠

وجُمعت مقالات عديدة مما نشره مونتالي في الجريدة في كتاب ، صدر عام ١٩٥٦ بعنوان (فراشة ــ دينارد ــ La farfalla di Dinard) ٠ وقد أعيد طبع هذا الكتاب في دار (موندادوري) عام ١٩٦٠ ، مضافا اليه بعض المقالات الأخرى ، بالعنوان نفسه ٠ وقام مونتالي برحلات صحفية للجريدة ، كان من بينها رحلة رافق فيها البابا بولس السادس في زيارته للأردن عام ١٩٦٤ ٠

ومثلما كان مونتالي أمينا لفنه الشعري ، وحريته الفكرية ٠ رغم الاضطهاد الفاشستي ، كذلك ظل أمينا لفنه الشعري وحريته الفكرية بعد زوال الفاشستية والنازية ، وظهور الأحزاب السياسية الجديدة المتعددة في ايطاليا ٠

في سنة ١٩٥٦ ظهرت في البندقية مجموعة مونتالي الشعرية (العاصفة) التي اشتمل القسم الأول منها على مجموعته الصغيرة السابقة (أطراف الأرض) ٠ كما ظهر كتابه النثري (فراشة دينارد) ٠ وفي تلك السنة عينها فاز مونتالي بجائزة (Marzotto) الأدبية ٠ وفي عام ١٩٦١ منحت جامعة ميلانو الشاعر درجة الدكتوراه الفخرية ، تكريما للقيم الفنية الرفيعة في شعره ٠ وفي العام التالي ، ١٩٦٢ ، نال جائزة (Feltrinelli) ، وهي الجائزة التي تمنحها الأكاديمية الايطالية المعروفة باسم (Accademia dei Lincei) ، أو (أكاديمية الفهود) ؛ وقيمة الجائزة النقدية نحو عشرين ألف ليرة ايطالية ، أو ما يعادل عشرة آلاف دينار أردني ٠ وهي بهذا كبرى الجوائز الايطالية من حيث قيمتها المادية ، الى جانب قيمتها الأدبية العالية كذلك ٠

وفجع الشاعر عام ١٩٦٣ بفقد رفيقة حياته ، فكان لوفاتها أثر فاجع في

نفسه ، وفي حياته وشعره • وقد ظهر هذا الأثر جليا في مجموعة القصائد التي ظهرت فيما بعد ، وجعل الشاعر عنوانها (Xenia) • وكان الفراغ الذي أحس به في نفسه لوفاتها مثل الفراغ الذي أحس به في بيته • وقد جُمعت القصائد التي كتبها مونتالي لأجلها في كتيب يضم ما كتبه الشاعر منها عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٦ فقط • ولم يطبع من هذا الكتيب ، الذي دعاه (Xenia) سوى خمسين نسخة فقط • ثم أعيد طبع هذه المجموعة ، مع ما اضافه اليها الشاعر بعد ذلك ، في القسم الأول من ديوانه (خليط) الذي صدر عام ١٩٧١ عن دار (موندادوري) •

في حزيران عام ١٩٦٧ عين الرئيس الايطالي (جوزيبي سارغات) الشاعر مونتالي (عضوا مدى الحياة) في مجلس الشيوخ الايطالي « لأنه مجد الوطن بمزاياه الرفيعة جدا ـ كما جاء في براءة التعيين ـ في حقل الأدب والفن » •

وصدر لمونتالي كتاب نثري عام ١٩٦٩ عنوانه (خارج المنزل ـ Fuori di casa) • وفي سنة ١٩٧١ صدرت عن (دار موندادوري) مجموعته الشعرية (خليط ـ Satura) كما ظهرت عن دار نشر أخرى مجموعة شعرية بعنوان (يوميات عام ٧١ ـ Diario del 71) ولكن لم يطبع منها سوى مئة نسخة • ثم أعيد نشر هذه المجموعة ، مع قصائد أخرى ، في دار (موندادوري) بعنوان (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢) وصدرت هذه المجموعة عام ١٩٧٣ • وفي هذه الفترة عينها أصدر ناشرون آخرون ، في طبعات محدودة جدا ، مقتطفات من شعر مونتالي ونثره ، بعضها كان قد نشر من قبل ، وبعضها مختارات من هنا وهناك•

وفي عام ١٩٧٤ منحت جامعة (بازيليا ـ Basilea) الشاعر مونتالي درجة الدكتوراة الفخرية « تقديرا لحفاظه على حرية الشعر ، وفنيته ، وقيمه الرفيعة ، حتى في الأزمنة التي سُخّر فيها الشعر والفن ، وكل شيء ، للسيطرة السياسية »•

وليس شعر مونتالي هو وحده الذي حدد مكانة مونتالي الرفيعة في ايطاليا ، فلقد كانت مقالاته النقدية ذات أكثر كبير جدا في تحديد هذه المكانة ، لأنها كانت تحديدا لمعالم الطريق الصحيح للشعر وللفن ، ولأنها كانت تؤكد ايمان الشاعر بأن الشعر أسمى من تقلبات السياسة ، ومن حاجات المجتمع الآنية ، وأن اخضاعه

لهذه كلها هو ضرب من الطغيان يجب الوقوف في وجهه بصلابة عنيدة · ومعنى هذا أن الشاعر ، بمقالاته النقدية ، دافع باستمرار عن قيم الشعر الانسانية ، ووقف بعناد في وجه الداعين الى ابتذاله · ومن دون شك كان لمونتالي أثره في تحديد الاتجاهات الشعرية السليمة في جيله ، وفي الأجيال التي جاءت بعده من الشعراء والنقاد الايطاليين ·

غير أن نظرة الشاعر الى الحياة كانت دائما نظرة كآبة وتشاؤم ، بل كانت أحيانا نظرة فيها بعض معاني القنوط ؛ حتى لقد دعي الشاعر ـ ولا سيما بعد ظهور مجموعته الشعرية الأولى (عظام السبيدج) ـ بشاعر القنوط · ومع ذلك كان كثير من النقاد يرون فيه (الشاعر الأكمل ، والأدق تعبيرا عن معاني الحياة ، والأكثر ادراكاً لحقيقتها) ـ كما جاء في كتاب (Letture italiane per stranieri) لكاتبين الايطاليين (بورميولي وبيلليغرينيتي ·)

يقول الشاعر (ايرالدو ميشيا (Eraldo Miascia في مقابلة أجراها مع مونتالي لمجلة (La Fiera Letteraria) الأسبوعية ، التي هو رئيس تحريرها : « ان مونتالي يحس احساساً قوياً بمأساة الوجود ، وتناقضاته ، وبسرعة اندفاع هذا الوجود نحو هاوية نجهلها » · ويقول مونتالي في هذه المقابلة « ان واجب الكاتب أن يعمل لخلاص شيء ما » ·

ورسالته الشعرية تقوم على أن الوجود الانساني أمر لا يمكن تجنبه ، في ضوء التحليل المنطقي البارد ، وبأنه هو نفسه لا يملك أن يقدم أية تعزية · هذا كله نجده في كل مجموعاته الشعرية ، وهو ما رسخ في أذهان قراء مونتالي دائماً · ولذلك نجد الكاتب الايطالي (كلاوديو مارابيني ـ Claudio Marabini) في كتابه النقدي (المفتاح والحلقة ـ La chiave e il cerchio) يستغرب أن يجد (مونتالي جديدا) وغريبا عن نفسه في حفلة منح مونتالي (جائزة إلبا ـ Premio Elba) على كتابه النثري (خارج المنزل) ؛ وذلك لأن مونتالي ، في الكلمة التي ألقاها في تلك المناسبة ، قد قال : « ان هذا العالم الذي نعيش فيه ليس عالماً قبيحاً على الاطلاق ، وانه بالتالي عالم يستحق أن نحبه » ·

يعلق مارابيني على هذا التصريح بقوله : « هذا التأكيد الأخير هو الذي أدهشني وأدهش الآخرين : فحتى تلك اللحظة وكلمة مونتالي ـ ان لم تكن غارقة في الذوق العدمي (Gusto nichilistico) ـ كانت على الأقل تدور على صورة الدمار الذي تحدثت عنه رؤيا القديس يوحنا ؛ أي أن : العالم على عتبة المجهول ، أو الدمار ، والانسان على وشك التصفية ، والقيم التقليدية أصبحت مدمرة ، ولا شيء يمكن التنبؤ به ، بل كل شيء رهن بالصدفة ، ومن ضمن ذلك الفنون ، الخ » . ويضيف مارابيني دهشته من أن مونتالي قد ألقى تصريحه ذاك الجديد في الحفلة بملء حريته وارادته . وهكذا أعرب مارابيني عن استغرابه البالغ لتغير نظرة مونتالي الى العالم ، والى مصير الانسان ، ومصير الفنون . ولكن مارابيني ، في الوقت نفسه ، وهو يرى في تصريح مونتالي هذا خروجا على كل ما آمن به في حياته ، حتى لكأن مونتالي هذا انسان جديد ، لم يعرفه الناس من قبل ، ولا صلة له بمونتالي الذي يعرفونه ، لا ينكر قيمة مونتالي وشعره ، بل يقول في المقال عينه ان حضور مونتالي نفسه في حفلة تسليم الجائزة اليه « كان تكريما للجائزة ، أكثر مما كانت الجائزة تكريما له » .

وأما (فرديناندو فيرديا ـ Ferdinando Virdia) المحرر في المجلة الأدبية الأسبوعية الوحيدة في ايطاليا(La Fiera Letteraria) فيقول في افتتاحية المجلة لعددها رقم ٤٤ من سنتها الحادية والخمسين ، الصادر في ٢ نوفمبر ١٩٧٥ ، بمناسبة اعلان فوز مونتالي بجائزة نوبل : « من المعلوم أن أعمال الكاتب الذي يراد منحه الجائزة ينبغي أن تكون قد ساهمت في خدمة السلام والاخاء العالمي » . ويضيف قائلا : « ان الأكاديمية السويدية ، عندما منحت مونتالي جائزة نوبل ، قد اعتبرت من أهم مزايا شاعرنا ، الى جانب مزاياه الأدبية ، عدم انضمامه الى فئة الأدباء الذين أخضعوا أدبهم للدكتاتورية إبان أعوام الحكم الفاشستي العشرين ... وهذا مهم جدا ، ولا ريب ، فهو يزكّي قضية منح الجائزة لمونتالي ، الى جانب أهمية أعماله الشعرية » .

ويشير الكاتب الى أن مونتالي ليس شاعراً ايطالياً فحسب ، بل هو أيضا أديب أوروبي ، مهتم بالثقافة الأوروبية ، أي بالثقافة التي تقوم على قيم أساسية

لا محيد عنها ، من مثل حرية الفكـر والتعبير ، واستقلالية البحث ، وتنمية روح الاستقلال في العمل الفكري ، بعيدا عن الايديولوجيات ، وعن سياسة السلطة ... وبكلمة أخرى ، قيم المدنية الحرة بأوسع معانيها » .

ويختم فيرديا مقاله بقوله : « ان فوز مونتالي بجائزة نوبل قد يكون أيضا تصويتا على الثقة الأوروبية، قبل أن تكون ثقة سويدية، بالمقدرة على المقاومة القائمة على الاستقلال والحرية في الثقافة الايطالية ، ومع الثقافة ، بالمجتمع الايطالي نفسه » .

أما الناقد الايطالي الكبير (سيرجيو سولمي ـ Sergio Solmi) ، رفيق الصبى لمونتالي منذ عهد الدراسة في مدرسة الضباط المشاة ، في مدينة بارما ، وزميلـه بعدئذ في مجلة (صولاريا) في فلورنسا ، والذي كتب المقالات الطوال حول مونتالي وشعره ، فقد أفرد لمونتالي الفصلين : الأول والأخير من كتابه (كُتّاب في الأعوام ـ Scrittori negli anni) الصادر عام ١٩٦٣ ، وفيه يقول :

« ان قصائد مونتالي غالبا ما تعمل على اذابة مادة الوحي المباشرة في نبـرة أساسية انعكاسية وموزونة ، تتجاوز ظروف الانفعال الانطباعي الآنية . ان للكلمة عنده طعمها ولونها ، وفيها حساسية الشعر والايقاع » .

وسولمي يصف مونتالي بأن قلمه « أزميل فنان، ينحت تماثيله في قصائد؛ وريشة رسام يرسم بها لوحاته في كلمات » . ويقول أيضا : « ان قصائد مونتالي مصنوعة من سلالم داخلية ، ومن انفصالات صامتة ، وتأملات مستسلمة » .

وليس في وسعنا أن نمضي في استعراض أقوال النقاد والكتاب الايطاليين في مونتالي ، فقد كتب عنه الكثيرون ، وصدرت حوله وحول أدبه مؤلفات وأبحـاث اكثر من أن تحصى ، كانت كلها ترسيخا لمجده الأدبي الذي ظل يتطاول على الأيام ، حتى بلغ قمته بجائزة نوبل .

. . .

وحين ننظر في أعماله الأدبية ، والشعرية بشكل خاص ، نجد قصائده قـد اجتمعت في خمس مجموعات ، ذكرنا أسـماءها في مقدمة الترجمـات . ونحب أن

نبين ههنا أن الشاعر ، خاصة في المجموعة الأولى (عظام السبيدج) ، كان لصيقا جدأ بأرضه الشمالية (ليغوريا) أو الشاطىء الليغوري ، الممتد من مدينة جنوا حتى الحدود الفرنسية وجنوبا على الساحل الايطالي الغربي • وهي المنطقة المعروفة باسم (الريفييرا الايطالية الشمالية) • من هذه المنطقة التي ولد فيها الشاعر ، ومن البحر المتوسط الذي تتربع عليه ، استمد الشاعر كثيرا من قصائده ، ومن خيالاته الشعرية • وهذا نموذج من شعره الرائع في هذا المجال ، من خطابه للبحر المتوسط :

أيها البحر القديم ، لقد ثملت بالصوت
الذي يخرج من أفواه أمواجك حينما تنفتح وتتأرجح
كأجراس خضر ، ثم تنداح
الى الخلف وتنحل •
ان منزل صيفيّاتي البعيدة
كان على مقربة منك ، كما تعلم •
• • • لقد علمتني أن أكتشف في أعماقي
ناموسك المغامر : فاكون رحيبا ، منوع التجارب
وثابتا على طبيعتي في الوقت نفسه ،
وأن أتطهر من كل دنس ،
كما تفعل أنت اذ تقذف على الشواطىء
الأقذار ونجوم البحر
وغيرها من الأشياء البالية التي في أعماقك •

. . .

يضاف الى ذلك أن مونتالي ، الذي اشترك في الحرب العالمية الأولى ، وعاش الفترة الاليمة التي تلتها ، عرفت نفسه المرارة ، والخيبة ، والألم للفواجع التي أصابت بلده وشعبه ، وأصابت كذلك العالم كله ؛ كما استمد الألم والكآبة من واقع حياته الخاصة ، ومن سوء الصحة الذي لازمه منذ الصبى الباكر • وهذه كلها

ظهرت آثارها جلية في قصائده ، كما نرى في ما ترجمناه من قصائد هذه المجموعة · لقد كان الشاعر صادقا مع نفسه حتى في أعمق معاني القنوط التي تظهر في العديد من قصائده ، كقوله :

يا حياتي ، لست أطلب منك حظوظا
ثابتة ، ولا خلقة بهيجة ، ولا أملاكا ·
ففي دورانك المضطرب يتساوى
طعم العسل وطعم عشبة الأفسنتين ·
والقلب الذي يرى الحقارة في كل حركة
يقفز مهتزاً ·
كذلك تئز احيانا في
صمت الغابة طلقة بندقية ·

وقوله أيضا :

لم أعرف الخير
في ما عدا المعجزة
التي تمنحها نعمة اللامبالاة ·

· · ·

والواقع أن هذه المجموعة الأولى انما تعبر عن الأزمة الروحية التي كان جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى يبحث عن حل لها · وفيها ينضم صوت الشاعر الى أسمى حوافز الشعر الأوروبي المعاصر · وأحيانا لم يكتف الشاعر بالتفاعل معها ، بل كثيرا ما كان يؤثر فيها · وهي تمثل الحرية الكاملة للأحاسيس ، وتنتمي الى ضمير القارىء المعاصر · ومن هنا كان ما نالته هذه المجموعة من اهتمام النقاد والقراء ، مما أثبت مكانة مونتالي بين أعظم الشعراء الأوروبيين منذ بدايته الأولى في مجموعة (عظام السبيدج) ، حتى لقد قرنها بعض النقاد بقصيدة (ت · س · ايليوت) التي عنوانها : (The waste land)

وأما المجموعة الثانية (المناسبات) فان الشاعر فيها يغترف من الخارج ، ومن

الأشياء التي يتصل بها ويستوحيها ، لا من اشفاقه على الانسانية التي كانت من قبل خارجة محطمة من حرب رهيبة ساحقة • والشاعر في هذه القصائد يرتبط بأزمان معينة،وبالأحداث الشخصية ، وبتفاعله مع الناس والحياة منخلال أحاسيسه الشخصية ، وتجارب وجوده • وهكذا تختلف هذه المجموعة عن سابقتها من حيث المنابع النفسية : فالشاعر يربط مشاعره الداخلية بمشاهداته الخارجية • ونظرته التشاؤمية هنا أقل بروزا ــ وان لم تختف تماما ــ منها في المجموعة الأولى • ومن مصادر وحيه في هذه المجموعة نجد عددا من الصيفيّات ، والرحلات ، وتذكارات الأصدقاء التي يصورها ، أو يسجل انطباعاتها في نفسه من خلال قصائده •

والنقاد الايطاليون يعتبرون هذه المجموعة قمة في صفاء العبارة ، وجمال التعبير الشعري ؛ والعمل الشعري فيها يجري على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي دائما من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز ، ومن الحديث عن الوضع الانساني الذي كان في (عظام السبيدج) الى الوجود الشخصي للشاعر • وفي هذه المجموعة يقول الناقد الايطالي (ماريو أبولونيو ــ Mario Apollonio) في كتابه (أدب المعاصرين ــ La letteratura dei contemporanei) « ان (المناسبات) ستبقى كتابا يؤلف وحدة كاملة ؛ وانه كتاب جميل جدا للقراءة، وقصائده مليئة بالعاطفة ، مع عطايا كثيرة للذاكرة » •

وهناك ملاحظة عامة في شعر مونتالي ، فهو كثيرا ما يخاطب المؤنث في قصائده ، ولكنه قد لا يخاطب ، في الواقع انسانة معينة ، بل قد يكون الخطاب الى نفسه ، أو الى صورة معينة في خياله •

• • •

وتأتي المجموعة الثالثة (العاصفة) ، وهي عمل شعري ينسحب كذلك على أكثر من صعيد واحد ، ويمضي من الخارج الى الداخل ، ومن الموضوعية الى الرمز • وكالمألوف في شعر مونتالي ، هناك دور الهدم والسلبية : فالشاعر لا يجد ــ كما يقول (كونثيني) ــ شيئا يمكن الثقة به • والدور الثاني هو دور الايجابيةوالبناء• وفي العاصمة نجد قاعدة للحقيقة في شكل أسطورة •

وتظهر في هذه المجموعة دقة ربط الشاعر بين نفسه والزمن • وكانت هذه الدقة من قبل على هامش تجربة الشاعر الواعية • وهي متأثرة بالوجودية الأوروبية التي كانت قد ظهرت ، ووضعت أمام الفكر التأملي الفلسفي ، الى جانب مشاكل أصل الانسان ومصيره ، مشاكل الوجود الانساني : وجود الفرد الذي يتعلق بالحرية رغم المخاطر التي يواجهها ، ويجد نفسه مباشرة أمام الموت والعدم •

ضمن هذه المجموعة من القصائد ، نجد في المقدمة مجموعة كان الشاعر قد نشرها من قبل ، وجعل عنوانها (Finisterre) أي (أطراف الأرض) • وهذه الكلمة تتألف ، في الواقع ، من كلمتين لاتينيتين ، هما (Finis) و (Terrae) والأولى معناها (نهاية) أو (حدود) والثانية تعني (الأرض)• وكان القدماء يقصدون بها (آخر حدود الأرض) أو (أعمدة هرقل) ؛ وهي الجبال المتقابلة في جنوب اسبانيا ـ آخر حدود أوروبا من الجنوب ـ وفي شمال المغرب • وأشهرها• الآن (جبل طارق) في اسبانيا ، و (جبل موسى بن نصير) الذي يقابله في شمال المغرب ، ما بين سبتة وطنجة • والعنوان لا يعني ، طبعا ، شيئا بالنسبة الى القصائد التي تنطوي تحته ، فهو من اختراع الخيال • غير أن الديوان بمجموعه أخذ اسمه (La Bufera) من أول قصيدة فيه • وفي هذه المجموعة كذلك قصائد عديدة استوحاها الشاعر من الأسفار ، والصيفيّات ، ومن ذكريات أصدقائه ، كما في (المناسبات) •

وفي المجموعات الثلاث : من (عظام السبيدج) الى (العاصفة) نجد الغموض الرمزي والتعقيد الكثيرين في شعر مونتالي ، والضبابية الكثيفة التي يندر أن تبين من خلالها المعاني التي يريدها الشاعر • ثم تأخذ هذه الضبابية في الشفافية بعض الشيء في ما بعد ، كما نلمس ذلك في المجموعتين اللاحقتين ، وأولاهما (خليط ـ Satura) ، وهي تشمل القصائد التي كتبها الشاعر من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧٠ ؛ وقد جاءت في قسمين هما : (Xenia) ، ويضم ثماني ثماني وعشرين قصيدة وخاطرة شعرية ،يدير فيها الشاعر الحديث مع زوجته الراحلة؛ و (Satura) ويضم بقية القصائد التي تصل في مجموعها العام الى (١٥٧) قصيدة •

وهذه القصائد جميعا ، الخاطفة جدا منها والمشبعة ، تمثل وفاء الشاعر لفنه الشعري ، وتمثل معه اتجاهه الشعري الانساني الواسع ؛ وفيها كثير من التأمل في

أعماق الحياة ، والخيال المونتالي الواسع والشديد الغنى ، الذي عرفه قرّاؤه دائما في قصائده • ونلاحظ ذلك كله في القصائد المتعددة التي ترجمناها في بداية هذه الدراسة ، وأشير بنوع خاص الى قصيدته (التاريخ) ، والى قصائده الأخرى ، مثل (المقشطة – وقبل السفر – ونهاية عام ١٩٦٨) وغيرها : كما نلاحظ الحب الصادق الوفي للزوجة التي رافقت حياة الشاعر الطويلة ، ثم مضت عنه وخلفته للشيخوخة المتعبة والأمراض الدائمة •

وأما الديوان الأخير (يوميات عام ٧١ وعام ٧٢) فيضم القصائد التي كتبها الشاعر في هذين العامين ، ومجموعها (١٢٣) قصيدة • والقصائد التي ترجمناها في ما تقدم من هذه المجموعة ترينا كيف تستمر الشفافية في شعر مونتالي الجديد ، وتستمر معها أمانة الشاعر لفنه الشعري الحر ، الذي لم يخضع قط للعقائديات التاريخية والسياسية والاجتماعية ، بل ظل دائما شعراً للانسان في كل زمان ومكان• وقصائد مونتالي هذه استمرار لقصائده السابقة في مجموعته (خليط) من حيث الروح، والبناء الشعري ، والموسيقية الجميلة ، والرمزية الشفافة • وحسبي أن أشير هنا، كنماذج لهذا الشعر الانساني ، الى قصائده التالية : (الصيد – النار – في المؤتمر – بهذه العلامة ••• – الحصان) وغيرها •

هذا الشعر الرفيع في فنه ، وفي انسانيته ، وفي عالميته ، هو الذي كلل الشاعر مونتالي بأكاليل المجد في بلده ، وفي العالم الغربي كله ، وجعل منه شاعرا عالميا يتمجد به بلده ، وتتمجد به ثقافة بلده ، وبه وبأمثاله أصبح الأدب الايطالي أدبا عالميا ، ومن أغنى الآداب المعاصرة ، واستحق أن يفوز خمسة من أعلامه حتى الآن بجائزة نوبل للآداب •

• • •

هذه ، باختصار ، حياة الشاعر الفائز أخيرا بجائزة نوبل ، وهذه أعماله الأدبية : الشعرية والنثرية ، وحياته الصحفية والعملية •

أما صلتي الشخصية به فتبدأ في شهر نوفمبر عام ١٩٦٠ ؛ وكنت حينذاك في بعثة أدبية من قبل منظمة اليونيسكو ، مدتها ستة أشهر ، للاطلاع على الحركة

الأدبية في ايطاليا ، والتعرف بممثلي الأدب الايطالي المعاصر • وكان مونتالي بين كبار الشعراء الذين عرفتهم في ميلانو • وكان حين وصولي الى ميلانو ، في اليوم الأول من شهر نوفنبر ، غائبا في فرنسا ، حيث دعي لالقاء عدد من المحاضرات • وعاد من فرنسا بعد عشرة أيام ، فزرته أولا في مكتب عمله في جريدة (Corriere della sera) التي كان حينذاك رئيس تحريرها • وزرت معه الروائي (دينوبوتساتي ـ Dino Buzzati) والشاعر (ألبريكو سالا ـ Alberico Saia) وكان كلاهما من العاملين في الجريدة • ثم دعاني مونتالي الى زيارته في منزله بعد ظهر ذلك اليوم نفسه • وفي منزله قضيت معه نحو ساعتين ، خرجت بعدهما أحمل هدية منه ، هي ديوانه (العاصفة) ، وبعض صوره الفوتوغرافية ، وعليها جميعا توقيعه ، وعلى الكتاب عبارة اهداء كريمة ؛ وأحمل كذلك ورقة مكتوبة بخطه المرتعش ، سجل فيها نبذة عن حياته وأعماله الأدبية ، وبطاقة الى ناشر كتبه (دار موندادوري) لاهداء مجموعتيه الشعريتين الأخريين (عظام السبيدج) و (المناسبات) اليّ •

وأما زيارتي الثالثة والأخيرة له فقد كانت في شهر نوفنبر عام ١٩٧٣ ، وفي المنزل عينه الذي زرته فيه أول مرة ، عام ١٩٦٠ ، في (شارع بيليي) القريب من مسرح (لاسكالا) الشهير فيميلانو•وكان مونتالي في هذه المرة متهدما منالشيخوخة ، ومن آثار فقد زوجته،التيكانت قد توفيت عام ١٩٦٣ ، بعد أن عاشت طويلا فيظل شهرته وأمجاده ـ كما يقول الكاتب الايطالي (جاشنتو سبانيوليتي ـ Giacinto Spagnoletti وخلفته وحيدا مع صحته السيئة دائما ، ومع شيخوخته ، في رعاية مدبرة منزله الطيّبة السيدة (جينا) •

في هذه المرة ، وأمام ما رأيت من ارهاق شيخوخته ، وارتعاشته الشديد ، وسوء صحته ، لم أكلفه التوقيع على أكثر من صورة واحدة من الصور الحديثة التي أهداها اليّ • وخرجت من عنده ، بعد جلسة استغرقت أكثر من ساعتين ، أحمل مع الصور،نسختين من مجموعتيه الشعريتين : (خليط ـ ويوميات عام ٧١ وعام ٧٢)•

حين كان مونتالي في فلورنسا ، في بداية حياته الأدبية ، وكان يعمل في (دار بيمبوراد للنشر) كان ينظر من خلال سواد المستقبل ، فيخيل اليه أنه سيصل الى

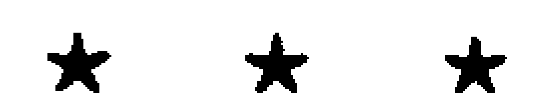
الثمانين من عمره دون أن يعثر على سبيله ، أو على نوع من الحياة المستقرة ــ كما رأينا في رسالته الى صديقه (ايتالو سفيفو) ــ

غير أننا ، بعد كل هذه الأمجاد الأدبية التي نالها الشاعر في حياته ، والتـي كان آخرها ــ وفي الثمانين من عمره بالضبط ــ جائزة نوبل ، نرى أن نبوءته لم تصح ، ولا كان لتشاؤمه ذاك أي مبرر ، لو أوتي مونتالي رؤية الغيب ·

فها هو مونتالي اليوم بلغ الثمانين من عمره فعلا ، وبدلا من الضياع الذي كان يتخيله ، بلغ قمة جبل عال من الأمجاد ، ومن التكريم الأدبي ، ومن الجوائـز التي لم ينل مثلها الا الأقلون من الشعراء في العالم ·

وعلى الرغم من أن جائـزة نوبل لم تضف شيئا ذا أهميـة الى أمجاد مونتالي الأدبية الكثيرة ، وأنها جاءت متأخرة جداً ، بعد أن شبع الشاعر من العمر ، ومـن الامجاد ، والألقاب ، فقد قال مونتالي حين بلغه نبأ فوزه بالجائزة :

« إنني لسعيد جداً ؛ فهذا أجمل ما توقّعته من الحياة » ·



مصادر البحث

وفي مقدمتها مجموعات مونتالي الشعرية الخمس :

1) E. Montale — "Ossi di Seppia" — Mondadori, Milano, VII edizione, 1960.

2) « « — "Le occasioni" — Mondadori, Milano, IV ed., 1960

3) « « -- "La Bufera" — Neri Pozza, Venezia, 1956.

4) « « — "Satura" — Mondadori, Milano, IV ed., 1972.

5) « « — "Diario del'71 e del'72" — Mondadori, Milano, 1ª ed., 1973.

6) Claudio Marabiri — "La chiave e il cerchio" — Einaudi, Torino, 1973.

7) Claudio Scarpati — "Invito alla lettura di Montale" — Mursia, Milano, 1973.

8) Sergio Solmi — "Scrittori negli anni" — Il Saggiatore, Milano, 1963.

9) M. Bormioli & G. A. Pellegrinetti — "Letture italiane per stranieri, ed. scolastiche, Mondadori, Milano, Vol. II; 1954.

10) Mario Apollonio — "Letteratura dei contemporanei" — La "Scuola" editrice, Brescia, 1ª ristampa, 1957.

11) Raf. Spongano — "Antologia della Letteratura italiana" — Nouva ed. — Patron, Bologna, 1957, Vol. III.

12) Ferdinando Virdia — "Perche' il Nobel ?" — Settimanale "LA FIERA LETTERARIA", no. 44, anno, 51, 2 Nov. 1975.

13) Eraldo Miscia — "Oggi gli uomini vogliono altro"— المصدر السابق

المصدر السابق

14) Giacinto Spagnoletti — "All'ombra della sua fama"—.

★ ★ ★

قصيدة إلى جواني

للشاعر : بوب ديـلان
ترجمها وقدم لها : خلدون الشمعة

تقديم

إذا صح ما يقوله الناقد الانكليزي « رسكن » Ruskin من أن « الشعر الغنائي » هو « التعبير من قبل الشاعر عن مشاعره الشخصية » فان (بوب ديلان) Bob Dylan ربما يكون أحد أعظم الشعراء المعاصرين الذين يكتبون «الشعر الغنائي» Lyrical Poetry اليـوم ·

وقد ظهر « بوب ديلان » ـ الذي وصفه الناقد الأدبي لصحيفة « النيويورك تايمز » بأنه أهم شاعر في الجيل الشعري الشاب بأمريكا ـ على المسرح الشعري في عام (١٩٦١) لأول مرة · وكان صوته المتفرد الذي احتفى باللغة المحكية والموسيقى المحلية والحس الغنائي والتعبير (المباشر) و (التصريحي) بمثابة تأكيد على أن حركة الحداثة في الشعر إنما تطرق سبيلاً آخر غـير سـبيل القصيدة الاليوتيـة (المواربة) و (غير المباشرة) ·

ولد « بوب ديلان » في (دولوث) بولاية (مينيسوتا) عـام (١٩٤١) ودرس في جامعة (مينيسوتا) لمدة ستة أشهر ثم نزح الى نيويورك وأصبح خلال عام واحد أهم صوت شعري في حركة الاحتجاج على العدوان الأمريكي في (الفيتنام)· وقد أصبحت غنائياته التي سجلت على اسطوانات بملايين النسخ ذات أثر عظيم على

الشعر الغنائي · كما انها أثرت تأثيراً حاسماً على فن الأغنية المعاصرة في الستينات ، وأعادت التأكيد على مسألة التواشج بين الشعر والموسيقى باعتباره تواشجاً علنياً خارجياً وليس تواشجاً سرياً داخلياً ·

ونذكر من أعماله على سبيل المثال :

— Blowin' In The Wind.
— A Hard Rain's A-Gonna Fall.
— It Ain't Me Babe.
— Highway 61 Revisited.
— Lay Lady Lay.
— New Morning.

ولم يكتب (ديلان) الشعر الغنائي فحسب وإنما كتب روايته الشعرية التي صدرت الطبعة الأولى منها في عام (١٩٦٦) وعنوانها :
« رتيلاء » TARANTULA

وأما غنائيته (قصيدة الى جواني) التي نقدم ترجمة لها ، فقد ظهرت في عام (١٩٧٠) في كراس مستقل · ومن الطبيعي أن الموسيقى التي تعتبر العنصر الرئيسي في الشعر الغنائي هي أول وَهم مايفقده الشعر في الترجمة · ومع ذلك فقد حاولت خلق إيقاع مقابل بالعربية لايقاع القصيدة الأصلي ·

ويلوح لي أن الشعر الغنائي قد بدأ يستعيد مكانته في حركة الشعر الحديث · وكانت بدايات القرن التاسع عشر قد شهدت حركة إحياء واسعة للنبض الغنائي في الشعر مع ظهور الرومانتيكية في أوروبا · فقد كتب (وردزورث) و (كولردج) و (بايرون) و (شيلي) و (كيتس) القصيدة الغنائية في (انكلترا) وكتبها (هايني) في (ألمانيا) ، و (لامارتين) و (دوفيني) و (موسيه) في فرنسا ، و (لومباردي) في (إيطاليا) · وفي (روسيا) كتب كثيرون قصائد غنائية يمكن أن تسمى رومانتيكية ·

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، تعرضت القصيدة الغنائية لتأثيرات جديدة

من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فالشعراء (ليكونت) و (تنيسون) و (براوننغ) و (بو) و (فرلين) و (مالارميه) قد أثروا سواء بروما نتيكيتهم المجردة أو « برناسيتهم » أو رمزيتهم على القصيدة الغنائية بشكل عام .

وأما المشهد المعاصر فقد ظهر فيه كل من (لافارغ) و (فاليري) في فرنسا ، و (أودن) في انكلترا و (ستيفن جورج) و (ريلكه) في ألمانيا و (ماشادو) في إسبانيا .

قصيدة إلى جواني

أجثو أيام اليفاعة أجثو
في أيكة تسبرها سكة حديد
أنتش من الأرض ،
العشب
ممزقاً بوحشية ،
الجذور
ممضياً الساعات محصياً الشواطىء
تتطحلب في كفيّ بقع اليخضور
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر دحرجة ،
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مضمومة ،
وأجلس القرفصاء فيما المحرّك
يهرُّ هريراً ،

أحصي العربات الماضية
يتلاشى في الفضاء الصدى
وأدرك أن القطار قد مضى
إذ ذاك أتحول بباصرتي
إلى يدي المخضوضرتين باليخضور
المبقعتين بدم أخضر يقول
إني أخذت وما منحت ،
وألمح رقعة العشب المنتوشة ،
حيث الأديم مقلوب رأساً على عقب
والجذور مجتثة كالجثث لصق شجرة ،
فأقول : « لا يمكن أن يقلقني البتة هذا الأمر »
أو : « لا ريب أن العشب لا يكترث قلامة ظفر »
« سينمو العشب ثانية على أية حال »
« ما أهمية رقعة عشب .. ما أهمية رقعة عشب .؟. »
أمسح كفي مزيلاً بقعاً خضراء
وأطوح بصخرة مسددة على عربة ذات صدى منداح
معلقاً متأرجحاً ثقيلاً على سكة الحديد
كغمامة رعـد
مضمرة في فجر رذاذ
الغـد
أسائل نفسي أن أكون صديقاً لنفسي ،

منسلاً كثعلب مذعور
مغنياً أغنيتي كطفل شيطاني ،
يركل ركلة ويلعن لعنة ،
من داخل رحم أمي
. . . . . .
في سنوات لاحقة ظللت فتياً
ولكن رأسي ازدادت ثقلاً
وتدهلزت أمامي درب
وتوترت في حدود يفاعتي درب
حتى تقهقرت ناكصاً عن بوابات العالم وألعابه المشاكسة
ولما تعد لدي كلمة تقال
لأي باصرتين تحطّان على باصرتيّ
فأوصدت نفسي وأحكمت الرتاج
مضيعاً المفتاح
وتاركاً الرموز تقولب قالبها
وتصنع لي خصمي الذي أمارس معه الخصام
أشهر لساني وأتمرد
أبصق الكلمات بصقاً
أتعلم كيف أصطفي الأوثان التي أحب .
فتتحدث بصوتي وتحكي حكايتي
وتسهم في خوض شجاري الشبحي

كان (هانك وليامس) وثني الأول
غنى خطوط سكة القطار
وأعمدة الحديد والعجلات المزمجرة
لم يدع شكاً في أنها حقيقية
كان رمزي الأول كلمة « جميلة »
لأن سكة القطار لم تكن جميلة
سوداء مُدَخَّنة مجاريريّة اللون
محشوة بالقطران والهباب والغبار
أحكمُ على الجمال بهذه المقاييس
وأقبل بالجمال إذا كان قبيحاً وحسب ،
وإذا كنت أستطيع ملامسته بيدي
إذ ذاك فقط أدرك وأشعر وأتفهم
وأقول : « آهٍ .. إن هذا لحقيقي »
أغذ السير منشداً أغنيتي
كمهرج مغموم
في سيرك عالمي الداخلي
. . . . . .

وفي أحايين أخرى انهارت أوثاني
أدركت أن الأوثان رجال أرضيون
لديهم أسبابهم التي يعللون بها أعمالهم
وما دامت الأعمال لا تخصني فانها لا تخصني على الاطلاق ،

ليس بوسعي الآن أن أعتمد على الأوثان الأرضية بعد الآن ،
ما تعلمته من كل إله منسي
ان ساحة الحرب تخصني وحدي

وانني أنا الذي يرمي بحجره الخاص
الرموز التي نمت وتقولبت
تجاوزت أحجامها وأصبحت مرئية من قبلي
ما زال رمز « الجمال » يهزني هزاً

ثرت مرتين وبدوت أشد خيلاء عشر مرات
ذرعت دربي وغنيت أغنيتي
كمجرم لم يقارف الجريمة
صارخاً من خلف قضبان سجن ليس بسجنه

وفي وقت لاحق صحت وقد أوغلت في العمر
صحت في (نيويورك) ان « الجمال الوحيد كامن في الشروخ وحوافي الأرصفة »
الجمال المتدثر بالأسمال والغبار والهباب

فتشت عنه في كل فج
قفزت إليه متشبثاً بثديه
همست في أذنه

قبلت ثغره

خاصرت خصره ،
أبحرت في جسده
على بطنه انذهلت
كالعاشق الضرير من أعماقي صحت :
« الصوت الذي يحكي باسمي
هو صوت الهباب الأجش
الصوت الوحيد الذي أحسست
الجمال الوحيد الذي مسست . »
وتكأكأتُ على بعضي باختياري
أطعم أفواهي الخاوية
كاتماً كل صوت ،
ذارعاً دربي مغنياً أغنيتي
ملكاً متوحداً
واقفاً في حديقة الملكة
مستبطناً قبراً غير عميق .
. . . . . .
سافر الزمان ومضت الوجوه
تعلمت أفكاراً وأحصيت رؤوساً
مست دربي مساً
ثم انقضت
بعضها تشبَّثَ تَشَبُّثَ صديق

قد يكون الأول ولكنه ليس الأفضل
الآن أتحدث عن واحدة ،
برهنت لي أن الأولاد ما زالوا يكبرون
فتاة التقيتها في ساحة عامة
تُقَيْثِرُ(*) كما أُقَيْثِرُ ألحاناً متوحدة
تصدح بصوت رائع أسمعه لأول مرة
« قطعة جمال » يقول القائلون
« صوت مدهش » يكتب الكاتبون
« أكره هذا الصوت »
أقــول
« الجمال الوحيد هو الجمال القبيح
الجمال الدوّامي (**) ، المُحَطِم ، الذبيح
هو الجمال الوحيد
الذي أفهم وأدرك . »
. . . . . .
. . . . . .
بين لسانينا ثمة بَوْنْ
مجرةُ كونْ
نرسل الضحكات تقرقع

(*) تعزف على القيثارة .
(**) نسبة إلى دوامة .

نصوّبُ بواصرنا في اتجاه واحد
وإذ أدرك انها توشك أن تصدح
ينتصب جدار أصم
بسرعة قذيفة مولولة
مثل زجاج لا يخترقه الرصاص
خارج أذني

أصيح صياحاً عالياً في الدواخل من رأسي
أنصب مصدّاً مزدوجاً يتصدى لكل صوت :
« لا صوت غير الصوت القبيح
لا صوت غير الصوت الذبيح
لست بمن يكترث بصوت آخر قلامة ظفر
إن تكن ذراعي لا تستطيع أن تلامسه
فلا تحسبن انني مستطيع" أن أدركه
ومع ذلك فسأنتظر أن تغني أغنيتك
لأن فيكِ شيئاً لا أعرفه .. »

. . . .

أذرع دربي وأغني أغنيتي
كشاعر رعديد
يسبر شريط شاطىء
يركل بظله شراشب طافية

يستحلب الطحلب البحري
يهرس اليخضور الأرضي
يسمع صوتها يتسرب من سيارة هادرة
يهرف بقصة طفولة انقضت
في أرض تحصد فيها كلاب الطريق حصداً
أشيح بوجهي
محدقاً في الطريق
تصفع الريح صفحة وجهي ،
تتقهقر ناكصة ذاكرتي
فيما ينبسط الطريقْ
أذكر رقعة عشب تحتضر احتضاراً
وتستفيقْ ..
. . . .
. . . .
رأسي مشرعة في الريح
الريح تقصف الكلمات قصفاً
جاذبة أنفاسي فيما تزأر شاحنة
ليس ثمة أغنية أغنيها ..
. . . .
. . . .
في منزل بـ « وودستوك »

الأصدقاء منتشرون على البساط
ساقاي متصالبتان
أشعل لفافة تبغ ، أبتسم ، أحسو النبيذ
تدوِّمُ(*) الغرفة وتُدَوِّمُ
تمخر العباب
« دع صوتها يغني »
يتصايحون
« نحن أشد تعباً من أن نستطيع إيقاف المغني »
يقهقون
وعندما أتكيء على مرفقي العاريين
الحاملين لجسدي ،
وجهي يتجمد حتى العظام
فمي جليد
شفاهي جلمود
تضحك ضحكاً عالياً
تهزهز جداراً يتزلزل
أقهقه كالمجنون يسدد قهقهته
صوت دريئة السقف

(*) أي تدور في دوامة .

تطفو أعصابي ،
حـــرة ،
سائبة ،

أهدهد
الحلم
محتضراً
في
الليل

(ما أن شرعت أتحسس بحاسة اللمس
حتى شعرت أخيراً بما لم يكن هناك
أواه كم كان

حمقاً وذبولاً وحزناً مني
أن أحسب أن الجمال ليس بكامن
إلا في القبح حصراً ،

بينما الحقيقة أن صولجان الساحرة
المائج أمام باصرتي العابرة ،
يجعلني أحسن أن أنفاس الفتاة

الفتاة التي سمعتها أنفاس الفتاة
حقيقية كالجنس حقيقية كالأمومة

عمقها عمقٌ موت عميق
قوتها ضَعْفٌ أضعف ريح هابّة
طولها طول القدر
تشبه طبول الغجر ،
النواقيس الصينية
تختزن تسبيحة غموض لا يستبين
لا يفهم ولا يدرك ولا يُحَل
باليــد
أو
بالقــدم
أو برؤوس الأصابع
غموض لا يستبين وليس قميناً بأن يطلق عليه اسم شائن
من قبل ثلة باحثين عن أجوبة جاهزة سلفاً
في كل كتاب
إلا في دواخلهم
امضِ امضِ في القهقهة
كشري واصفقي بركبتيك
تلك هي طرفتك ، أنا موقن ،

وإنني لأشير حتى إلى نفسي
ولكن واأسفاه ، فالأمر ليستغرق زمناً طويلاً .)

. . . .
. . . .

مرة أخرى حان حين الشتاء
إذن فسأنتظر أوبة الربيع
كيما أعود القهقرى إلى حيث جثوث
عندما سمعت القطار الفلزي(*) يغني

ونتشت عشب الأرض من الجذور
ولكنني لن استنفد قوتي في هذه المرة
أهدر الوقت مقتلعاً العشب
منتظراً صوت القطار

كلا سيكون يوماً آخر في المرة القادمة
ربما يكون القطار هناك حين أؤوب
(ممضياً الساعات محصياً الشواطيء
انتظر صفير السيارات الحديدية الفلز ،
تتدحرج على المنحدر دحرجة
أعض على الشفتين شاهراً قبضة مضمومة

(*) نسبة الى فلز .

وأجلس القرفصاء فيما المحرك يهرّ هريراً
أجثو محصياً الشواطيء والأعشاب
وبدلاً من اقتلاع الجذور
أربت عليها تربيت صديق .
وإذ يقترب القطار
أنكس رأسي للعجلات النحاسية الكبيرة
متذكراً طفلاً شيطانياً طوّح بصخرة
أذرع دربي بين مدار اخضرار الأرض
وبين مدار اسوداد القطار
مغنياً أغنيتي غناءَ ثَوري ،
هـذا أنا
أعرف كيف لا أدفع دفعاً
وأعرف
يا إلهي
كيف لا أحاول !

□●□

معجم الأساطير اليونانية والرومانية

ترجمة وإعداد : سهيل عثمان * عبدالرزاق الأصفر

القسم الأول

□ أباس

١ ـ ابن لانسيه وهيبرمنسنز • وهو ملك أرغوس كما يرى بعضهم • وقد أنشأ مدينة (آبا) في)فوسيد •

٢ ـ رفيق ديوميد • وقد مسخته أفروديت لقلقا بسبب وقاحته نحوها •

٣ ـ اسم صديقين لاينيه ، أحدهما طروادي والآخر أتروسكي •

٤ ـ صديق بيرسيه •

□ ابسيرتوس

الأخ الأصغر لميديا • عندما حصلت هذه على فرو الكبش الذهبي هربت مع جازون ومزقت أخاها هذا قطعا نثرتها على الطريق لتعوق الملك ايتيس الذي كان يطاردها • وقد جمع ايتيس الأشلاء ودفنها في تومي التى تسمى حالياً كونستانس •

□ ابولون

هو من أوسع الآلهة نفوذا في العصور القديمة ، وهو ابن زوس وليتو ،

والأخ التوأم لأرتيميس . ولد في جزيـرة ديلوس التي خصصت لـه . وفي بعض الروايات أنه كان في البدء آله الشمس (فيبوس) وتعني الساطع . وتقول رواية أخرى ان هذا الاسم لم يظهر الا في القرن السادس ق.م . حين عبده الرومان باسم فيبوس أبولون .

وعند الاغريق كان أبولون آلها لكل ما هو خيّر وجميل ، كحفظ النظـام وإحترام القانون وإسـعاد الناس والتخفيف عـن ذوي الضمائر المعذبـة ومنحهم الراحة والطمأنينة وكاله للرماة كان يعاقب المتطاولين . وكان أيضا اله الطب ووالد أسكولاب . وكان يستغاث به في كثير من المدن ولا سيما في دلفوس حيث كان وحيه يكشف الارادة الآلهية للكهنة الذين يؤدونها الى الناس . وكانت مدن عديدة تدعي أنه مؤسسها مثل مدينة طروادة التي بنى أسوارها بيديه . وكان أبولون أيضا آله الموسيقى والشعر ورئيس ربات الشعر . ونظرا لكثرة وظائفه تعددت أسماؤه ونعوته . فمنها منقذ الهلكى ومبيد الجرذان والأفاعي والشافي .

وكانت بداية عبادته في ايطاليا عند الأتروسكيين ثم انتشرت بين الرومان بعد معركة أكتيوم حين بنى له أغسطس معبدا على مرتفع البالاتان اعترافا بجميله لأنه أظهره على أعدائه . وفي الالياذة أن أبولون أوقع الطاعون في الجيش الاغريقي بواسطة سهامه وأنه أوقع الخصومة الحاسمة بين آغاممنون وآخيل . ويجدر بنا الاهتمام بمقارنة الفيلسوف الألماني نيتشه بين الالهين أبولون وديونيزوس فبينما كان الأول في رأيه يمثل الحكمة والتعقل والتفكير والتأمل كان الثاني يمثل الوله الديني . وكانت حياة الاغريق الدينية تتراوح بين هذين المحورين .

أبولون في الفن : تظهر رسوم أبولون على الآنية الاغريقية والآثار الفنيـة الأخرى على مدى العصور . منها رسم على وعاء خزفي يعود الى القرن السابع ق.م يبدو فيه أبولون وهو يعزف على القيثار .. ورسم على صحفة أتيكية يمثله ملهما ربات الشعر (٤٥٠ ق.م في متحف بوسطن) . ومنها صورة على صحفة دورية وهو يحمي هكتور أمـام أسوار طروادة (٤٩٠ ق.م متحف لندن) . ومنهـا أبولون رامي السهام بصحبة أرتيميس (صحفة أتيكية ٤٩٠ ق.م متحف ميونيخ) . ومنها صورة على لوح من الآجر المشوي يعود الى القرن الخامس أو السادس ق.م وموجود

في متحف روما . وقد اشتهر تمثال أبولون المسمى (تمثال تينيه) والعائد الى القرن السادس ق.م .

وفي المنحوتات التي تعود الى حوالي سنة ٥٠٠ ق.م والتي نفذت حسب أسلوب فيدياس يبدو أبولون وهو يكافح الجائحات الفاتكة بالانسان كالجوع والأوبئة . وتتميز الآثار الفنية العائدة الى القرن الرابع ق.م بمزيد من الرونق منها أبولون قاتل الزواحف من صنع براكسيتيل . ومنها الأثر الشهير باسم أبولون بلفيدير في روما الذي يمكن القول انه النموذج الصافي لفن النحت اليوناني . وفي العصر الوسيط كان أبولون يمثل بشكل نبّال . أما في عصر النهضة فكان يمثل كرئيس لربات الشعر وكاله للشمس (دورر) أو كمثل أعلى للجمال (رفائيل في القرن السابع عشر) . وقد غدت تماثيل أبولون مبثوثة في أنحاء الحدائق العامة لتجميلها .

□ آبياس :

حورية رومانية . وقد سمي باسمها ينبوعان يحيطان بمدخل معبد ڤينوس في ساحة قيصر بروما

□ آبيس :

هو الثور المقدس عند قدماء المصريين . وهو حامل روح أوزيريس . ولعل لاسمه علاقة بالآلهة الهيلينية سيرابيس التي عبدت أيضا عند الرومان . وقد عبد آبيس المصري في مدينة منفيس حيث كان يمثل حيا بشكل ثور ذي أوصاف معينة كسواد اللون مع بقعة بيضاء مثلثة على الجبهة .

آبيس في الفن : يمثل آبيس بشكل ثور بين قرنيه هلال وأحيانا بشكل رجل برأس ثور .

□ آتالانتا :

بنت جازون ملك أركاديا . وأمها كليمين . رماها أبوها طفلة ، فأرضعتها دبة ، وقضت شبابها مع الصيادين . فأصبحت صيادة ماهرة وبرعت في ركوب

الخيل . وفي أثناء مطاردة الخنزير البري في كاليدونيا استطاعت أن تصل اليه قبل غيرها فخصها ميليا غروس بجلده مكافأة لها وتزوجها . وفي رواية أخرى أنها كانت بنت الملك البيوتي شونوس . وأنها آلت ألا تتزوج الا بمن يسبقها في مصمار الخيل . واذا فشل كانت عقوبته الموت وقد سبقها ميلانيون وربما هيبومين بفضل ثلاث تفاحات ذهبية أعطته اياها أفروديت فألقاها في طريق آتالانتا الواحدة بعد الأخرى . فكانت تنزل لالتقاطها فخسرت السباق وكسبها الحب . ولما تجرأت مع زوجها على تدنيس غابة منذورة للآلهة سيبيل حولتهما أسدين .

آتالانتا في الفن : كانت آتالانتا تصور على الآنية الاغريقية كصيادة وقد ظهرت في مجموعة تماثيل في معبد الآلهة أثينا في تيجيه وقد تكون من صنع اسكوباس في منتصف القرن الرابع ق.م وتشاهد صورتها مع ميلياغروس على التوابيت أو الصور الجدارية . وقد صورها بعد ذلك الرسام غويدوريني .

□ آتـامـاس :

ملك أورشومين وابن ايول . تزوج الآلهة نيفيل وأنجب منها ولدين هما فريكسوس وهيليه . ثم هجرها ليتزوج اينو بنت قدموس التي ولدت له ولدين أيضاً هما ليارك وميليسيرت . وقد نصحته زوجته الجديدة بأن يتقرب الى زوس بولديه الأولين حتى ينقذ البلاد من الجفاف . ولكن أمهما نيفيل أنقذتهما . وقد غضبت هيرا عليه وعلى زوجته الجديدة التي آوت ديونيزوس فأصابته بالجنون فقتل ولده ليارك وطارد اينو وابنها ميليسيرت ليقتلهما فألقيا نفسيهما في البحر فتلقتهما آلهة البحر . وقد هرب آتاماس بعد جرائمه والتجأ الى فتيوتيد حيث تزوج تيميست.

□ آتروبوس

احدى آلهات القدر الثلاث .

□ آتريد :

اسم يطلق في حالة الجمع على ابني آتريوس أغاممنون ومينيلاوس .

□ **آتريوس :**

ابن بيلوبس وهيبودامي · ووالد أغاممنون ومينيلاوس · اغتال مع أخيه ثييستوس أخاهما غير الشقيق كريسيب فطردهما أبوهما من بيته فالتجأ آتريوس الى الملك ستيلينوس · ثم خلفه على العرش فحسده أخوه ثييستوس ودنس زوجته أوروبا فطرده آتريوس فحاول ثييستوس أن يحرض ابن أخيه بليستين على اغتيال والده الا أن آتريوس قتل ابنه هذا ثم تظاهر بمصالحة أخيه ثييستوس ودعاه الى وليمة قدم له فيها لحم ولدي هذا الأخير · ولما اكتشف ثييستوس هذه الجريمة الوحشية لعن أخاه وذريته وغادر البلاد التي دمرتها بعدئذ سلسلة من الكوارث · وفيما بعد قتل ايجست ابن ثييستوس عمه آتريوس ثم ابن عمه أغاممنون فثأر لهما أورست بن أغاممنون وقتل ايجست · وأصل هذه الكوارث التي أصابت أسرة آتريوس تلك اللعنة التي لحقت بتانتال جده ·

□ **آتوس :**

هو أحد المردة · حاول أن يهاجم السماء فقذفها بجبل فردّه زوس فوقع حيث يوجد الجبل المقدس المعروف الآن باسم آتوس ·

□ **آتيس :**

هو آله الخصب في آسيا الصغرى · وقد عبده الاغريق أيضا الا أن عبادته بقيت آسيوية أكثر منها اغريقية · وارتبطت بعبادة سيبيل · وباعتبار أن هذه العبادة كانت تتراوح بين الحزن الشديد والفرح المفرط فهي تمت بصلة الى عبادة أدونيس · أحبته سيبيل فرفضها فأصابته في عقله فخصى نفسه ولذا كان يعمد بعض أتباعه الى طريقة الخصي والتعقيم ·

آتيس في الفن : توجد صور آتيس على ميداليات من العصر الروماني وعلى بعض التوابيت ويبدو مراهقا يرتدي الثوب اللاصق وقبعة فريجية وبيده المجرفة ·

□ **آتيه :**

آلهة العاصفة الهوجاء والهوى الأعمى · بنت زوس وايرس ، كانت توقع الرجال في الاثم وتضلهم ·

▫ أثينـا :

هي آلهة الحكمـة والعقل والعلوم والفنون وأشـغال الابرة . بنت زوس وميتيس ولدت بطريقة غريبة . ذلك أن زوس عندما خاف أن يزيله عن العرش الوليد الذي ستنجبه ميتيس ابتلع الأم الحامل فكان عليه أن يلد الجنين ، وكان ذلك بأن شق له هيبايستوس جمجمته بضربة بلطة فخرجت آثينا من دماغه بكامل سلاحها . كانت آثينا آلهة لكل ما هو حضاري تحرص على احترام القانون واقامة العدل وتترأس مجالس الشعب . وتعلم الرجال استخدام النار والمحراث والاستفادة من الخيل . ومن جهة ثانية فقد كانت آلهة الحرب المظفرة تقود الجيوش وتبارك المحاربين وكان كثير من الأبطال تحت حمايتها مثل آخيل وديوميد . وكان أوليس الداهية عزيزا عليها ولذلك جعلها هوميروس في الأوديسة حامية لتيليماك ابن أوليس . وبما أنها كانت آلهة الحرب فقد كانت تضع الخوذة وترتدي الـدرع وتحمل الحربة والترس . وكآلهة للسلم كانت تحمل السعادة الى البيوت وتجيد أعمال الخياطة والتطريز . ولذا كانت فتيات أثينا يقدمن لها في عيدها كل أربع سنوات ثوبا رائع الوشي وكانت اثينا أيضا آلهة الصحة والشفاء . وكانت تعبد في كل أنحاء اليونان ولا سيما في مقاطعة أتيكا (حول أثينا) التي حصلت عليها مقابل شجرة زيتون قدمتها الى زوس بينما قدم له بوزيدون حصانا . ومنذئـذ أصبحت شجرة الزيتون والبومة والديك والأفعى منذورة لأثينا . ولأنهـا بقيت عذراء لقبت (بارثينوس) و (بالاّس) أي العذراء . وكان معبدها الأصلي في البارثينون في أثينا المدينة التي خصصت لها وخلدت اسمها حتى الآن . وكان البورجوازيون الأثينيون يقيمون عيدها كل أربع سنوات وقد وحدها الرومـان مع مينرفا .

أثينا في الفن : تعد أثينا الموضـوع المفضل عند قدماء الفنانين الاغريق الذين كانوا يصورونها محاربة متسلحة بالحربة والترس ومرتدية الدرع وعـلى رأسها الخوذة . وكانوا يرسمونها على آنية وهي تشارك في الحروب محـاربة أو حكما . وكان من هذه الآنية نوع يوزع كجوائز في احتفالاتها تبدو عليه مسلحة وواقفة بين عمودين مزينين بالديك وبرمز النصر . ومن أشهر تماثيلها أثينـا

بارتينوس (٤٣٨) ق٠م في البارثينون وكذلك أثينا بروماخوس وأثينا لامنيا في الاكروبول (٤٤٧ ق٠م) وقد فقد الأولان أما الثالث فقد عرف من رأس الآلهة الذي وجد في بولونيا بايطاليا ٠ أما مجموعة (أثينا ومارسياس) فقد نحتت في القرن الخامس الميلادي حسب أسلوب مدرسة ميرون ٠ وكذلك أثينا التي على معبد ايجين ٠ ومن تماثيلها الرومانية أثينا ألباني وأثينا فارنيز وأثينا فيليتري ٠ وهنالك نقوش بارزة لها تمثلها حامية بيرسه على أفاريز من الطراز القديم في سيلينونت (القرن الساس ق٠م) وكمؤازرة لهرقل على أفاريز معبد زوس الأولمبي (القرن الخامس ق٠م) ٠ ويبدو أن النقش البارز المسمى (أثينا قرب الحدود) ينسب الى ميرون حيث تبدو فتاة مفكرة ومعتمدة على حربتها (٥٦٠ ق٠م) ٠ وظهرت صورتها على نقود أثينا وعلى الوجه الثاني صورة بومة ، وعلى أحجار كريمة من عصر أغسطس ٠ ومن النفائس صحفة فضية هيلينستية في مدينة هلدسهايم تبدو عليها جالسة ولابسة خوذة وقابضة بيدها اليسرى على ترسها ٠

□ آجاكس وباليونانية آياس :

١ ـ آجاكس الصغير وهو ابن أويليه ملك لوكريس ٠ أثناء حصار طروادة كان يعد أحد الابطال البارزين ولم يتفوق عليه في الجري سوى آخيل ٠ ولما سقطت طروادة سبى كاساندرة التي كانت في معبد أثينا ٠ فنال عقابه بأن غرق أثناء عودته الى بلاده ٠

٢ ـ آجاكس الكبير هو ابن تيلامون ملك سلماسيس ٠ كان أحد أبطال حصار طروادة البارزين مثل آخيل رد وحده حملة الطرواديين الذين هاجموا المعسكر الاغريقي وحاولوا احراق المراكب وبعد أن مات آخيل طمع في قيادة جيشه الا أن أوليس ، بدعم من أثينا ، بارزه وانتصر عليه فغضب آجاكس واتكأ على سيفه منتحرا ٠ وفي رواية أخرى أنه جن وأخذ يذبح أغنام الاغريق يحسبهم أعداءه ٠ فلما استرد وعيه انتحر خجلا مما فعل ٠ وقد استمد سوفوكليس من هذا الموضوع مسرحيته (آجاكس غاضبا) ٠

آجاكس في الفن : أكثر ما توجد صورة آجاكس على الأواني اما حاملا جثة آخيل أو مقاتلا دونها (٥٥٠ ق.م) . وقد صوره الفنان دوريس على اناء وهو يبارز هكتور . وصوره اكزيسياس وهو يلعب بالنرد مع آخيل (٥٣٥ ق م) في متحف الفاتيكان .

□ أجينور

ابن بوزيدون آله البحر ووالد قدموس وأوروبا وملك فينيقيا .

□ آخيل :

ابن بيليه وثيتيس . لكي تجعله أمه غير قابل للفناء دلكته بطعام الآلهة نهارا ووضعته في النار ليلا ثم أمسكته من عقبه وغمسته في نهر ستيكس فأصبح ممتنعا على الموت الا اذا أصيب في عقب قدمه ولذلك مات عندما جرح في كعبه عند اقتحام طروادة ، ومن هنا جاء اصطلاح عقب آخيل . وكان عليه أن يختار بين حياة طويلة خاملة وحياة قصيرة مجيدة فاختار الثانية . وفي حصار طروادة كان على رأس الميرميدونيين فكان أكثر الأبطال شهرة ومجدا . وفي رواية أخرى أن أمه أرادت منعه من الاشتراك في حرب طروادة فخبأته في بلاط الملك ليكوميد في سيروس . ولكن أوليس اكتشفه باحدى حيله . وأثناء حرب طروادة أهانه أغاممنون بسلبه سبيته بريزييس فما كان من آخيل الا أن انسحب من الحرب ولم يعد اليها الا بعد مصرع صديقه باتروكليس حين انتقم له من هكتور . ثم قتل على يد باريس ابن ملك طروادة والاله أبولون . وخلفه ابنه نيوبتوليم في تتمة احتلال طروادة . تدور أهم حوادث الالياذة حول غضب آخيل على أغاممنون وعودته الى الحرب وانتقامه من هكتور . ويقال ان قبره يقع بالقرب من رأس سيجيوم .

آخيل في الفن : ينقش اليونانيون صورة آخيل على آنيتهم بمشاهد متعددة مثل لقائه مع ترويلوس . وهي صورة على وعاءٍ محفوظ في فلورنسا يعود الى سنة ٥٧٠ ق.م . وفي متحف الفاتيكان صورة له على جرةٍ وهو يلعب النرد مع آجاكس ٥٣٠ ق.م وفي متحف برلين صورة له على اناء وهو يعالج جراح صديقه

باتروكليس ٥٠٠ ق٠م وفي ميونيخ صورة لآخيل وبانتيزيليه على كوب اتيكي ٤٦٠ ق٠م٠ وكثير من الرسوم على الخزف تمثله في مشاهد من حرب طروادة ٠ وقد وجدت على أحد التوابيت لوحة مائية شهيرة تمثل سقوط طروادة حيث يختبىء آخيل خلف ينبوع متربصا بغريمه ترويلوس الغافل عن الخطر الذي يهدده ٠ وفي رسوم مائية وجدت في بمبي يشاهد آخيل مع أغاممنون يختصمان بسبب محظيته بريزييس ، وكذا يشاهد بين بنات الملك ليكوميد في سيروس ٠ أما في النحت فقد اشتهر تمثاله الذي صنعه اسكوباس لمعبد أثينا ٣٣٠ ق٠م وقد تلفت معظم أجزائه٠ أما في القرون الوسطى فقد ندرت رسوم آخيل واشتهرت مجموعة روبينز حوله ١٦٢٠ م ٠ وفي القرن التاسع عشر اقتبس لايتون وسواه رسومهم التاريخية من موضوع آخيل ٠

□ آخيلويوس :

اسم أشهر أنهار اليونان ويسمى حالياً أسبروبوتامزس ويفصل بين مقاطعتي أكارنانيا وايتوليا ٠ ويطلق هذا الاسم أيضاً على اله هذا النهر أحد أبناء أوقيانوس وتيثيس ٠

قاتل هرقل لامتلاك الحسناء ديجانير ولكنه خسر المعركة بالرغم من تحولاته العديدة ٠

آخيلويوس في الفن يمثل بصورة شيخ ذي قرون أو تنين بوجه بشري أو ثور بوجه بشري ولحية طويلة وهذه الصورة الاخيرة تمثل بها آلهة الأنهار بشكل عام وقد وجدت على النقود ومنها نقود جيلا في صقلية ، وقد وجدت نقوش خشبية من العصر الدوري القديم تمثل صراعه مع هرقل (القرن السابع ق.م) ٠

□ آدراستوس

١ ـ ملك أرغوس ٠ زوج بناته الى تيديه وبولينيس وقد طردا من طيبة ٠ ولأجل أن يمكنهما من العودة الى وطنهما قاد حملة من سبته الى طيبة ـ وفي خلال الحرب قتل جميع القادة ما عدا آدراستوس ٠ لكنه مات حزناً على ولده ايجياليه ٠ وكان يمجد في بعض المدن اليونانية كنصف اله ٠

٢ ـ ابن غورديوس ملك فريجيا • قتل أخاه بدون قصد منه وهرب الى ليديا ملتجئاً الى ملكها كريزوس • ولما قتل بدون قصد منه أيضاً ابن كريزوس انتحر يأساً •

□ **أدميت**

هي بنت أوريستيه • وقد سرق هرقل لأجلها زنار هيبوليت ملكة الأمازونات وكانت هذه احدى أفاعيله الاثنتي عشرة •

□ **أدميتوس**

هو ملك فيريس في تساليا • وعندما طرد أبولون من الأولمب رعى غنم أدميتوس تسعة أعوام وجزاء على حسن ضيافته أعطاه حق اختيار من ينوب عنه في الهبوط الى عالم الأموات وساعده على تحقيق الشروط التي فرضها عليه بيلياس مقابل تزويجه اياه ابنته ألسيست فراح أدميتوس يبحث عنها على عربة تجرها الأسود والخنازير البرية • ولما دنت منيته تطوعت ألسيست لتنوب عنه في النزول الى عالم الأموات ولكن هرقل أنقذها وأعادها الى زوجها الحبيب •

□ **أدونيس**

كلمة آدون في الفينيقية تعني السيد • وأدونيس اله فينيقي يموت ويبعث باستمرار • وكانت مدينة جبيل الميناء الفينيقي مهد عبادته • وتقع على مصب نهر أدونيس (نهر ابراهيم) أما في الأساطير الاغريقية فهو فتى أخاذ الجمال عشقته أفروديت • قتله خنزير بري أثناء الصيد فحصلت أفروديت على ميثاق من زوس بألا يبقيه في عالم الأموات الا بعض العام • فكان يبعث في الربيع والصيف ليتابع رحلاته مع أفروديت • وكان يقام الحداد لموته والفرح لبعثه بأعياد سنوية فخمة في كثير من المدن ومنها الاسكندرية وقد وصف تيوقريطس هذه الاحتفالات •

□ **أدونيس في الفن :**

وجدت أقدم صور أدونيس على مرايا وآنية أتروسكية مثل صورة أفروديت وبرسيفون وهما بجانب نعش أدونيس على وعاء وجد في ايطاليا القديمة • وكذلك

تمثالأدونيس في كابوا (القرنالرابع ق.م) وينسب الى الفنان اليوناني أوفرانور٠ وكثيراً ما وجدت صور لأدونيس على رسـوم جدارية كما هو الأمر في بومبي وعلى توابيت رومانية وفيما بعد استمد الفنانون مثل لوتيتيان وروبنز صوراً من رحلات أدونيس للصيد ومن أحزان فينوس عليه وكذلك فعل بعض النحاتين مثل دوروسي وكانوفا ودوفريس وثرولتزن ٠ (والحديث هنا عن أدونيس اليوناني الروماني وليس عن الفينيقي) ٠

□ آراخنة :

فتاة ليدية كانت ماهرة في صنع السجاد بحيث فاقت الآلهـة أثينا في احدى المباريات فما كان منها الا أن مسختها عنكبوتا حسداً منها ٠

أراخنة في الفن : « ظهرت أسطورة أراخنة على افريز في معبد الآلهة أثينا في روما وفي نقش على الزنك للفنان ستيفانو ديلا بيلا وفي لوحـة للفنان فيلاسكيز وكلاهما من المدرسة الباروكية ٠

□ أرتيميس :

آلهة الصيد عند الاغريق ٠ وهي بنت زوس وليتو وتوأم أبولون ٠ ويرجح أن تكون ألوهتها للحيوانات والغابات قـد أتت من أصول أقـدم من الحضـارة الأغريقية ٠ كانت بارعة في الصيد ٠ تجوب مـع وصيفاتها الجبـال والغابات في أركاديا ولاكونيا ٠ وفضلا عن ذلك كانت ، كأخيها أبولون ، تعاقب الخارجين على النظام وتقتلهم بسهامها كما فعلت بالمتكبرة نيوبيه ٠ وكانت مستعصية على الحب وآثرت أن تبقى عذراء ولذلك تعتبر حامية العفة ٠ وملاذاً للأمهات في مرضأولادهن٠ وكما أن أخاها أبولون كان يعد آلهاً للشمس فقد كانت هي آلهة للقمر ٠ وكانت تدعى في اسبارطة أرتيميس أورثيا وكان سكان هذه المدينة يخشون سطوتها ويرجون خيرها ويقدمون لها القرابين البشرية ٠ وكانت في الشرق آلهة الخصب وبهذه الصفة عبدت في معبد ايفيز ٠ أما الرومان فقد وحدوها مع الآلهة ديانا ٠

□ **أرتيميس في الفن** : « كانت تمثل أرتيميس كملكة للحيوانات في الآثار اليونانية الأقدم كما هو الأمر في أثر كورنثي في جزيرة ديلوس من القرن السابعق.م وتمثل أحياناً بشكل آلهة القمر في شعرها هلال وفي يدها مشعل · وهكذا صورت على احدى الميداليات · وتصويرها كصيادة يعود الى مستهل العصر الهيليني حيث تبرز متسلحة بقوس وجعبة وممسكة بيدها اليمنى قرون وعل (وعاء محفوظ في أثينا من القرن السابع ق.م) وهنالك رسم على افريز في البارثينوس يمثلها مستوية على العرش وسط عدد من الآلهة · ووجد لها في بومبي تمثال بلباس طويل يبدو أنه نسخةعنأصل اغريقي منالقرنالخامسق.م. ولها في اللوفر تمثال شهير باسم أرتيميس غابي ، ذو ملامح تجعله قريباً من أسلوب باراكسيتيل (القرن الرابع ق.م) · وغالباً ما تبدو أرتيميس في وقفة مفعمة باللطف ويدها تشبك رداء الصيد من فوق كتفها · أما أرتيميس فرساي فربما كان من صنع ليوشارس حيث تبدو صيادة رشيقة بأذيال قصيرة ومعها وعل · أما ديانا ايفيز فتظهر كآلهة للخصب باثداء كثيرة · وتبرزها الرسوم الجدارية في بومبي بأشكال أخرى ·

وفي الفن الحديث نذكر رسوم كوريج وروبنز وبوشيه وكورو وأعمالالنحاتين غوجون وهودون وميلس وفالغيير ·

□ **آرغو** :

اسم السفينة التي أقلت الأرغيبن الى آيا · وكان يقودها خمسون ملاحا ، وقد تلقت هذه السفينة من الآلهة أثينا قطعة من شجرة البلوط الناطقة جلبتها من غابة دودون وبها أصبحت السفينة قادرة على الكلام والتنبؤ بالمستقبل · وعندما انتهت رحلتها انضمت الى المجموعات الفلكية ·

□ **آرغوس** :

عملاق ذو مائة عين كلفته هيرا أن يراقب ايو التي حولت الى عِجْلة · الا أن هرمس قتله بعد أن ألقى عليه النوم · فنثرت هيرا عيونه على ذيل الطاووس ·

□ **آرغوس في الفن** : « تبدو صورته على بعض الآنية اليونانية كحارس ،

من ذلك وعاء في ميونيخ يعود الى القرن السادس ق٠م٠ وهناك رسوم جدارية لآرغوس في بومبي وروما ٠ وقد رسم روبنز لوحة لآرغوس المتحول الى طاووس ٠

□ **الأرغيون :**

هم الأبطال الاغريق الخمسون الذين أبحروا على سفينة الآرغو بقيادة جازون نحو الكولشيد (جورجيا) لأجل الاستيلاء على الفرو الذهبي ٠ وكان الملك بيلياس قد اشترط على ابن أخيه جازون أن يأتيه بهذا الفرو ليعطيه مملكة ايولكوس وهو فرو الكبش الاسطوري الذي حمل في الهواء فريكسوس واخته هيليه وعندما تقربا بالكبش الى زوس أهدى فريكسوس فروه الذهبي الى ايتيس ملك الكولشيد فعلقه على بلوطة مقدسة يحرسها تنين مخيف ٠ وكان بين الأبطال الخمسين امفياروس وهرقل وأورفيس وتيسيوس والأخوان ديوسكور ابنا زوس ٠ ولم يقبل ايتيس أن يعطيهم الفرو الا بعد أن يقوم جازون بأعمال خارقة منها أن يحرث الارض بمحراث تجره ثيران تنفث اللهب وأن يبذر أسنان التنين ثم يستأصل المخلوقات الخبيثة التي تنبتها وأن يقتل التنين الحارس للفرو ٠ وقد استطاع ذلك بمساعدة الساحرة ميديا بنت ايتيس ولم تكن عودتهم الى بلادهم خالية من المصاعب ٠ وبعد مغامرات عديدة وصلوا الى ايولكوس ٠

الأرغيون في الفن : « من جملة الآثار المستوحاة من قصة الأرغيين رسم على وعاء أورفييتو يبدو فيهالأرغيون وهميستعدون للابحار الى كولشيد (٤٦٠ق٠م)٠ ويحتمل أن تكون هذه الصورة نسخة عن أثر فني لبولينيوت ٠ وقد وجدت مشاهد من رحلتهم منقوشة على علبة زينة من القرن الرابع ق٠م٠ وفي عصر النهضةاستخدم هذا الموضوع في تزيين السقوف الايطالية وقد استمد الفنان بيرودى كازيمو من هذه الأسطورة احدى لوحاته ٠

□ **آركاس :**

هو ابن زوس من الحسناء الأركادية كاليستو ٠ غارت منها هيرا فحولتها الى دبة وبينما كان ابنها آركاس يصطاد قابلها وهم بقتلها وهو يجهل حقيقة أمرها ٠ وهنا تدخل زوس وحولهما الى مجموعتين من النجوم هما الدب الأكبر والدب الأصغر٠

□ **آريـان :**

هي بنت مينوس ملك جزيرة كريت • ساعدت تيسيوس على قتل المينوتور • وأعطته رأس الخيط الذي مكنه من معرفة طريق الخروج من التيه ثم هربت معه لكنه تركها في جزيرة ناكسوس حيث وجدها ديونيزوس نائمة فتزوجها • وقد استقبلها سكان الأولمب استقبالا حسناً •

آريان في الفن : « ظهرت صورة آريان على وعاء شهير موجود في فلورنسا يعود الى ٥٧٠ ق•م• وقد غادرها تيسيوس وظهرت لها رسوم جدارية في بومبي بصحبة ديونيزوس وأشهر تماثيلها آريان النائمة (الفاتيكان) وآريان المهجورة (في اللوفر) وآريان والفهد للفنان دانيكر ١٨٤٠ م •

□ **آريثوزا :**

احدى حوريات البحر • تبعها ألفيوس آله النهر الذي كانت تستحم به الى جزيرة أورتيجيا فطلبت مساعدة أرتيميس التي حولتها الى ينبوع بالقرب من مدينة سيراكوزا فاجتاز ألفيوس البحر ووحد مياهه بمياه ينبوع أريثوزا •

آريثوزا في الفن : « يبدو رأس آريثوزا على نقود سيراكوزا القديمة محاطاً بالدلافين وهي تضم شعرها بشبكة •

□ **آريس :**

هو آله الحرب عند اليونان • وهو ابن زوس وهيرا ولشدة بأسه واعتداده بنفسه أخذ يتطاول على سائر الآلهة ومنهم والده • وكان ذا قامة ضخمة وصوت يشبه الرعد وكان أسرع من كل الآلهة يصحبه الخوف والرعب أنَّى سار ولم يخضع الا لسحر أفروديت التي أحبها • ويحتمل أن تكون منطقة تراس مهد عبادته التي لم تنتشر في الأوساط الشعبية اليونانية كثيراً وقد اتحد بمارس عند الرومان حيث لقيت عبادته اقبالا أكثر •

□ **آريس في الفن :** « كان آريس يمثل على الآنية الاغريقية في مطلع العهد

الهيليني بصورة محارب مكتهل ذي لحية يحيط به بعض الآلهة ويلبس درعاً وخوذة من ذلك رسمه على وعاء أتيكي في متحف الفاتيكان (٥٤٠ ق٠م) ورسمه على وعاء شهير في فلورنسا (٥٧٠ ق٠م) ٠ وفيما بعد أصبح يبدو في صوره أحدث سناً وأقل تجهماً ٠ وهناك آريس لودوفيزى الجالس على صخرة وقد شبك يديه على احدى ركبتيه وآريس بورجيا الموجود في متحف اللوفر وله تمثال من البرونز في متحف الفاتيكان يعود الى العهد الأتروسكي في القرن الرابع ق٠م يمثله لابساً درعاً وخوذة٠ وله رسوم جدارية تمثل حبه لفينوس ظهرت في أطلال بومبي ٠ أما رسامو عصر النهضة فكانوا يفضلون تصويره محباً لفينوس ثم عاد الباروكيون الى تصويره كآله للحرب وقد أصبح مارس أو آريس مصدر الهام لبعض نحاتي القرن الثامن عشر مثل كانوفا وثورفالسدن ٠

□ آريسب :

١ ـ بنت توسر وزوجة دردانوس ٠
٢ ـ زوجة بريام ملك طروادة قبل زواجه بهيكوب ٠

□ أريستوديموس :

ملك اسبارطة وحفيد هرقل ووالد أوريستين وبروكليس ٠

□ أريستوماخوس :

هو حفيد هرقل ووالد كرسفونت ٠ حاول عبثاً أن يقهر البيلوبونيز (شبه جزيرة الموره) وتمكن أبناؤه من ذلك فيما بعد ٠

□ أريستايوس :

هو اله اغريقي قديم وهو ابن أورانوس أو أبولون وكان يعتبر رب الزراعة والصيد وتربية المواشي ٠

□ آريون :

١ ـ مغن وشاعر من جزيرة ليسبوس ٠ صحب برياندر ملك كورنثوس

طويلا • وعندما غادر هذه المدينة في سفينة ذاهباً الى ايطاليا استولى البحارون على ثروته وقرروا قتله فطلب أمنيته الأخيرة وهي أن يسمحوا له بالغناء فاتجه الى حافة السفينة وغنى أحلى أغانيه ثم ألقى نفسه في البحر فاحتمله دلفين كان قد سحره غناؤه ، وأوصله سالماً الى رأس تينار في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الموره ومن هناك عاد الى ملكه بريان‌در • وكان البحارون قد أشاعوا أنه بقي في ايطاليا ففضح آريون كذبهم بظهوره غير المرتقب •

٢ ـ هو الحصان غير الفاني السريع كالبرق العائد لأدراستوس •

□ **أستراباكوس :**

بطل لاكونيا القديمة وجد ديمارات ملك اسبارطة• اشتهر في الحروب الميدية•

□ **أسترايوس :**

أحد المردة الجبابرة وهو زوج ايوس (الفجر) ووالد الرياح الأربع وهي بوريه (ريح الشمال) وزيفير (ريح الغرب) وأوروس (ريح الشرق) ونوتوس (ريح الجنوب) •

□ **أسترايا :**

هي بنت زوس وتيميس • أو بنت أسترايوس وإيوس• أقامت بين الناس أثناء العصر الذهبي الطيب • وعندما أخذ الشر يطغى رويداً رويداً على الخير اختفت من الأرض وصعدت الى السماء وسطعت نجماً يعرف بالعذراء •

□ **أستياناكوس :**

هو ابن هكتور وأندروماك ويدعى أيضاً أسكمندر • عندما سقطت طروادة ألقاه الاغريق من فوق الأسوار •

« **أستياناكوس في الفن** » : يظهر أستياناكوس في لوحات بولينيوت (القرن الخامس ق•م) • كما يظهر على العديد من الأواني الاغريقية • وكان موته مادة

للفن فعلى وعاء من ليدوس صورة له ورأسه مدلى الى الأسفل بينما قبض نيوتوليم على رجله (القرن السادس ق·م) · وصوره بريغوس بالهيئة ذاتهـا على صفحة محفوظة في باريس · وفي صورة مائية للرسام كليوفراديس محفوظة في مدينة نابولي (القرن الرابع ق·م) يظهر بريام جاثياً على ركبتيه بجانب جثة أستياناكوس الدامية·

□ **أستيريا :**

هي بنت المارد كوس وفيبيه · استفزها زوس فألقت بنفسها في البحر فتحولت الى جزيرة تعرف باسمها ·

□ **أستيريون :**

هو ملك كريت وزوج أوروبا ، ربى أبنـاء أوروبا مـن زوس ومينوس ورادامانت كما لو كانوا أبناؤه الشرعيين · وقد عين مينوس خليفة له ·

□ **أسكالافوس :**

١ ــ ملك أورشومين وابن آريس وأستيوش · اشترك في رحلة الأرغيين وهلك بعدئذ في حصار طروادة ·

٢ ــ ابن آشـيرون وأورفنه · فضح بيرسيفون التـي أكلت في الجحيم من رمانة محرمة وعوقب على ما فعل بأن حول الى بومة ·

□ **أسكاني :**

ابن اينيه وكرييوز · هرب مع أبيه من طروادة المحترقة الى اللاتيوم وهناك أسس مدينة ألب الطويلة وعرف فيها باسـم ايول فكان جـد الرومان ولا سيما الفرع اليولياني ·

□ **آســـيا :**

هي حورية بحرية اغريقية وهي بنت أوقيانوس وتيتيس ، وأم بروميثيوس أو زوجته في بعض الروايات ·

□ **أسيدالي :**

لقب لفينوس مشتق من اسم ينبوع في بيوتيا كانت تستحم فيه ·

□ **آسيس (آكيس باليونانية) :**

هـو ابن فونوس · أحب غالاتيا · سحقه غريمه السيكلوب بوليفيم تحت صخرة فاستحال دمه نهرا يحمل اسمه في صقلية ·

□ **آشيرون :**

هو نهر في مقاطعة ايبير يجري قسم منه تحت الأرض ولذلك اعتبره اليونان القدماءأحد أنهار الجحيم، وكانشارونيعبر بأرواحالموتى الى الجانب الآخر منالنهر·

□ **أطلس :**

هو أحد المردة ابن جابيت · شارك في غزو السماء فعوقب بأن حكم عليه أن يحمل على كتفيه القبة السماوية أو الأعمدة التي تقل السماء · وهو والد البنات المعروفات باسم هيادس وبليادس ، وقد توحد منذ القدم مع سلسلة جبال الأطلس المعروفة في شمال أفريقيا لأن بيرسيه حولته الى جبل مستخدمة تأثير رأس ميدوزا ·

أطلس في الفن : « توجد صوره على العديد من الآنيــة الاغريقية وأشهر صوره على افريز في معبد زوس الأولمبي حيث يبدو هرقل وقد أخذ عنه حمله بينما يقدم له أطلس تفاحات هيسبيريد · وله في نابولي تمثال من المرمر يمثله حاملا كرة العالم ·

□ **اطلنطيد :**

اسم البلاد الأسطورية المعروفة بأطلس · يروى أنها كانت تقع غرب أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) ومنها اشتق اسم المحيط الأطلسي·وقد أصيبت بالخسف والزلازل وغرقت في البحر لأن الآلهة عاقبت سكانها الخالدين · وقد وصفها أفلاطون في محاورته (كريتياس) وذكر تفصيلات عن موقعها ومكانتها السياسية وازدهارها وسقوطها · وقد أثارت هذه المحاورة كثيراً من الأعمال الأدبية الحديثة حول هــذه البلاد الاسطورية ··

ويطلق هذا الاسم في حالة الجمع على بنات أطلس هيادس وبليادس ٠

□ آغافيــه :

هي بنت قدموس ٠ تملكها هوس عبادة باخوس فضحّت بابنها ٠

□ أغاممنون :

هو ابن آتريوس ملك ميسين ٠ عندما قتل ثييستوس أبــاه هرب مع آخيــه مينيلاوس الى اسبارطة حيث تزوجا بنتي ملكها تندار (كليتمينستر وهيلين) ٠ وقد نجح أغاممنون بطرد ثييستوس وصار ملكاً على ميسين بينما أصبح أخوه ملكاً على اسبارطة وبعد أن هربت هيلين زوجة مينيلاوس قاد أغاممنون الحملة الأغريقية على طروادة وكانت نقطة تجمع السفن ميناء أوليس حيث قتل أغاممنون أثناء الصيد وعلا يخص الآلهة أرتيميس فحمي غضبها وأسكنت الريح فلم يتمكن الاسطول من الاقلاع فأشار الكاهن كالشاس على أغاممنون بتضحية ابنته ايفيجينيا قرباناً لارضاء أرتيميس ٠ وأثناء حصار طروادة نشب نزاع بين أغاممنون وآخيل كان شؤماً على اليونان ٠ وبعد خراب طروادة وفي طريق العودة اغتالته زوجته كليتمينيستر وحبيبها ايجيست ثم انتقم ابنه أورست له ٠ وقد استوحى الروائي أسخيلوس قصة أغاممنون في ثلاثيته (أوريستي) ٠ وكان أغاممنون أحد البارزين في الياذة هوميروس ٠

أغاممنون في الفن : « يصور أغاممنون بهيئة ملك ذي لحية كمــا في بعض الرسوم البارزة اليونانية في ساموتراس وعلى بعض الآنية الاغريقية يبدو أغاممنون وهو يقود السبية الحسناء بريزييس (باريس ٤٩٠ ق٠م) ٠ وعلى بعض الآنيــة الاغريقية في نابولي نجد رسوماً لأغاممنون أثناء تدمير طروادة وفي بعض الرسوم الجدارية في بومبي رسم لأغاممنون وهو يضحي ابنته ٠ ويشاهد منظر موت أغاممنون على جرار دفن أتروسكية ٠

□ آغاميــد :

هو ابن الملك أرجينوس البيوتي ٠ بنى مع أخيه تروفونيوس معبد ابولون فيدلفي فتمنيا على الاله أن يحقق لهما خــير أمانيهما ٠ فكان أن أماتهما في المعبد

ذاته • وفي رواية أخرى أنهما بنيا للملك هيريوس بيت مال حصينا وصنعا فيه ممراً سرياً • وبواسطته سرقا كنوز الملك الا أن آغاميد وقع في فخ كان الملك قد نصبه فقطع أخوه رأسه وأخذه لئلا تعرف هويته •

□ **آغانيب :**

ابنة ملك الأنهار • كانت حورية تقيم في ينبوع كامن انبجس عندما ضرب الحصان بيجاس الأرض بحافره وكان ماؤه يلهم الشعراء •

□ **أغديستيس :**

مارد نصفه ذكر ونصفه أنثى من نسل زوس •

□ **آغلوروس :**

هي بنت سيكروس • لما دمرت مدينة أثينا في حروب طويلة ألقت بنفسها من فوق الاكروبول تحقيقاً لنبوءة زعمت أن المدينة لا تنجو الا بمثل هذه التضحية • وفي معبدها كان يقسم شباب أثينا الذاهبون الى الجندية يمين الاخلاص للوطن • وفي أسطورة أخرى أن الآلهة أثينا أودعت عند بنات سيكروبس الثلاث صندوقاً وحذرتهن من فتحه • وكان البطل إيريخته مخبأ في داخله ، وبدافع الفضول فتحت الأختان آغلور وهيرسيه الصندوق بالرغم من التحذير ولما وجدتا فيه الشاب أصابهما الجنون والقيتا بنفسيهما من فوق الأكروبول •

□ **آفايـا :**

هي آلهة اغريقية عبدت في جزيرة ايجين حيث بني لها معبد مشهور • وهي في الأصل من كريت •

□ **أفروديت :**

هي آلهة الجمال والشهوة والخصب عند الاغريق • وهي بنت زوس وديونيه• تروي الأساطير اليونانية أنها ولدت من زبد البحر (أفروس تعني باليونانية زبد

البحر) ويبدو أن أصل عبادتها شرقي لأن ثمة تقارباً بينها وبين عشتار . ولم تكن أفروديت آلهة للحب والجمال فحسب بل كانت آلهـة الحياة الكونية وحامية البحارين . انتشرت عبادتها في الموانىء والجزر . وكانت قبرص المركز الرئيسي لعبادتها . ويروى انها خرجت من البحر الى هذه الجزيرة . وعبدت في أماكن أخرى مثل صقلية حيث بني لها معبد على جبل ايريكس . وكان الآلهة والرجال يخضعون لجمالها على السواء . وليس عجباً أن يعطيها باريس تفاحة الجمال التي خصصتها ايريس آلهة الفتنة لأجمل فتاة . وفي بعض الروايات أنها كانت زوجة هيبايستوس. وتزعم رواية أخرى انها زوجة آريس اله الحرب ، وقد أتت أسطورة حب أدونيس لها من آسيا ، وكان آنشيز أحد الفانين الذين نالوا الحظوة بها وولدت منه اينيه . وقد لعبت أفروديت دوراً هاماً في حروب طروادة وهي التي أعطت هلين الى باريس وأشعلت بالتالي الحرب الشهيرة التي ساعدت فيها الطرواديين وابنها اينيه بشكل خاص . وتعتبر الآهات المرح والحب والاحسان من حاشيتها . وكذلك ربات النظام الطبيعي والاجتماعي.وقد خصصوا لها من الطيور الحمائمومن النباتالآسوالرمان. وفيما بعد اتحدتبها فينوس ربةالربيع عند الرومانكما اتحد ابنها ايروسبكيوبيد.

أفروديت في الفن : « في عالمالآلهة الاغريقية تعد أفروديتمن أكثرالموضوعات التي استأثرت بانتاج الفنانين . وكان الفنانون الاكثر قدما ـ ولا سيما على الخزف ـ يصورونها كاسية اما في الحقب الأخيرة وفي عهد الكلاسيكية فقد صورت عارية تماماً أو عارية الصدر . وتوجد صـورة لها على وعاء ايوني من القرن السادس ق.م محفوظة في ميونيخ تمثلها في أبهى حلة في مشهد تحكيم باريس . وفي بوسطن وعاء يعود الى بداية القرن الخامس ق.م وعليه صورة اختطاف هيلين . وعلى صحفة تنسب الى بيستوكينوس ٤٩٠ ق.م تبدو آفروديت راكبة أوزة طائرة . ويذكر أن آبيل رسام الاسكندر الكبير صنع لها صورة أهداها الى معبد اسكالافوس في جزيرة كوس تمثلها خارجة من الأمواج . وقد اختفت هذه الصورة بعد أن كانت سبب شهرة المعبدالذي احتواها .

أما في النحت فهناك أفروديت كنيد للمثال براكسيتيل (القرن الرابع ق·م) وللفنان فيدياس أعمال تمثلها كاسية · وهناك أفروديت اسكوباس التي تضاهي في الشهرة أفروديت كنيد · وقد اشتهرت في القرن الثالث ق·م أفروديت المستحمة للمثال ديد الساس ويوجد هذا التمثال في متحف اللوفر وهناك فينوس الكابيتول في روما وفينوس ميديتشي في متحف نابولي · ولعلهما نسختان عن تمثال هيلينستي وأخيراً يوجد تمثال شهير باسم فينوس دي ميلو (القرن الثاني ق·م) · وهناك كثير من التماثيل الآجرية لفينوس على غرار فينوس كنيد · وقد تناول موضوع فينوس ـ أفروديت فنانو العصور الوسطى مثل فرو وماين الالمانيين فأظهروها بلباس فاخر واشتهر من رساميها في عصر النهضة بوتشيلي ورافائيل وكوريج وفي العصر الباروكي روبنز ·

□ **آفـين :**

اسم لملكة بلوتون عند الرومان ·

★ ★ ★

آراء في جورج لانز

لا يبرح « جورج لانز » منذ صدور ديوانه الأول « هنا ici » عام ١٩٢٠ ، الذي ضمنّه قصائد تغنّى فيها بمقاطعة الأردين ، يؤكد إرادتـه بأن يغدو ابن عصره الذي يعجّ بالآلية والسرعة ، معبّراً عنه في لغة موفّقة •

معجم لاروس

بحث في الشعر الفرنسي لجان روسيلو

إن « جورج لانز » هو واحد من هؤلاء الكتّاب الذين أمسوا شهوداً على العصر الحديث بوضوح قلّ مثيله •
لي مولان

ضـد الحرب ، ذاك بخاصة ما أعلنتـه « البيانات الشـعرية » التي نظم بعضها « جورج لانز » فطبّقت الآفاق ، والتي لا تني تثور على عجزنا عن كشف ما يعسر العثور عليه في العالم والناس •
جان لوي ڤانهام

لقد شرح « جورج لانز » في سبع روايات لـه ، القلق الذي يساور الانسان المعاصر ••• فكانت بداية طيبة لشعره نوه فيه بذكر احساسنا «بصباح العالم الأول»•

جورج ماري ماثيجس

إن ما يروعنـا كذلك ، تلك اللهجـة « البرومثيوسية » التي عبّر فيهـا « جورج لانز » عن المدنيّة الحديثة ، مبشّراً بالمدنيّة المقبلة ، بكل ما فيـه من حيطة وحـذر •
ج• لاكارس

إن أعظم همّ يساور « جورج لانز » هـو دراسـة العالم الحديث ، عبْرَ الطفولة ، والآلة ، والحرب التي لا تني نعلنها ••• تلك هـي المواضيع التي لم يخل منها أثرٌ من آثـاره •
دانييل ديبري

□●□

قصيدة

السلام الذي لا يصدّق

للشاعر البلجيكي : جورج لانز
ترجمة : سعد صائب

قصيدة :
الـ « أنا ... »

Poème :
des « Je suis ... »

أنـا ،
أنـا
لسورة الحريّة
الحنون

□

أنـا
للمعابد القوطيّة
مثلما أنـا
للطائرات المسالمة ...

□

وبين الاثنين
يترجّح قلبي
تبعاً للساعات
والفصول
وهما ابنان
من دم واحـد .

□

أنـا
للسـلام
للعمّال
للفلاّحين
للنجوم
للغابات
للمدن
للبحار .
فماذا تبتغون مني

ـ أعيدوا عليّ ماتبتغونه !
ألا فلتهنأ
بالحياة
مـع عصرها
ولتتعاطف
مع العالم .
أنا إذنْ ،
أنا ببساطة
من عصر
الحروب الكبرى
أنا من الدروب العريضة
من الآلات
من الكهرباء

وهي في منتهى شعبيّتها ...

□

بـلى ،
إن ما قبل التاريخ ليبدأ
مُنْصِفاً
ما كان جديرا به أن يمسي
حداثة غَضّة
وبربريّة .
وإني لأَشهد
لكل من يحيا
كما أشهد لنفسي
بيقظة حيّة
ولن يخالجني شك ،
في أني كنتُ على حقّ .

□■□

قصيدة :
« اقاربكَ ، اقاربكَ »
أو القُرْبى الغريبة

Poème :
des « Tiens, Tiens »
ou de l'étrange parenté

أقاربكَ ، أقاربكَ ،
فلأكن في أحسن حال
عند شاطىء النهر العتيق ،

□

ولأكن في أحسن حال
وأنا أحلّق مصعّدا

وحـدي
في أعنان السماء

□

ولأكن في أحسن حال
آه !
لأكن في أحسن حال

وسط أثاث
وأوانٍ مزخرفة
تبـدو
في شتّى الأرجاء
مرتقبةً اوبتي
مذعنةً لي
وكأن حبّها اياي قد مَلَكَ قلبها :

□

الا إني لأبصر
عن شمالي
مشـكاةً
تُبدي عظمتها
ويـدأ ممتدّة
تُظهر قسوتها لصبّار فولاذيّ .

□

كما أبصر
عن يميني
أيها الأصدقاء ،
ـ دعوني أزجره ! ـ
محرّكاً
يشبه كل الشبه
شكل جمجمتنا .

□

وإذ أفكّر في هذا المحرّك
تعروني هزّة
لأن
هذه القُربى البارعة
تمزج
سعادة جديدة
بشيء من خوف .

□

لذا أراني أطرح السؤال
عن كل شيء
حتى عن الحروب

□

دون أن أنسى
تبجيلي العميق
الريحَ
والأرضَ
والماءَ
والنـار .

□

وبدهي
تبجيلي كل شيء
لـه روح
حتى نُدْفة ثلج .

□■□

قصيدة :
القراءة الصحيحة
أو حول السرعة واللهو

Poème :
de la vraie lecture
ou de la vitesse et du jeu

السرعة
تُبْدعنا ،

□

واللهـو
يُبْدعنا
مادمنا ، بفضلهما
نحيا على نحو آخر ،
وكأنهما حرّرانا
من بعض سحر يستغلق على الفهم ٠

□

وحين نمعن التفكير فيهما
يتاح لنا الوقت
كيما ندخل
المدينـة
ونديم في الوجوه نظرنا ثانيةً
تلك الوجوه التي تحفّ بها
حجارة
بلّور
حلم
وآلات

□

بلى ، بلى ،
فلنحدّد في الوجوه نظرنا
ولنقرأها
ما اوتينا
لأن كل شيء كامن فيها ٠

□

أما نهجنا الذي ننتهجه في قراءتنا
ففي ميسوره أن يُفْضي بنا
الى أن نسوّغ
اعجوبة وجودنا ٠

□

وانه لنصر مؤزّر لنا
بخاصة
اذا كانت هذه العذوبة
تنمّي فينـا
في اللحظة المؤاتية
السرعة واللهو ،
كما تعيد الثقة
الى شاعر
لايفتأ يراوده شيء من شرود
وَسَطْ
أحاسيسه الداخلية
وغلوّه العادل ٠

قصيدة :

طرائف « ولو أن ... »

Poème :

des nouveaux « ET SI ... »

لو أن الملائكة
عاشت ،
ولو أنها تجلّت
حيالنا
على غرّة
كما تتجلّى السهام النارية
في آفاق السماء .

□

لو أن الناس
هبّوا من رقادهم
ذات يـوم
فرأوا
شتيت آلاتهم
وقد سترها
جَسَد حيّ ...

□

مُحال
أن لا يوجد دنيويّ
وأن تمسي الأعاجيب
اليفةّ
أشدّ ألفة
مما نبدعه
وهو نحن
تمامـاً .

□

أعلينا إذَنْ
أن نعيد القولَ
دوماً وأبدا ؟

□

لو أننا
كيما نبـدأ
راودنا الحلم هنيهة ،
ولو أننا أبدعنا
حضارة
باهرة السناء
ملوّنة
وصامتة ؟
ذات نوافذ مشرعة
وأبواب
لا أقفال لها .

□

ألا إن مدن الغـد
كامنة فينا
وكأنها أجِنّةَ
من بلّور واسمنت .

□

بيد أن
الوسواس سيظلّ مستحوذاً علينا
منذ أن تنبعث من الأرض
أوّلُ رائحة .

قصيدة :

الألف عـــام

Poème :

des mille ans

ـ ما الذي سنجنيه
خلال الف عام ؟
ـ مدناً عـْجيبة
أناساً شواذ
شعراء أغرابا .

□

ـ وبعد ألف عام ؟
ـ مدنا عـْجيبة
أناساً شواذ
شعراء أغرابا .

□

ـ وكذلك بعد ألف عام ؟

ـ سنظل نجني دوماً
ـ مدناً عجيبة
أناساً شواذ
شعراء أغرابا .

□

أترى تمسي الغرابة
عندئذ
خالدة
بالقياس اليكم ؟

□

رويدكم ، رويدكم ،
أما ساوركم الشك قـَطـ
فيما تنزعون اليه ؟

□■□

قصيدة :
الحب
او الشِعْر الشمولي

Poème :
de l'amour
ou de la poésie universelle

ــ أنــا ،
أحبّ الشيوخ ٠

□

ــ أنــا ،
أهوى الشباب

□

حَسَنٌ
هكذا
يتيح لنا عالمنا
تخوماً صحيحة ٠

□

ــ بيد أني
أبوح لكَ كما تبوح لي
بأني ،
أهوى الحديد
والنحاس
والرصاص
والقصدير

□

أهوى قسوة الأرض
المحروثة بأسرار عظيمة ٠

□

ــ أما الغد ؟
لكأني بكَ لم تبح لي قَطّ
بشيء عنه ٠

□

ألا ليتكَ ترهف اليه
سمعكَ !

□

ــ إن الغد
درب ساحرة ،
انه خالد ،
نبدعه بضربات من قصائد
متلاحقة ٠

□

لأنه ، هو وحده ،
حتى هذه الساعة
لا يملك سوى حقيقته
وعليها في الواقع أن تمسي
عامة شاملة ٠
أأنتَ موافق ؟

□

ــ موافقٌ ٠

□■□

قصيدة :

الزهو الأخير

واذا
بالأرض
لا تعدو مدينة •

□

وعلى غـِرّة
رأيتني وقد غلب على نفسي الزهو
أتغلغل ممعناً
خلل الآلات
والحديد
والبلّور
والطِلاء
كيما التقي
بنظرة طفل
تذكّرني
بالشجر
والعصور الممعنة في القِدَم •

□

هكـذا
يمزج
الشِعْرُ
العصـور
والسـرعة
والأحاسيس •

□

فيا أيها الطفل ،
إني مُزْجٍ اليكَ شكري !
إذ تَهَبَ لي
هذا الزهو الأخير •

□

– فيم تقول :
زهو أخير :
– اني أقول :
زهونا الأخير ،
الكامن خَلَل
الآلات
والحديد
والطِلاء
والأزاهير
والأطفال ،
ولن يتيح لنا البتّة
الامعان في بحثنا
عن معرفة هذه الأرض
التي لا تعدو مدينة ذات اشعاع ،

□

بيد أنها ،
تصـون
في أعماقها
ذخيرةً لا تنضب

Poème :

d'une ultime fierté

من الهـوام
والغابات
والأنهر الجديدة
كما ستصون ، بلا ريب ،
تلك القصائد
التي يجدر بنا
أن لا نغلو في البحث عن فهمها
وأن نكون يقظين
لأن الكلمات والأفكار
هي التي تكيّف مسلكنا .

□■□

قصيدة :
الثّقب

Poème :
du Trou

يبـدو
أن ثمـة
ثقبـاً
في الفضاء
تتجمّع فيه
مئات الملايين من الشموس .
وانه ثقب عميق
كالغـد .

□

فترانا نمضي هاتفين به .
إلى أين ؟

□

لعلّ
هذا الثقب
يمسي
أقلّ شأناً
من فجر
فوق الأرض ،
من دخان
في السـهل

□

من غراب
يحلّق
ملوّناً بالزرقة
وكأنه معدن ،
من أغنية ،
من تمثال ،
من موسيقا يعزفها انسان ،
من درّاجة

منسيّة
متكّئة على جدار من الاسمنت صغير •

□

لعلّه أقلّ شأناً
من عجلة متقنة الصنع
تدور
من أجلنا
كمهدهدة عذبة
وانه ليحيا
أفضل مما يحيا قلب •

□■□

قصيدة :

Poème :

الفكرة المجنونة

de la pensée folle

والعودة الضارّة :
إني ساع
الى أن أعي
كذلك

□

أأظلّ أعي ؟
ما الذي أعيه ؟
فلأضرب مثلاً :
علام
لا يظلّ
الانسان
والشجرة
ناميين أبدا ؟..
وفيم يتوقّفان عن نموّهما
ــ وما الدلالة
التي أفعما فيها بالنموّ ؟

□

حقاً
إنها لفكرة مجنونة
بيد أن عليها
الفينة حدّ الفينة
ألا تدوم
إلاّ لكي تنقذ
المظاهر •

□

ألا إن الافكار المجنونة
ليست البتّة
هي التي تراود أذهان
هذا الضرب من الناس
الذي يفسد عالمنا
المكتظّ
في سجونه •

□

ها نحن
إذَنْ

أسياد الحركات والمياه ٠

□

بيد أن عليْكم أن تفسّروا لي
المـاء ،
عليكم ، أن تفسّروا
الحركة
ما دام ليس في ميسور الزمن
أن يُمسي
سوى السكون الأسمى ٠

□■□

قصيدة :
العِلْم

Poème :
de la science

فلنعد القول :
ـ عبثاً نسرع الخُطى ٠
إن الغـد
هو الابداع نفسه ٠

□

ثمـة ،
الأسرار كافـة
تترقّب منّا
صابرة كل الصبر
ذاهلة كل الذهول
أن نهب لها
اسماً
وقَدَرا ٠
ذلك
هو العِلْم ٠

□

ـ أو تقولون
ان ليس ثمة انسان
لا يساوره الدهش ؟

□

ـ ولكن كلا ،
لا انسان ٠

□

ألا إن كل سرٍّ خفيٍّ
يتلاءم ومنطقه ٠

□■□

قصيدة :
اللذّة الخارقة

Poème :
du plaisir extraordinaire

ـ يقول الانسان ،
أما أنا ،
فسعيد ،
غاية السعادة
إذ أحس أني أمسي
رويداً رويدا
أصمّ ،
أعمى ...

□

وعلى غِرّة ،
أرهفتُ اليه سمعي ،
وردّدتُ فيه نظري .

□

الحقّ أقول ،
لعلّه كان مصيباً
ولا سيما انه كان خلواً
من نهج للسعادة
دقيق
نهج لن يتاح له البتّة
في هذه الأزمان المحتدمة
أزمان الكهرباء والآلة .

□■□

قصيدة :
الليــل
أو التفاؤل العظيم

Poème :
de la nuit
ou du grand optimisme

كل الليالي
هانئــة ،

□

ـ حتى هذه الليلة التي تشتمل علينا،
هذه الليلة الاطول ؟

□

ـ طبعاً
هذه الليلة بخاصة .

□

أمضوا قُدُماً
حتى عمق الأشياء
لتروا

أن ليس ثمة ممكن
لا يلقى ما يغايره ·

□

تـُرى الى أي شيء
يـُفضي ذلك ؟

□

ألا فلنعد إذ ًن ْ
الى ليلنا القصير
الذي الفناه ،
وانه لليل حالك ،
ليل غراب ،
ليل فحم حجري ّ ،
ليل بوم ،
انه ليل يطفيء المحر ّكات
الواحدة تلو الأ ُخـْر َى
مفضـّلا ً عليها
المصابيح
التي تحكي أطفالا ً فوجئوا على غـِر ّة

□

وبعد ؟
عليكم أن تطرحوا سؤالكم
على القادرين على التفكير
في الأزاهير
في الأهداب
المطبقة
دون ركام
من الظلمات الحنون ·

□■□

قصيدة :
بطوليـة

Poème :
héroïque

إني لأصدح
بقصائدي
جهير الصوت
بكل ما أملك
من شجاعة ،

□

فثمـة ،
في زاوية من زوايا الكون
أعني
في هذه المدينة
التي تـُبـْتـَكـَر فيها
ضروب الآلات

□

آلة سمع ذائعة الصيت
وسناء بهي ّ ·

قصيدة :
الاتقان الطارىء

Poème :
de la perfection imprévu

احتلّت
على غِرّة
ذؤابة من شعركِ الفاحم
مكانها فوق
جبينكِ الوضّاء
وكأنها اتقان مُهان

□

وثمــة
الى جوارها
محرّك
تنبعث منه تمتمة
جديدة غاية الجدّة
كأن لم يُخْلق
أجمل منها
فوق ظهر البسيطة

□

لا ريب ،
في أن الاتقان
عام شامل
ما دام يتجلّى
الفينة حدّ الفينة

في أرجاء
متباينة كل التباين
وضمن أشكال طارئة ·

□

ـ فيا أصدقائي
انها لحقيقة
جديرة بأن تعرفوها دوماً ·

□

عبثـاً
تكمن متوارية ،
لأن الاتقان
يبرز
دومـاً
وكأنه قصيدة ·

□

هلموا !
إنه هناك
وإن لم تدركوه ·
ـ بـلى ،
وإني لأراه ·

□■□

قصيدة :

الحقيقة اليوميّة

Poème :

de la vérité quotidienne

ـ هو ذاك ،
إني لسمح
إذ أقول
إن الحيــاة
ثــورة
تنطــوي
على ذاتهــا

□

تتغيـّر
ولا تتغيـّر .

□

تتقدّم
ولا تتقدّم

□

وانها بخاصة
تفنى
ولا تفنى البتّة .

□

إني لألوذ بصمتي
على الرغم من أن
لديّ الكثير مما أقوله لكم
عن هذه الأمور .

□

ما الذي يعنيه
كل هذا الهذيان ؟
هذه الثورة ،
هذا التغيّر ،
هذا التقدّم ،
هذا الفناء
الذي يبطل دوماً ؟

□

أترى سيُسمو
الشِعْرُ
الى رؤوسكم ؟

□

ـ كلا ، كلا ،
فتلك هي
صغرى حقائقي اليوميّة :
ولكن ماضرّني ،
حسبي أن أنصح لكم
بأن تفكّروا
من آن الى آن
في تعويذتي الحنون

التي أسعى ـ وقد داخلتني رِقّة عليكم ـ
الى أن أعلّمكم اياها ٠

□

وبعـد ،

عـلام
لا نتيح للشِعْر المتسكّع
أن يؤدّي دوره
حين يحلو لنا أداؤه ؟

□■□

قصيدة :
منذرة

Poème :
prémonitoire

نحن
خلال عام ٣٢٧٣
في صميم
عصرنا ٠

□

السماء زرقاء
في أحلى زرقتها ٠

□

قال أحدهُم
للطفل ،
هلمّ
نأخذ سِمْتنا
الى مُتْحَف
السلالات البائدة

□

فسأريك
مومياء قائد
في بِزّة مهرجان ،

ومومياء رجل أعمال
في ثوب سهرة ،
تقيمان وسط
أشياء عجيبة
بحيث لا ندري ماذا نصنع بهما ٠٠٠

□

أيهـا الطفل ،
حـذار
أن تطرح سؤالكَ
عمّا آلت اليه
المدافن العسكريّة الرحبة
ومعامل
هاتيك العصور

□

التـي
يُحرّم فيها
على الناس

أن يفكّروا ٠

□

والتي لم يتبقّ منها
أية ذرّة هباء ٠

□

تُرى ، ما انتفاعهم
آنذاك
بكل ماجنوه ؟

قصائد
لاتني
تتالى علينا
كأنها البحر ،
وسنمسي
غِبّ ستة أشهر
في عام ٣٢٧٤

□■□

قصيدة :
بلا جواب

Poème :
sans réponse

لقد التمسنا
من ملاحي الكون
في شتى الارجاء
أن يحسنوا نيّاتهم بوحدتهم
كيما يحملوا لنا
ما وسعهم
وجوهاً طافحة بالبِشْر
وعلوماً مجهولةً
أو
قصائد جديدة ٠

□

« ولقد قلنا لهم :
لكم الشكر الجزيل ! »

فهذه السعادة الغريبة
لم توهب لنا قَطّ
حتى اليوم ٠

□

وإذ يعوزنا الوقت
للترقُّب
ترانا نعود
لتوّنا
الى التحرّي
عمّا تبقّى لنا
من الأرض
والأنهار
والغابات

والمــدن
والأطفال الأبرياء
والظلّ الطبيعي
والضياء ...

□

ألا إننا سنستعين بكم ،
ومن المؤكّد
اننا سنلمّ بكم
لو أن القلب ناجاكم ،
إذ ،
اننا لا نبتغي البتّة
أن نؤخذ على غـرّة .

□

ألا إن الشعراء
لصابرون
وصدّقوني ،
انهم في منتهى السماحة .

□

ناهيكم عن
أنهم ليسوا متواجدين البتّة
في نظام شمسيّ
دانٍ .

□

وانهم مهما غلوا في البعاد
فلن يفقدوا
صداقة
أوراق
ومعادن .

□■□

قصيدة :
للمعرفة الجيدة

Poème :
pour bien savoir

لدينا
جميعاً
طـرَف من حقيقة .

□

فترانا نـبدع
آلات
دون أن نعي جيّداً
علام ابدعناها ،
ونمضي نشيد مدناً
ونحلم أحلاماً
ونبتكر رقصات
وننظم أغنيات ...

□

دعوا ، هنيهة ،

كل ذلك
وتعالوا مسرعي الخـُطى
تعالوا مسرعي الخـُطى
وانظروا
الى جواد
يجوز الحقول ،
انه لمشهد
بين مطلع الفجر
ومغرب الشمس
نادر المثال ،
لا يـُنـْتسى

□

وإن شئتم
أن تسرّوا عني ،
بدوركم
إذ أني طـُلـَعـَة ،

في أن أعرف
ولأني شدّ ما الوب لهفان
باحثـاً
عن نظام عام ،

□

فرجائي اليكم ،
أن تقصّوا عليّ
في يـُسْر
قصة حياتكم ٠

□

ـ حَسـَنٌ ، هاكم ،
اني أبـدأ ،
فالقوا بسمعكم اليّ :
« أنا عامل
ولدي يدان ضخمتان ٠٠٠ »

□■□

قصيدة :
نصائح
أو ضرب من الخلود

Poème :
des conseils
ou d'une sorte d'éternité

يتساءل الشعراء
عن كل شيء ،
عن عظائم الامور
عن صغائرها
باذلين جهدهم
في معرفة

ســرّ العالم ٠

□

أتراهم يتساءلون
عن السرّ
أم عن الجمال ؟

□

حسبهما انهما الوجه نفسه ،
تمامـاً ٠

□

وتلك لعمري لذّة
لها مزية أختها
وكلتاهما تصنع
صبر زهرة ٠

□

الا فلتدمنوا النظر
الى أوراق الخريف
التي تتساقط
مترجّحةً
في أخاديد
المدن الحديثة

□

ألا فلتفكّروا
في أن آلات
ستُصْنع
فوق سطح الأرض
حتى نهاية العصور ،
وإن نحن شئناها
فستظلّ
ذات يــوم
حيّة كلّها
ولن نحتاج البتّة
الى الحلم بها ٠

□

تلك هي
السعادة المضحكة
التي تبدهوننا بها !٠

□

لا ريب ،
لا ريب ،
لا ريب ،
في أن هذا الأمر قد حداني
الى أن أزجي اليكم نصحي
بأن لا تؤخذوا على غـِرّة ٠

□

ألا إن كل شاعر
يعرف حقّ المعرفة
أن في أعمق أعماق
نبوءتــه
تظلّ صور يومه
هي الأفصح والأبلغ ٠

□

وان آفاقــه
لتلتفّ
حولــه
وكأنها حبال مسحورة •

□

رويدكم ، رويدكم
إن لديّ انطباعاً
انكم تتحدّثون
وكأنكم لن تحيوا
أمداً مديدا !

□

يالها من ملاحظة تبغتكم ،
أتـرى في ميسوركم
أن تفكّروا فيّ
على نحو لم تألفوه ؟

□

ألا إن الشعراء
لن يموتوا البتّة
وان سَنَتَهم
لا تمتّ الى فصول •

□

ومن نحو آخر ،
فلعل الموت
ليس ســوى
تصوّر ساذج
لميلاد الكون •

□■□

قصيدة :

الشيخ الهرم

Poème :

du vieillard

يساورني اليوم
احساس ،
بأني شردت
في كهف
شَعْريَ الأشهب •
وانه لانطباع
نادر المثال :

□

وهو واحد من الانطباعات الجمّة
الذي أضيفه
الى شتيت تلك الانطباعات
التي تفتن اللبّ وتملك القلب في عذوبة
هنـا ،
فوق الثرى •

□

□■□

قصيدة :

المحيّا
أو الغَسيل العظيم

Poème :

du visage
ou de la grande lessive

ـ إن الزهو ليغلب على نفسي ،
وإني لأستشعر الغبطة
إذ أدعكم سعداء هانئين ،

□

ـ ألستم إذَنْ
أهلاً لهذه السعادة ؟

□

ـ ياله من سؤال !
أَوَلم تلحظوه قَطّ
مرتسماً على محيّاي ؟

□

ـ تُرى ماذا ترغبون
أن تصنوا بدوركم ؟

□

ـ قليل من اللهو
وساروي
لمدبّرة شؤون البيت
ساعياً الى
أن أشرح لها
ما يساورني من تفكير
في الكون ٠

□

ـ عندها ؟
ـ عندها ؟
لعل الحلم سيراودها

فتنشر غسيلها
في مرج رحب مشمس
ثم تمضي
من نجم الى نجم ٠٠٠

□

لا تدهشوا ،
إذ ليس للشعر
ايمان
ولا قانون
ولا حدود ،

□

وثمــة ،
كذلك ،
في هذا الزمن
بعض مدبّرات بيوت
ساذجات
كماء الصخرة

□

وأناس
وسط معامل ،
يؤمنون
بفضائل الجبال
وهم على اهبة
لأن يرووا للماء صاخبين ،
متمادين في صخبهم ٠

قصيدة :

السرعات النسبيّة

Poème :

des vitesses relatives

ــ أنــا ،
أهوى آلة
تسـير
وئيدة الخُطى

□

متقنعة الصُنْع ،
توشك أن تتأنسن .

□

ــ أنــا ،
أهوى آلــة
تسـير
حثيثة الخُطى

□

متجاوزة
الاتقان الانسانيّ .

□

ــ أنتَ مُحِقٌ
فكلتاهما :
السرعة
والتؤدة ،

شهوة الكون

□

وانهما لتتماثلان
وتمتزجان
فيــه ،
وهما موجوتان
في ادنى فكرة
وأقلّ مادة .

□

وانهما لتتصرّفان
حتـى
في القصيدة
حيث تحبو
الصــور
أو تومض
في سحر البلّور
والحجارة .

□

هلاّ فْهمتم ؟

□

كــلا .

□■□

قصيدة :

العجينـة

Poème :

de la pâte

أيــاد
تقطـر
أيامـاً
وليالي .

□

تعجن
عجينــة ،
كواكب حيرى
حيــاةً
أزاهــير ،
دُوراً ،
آلات ،
أحداثاً
وأشياء أرضيّة
متماثلة كل التماثل .

□

ألا إن هذه العجينة
التي يستعملها الزمن
وكأنها خميرة
لتأخذ هي نفسها
شــكلها
ولونها .

□

وطبعيّ
أن تأخذ حماسة مصيرها .

□

إن لها صداقة شاطىء ،
ولكم يبدو
أن بعضهم
يلقي بسمعه الى غنائها ...

□

بيد أن هؤلاء
قلــة .

□

ـ ألا اروروا لنا ما طاب لكم
فان ماتروونه
لم يعد كافياً .

□

ـ حَسَنٌ .
إني مبادر الى أن أخطّ لكم
لغزاً
وسأضيف
كيما أعينكم ،
أن هذه العجينة
ليست إلا اسماً بالغ الصِغَر ...

□

ألا فلتبحثوا !

يجدر بكم إذَنْ أن تبحثوا !

□

شريطة أن تعلموا تمام العلم

أن ما يهمنا
ليس دوماً
ما نعشر عليه ٠

□■□

قصيدة :
النــداء
وأنــا

Poème :
de l'appel
et de moi

الشاعر مُغْرىً
بسرّ العالم
فتراه لا يفتأ
يلوب باحثاً عنه ،

□

وها هو ذا اليوم
يحدّ النظر
الى رأس عامل
حتى لتوشك قضيّته
أن تبتسم له ٠

□

تستحوذ عليه
كزهرة بليغة الأثر
عند طرف ساقها الأزرق ٠

□

ترى ، عـلام
يرتدي العمل
هنــا
رداءً أزرق ؟

□

ألا إن الكون
في هذه الهنيهة
ليدعو الشاعر ٠

□

انه ليدعوه
من شتى الارجاء ٠
أما هو
فضائع
مستجد ٠٠٠

□

ألا رحّبوا بالشعراء !
رحّبوا بهم !

□

إن ترحيبكم ليحكي
بَرْقاً لا يُقْهَر ،
يحكي حِواراً ·
ولئن تمادى البرق والحوار
فمن المؤكّد انهما سيقيمان
حول الشاعر
كل ضروب الامان
ويتيحان لـه

الهنيهات الغريبة ·

□

لِمَ لا ؟
إن الشعْر
طيف اشعاع
أما أنا
فمزيج بسيط
أجيدَ تقديره
بزمن
بسـلام
بفضاء
بكهرباء ·

□■□

قصيدة :
الاعجـاب

Poème :
de l'admiration

ـ اني لمعجب
بالشجرة
التي أحْسَنَت رسمَ
شكل أوراقها ،

□

معجب بالساق
التي ابدعت
حدّ أشواكها ،

□

معجب بالعجلة
التي الِفَت أن تمسي
أكثر ليونة
وأشدّ وميضا ،

□

معجب بعينيكِ
الاشدّ سُمْرة ،

□

معجب بهذه الغمامة

ذات الرأس البشري
الأشدّ شرودا .

□

معجب بزَبَد
مراوح سفينتي
وسط الخِضمّ ،

□

معجب بالشمس
التي تبدو ،
مع ذلك ،
وكأن مهارتها
ادنى من المهارة
التي تؤدّيها يدي .

□

ـ تعني
انك معجب
بكل شيء .

□

ـ حقاً
اني لأوشك أن أعجب بكل شيء .

□

مَن يدري
لعلّ فجراً سيطلع
على عالم
لن يتيح لنا الخَيار
إذ سيغدو مفعماً
بالكآبة الحقّة .

□■□

قصيدة :
العِلْم
والابداع
واللهـو

Poème :
de la science
de l'invention
et de l'amusement

ـ هو ذاك ،
انكم تقدّمون لنا
كل شيء تسوده الفوضى .

□

لقد خططتم حولنا
كل ضروب الحدود
فصنعتم مياهاً
وعلوماً
وهواجس
دفعتنا الى التفكير

في أُسَرٍ غريبة
من ملائكة
وشياطين ٠

□

وصَنَعَت
آلات الأمس
ما وسعها
كيما تحذو حذوكم ٠

□

ولم يتبقَّ لنا
إلا كلمات بالية
نُفصح بها
عن هذه الأشياء الحديثة ٠

□

وإذ أن
حاجتنا الى الابداع
لا تكاد تنقطع
فقد عدتُ الى مناجاة نفسي

□

ترُى أين سيفضي بنا
كل ذلك ٠

□

أياً كان الامر ،
فاني أرجو
لأناس هذه الملايين
أن يمعنوا في لهوهم ٠

□

ـ هلاّ قلتم شيئاً ؟
ـ بلى ،
إن الحياة جميلة ٠

□■□

قصيدة :
الدهش العظيم

Poème :
du grand étonnement

الدم أحمر
الورقة خضراء
السماء زرقاء
الولد يشدو
البيت
تغمره الشمس

□

القمح ذهبيّ
الذهب ذَهَبٌ
الطائرة تترقّبني

الزهرة تـُفـْعـِم الجوّ بأريجها
القصيدة جميلة
الارض تدور

□

العَجَلة مدوّرة
البحر مُضني
ويدك دافئة
ونحن نبصر
نجومـاً ،
أطياراً ،
كلاباً ،
حجارة ،
سمكا ،
ضفادع ،
مذياعاً صغيراً
يتحدّث
وحـده

وكأنه حيّ

□

اننا لنستشفّ
الغـد
أحياناً
فنبقيه
وقد ساورته رعشة ٠

□

لكَم يبدو العالم
مذهلاً !

□

ألا إن آلات تنمو ٠
وان انفجارات
تتناهى الى أسماعنا ،

□

واني لأفتح جُمْع كفّي
أوه !
فأبدع أنامل !٠

□■□

قصيدة :
جورج
أو « إني أبـْصِر ٠٠٠ »

Poème :
de Georges
ou des « Je vois ... »

ـ من خلال النافذة المشرعة ،
أبـْصِر

كل شيء وقد غمرته الشمس ،
أبـْصِر

لبلابةً
ومِـدَقّـة
اتّحدتا أيّما اتحاد
بحياتنا المعاصرة ٠

□

لكَ شكري
أيها الضياء ٠

□

لكِ شكري
أيتها اللبلابة
أنتِ يانبتتي الارجوانية
ونبتتي النهارية !
لكَ شكري
على صداقتكَ
يا برج الاسلاك الكهربائية
في شكلِكَ
وضيائكَ ٠

□

إني لأبصر
ولـداً
يخبّيء لي ،
هنيهةً

النبتةَ
وإسمنتها المفرّغ

□

أبصـر
جانبـاً
من مظهر ثلاثة رجال
يحملوننا
على غِـرّة
على ذرف دموعنا
وهم راضون

□

لكِ شكري
يادموعَ الجمّال ٠

□

ألا إنكَ يا جورج
لتهرم ٠

□

أجـل ،
إني لأهرم
بعذوبة
هنيهة إثر هنيهة !٠

□■□

قصيدة :
الحرب الجديدة
و « ربّاه ! »

Poème :
de la nouvelle guerre
et du « Mon dieu ! »

مختبر
هنــا ،
مختبر
هناك .
ننحت فيهما
صابرين
وجــه
الحرب الجديدة .

□

مشعاع
هنــا
مشعاع
هناك .

□

بيد أنه الجحيم !
ربّاه !
ربّاه !
ماذا نصنع ؟

□

ـ لا تقل :
« ربّاه » ؟
فلعلّه
قــد لها
مع ناره
فلم يعثر قطّ على ذاته
في لهبــه
في كيميائه
في لوالبه
وجَبْـره ؟

□

فيا فقراءنا
إنكم لتعلمون
أن من العبث
أن نتمادى في الحافنا .

□

وبعــد .
اذا لم يكن ثمة ماهو أفضل
فعلينا أن نجزم
مثــلاً :
« بأن الشِـعْرَ
يخرج
من أفواه الأطفال » .

□

هانحن
مطمئنّون غاية الاطمئنان
في عالم
منظّم غاية التنظيم
حيث يبلغ
تتابع الاحداث
حدّ المنطق والاعجوبة
على نحو لن يتاح لنا فيه
التفكير ، قلّ أو كثُر

ردحاً من الزمن
بالقنابل الجبّارة ·

□

إني لأسائل نفسي
عمّا اذا كان وَخْز ضميرنا
سيدرك ذات يوم
أعباءَ تلك القنابل
وجبروتها ·

□■□

قصيدة :
الابناء الجُدُد
والحقيقة اللا مجدية
والخطر الذي لا بدّ منه

Poème :
des enfants nouveaux
de la vérité inutile
et du danger nécessaire

مَن منّا لا يعلم
أن كل حكمة
بريئة ؟

□

ألا إن أبناء هذا العصر
قد ولدوا
من الماء
والنِفْط ،

□

ولدوا في دُورٍ رحبة
تعجّ بالغضب ·

□

وانهم لمن عِرْق غنيّ
بيد أنه عابر ···

□

لا ريب
لا ريب
في انكم لن تعلّموني شيئاً ·

إن السعادة والشقاء
هما وحدهما
اللذان لا يطيقان
أيّ تحوّل
لأن لهما قوى راسخة .

□

وأياً كان الامر
فحين يُسْفر الكون قليلاً
فان أسراراً أخرى
تأخذ لتوّها جانباً معيّناً
خلال خفاياها .

□

لكَم قلنا
إن كل حقيقة
لا تجدي ،

□

وإن البحث
قد نابــه أسى
إذ يتشبّث بفراغ لامتناه
كما يتشبّث سمك سليمان
بمصبّات أنهار ملوّثة .

□

لكَم قلنا
إن السر
مجدٍ .

□

ـ وبعد ،
ألا ليتكم تعلمون !

□

ولكي أثيبكم
أضيف
اننا دون جهالة
ودون سرّ
ودون ليل
لن يُتاح لنا
الشِعْر
ولن تتيسّر لنا
السعادة
حتى ليمسي في مقدور
انعدام المغامرات
وانتفاء الاخطار
أن يثيرا آلامنا .

□

تلك هي حياتنا
التي نحياها اليوم
في عالمنا الصغير ،
عالمنا الشاذّ
الذي لمّا ينته ...

□

أيها الابناء
أيّتها الكواكب
أيّتها الآلات
لأنتِ خالدة !.

□■□

قصيدة :

الضاحية الحزينة
أو النُصْح الأخير

Poème :

du faubourg triste
ou du dernier conseil

أهبط
الى الضاحية
التي تلتئم
خلفي
كما تلتئم مقصّات باردة ٠

□

هنا ، وهناك ،
ثمة بعض مصابيح
مبثوثة
ولن يخالجني شك في أنها
بعض هِمَمٍ صغيرة
كأنها بقيّة من حياة

□

بلى ، بلى ،
ومن قليل من هذه الهِمّة المستثناة
تنجم
آلات مألوفة
خلل البلّور
والفولاذ
والحجارة ٠

□

لقد أثّرت الحرب
في الضاحية
مرّات لا عِداد لها

□

وها هي ذي
حيرى
صابرة
رحبة
متكئة على سقوفها ٠

□

حتى لكأننا نبصر
فوق حجارة منقوشة
مخابىء مديدة
لأسماء موتى :
وتلك قصيدته المشوّومة الذهبيّة ٠

□

بـلى ،
إنه لعصر جُنْد
عصر مدن محترقة
عصر أناس فقراء ،
عصر فرائس
عصر فولاذ معبود
وأنظمة مرقّمة ٠

ألا إن الحرب التي هرمت
حــيرى
متكئــة
صابرة ،
أتراها تنشب ثانية ؟
رويدكم !
إن شيئاً لم يُفْتَقَد :
فثمة طفل يعدو
من رصيف الى رصيف ٠

□

وبعد ؟
انه فِلْذَة من سعادة
توشــك
أن تتوارى ٠

□

وكمثل ايماءة
فان الابناء كافة
عابرون
مهيّأوون
للمثول بينكم
متزاحمين
لائذين بالناس البواسل ٠
فيا للقضيّة !

□

أيها الابناء ، طاب صباحكم !
إني محاول
ألاّ أزجّ بكم
في أتون الحرب !
لأن الحقيقة
تنســاب
فوق محيّاكم
وكأنها انعكاسات نور حيّة ٠

□

وتلك ولا ريب
بارقة أمــل
حتــى
لو أن الحزن الذي يعتري الضاحية
قلّما ينسجم معها ،

□

وإخال
اننا لو أردناها
منذ اليوم حتى الغد
مع الشِعْر
الذي هو في الواقع
عِلّة العالم ،
لما أعيانا الامر ٠٠٠

□

ما الشيء الذي لا يعيينا أمره ؟

□

انكم لتدركونه
أكثر مني ،
وإني تارك لكم ،

مرّةً أخرى ،
الاهتمام واللذة
اللتين تختمون بهما الاغنية
وتبدعونهما
كذلك ،
دون أن تعتريكم
ثورة عذبة •

□

فيا أيها الاصدقاء الاعزّاء
ألا ترون
أن الشِعْرَ
كما يتناهى الى سمعي
ليس إلاّ
حضوراً رحبا

□

وحين يَرْفع
حُجُب النهار
وحُجُب الليل
ألا نفاجأ جميعاً
برؤية
أن ما يحفّ بنا
من نظرة
وضياء
وشيء بسيط
أتقِنَ صُنْعه
إنما يحمل لنا الفألَ ،
دوماً وابدا •

□

امضوا إذَنْ
امضوا مفسّرين لي ،
علام نحن مدعوون
لأن نقول لكم :
« اني أهواكم كلكم ،
ولكن ماذا تراني أصنع
كيما آخذ بيدكم ؟

□

ماذا تراني أصنع
كيما افسِّر لكم تفسيراً وافياً
دموعكم
والدوائر المزرقّة التي تحفّ بعيونكم
وآلاتكم
وموسيقاكم
ورقصاتكم
وابتساماتكم ؟

□

ماذا تراني أصنع
كيما يمسي لكل فرد فيكم
وطن صغير جميل
غاية في الجمال
وغاية في الدفء
وغاية في الانسانية ؟ »

□

ألا فلنأمل
في يوم يجيء ،
يرفرف فيه
علم السلام الاكبر
فــوق
الضواحي كافة
تلك الضواحي التي لن ندير فيها
إلاّ معامل
أدقّ وأرهف ،
وإلاّ سماحة
أجلى وأوضح !

□

وسنمسي مجهدين
إن نحن آمنـّا بهذا اليوم
سنضجّ بالصُراخ
من سعادتنا فيه !

□

عند ذاك ،
سندعه يحيا ...

□

ثمة نصح أخير أزجيه اليكم :
« ضعوا أنفسكم جيداً
في معنى
دوران الارض نفسه .

□

على ضوء هذا الوضع نخلد الى النوم
وقد استحوذت علينا الغبطة
بالكون . »

□■□

قصيدة :
التركيب
أو الثِقَل المقدّس

Poème :
de la synthèse
ou du lest sacré

لقد آن أوان
الاقناع .

□

ها أنذا احلـّق اليوم
بطائرتي المعجزة
في سماء أوروبا
فيقع نظري
على جبال الالب

وهي بيضاء ناصعة
كأنها اقمطة ·

□

ومن ثَمّ ،
أزجي ايماءة صداقة
الى الپارثينون(١)
الذي ظلّ تحت طائرتي
ممعناً في عناده
أمداً مديداً
وكأنه ثِقَل مقدّس ·

□

ورويْداً رويدا
اراني محوّماً في سماء پاريس
نصف تحويمة
مرخياً العنان
للطائرة
التي لم تكن قَطّ
تشبه الكون
في نقاء آليّتها ·

□

ثم احوّم
ميمّماً بطائرتي
شطر المدن الجديدة
مجيلاً نظري
بعظمـة
كيما أبصر بجلاء
غمامةً ،
دوني ،
جميلةً
جمال سلام لا يصدّق ·

□

أنا موقن
بأن العالم
سيظل
في هذه الهنيهة
فتيّاً أبدا ·

□

إذَنْ ،
لن يُدْرك ·
لحسن الطالع ·

---

(١) PARTHENON معبد الالهـة أثينا علـى الاكروپول في أثينـا ، زينـه بالتماثيل والنقوش النحات الاغريقي فيدياس (القرن الخامس ق·م) ·

من القصص الفيتنامي

ترجمة : عبد المعين الملوحي

بوي دين با

حارس المنارة

رسا مركبنا على بعد حوالي كيلو مترين من منارة (هوا لانغ) • وعرض علي العامل على الآلات (وونغ تافات) وهو صيني ـ فييتنامي أن نزور حارس المنارة الذي يسميه السيد (ستة) والذي كان صديقاً لوالده •

ووافق الربان ، وأخذنا زورقاً ، انتزع محركه منه ، ومضينا الى المنارة ، نسير بالمجاديف •

وساعدتنا الريح والموج ، وسرعان ما اقتربنا من غايتنا • كانت منارة (هوا لانغ) التي تهدي المراكب في مدخل المضيق ، مؤلفة من بيت صغير من الخشب مدهون باللون الرمادي ويقوم على أربعة أعمدة من (الاسمنت) فوق صخرة يلتصق بها برج للمشاعل يبلغ ارتفاعه ضعفي ارتفاع البيت •

إذا نظرت الى هذا البيت ـ المنارة من عرض البحر بدا لك أنه الصورة الكاملة للوحدة والعزلة •

الحق أن له في الجهة اليسرى أصحاباً يؤانسونه من أشجار الجوز الجبلية ، وأن له من ناحية خليج (ألونغ) بضع جزيرات تنتصب فتخفف من عزلته • أما ما بعد ذلك فليس إلا عرض البحر • وتظهر الصخرة التي تقوم عليهــا المنارة ، وقد كساها الطحلب وتعفنت ، وكأنها غارقة في زبــد الأمواج الصاخبة • والبيت الذي تغطيه الصفائح تنفث مدفأته المصنوعة من التنك خيطاً من الدخان •

هانحن أولئك نصل ، ولمست مؤخرة زورقنا صخرة هناك ••• وهجم علينا كلب أسود ، وكأن نباحه ، في هذه اللوحة البحرية ، يبدو مقبولاً • وظهر من باب البيت رأس ، نصفه أصلع ، ونصفه ذو شعر أبيض ، وتطلع إلينا صاحبه محدقاً فينا• ولم يلبث أن صاح :

ــ آه ••• أهذا أنت يا (فونغ) ؟ ظننتك ــ ثم أمسك فلم يتابع ــ إذن فاربطوا الزورق أولاً ••• أليس لديكم سلسلة ••• خذوا •••

وأرفأنا زورقنا ثم صعدنا الدرج ••• ولم يكف الرجل عن تهنئة رفيقي على صحته وهندامه ، وهو يقودنا الى بيته الصغير فدخلنا واحــداً بعد واحد • كان أثاثه فقيراً ، ولكن الذي أدهشني أنني وجــدت بعض الكتب على منضدة هناك ، ووجدت عدداً من الصور معلقة ، منها صورة للعم (هو) ، وبعض زعماء الثورة الى جانب صورة كبيرة تمثل ثلاثة قادة في رتبة لواء ، جمالهم رائع : في وسطهم لواء يحمل سيفاً ويمتطي صهوة حصان أشقر ، ويمتطي الثاني حصاناً أبيض ، والثالث حصاناً كميتاً ، وسلاحهما حربة وسيف عريض الصفحة •

وقد أوقف الرجال خيولهم على شاطىء نهر تهز الريح قصبه هزة ناعمة •

وكأن اهتمامي بالصورة أرضى صاحب البيت فقال لي ؛ ونحن نجلس على طرف سرير عسكري :

ــ وأنت أيضاً من بحارة المركب رقم ١٢ •

وأجاب (فونغ) عني :

ــ انه جديد •••

ــ صحيح فأنا أعرف كل بحارته •••

قدم (فونغ) للسيد (ستة) علبة من المحار المجفف ، ففتحها أمامنا وقال :

ـ أنت تدللني كثيراً يا ولدي ··· هذا يكفيني شهرين ···

وجعل السيد (ستة) يدور حول الفرن القائم في زاوية الغرفة ، وبعد قليل امتلأ الجو برائحة المحار المسلوق · وجاء بجرة من الفخار وقال : « هذه الخمر أهدانيها ابن عمي » وجاء بصحن من المخلل وهو يعد الطعام : وقال : وهذه هدية ابنتي التي تبنيتها · »

ثم استأنف ·

ـ الوحدة قاتلة ـ كما تعلم ـ ولكن لي ، لحسن حظي ، بنتي الصغيرة · تزورني كل يومين في زورقها · وربما شغلتها شؤون الزراعة أو اجتماعات الشبيبة فتبقى غائبة أربعة أيام أو خمسة · الحياة تنبثق شديدة الحرارة في القرية ، والفلاحون يؤسسون مزارع تعاونية · وأنا هنا دائماً وحيد ، أقضي حياتي في نسج الشباك ، وفي قراءة الحكايا القديمة وإعادة قراءتها · ويمكن أن أسمع ، علاوة على زمجرة الأمواج ، صرخات طيور البحر وصفير المراكب ·

ولكني لا أسمع صوت انسان · جرّب أن تعيش عيشتي أسبوعاً ، ثم أنظر ما يحل بك · ومع ذلك فان الشيوخ يتحملون الوحدة أكثر من الشباب · أنت في ميعة شبابك وأنت تعيش عيشة طيبة مع الحبال والمحركات ، ولا حاجة لك لكي تعيش منفياً في هذه المناطق ·

وملأ العجوز أقداحنا ؛ وهو يرفع كأسه :

ـ هذه خمرة أرز (كام) أصلية · في صحتكم ···

كان لهذه الخمرة لون الخوخ ، وطعم خاص ··· وجرع العجوز جرعة ووضع محارة مسلوقة في فمه جعل يلوكها بالبقية الباقية من أسنانه ·

ـ يا فتى ، في الماضي لم يكن لنا شيء نضعه تحت أسناننا ، والآن وقد انتهى عهد الشقاء وجاء الخير ، حلت بنا الشيخوخة فلم تبق لنا شهية · إن المجاعة هي التي انتزعتني من أرضي ومسقط رأسي · منذ عشرين سنة تركت كل ما هو عزيز علي لأعيش حياة الوحدة هذه في حضن الامواج ·

واعتدل العجوز في جلسته ثم تابع وهو يتنهد :

ــ لقد عرف أسلافي المجد • الصورة التي تأملتها تمثل اللواء (تران هونغ داو) وعقيدين من ضباطه • وأنا أنحدر من سلالة أحد هذين الضابطين • من الضابط الذي يمتطي الحصان الكميت على يسار اللواء •

ورفعت عيني • غريزيا ، لأرى من جديد هذه الشخصيات التاريخية وسألته:

ــ من رسم لك هذه اللوحة ؟

ــ فنان من بلدنا ، وصفت له جدي القديم كما تصورته ، وأنا أقرأ أنساب أسرتنا ، وأتم الفنان اللوحة حسب خياله ، وقد وفق الى إعطاء هذه الشخصيات سيماء العظمة • ليست اللوحة سيئة ••• ماذا ترى ؟

ــ لا بأس ، ولا سيما بالنسبة الى فنان من قريتك •

وبدا السيد (ستة) فخوراً ، وشرب جرعة أخرى من الخمر •

ــ نعم إن البؤس هو الذي طردني من مسقط رأسي • كنت في السادسة والثلاثين من عمري •• كنت في طفولتي قد ألممت بشيء من العلم • وبفضل تدخل أحد أعمامي نلت وظيفة في الأشغال العامة ، وجئت لأعمل في منارة (لونغ شو) وفيها عرفت والد (فونغ) هذا •• ياله من مسكين ، مات فجأة إثر برد أصابه • وبعد موته عملت في (هوا لانغ) وأنا فيها منذ عشر سنوات ••••

وهكذا فقد قضيت عشرين عاماً في هذه العزلة •

ورددت رغم أنفي : ــ عشرين سنة من العزلة ••• ذلك مخيف •

ــ كان العجوز سابحاً في أفكاره وجعل يتكلم كأنه يتابع حواراً داخلياً :

ــ الريح والأمواج ، والنجوم اذا حل الليل • هؤلاء هم أصدقائي • وهناك أيضاً السنونو وزمج الماء ••• وكلبي (موك) منذ سنوات •••

ولكني كنت أشتاق دائماً الى صوت إنسان ، ولا سيما بعد أن تركتني ابنتي وذهبت الى البر ••

آه ··· ما أشد شوقنا هنا الى البر ···

لقد تغير الزمان ، وأنا أيضاً يداعبني الأمل في العودة الى الأرض ولكن فكر في سنوات النفي الاولى التي كابدتها ·

كنا تحت الحكم الفرنسي · كنت في الليل ، أفكر وأفكر ، وأنا أصغي الى الريح تزأر ، والى الأمواج تزمجر ·· أرى الطفل الذيكنته ذات يوم ، شعره كأنه خوخة فوق رأسه ، يعود من المدرسة ، ويلعب في بركة القرية حتى الليل ·

كنت أنبش ذكرياتي عن أعياد القرية بعد الحصاد ، على أنـوار المشاعل ، وأصوات الطبول ، والمسرحيات التي تقدمها الفرق الشعبية · كنت أتذكر كل زقاق في القرية ، وكل زخرفة في معبد الضباط الخمسة اللامعين في جيش (ترانهانداو) وأستمع الى صوت الراهب ، حارس المعبد يقص حكاية المعركة التي خاضها هـذا القائد ضد القائد الساحر (فام نان) · وكانت أفكاري تذهب أيضاً الى أسرتي··· عندما باعت آخر ما تملك من حقول الأرز ؛ الى جدي الذي سقط من جذع شجرة التين العتيقة ، وهي رمز قريتنا ، ومات أثناء مجاعة مخيفة ···

من أعلى هذه المنارة يمكن أن نرى سلسلة من الجبال ليست جد عالية تختفي قريتنا (جيا لوان) وراءها ، ولا تظهر منها إلا ذروة تلك الشجرة الكبيرة · ولقد اخترتالحياة في هذا المنفى كيلا أموت جوعاً مثل جدي · ورويداً رويداً ألفتطلوع الشمس من البحر عند الصباح ، وغروبها في البر عند المساء · ومع ذلك ···ففي قلبي ألم عنيف لا يمكن أن يزول ··· أتعرف ماهو ؟

إن هذا الالم يهاجمك كلما رأيت مركباً أجنبياً يمر أمام المنارة ويتجه نحو مضيق (باش دانغ) هذا المضيق الذي أباد فيه أجدادنا الغزاة المغول ·

نحنفي أرضنا ، هـذه المرافىء العالية مرافئنا ، ومع ذلك فان البواخر التي تدخلها ترفع علماً مثلث الألوان ··

في كل يوم كان يتكرر هذا المشهد أمام عيني ، وفي كل مرة كنت أرفع رأسي

نحو صورة جدي ورفاقه في السلاح ، فلا أكاد أحتمل نظراتهم ، وقد ملأها عتاب عنيف ، يدوي في أذني فلا يفارقني ٠

وأنا أرجوهم في أعماقي أن يعفوا عني ولا يؤاخذوني ، أنا حارس المنارة المسكين ٠ ماذا أستطيع أن أعمل لبلدي في هذا الساحل الموحش ؟٠٠٠

في ليلة من ليالي الشتاءفي عام ١٩٤٩ سمعت صرخة استغاثة وأنا نائم ٠٠٠ ظننت أني أحلم ٠ وعند الصباح الباكر ، كنت أصعد المنارة لأتفقد الغاز ، فوجدت رجلاً يتمدد على الرمل وقد أمسك بصخرة ٠٠٠ وأسرعت في الهبوط ٠ كان الرجل ميتاً ٠٠ كان في الثلاثين من عمره ، وفي وجهه سيماء الطيبة والخير ٠ كان لايزال يمسك بيده المتشنجة الثانية طفلة في التاسعة من عمرها ٠ كانت مغمضة العينين ، صفراء الوجه ٠ أسرعت فوضعت عند أنفها عــوداً مــن الطحلب فجعل يهتز هزة خفيفة ٠٠ وأسرعت في إنقاذها من بين ذراعي الرجل ، وعرفت بعد ذلك أنه أبوها٠

حملتها الى غرفتي ، وخلعت ثيابها المبللة ، ولففتها بغطاء دافيء٠٠وأشعلت ناراًحامية لادفيء الغرفة ثم دلكت الطفلة بالكحول ٠٠٠٠ وعادت الى الحياة رويداً رويداً ، وفتحت عينيها البريئتين ٠ وصرخت فرحاً ٠٠٠ إنها أول مرة أشعر فيهــا بالفرح في هذا المنفى ٠

واعتدل السيد (ستة) في جلسته مرة أخرى ٠ وكان (فونغ) قد شرب كأسه الرابعة ، وكان خلال حديث صاحب البيت ، وكيلا يزعجه في رواية قصته ، يقوم بعمل كل شيء : يغلي بعض المحار ، ويصب الخمر ، بل يحمل الى العجوزغليون الماء٠

ــ وهكذا عادت الطفلة الى الحياة ٠٠٠ وفي عرض البحر ٠٠٠ كان حطــام المراكب يتجه الينا ٠٠٠ ولكن لــم تكن هنالك عاصفة ٠٠٠ وعلمت بعد ذلك أن بحارة الجيش الفرنسي المستعمر ، بعد عودتهم من عملية تمشيط لقوى الثورة ، صدموا ، عن عمد ، زوارق الصيد التي يملكها صيادونا ، فاغرقوا ستة زوارق منها وقتلوا كل من فيها ٠

لقد كان المستعمرون الفرنسيون حانقين على صيادينا ، الذين كانوا مع المقاومة والذي ناضل عدد غير قليل منهم ضد الاستعمار ٠

والرجل الذي أوى الى جزيرتنا كان واحداً من الفدائيين وقد لقى الموت هو وزوجته في تلك الليل ٠

جاء في اليوم الثاني أهل الصيادين وأصدقاؤهم للبحث عنهم فطلبت منهم أن اتبنى الطفلة٠كانت تبكي كثيراً على أبيها وأمها ، ولكني أحطتها بألف عنايةوفعلت كل ما أستطيع لادخال العزاء الى قلبها الصغير ٠

لقد أدخل وجود داو ــ وهذا هو اسمها ــ البهجة الى منزلي٠٠٠بدا لي الشتاء منذئذ أقل قسوة ، والصيف أقل ثقلا ٠٠٠ بل بدا لي أن جدي القديم يبتسم،وأنه مسرور مثلي ، وأقسمت على العناية ، قدر ما أستطيع ، بطفلة هذا الفدائي ٠٠٠ وأقنعت نفسي أنني عندما أعنى بها فأنا أسهم ولو قليلاً في المقاومة٠كنا نعيش في شكل من الاشكال على ثلاثمائة قرش هندي ــ صيني أكسبها شهرياً ، فنأكل أرزاً في بعض الأحيان أو بطاطا حلوة ٠ وأخيراً أهدتني أختي هذا الكلب (موك) فتقاسمنا ، نحن الثلاثة ، هذا الكوخ الصغير الذي تزداد صداقتي له يوماً بعد يوم ٠

حارس المنارة ليس له عمل كبير :

يراقب ضغط الغاز ، يمسك اللائحة ، وعندما يهبط الليل يوقد النار ٠ كنت أقضي كل أوقاتي في تعليم الطفلة القراءة والكتابة ونسج الشباك ٠٠٠ وكانت سرعان ماتلتقط تعليمي في مهارة ودون عناء ٠

وكانت الشباك التي تصنعها بيديها تباع في سهولة ٠٠٠ وكنت بما تكسب من مال ، أشتري لها حيناً منديلاً وحيناً قماشاً ٠٠٠ وهكذا عشنا ، نحن الثلاثة ، في صفاء وانسجام حتى أقر السلام في بلادنا ٠ كانت ابنتي قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، وبلغت أنا الخامسة والخمسين ٠ ولاحظت من أعلى المنارة أن هنالك تغييرات خارقة للعادة ٠٠٠ في صباح يوم رائع لاحظت أن البواخر الفرنسية ، الصغيرة والكبيرة ، تنسحب في خط طويل لا ينقطع من مرفأ (نام تريو) ٠ وعند

الظهر رأيت من أعلى المنارة بساطاً أحمر وراء سلسلة جبال (رو) إنه علم كبير نصب على شجرة التين الباسقة في قريتي (جيا لوان) • وبعد الظهر زارني مسئول من الثوار في زورق :

وقال لي :

ـ لقد تحررت البلاد من المحتل المستعمر ، وهذه المنارة أصبحت لنا • احرص على أن يبقى لديك ما يكفي من الغاز لاشعالها • البواخر الأجنبية سوف تصل الى مرافئنا تباعاً •

كنت أريد أن أقول له : ـ ثق بي • سأقوم بواجبي حتى الرمق الاخير • ولكن الكلمات ـ واأسفاه ـ لم تسعفني • ولمعت عينا الرجل العجوز ، وجعل يكور كرات من الدخان الفيتنامي بين أصابعه ويلقي بها في غليون الماء ثم يسحب نفساً وينفث سحابة من دخان •

ومن جديد رفع صوته المنظم الذي لم تستطع الريح ، التي تعول في صفائح سقف البيت ، ولا زمجرة الامواج المتكسرة على الصخور ، أن تتغلب عليه •

ـ وبعد أسبوع ، ولأول مرة في حياتي ، رأيت مركبين فرنسيين يبحران الى (هايفونغ) وعلى السارية الرئيسية في كلا المركبين يخفق علم أحمر وعليه نجم أحمر •

ومن أعلى هذا البرج هزني هذا المنظر الرائع ولم أصدق عيني « هذه الألوان ألواننا ، أنها تجسد مجد أجدادنا • » وناديت الصغيرة (داو) وظلت ، وقد استطارها الفرح ، تلوح بيدها للأعلام الحمر التي تخفق في الريح ••• وظللنا ، من موقعنا هذا، نراقب كل ما يحدث في بلادنا من تطورات لم نشهد لها مثيلاً •

بعد سنة واحدة بدأت مداخن معمل الاسمنت تنفث دخانها • وفي السنة التالية ها هي ذي الأبراج في معمل محفوظات السمك تنبثق من الارض •

تابعت حياتي في البحر ، ولكنني كنت استقبل كل شهر أحد الرفاق الذي يأتي لينوب عني في العمل لأذهب الى البر واحضر اجتماعات النقابة ••

وقال لي رئيس المصلحة ذات يوم :

ــ يا جدي (ستة) لقد ظللت حارساً للمنارة عشرين عاماً · وهذا كثير · أتريد الآن عملاً على البر ··· »

وسكت · فذكرت سنواتي العشرين وأكثر من العزلة · لقد تركت البر وعمري ست وثلاثون سنة ، وأنا أناهز الآن الستين · شعري الأسود أصبح أبيض ، وفقدت ثماني أسنان من أسناني خلال إقامتي في المنفى ·

كم عقتني الايام ، وكم أوحشتني الليالي ·

ليس لي امرأة ولا ولد · أنا ــ كما يقولون ــ شجرة لا تحمل ثمراً ··· وظللت ألتزم الصمت وأبكي ·

هذه هي السلطة الشعبية ··· لقد فهمت آلامي ··· فكأنها سكبت في قلبي العطر والسكينة · ونظرت الى رئيس المصلحة شاكراً وأشرت برأسي : لا ··· وعدت إلى صخرتي في البحر ·

في مطلع هذا العام ، جاء السيد (ها) وهو حارس منارة مثلي ليحل محلي خلال العطلة الاولى في حياتي : خمسة عشر يوماً ·

أخذت معي (داو) الصغيرة الى قريتي ومسقط رأسي · ياله من انقلاب حقيقي ···

نعم لقد سحقت قنابل الطائرات مجلس القرية ، ومعبدها ··· ولكن ··· الناس ··· إنهم لا يأكلون الآن حساء ليس فيه أرز ، ولا طحالب البحر وحدها··· كلهم أصبحوا ، والعزة تغمر وجوهم ، كلهم أصبحوا يتنفسون فرح الحياة · ولقد عرفني أهل القرية جميعاً · آه إن أصدقائي في الشدة لم ينسوني في الرخاء ، رغم غيابي الطويل عنهم · قالوا لي : عد إلينا وعش في القرية معنا · وقلت لهم : « شكراً شكراً · أنا أريد أن أقضي مابقي لي من عمري هناك في المنارة قبل أن

أسلم اليها عظامي · ما تزال هنالك نيران أريد أن أشعلها ، إن عملي مهم جداً · أشعل النار لأهدي الى شواطئنا ومرافئنا البواخر القادمة من البحار الصديقة · »

قلت ذلك وعدت الى صخرة المنارة مع صغيرتي (داو) · ولكن فكرة خطرت لي فعكرت مزاجي · لقد أصبحت (داو) صبية ·· عمرها خمس عشرة سنة ، ويجب التفكير في مستقبلها · وقررت أن أرسلها الى بيت أختي في القرية · وذلك ما فعلته في السنة التالية ·

قبل سفرها قصصت عليها تفصيلات المآسي التي أصابت أباها وأمها كما جمعتها وعرفتها · وظلت في أول الحكاية صامتة لا تبكي ، وأخيراً انفجرت في البكاء وظلت تبكي طوال الليل ·

إنها الآن في القرية منذ أربع سنين · لقد أصبحت صبية جميلة · إنها تنسج الشباك وتشترك في حركة الشبيبة · لطيفة دائماً ومبتسمة · وما تزال ـ كما كانت ـ تحبني · تزورني في قارب كل يومين ··· من بعيد ترتسم ابتسامتها على وجهها كأنها تقول لي : « ما أسعدني بلقائك ياجدي · »

وسكت الجد (ستة) ونظر من النافذة ··· كانت الامواج صاخبة بعدالظهر، وجعل القارب يهتز وترن سلاسله ·

هذه ساعة زيارتها · ربما عاقتها بعض الاعمال هناك ··· الناس عندنا يتجمعون في تعاونيات · ويذبحون غزلاناً صادوها في جبل (رو) ليقدموها وليمة في حفلة الافتتاح ·

و « بلد ياتي » تذكروني فأرسلوا إلي مع صغيرتي (داو) فخذ غزال · كل من في القرية يعمل الآن حسب طاقته · الرجال يذهبون الى الحقول أو الى البحر ، النساء يعملن في تربية المواشي أو في نسيج الشباك · وابنتي عضو في مجلسالقرية وفي منظمة الشباب · وأنا الذي علمتها صنع الشباك أصبحت عضواً في مجموعتها · إنها منهمكة في العمل ، ومع ذلك فهي تجد دائماً الوقت الضروري للعناية بي · جاءت مرة ونادتني من تحت ، ولم أستطع أن أرد عليها · كنت محموماً ، وصعدت

مسرعة ، لتضع يدها على جبيني اللاهب ، وجعلت تبكي فأغرقت الدموع خديها ٠ وقلت في صوت خافت : « لا تبكي ٠٠ ياصغيرتي ٠٠ ما أزال حيا ٠٠٠ » ولم أكد أقول لها ذلك حتى شاركتها في البكاء ٠ ثم قالت لي :

ـ أنت عجوز ، ياجدي ٠ ولك الحق في الراحة ٠ اطلب إحالتك على التقاعد ، وأنا أتطوع للعمل مكانك ٠ »

ـ ولكنك يابنتي مجنونة ٠٠ أنت صبية ويجب أن تفكري في الزواج ٠

وقالت ٠

ـ ليس الآن ٠٠٠ ما يزال من واجبي أن أعنى بك ٠٠ وبعد موتك ، نعم ، سأتزوج ٠

لقد مست هذه الكلمات الساذجة حبة قلبي ٠ وقلت لها في ابتسامة :

ـ وماذا لو عشت عشرين سنة أخرى ٠ كلا ، يا (داو) ، علي أولاً أن أشهد عرسك ٠٠ وبعد ذلك أموت ٠

يا للطفلة المسكينة ٠٠ لقد أدركت مشاعرها ٠٠٠ إنها تريد أن تبقى سيدة نفسها ومالكة لأوقاتها ، حتى تستطيع زيارتي ، كلما أرادت ، وترقيع ثيابي ، وإعداد طعامي المفضل ، حساء المحار ٠

ولكن حدث ما كان يجب أن يحدث ٠ بعد عيد رأس السنة جاءت ، وهي أكثر ما كانت فرحاً ، تضحك في كل مناسبة ، وتنط كأنها عصفور ٠ لم تكن في حياتها كلها في مثل هذا الصخب ٠ وسألتها :

ـ ماذا حدث لك ياصغيرتي فجعلك سعيدة الى هذه الدرجة ؟

ـ لا شيء ٠٠٠ لا شيء ٠٠٠

ـ ولكني أشعر أنك تخفين عني شيئا٠

وارتبكت (داو) ، واحمر وجهها ، وقالت :

ـ لقد انتخبوني عاملة ممتازة في التعاونية ·

ـ ولكنك قلت لي ذلك من قبل ·

وحدقت (داو) في عيني وقالت :

ـ ولكني أخشى أن تغضب ·

ـ كلا ·· كلا

ولما رأيت أنها ما تزال تتردد قلت لها :

ـ هيا يا صغيرتي ·· أخبريني خبرك السعيد · هل خطبك أحد الشباب ؟

ولم تجب (داو) ، وتركت رأسها يسقط على كتفي ، كأنها ارتكبت ذنباً ، وحاولت جاهداً أن أخفي عنها حزني العميق :

ـ هل وافقت يا صغيرتي ؟

ـ لا

ـ ولماذا ؟

ـ لا أعلم

ـ ومن هو ؟

ـ ····

ـ أليس هو (كانغ) ؟ إنه هو ·· إذن فأنا أهنئك ياولدي · ولكن عديني أن تزوريني كلما سنحت لك الفرصة ·

ولم تجب (داو) ·· وذهبت الى المطبخ لاعـداد طعامي المفضل · كانت عيناها حزينتين ، ولكني كنت ألمح فيها شرارات صغيرة تتراقص ·وأنا أيضاً كنت حزيناً وسعيداً في وقت واحد · لقد حدثوني كثيراً عن هذا الشاب (كانغ) · كان فتى قوياً وعاملاً ممتازاً ، وإنساناً شريفاً ، وكان مرشحاً للحزب ·

لم أعرفه شخصاً ، ولكن أن يكون مرشحاً للحزب فهذا يعني شيئاً غير قليل ٠٠ لقد وثقت بالحزب ٠٠٠ وسيكون (كانغ) و (داو) سعيدين في أسرة رائعة ٠

وسمعنا صوت زورق يضرب الصخرة ، وتبعه صوت فتاة بلوري : (يا جدي جئت) ٠

وقفز العجوز ، كأنه لولب ، نحو الباب :

ـ آه ٠٠ أأنت ؟ لقد كنت أنتظرك ٠

وتبعنا الجد (ستة) الى أسفل السلم ٠ وعرفنا الفتاة٠٠لقد كان من الممكن، حتى في الليل ، إدراك ملامح وجهها الجميل المدور ، وقد لمعت فيه عينان كبيرتان سوداوان وحنونان ٠

عدنا الى الزورق ، كانت الريح ناعمة ، وكان الزورق يرقص فوق الامواج القرمزية ٠٠٠ ومنارة (هوا لانغ) تضيء طريقنا بأنوارها الخضر ، ثم تنطلق في شعاع يجوس خلال البحر الواسع ، وقد تصاعدت منه أبخرة خفيفة ، كان يتنفس٠٠

١٩٥٨

★ ★ ★

هومي

ساعاتي "ديان بيان فو"

كان الأفق تحجبه مرتفعات وتلعات تكتنفهـا الأشجـار · قضيت ساعات طويلة أخوض وحول الخنادق ، قطعت السهل الواسع الأجـرد من أقصاه الى أقصاه · ان الوسيلة الوحيدة للنجاة من طلقات المدفعية الفجائية ، ومـن قنابل الطائرات المعادية هو أن تلتزم السير في الخنادق والحفر ·

ولكن الخنادق مع ذلك أصبحت سطحية فتركتها وأنا آمل أن أقطع ،مكشوفاً وفي سرعة كبيرة ، الشقة التي تفصل بين الخنادق والغابة · ولكن المنظر الذيرأته عيناي صعقتني ، فبدلا من السهل الأجرد الذي كنت أتوقعه ، بدا لي بحر متحرك· هناك في مواقعنا الدفاعية حفرت قنابل المدفعية المعادية الأرض ، فكأنها أصبحت وجهاً أصابه الجدري · هنا يبدو السهل وكأن الأمواج تهـزه ··· المتفجـرات والقنابل التي تزن خمسمائة كيلوغرام ، أو ألفاً حفرت في الأرض حفراً واسعة كأنهـا مستنقعات · يظهر أن العدو ركـــز على هـــذه البقعة كل ما يملك من قنابل ومتفجرات ·

وفي وسط هـــذا البحر المتحـرك اكتشفت بعض قطـع المدفعية المضادة للطائرات ، وقد رفعت أعناقها الى السماء · كنا ، هنالك ، نجهل كل ما حدث في هذا الموقع ·· أمـا الآن فقد عرفت ··· لقد تكالبت الطائرات المعادية عـلى هذه البقعة من الأرض عندما اكتشفت المدفعية المضادة للطائرات ·

كانت المدفعية في ظاهر الأرض وتكاد تكون دون حماية ·· كان رفاقنا هنا معرضين للقذف أكثر منا بكثير ونحن في خنادقنا ·

ربما تعرضوا لخسائر فادحة في هـذه الأيـام · كانت الأرض التي أمشي عليها تموج تحت قدمي كأني أسير فوق الرمال ·

وسرت الى جانب المدافع ، وأصحابهـا ، بعضهم تغطي رؤوسهم الخوذات ، وبعضهم حاسرو الرؤوس ، يدورون حولها ويعملون · ولم يلاحظني أحد · كلهم كانوا يبحثون عن قاذفة قنابل يمكن أن تخرج من وراء الجبل لكي تقوم بالهجوم عليهم عمودياً · كانت المدافـع وأصحابها يشبهون زوارق صغيرة تمخـر عباب البحر في أوج عاصفة هوجاء تهددها كل لحظة بالغرق في أحشائها ·

كنا قبل معركة (ديان بيان فو) عندما ظهـرت المدفعية المضادة للطائرات نتذاكر في جدواهـا ومدى فائدتهـا · قضينا ثماني سنوات مـن الحـرب يلاحقنا « الغزاة الذين يعملون في وضح النهار » ونحن لا نستطيع أن نرد عليهم بضاعتهم: ولكن هؤلاء هم إخواننا يستعدون للرد عليهم ، وسيرون ما سيكون ·

للمرة الأولى يقف على أرضنا رجال لا يهربون اذا ظهرت الطائرات ، انهـم يترصدونها ويسقطون عدداً كبيراً منها ···

كنت أظن ، وأنا أرى الطائرات تنقض عمودياً على الأرض ، وأسمع زمجرة المدافع المضادة ، أن مدفعيتنا الميدانية أكثر تعرضاً منهـا للخطر · أمـا الآن فأنا أعتقد أن الخطـر الذي يتعرض له رفاقنا في المدفعية المضادة لا يمكـن أن يقـارن بالخطر الذي يتعرض له رجال المدفعية الميدانية ·

كانت المدفعية تغطي كـل التلعة ، وعندما رأيت هؤلاء المقاتلين الشباب ، في ألبستهم الجديدة وقبعاتهم المستديرة ، عرفت أن هذا المكان هـو معسكر وحدة من وحدات المدافع المضادة للطائرات ··· كانت ملاجئهم واسعة توحي بالاطمئنان· أيمكن أن تكون هـذه الأزهـار البيض التي تنفجر في السماء مما يسدل على هـذا المكان مظهراً مختلفاً عن مظهر مدفعية الميدان ، في السهل المجاور ·

وفجأة وقفت مستغرباً ··· الى يساري عند مدخل أحد الملاجيء وجدت لوحة معلقة وقد كتب عليها في حروف ، مرسومة في عناية ، الاعلان الآتي :

(دكان لتصليح الساعات مجاناً)
(الجناح رقم ١ ـ ديان بيان فو)

إنها نكتة من نكات مدفعي ولا شك · ولم تطربني هذه النكتة ولعلها ساءتني قليلا ، لأنها ذكرتني بساعتي الخربة منذ عدة أيام · كنت في حاجة ماسة اليها في عملي كقائد سياسي مكلف باحترام مواعيد الوحدة · وكنت مرهقاً بموضوع ضبط الوقت · كنت في الليل والنهار أهرع للسؤال عن الساعة وأضيع وقتاً طويلا ، دون ساعة ، كان من الممكن أن أصرف هذا الوقت في أمور هامة · وقد حاولت أكثر من مرة أن أقذف بها لكيلا أفكر فيها · ومع ذلك فقد بقيت ، وهي دون فائدة ، في جيب من صداري ، كأنها علامة نحس ·

وظللت أنظر الى اللوحة وأنا أدمدم :

ـ يا لها من نكتة !

وسمعت صوتاً :

ـ ليست نكتة ··· ان وحدتنا تملك فعلا وبالتمام والكمال ، دكاناً لتصليح الساعات ·

والتفت لأرى من يتكلم ، فاذا هو يخرج من ملجأ · كانت يداه في جيبي سرواله ، وعلى رأسه قبعة ، وفي عنقه منديل ، من حرير المظلات ·

ثم أضاف :

ـ اذا كنت تريد زيارة الدكان فتعال معي ·

ـ لم أستطع معرفة محدثي ، وهل هو من ملاكات الجيش : كان شاباً صغيراً رغم شاربيه الناعمين ، ولكن مظهره الرصين ، وطريقة حديثه المطمئنة أوحيا لي أنه قد يكون قائد الوحدة ·

وقلت له :

ـ ساعتي تخربت منذ عدة أيام ، وحرماننا من ساعتنا في عملنا في الجبهة يعادل حرماننا من عينينا ٠

ـ تعال إذن وهات ساعتك للتصليح ٠

كان يتكلم في بساطة جعلتني واثقاً ومطمئناً ٠ أتراني جئت الى هـذا المكان لأصلح ساعتي ، بعد أن طلبت من الجميع ، ولاسيما من أصدقائي سائقي السيارات اصلاحها فذهبت جهودي عبثاً ٠ لم يكونوا يذهبون الى أبعد من مركـز التموين في الجبهة ، بينما كان من الضروري أن يذهبوا الى المؤخرة لكي يجدوا ساعاتياً ٠٠٠ ومضى المحارب الشاب الى الملجأ الذي يحمل اللوحة ، والقى نظرة الى الداخل ثـم التفت الـي :

ـ تفضل ٠ أنا معك ٠

ولحقته ودخلت الملجأ ٠٠٠ ورغم أني كنت أعرف أني سأرى ساعاتياً فلم أكن أقل دهشة حين رأيته يجلس في زاوية ويشتغل ٠٠٠ كان يستضي بمصباح كهربائي له عاكس للضوء ، ويضـع على عينه اليمنى مكبراً ، وعلى المنضدة علبة للأدوات الصغيرة تغطيها رقعة من حرير المظلات ٠ كان الساعاتي يفحص ساعة ويحرك اللولب بمفك صغير ، وكان مستغرقاً في عمله ، حتى إنه لم يرنا عندما دخلنا ٠٠٠٠

ونظر الي المحارب الشاب وابتسم ، لعله يتلهى بدهشتي ٠ لم أستطع تفسيراً لوجود هذه الدكان في هذا المكان٠ هل أقامتها لجنة الخدمات ؟ ولكن ذلك غير ممكن في الخط الأول للمدفعية المضادة للطائرات ، ولو كانت هـذه الدكان تابعة للجنة الخدمات لخضع تصليح الساعات لبعض الشكليات ، ولـم يجـر عـلى النحو الذي جرى : « تعال اذن وهات ساعتك للتصليح ٠ »

وفحص العامل الساعة التي كانت بين يديه ، ثم التفت الينا وابتسم ، وهز رأسه يحيينا ، ثم قال للمحارب الشاب :

ـ هذه الساعة تزعجني ٠٠٠ كنت أظن أن الميزان وحده خارج عن جرنه ،

ثم اكتشفت أن محور الابرة الكبيرة مكسور ٠٠ أخاف أن يكون ذلك فوق مستوى ما لدي من وسائل ٠٠٠

وقال المحارب الشاب :

ـ جئتك بزبون ٠٠٠

ثم التفت الي وقال :

ـ أقدم اليك الرفيق (فونغ) ، مدير المشروع ، وهو في الوقت نفسه ساعاتي الجناح رقم ١ في (ديان بيان فو)

وهكذا أطلق على (الدكان) اسم (المشروع) ٠٠٠

ـ حسناً ننفخ قليلا لنستريح ٠٠٠

وتمدد في زاوية وأخذ غليون الماء والصق شفتيه به ، ثم سحب سحبة طويلة ٠٠٠ وملأت الملجأ فرقعة طنانة ، ونظر الي (فونغ) وقال :

ـ أتحب الغليون ؟

وعندما أعلنت أنني لا أحبه انفجر الساعاتي والمحارب الشاب ضاحكين وفسر لي الشاب سبب الضحك :

ـ من حسن حظك أنك لا تحب الغليون ، ولو أحببته لأضعت تبغك ٠٠٠ ليس لدى الرفيق (فونغ) تبغ ، انه لا يملك الا غليونه وهو طنان يثير اهتمام الهواة ٠٠٠ فيقدمون اليه علبتهم ، فلا تعود ٠

ومد (فونغ) يده الى قطعة المظلة التي تغطي المنضدة وسحب علبة رقيقة ، وقال ضاحكاً :

ـ لا تصدق ٠ أنا أقدم لزوار الجناح الغليون والتبغ معاً ٠ وأخذ قليلا من التبغ وضعه في الغليون وأشعل النار وسحب نفساً طويلا ٠٠٠ وجعل الغليون يقرقع في فرح ، و (فونغ) يطلق ، وهو سعيد ، غيمة من الدخان تملأ كل الحجرة٠ وصرح لي المحارب الشاب :

ــ خدعة بسيطة · ان تبغه' أوراق من الخيزران منقوعة بالماء ·

وقال فونغ وأشفع كلامه بضحكته :

ــ خدعة ؟ كلا انه تبغ من انتاج الجناح رقم ١ ·

ولقد أشعرني مرح الشابين أني لم أزعجهما ·

ــ وسأل (فونغ) :

ــ عندك ساعة معطوبة ؟

ــ نعــم

ــ هات

اخرجت ساعتي من جيبي ، وقدمتها له ، فأخذها ونظر اليها ثم قال :

ــ نيكلس ··· تباع بالكيلو ··

وأدار المقبض ثم قــال : اللولب امــا مكسور أو خــارج عــن جرنــه ··· وأشعل (فونغ) المصباح ووضع الساعة بين راحتيه وادارها عكسياً لكــي يخــرج آليتها ··· وجعل يفحصها ·

كنت آمل أن يكون العطل طارئاً ، فلم أكن أستطيع الانتظار ·· وقال الساعاتي :

ــ اللولب مكسور ·

ورنت هذه الكلمات في أذني كأنها وتر مكسور في قيثارة ·· وتضايقت ·

ــ دعها لي ··· سأردها اليك خــلال أسبوع · رقمك ٩ ··· وأنا أشتغل بالرقم ٣ ··· تذكر جيداً : الرقم ٩ ·

وفرحت ولم أدر كيف أشكره ، سأجد ساعتي سالمــة عند عودتي من جلسات العمل ··· لن أعيرها لأحد ، مهما كان ، ما دامت المعركة دائرة ·

وسألني (فونغ) : ما هي وحدتك ؟

ــ الفرقــة الثانية ··· نحن نؤمن الدفاع عــن الشاطىء المحــروق ···

وأضاء وجه (فونغ) فجأة :

ـ نعم إنكم عندما تقاتلون هناك نصعد نحن الى المرقب لنراقب معركتكم ، فلا نترك منها شاردة ·· أنا أعرف أنك في حاجة الى الساعة ···

ـ أقول لك اني منذ أيام لا أستطيع أن أنام ، بسبب هذه الساعة المعطوبة · أخشى دائماً أن أصل الى الاجتماع متأخراً ويزعجني أن أسأل عن الساعة في كل وقت·

وفكر (فونغ) قليلا ثم قال :

ـ سأعطيك الرقم ٦ ، الساعتان رقم ٤ و ٥ لرجلين من المدفعية وهما في حاجة قصوى اليهما · أما الساعات الباقية فهي لرجال يقومون باصلاح السلاح ·· وهم يستطيعون الانتظار ··· عد بعد أربعة أيام ·

هززت يد (فونغ) في قوة وقلت له :

ـ شكراً يا رفيق ، شكراً ··· أنت تقدم الي خدمة كبرى ··· ثم لم أجد ما أقوله زيادة فأضفت :

ـ شكراً يارفيق شكراً ··· ساعود بعد أربعة أيام ·

والتفت الى المحارب الشاب ··· كان واقفاً ويداه في جيبيه ، هادىء الوجه، يخفي ابتسامة بين شفتيه · كان منذ قليل يضحك من دهشتي ، ولعل سروري الظاهر جعله يبتسم ·

وقلت له في حماسة :

ـ وشكراً لك أنت

خرجنا من الملجأ ووصلنا الى الخندق المركزي ، فسألته :

ـ ماذا يعمل الرفيق (فونغ) في وحدتك ··

ـ سائق سيارة ··· نقل مدفعه الى هذا الموقع ··· وهو الآن حر ، ولكنه فكر في فتح «دكان» لتصليح الساعات ·

وأثارني الفضول فسألته :

ـ ولكن كيف استطاع الحصول على الآلات ؟ هذه دكان ساعاتي حقيقي ···

وتهلل وجه المحارب الشاب واهتزت الشعرات القليلة في شاربيه :

ـ صنعها بيديه من مخلفات ساعات الأعداء ···

وافترقنا ، ولم أكد أقطع عدة كيلومترات حتى ظهر في السماء سرب من الطائرات وبدأت المدفعية تعمل ...

عدت بعد خمسة أيام الى الجناح رقم ١ ، وكنت قد جمعت من هنا ومن هناك قليلا من التبغ لكي أقدمه الى (فونغ) .

لم أجد اللوحة أمام الدكان ، وكدت أعود عندما رأيت قطعة من الورق معلقة بدبوس ، على جذع شجرة خيزران .. واقتربت منها فقرأت هذه الكلمات :

« من أجل الساعات ... راجعوا الملجأ المجاور »

ومضيت اليه ...

رأيت رجلا ينام ، وعندما اقتربت فتح عينين محمرتين من النعاس وقلت له :

ـ أريد الرفيق (فونغ) .

واستوى جالساً ثم سألني :

ـ هل أعطيت فونغ ساعتك لاصلاحها .

ـ نعم

وتناول صندوقاً وجعل يمد الخيطان فأخرج عشر ساعات من أنواع مختلفة :

ـ ما رقمك

ـ ٦

ـ مصلّحة ...

أخذت الساعة وأدرتها ووضعتها على أذني وسمعت صوتها في سرور :

ـ عظيم وأين الرفيق (فونغ) ؟

ـ في مهمة ...

ـ متى

ـ أول أمس

ـ متى يعود ؟ أريد أن أراه ولو دقيقة .

ـ لن تلقاه ... سافر الى مكان بعيد .

أصبت بخيبة أمل ، وصاحبي هذا قليل الكلام ، ما أشد الفرق بينه وبين الرفيقين السابقين ، كنت أريد أن أسأله أين سافر (فونغ) ولكني لم أجرؤ على ذلك .

وتذكرت هديتي فأخرجتها من جيبي :

ـ أرجوك أعط علبة التبغ هذه للرفيق (فونغ) وألقى المحارب نظرة الى العلبة ثم قال دون أن ينظر الي :

ـ دعها معك ··· لا يمكن أن نوصلها اليه · ودفعتني هيئته المجهـدة الى اختصار الكلام ··· لعله نعسان ، وشكرته وخرجت ···

وفي مكان آخر لقيت المحارب الشاب (كان) ، انه الرئيس المساعد للكتيبة : وأخرجت من جيبي علبة التبغ ومددتها اليه :

ـ الى أين سافر (فونغ)

ونظر الي (كان) في دهشة :

ـ ألم يقل لك الرفاق ؟·· لقد قتل ··

وفهمت الآن كلمات الرفيق في الملجأ وفسرت موقفه ·

وقص علي (كان) ما حدث ·

ـ تلقت وحدة (فونغ) الأمر بالتحرك الى الداخل ··· ومضى قائد الوحدة يستطلع ويمهد الطريق ·

كانت الآليات المنقولـة تسير دون صعوبة في الأرض التي مهدهـا رجـال المتفجرات ··· ولم يبق عليهم الا ربع ساعة لكي يصلوا الى المقر الجديد··ولكن الضباب الذي كان يغطي الطريق انقشع فجأة ···

وتلقى السائقون الأمر بالاسراع الى أقصى حد ··· ولكن العدو اكتشف السيارات، وأطلقت مدفعيته في (مونغ شان) مدافعهـا فغطت القافلـة ، وأصيبت السيارة الاولى اصابة كبيرة فقطعت الطريق ·

كان (فونغ) في السيارة الأخـيرة الى جانب (كان) وعندمـا رأى السيارة التي أمامه تقف صاح بالسائق الذي أمامه :

ـ خذ يسارك وامش فوق الحاجز

ولكن دولاب السيارة أصيب بقنبلة ···

والتفت (فونغ) الى (كان) عندئذ وقال له :
ـ نتجاوزهم ··· نعم ؟

وخفض (كان) رأسه ، وانحرف (فونغ) الى اليسار ، واجتاز الحاجـز، وسار الى جانب السيارات المعطوبة ثم رجع الى الطريق التي حررها الرجال ونجا من الضرب ووصل مع قطعته الى موقع المدفعية ·

ولم تكد مهمته تنتهي حتى سأل (فونغ) رئيس الكتيبة أن يسمح له بالعودة للبحث عن المدافـع في السيارات التي أصابتهـا القنابـل ·· واستطاع أن يأتـي بقطعتين من المدفعية · ولكنه أصيب ، وهو يحمل القطعة الثالثة بشظية في رأسه وقتل فـوراً ·

وتجهم وجه (كان) ، وسكت دقيقة ثم تابع :
ـ كان الضرب شديداً ، وكنت أرقد قرب حاجز وقلت له : ـ فونغ ··· انتظر قليلا · عد الى ···

وأجابني : دعني أتابع ··· والا دمروا مدفعيتنا ··· كان ذلك صحيحاً ·· كان كل مدفع عزيزاً لا يستغنى عنه ومع ذلك لو لم يذهب ···

وانتقل (كان) الى موضوع آخر :

ـ سنفتح في وحدتنا دكان حلاق ··· وسيلبس الحلاق ثوباً أبيض ،وسيكون من نصيب الزبون قطرات من العطر ··· من « النوع الممتاز » والخدمة مجانية ·

وتوقف (كان) قليلا كأنه يتذكر شيئاً ثم أردف :

ـ قال (فونغ) ان اللولب الجديد قصير ··· ولكـن اطمئن فساعتك سوف تسير أكثر من أربع وعشرين ساعة ··· ولكن عليك أن تربطها في رفق ·

★ ★ ★

رؤى سيمون ماشار

مسرحية

تأليف برتولت بريخت

ترجمة صباح الجهيم

الشخصيات

فيليب شافز : عمدة ناحية «سان مارتان» (في الأحلام هو الملك شارل السابع)
هونوري فيتان : نقيب ، ملاك كرمة كبير (وهو في الأحلام دوق دى برغوني)
هنري سوبو : صاحب النزل ، المعلم (وهو في الأحلام أمير الجيش)
ماري سوبو : أمه (وهي في الأحلام الملكة الوالدة إيزابو)
سيمون ماشار : في الأحلام هي جان دارك

روبير :
موريس :
سائقان

جورج :
العم غستاف :
مستخدمان في المنزل

السيدة ماشار : أم سيمون
السيد ماشار : والد سيمون
عقيد :

عريـف :
قائـد ألماني :
مـلاك :
أشخاص ثانويون :

تقع الأحداث في حزيران ١٩٤٠ في مدينة صغيرة من وسط فرنسا على حافـة طريق ذاهبة من باريس الى الجنوب ٠

يُمثّل المسرح فناء « نـزل الربط » في صدر المسرح بناء بغير طبقات هـو المرآب ٠ الى يمين المشاهد يقوم النزل مع مدخله من جهة الفناء ٠ الى اليسار مخزن المؤن وغرف السائقين ٠ وبـين المخزن والمرآب بوابة ضخمة تفضي الى الطريق ٠ والمرآب شديد الاتساع لأن النزل يقوم أيضاً بعمليات النقل ٠

أولاً : الكتـاب

(الجندي جورج ، ذراعـه اليمنى معصوبة بضماد ، يدخن سيجارة ويجلس قرب العم غستاف العجوز الذي ينهمك في إصلاح اطار ٠ الأخوان موريس وروبير سائقا النزل يحدّقان في السماء ٠

يُسمع صوت الطائرات ، الزمن مساء ١٤ حزيران) ٠

روبـير : الطائرات ، هذه المرة ، طائراتنا ٠
موريس : هـذه ليست طائراتنـا ٠
روبـير : (بصوت قوي وباتجاه جورج) يا جورج أهي طائراتنا ام هي طائرات المانية ؟
جـورج : (يحاول بحذر أن يحرك ذراعه المصابة) ها ان العضد هو الآخر لم اعداحس به الآن٠
العم غستاف : لا تحرك ذراعك ، فهذا لا يلائمها ٠
(تدخل سيمون ماشار وهي ما تزال طفلة تأتزر بوزرة مفرطة في طولها وتنتعل حذاءين مفرطين في ضخامتهما وهي تجر قفة غسيل ثقيلة جداً) ٠
روبـير : اهـي ثقيلة ؟
(تجيب سيمون « نعم » براسها وتتابع جر القفة حتى القاعـدة الحجرية لمضخة الوقود (البنزين) يتبعها الرجال بابصارهم وهم يدخنون ٠)

جـــورج : (للعم غستاف) أتظـن ان السبب يمكن أن يكـون مـن الضماد ؟ ازداد تصلب ذراعي منذ البارحة •

العمغستاف : افعل ما ينصحونك به • (تخرج سيمون)

روبـــير : (لجورج) الا تستطيع أن تجاوبني ؟ تلبس بزة عسكرية ولا ترفع بصرك عندمـا تاتي الطائرات بامثالك من الجنود • انما نخسر الحرب •

جـــورج : ما رأيك انت يا روبير ؟ العضد ما زلت احسه ولكنه لا يطاوعني • يظـن العـم غستاف أن السبب هو الضماد وحده •

روبـــير : سألتك عن هـذه الطائرات ما هـي ؟

جـــورج : (من غير أن ينظر الى الخارج) طائرات المانية ، طائراتنا لا تطلع • (تعود سيمون ومعها زجاجة نبيذ أبيض ، تصب لجورج وللجندي •)

سيمـون : اتعتقد أننا سنخسر الحرب ياسيد جورج ؟

جـــورج : ربحناها أم خسرناها فسوف أكون بحاجة الى ذراعي الاثنتين على أقل تقدير •
(يرى السيد هنري سويو صاحب النزل ، المعلم قادما من الطريق ، تخفي سيمون زجاجة الخمر بعجلة • يقف صاحب النزل لحظة تحت البوابة وينظر الى الفناء ثم يومىء الى شخص في الطريق • يطل رجـل في لباس الميدان • يرافقه المعلم صاحب النزل حتى يقطع الفناء وهـو يجهد عـلى نحو ملحوظ في أن يستره عـن أعـين المستخدمين ويتوارى واياه داخل الفندق) •

العمغستاف : هل رأيتم الرجل الذي بلباس الميدان ؟ هذا ضابط ، عقيد آخر يفر من الجبهة • هؤلاء لا يحبون أن يراهم الناس فاذا جاء الطعام أكل الواحد منهم عن أربعة •
(تمضي سيمون الى قفتها وتجلس على قاعدة مضخة الوقود ، ولا تلبث أنتستغرق في كتاب موضوع على القفة) •

جـــورج : (مائلا على كاسه) •• يضايقني روبير ، ففي رأيه ان الحرب خاسرة بامثالي من الجنود • ولكن قبل ان تقع الخسارة فقد وقـع الربح عن طريقي • ذلك لا شك فيه • ان حذاءي مثلا در مالا على سيد من « تور » ، وخوذتي درت مالا على سيد من « بوردو » ، ومعطفي أثمر قصراً على الشاطىء اللازوردي ، ولفافتي أثمرتا سبع أحصنة سباق • وهكذا عاشت فرنسا ايامها الحلوة على ظهري • فعل الناس كل ذلك وما انتظروا الحرب ليفعلوه •

العمغستاف : اما الحرب فهم في طريقهم الى خسرانها ، وهؤلاء السادة يفعلون ماهو ضروريلذلك•

جـــورج : صحيـح • فعندنا مائتا حظيرة فيهـا ألف طائرة مقاتلة ينفق عليهـا بطياريهـا وفنييها وهي جاهزة للاقلاع • وعندما تحدق ساعة الخطر بفرنسا تظل رابضة على الارض • خط ماجينو كلف عشرة مليارات ثمن الاسمنت والحديـــد وحدهما •

طوله في الأرض المكشوفة ألف كيلومتر وعمقه سبع طبقات وعندما تبدأ المعركة يستقل عقيدنا هذا سيارة ويمضي الى المؤخرة ومعه سيارتا شحن ممتلئتان خمراً ومؤنة • مليونا رجل كانوا ينتظرون أمراً ويستعدون للموت ولكن اذا بصاحبة وزير الحرب تختلف وصاحبة رئيس مجلس الوزراء واذا بالأمر لا يصدر • نعم ان تحصيناتنا مغروزة في الأرض غرزاً مكينا ولكن تحصيناتهم متحركة وهي تمشي على أجسادنا • لا شيء يمكن أن يوقف دباباتهم ما دام فيها وقود ، والوقود انما يتناولونه من مضخاتنا • لن يمر صباح غد حتى تريهم أمام مضختك يا سيمون، وسياخذون وقودك • شكراً على النبيذ •

روبير : لا تتحدث عن الدبابات (مع اشارة من رأسه باتجاه سيمون) وهي هنا • فاخوها في الجبهة •

جورج : هي مستغرقة في كتابها •

العمغستاف : ما رأيك بلعبه بيلوت •

روبير : أحس بوجع في رأسي ، فقد كان عليَّ أن أخوض طوال النهار في طوابير النازحين لأواكب براميل الغمر التي للنقيب • كان نزوح الناس هجرة جماعية •

العمغستاف : خمر النقيب أثمن النازحين جميعا • ألا تفهم ؟

جورج : هذا الرجل فاشستي • وكل الناس يعرفون ذلك • لابد أنه تحسس بفضل أصدقائه في الأركان أن الاحوال ساءت مرة أخرى على الخطوط الأمامية •

روبير : موريس ساخط • ويقول أنه شبع من جرجرة هذه البراميل اللعينة وسط زحمة النساء والاطفال • أنا ذاهب لأنام • (يخرج)

العمغستاف : هذه الطوابير من النازحين كارثة على سير العمليات • فالدبابات تعبر أي تكوم ، أما التكوم البشري فهي تغوص فيه • تبين الآن أن السكان المدنيين نكبة بالنسبة الى الحرب ويجب التخلص منهم منذ البداية تخلصا جذريا ، فهم عقبة ليس غير • إحدى اثنتين : فاما أن نلقى الشعب واما أن نلغي الحرب •

جورج : (يجلس قرب سيمون ويجس الغسيل في القفة) ولكنك فككت غسيلك وهو رطب•

سيمون : (من غير أن ترفع رأسها عن الكتاب) : لأن النازحين يسرقون الاغطية دائما •

جورج : لا شك أنهم يصنعون منها لفائف للصغار ، أو انهم يلفونها على أرجلهم •

سيمون : (متابعة القراءة) : ولكن السيدة تعدها •

جورج : (مشيراً باصبعه الى الكتاب) : ما زلتِ تقرئين في « جان دارك » •

(تجيب سيمون « نعم » براسها) •

جورج : ومن أعطاك هذا الكتاب ؟

سيمون : المعلم ولكني لا اجد وقتاً للقراءة • ولم أزل في الصفحة الثانية والسبعين عندما

كسرت جان دارك الانكليز وارادت تتويج الملك في « رانس » • (تتابع قراءتها)•

جـــورج : ولم تقرأين هذه القصص البالية ؟

سيمـون : اني أتشوق لمعرفة تتمتها ••• أصحيح ان فرنسا اجمل بلاد العالم يا سيد جورج ؟

جـــورج : كتابك يقول هذا ؟ (تجيب سيمون «نعم» برأسها) •

جـــورج : لا أعرف العالم كله ولكن يقال بحق ان أجمل البلدان هو البلد الذي تعيش فيه•

سيمـون : « الجيروند » مثلا كيف هي ؟

جـــورج : أعتقد أن فيها كرمة كما هو الحال هنا • ففرنسا أعظم شاربة للخمر كما يقال •

سيمـون : وهل في السين مراكب كثيرة ؟

جـــورج : نحو ألف مركب •

سيمـون : « وسان دنيس » حيث كنت تشتغل ، كيف كانت ؟

جـــورج : سان دنيس ليست متميزة •

سيمـون : ومع ذلك فليس هناك بلد اجمل من فرنسا •

جـــورج : هي حسنة بخبزها الابيض بخمرها ، بصيد السمك • والمقاهي الراقية ليس لي ما يقال عليها • وليس لي ما يقال أيضا عـلى أسواق الخضرة بكل مـا فيها من سمك وفواكه ولا سيما في مطلع الصباح • ولا اعتراض لي أيضا عـلى دكاكـين الخمور حيث يشرب المرء قدحا على الماشي • وحتى دكاكين المعارض وانزال البواخر وسط صخب الموسيقى فكل ذلك مقبول • ومن ذا الذي يخطـر بباله ان يتشكى مـن ممرات الصفصاف حيث يلعب الناس بالكرات الخشبية ؟ عليك ان تحملـي اليوم أيضا الى النازحين في باحة المدرسة وجبتهم الصباحية •

سيمـون : لكن ليت جنود الهندسة يصلون قبل أن أضطر الى الذهاب •

جـــورج : أي جنود هندسة ؟

سيمـون : انهم ينتظرون جنود الهندسة في المطبخ • أضاعوا عربتهم بين افواج النازحين • وهم من الكتيبة ١٣٢ •

جـــورج : أهي الكتيبة التي أخوك فيها ؟

سيمـون : نعم وهـم ماضون الى الخطوط الأمامية •• يقول كتابي ان المـلاك أمـر العذراء « جان دارك » أن تقتل كل أعداء فرنسا • لأن الله يريد ذلك •

جـــورج : ستحلمين من جديد أحلاما مرعبة ان قرأت هـذه القصص الدامية • وقـد منعتك قبل من قراءة الجرائـد •

سيمـون : أصحيح أن دباباتهم تغوص في جموع الناس ياسيد جورج •

جـــورج : نعم • وقد قرأت ما يكفي من هذه القصص •

(يحاول أن ينتزع الكتاب من يديها • يظهر المعلم على باب النزل •)

المعلـــم : يا جورج ، لا تدع احـداً يدخل الى قاعة الطعام • (لسيمون) ما تزالين تقرئين بدلا من ان تشتغلي • ما اعطيتك الكتاب لذلك •

سيمــون : (التي اخذت تعد الاغطيـة كالمحمومة) : كنت أعد الغسيل والقيت نظرة خاطفة الى الكتاب فمعذورة ياسيدي •

العمغستاف : لو كنت مكانك لما اعطيتها هذا الكتاب ياسيد هنري ، فهو يقلبها راساً على عقب•

المعلـــم : حماقات • ففي مثل هذه الايام لا باس عليها من ان تلقي نظرة على تاريخ فرنسا• لأن هذه الشبيبة لم تعد تعرف ما فرنسا (يوجه الكلام من فوق كتفه الى الداخل): يا جان خذ المقبلات الى قاعة الطعام • (ينظر مرة أخرى الى الفناء) اقرؤوا انتم وسترون الروح السائدة في ذلك الزمـان • يا الهي لربما احتجنا اليـوم أشـد الحاجة الى جان دارك •

العمغستاف : (متصنعة السذاجة) : ومن اين يمكن لجان دارك ان تاتي •

المعلـــم : من اين يمكن لها ان تاتي ؟ من كل مطرح • يمكنها ان تكون اي انسان • أنت • أو جورج • (مشيراً الى سيمون) : أو هـي • لم لا ؟ أي طفـل يمكنه ان يقول ما يجب فعله • الأمر بسيط جداً • بل حتى انها يمكن أن تقوله للبلد كله •

العمغستاف : (ينقّل بصره في سيمون ،) لعلها أصغر قليلا من ان تصلح لتكون جان دارك •

المعلـــم : أصغر قليلا ، افتى قليلا ، أطول قليلا ، أكبر قليلا • فاذا لم تتوفر الروح فيها تعللنا أبـــدا بعذر • (من فوق كتفه الى الداخـل) أهـو السردين البرتغالي ما أخذته يا جـــان ؟

العمغستاف : (لسيمون) ما رايك ؟ أيسرك ان تتحولي الى جان دارك ؟ لكن الذي اخشاه اننا ما عدنا نرى كثيراً من الملائكة يظهرون في أيامنا •

المعلـــم : كفى ياعم غستاف•أحب لو تحتفظ بفظاظاتك لنفسك عندما تكون هذه الطفلة هنا• اتركها تقرأ كتابها دون أن تضيف اليه ملاحظاتك الوسخة • (وهـو على وشك الدخول الى النزل) ولكن تدبري أمرك قدر الامكان حتـى لا تكون قراءتك أثناء ساعات العمل ياسيمون • (يخرج) •

العمغستاف : (مقهقهاً) هذه هي الطامة اذن ياجورج • سيكون من واجبنا الآن أن نربي غسالتنا الطفلة لنصنع منهـا جـان دارك ؛ في ساعات الراحة وحدها طبعاً • انهم يحشون أولادنا وطنية ، اما هم فانهم يختالون في بزاتهم او انهم يخفون مخزوناتهم من الوقود في أحد معامل الآجر بدلا من أن يسلموه الى الجيش •

سيمــون : المعلم لا يفعل ابداً ما لا يليق فعله •

العمغستاف : صحيح فهـو ولي نعمتنا • واذا كان يعطيك فرنكاتك العشرين في الاسبوع فلكي لا يبقى أهلك معدمـين •

سيمـون : بل انه يحتفظ بي لكي لا يفقد اخي عمله هنا •

العمغستاف : وهذا ما أتاح له ان يحصل على عاملة ضخ وخادمة وغاسلة صحون في الوقت نفسه•

سيمـون : كان ذلك لاننا في حرب •

العمغستاف : وهو لا يجد باساً في ذلك • اليس صحيحاً ؟

المعلـم : (يظهر عند باب النزل) ياعم غستاف هـات زجاجة شابلي ١٩٣٧ للسيد الذي طلب سمك الترويته (يدخل الى النزل) •

العمغستاف : اي للسيد الذي يلبس بزة عسكرية • اذا كنت احسن الفهـم فان السيد العقيد يرغب في زجاجة شابلي قبل أن تهلك فرنسا• (يتوارى العم غستاف في مخزن المؤن) (بينما يستمر الحوار نراه يعبر الفناء ومعه زجاجة الشابلي التي يحملها الى النزل)

صوت امرأة : (صوت امرأة آت من الطبقة الاولى) : يا سيمون أين الأغطية ؟ (تاخذ سيمون القفة وتهم بالدخول الى النزل عندما يظهر عريف وجنديا هندسة يقدمون من الطريق ومعهم قدر كبيرة) •

العـريف : يبدو انهذا هو المكان المقرر لوجبتنا • قالوا لنا في البلدية انهم اخبروكم بالهاتف•

سيمـون : (مبادرة مشرقة) لا شك أنها جاهزة • اذهبوا راسا الى المطبخ (للعريف • بينما يذهب الجنديان الى المطبخ) أخي أندريه ماشار هـو أيضاً من الكتيبة ١٣٢ فهل تعلم ياسيدي لم انقطعت اخباره عنا ؟

العـريف : كل شيء منقلب راساً على عقب ونحن أيضاً فقدنا اتصالنا برؤسائنا منذ ٤٨ ساعة•

سيمـون : وهل خسرنا الحرب ياسيدي ؟

العـريف : كلا يا آنسة وانما دفعت المدرعات العدوة ببعض طلائعهـا المتقدمة هنا وهناك • ومن المقدر أن هذه الوحوش لا تلبث ان يعوزها الوقود وعند ذاك فسوف تتوقف على حافة الطريق لا اكثر ولا اقل •

سيمـون : قيل لي انها لن تبلغ اللوار •

العـريف : لا • لا كونـي مطمئنة • فالبعد شاسع بـين السين واللوار • والمضايقة الوحيدة هي هذه الطوابير مـن النازحين • فـلا يستطيع المرء أن يلتحق بالجبهة الا بشق النفس • ولابد من اصلاح الجسور المقصوفة والا فكيف يمكن للاحتياطي أن يمر • (يعود الجنديان ومعهما القدر • ينظر العريف الى ما فيه •)

العـريف : هذا كل شيء ؟ هذا عار تطلعي الى القدر يا آنسة ، الى نصفها ، بل اقل • وهذا

هو المطعم الثالث الذي يرسلوننا اليه • في المطعم الثاني لم يعطونا شيئا • وهنا يعطوننا هـذا •

سيمـون : (تنظر الى القدر مشدوهة) لابد انهم غلطوا • فعندنا كل ما يلـزم من العدس والدهن أيضا • ساذهب حـالا لاقابل المعلم ذاته • وستملأ قدركم • انتظروني لحظة • (تدخـل)

جــورج : (يقدم السجاير) عمر أخيهـا سبعة عشر عامـة بالضبط • كان المتطوع الوحيد من « سان مارتان » وهي شديدة التعلق به •

العـريف : قبح الله هذه الحرب ، بل انها ليست حربا • فالجيش يعامل وكانه في بلد عدو • ومع هذا فرئيس الوزراء يقول لنا في الاذاعة : « الجيش هو الشعب » •

العمغستاف : (الذي خرج ثانية) الجيش هو الشعب والشعب هو العدو •

العـريف : (بلهجة عداء) ماذا تعني ؟

جــورج : (وهو ينظر الى القدر الفارغـة الى نصفها) ولم تسكتون عـلى ذلـك ؟ انهبوا وقابلـوا العمدة

العـريف : العمد نعرفهم • لا يرجى منهم خير •

سيمـون : (تخرج ببطء ولا تنظـر الى العريف) يقول المعلم ان النزل لا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعل وقد أخذ على عاتقه جميع النازحين •

العمغستاف : النازحين الذين لا نستطيع أن نعطيهم شيئا لان كل شيء يذهب في زعمهم الى الجند•

سيمـون : (بائسة) المعلم غاضب لان العمدة يسرف في طلباته •

المعلـم : (يظهر عند الباب ويناول سيمون قائمة الحساب مطوية) انهبي وقدّمي القائمة للسيد ذي التروتة قولي له ان الفريز سجل بثمن الكلفة الذي اشتريته به من أهلك (يدفعها الى الداخل) ما الأمر ؟ فهؤلاء السادة غير راضين • هلا تفضلتم ووضعتم أنفسكم موضع الأهالي لحظة •

المعلـم : ••• مص دم الأهالي • ومع ذلك تتوالى الطلبات الجديدة بلا انقطاع • ما من انسان أكثر احساسا مني لما يمس فرنسا • يشهد الله على ذلك • ولكن وا أسفاه ! (حركة طويلة تنم على العجز) • انما حافظت على هـذه الدار بفضل التضحيات الجسام وحدها • وانظروا قليلا الى المعاونين الذين في عهدتي (يشير الى العم غستاف وجورج) شيخ وكسيح • ثم هذه الصبية • وأنا أشغلهم لكي لا يموتوا جوعا • ولا أستطيع فوق ذلك أن أطعم الجيش الفرنسي كله •

العريف : وانا لا استطيع ان اطلب الى رجالي ان يذهبوا ويقاتلوا من اجلكم ومعدهم خاوية • أصلحوا جسوركم بانفسكم وسانتظر عربتي سبع سنوات اذا اقتضى الأمر • (يخرج هو وجندياه) •

المعلم : ما حيلتي في ذلك ؟ لا يستطيع الانسان ان يرضي الناس جميعا (يقوم ازاء مستخدميه بدور رب العائلة الحدب) آه يا اولاد ، انتم لا تقدرون سعادتكم لانكم لا تملكون نزلا • يجب أن نحمي أنفسنا من الذئاب اليس كذلك ؟ وحين افكر في العذاب الذي تعذبناه لكي نسجل النزل في دليل ميشلان ••• (وعندما يرى العم غستاف وجورج لا يبديان اي تعاطف يغضب •) لا تبقيا واقفين هنا كالأوتاد (الى داخل النزل) ياسيدي لم يبق احد في الفناء •

العقيد : (وهو السيد الذي بلباس الميدان ، يخرج من النزل ويتجه صوب المعلم الذي يرافقه من الفناء الى الطريق) اسعارك فاحشة ، ١٦٠ فرنكا ثمن غداء •

جورج : (في هذه الأثناء يمضي جورج الى داخل النزل ويخرج منه سيمون التي تخبيء وجهها بيديها) •
انصرف الجنود من زمان • وان كنت تواريت بسببهم فلا ضرورة لذلك لانه لا حيلة لك في الأمر •

سيمون : (ماسحة دموعها) ذلك لأنهم من الكتيبة ١٣٢ اتفهم ؟ ثم ان الذين في الجبهة ينتظرون المساعدة ولأجل ذلك لابد اولا ياسيد جورج من ان يصلح جنود الهندسة الجسور •

المعلم : (عائداً من الطريق) كبد دسمة ، لروته ، فخذ خاروف ، هلبون ، شابلي ، قهوة مارتيل ممتاز • في مثل هذه الايام •• وعندما تقدم قائمة الحساب تثور ثائرتهم• اما الوجبة فهم يريدونها في لمح البصر لانهم لا يطيقون التاخير منذ اللحظة التي يتركون فيها منطقة العمليات • ضابط ، اتفهمون ، عقيد !• مسكينة فرنسا ! (وقد رأى سيمون يؤنبها ضميرها) وانت لا تتداخلي في شؤون المطبخ • (يعود الى النزل) •

جورج : (للعم غستاف مع اشارة نحو سيمون) تحس بالخجل بسبب ما جرى لجنود الهندسة•

سيمون : ماذا سيقولون عن النزل ياسيد جورج ؟

جورج : (لسيمون) غيرك ينبغي ان يخجل في الحقيقة لا انت • الفندق يبتز الناس كما ترسل السماء المطر وصاحب النزل يحدد اسعاره كما يفعل الكلب حاجته •ولكنك لست النزل ياسيمون واذا مدح الناس خموره فلا حق لك ان تفرحي واذا انهار

سقفه فلا حق لك ان تبكي • لم تختاري انت قماش الغطاء وانت لم ترفضي اطعامهم • اتفهمين ؟

سيمون : (بلا قناعة) نعم ياسيد جورج •

جورج : اندريه علي يقين من انك هنا لكي تحافظي له على عمله • هذا كل مافي الامر • والآن امضي الى باحة المدرسة والتقي فرنسوا الصغير • ولكن لا تصغي الى امه التيستخوفك من طائرات « شتدكا » • والا قضيت معظم الليل تحلمين انك تحاربين • (يدفعها الى داخل النزل ، للعم غستاف) آه من الخيال •

العمغستاف : (وهو يصلح الاطار) وايضا فهي لا تحب ان تذهب الى باحة المدرسة • فهي تستقبل فيها بالشتائم لان الوجبات باهظة الثمن •

جورج : (بتنهد) وبحسب معرفتي بها فسوف تعود الىالدفاع عن المعلم•فسيمون بنتمستقيمة

المعلم : (خارجا من النزل ينادي صوب المخزن وهو يصفق بيديه) موريس • روبير •

صوتروبير : (صوت روبير الساخر شيئا ما آتيا من المخزن) ماذا ؟•

المعلم : اتصل النقيب فيتان هاتفيا قبل حين • وهو يود لو تستانف السير حالا الى «بوردو» ومعك بقية براميل الخمر •

صوتروبير : هذه الليلة ؟ ولكن هذا غير ممكن ياسيد هنري • فمنذ يومين ونحن نسير •

المعلم : اعرف ، اعرف ، ولكن ماذا تريد ان افعل ؟ النقيب يرى ان نقل البراميل شديد البطء • وهذا طبيعي في هذه الطرق المزحومة •• وصدقني انني لا احرمك النوم عن طيب قلب (يشير اشارة تنم على العجز) •

صوتروبير : الطرق مزحومة في الليل وفي النهار • ولابد من السير والاضواء معتمة •

المعلم : انها الحرب • ونحن لا نستطيع أن نعادي افضل زبائننا • ثم ان امي شديدة الحرص عليه • فعجل اذن • (للعم غستاف) : اما انتهى هذا الاطار بعد ؟
(يصل السيد شافيز العمدةمنالطريق ومحفظته تحت ابطه وهو ظاهر الاضطراب•)

العمغستاف : (يلفت انتباه المعلم) السيد العمدة •

العمدة : علي ان اكلمك مرة أخرى بشان سياراتك وانا الح هذه المرة • يجب ان تضعها تحت تصرفي من أجل النازحين •

المعلم : ولكنني قلت لك اني تعهدت بنقل خمر النقيب فيتان • ولا استطيع ان ارفض له ذلك • وامي والنقيب صديقا طفولة •

العمدة : « خمر النقيب » ياهنري انت تعلم كم يشق على ان أتداخل في هذه المسائل ••• ولكن بعد ان وصلنا الى هذا الحد فمن غير الممكن اطلاقا ان اراعي العلاقات التي تقيمها مع هذا الفاشي فيتان •

(تخرج سيمون وقد علقت في صدرها سفطة عليه أكياس من الورق هـي وجبات النازحين وفي كل يد سلة ممتلئة أيضا أكياسا ٠

المعلـــم : (مهدداً) : فيليب انتبه لنفسك عندما تنعت النقيب بانه فاشي ٠
العمـدة : (بلهجة مرارة) ٠ انتبه لنفسك ، هذا كل ما عندكما أنت ونقيبك في الوقت الذي يكون الالمان على اللوار ٠٠٠ ان فرنسا في طريقها الى الدمار ٠
المعلـــم : ماذا تقول ؟ أين الألمان ؟
العمدةبقوة : على اللوار ٠ أما الجيش التاسع الذي كان مقدرا له أن يرسل للتعزيز فقد وجد الطريق العامة رقم ٢٠ يسدها النازحون ٠ ان سياراتك مصادرة ككل سيارات « سان مارتان » جهزها لصباح غد حتى تخلي النازحين من باحة المدرسة ٠ هـذا هو أمر السلطة ٠ (يخرج من محفظته اعلانا أحمر صغيراً ويشرع في الصاقه على بـاب المرآب) ٠

سيمون (بصوت منخفض : ساخطة ، لجورج (: وصلت الدبابات يا سيد جورج ٠
جـــورج : (يطوق كتفها بذراعه) : نعم ياسيمون ٠
سيمـون : وهي على اللوار وستنفذ الى « تور » ٠
جـــورج : نعم ياسيمون ٠
سيمـون : وسيأتون الى هنا أليس كذلك ؟
المعلـــم : الآن فهمت لم كان النقيب مستعجلاً ٠(منفعلا جدا :) الالمان على اللوار ٠ لكن هذا رهيب ! (يقترب من العمدة الذي ما يزال منهمكاً في وضع اعلانه) : دع هذا يافيليب والندخل ٠ يجب أن أحدثك على انفراد ٠

العمـدة : (غاضبا) لا ياهنري ، انتهى الأمر ، ولن نتحدث بعد عـلى انفراد ٠ وعلى رجالك أن يعلموا أن سياراتك مصادرة ووقودك أيضاً ٠ فقد غضضت النظر كثيراً ٠
المعلـــم : أجننت ؟ في مثل هذا الوضع تصادر سياراتي ! اما الوقود فلا وقود عندي ما عدا القليل في المضخة هنا ٠
العمـدة : (أليس لديك مخزونات لم تصرح بها ؟!
المعلـــم : ماذا ؟ تتهمني بتخزين الوقود خلافاً للقانون ؟ (خارجاً عن طوره) : ياعم غستاف هل عندنا هنا مخزونات وقود ؟ (يتظاهر العم غستاف بانه لم يسمع ويهم بدفع الدولاب الى المرآب) ٠

المعلـــم : (يصرخ) ياموريس ، ياروبير ! تعالا حالا ! ياعم غستاف ٠٠ (يقف العم غستاف) تكلم : أعندنا وقود لم نصرح به نعم أم لا ؟

العم غستاف : (لا علم لي بشيء (لسيمون التي تحدق فيه بعينين واسعتين) : اذهبي أنت الى عملك بدلا من أن تظلي هنا تتبعين الى ما يقال ٠

المعلـــم : ياموريس ! ياروبير ! أين تندسان ؟

العمـــدة : اذا لم يكن عندك فضلة من الوقود فكيف تفعل اذن لتنقل خمر النقيب ؟) :

المعلـــم : أهو فخ أيها السيد العمدة ؟ اذن ساجيبك بمـا يلي : انني انقـل خمر النقيب بوقود النقيب ٠ ياجورج ، هل علمت أن لدي وقوداً لم أصرح به ؟

جـــورج : (وهو ينظر الى ذراعه) منذ أربعة أيام لا غير عدت من الجبهة ٠

المعلـــم : طيب ، أنت لا تستطيع أن تعلم شيئاً ٠ ولكن هناك موريس وروبير ٠ (في هـذه الاثناء يصل موريس وروبير) موريس ! روبير ! السيد شافيز يتهم النزل باخفاء الوقود ٠ اني أسالكما بحضور السيد شافيز هل هذا صحيح ؟ (يتردد الاخوان)

العمـــدة : يا موريس وياروبير ! أنتما تعرفانني فانا لست شرطياً ٠ ولا أحب أن أتداخل في هذه المشاكل ٠ لكن فرنسا بحاجة الى الوقود في هذه الآونة وأنا أطلب اليكما أن تؤكدا لي وجود الوقود هنا ٠ أتوجه الى ضميريكما ٠

المعلـــم : ماذا تقولان ؟

موريس : (عابسة) لا علم لنا بالوقود ٠

العمـــدة : طيب هذا كل ما عندكما ؟ (لسيمون :) أنت لـك أخ في الجبهـة أم لعلك أنتِ أيضا لا ترغبين في أن تقولي لي ان الوقود موجود هنا ٠

سيمـــون : (التي كانت متماسكة أول الأمر ، تاخذ في البكاء ٠٠)

المعلـــم : وهكذا اذن ٠ تريد أن تجر أطفالا ليشهدوا علي ٠ لا حق لك أيها السيد العمدة في أن تقوّض الاحترام الذي تحمله هذه الطفلة لمعلمها (لسيمون) : امض ياسيمون

العمدة بضجر : (ما تزال تبتز نازحي المدرسة بثمن وجباتك ٠ أمـا جنود الهندسة فقد تركتهـم ينصرفون ولم تملأ صحافهـم الى نصفهـا ٠ ولأنك تشلح النازحين آخر فلس من فلوسهم فهم لا يستطيعون التحول عن هذا المكان ٠

المعلـــم : هذا المكان ليس مؤسسة خيرية وانما هو مطعم ٠

العمـــدة : طيب ، طيب ٠ المعجزة وحدها يمكن أن تنقذ فرنسا ٠ ففرنسا متعفنة حتى مـخ العظم (يخرج ، صمت) ٠

المعلـــم : امضي ياسيمون امضي ٠

(تنصرف سيمون بخطى بطيئة مترددة وهي تتلفت أبدا الى البوابة ، واثناء سيرها يقع الكتاب الذي كانت تخفيه في السفط على الارض ٠ فتلتقطه بوجل ثـم تخرج من النزل ومعها الوجبات والسلتان ٠ !

حلم سيمون ماشار الأول

ليلـة ١٤ ـ ١٥ حزيران

(موسيقى • ومن الظلام ينبعث الملاك ويقف على سطح المرآب • ذهب وجهه يمحوه كل تعبير فيه • يمسك بيديه طبلاً ويناديي ثلاث مرات بصوت مرتفع «جان» ثم تستضيء خشبة المسرح وترى سيمون في فناء النزل • ترفع بصرها نحو الملاك وقفة الغسيل تحت ذراعها •) •

المــلاك : يا جان ، حان وقت العمـل • والا فان فرنسا ، بلادنا العظيمة تهلك بعد فترة قصيرة ، ولهذا فتش الرب عن عون فاتجه ببصره اليـك أنت خادمتـه المتواضعة وها أنا احمل اليك بامر الرب طبلاً • خذيه ، وانتزعي الشعب الطيب من همومه الصغيرة واعلمي أن الطبل لا يرن الا اذا وضعته على الارض • فكأنك انما تدقين أرض فرنسا نفسها • دقي دقـة التجمع ، وليزأف بفرنسا جميـع أبنائها كباراً وصغاراً أغنياء وفقراء •

احشدي نوتية المراكب على السين وليعيروها مراكبهم •
احشدي فلاحي الجبروند لان الخبز والخمر ينقصانها •
ليصنع لها نحاسو « سان دنيس » دبابات للمعركة • وليمض نجارو ليون في غفلة عن العدو ليفكوا الجسور • قولي لهم ان فرنسا أمهم التي حملتهم في أحشائها والتي استهزؤا بهـا وجلدوها في وجههـا ، فرنسا العاملة العظيمة ، وشاربة الخمر العظيمة ، بحاجة اليهم في محنتها ، امضي ولا تتاخري •

سيمـــون : (تنظر لترى ان كان قربها شخص آخر) : وهل من الواجب أن أقوم أنا بذلك يا سيدي • ألست أصغر بكثير من أن أكون القديسة جان •

المـــلاك : لا •

سيمـــون : اذن سافعل ما امرتني به •

المـــلاك : سيكون الامر شاقا •

سيمـــون : (بحياء) أأنت اخي أندريه ؟

المـــلاك : (لا يجيب)

سيمـــون : كيف حالك ؟

(يتوارى الملاك ، يخرج من الظلمة جورج يجر قدميه جراً وهو يحمل الى سيمون خوذة من خوذ الجيش الفرنسي وبندقية قصيرة ٠

جـــورج : (الخوذة والسيف فسوف تحتاجين اليهما ٠ لم تخلقي لهـذا ولكن المعلم ليس في عهدته الا كسيح وطفلة ٠ لا تحملي هموما بشان عملك ٠ أصغي الي : الدبابات تمر وتسحق كل شيء كانها هاشمات اللحم ٠ ليس غريباً ان يكون أخوك قـــد صـــار ملاكـاً ٠

سيمـــون : (تتناول الخوذة والبندقية) : أتريد أن أنظفهما لك يا سيد جورج ؟

جـــورج : لا ، فهما لك ٠ أنت التي ستحتاجين اليهما فانت جان العذراء ٠

سيمـــون : (تضع الخوذة على راسها) : نعم ، صحيح ٠ يجب ان أذهب الى اورليان حالا لأرى الملك وهي تبعد ثلاثين كيلو متراً٠الدبابات تجري بسرعة ٧٠ كيلو متراً في الساعة وحذائي مثقوب ولن يتوفر لي حذاء آخر قبل الفصح ٠ (تتهيأ للذهاب) لوح لي على الاقل بيديك لكي لا أخاف لان هذه المعارك قصص بالية دامية جداً ٠

(يلوح لها جورج بيده المعصوبة كما يتفق له ٠ ثم يختفي ٠ تشرع سيمون في السير على طريق اورليان فتدور على خشبة المسرح دوراناً) ٠

تغني بصوت عال :

عندما ذهبت الى « سان نازير » ٠
لـم أكن لابسـة سروالي
عند ذاك أخذ الجميع يصرخون
أين تركت سروالك ؟
فاجبتهم : أمام سان نازير
شديدة الزرقة كانت السماء
والشوفان شديد الجنون
وياله شديدة الزرقة السماء

(ياخذ موريس وروبير السائقان في الخب وراءها فجاة وهما يلبسان قطعاً من دروع العصور الوسطى فوق بذلات العمل الزرقاء ٠)

سيمـــون : ماذا تفعلان هنا ؟ لم تتبعانني ؟

روبـــير : نتبعك لاننا حرسك الشخصي ٠ ولكن ، رحمة بنا ولا تغني هذه الاغنية ٠ فهي غير لائقة ابدا ٠ نحن خطيباك فتصرفي على هذا الأساس ٠

موريس : نعم سراً ٠

(يقبل العم غستاف عليهم ، وعليه سلاح بسيط من العصر الوسيط • يسير كانه لا يراهم ويريد ان يمضي في طريقة) •

سيمـــون : عم غستاف !

العمغستاف : انت لا شغل لك معي • في مثل سني وما زلت اجبر على حشو المدفع • لا حـد لجسارتهم • امضي ، عيشي من الحلوان ، وموتي من اجل فرنسا •

سيمـــون : (بصوت منخفض) ولكن فرنسا أمك وهي في خطر •

العمغستاف : أمي كانت السيدة بوارو ، الغسالة • كانت في خطر ، تعرضت لخطر ذات الصدر ، وماذا كنت أستطيع أن افعل لها أنا ؟ كان يجب ان تتناول كميات من الادويـــة ولكني لم اكن أملك المال •

سيمـــون : (صارخة) في هذه الحالة آمرك باسم الله والملاك ان تعود من حيث اتيت وان تاخذ المدافع على عاتقك وان تصوبها على العدو • (ملاطفة :) وسوف انظفها لك •

العمغستاف : على هذا الاساس اختلف الأمر • هاك خذي رمحي •

(يضع الرمح على كتفها ويسير في أثرها •)

موريس : كم بقي من الوقت يا سيمون ؟ على كـل حال ، كل هـذا لا يفيد غير راس المال •

« يا كادحي كل البلدان اتحدوا » •

« اذهبوا واصلحوا جسوركم بانفسكم اما نحن فسننتظر عربتنا • »

(تجيب سيمون هي الأخرى بلغة الحلم التي لا يفهمها المشاهد • وهي تتكلم بقدر عظيم من قوة القناعة) •

موريس : (الذي فهم ما تقول) •• بالفعل • هذا صحيح • طيب • فلنتابع طريقنا •

روبيـــر : انت تعرجين يا سيمون فهذه الحدائد اثقل من ان تحمليها •

سيمـــون : (وقد انهكها التعب فجاة) معذرة • ليس هذا شيئاً ذا بال • انما لم آكل في الصباح وهذا هو السبب • (تقف لتجفف عرقها :) ستتحسن حالي بعد لحظة • ياروبير هل تتذكر ما ينبغي أن أقوله للملك •

روبيـــر : (يقول شيئاً بلغة الحلم ، شيئاً لا يفهم ثم) هذا كل شيء •

سيمـــون : شكراً جزيلا • بكل تاكيد • انظر هناك • لقد تراءت ابراج اورليان •

(يظهر العقيد بلأمته وفوقها لباس الميدان • يعبر الفناء خفية •)

العمغستاف : بداية حسنة • فالمارشالات يغادرون المدينة ويهربون !••

سيمـــون : لم الشوارع مقفرة الى هذا الحد ياعم غستاف ؟

العمغستاف : لعل الناس جميعا يتغدون •

سيمـــون : ولم لا يدقون اجراس النفير عندما يصل العدو ياعم غستاف ؟

العمغستاف : لابد انهم ارسلوا الاجراس الى بوردو بناء على طلب النقيب « فيتان »
(يظهر المعلم في مدخل النزل • وهو يلبس على رأسه خوذة علقت عليها ريشة حمراء وعلى صدره قطعة من الفولاذ اللماع •)

المعلــم : اذهبي حالا وابتزي نازحي المدرسة بثمن وجباتنا •

سيمــون : ولكن يا سيد هنري ان فرنسا امنا في خطر • والالمان على اللوار • ويجب انأذهب لاكلم الملك •

المعلــم : غريب ! النزل يفعل في الحقيقة كــل ما يستطيعه • لا تنسي ما لمعلمك عليك من الاحترام •
(يبدو في المرآب رجل بلباس ارجواني •)

سيمونبفغر : اترى يا سيد هنري ، هذا هو شارل السابع • (يتضح ان الرجل ذا اللباس الأرجواني انما هو العمدة الذي يلبس الرداء الملكي فوق بذلته •)

العمــدة : صباح الخير يا جان •

سيمــون : (دهشة) اأنت اذن هو الملك ؟

العمــدة : نعم أنا السلطة وأنا أصادر السيارات • يجب أن أحدثك عـلى انفراد ياجان •
(يتوارى في الظلمة السائقان والعم غستاف والمعلم • يجلس العمدة وسيمون على القاعدة الحجرية لمضخة الوقود •)

العمــدة : انتهى كل شيء يا جان • سافر المارشال ولم يترك عنوانا • وقد كتبت الى امير الجيش أطلب مدافع ولكن الرسالة المختومة بالخاتم الملكي عادت الي دونأن تفتح• أما المسؤول عن جياد الملك فيعلن انه جرح في ذراعه وان في هذا ما يكفيه • مع أن احداً لم يشاهد جرحه قط • كل شيء متعفن حتى مخ العظم • (يبكي) لاشك انك قدمت لتلوميني على ضعفي • وإني لضعيف حقا • ولكن أنت ما شانك ؟ فقبل كل شيء اريد ان تقولي لي أين الوقود ؟

سيمــون : في معمل الآجر بالتاكيد •

العمــدة : قد غضضت النظر أعرف ذلك • ولكنك انت تستدين من النازحين آخر فلس من فلوسهم بوجباتك المبتزة •

سيمــون : إن كنت افعل ذلك فلكي احفظ للملاك عمله أيها الملك شارل •

العمــدة : والسائقون ؟ امن اجل المحافظة على عملهم ينقلون خمر النقيب فيتان بدلا من ان ينقلـوا النازحـين •

سيمــون : وهؤلاء ايضا لان المعلم طلب أن يحتفظ بهـم مستخدمين خصوصيين • وعليـه فلا يذهبون الى الجبهة • اتفهم ؟

العمـــدة : (آه نعم • تبعي من التجار الأشراف • انا مدين لهم بجيادي البيضاء • النبلاء ضد الملك • على كل حال هذا مكتوب في كتابك • اما انت فالشعب خلفك•ولا سيما موريس • يا جان الا نستطيع ان نعقد اتفاقا انت وانا ؟

سيمـــون : لم لا أيها الملك شارل • (مترددة :) لكن يجب أن لا تزعج نفسك فتتداخل في هذه المسائل • وهكذا تصبح الصحاف ملأى الى حافاتها •

العمـــدة : سارى ما يمكنني فعله • لا بد لي من أن اكون حذرا والا الغوا مخصصاتي السنوية• ثم اني عند الجميع الرجل الذي يغض النظر • ولذا فعندما أصدر امرأ لا يمتثل له احد • وعلي تقع كل المضايقات • انظري الى جنـود الهندسة : فبدلا من أن يستولوا عنوة وبكل بساطة على ما يحتاجون اليه من النزل جاؤوا الي وقابلوني : وفي هذه الظروف يجب ألا ندهش اذا تركني الدوق « دي برغوني » أسقط وانحاز جهارا الى الانكليز •

المعلـــم : (يبدو عند الباب) انت مستاء أيها الملك شارل عـلى ما أسمع ؟ هلا تفضلت فوضعت نفسك موضع الاهالي • مصت دماؤهم • ما من انسان اكثر احساساً مني لما يمس فرنسا ولكن واأسفاه • (يشير إشارة عجز ويختفي) •

العمـــدة : (مذعنا) اذهبي بعد هذا واكسري الانكليز !

سيمـــون : علي اذن أن أدق الطبل •• (تجلس على الارض وتدق الطبل الذي لا يرى ، ترن كل ضربة وكانها تنبعث من الارض نفسـها) اظهروا يانوتية السـين ، اظهروا يانحاسي « سان دنيس » وانتم يا نجاري ليون ، اظهروا ها أن العدو يجيء !

العمـــدة : ماذا ترين ياجان ؟

سيمـــون : لقد وصل الاعداء • ألبتوا في مواقعكم • على رأسهم يتقدم الطبال الكبير وصوته صوت ابن آوى ، وجلد طبله جلد يهودي ، وعلى كتفه يجثم عقاب رأسه كرأس الصراف فوش من « ليون » • ووراءه بالذات المارشال مشعل الحرائق وهو راجل وانه لمثل مهرج كبير • وهو يلبس سبع بزات ولكن ليس له في واحدة من السبع هيئة انسان • وفوق هذين الشيطانين تتراقص مظلة مصنوعة من ورق الجرائد مما يسهل تعرفهما • وخلفهما في سيارة الجلادون والمرشالات وقد وسمت جباههم بميسم الصليب المعقوف • ووراءهم تتابع تتابعا لا نهاية له المدرعات والمدافع والقاطرات والشاحنات تحمل المذابح وسر القربان المقدس وغرف التعذيب • لان كل شيء مجهز تجهيزا آليا وهو يمضي باقصى سـرعته • تاتي اولا العربات المحملة بالعتاد ،

ووراءها العربات المحملة بالغنائم • أما الناس فيكتفون بحصدهم وأما القمح فجمعونه • وهكذا فحيثما حلوا انهارت المدن واذا رحلوا خلفوا الصحراء • لكنهم لن يتقدموا بعد الآن • فها قد حضر شارل ملك فرنسا وحضرت خادمة الرب • وخادمة الرب أنا •

(في هذه الاثناء يتجمع جميع الفرنسيين الذين ظهروا على خشبة المسرح أو الذين سيظهرون فيما بعد • وكلهم مسلحون بأسلحة العصور الوسطى وبقطع من دروع •)

سيمـــون : (مشرقة) أترى أيها الملك شارل • لقد جاؤوا جميعاً •

العمـــدة : لم يأتوا جميعاً يا جان • لا أرى أمي أيزابو مثـلا • وأمير الجيش انصرف غاضباً •

سيمـــون : لا تخف أبداً لانني ساتوجك ملكاً كيما تقوم الوحدة بين الفرنسيين • انظر لقـد جئت بتاجك •

(تخرج تاجاً من قفتها) •

العمـــدة : ولكن مع من سالعب بالورق اذا لم يعد أمير الجيش •

سيمـــون : سيعطونه اجازة •

(تتوج سيمون رئيس البلدية • في المؤخرة يظهر جنود الهندسة يدقون على قدورهم بمغارفهم صخب شديد •)

العمـــدة : ما هذه الاجراس ؟

سيمـــون : هذه أجراس كاتدرائية ربنس •

العمـــدة : أم لعلهم جنود الهندسة الذين أرسلتهم الى النزل طلباً للطعام ؟)

سيمـــون : تماماً • فهم لم يعطوا شيئاً حتى ان قدورهم ظلت فارغة • وقدورهم الفارغة هي أجراس تتويجك أيها الملك شارل •

العمـــدة : مازلتم تدقون ! انقلعوا !

الجميـــع : يعيش الملك وجان العذراء التي توجته •

العمـــدة : (لسيمون) شكراً عظيماً يا جان فقد أنقذت فرنسا •

(يظلم المسرح • ووسط الموسيقى المشوشة ينطلق صوت مذيع في المذياع •)

٢ ـ المصافحـــة

في أول الصباح يجلس موريس وروبير السائقان ، والعـم غستاف والجندي جورج يتناولون فطورهم ·· يُسمع صوت المذياع آتياً من الفندق ·

المذيـاع : نعيد عليكم قـراءة البلاغ الذي اذاعته وزارة الحرب هـــذا الصباح في الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة : « على اثر عبور تشكيلات مدرعة عدوة نهر اللوار عبوراً مباغتاً انتشرت طوابـير مـن النازحين عـلى الطرقات ذات الأهمية الستراتيجية في مقاطعات وسط فرنسا · ان الحكومـة تطلب بالحاح الى الأهلين ان يبقوا حيثما وجدوا كيما تخلي الطرقات من أجل تسيير التعزيزات ·

مـوريس : حان الوقت لننسحب ·

جـــورج : هرب مدير الخدم والخدم منذ الساعة الخامسة من هـــذا الصباح بعد ان قضوا الليل يعبئون الآنية الخزفية في صناديق · وقد هددهم صاحب الفندق بانه سيجعل الشرطة تتعقبهم · ولكن هذا لم يفده شيئا ·

روبـــير : (لجورج) ولم لم توقظنا في هذه الساعة ؟

(جورج لا يجيب ·)

مـوريس : لا شك أن صاحب الفندق هو الذي أسكتك ؟ (ينفجر ضاحكاً ·)

روبـــير : جورج الا تريد انت أن تنسحب كبقية الناس ·

جـــورج : لا سانزع بزتي وأبقى · فعلى الأقل ساجد هنا ما آكلـه · الآن فقدت الأمـل في شفاء ذراعـي ·

(يخرج المعلم من النزل بادي الانهـاك أنيق المظهر وخلفه تنحب سيمون وهـي تسحب حقائبه ·)

المعلـــم : (ضاربا بيديه) ـ موريس ـ روبير ـ غستاف هيا · فعلينا تحميل الآنيةالخزفية· كـل مافي المخـزن يجب ان ينقل الى الشاحنات · يجب تمليح الشرائح اللحمية · ولكن قبل كل شيء حمّلوا الخمور الممتازة · فهوتك تشربها فيما بعد ، أما الآن فنحن في حرب · سترحل الى بوردو ·

(يتابع المستخدمون فطورهم · وينفجر موريس ضاحكا ·)

المعلـــم : ما بكم ؟ الم تسمعوا ؟ يجب أن تحزموا وتحمّلوا ·

موريس : (بتهاون) السيارات مصادرة •
المعلم : مصادرة ؟ حماقات (بحركة طويلة) قرار المصادرة من أمس والدبابات الالمانية تنقض على سان مارتان • وهذا من شانه ان يغير كل شيء • فما كان صحيحاً أمس لا يصح اليوم •

العمغستاف : (هامسة) • صحيح •
المعلم : ارفع فنجانك عن فمك عندما أكلمك •
(تضع سيمون الحقائب وتنسل اثناء الاجوبة الأخيرة الى النزل •)

موريس : أتريد فنجاناً آخر ياروبير ؟
روبير : طبعاً فلا يعلم المرء ما يصيبه غداً •
المعلم : (بالغاً غضبه) هيا ، كونوا عاقلين وساعدوا معلمكم على تجميع القليل الذي يملكه • (وعندما لا يرفع أحد رأسه :) ياعم غستاف اذهب انت حالا واشرع في حزم الآنية الخزفية •

العمغستاف : (يقف نصف وقفة •) لم أفرغ من فطوري بعد • لا تنظر الي هذه النظرات فانها لم تعد تنجع • (بقسوة :) اغرب عني الآن انت وآنيتك الخزفية•(يجلس)•
المعلم : وأنت أيضا أصابك ما أصابهم ؟) وفي مثل سنك ؟ (ينقل بصره من واحد الى آخر . يشاهد الدراجة النارية ، بلهجة مريرة :) فهمت • أنتم تقولون فيأنفسكم، لم يبق الا ان ننتظر الألمان • فالمعلم نفذت قواه • أهذا حبكم واحترامكم لمن يطعمكم • (للسائقين) وقعت بامضائي ثلاث مرات لأشهد انه لا يستغنى عنكم في عمليات النقل لدي • ولولاي لكنتم الآن في الجبهة • وهكذا تكافئونني ؟ هذا مربح من يتصور أنه يكوّن مع مستخدميه عائلة صغيرة (من فوق كتفه :) سيمون، أعطنى قدح كونياك فقد خارت قواي • (وحين لا يتلقى جواباً) سيمون ، أين اختبات ؟ ها هي ذي الأخرى تنصرف !
(تخرج سيمون من الفندق لابسة سترتها ، متهيئة للانصراف • وهي تسعى أن تمر من غير أن يلحظها المعلم •)

المعلم : سيمون !
(تستمر سيمون في طريقها •)
المعلم : (أأنت مجنونة فلا تجاوبين ؟)
(تاخذ في الركض وتتوارى • يهز المعلم كتفيه ويلمس باصبعه جبهته •)
جورج : ماذا جرى لسيمون ؟

المعلـــم : (يلتفت الى السائقين) هكذا اذن : ترفضون الطاعة ؟
مـوريس : ليس هذا هو الموضوع • سننطلق بعد أن نفطر •
المعلـــم : والآنية الخزفية ؟
مـوريس : سننقلها على شرط أن تحملها أنت نفسك
المعلـــم : أنـــا
مـوريس : نعم أنت • أليست لك ؟
روبـــير : (مخاطبة موريس) وبديهي أننا لا نستطيع ان نضمن وصولها الى بوردو •
مـوريس : ومن يستطيع ان يضمن شيئاً في مثل هذه الايام •
المعلـــم : لكن هـــذا فظيع ! أتعلمون ما الذي يكلفه رفض الطاعة هنا في مواجهة العدو • أجعلكم ترمون بالرصاص هنا •
(يصل والدا سيمون •••)

المعلـــم : ماذا جئتما تفعلان هنا انتما ؟
السيدةماشار: ياسيد سويو جئنا بشأن ابنتنا سيمون • يقال أن الألمـــان سيصلون بـــين لحظـــة واخرى وانك سترتحل وسيمون صغيرة ، والسيد ماشار قلق بشأن العشرين فرنكا •

المعلـــم : أتصور أنها انصرفت • لا ردها الله •
جـــورج : أليست سيمون في البيت ياسيدة ماشار ؟)
السيدةماشار: (لا ياسيد جورج)
جـــورج : (غريب) •
يصل العمدة ومعه شرطيان • وخلفهما تستتر سيمون •

المعلـــم : (وصلت في اللحظة المناسبة يافيليب • (وبحركة طويلة :)
يا فيليب ، أنا بازاء عصيان ! فتك ، فاتت السلطة •
العمـدة : (هنري ، علمت من الطفلة ماشار ان في نيتك ارسال السيارات الى مكان أمين • وساحاول دون هذه المخالفة للقانون بكل الوسائل بما فيها القوة •)
(يشير اشارة باتجاه الشرطيين)

المعلـــم : سيمون اتملكين الجرأة على هذا الفعل ؟ ياسادة انما هذه مخلوقة آويتها عندي رحمة باهلهـــا !
السيدةماشار: (تهز سيمون) ما الذي فعلته أيضاً ؟ (تظل سيمون صامتة) •
مـوريس : انا ارسلتها •
المعلـــم : واصغيت الى ما يقوله موريس هذا ؟

السيدةماشار: سيمون كيف استطعت ؟٠٠

سيمـون : فعلت هذا لأساعد السيد العمدة ياامي فهناك حاجة الى سياراتنا ٠

المعلـم : سياراتنا !

سيمـون : (سيمون وقد أخذت ترتبك) ولكن الطرق مسدودة في وجـه اندريه (لا تجد ما تقوله : ! من فضلك ياسيدي العمدة اشرح لهم أنت ٠

العمـدة : ياهنري حاول ان تضع حدوداً لانانيتك ٠ لقد احسنت صنعاً هذه الطفلة انها جاءت لمقابلتي ٠ففي مثل هذه الايام التي نعيشها يعتبر ملك كل واحد ميراثاً لفرنسا ٠ ولداي في الجبهة وهذه حال أخيها أيضـا ٠ ذلك يعني ان أولادنا لـم يعودوا لنا ٠

المعلـم : (خارجا عن طوره ! اذن لم يعد هناك نظام ؟ ولم يعد للملكية وجود أليس كذلك ؟ لم لا تقدم النزل هـدية لعائلـة ماشار ، مـا دمت فيه ٠ ولعل السادة السائقين يرغبون في اقتسام صندوقي ؟ تلك هي الفوضى ! لا بد أن أذكرك ياسيد شافيز ان أمي والسيدة زوجـة المحافظ كانتا في مدرسة داخلية واحـدة ٠ وما زال مـن الممكن الاتصال بها هاتفياً ٠

العمـدة : (ملطفة لجهته) انني لا أفعل سوى واجبي ٠

المعلـم : قليلا من المنطق يافيليب ٠ تحدثت عـن ميراث فرنسا ٠ مدخـراتي آنية السفرة الخزفية الجميلة ، الآنية الفضية أليس ذلك ميراث فرنسا ٠؟ وهل ينبغي أن تضع كل ذلك في قبضة الألمان ؟ لا ينبغي أن يقع في قبضتهم اي فنجان قهوة ، ولا أية شريحة لحـم ، ولا أيـة علبة سردين ٠ الصحراء هي ما ينبغي أن يجدوه لدى وصولهم ٠ أنسيت هذا وأنت العمدة ؟ كان عليك أن تاتي لتلقاني وتقول لي : ياهنري واجبك أن تضع أرزاقك في مامن من الالمان ٠ وأجيبك أنا على هذا الكلام: يا فيليب ، من أجل ذلك أنا بحاجة الى سياراتي ٠

(تصل من الشارع ضوضاء جمهور ٠ يدق الجرس عند مدخل النزل ويضرب على أحد الأبواب) ٠

المعلـم : ماذا يجري ؟ اذهب ياجورج وانظر ما الامر ؟ (يذهب جورج الى النزل) ٠

المعلـم : عليك أن تقول للمستخدمين الذين امعنوا في نسيان واجبهم اذ ارادوا أن يذهبوا ويتركوا كـل أرزاقي : عليك أن تقول لهـم : (يلتفت الى السائقين :) أيهـا السادة اهيب بوطنيتكم احزموا الآنية ٠

جـورج : (الذي عاد) هؤلاء نازحـو المدرسة ياسيد هنري ٠ سمعوا أنك تريـد أن تبعث

السيارات الى مكان أمين • وهم هائجون ويريدون الكلام الى السيد العمدة •

المعلـــم : (وقد شحب فجأة) احسنت عملا يافيليب • وكل هذا من سيمون ! أسرع ياجورج وأغلق البوابة • (يذهب جورج ليغلق البوابة) استعجل ! اركض ! تلك هـي عاقبـة تحريض الناس على ثمن الوجبات الدهماء • (للشرطيين) اعملا شيئا ! فوراً ! يجب أن تطلب نجدة يافيليب بالهاتف • انت مدين لـي بهـذا • أنا في خطر يافيليب • أرجوك يافيليب ساعدني •

العمـدة : (للشرطيين) اذهبا واحرسـا البوابة (للمعلـم :) انت تقول حماقات • فانت لا خطر عليك وقـد سمعت انهـم يريدون مقابلتي (يبدأ الضرب عـلى البوابـة أيضا :) أدخل وفداً منهم • لا أكثر من ثلاثة •

(يشق الشرطيان الباب ويفاوضان الجمهور ثم يدخلان ثلاثة أشخاص : رجلـين وامرأة تحمل رضيعها) •

المعلـــم : ما الأمـــر ؟

(أحد النازحين في هياج بالغ) سيادة العمدة نحن نطالب بالسيارات •

المعلـــم : هذا مع أنكم سمعتم جيداً أنه يجب اخلاء الطرقات •

المـــرأة : اخلاؤها لكم ؟ أما نحن فعلينا من غير شك أن نبقى هنا ننتظر القاذفات الالمانية•

العمدةللنازحين: أيها السيدات والسادة اياكم والذعر • وقد اتخذت كافـــة الترتيبات بشـان المركبات • وكل ما يرغب فيه النزل هو أن ينقذ بعض الحاجات الثمينة من خطر يهددهـا به العدو •

المـــرأة : (ساخطة) أترون ، هذا ما توقعناه ! ينوون أن ينقلوا الصناديق بدلا من الناس•

(يسمع صوت الطائرات)

أصواتمنالخارج: طائرات شتوكا •

المعلـــم : انهـــا تنقض •

(يتزايد الصوت تزايداً مرعباً • تنقض الطائرات فينبطح الجميع على الارض •)

المعلـــم : (بعد أن ابتعدت الطائرات) هنا يجازف المرء بحياته • وانا ذاهب •

أصواتمنالخارج: هاتوا السيارات • هل نبقى جميعاً هنا لنقتل ؟

المعلـــم : وما حُمل شيء بعد يافيليب !

سيمـون : (غاضبة) ليس هذا وقت التفكير بالمؤن • لا حق لك في ذلك •

المعلـــم : (منذهلا) ماذا ؟ أتتجرئين !

سيمـون : المؤن نستطيع ان نوزعها على هؤلاء النازحين •

نـــازح : آه ، أهي مؤن ؟ أهي مؤن ما تتحدثون عن نقله •

مـوريس : تمامـاً •

المـــرأة : تصوروا أننا لم نستطع الحصول على وجبة الصباح !

مـوريس : انه لا يريد أن يحمي مدخراته من الالمان بل من الفرنسيين •

المـــرأة : (تندفع الى البوابة) افتحوا البوابة (وعندما يوقفها الشرطيان تصرخ من خلف الجدار) ما سيحملونه على السيارات هو مؤن النزل •

المعلـــم : فيليب لا يجوز لك أن تدعها تصرخ بهذا الصراخ •

أصواتمنالخارج: انهم يمررون المـؤن خفية • اخلعوا البوابة • أليس بيننا رجـال ؟ ينقلون المؤن ويسلموننا نحن الى الدبابات الألمانية •

(يخلع النازحون الباب • يتوجه العمدة الى ملاقاتهم)

العمـدة : أيها السادة والسيدات • اياكم والعنف • كل شيء سيسوى •

(وبينما يفاوض العمدة النازحين عند البوابة ينشا في الفناء شجار كلامي فتتكون جماعتان : المعلم وأحد النازحين والمراة وأهـل سيمون من جهة ، ومن الجهـة الاخرى سيمون والسائقون والنازح الثاني والعم غستاف • يظل جورج على حدة ويتابع فطوره • وفي هذه الاثناء تخرج العجوز السيدة سوبو من غير أن يلحظهـا أحد • وهي امرأة طاعنة في السن وكل ثيابها سوداء) •

المـــرأة : بقي ما لا يقل عن ثمانين شخصاً لا يجدون وسيلة تنقلهم •

المعلـــم : ولكنك تحملين معــك صرتك ، ياسيدتي فكيف يتحتم علي أنا أن أدع كـل شيء أليست هذه السيارات لي أنا •

العمـدة : الى كم محلا تحتاج ياسيد سويو ؟

المعلـــم : أحتاج لما يستوعب ستين صندوقا على الأقل • أما السيارة الثانية فيمكن ان تتسع بعد ذلك لثلاثين نازحا •

المـــرأة : أنت تنوي اذن أن يبقى هنا خمسون نازحاً ، اهذا ما تنويه ؟

العمـدة : لنقل انك تكتفي بنصف سيارة لنستطيع على الأقل نقل الاطفال والمرضى •

المـــرأة : تريد أن تقسم كل عائلة شطرين ؟ أي عمدة هذا !

المعلـــم : ويمكـن لثمانية أو عشرة أشخاص أن يتخـذوا اماكنهـم عـلى الصناديق (للسيدة ماشار) الفضل في ذلك لابنتك •

المـــرأة : في هذه الطفلة من المروءة أكثر مما فيكم جميعاً •

السيدةماشار: اعذر طفلتنا سيمون ياسيد هنري • أخوها هو الذي حشا رأسها بهذه الأفكار وتلك كارثة حقـاً •

سيمـون : انتم تعرفون المنطقة • يمكنكم أن تسلكوا الطرقـات الفرعية • وتتركوا الطريق الرئيسية العامة سالكة للقوات •

روبـيـر : لا ننوي أن نعبر مياه الطوفان بمؤنه •

سيمـون : ولكنكم تنقلون المرضى والاطفال •

روبـيـر : النازحون ، هذا شيء آخر

العمغستاف : لا تتداخلي في هذه الامور ياسيمون • هذه نصيحتي لك •

سيمـون : ولكن بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطر مميت ياعم غستاف •

العمغستاف : وهذا الكلام أيضا جاءك من ذلك الكتاب اللعين « بلادنا الجميلة فرنسا تتعرض لخطـر مميت » •

روبـيـر : نزلت السيدة سوبو وهي تومىء اليك • (تمضي سيمون نحو السيدة سوبو) •

المـرأة : (للجمهور الذي يزدحم عند البوابة) ما علينا الا أن نستولي عـلى كل شيء : السيارات والمـؤن •

السيدةسوبو : دونك المفتاح ياسيمون • خذي من المدخرات وأعطيهم ما يشتهون • عم غستاف ، جورج ساعداها •

العمـدة : (بقوة) مرحى يا مدام سوبو ، عظيم جدا •

المعلـم : كيف تفعلين هذا يا أمي ؟ وقبل كـل شيء كيف خطر ببالك أن تنزلي ؟ تعرضين نفسك للموت في مثل هذا التيار من الهواء هنا • هذا عدا ما عندنا في القبو من خمور معتقة ومن مدخرات بقيمة ستين الف فرنك •

السيدةسوبو : (للعمدة) كـل ذلك في خدمة النازحين • (لابنهـا بجفاف) هل تفضل نهبـاً بحسب الاصـول ؟

سيمـون : (للمرأة التي تحمل رضيعها) سنوزع المؤن عليكم •

السيدةسوبو : ياسيمون ان ابني ياخذ باقتراحك ويضع كل مدخرات الفندق تحت تصرف الناحية • ولا يبقى بعد هـذا الا الاواني الخزفية والفضية • وهي لن تربككم • وسـوف تحمّلونها • أليس كذلك •

المـرأة : ومحلاتنا داخل الشاحنات ماذا سيصيبها في هذه الحالة •

السيدةسوبو : سننقل كـل الناس الذين يمكننا نقلهـم • ويرى النزل من دواعـي كرامته أن يتكفل بمؤونة من يمكثون •

صوت آخر : (أحد النازحين يصرخ باتجاه البوابة) غاستون ؟ هل يقبل العجوزان « غرافيل » وعائلة « مينيبي » أن يبقوا هنا اذا أمنت اعاشتهم •

صوت من الخلف: (يصرخ) هذا محتمل جدا يا جان •
المـــرأة : مهلا ! اذا مونونا فانا أيضا أقبل أن أبقى !
السيدة سوبو: أهلا بك •
العمــدة : (صوب البوابة) أيها السادة والسيدات ، اخدمـوا أنفسكم • مدخرات الفندق تحت تصرفكم •
(يدخل بعض النازحين الى المخزن مترددين) •

السيدة سوبو: واحملي الينا بعض زجاجات الكونياك ياسيمون من صنف مارتل الممتاز •
سيمـون : نعم ياسيدتي • (تومىء الى النازحين ويدخل معهم الى المخزن العم غستاف وجورج •
المعلـــم : أنت تشتهين موتـي •
(يسحب أحد النازحين الى خارج المخزن بمساعدة جورج صندوقاً مـن المـؤن • يقوم وهو مشرق بدور البائع الجوال •

أحد النازحين: فواكه ، شرائح لحمية ، شوكولاته ، وجبات للسفر ، مجانا في هذا اليوم !
المعلـــم : (يخرج عن طوره وهو يتأمل علب المحفوظات التي حملها النازحون مع جورج عبر الفناء والى الطريق) ولكن هذه بقالة فاخرة ، كبد دسمة !••

السيدة سوبو: (تهمس اليه بصوت خفيض) هـلا سكتت ! (للنازح بتودد كبير) أرجـو أن تجد ذلك على ذوقك ياسيدي •
(النازح الآخر يجر عبر الفناء بمساعدة العم غستاف سللا ملأى بالمؤن •)

المعلـــم : (يئن نادبا) خمري من صنف « بومار » ١٩٣٣ ولكن هذا هو الكافيار ، وهذا ••
العمــدة : هذه ساعة التضحيات ياهنري (بلهجة مؤثرة) المطلوب أن نرى مروءتك •
مــوريس : (مقلداً تعجب المعلم) خمري من صنف « بومار » (بريت على كتف سيمون ويغرب في الضحك) يا سيمون ، في مقابل المتعة التي لمثل هذا المشهد فانا أقبل أن أحمّل لك صناديق الآنية الخزفية •
المعلـــم : (مغتاظا) الحقيقة اني لا أرى في ذلك ما يضحك • (مع اشارة نحو السلل التي تختفي) ها قد وقعنا في النهب بحسب الاصول •
روبـــير : (ملاطفا وهو يحمل سلة) لا تدع نفسك تنهار • فبالمقابل سنحمّل لك آنيتك الخزفية •
السيدة سوبو: موافقة (تاخذ بعض العلب والزجاجات وتحمّلها لأهل سيمون) خذوا ، خذوا أنتم أيضا • وأنت ياسيمون أعطي أهلك أقداحا •
(سيمون تنفذ الأمر ثم تذهب وتأتي بمنضدة تضعها بملاصقة الجدار ثم تغرق من السلة مؤنا وتناولها من فوق الجدار للنازحين الذين في الخارج) •

السيدةسوبو: موريس ، روبير ، عم غستاف خذوا اقداحاً أنتم أيضاً (بايماءة نحو الشرطة) أرى القوة المسلحة قد خدمت نفسها • للمرأة التي تحمل الرضيع) وأنت أيضاً اشربي جرعة معنا • (للجميع) سيداتي سادتي ، لنرفع أكوابنا على شرف مستقبل بلادنا الجميلة فرنسا •

المعلم : (وقد بقي وحده بمعزل عن الشرب) وأنا ؟ أتشربون نخب فرنسا بدوني • (يصب لنفسه قدحاً وينضم الى الجماعة)

العمدة : (للسيدة سوبو) ياسيداتي باسم ناحية سان مارتان أشكر النزل على الهبة السخية التي قدمتها (يرفع قدحه) على شرف فرنسا ، على شرف المستقبل •

جورج : ولكن ماذا تفعل سيمون •
(تظل سيمون منهمكة في توزيع الاطعمة على النازحين من فوق الجدار)

العمدة : سيمون ! (تقترب سيمون لاهبة الخدين مترددة) •

السيدةسوبو: هيّا ياسيمون ، خذي قدحاً انت أيضا • الناس هنا مدينون لك بالجميل • (يشرب الجميع) •

المعلم : (للسائقين) ها قد عدنا أصدقاء من جديد • أتظنون حقة ، أتظنون حقا أنه كان من الممكن أن أفكر للحظة واحدة في ترك النازحين هنا • ياموريس وياروبير ان لي طبعي ولكني قادر تماماً على تقدير الدوافع الرفيعة حيثما وجدت • وأعرف كيف أعترف باخطائي • فذلك لا يخيفني • اصنعوا صنيعي • ولننس خلافاتنا الشخصية الصغيرة • فهي توافه • أجدر بنا ان نكوّن جميعا كتلة متماسكة تجاه العدو المشترك • أتعدونني بذلك ؟ (يمد اليهم يده ، يمدها لروبير الذي يهزها وعلى وجهه ابتسامة بلهاء • بعد هذا يمد جورج يده اليسرى • ثم يتقبّل المعلم المرأة ذات الرضيع • يناوله العم غستاف الذي ما زال تحت وطاة الغضب ، يده وهو يدمدم • ثم يلتفت المعلم الى موريس السائق الذي لا يبدي استعداداً لأن يمد يده)•

سيمون : (بلهجة الملامة) موريس !

موريس : (يمد يداً مترددة ، ساخراً) عاشت قديستنا الجديدة جان التي تعمل على توحيد جميع الفرنسيين •
(يصفع السيد ماشار ، سيمون)

السيدةماشار: (تشرح) هذا لتتعلمي كيف تعاندين معلمك •

المعلم : (للسيد ماشار) لا تفعل هذا • (يجذب سيمون من كتفها ويواسيها) فسيمون طفلتي المفضلة ياسيدتي • هذه ناحية الضعف فيّ • (للسائقين) ما فعلنا كل

شيء بعد يا أولاد • بقي علينا تحميل الآنية • أنا واثق أن السيد ماشار سيعاونا هو أيضاً •

العمدة : (للشرطيين) وأنتما أيضاً ستساعدان السيد سوبو أليس كذلك ؟•

المعلم : (ينحني أمام المرأة ذات الرضيع) سيدتي !•

(تتفرق الجماعة • يبدأ الجمهور في الخارج يبتهج • لا يبقى على المسرح سوى المعلم والعمدة والسيدة سوبو وسيمون والسائقين وجورج) •

المعلم : هذه لحظة عظيمة يا أولاد • ما كنت أحب أن تفوتني على الاطلاق • لا رد الله الكافيار ولا الخمر • ما أحبه هو أن أرى الجميع يتفاهمون •

موريس : وما مصير معمل الآجر من ذلك كله ؟

العمدة : (حذراً) صحيح ياهنري • فمعمل الآجر أيضا لابد من تدبر أمره •

المعلم : (وقد تأثر تأثر المستاء) ماذا ؟ ما الذي تريدون بعد ذلك ؟ أرسل الى المعمل اذا شئت سياراتك التي ليس فيها وقود وتستطيع أن تملأ خزاناتها منه • رضيتم الآن؟

روبير : في « آبفيل » كانت الدبابات الألمانية تتزود بالوقود من المضخات على جانب الطريق• وعلى هذا فقد كان تقدمها سريعاً •

جورج : لم تكد الكتيبة ١٣٢ تجد وقتاً ترتد فيه حتى لحق الالمان بمؤخرتها فابادوا سريتين بسهولة •

سيمون : (مرتعبة) ولكن السابعة لم تصب ؟

جورج : السابعة ، لا •

العمدة : مدخرات البنزين يجب أن تدمر ياهنري •

المعلم : لعلكم تستعجلون قليلا ؟ فنحن لانستطيع أن ندمر كل شيء منذ الآن • ومن يعلم ؟ فقد ننجح في صد العدو • صحيح ياسيمون ؟ قولي للسيد شافيز ان فرنسا ليست وشيكة الضياع • (للسيدة سوبو) والان وداعاً ياأمي • أتركك وبالي مشغول• ولكن لديك سيمون لتكون سنداً لك • وداعاً ياسيمون • لا أخجل من أن أقول لك شكراً •

المعلم : •••• أنت فرنسية حقيقية (يعانقها) فما دمت هنا لن يقع شيء بين أيدي الالمان أنا واثق من ذلك • يجب ألا نترك لهم من النزل الا الجدران العارية • اتفقنا ؟ أعلم أنك ستفعلين ما كنت افعله أنا نفسي • وداعاً يافيليب أيها الاخ القديم • (يعانقه ، ويأخذ أمتعته ، تحاول سيمون مساعدته) •

المعلم : (يرفض بيده) خلي عنك • الأولى أن تري أنت وأمي ما يجب عمله فيما بعد بمدخراتنا • (يخرج باتجاه الطريق) •

سيمـون : (تلحق بالسائقين) موريس ، روبـير ! (سيمون تقبل كلا منهما على خديه ثـم ينصرف موريس وروبير بدورهما نهائيا) •
صوتمذياع : علمنا في هذه اللحظة أن تشكيلات مدرعة عدوة وصلت الى « تور » (يتكرر هـذا النبأ مرات حتى نهاية المشهد) •
العمـدة : (شاحبا ، فاقداً اتزانه) واذن فقد يصلون الينا هذه الليلة •

السيدةسوبو: ما لك يافيليب ، كن رجلا •
سيمـون : سيدتي سأسارع الىمعمل الآجر أنا والعم غستاف وجورج لتدمير مدخرات البنزين•
السيدةسوبو: سمعت مع هذا تعليمات المعلم ؟ طلب الينا ألا نعمل شيئا بعجلة • على كل حال فهناك أشياء يجب أن تتركي لنا مباشرتها ياصغيرتي •

سيمـون : ولكن موريس يقول ياسيدتي ان الالمان يتقدمون بسرعة •
السيدةسوبو: كفى ياسيمون ! (تتهيأ للانصراف) ففي هذا المكان تيار هوائي شديد • (للعمدة) أشكرك يافيليب على كل ما فعلته اليوم للنزل • (عـلى عتبة الباب) في الواقـع ياسيمون بما أن الجميع انصرفوا الآن فمن المحتمل أن اغلق النزل • فارجعي لي مفتاح مخزن المؤن •
(سيمون مهزوزة ، تعيد اليها المفتاح) •

السيدةسوبو: أظن الأفضل لك أن تعودي الى بيتك بين أهلك • وما علي الا ان أحمد لك خدماتك
سيمون : (لا تفهم) لكن الن تحتاجوا الي عندما تاتي البلدية لتسلم المدخرات•
(تعود السيدة سوبو الى الفندق دون أن تنبس بكلمة •

سيمـون : (بعد فترة صمت ، ملجلجة) قد صرفت من الخدمة أيها السيد العمدة ؟
العمـدة : (مواسية) أخشى ذلك • ولكن لا يجوز لك أن تخجلي • فلقد سمعتها تقول مـا علي الا أن أحمد لك خدماتك • وهذا الكلام من فمها له شانه •

سيمـون : (بصوت خاب) نعم ياسيدي •

(ينصرف العمدة بادي الذهول • تتبعه سيمون ببصرها) •

حلم سيمون ماشـار الثاني

ليلة ١٥ حزيران

موسيقى مشوشة ذات ايقاع رسمي • من الظـلام تنبعث جماعـة سمّرهـا الانتظار • العمدة بالرداء الملكي ، والمعلم والعقيد كلاهمـا يلبس لأمة وبيد كل منهما عصا القيادة • يلبس العقيد فوق لأمته لباس الميدان •

العقيـد : استولت قديستنا جان علـى أورليان ورانس بعد أن أخليت الطريق العامـة لعبور التعزيزات صار من الواجب منحها بعض الأوسمة • هذه بداهة •

العمـدة : هـذا من شأني ، من شأن الملك • وسيقبل الارض بـين يديهـا أصحاب المراتب والعائلات الكبيرة في فرنسا كانما كل هذه الشخصيات كانت تتجمع في هذا المكان •

العمـدة : في الواقع علمت أنهم صرفوها من الخدمة (خافضة صوته) بناء على طلب السيدة الوالدة ايزابو الجبارة ملكتنا • على ما قيل لي •

المعلـم : لا علم لي بذلك ، ولم أكن متواجداً في مكان الحادث ، في الحقيقة لـم يكـن ذلك فرضـا ملازمـا • سيمون طفلتي المفضلة • ومـن الطبيعي أن تبقى في خدمتي • يقول العمدة في لغة الحلم شيئاً لا يفهم كانه ملاحقة ليغير الحديث •

العقيـد : ها هـي ذي !

تتقدم سيمون بخوذتها وسيفها وأمامها حرسها الشخصي الذي يتكون من موريس وروبير والجندي جورج • يلبس ثلاثتهم دروعاً • ومن الظلام ينبعث أيضا أهـل سيمون ومستخدمو النزل وجمهور الناس•يرد الحرس الشخصي الجمهور بالرماح•

روبيـر : افسحوا المكان للعذراء •

السيدةماشار: (تلوي عنقها لترى) هاهي تلك • لا بأس بالخوذة عليها •

العمـدة : يمشي خطوة نحوهـا ، ياعزيزتنا جان ، مـاذا نستطيع ان نفعل لك ؟ تمني أمنية تستجب لك •

سيمـون : (تنحني) أيها الملك شارل أرجوك أولا أن تعمل على أن تستمر مدينتي الغالية في تلقي غذائها من مدخرات النزل أنت تعلم أنني ارسلت لمؤاساة الفقراء والمعوزين، وعليك أن تعفيهم من الضرائب •

العمـدة : لا جدال في ذلك • وغيره ؟

سيمـون : ثانيا عليك أن تستولي على باريس • يجب أن تشرع من غير تاخير بمعركة فرنسا الثانية أيها الملك شارل •

المعلـــم : (دهشاً) معركة فرنسا الثانية ؟•

العقيـــد : ولكن ما رأي السيدة سوبو في ذلك ، ايزابو الجبارةملكتنا •

سيمـون : ارجو أن تؤجـرني جيشاً أستطيع بـه أن أكسر العدو وذلك قبل أن ينقضى العام أيها الملك شارل •

العمـــدة : (باسماً) ياعزيزتنا جان ، ما علينا الا أن نحمد لك خدماتك • وهذا الكلام من فمنا له شانه • ولكن لنقف عند هذا الحد • فهناك اشياء يجب أن تتركي لي أمر العناية بهـا • في الوقت الحاضر ساغلق النزل وستعودين الى اهلك • وقبل أن تذهبي سترفعين ولا شك الى مرتبة النبلاء • أعطني سيفك • لا أعلم أين تركت سيفي • ذلك لكي اجعلك سيدة فرنسا العظيمة •

سيمـــون : (تناوله سيفها وتركع) هاهو ذا المفتاح •
(الموسيقى المشوشة بارغنهـا وجوقاتهـا تذكر باحتفالات دينية مبهمـة ، يمس العمدة بحركة احتفالية كتف سيمون بالسيف •

الحرس الشخصي والشعب: (عاشت العذراء • المجد لسيدة فرنسا العظيمة •)

سيمـــون : وقد رأت العمدة يهم بالانصراف) لحظة ايها الملك شارل لا تنس أن تعيد الي سيفي• (مستحثة) لم يغلب الانكليزي بعد و « بورغرني » يجمع جيشاً جديداً أرهب من الاول • أشد المصاعب تبدأ الآن •

العمـــدة : شكراً جزيلا لهديتك • وشكراً جزيلا على الاشياء الاخرى ياجان • (يعطي سيف سيمون للمعلم) اذهب الى بوردو احمله الى مكان أمين ياهنري • وعلينا نحن الآن ان نكلم على انفراد العجوز السيدة سوبو ايزابو الجبارة ملكتنا • الوداع ياجان وشكراً على صحبتك لنا •
(يخرج هو والمعلم والعقيد)

سيمـــون : وقد استبد بها خوف عظيم) ولكـن العدو يصل ، ما لكـم ؟ تتحول الموسيقى الى مجرد ضوضاء جمهور ، يخفت الضوء ويتوارى الشعب في الظلام •

سيمـــون : تظل برهة من غير أن تستطيع الحركة ، ثم ••) اندريه ! ساعدني ! اهبط ياملاكي كلمني ! الانكليزي يجمع جيشا • « وبرغوني » أخل بالعهد • أما جماعتنا فقد تشتتوا • يظهر الملاك على سطح المرآب • وبلهجة الملامة) ماذا فعلت بسيفك ياجان؟

سيمـــون : (مضطربة تعتذر) أخذوه مني ليرسموني سيدة الطبقة النبيلة ولم يعيدوه الي (بصوت خفيض وهي خجلى) صرفت من الخدمة •

المـــلاك : فهمت (بعد صمت) ياخادمـة أمنا فرنسا • لا تقبلي ان تصـرفي • اصمدي • فرنسا تريد ذلك • انتظري قبل أن تعودي الى اهلك • سيموتون حزنا ان رأوك مصروفة من الخدمة • ثم انك وعدت اخاك ان تحافظي له على عمله في المرآب ، لانه سيعود ذات يوم • ابقي ياجان ! كيف تتركين عملك الان في حين أن العدو يمكن أن يفاجئنا بين ساعة واخرى •

سيمـــون : وهل يجب أن نتابع القتال حتى لو انتصر العدو ؟

المـــلاك : (هل يهب النسيم هذا المساء ؟)

سيمـــون : (نعـم) •

المـــلاك : (ألا ترين شجرة في الفناء ؟

سيمـــون : (بلى ، الصفصافة •

المـــلاك : وعندما تمر الريح عليها هل تسمع خشخشة في اوراقها ؟

سيمـــون : نعم ، وبوضوح •

المـــلاك : لابد اذن من متابعة القتال حتى لو انتصر العدو •

سيمـــون : (وكيف أحارب وليس معي سيف ؟

المـــلاك : اصغـي !

(في اليوم الذي يدخل فيـه الغازي قريتك فليكن الامر كما لو أنه يحتل شيئاً • لا ينبغي أن يوجد بينكم من يسلمه مفتاحاً • لان الذي جاءكم ليس ضيفاً نرحب به وانما هو حشرة تسحق • لا ينبغي أن يجد له طعاماً ولا منضدة يجلس اليهـا ولا سريراً او مقعداً يستريح اليه • كل مالا يحترق خبئوه • أفرغوا كل جرة من حليبها ، ادفنوا كل رغيف • يجب أن يصرخ : رحمة بي ! وان نجيبه أيها الوحش انفجر ! يجب أن ياكل من تراب الارض • وليسقط في التراب كل بيت تقيم فيه• يجب أن ييأس مـن ان يثير عطف أيـة محكمة • لا يبقين شيء في قريتك حتى ولا الذكرى • لا يبقين سوى العدم • ولا تقعن نظراته الا على الفراغ • واقدامه الا على الصحراء • كان لم يكن في هذا المكان ما يقوت الانسان • امضي الآن ودمري كـل شيء •

يعتم المسرح • وبالموسيقى المشوشة ، يختلط برفق والحـاح قول الملاك متكرراً • امضي الآن ودمري كـل شيء • كما يختلط بالموسيقى ضجـة واضحة التميز هـي صوت الدبابات الثقيلة أثناء زحفها •

ثالثــاً ـ النــار

(السيدة العجوز سوبو ، متلفعة بالسواد ، وخلفهـا تيريز وصيفتها والعم غستاف الذي يلبس بذلة الاحد ، كلهم ينتظرون عند الباب القائد الألماني · يقف جورج باللباس المدني الذي صار لباسه منذ اليوم ، مستنداً الى المـرآب الذي تستتر فيه سيمون عن السيدة سوبو وتصغي الى ما يقال لها·في الخارج يُسمع صوتالدبابات·

سيمــون : لونها باهت ، لأنها خائفة ·

جــورج : هي تعتقد أنهم سيوقفونها رهينة ليقتلوها بعد ذلك · لم تنم طوال الليل ·كانت مضطربة أشـد الاضطراب · وقد سمعتها تيريـز تصرخ عالية وتقول « الجزارون سيذبحون كل الناس ومع ذلك فقد بقيت خوفـاً على فلوسها · والآن هـي تنتظر النقيب الألماني ـ لا أفهم في الحقيقة لم لا تريدين ان تظهري امامها · هلحدثشيء؟

سيمــون : (تكذب) لا ، لا · كل مافي الأمر أنها ستطردني لو وقع بصرها علي خوفا من أن يسيء الي الألمان ·

جــورج : (غير مصدق) أمن أجل هذا ، من اجل هذا فقط لا يصح أن تراك ؟

سيمــون : (مغيرة الموضوع) أتظن أن الالمان يدركون موريس وروبير ؟

جــورج : ممكن · في الواقع لم تركت الغرفة التي كانت لك هناك ؟

سيمــون : (تكذب) صار في المرآب مكان لي الآن بعد أن ذهب السائقان · اتظن أن اندريه يعود في الوقت الحاضر ؟

جــورج : هذا قليل الاحتمال · لعلها صرفتك من الخدمة ياسيمون ؟

سيمــون : (تكذب) لا ·

جــورج : ها هم اولاء الألمان ·

(يبدو القائد الألماني آتيا مـن الطريق ، يصحبه النقيب فيتان · وعند البوابـة يتبادل الرجلان والسيدة سوبو صنوف التحيات المهذبة·ولكن لا يسمع ما يقولون)·

جــورج : ان السيد النقيب فيتان ، وهو فاشي بين خلصائه ، لـه الشرف ان يقدم للسيدة العدو المتوارث · عرض فخم للمجاملة المهذبة · كلاهما يشمئز من الآخر ولا يبدو مع ذلك على اي منهما أنه يستشعر رائحة كريهة · فالعدو المتوارث انسان اجتماعي ومثقف · يبدو على السيدة ان ذلك قد خفف عنها كثيرا (همسا) هاهم اولاء ·

(تتراجع سيمون • تقود السيدة سوبو السيدين عبر الفناء الى النزل • تتبعه تيريز متخلفة عنهم) •

العمغستاف : (الذي همست السيدة سوبو باذنه شيئا يقترب من جورج وسيمون) السيدة ترغب الا ترى بعد الآن في النزل دهماء النازحين • فان ذلك قد يزعج هؤلاء السادة الالمان • وعلى ما يبدو فقد كان بوسع المعلم أن يبقى هنا •

جـــورج : يقول أول اعلان لهم في الاذاعة : « ليس على أحد ممن يحترم النظام والهدوء ويعمل على احترامهما ان يخاف على نفسه » •

العمغستاف : هـذا الذي دخـل قبيل قليل يقول : « اذا شئت » وعندما يطلب شيئاً يقول « اذا شئت تفضل وأر خادمي أين غرفتي » •

سيمـــون : صحيح ولكنه العدو • (يمضي العم غستاف الى المخزن)

جـــورج : وهل حلمت ابنة عمك حلماً آخر ؟

سيمـــون : نعم في الليلة الماضية •

جـــورج : بالعذراء ، كعادتهـا ؟ •

سيمـــون : (تجيب نعم براسها) رفعوها الى مرتبة النبلاء •

جـــورج : لابد أنه كان يوماً جميلا لها •

سيمـــون : وأعفوا قريتها من الضرائب كما جاء في الكتاب •

جـــورج : (أميل الى الحسم) ولكن الواقع أن مدخرات النزل لن توزع كما كان الوعد •

سيمـــون : (مرتبكه) لم تحدثني ابنة عمي عن هذا •

جـــورج : آ • هـــا •

سيمـــون : يا سيد جورج اذا ظهر شخص على هيئة ملاك في حلم كالاحـلام التي تحلمها ابنة عمي من حين لآخر ، فهل يعني هذا بالضرورة أن هذا الشخص ميت •

جـــورج : لا أقدر • بل قد يعني ذلك ببساطة أن التي تحلم ، تخاف من حين لآخر أن يكون ذلك الشخص قد مـات • قولي لي هـل هناك أشياء كثيرة يكلفون بهـا ابنة عمك في الحلم ؟

سيمـــون : يعنـي •••

جـــورج : في آخر مرة ، هل حدث ما يزعج في الحلم ؟

سيمـــون : لم تسال ؟

جـــورج : لأنك لم تقولي لي شيئاً ذا بال •

سيمـــون : (برصانة) لم يقع ما يزعج •

جــــورج : سألتك هذا السؤال لأنني أتصور أن هناك من يتعلق بهذه الاحلام تعلقا شديدا حتى لينسى فجأة أنه يعيش هنا في وضح النهار ، لا في الحلم

سيمـــون : (بلهجة جافة) مادام الامركذلك فلن أحدثك بعد عن أحلام ابنة عمي ياسيد جورج• (يدخل الى الفناء المرأة ذات الرضيع ونازح آخر) •

سيمـــون : آتيا من أجل الاعاشة • أفهمها الامــــر بلطف ياسيد جــورج (تختبىء وتراقب مــا يجــري) •

جـــورج : (يتقدم) سيدتي •

المـــرأة : الآن صارت الدبابات هنا •

الرجــل : هناك ثلاث دبابات تقف أمام مبنى البلدية •

المـــرأة : وهي ضخمة ، سبعة أمتار طول الواحدة •

الرجــل : (يشير الى الحراس الالمان) أنتبهي •

السيدةسوبو: (تظهر على باب النزل) جورج ، غستاف ، احملا المقبلات الى قاعة الطعام للسيد النقيب • عم تبحثان هنا ، أنتما ؟

المـــرأة : جئنا بشأن الاعاشة ياسيدتي • بقي في باحة المدرسة واحد وعشرون شخصاً •

السيدةسوبو: ولكني أوصيتك ياجورج أن تبقي السائلين بعيدين عن النزل •

الرجــل : سائلــين ؟ ماذا تعنين ؟

السيدةسوبو: لم لا تقول لهــؤلاء الناس ان علاقتهم أصبحت بالقيادة الالمانية لا بنــا ؟ ذهبت أيــام الرخــاء •

المـــرأة : أهذا ما سنحمله للنازحين في باحة المدرسة ؟ تصوري أننا نصحناهم جميعا بالبقاء ليتسنى لآنيتك الخزفية أن ترحل !

السيدةسوبو: ياسيدتي من الافضل لكم ألا تقوموا بدور المخبرين •

المـــرأة : وأنت لا تحتمي بالالمان •

السيدةسوبو: (من فوق كتفها الى الداخل) هو نوري !

المـــرأة : في هذه الساعة كان من الممكن أن أكون عند اختي في « بوردو » مع ابني • أنت وعدت باطعامنــا •

السيدةسوبو: تحت التهديــد •

النقيب : (الذي يجيء ويقف خلفها) وفي ظل مشهد من مشاهد النهب الحقيقية ! أما الآن فسنعيد النظام والطاعة الى هذا المكان • يا أصحاب (يشير الى الحراس الالمان) • أتفضلون أن أستدعي الحراب لطردكم من هذا الفناء ؟ لا تحتدي ياماري • تعلمين أن عليك الانتباه لقلبك •

المـــرأة : قـــذرون ٠
الرجـل : (يوقفها ويجذبها الى الباب) لن يستمر هذا العهد طويلا ٠
السيدةسوبو: بدأ هؤلاء يلوكون الاقذار ٠ متوحشو مدن الشمال الكبرى يجيئون ليفرغوا فئرانهم في ريفنا الآمن ٠ ها نحن اولاء يجتاحنا رواد اقذر الحانات ٠ لابد أن يصل الامـر بنا الى تلقين هؤلاء الناس درساً دامياً ٠ عم غستاف هيء فطوراً لاربعة أشخاص ٠
النقيب : (لجورج) يا ، أنت ، هناك ! سياتي العمدة ، قل له أن يلقاني قبل أنيرىالقائد٠
(يقود السيدة سوبو الى النزل حتى اذا تواريا ركضت سيمون لتلحق بالنازحين)
جـــورج : عم غستاف مقبلات السيد النقيب ٠
صوتالعمغستاف: (آتياً من المخزن) مفهوم ٠ أنا دائما بامر السيد النقيب ٠
(تعـــــود سيمـون لاهثـــة)
جـــورج : ماذا قلت لهـم ؟
سيمـــون : قلت لهم أن يقولوا للنازحين انهم سيحصلون على ما يحتاجون اليه ٠ ساهتمبالأمر هـذا المسـاء ٠
جـــورج : صحيح ، فالمفتاح ما زال معك ٠
سيمـــون : وعدتهم بذلك ٠
جـــورج : لكن انتبهي جيداً ٠ فانت ترتكبين سرقة ٠
سيمـــون : قد قال المعلم « ما دمت هنا فلن يقع شيء بين أيدي الالمان انا واثق من ذلك » ٠
جـــورج : ولكن النغمة تغيرت الان مع السيدة الوالدة ٠
سيمـــون : لعلها لا تفعل ما تريد ٠ (يظهر العمدة عند البوابة)
سيمـــون : (تبادر اليه وتوشوشه) سيدي العمدة ، ما الذي سيحدث الآن ؟
العمـــدة : ما رأيك أنت ياسيمون ؟ سابشرك بنبا سعيد ٠ رشحت أباك مستخدماً فيالبلدية٠ أنت تستحقين ذلك ياسيمون ٠ فلا أهمية بعد الان لفقدانك عملك ٠
سيمـــون : (موشوشة ، أبداً) أصحيح أن أمـام البلدية ثلاث دبابات ؟ (خافضة صوتهـا) والوقود الذي ما زال هناك ؟
العمـــدة : (شارداً) آه نعم ، هذه غباوة ٠ (فجاة) لكني سافكر بذلك ٠ مـاذا تفعلين في النزل ياسيمون ٠
سيمـــون : لكن يجب أن نعمل شيئاً بشان هـذا الوقود ياسيدي ٠ الا تستطيع انت أن تفعل شيئاً ؟ لا شك أن السيدة سوبو ستسال بهذا الصدد ٠
العمـــدة : لا أظن أن هنالك مجالا للقلق على السيدة سوبو يا سيمون ٠
سيمـــون : أنا قادرة على أن افعل شيئاً ما ٠ فانا أعرف معمل الآجر كما أعرف نفسي ٠

العمـــدة : (مشتتا) سيمون أرجو ألا تفكري بالاقدام عـلى حماقات فانا مسؤول عن كل مـا يجري في سان مارتان • أتفهمينني ؟

سيمـــون : نعم يا سيدي العمدة •

العمـــدة : لا أدري لم أحدثك عن هذا كله وأنت طفلة بعد • ولكني أرى أن على كل واحد أن يتصرف كأحسن ما يستطيع • أليس كذلك ؟

سيمـــون : بالتاكيد ياسيدي العمدة • ولو كان لمعمل الآجر أن يحترق ••

العمـــدة : يا الهي ! تلك أشياء لا يجوز حتى تصورها • والآن علي أن أدخل • هذه أشق خطوة خطوتها في حياتي • (يتهيأ للدخول ، يخرج النقيب) •

النقيب : سيد شافيز وصلت في الوقت المناسب للغداء •

العمـــدة : لكني تغديت •

النقيب : هذا مؤسف • ولا يبدو عليك أنك فهمت عني جيدا • ففي نهار أمس أيضاً وقعت ها هنا جملة من الحوادث المزعجة ، وذلك على مرأى ومسمع من السلطات • ومن المؤسف أن هذه السلطات لم تـر من واجبهـا معاقبة الدسائس الفاضحة لبعض العناصر التي تسعى الى استغلال نكبة فرنسا لأغراضها الأنانية • فاقل ما ينتظره منا ضيوفنا الالمان الفتة تدل على حسن النية • أنظر مثلا ؟ علـم القائد الالمانـي بوجود مخزونات البنزين في مستودع لاحد معامل الآجر • فلعلك تستطيع الاهتمام بهذه القضية • ولعل ذلك يحرك شهوتك للطعام تفضل ياسيدي العمدة •

العمـدة : (مترددة جداً) تفضل ياسيدي النقيب •

(يدخل الرجلان الى النزل • العم غستاف الذي خرج من المخزن يسير على أثرهم)•

العمغستاف : (يدخل حاملا طبقاً من المقبلات المنوعة) الجو بديع هذا الصباح ، والرحلة تبدو موفقة ! عندما يلاقي ثري ثريا •• بين صناع الذهب أقرب النسب « أليس صحيحا يا جورج ؟ » انهم يبيعون فرنسا كما يبيعون بقالتهم • (يدخل النزل • تتابـع سيمون ما يجري • وقد جلست) •

جـــورج : سيمون ! ما بك ؟ سيمون !•

(سيمون لا تجيب • جورج الذي همَّ بتحريكها يتوقف قبل أن يتم حركته وكأنـه شل • وأثناء حلم اليقظة الذي تحلمه سيمون تتردد على نحو آلي وبصوت ضعيف كلمة العم غستاف ••• عندما يلاقي ثري ثريا • »

حلم اليقظة الذي تحلمه سيمون ماشـار

(في ٢٠ حزيـران)

« أنغام عسكرية مبهمة • يغدو جدار النزل الذي يواجه المشاهد شفافـاً • وأمام الجدار المزين بسجاد مطرز عتيق يجلس العمدة في زي الملك شارل ،والنقيب في زي « دوق دي برغونني » والقائد الألماني وسيفه على ركبتيه ، والسيدة سوبو • يلعبون بالورق لعبة التبعيدة على طاولة من المرمر » •

السيدة ايزابو : لا أحب أن أري الرعاع بعد أيها اللورد •

القائد اللورد : احتميبنا ياسيدتي ايزابو • سآخذ على عاتقي إخلاء الفناء ، ذلك يعيد النظام• قطعت الورق •

العمدة ـ الملك : اصغوا ! اتسمعون ما أسمع ؟ كأنما هناك رجات طبول •
(يسمع من بعيد طبل جان)

النقيببرغونني : (لا أسمع شيئاً • ضع آس السباتي)
(تتوقف رجات الطبل)

العمدة ـ الملك : (متشككا) حقاً ؟ أيها الدوق « دي بورغونني » • أخشى أن تكون « جـان » في ضيقة وانها تستنجد • الا ترى ذلك ؟

النقيببرغونني : عشرة الكبا • أنا بحاجة الى الأمن لأبيع خموري •

القائد اللورد : بكم تبيعين قطع الحلوى ياسيدتي •

السيدة ايزابو : لمن خلط الورق ؟ بعشرة آلاف دانق سيدي اللورد •

العمدة ـ الملك : هذه المرة ، أنا واثق من ذلك • فهي في خطر ، وفي خطر مميت • يجب أن نطير الى نجدتها ونقوم بعمليات التدمير الضرورية •
(يقف وأوراق اللعب في يده) •

النقيببرغونني انتبه لنفسك • واذا ذهبت الآن فلا عودة لك • لا يبدو عليك انك أحسنت الفهم• لا سبيل الى اللعب بعد • فنحن كل الوقت مزعجون • شاب السباتي •

العمدة ـ الملك : (يعود الى الجلوس) طيب •

السيدة ايزابو : (تصفعه) هذا لتتعلم كيف تعاند معلمك •

القائد ـ اللورد: أتسمحين ياسيدة ايزابو (يعد قطع النقود على الطاولة) واحد ، اثنان ـ ثلاثة•

(يهز جورج سيمون ليخرجها من حلم اليقظة بينما يتابع النقيب العد)

جــورج : سيمون ! ها أنت تحلمين الان وعيناك مفتوحتان •

سيمــون : أتاتي معي ياسيد جورج ؟

جــورج : (يُحدق في يده المعصوبة • يستضيء وجهه) • صرت أستطيع تحريكها ياسيمون•

سيمــون : حسن ، ولكن يجب أن تذهب الى معمل الآجر ياسيد جورج • فليس لدينا متسع من الوقت • وانت ياعم غستاف يجب أن تاتي معنا • لنسرع •

العمغستاف: (الذي عاد من النزل) أنا ؟ لقد وضعوا اعلاناً يقول ان كل انسان يُتلف معدات ذات نفع عسكري فسوف يُقتل هؤلاء لا يمزحون •

سيمــون : يجب أن تذهب الى هناك • العمدة يريد ذلك •

العمغستاف: (العمـدة حقير)

سيمــون : ولكنك أنت ستاتي ياسيد جورج • هـذا من أجـل أندريه • لا أعرف كيف أفعل لتدمير كل هذا الوقود • هل يجب احراق المعمل كله •

جــورج : ألم تفهمني بعد : صرت أستطيع تحريكها •

سيمــون : (وهي تنظر اليه) اذن فانت تريد أن تاتي معي ؟

العمغستاف: وهذا جندي ألماني آخر •

(يصل الى الفناء جندي ألماني وهو ينوء بامتعته • وما ان تراه سيمون حتىتهرب بسرعة وقد استبد بها الذعر) •

الجنديالألماني: (يرمي الى الأرض بالرزم التي يحملها ، يرفع خوذته ليجفف جبينه ويحاول بلطف أن يعبر عن نفسه بالاشارات) هوبتمان ، دربنين •

جــورج : (بالحركات) هناك • في النزل • سيجارة ؟

الجنديالألماني: (ياخذ السيجارة ويصرف باسنانه) • الحرب شبس (يقلد حركة التسديد • ثم يشير بيده اشارة القذف) •

جــورج : (ينفجر ضاحكا) بوم بوم • (يفرقع بشفتيه • وينفجران ضاحكين)

الجنديالألماني: هوبتمان ارسكلوخ •

جــورج : ماذا ؟ كيف ؟

الجنديالألماني: (مقلداً القائد بنظارته) • عكروت •

جــورج : (يفهم أخيراً ويشرع في تقليد موفق للنقيب والسيدة سوبو) • كلهم عكاريت • (يستانفان الضحك ثم يلم الجندي الالماني متاعه ويدخل الى النزل •

جــورج : (للعم غستاف) حلو ، حلو • سيكون التفاهم سهلا •

العمغستاف: لو كنت مكانك لما ركنت اليه كثيراً •

جـــورج : صحيح •• ولا سيما بعد أن صحت ذراعي •

(يخرج من الفندق القائد الالماني والنقيب فيتان والعمدة والسيدة سوبو) •

النقيبفيتان: أنا سعيد سيدي القائد أننا استطعنا التوصل الى مثل هذا الاتفاق الودي •

القائدالألماني: سيدي أشكرك انـك وضعت تلقائياً مدخراتك من الوقـود تحت تصرفنا • لا لأن القيادة بحاجة اليها ولكننا نقبلها دليلا على رغبتكم الصادقة في التعاون •

السيدةسوبو: ليس المعمل بعيداً •

القائدالألماني: سارسل الدبابات اليه •

(تصطبغ السماء فجاة بلون أحمـر ، تجمد الجماعة وكانهـــا سمرت بالارض • انفجارات في مكان بعيد) •

القائدالألماني: ما هــذا ؟

النقيبفيتان: (بصوت مخنوق) معمل الآجر •

ـ ٢ ـ

الوقت ليل • يسمع دق على الباب « يخرججورج من غرفته ويذهب كي يفتحللمعلم والسائقين الاثنين) •

المعلـــم : كيف الحال ياجورج ؟ كيف صحة أمي ؟ في الواقع يبدو على الفندق أنه ما زالسليما أشعر اني نجوت من الطوفان •• مرحبة ياسيمون !

(تصل سيمون خارجة من غرفة السائقين • لم تكد تجد من الوقت مايكفي لتلبس ثيابها • يقبلها روبير • يظهر العم غستاف بدوره) •

روبـــير : لك ! تقيمين في غرفتنا ؟ (يشرع في الرقص معها وهو يغني) •

عــاد جاك السكير
وما تزال روز هنـا
وقد عبت امي قدح كونياك
وقدح بيرة لبابا

المعلـــم : ما الذي وقع عندكم ؟

جـــورج : وقع علينا قائد ألماني • أما السيدة سوبو فقد أرهقتها تلك التحقيقات بشانالمعمل• فالقائـد الألماني •

المعلـــم : أية تحقيقات ؟
سيمـــون : تصرفت في كل شيء ، كما لو كنت ستتصرف أنت نفسك • ففي مساء البارحةحملت الى النازحين شيئاً من الطعام •

المعلـــم : (لا أسالكم عن هذا ما حكاية معمل الآجر ؟
جـــورج : (متردداً) احترق ياسيد هنري •
المعلـــم : (احترق ؟ احرقه الألمان ؟)

يجيب جورج « لا » برأسه •
المعلـــم : غلطة ؟ (ينقل بصره من واحد الى آخر ، ولا يتلقى جواباً) السلطات ؟
جـــورج : (لا) •
المعلـــم : النازحون اللصوص ؟
جـــورج : لا يا سيد هنري •
المعلـــم : (مشعل الحرائق بينكم اذن (يصرخ كمن فكت قدمه) من هو ؟ (لا يجيبه أحد؟ آه• نعم • أنتم جميعا متآمرون (بغيظ هادئ) بلغتم بالامور حدود الجريمة اذن•في الحقيقة كان يمكن ان أتوقع ذلك بعد دلائل عرفان الجميل التي غمرتموني بهـا آخر يوم • اغرب عني انت وآنيتك الخزفية • اليس كذلك ياعم غستاف • طيب • قبلت التحدي • وسنرى •

جـــورج : كان ذلك بسبب الالمان يا سيد هنري •
المعلـــم : ساخراً (صحيح المعمل لي • ولكن عندما يحـرق فذلك ضد الالمـان • وبعبارة أخرى • لقد أعماكم بغضكم وحقدكم المدمر فقتلتم البقرة التي تطعمكممنحليبها (بخشونة) سيمون !

سيمـــون : نعم يا سيدي •
المعلـــم : قولي لي حالا من أحرق المعمل ؟
سيمـــون : أنا ياسيدي •
المعلـــم : (ماذا ؟ تجرأت •••؟ (يمسك بذراعها) من ساعدك ومن دفعك ؟
سيمـــون : لا أحد يا سيدي •
المعلـــم : لا تكذبي أتسمعين ؟ لن أغفر أبداً ••
جـــورج : أرجوك ياسيد هنري ان تدعها فهي لا تكذب •
المعلـــم : من أمرك بذلك ؟
سيمـــون : عملت ذلك من اجل أخي ياسيدي •

المعلــم : آه ، اندريه ! عباك ضد معلمك ؟ « نحن الكادحون » أليس كذلك • كنت أعلم من البداية انه أحمر • من عاونك ؟

سيمــون : لا أحد يا سيدي •

المعلــم : ولم فعلت فعلتك ؟

سيمــون : بسبب الوقود يا سيدي •

المعلــم : وهل في هذا ما يدعو لاحراق المعمل كله ؟ لم لم تكتفي باسالة الوقود ؟

سيمــون : ما كنت أعرف ياسيد هنري •

جــورج : انها طفل ياسيد هنري •

المعلــم : كلكم محرقون ! مجرمون ! اغرب عني عم غستاف ! جورج أنت مسرح من عملك ! أنتم أسوأ من الألمان •

جــورج : حسناً ياسيد هنري (يقف بجنب سيمون)

المعلــم : أما كنتم تتحدثون الساعة عن التحقيق ؟ ما الموضوع ؟

جــورج : الالمان يقومون بتحقيق •

المعلــم : ولكن هل وقع الحريق والالمان هنا ؟

جــورج : نعــم •

المعلــم : (يضطر الى الجلوس ، مهدوداً) • ماكان ينقصنا غير هذا ! ذلك يعني خراب النزل• (يمسك رأســه بكلتــا يديه)

العمغستاف: يا سيد هنري ، البارحة بعد الظهـر كانت (سان مارتان تثني عـلى النزل ثناء عظيماً • وكان الناس يقولون : على مشهد من الالمان •

المعلــم : أنا أحل لمجلس حربي • انظروا الى أين اوصلتموني (بائساً) سارمى بالرصاص•

سيمــون : (تتقدم نحوه) لن ترمى بالرصاص ياسيدي لانني أنا فعلت ذلــك • يمكنك أن تاتي معي الى القائد الالماني • وساتحمل مسؤولية ذلك كله ياسيدي •

مــوريس : هــذا غير وارد •

المعلــم : كيف غير وارد ؟ هذه طفلة ولن يصيبوها باذى •

مــوريس : يمكنك أن تذهب وتقول للالمان ان شئت ، انها هي•ولكننا نحن سنتكفل بترحيلها• اذهبي فوراً والبسي ثيابك •

المعلــم : ولكننا نكون متواطئين في هذه الحالة •

سيمــون : يجب أن أبقى ياموريس • « اندريه » يريد هذا • ذلك أعرفه •

المعلـــم : على أية حال كل المشكلة أن نعلم : افعلت ما فعلته قبل وصول الالمان أم بعده • فاذا كان قبل فهو عمل حربي ولا يمكن ان يطولوها بشيء •

العمغستاف: (موحيا بصوت خفيض) لقد وضعوا فور وصولهم اعلانا يقول : يعدم كل الذين يرتكبون أعمالا عدائية ياسيد هنري •

المعلـــم : (لسيمون) هذا الاعلان هل رأيته ؟

سيمـــون : نعم ياسيدي •

المعلـــم : وكيف كـــان ؟

سيمـــون : على ورق أحمر •

المعلـــم : هل هذا صحيح ؟ (يجيب العم غستاف « نعم » برأسه) بقي أن نعلم وهذا هـو السؤال الذي سيطرحـه عليك الالمـان ياسيمون ـ ان كنت قرأت الاعلان بعد أن أحرقت المعمل•لان عملك فيهذه الحالة ليس تخريبا ولا يمكنهم أن يفعلوا بكشيئاً•

سيمـــون : قرأته قبل ياسيدي •

المعلـــم : لم تفهمي عني ان كنت لـم تريه إلا بعد فمن المحتمل أن يكتفي الالمان بتسليمك الى العمـدة لان القضية في هـــذه الحالـة لا تتعلق بغير الفرنسيين • وهكـــذا تتخلصين • فهمت ؟

سيمـــون : نعم ياسيدي ، ولكني رأيت الاعلان قبل •

المعلـــم : قد اخذت تتخبط • عم غستاف أنت كنت هنا في تلك الآونة فمتى انطلقت سيمون؟

العمغستاف: قبل ياسيدي ، بالتاكيد قبل أن يوضع الاعلان •

المعلـــم : لاحظت •

سيمـــون : أنت واهم ياعم غستاف • فانت نفسك الذي قلت لي قبل أن أذهب ان الاعلان يمنع ذلك •

العمغستاف: لم اقل هذا قط •

المعلـــم : بالتاكيد • لا •

مـــوريس : أفلا ترى ياسيد هنري أن هذه الطفلة تابى ان تدخل في هذه التركيبات • فهي لا تخجل من فعل ما فعلته •

سيمـــون : ولكن المعلم يسعى الى مساعدتي فقط ياموريس •

المعلـــم : بالفعل هو ذاك • انت تثقين بي اليس كذلك • اذن اصغي الي جيداً • الناس الذين سنحدثهم الآن هم العدو • والفرق ضخم • اتفهمين ؟ سيلقون عليك أسئلة كثيرة فاجيبي انت دائما بجواب واحد يخدم سان مارتان وفرنسا • هذا بسيط •

سيمـــون : نعم ياسيدي ولكنني لا أريد أن أقول أشياء كاذبة •

المعلـــم : (فهمت ، أنت لا تريدين أن تقولي شيئاً مخالفاً للحقيقة • حتى للعدو نفسه • طيب • قبلت • ولن أطلب منك الا شيئاً واحداً اذن • لا تقولي شيئاً على الاطلاق• دعي ذلك علينا • دعيه علي (والدمـع وشيك) • سأكون خلفك مهما يحدث ، تعلمين ذلك جيداً • كلنا خلفك • فنحن فرنسيون •

سيمـــون : نعم يا سيدي •

ياخذ سيمون من يدها ويدخل الى النزل معها •

مـوريس : انها لم تقرأه جيداً ، كتابها •

رابعـاً ـ القضـــاة

(١)

حلم سيمون ماشار الرابع

ليلة ٢١ حزيران

(موسيقى مشوشة • في الفناء يقف القائـد الالماني بلأمته وسيمون بـزي عذراء أورليان يحيط بهما جنود يلبسون دروعاً ضافية سوداء ذات حراشف وقـد رسمت عليها صلبان معقوفة كبيرة حمراء • الحارس الذي يحرسها والذي تبين أنه حاجب القائد الالماني يمسك بعلم كبير عليه صليب معقوف) •

القائـــد : أنت الآن تحت سيطرتنا ياجان أورليان وستقدمين الى محكمة عليا عليها أن تفصل في الاسباب التي بموجبها ستحكمين بالموت حرقاً •

(يخرج الجميع ما عدا حامل العلم)

سيمـــون : ما هذه المحكمة ؟

حامل العلم : ليست محكمة عادية • بل محكمة كنسية •

سيمـــون : لن أعترف بشيء •

حامل العلم : كما تشائين • ولكن يبدو أن المداولات اختتمت •

سيمـــون : اذن فهم يصدرون حكمهم على المرء قبل أن يستمعوا اليه ؟

حامل العلم : نعم بالتاكيد •

(يخرج من الفندق ناس يظهر عليهم انهم حضروا المداولات ، ويعبرون الفناء الى الطريق •

العمغستاف : « وهو يعبر الفناء لتريز) • الاعدام ! وفي سنها !

تريـــز : أترى ! لو قالوا لي هذا أول البارحة لما صدقت !

سيمـــون : (تشدها من كمها) ـ وهل هتلر نفسه هنا ؟

(يبدو على تريز أنها لم تلاحظها وتبتعد هي والأب غستاف • يعبر والدا سيمون الفناء • يلبس الأب بذلة مستخدم في البلدية وتلبس الام السواد •)

السيدةماشار: (تنتحب) منذ أن كانت صغيرة كانت لا تفعل شيئاً الا على هواهـا • مثلها مثل اخيها • ستكون صدمة رهيبة لأبيها•تصوري ذلك ، فهو مستخدم فيالبلدية ياللعار!

(يخرجان • يعبر الفناء الاخوان موريس وروبير •)

روبـــير : لا بأس بمظهرهـا •

مـوريس : ولا سيما بالازرق ذي الكشكش •

سيمـــون : (تشد روبير من كمه) أرأيت القضاة ؟

روبـــير : (بغير مبالاة) طبعـاً •

سيمـــون : وهل أراهم أنا أيضا ؟

روبـــير : بالتأكيد•عليهم أنيخرجوا بعد قليل ليكسروا عليكعصا المحكومينبالموت•(يخرجان)

صوت عظيم : صمتاً ! افسحوا المكان ! سنشهد الآن اعدام العذراء من قبل المحكمة الكنسية التي يتولاها أصحاب النيافة أساقفة وكرادلة « روان » • وفي البداية ستكسر العصي على العذراء •

(يخرج من مدخل النزل الرئيسي قاض في جبة الكردينالية الارجوانية • وهو يخفي وجهه خلف كتاب الصلوات بحيث يتعذر تعرفه ، ويعبر الفناء • يقف أمام منصب من البرونز • ينحرف ويغلق كتابه بحركة خاطفة • يسحب من كمه عصاً ويكسرها بأبهة رسمية ويلقي بالقطع في القدر •)

الصوتالعظيم: نيافة أسقف « بوفيه » لانها سلمت « اورليان » : الموت لها ! (وقبل ان يبتعد يلتفت التفاتة غير مبالية فيبدي عن وجهه من فوق كتفه • واذا به العقيد) •

سيمـــون : سيدي العقيد •

(يخرج قاض ثان من الباب ذاته ويقوم بالمراسيم ذاتها •)

الصوتالعظيم: لأنها سلمت أورليان وأطعمت فئران المدينة المذكورة من الارزاق المسروقة•الموتلها!

(يبدي القاضي الثاني عن وجهه فاذا به النقيب) •

سيمـــون : سيدي النقيب •

(يخرج قاض ثالث من النزل ويقوم بالمراسيم ذاتها) •

الصوت العظيم: لانها رفعت يدها على مدينة باريس ومدتها الى مخزونات الوقود • الموت لها !

(القاضي الثالث هو المعلم) •

سيمـــون : ولكن يا سيد هنري انما تحكمون علي أنا !

(يومىء المعلم ايماءة العجز المشهورة•ثم يخرج قاضرابع من النزل ويؤدي المراسيم)

الصوت العظيم: لأنها عملت على توحيد جميع الفرنسيين • الموت لها !

(يضغط القاضي الرابع على كتابه ضغطا شديد التشنج بحيث يسقط الكتاب على الأرض فينحني بحرارة لالتقاطه فيتكشف ، واذا به العمدة) •

سيمـــون : العمدة ذاته • آه ، سيد شافيز !

الصوت العظيم: نطق قضاتك العظام بحكمهم يا « جان » •

سيمـــون : ولكن هؤلاء جميعاً فرنسيون • (لحامل العلم) الامر خطا •

حامل العلم : لا يا آنسة فالمحكمة فرنسية حقا •

(يقف القضاة الاربعة في مدخل الفناء) •

العمـدة : ولكنك تعلمين جيداً ، وذلك مكتوب في كتابك من غير شك ، أن العذراء حكم عليها قضاة فرنسيون • وهذا طبيعي لأنها فرنسية •

سيمـــون : (مضطربة) صحيح • أن يحكـم علي بالموت كنت أعلمه وهـو مكتوب في كتابي • ولكني أود لو أعلم لماذا ؟ هذا ما لم أفهمه جيداً •

العمـدة : (للقضاة) تطلب أن تجري مرافعة •

النقيب : ما نفع المرافعة بعد صدور الحكم •

العمـدة : على الأقل نجري في المرافعة تحقيقاً ، نستمع الى المتهمة ، نناقش ، نزن •

العقيـــد : اتضح أن ما نزنه بالغ الخفة (هازاً كتفيه) أما اذا كنتم تحرصون على ذلك •••

المعلـــم : نحن بالطبع غير مهيئين لذلك •

(يشرعون في مشاورات خافتة • همس • يَخـرج العم غستاف طاولـة الى الفناء ويضع عليها صحوناً وشمعدانات • يجلس القضاة الى الطاولة) •

العم غستاف : النازحون يقفون في الخارج وينتظرون أن يشهدوا المرافعة •

المعلـــم : غير ممكن فانا انتظر امي • وهي تقول أن رائحتهم كريهة •

النقيب : (للخلف) ستجري المرافعات في جلسة سرية حرصاً على المصلحة العليا للدولة •

المعلـــم : وأين الملفات ؟ ضاعت ولاشك في الفوضى • لا عجب فنحن في فرنسا •

العمـدة : لكن من المدعي ؟

(ينظر القضاة بعضهم الى بعض) •

العمـدة : القضية غير مقبولة قانونيا بدون ادعاء •

المعلـم : عم غستاف ، هات مدعيا ، اذهب وأحضره من المؤن المدخرة •

العمغستاف : (يذهب ويلبد أمام البوابة ويصرخ باتجاه الطريق) ان المحكمة الكنسية العليا في روان تدعو كل من له شكاية على العذراء ان يمثل لعرضها • لا أحد ؟ (يكرر نداءه ثم يتوجه بالكلام الى القضاة) حضرت للادعاء الملكة الوالدة ايزابو من شيعة الدوق دي برغوني ومن شيعة العدو المتوارث •

السيدةسوبو : (تخرج من النزل بلأمتها وتحيي القضاة الذين ينحنون انحناء عظيماً • وعلى عادة ربّات الفنادق المقتدرات • تبسط كل ما لديها من مظاهر الحفاوة المهنية) • مساء الخير أيها النقيب • ابق جالساً • ارجوك لا تزعج نفسك • (من فوق كتفها باتجاه النزل) واحدة الزاس ــ لورين حلوة للسيد النقيب • وأنت ياأمير الجيش كيف تحب ان نتبل لك فلاحيك • أيها العقيد هل نال الطعام رضاك هذه المرة ؟ (باشارة نحو سيمون كان يمكن انقاذ كل شيء لو لم تجيء عذراء اورليان هـذه لتفسد مفاوضاتنا • من يامـر هنا : الكنيسة أم خادمات الفنادق • (تاخـذ في الزعاق كمن اصابه كلب) أطلب ان يصار الى تنفيذ الاعدام فوراً في هذه المخلوقة بجرم المروق من الدين والعصيان ، والميل الى المبادرة الشخصية • يجب أن تقطع رؤوس ، يجب أن يراق دم ، يجب أن تسحق هذه الحشرة في الدم ، يجب أن نجعل من العقاب الدامي عبرة لمن اعتبر • (مجهدة) عاودتني نوبات النقرس •

النقيب : هات مقعداً للسيدة الوالدة •

(العم غستاف يحمل مقعداً)

المعلـم : أليست الدرع شديدة الضيق عليك يا امي • على كل حال لم تلبسين لأمتك ياأمي ؟

السيدةسوبو : وأنا أيضا أباشر الحرب •

المعلـم : اية حرب •

السيدةسوبو : حربي ضد هذه العذراء المتمردة التي أثارت نازحي المدرسة •

النقيب : (بجفاف) صـه (لسيمون) في الواقـع باي حـق جـررت الفرنسيين الى الحرب أيتهـا العذراء ؟

سيمـون : أمرني الملاك بذلك ايها الاسقف النبيل •

(ينظر القضاة بعضهم الى بعض)

المعلـم : عجباً ملاك ! ومن أي نوع هو ؟

سيمـون : ملاك الكنيسة الذي على يسار المذبح •

النقيب : لم أره قط •

العمـدة : (متودداً) وكيف كان ذلك الملاك ياسيمون ؟ صفيه لنا •

سيمـون : كان فتى وكان جميل الصوت يامولاي ، كان يقول لي • ان علي أن •••

العقيـد : (مقاطعاً) ما قاله لك لا ينطوي على أية فائدة مطلقا • الاولى أن تقولي لنا باية لهجة كان يتحدث • كان يتكلم كما يتكلم الرجل المثقف أم غير ذلك ؟

سيمـون : لا أعلم • كان يتكلم كما نتكلم •

النقيب : آهـا !

المعلـم : وكيف كان لباسه ؟

سيمـون : كان جميلا بلباسه • قماش بذلته يكلف المتر الواحد منها من عشرين الى ثلاثين فرنكاً في « تور » •

النقيب : ان كنت أحسن الفهم ياسيمون او ياجـان لا فرق ، فان الملاك لـم يكن من هؤلاء الملائكة العظام ذوي الجلالـة الذين يبلغ ثمـن المتر مـن كسائهم مـن مائتين الى ثلاثمائـة فرنك ؟

سيمـون : لا أدري •

العقيـد : كيف كانت حال بذلته ؟ لاشك أنها رثة ؟

سيمـون : تهرأت قليلا عند المرفق •

العقيـد : آها • تهرأت عند المرفق • ذلك ولاشك لانها كانت تستخدم للعمل أيضا • أليس كذلك ؟ وهل كانت مثقوبة فوق هذا ؟

سيمـون : لا ، مثقوبة لا •

النقيب : لكنها كانت متهرئة على كل حـال • لا شيء يثبت أن الكم لـم يكن في الموضـوع المتهريء مثقوباً ، باليا بسبب الشغل • لعل ذلك لم يكن يلحظ لان اللون قـد تقشر في هذا الموضع بالذات • على كل حال هذا ممكن • ماذا تقولين ؟

(تسكت سيمون)

العقيـد : هل كان يقع للملاك أن يقول أشياء لا يمكن أن يقولها الا رجل ذو منزلة رفيعة ؟ فكري جيداً •

سيمـون : بل انه كان يتكلم كلاماً عاما •

العمـدة : هل كان الملاك شبيهاً باحد معارفك ؟

سيمـون : (بصوت خفيض) باخي اندريه •

العقيـد : اندريه ماشار العسكري صنف ثان • أيها السادة الآن عرفنا كل شيء • ملاكها من نوع خاص • هذا اقل ما يقال فيه •

السيدةسويبو: ملاك حانة رخيصة ، ملاك متسكع ، على كل حال عرفنا الآن من أين هذه الاصوات انها تنبعث من الخمارات والمزابل •

سيمـــون : حرام عليكم أن تسبوا الملاك أيها الاساقفة والكرادلة النبلاء •
العقيـــد : ألا تعتقدين أننا نحن كرادلة فرنسا ، أعلم بما يريده الله منملاك متشرد لا بيتله•
سيمـــون : في ضيق شديد تنظر الى القضاة والذين يبتسمون • ثم تترقص وتاخذ بضربالارض ضربا مجنونة • ومع ذلك لا يسمع صوت الضرب ويظل سطح المرآب خاليا • انها لا ترد الجواب هاهنا ، ما بها ؟ لا ترد الجواب ؟ أرض فرنسا لم تعد ترد الجواب! ها هنا لا ترد الجواب •

انسيدةسوبو: (تنتقل الى قربها) ولكن اتعلمين من فرنسا ؟

(٢)

صباح ١٩ حزيران • فوق البوابة علم فرنسي منكس وعليه اشارة الحداد • جورج وروبير والعم غستاف يصغون الى موريس وهو يقرأ جريدة يحيط بها اطار أسود •

مـوريس : يقول المارشال أنه طلب هدنة تحفظ الكرامة •
العمغستاف : هـذا عزاء جميل •
مـوريس : بالفعل يقول المارشال أيضا • ان ليس على الشعب الفرنسي بعد الآن الا أن يلتف حوله وكانه بازاء أبي القائلة • يجب اعادة النظام والانضباط •

العمغستاف : أقدر ذلك • انتهى اندريه القتال وسحبوا سلاحه من يديه وسيتكفلون الانبافهامه معنى الانضباط •

جـــورج : من حسن الحظ أن سيمون ذهبت •
(يخرج من النزل القائد الالماني من غير قبعة ومن غير نطاق وهو يدخن سيجارة الصباح • يستعرض الحاضرين بتهاون ثم يتجه متراخيا نحو البوابة•وهناكيلقي نظرة سريعة حوله • يعود على أعقابه ويدخل النزل مستعجلا الخطى •)

العمغستاف : من البداية كره هذا الرجل أن تكون له علاقة بطفلة •
جـــورج : في الحقيقة اني أتعجب لفرارها • كانت تصر دائما عـلى البقاء هنا مهما يحدث • لابد أن شيئا ما أرعبها فجاة فلم تتردد في الهرب من كوة غرفة الغسيل •
(يخرج المعلـم من النزل وهو يفرك يديـه) •

المعلـــم : موريس ، روبير أفرغا صناديق الخزفيات والفضيات • (خافضا صوته بعد أنالقى نظرة حوله) •• على كل لن اسالكم ان كان أحـد مستخدمي النزل قـد ساعد في

عملية هرب حدثت هذه الليلة • قد كان ما كان • بل اني أذهب الى القول ان ما حدث لم يكن أسوأ الحلول لا لأن هناك خطراً حقيقيا فالالمان ليسوا وحوشاً ومعلمكم في الواقع يعرف كيف ياخذهم • ولقد قلت صباح اليوم أثناء الفطور للسيدالقائد• هذا غريب ! قبل الاعلان أو بعد الاعلان ما أهمية ذلك ؟ انها طفلة ! ما حيلتنا ؟ انها ضعيفة العقل ! وحالتها من اختصاص علم النفس المرضي ! رات الدبابات فقالت في نفسها : يجب ايقافهـا • يجب تدمير كل شيء • وفوراً تهرع الى أعواد الثقاب • فالأولاد يحبون دائماً اللعب بها • أهو اعتداء ، او قضية تمس الدولة؟ أبداً • ما هي الا مزحة صبي • نعم !

جـــورج : (ناظراً الى الآخرين) كيف مزحة صبي ؟

المعلـــم : لقد كنت اقول ذلك أيضا لأمي : انها طفلة •

جـــورج : طفلة كانت الشخص الوحيد هنا في النزل الذي قام بواجبه • ولم يرفع أحــد سواها اصبعه • هذا ما لن تنساه سان مارتان ياسيد هنري •

المعلـــم : (غاضباً) أنتم . الافضل لكم أن تقوموا بواجبكم وان تفرغوا الصناديق•وبالنسبة الي فانا أحمد الله أن هذه القضية انتهت بسلام • وأنا قانع أن السيد القائد لن يتوسع في تحقيقاته بالنسبة الى سيمون • والان هيا الى العمل • فالعمل هو مــا تحتاج اليه فرنسا المسكينة قبل كل شيء •• (يخـــرج) •

جـــورج : يحس المرء بالارتياح على طول الخط • فهي ليست هنا •

مـوريس : وبالطبع فليس لهذه القضية أية علاقة على الاطلاق بالوطنية أو باي شيء آخـــر من هذا القبيل • والا لكان الأمر محرجاً لهم • « ليس الالمـــان وحوشـــا » كان الاستعداد يجري للقيام ببادرة طيبة ولتسليم الالمان الوقود الذي حرم منه جيشهم ولكنهم فوجئوا بالرعاع يدسون أنوفهم في ذلك كله ويتعاطون الوطنية •
(يتقبل العمدة من البوابة شاحباً لا يرد السلام • يدخل الى النزل)

العمـــدة : (ملتفتاً) هل هناك حرس امام شقة السيدة سوبو ؟

العمغستاف : لا ياسيد شافز (يتوارى العمدة) •

العمغستاف : ما جاء الا لأن الالمان يطلبون ان تخلى باحة المدرسة من النازحين • الا اذا كانت السيدة سوبو هي التي تطلب ذلك •

روبيـــر : انهم يعيدون النظام والانضباط •

العمغستاف : ياموريس : فيما يتعلق بسيمون يجب أن يكون الحريق ناشئا عن غفلة لأن مؤسسة التامينات تدفع في هذه الحالة . هذه أمور ليس من عادتهم نسيانها .
(تبدو سيمون في فتحة البوابة بين جنديين ألمانيين ركبا الحربة في البندقية .)

جـورج : سيمون ماذا اصابك ؟
سيمـون : (تقف شديدة الشحوب) . اردت أن آمر على نازحي المدرسة مرة أخرى قبل ان اذهب .
روبـير : لا حق لك في الخوف فلن يفعل الالمان بك شيئا .
سيمـون : لقد قالوا البارحة مساء أثناء الاستجواب انني يجب أن أسلم الى السلطات الفرنسية .
جـورج : لم هربت اذن ؟

(لا تجيب سيمون .) يدفعها الجنديان الى داخل النزل) .

مـوريس : الالمان اذن لا يعتبرون القضية منتهية . السيد هنري مخطيء . (يدخل من البوابة السيد ماشار والسيدة ماشار في بزة مستخدم بلدي) .

السيدةماشار: هل أتوا بها . شيء رهيب . السيد ماشار خرج عن طوره لا لأن الاجرة استحقت في هذا الوقت بعينه فحسب بل ان ما يعذبه هو الخجل . قدرت دائما أن الامور ستنتهي على هذا الشكل . فعندما تقضي طفلة وقتها في قراءة الكتب فان الكتب ستقلب لها راسها ففي السابعة من هذا الصباح دق الباب فاذا الالمان في الفناء . قلت لهم . يا سادة اذا لم يعثر على ابنتي فلأن مصيبة حلت بها ، لا شيء سوى هذا يجعلها تغادر النزل . وقع الحريق أم لم يقع . الا اذا كان ذلك بسبب اخيها .
(يخـرج المعلم من النـزل)

المعلـم : كلفتني ابنتك كثيرا ياسيد مشار . كلفتني مائة ألف فرنك . ثم انها هدت أعصابي . وهذا ما لم أضعه في قائمة الحساب .
(تخرج السيدة سوبو من النزل . تمسك بقبضتها الشديدة على سيمون من ذراعها وتعبر بها الفناء صوب المخزن برغم ترددها ويتبعها العمدة والنقيب . ثم يغيب الاربعة في المخزن يراقب الذين في الفناء المشهد بدهشة) .

العمـدة : (عند باب المخزن) ياماشار اذهبا الى المدرسة واعملا على أن يتم الاخلاء في هدوء . أوضح للنازحين أن الالمان بحاجة الى الاماكن (يتوارى في المخزن) .

السيدةماشار: نعم يا سيدي العمدة .
(ينصرف السيد والسيدة ماشار بوقار) .
روبـير : ماذا ينوون أن يفعلوا بها في المخزن ؟ ماذا سيصيبها ياسيد هنري ؟

المعلـــم : لا تسالوا كل هذه الأسئلة • فمسؤوليتنا منهكة • هفوة واحدة ويطير النزل •

السيدةسوبو: (تعود من المخزن ومعها سيمون تتبعها والنقيب) ـ أيها السيد العمدة ، أعتقد أنني قدمت لك الان الدليل المحسوس على أنهـا تركت المخزن مفتوحاً ، وقد كان يحتوي ، فيما يحتوي من محفوظات على خمور ممتازة قيمتها خمسون ألف فرنك • أما كم صندوقا اختفى من جراء ذلك فما علينا الا تصورها • وانما أعطتنيالمفتاح بحضورك لكي تغشني (تلتفت الى سيمون) قلت انك ذهبت نفسك الى المدرسة تجرين السلل الملأى بالمؤونة • فكم قبضت ثمناً لذلك ؟ وأين هذا المال ؟

سيمــــون : لم أقبض شيئا ياسيدتي •

السيدةسوبو: لا تكذبي • وهناك ما هو أسوأ أيضا • ففي صباح اليوم الذي سافر فيه هنري ، هدده الرعاع من النازحين لانه شاع بينهم أن السيارات سترسل الى مكان آمين • أ.نت التي أشعت هذا الخبر ؟

سيمــــون : أخبرت بذلك السيد العمدة ياسيدتي •

السيدةسوبو: ومن كان في مكتب العمدة عندما أخبرته بذلك ؟نازحون ؟

سيمــــون : نعم على ما أعتقد •

السيدةسوبو: آه • تعتقدين • وعندما جاء الرعاع الى النزل فماذا نصحتهم أن يفعلوا بمحفوظات الفندق الذي أنت مستخدمة فيه ؟

(لم تفهم سيمون سؤالها)

السيدةسوبو: أأشرت عليهم أم لا بأن ياخذوا كل ما يشاؤون ؟

سيمــــون : لا أدري يا سيدتي •

السيدةسوبو: صحيـح ••••

العمــدة : ولكن ما قصدت من ذلك كله ياسيدتي ؟

السيدةسوبو: من كان أول الطاعمين من المحفوظات ياسيمون ؟ أبواك طبعة • وقد تناولوا كمية حسنة منهـا •

روبـــير : هذا لا يطاق • (للسيدة سوبو) أنت نفسك وضعت العلب في أيدي أبويها وما كانا يطلبان شيئاً •

جـــورج : (في الوقت نفسه) أنت نفسك وضعت مدخرات النزل تحت تصرف السيد العمدة •

العمــدة : هذا صحيح ياسيدتي • تذكري ذلك •

السيدةسوبو: (من غير أن تضطرب لمـا يقولون ، لسيمون) تكشفت عن نمامة كاذبة خارجة عن الطاعة وعلى أثر ذلك صرفتك من الخدمة فهل انصرفت كما أمرتك ؟

سيمـــون : لا ياسيدتـي ٠

السيدةسوبو: وبدلا من ذلك ظللت تتسكعين في النزل ثم أحرقت معمل الاجر انتقاما لصرفك من الخدمة أليس صحيحا ؟

سيمـــون : (منفعلة) لكني فعلت ذلك ضد الالمان ٠

روبـــير : كل سان مارتان تعلم ذلك ٠

السيدةسوبو: نعم ، ضد الالمان ! ومن قال لك أن الالمان سيعلمون بأمر هذا الوقود ؟

سيمـــون : سمعت السيد النقيب يقول ذلك للسيد العمدة ٠

السيدةسوبو: تماما ٠٠ سمعت أننا نريد الاعلان عن هذا الوقود !٠

سيمـــون : نعم ، كان السيد النقيب يرغب في ذلك ٠

السيدةسوبو: واذن فقد أحرقت الوقود فقط كي لا نسلمه ٠ هذا بالضبط ما أحببت أن أسمعه منك٠

سيمـــون : (يائسة) انمـا فعلت ذلك لأوجـه ضربة للعدو ٠ فقد كانت الدبابات الثلاث في ساحة البلدية ٠

السيدةسوبو: وتريدين أن توهمينا أن هذا هو العدو بالنسبة اليك ؟ ألم يكن العدو انسانا آخر؟
(تبدو في الباب راهبتان يصحبهما شرطي)

العمـدة : عم تبحث يا جول ؟

الشرطي : هاتان الاختان تعيشان وفق القانون الصارم لرهبنة (سانت ارسول) ٠

النقيب : اتصلت هاتفيا بمـاوى « سانت ارسول » باسمك ياشافز (للراهبتين) أيتهـا الاختان هذه هي سيمون ماشار ٠

العمـدة : وباي حـق ٠٠٠ ؟

النقيب : لن يكون في نيتك على كـــل حـال ياسيد شافز أن تترك سيمون تنتقل بحرية ٠ (بلهجة) ان لضيوفنا الحق في أن ينتظروا منا على الاقل أن تطهر « سان مارتان » من العناصر التي تشكل خطرا عاما ٠ ولا يبدو عليك انك فكرت طويلا في الخطبة التي ألقاها مارشالنا المكرم ٠ فرنسا تمـر بمرحلة المخاطر ٠ وعلينا يقـع عبء ابادة بذور العصيان التي هي شديدة العدوى ٠ بؤرة من نوع سيمون كافية لان تعدي « سان مارتان » ٠

مـوريس : آه ، وعلينا نحن أن نقوم بهذا العمل القذر لمصلحة الالمان ! وأن نقوم به برضانا ! أليس كذلك ؟

السيدةسوبو: (باردة) ومن الطبيعي انني ساذهب الى تور « لاحصل على اذن النيابة العامـة في نقل سيمون ٠ فسيمون أحرقت المعمل ، وهو ملك النزل ، لدوافع شخصية دنيئة ٠

جـــورج : سيمون دوافع شخصية ٠

العمـدة : (مهزوزاً) ولكنك تتحاملين كثيراً على هذه الطفلة ٠

روبـير : (مهدداً) من الذي يريد أن ينتقم هنا ؟

المعلـم : لا تعيدوا بحث الموضوع من جديـد ٠ سيمون قاصرة ٠ وستوضع تحت اشراف الراهبات ٠ هذا كل شيء ٠

مـوريس : (ساخطا) تحبسونها في سجن « سانت ارسول » !

سيمـون : (تصرخ) كلا ٠

العمـدة : سيمون ، لماوى « سانت ارسول » مع المعتوهين ! لمؤسسة التعذيب النفسي هذه ، لهذا الجحيم ؟ أتعلمون أنكم تحكمون عليها بموت مؤكد ؟

مـوريس : (مشيراً الى الراهبتين بوجهيهما القاسيين٠٠) تطلعوا اليهما (يظل وجها الراهبتين جامدين كانهما قناعان ٠)

جـورج : كان من الافضل لكم لو تركتم الالمان يعدمونها ٠

سيمون متوسلة: هناك أيها السيد العمدة حيث يضربون الانسان حتى يتورم رأسه ويسيل اللعاب من فمه ٠ هناك حيث يربطون الانسان من يديه ومن رجلية ٠

العمـدة : (بقوة) ياسيدة سوبو ، ساشهد أمام المحكمة في تور وسابين الدوافع الحقيقية لهذه الطفلة ٠ كوني مطمئنة ياسيمون ٠ فكل الناس يعلمون أنك تصرفت بدافع الوطنية٠

السيدة سوبو: (منفجرة) آه حارقة البترول الصغيرة تتحول الى بطل قومـي ٠ أهذا هو المخطط الذي تصورتموه ؟ تم انقاذ فرنسا ؟ اذ أشعلت فيهـار النار ٠ هاهي ذي الدبابات الالمانية وتلك هي سيمون ماشار ابنة خادم المزارع ٠

النقيب : ليس ماضيك ياسيد شافز من المكانة التي تتيح لقضاة الدولة الفرنسية الجديدة أن يعيروا شهادتك كبير وزن ، على كل حال ، الطريق من هنا الى « تور » أصبحت محفوفة بالخطر لناس من شاكلتك ٠

مـوريس : (بمرارة) اتضح كل شيء الآن ٠ انهم يريدون تبيض سمعة سان مارتان من شبهة مريبة وهي أن يكون هاهنا فرنسيون !

السيدة سوبو: فرنسيون ؟ (تقبض على سيمون وتهزها) تريدين انت أن تعلمينا الوطنية ؟ ان آل سوبو يديرون هـذا النزل منذ مائتي عام ٠ (للجميع) أتريدون أن تروا وطنياً ؟ (تشير الى النقيب) هذا أحد الوطنيين ٠ نحن في الوضع الامثل الذي يتيح لنا أن نقول لكم متى تكون الحرب ضرورية ومتى ينبغي أن نؤثر السلم ٠ اتريدون أن تعملوا شيئاً لفرنسا ؟ طيب ٠ نحن فرنسا ٠ مفهوم ؟

النقيب : لا تحتدي ياماري هات سيمون أيها السيد العمدة ٠

العمـدة : أنا ؟ يبدو لي أنك استوليت على السلطة هنا (يستعد للانصراف) ٠

سيمـــون : (جزعة) لا تنصرف ياسيدي العمدة •
العمـدة : (عاجزا) ليكن رأسك مرفوعا أبدا ياسيمون! (يذهب وهو يترنح وقد هد هدأ•)
السيدةسوبو: (بعد صمت ، للنقيب) ضع حدا لهذه الفضيحة ياهونوري !
النقيبللشرطي: انني أحمل مسؤولية ذلك كاملة • (يمسك الشرطي بسيمون)
سيمـــون : (بهدوء وهي في أشد جزعها) لا ، لا تاخذوني الى سانت اورسول •
روبـــير : القـندرون (ينوي الانقضاض على الشرطي)
مـوريس : (يوقفه) اياك والحماقة يا روبير • فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئا لها • ان لهم شرطتهم ومعهم فوق ذلك الالمان • مسكينة سيمون•كثر الاعداء عليها كثرةلاتطاق•

السيدةسوبو: سيمون ، اذهبي واحملي متاعك •
(تنقـّل سيمون نظراتها حولها • يظل أصدقاؤها ساكتين ، مطرقين • تدخلشاردة الى المخـــزن) •
السيدةسوبو: (تشرح الأمر بهدوء للجميع ولكن الكلام يتوجه خاصة الى المستخدمين) هذه طفلة كبيرة الرأس ، وهي غير مؤهلة • لأن تعترف باية سلطة من أي نوع • وقد وجدنا أنفسنا ملزمين أن نربيها على احترام النظام والطاعة •
(تعود سيمون ومعها صرة صغيرة ووزرتها علىيدها • تعيد الوزرة الىالسيدة سوبو)

السيدةسوبو: والآن افتحي صرتك لنرى كل ما أخذته من عندنا •
المعلـــم : أهـذا ضروري يا أمي ؟
(تفتح احدى الراهبتين الصرة وتسحب منها كتاب سيمون)
سيمـــون : لا • لا تاخذي الكتاب ! (تناول الراهبة الكتاب للسيدة سوبو)
السيدةسوبو: هذا الكتاب ملك النزل •
المعلـــم : أنا أعطيتهـا اياه •
السيدةسوبو: للنفع الذي جنته منه (لسيمون) سيمون ودّعي موظفي النزل •
سيمـــون : وداعا يا سيد جورج •
جـــورج : كوني شجاعة ياسيمون •
سيمـــون : اطمئن • ياسيد جورج
مـوريس : اعتني بصحتك جيدا •
سيمـــون : نعـم يا موريس •
جـــورج : لن أنسى ابنة عمك •
(تبتسم سيمون له • ترفع بصرها الى سطح المرآب • يقل الضوء ويخفت وهجه • موسيقى تعلن تجلي الملاك • تنظر سيمون أبدا الى سطح المرآب وتشهد الملاك)•

المـــلاك : يا بنة فرنسا لا تخافي • ليس بين أعدائك من هو خالد • واليد التي رفعوها عليك سترتد يابسة عما قريب • لا تبالي أينما اقتادوك • فحيثما تكوني تكن فرنسا • فرنسا التي ستبعث عما قريب في كل بهائها •

(يختفي الملاك • وتضيء خشبة المسرح من جديد • تمسك الراهبتان سيمون من ذراعها تقبّل موريس وروبير • تقتاد • ينظر الجميع الى المشهد بصمت) •

سيمـــون : (تتخبط بيأس عند البوابة) كلا • كلا ! لن أذهب ! ساعدوني ويحكم ! لن أذهب الى المأوى ! اندريه ! اندريه !• (يسحبونها)

السيدةسوبو : نوبات النقرس ياهنري •

المعلـــم : (متجهمة) موريس ، روبير ، جورج ، عم غستاف ، الى العمل ! الآن زمن السلم لا تنسوا •

(يرافق المعلم والنقيب السيدة سوبو الى النزل • يخرج موريس وروبير من البوابة• يدحرج العم غستاف اطارا عبر الفناء • يتفحص جورج ذراعه المشلولة • بدأت السماء تصطبغ بلون أحمر • ينبه العم غستاف جورج الى ذلك • يسرع المعلـــم الى الخـــارج •

المعلـــم : موريس ! روبير ! ابحثا لي فورا عما يحترق • (يبتعد)

العم غستاف : هذه باحة المدرسة • النازحون ! هذا يثيرهم ، كأنمـــا •••

جـــورج : من المؤكد أن العربة لم تصل الى سانت أورسول ، بعد • وفي هذه الحالة تستطيع أن ترى ذلك من نافذتهـا ، سيمـــون •••

انتهـــــــــت

ســـــتار

مع الكتب

قصص من بلغاريا

أبو الفتح محمد أديب عزت

ثمة قول فرنسي مأثور :

« اصدار صحيفة يعادل افتتاح مدرسة » ٠٠ ومن هنا يمكن القول أيضاً :

ترجمة كتاب أدبي هام من لغة الى لغة يعادل اضاءة قنديل ، فتح نافذة للشمس والضوء والعافية ، واضافة تنير ، تثري وتفتح آفاقاً جديدة ، ودروباً جديدة تشق ٠٠

وليست الترجمة بالعمل السهل ، فان الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين كان يقول :

الترجمة ؟ انها من أصعب الفنون الأدبية على الاطلاق ٠٠

و ٠٠ تحتاج الترجمة كما هو معروف الى ثقافة فسيحة عميقة ، والى مقدرة لغوية وفنية ، كما تتطلب الكثير من جهد المترجم بالارتفاع الى مستوى الكاتب أو الى التجانس فيما ٠٠ بينهما بالروح الفني والمفهوم الأدبي والانساني اضافة الى بذل جهد ليس ضئيلا بالتأكيد بل شاقاً ومجهداً من أجل الوعي الكامل للنص

ولروحية الكاتب وشخصياته دون اغفال أسلوبه وكلماته المختارة والعزيزة على الكاتب والتي تمثل فيما تمثل شيئاً لصيقاً به ..

وثمة أيضا للترجمة الى جانب ذلك ، ومع كل ذلك هدف نبيل آخر ، ولنستمع معاً الى بيوتر فيازمسكي ، يشرح الدوافع والأسباب التي حدت بـه الى ترجمة رواية ادولف من تأليف بنيامين كونستنانت .. يقول الشاعر الروسي المترجم فيازمسكي : اذا تركنا جانباً ، رغبتي بتعريف القارىء الروسي الى هذه الرواية، فقد كان لدي أيضاً هدفي الخاص أن أدرس ، أن أعجم عود لغتنا ، أن أدربها بل أقسرها لاكتشاف مدى ما تستطيع تحقيقه في ميدان الاقتراب من لغة أجنبية ، بطبيعة الحال دون تشويهها ، دون وضعها على سرير بروكست .

وبروكست هو قاطع الطريق المشهور في آتيك اليونانية القديمة الذي كان يعترض درب المسافرين فيجردهم مما يحملون ثم يمددهم على سرير من حديد فما تجاوز من أطرافهم طول السرير قطعه ، وما كان أقصر من السرير شده ومطه الى أن ظفر به البطل تيزي فعرضه لنفس العذاب والعقاب .

ولعل العديد من المترجمين في وطننا العربي انما يضعون الآثار الأدبية التي يترجمونها على سرير بروكست ، فيتصرفون بالأثر الأدبي المترجم تصرفات شتى من حذف أحياناً ومن اضافات ليست موجودة بالنص أحياناً . وقلّة من المترجمين العرب يقومون بدورهم في الترجمة بدقة وأمانة وبوعي لأهمية وخطورة دور الترجمة .

وفي مكتبة الآداب الأجنبية كتاب أدبي مترجم جديد ، ويحمل الكتاب اسم قصص من بلغاريا ٣١٨ صفحة قطع عادي .. قام بترجمته عدد من الأدباء العرب السوريين ، الذين سبق لهم وأن ترجموا آثاراً أدبية دون أن يمددوا ما ترجموه على سرير بروكست وهم الأساتذة :

ميخائيل عيد ، وليد داؤد ، حسين راجي ، خيري الذهبي ، علي كنعان ، وليد القوتلي ،

و .. قد صممت غلاف الكتاب الفنانة التشكيلية الشابة سمر موسى باشا

كما يضم الكتاب دراسة جادة عن القصص المترجمة ، وعن القصة البلغارية كتبها د٠ أحمد سليمان الأحمد الشاعر والمترجم المعروف ورئيس تحرير الآداب الأجنبية ٠

ولقد بدأت قصص كتاب قصص من بلغاريا بترجمة قصة « بلغارية » د ٠٠ الكتاب الكلاسيكي الكبير إيفان فازوف ١٨٥٠ ـ ١٩٢١ وترجم القصة ميخائيل عيد ووليد داؤد ويتحدث الكاتب في هذه القصة عن نضال الناس العاديين البسطاء عن نضال جماهير الشعب البلغاري في فترة النهوض القومي في بلغاريا ونقرأ في القصة عن اضطهاد الاستعمار التركي آنذاك لفقراء الشعب عبر بطلة القصة العجوز إيلتسه ٠٠ التي تحمل حفيدها المريض لتذهب به الى الامير،وتلتقي وهي في طريقها الى الدير :

« حين اجتازت غابة البلوط لتهبط نحو إيسكرا : « خرج اليها فتى في ثياب غريبة مشدودة وشرائط على صدره وبارودة ٠ وكان وجهه شاحباً منخطف اللون ، الخبز يا جدتي ! أموت جوعاً ! » قال لها وهو يعترض طريقها ، تذكرت حالا : « انه من الذين يطاردونهم الآن ٠٠

وتعطيه بعض الكسرات اليابسة المتبقية في أسفل الحقيبة ويسألها ان كان بامكانه أن يختبىء في هذه القرية فتخشى عليه من الأعداء وتطلب منه : « اختبىء الآن في الغابة يابني فقد يراك أحد ، وانتظر عودتي الليلة ، سأراك هنا، سأجلب لك الخبز وبعض الملابس الأخرى ، بهذه الثياب لا يجوز أن تبقى ،

وتذهب الى الدير ومعها الطفل في حالة سيئة ، وتأخذ من الراهب خبزاً وتنطلق بسرعة نحو إيسكرا حيث ينتظرها المتمرد ، وتعاني الكثير في طريقها اليه فهي بحاجة الى عبور نهر ايسكرا ، وللوصول تبحث عن صاحب الزورق فلا تجده وهي لا تعرف أن تقودُ الزورق لوحدها ، ومع ذلك تخاطر وتقود الزورق ومعها الطفل المريض ، وتستطيع بمشقة أن تصل وتذهب الى الغابة ٠ وتعطي المقاتل ما حملته معها من خبز ، وفي الطريق يكاد يموت الطفلمن المرض والعذاب ، وتمر الأيام ويجيء الانتصار ، ويختم المؤلف قصته :

« ماتت إيلتسه منذ زمن بعيد ولكن الطفل نصف الميت قد عاش ، وهو الآن ممشوق قوي البنية برتبة عقيد ، حين روت له المرحومة جدته هذه الحادثة قالت له انها مؤمنة بأن الفضل في شفائـه لا يعود لصلوات الراهب بقدر مـا يعود للجميل الذي لم تستطع فعله ، والذي رغبت في أن تفعله بكل جوارحهـا ، وفي قصة الجد يوتسو يموت يوتسو بعد حياة طويلة عاشها وهـو يشهد بـلاده تنطلق بعد كفاح دام مر ، وبعد أن ظـل طويلا يقف عـلى صخرة مـن الصباح الى المساء يصغي الى الضجة والانفجارات وضربات المعاول وتدحرج العربات والحركة والضجيج المختلط للعمل الضخم • وذات مساء لم يعد الجد : « لم يعد الجد يوتسو ذات مساء • خرج ابنه مع الفجر ليبحث عنه فوق الصخرة ، ظن أنه قد وقع في الهاوية ، ولكنه وجده ميتاً هناك والقبعة في يده • لقد مات الجد يوتسو وهو يحيي بلغاريا الجديدة ص ٣٥ •

وفي قصة مربي الدببة تأليف بيتكـو يودروف ترجمة حسين راجي يحكـي الكاتب قصة فولكلورية عـن الجـدة تسينا • وفي قصة خطيئة إيفـان بيلين تأليف يوردان يوفكوف ترجمة ميخائيل عيد • نلتقي بايفان بيلين الذي يحب أن يتأمل كل شيء بامعان ونتعرف على حياته مع الرعاة والفتيان ونلتقي بنماذج عديدة من الريفيين الانقياء في حبهـم وكرههـم وحياتهم الشعبية البسيطة • وفي قصة عـلى الأسـلاك ليوردان يوفكوف ترجمـة ميخائيل عيد نتعرف الى حياة بيتر موكانـين ورفاقه في القرية وعذاباتهم بحيث لا نملك الا ننظر معه الى السماء ونهتف معه :

الهي ، كم من الألم في هذا العالم يا الهي ! ص ٦٥

وتتابع قصص الكتاب :

أندريشكو تأليف إيلين بيلين ترجمة ميخائيل عيد
في العالم الآخر لنفس الكاتب وترجمة : نفس المترجم
موهبتان لجورجي استمتوف ترجمة : خيري الذهبي
كاراجاكال لجيورجي رايتشيف ترجمة : حسين راجي
خديجة تأليف : ليودميل ستويانوف ترجمة : حسين راجي
يوم بيوم تأليف : كونستانتين كونستانتينوف ترجمة : خيري الذهبي

أمام الصورة تأليف : جيورجي كاراسلافوف ترجمة : حسين راجي
سترونا تأليف : آنجل كاراليتشف • ترجمة : ميخائيل عيد
بعد الصيد تأليف : اميليان بستانيف • ترجمة : حسين راجي
خطيئة تأليف : أورلين فاسيلف • ترجمة : ميخائيل عيد
حدث في ليلة مظلمة • بافيل فيجينوف • ترجمة : خيري الذهبي
سيدة شابة (يونغ فراو) بوغوميل رينوف • ترجمة : خيري الذهبي
دروب • نيقولاي خايتوف • ترجمة : ميخائيل عيد
آنخن • إفايلو بيتروف • ترجمة : علي كنعان
أزمنة ملحمية • يوردان راديتشكوف • ترجمة : وليد القوتلي
أشياء من حولنا • دونتشو تسونتشيف • ترجمة : علي كنعان

و •• نجد في كل هذه القصص تلك العفوية لدى هؤلاء الكتاب البلغار، وذلك الحس الانساني الصادق والمتفاعل مع الأحداث وأفراح وأحزان الناس والمسكون بهموم الوطن ونهوض الشعب ، وعبر معاناة واضحة في قصص هؤلاء الكتاب والرموز في القصص بسيطة وواضحة ، ويمتزج في قصص الكتاب حب الأرض بحب الوطن والناس •• بحب المرأة الأم والأخت والرفيقة والحبيبة وينصهر هذا الحب بالايمان بالعمل والايمان ومواصلة النضال من أجل أن يزداد فرح الناس وفرح الوطن ••

ويقول الدكتور أحمد سليمان الأحمد في دراسته لقصص الكتاب بشكل خاص، وللقصة البلغارية بشكل عام• يقول في دراسته التي يختتم بها كتاب قصص من بلغاريا:

إن علينا ونحن أمام القصة البلغارية أن نوجّه الانتباه الى الاهتمام المتزايد بعالم الأبطال الداخلي حيث تمتزج المشاكل المعنوية بالقضايا الحيوية وبأبرز الظواهر الاجتماعية في الحياة المعاصرة وقد أتاح هذا للكتّاب الموهوبين أن يتوغلوا بمزيد من العمق في نفسية انسان العصر وأن يكشفوا عن تعقد وتناقض في المواضيع التي تصطرع غالباً في النفس البشرية وعن غنى وتنوع التغيرات العميقة التي تقتضيها الحياة في الطبيعة البشرية •

ويعمد هؤلاء الكتاب الى تجـاوز الوصفية التقليدية ، والتسلسل الزمني ، ويطمحون الى التحدث للقارىء بروح الألفة ، وهم لا يتجنبون الاتجاهات الاجتماعية المختلفة أو الوجدانية التي تحفل بها الابداعات ، لا بلهجة الموعظة ، ولكن بالضرب على الوتر الاجتماعي وبنبرة شعرية ٠

وفي بعض الأحيان يكون التشديد على الاستهلال الوجداني في النثر تعبيراً عن الحاجة الى مزيد من الحرية في الألفة مع القراء ، والحاجة الى قدر أكبر من الاستقلال في الكشف عن وجهة نظر المؤلف ٠

وبات النثر البلغاري المعاصر أكثر تنوعاً وأكثر مرونة وأقرب الى الحياة في الواقع ، وتحددت قضايا تماثل الأشكال ، وقضايا الحقيقة الحيوية في قالب جديد، دون أن يؤدي ذلك الى فقدان فكرتها وأهميتها الاجتماعية العميقة ٠ وهكـذا تـم التوصل بشكل طبيعي طوعي الى المسائل الهامة في الانسانية الاشتراكية ٠

ويبقى هذا الكتاب المتميز «قصص من بلغاريا» كتاباً هاماً وفيه جهد واضح ويظل مرجعاً لدراسة القصة البلغارية وتطورها وهمومها وآفاقهـا عبر مختارات لأبرز كتّابها وعبر الدراسة العميقة بعنوان « في القصة البلغارية » والتي كتبهـا د٠ أحمد سليمان الأحمد في ختام هذا الكتاب ٠٠ الاضافة ٠

□●□

في المجلات الأدبية

مجلة لاكانزين الفرنسية

وعددها الخاص عن النساء

إعداد : صلاح دهني

أصدرت المجلة الأدبية الفرنسية « لاكانزين » عدداً خاصاً تحت هذا العنوان : « النساء » • كانت المهمة صعبة ، اذ لا يمكن لأي عدد من مجلة أن يحيط بكل ما تمثله المرأة : مهمتها ، دورها في العائلة وفي المجتمع ، الأمور المختلفة التي يُخضعها لها مجتمع يدور فيه كل شيء حول العنصر المذكر ولصالحه • اقتضى الأمر أخيراً تجنيد مجموعة كبيرة من الاختصاصيين في ميادين مختلفة ومتنوعة : اقتصادية ، اجتماعية ، بيولوجية ، سياسية ، أدبية وحتى في ميدان التحليل النفسي ، كيما يأتي العدد موفياً على الغاية بنحو ما •

كان القصد كما تقول افتتاحية العدد ، فتح سبل للتفكير في الوقت ذاتهالذي بدأ فيه تفكير النسوة بأحوالهن يشكل مادة تستحق الاعتبار في المسار التاريخي

للمرأة ، أي في مسارنا التاريخي جميعاً · المرأة في زماننا تطالب بحقوقها بنحـو لم يعرف من قبل ، وأقل ما تريده المساواة بالرجل · وحركات المطالبة أخذت شكلا جماعياً وأحياناً عنيفا هنا وهناك في العالم · مجتمعاتنا كانت أبوية ، السلطةفيها للرجل ، على هذا ربينا وكبرنا واعتبرنا الأم قدراً ، والنسوة قبلن بالتبعيةووجدن فيها مجالا للرضا · وما زالت النساء يكـررن كلمة ماركس الشهيرة القائلـة بأن تقدم الانسانية يمر حتماً عبر تقدم المرأة · لكن بعضهن لا يكتفين بهـا لأنهـا في نظرهن تتضمن أن هذا التقدم عمل يحققه الرجال ، في حين أن المرأة لن تتقدم الا بالاعتماد على ذراعها !

بعضهن أيضاً ، في اعداد متزايدة على الدوام ، في أوربا وفي أمريكا ، لميعدن يكتفين بالقاء الأسئلة على المجتمع الأبوي ، لا يكتفين بما تحققه لهـن الانتفاضات التي قد تقوم هنا أو هناك ، أو في هذا الميدان أو ذاك · انهن ينظمن الصفوف ، يعملن ، يتظاهرن ، وباختصار يفرضن على الجميع أن يأخذوا حركاتهن مأخذ جد· وبهذا بدأت العلاقات التاريخية بين المرأة والرجل تتعدل ، وتتغير ·

ولدت التحركات الأساسية للمرأة في قلب المجتمعات الاشتراكية ، في الاتحاد السوفياتي ، الصين ·· كذلك في الولايات المتحدة الامريكية حيث بدأ انتاج أدب نسائي يطالب بالتحرر وبحق للمرأة بأن تمتلك جسدها وتتصرف به · ومن هذه النقطة تنبع بغزارة فائقة حقوق أخرى ·· وتساؤلات لا تنضب ·

في مجـال الخلق الفني والأدبي يتساءل العديد من المشاركين والمشاركات في هذا العدد من المجلة : هـل ترى يكتب الرجل بشكل يخالف الشكل الذي تكتب بـه المرأة ؟ لماذا وكيف ؟ الرجل والمرأة في مواجهـة نص مـا ، هل يخوضان فيه بصفة هذا رجلا ، وصفة تلك امرأة ؟ هل يعيان حالتيهما أم لا ؟ واللغة ذاتها في مجتمع أبوي ، كيف خلقت ولصالح من ؟ ويكفي أن نلقي سؤالا كهذا : « هل للنصالأدبي جنس ؟ » حتى نلاحظ أن هناك أموراً عديداً من بعد ستقتضي أن يعاد فيهاالنظر·

ألقت المجلة هــذا السؤال على كتّاب من الرجال والنساء · أجابت الكاتبة مارت روبير : « ليس للأدب جنس ، لسبب واضح هـو أن الجنس يلعب فيه دوراً غامضاً بمقدار ماهو حاسم » ·

وقال الكاتب ادمون جابيس : « ان الكتاب ما ان يكتب حتى يستبعد كاتبه، رجلا كان أم امرأة » ·

وقال آخر : « ان اللاشعور لا يعرف فارق الجنسين » ·

في حين أثبتت الكاتبة كلودين هرمان في عمل لهـا بهـذا العنوان : « فرادة الذهن النسائي » أن الرجل يخضع دون أن يدري لميثولوجية مذكّرة في الكتابة·

أما الكاتب جوليان غراك فيسأل : « كيف نقطع في قضية يقف فيها كل شخص، ما دام ينتمي الى أحد الجنسين ، موقف القاضي والطرف ؟ »

وترد الكاتبة فيفيان فورستر : « ولمَ يقع على المرء أن يفكر وهو يكتب بأنه رجل أو امرأة ، لا أنه جبل ، أو مقطع من زمن ، أو مسار رتيلاء ؟ » ·

□●□

محتوى العدد

الموزعون

سورية : مكتبة حسين نوري ـ دمشق
المملكة الاردنية الهاشمية : وكالة التوزيع الاردنية
الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
تونس : الشركة التونسية للتوزيع
بقية الأقطار العربية : الشركة العربية للتوزيع ـ بيروت

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :

■ للأفراد	١٥ ل.س
■ للدوائر الرسمية	٣٦ ل.س

في البلاد العربية :

■ البريد العادي	٢٤ ل.س
■ البريد المسجل	٤٨ ل.س

تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي

الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكاً أو يدفع نقدا الى محاسب اتحاد الكتاب العرب

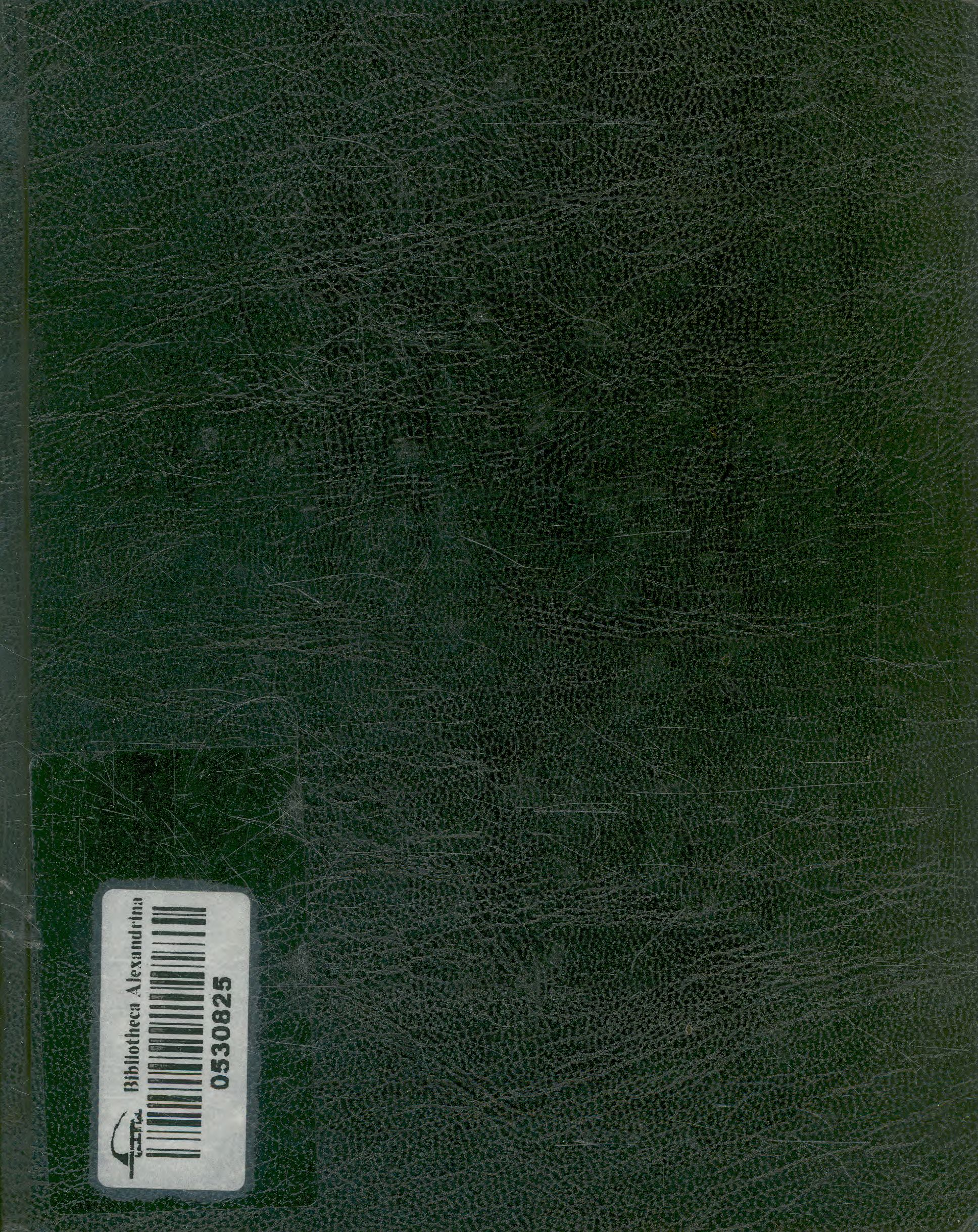
سعر العدد

سورية	٣٠٠	ق.س
لبنان	٣٠٠	ق.ل
الكويت	٤٥٠	فلس
أبو ظبي	٩	دراهم
دبي	٩	دراهم
الخليج العربي	٩	دراهم
الاردن	٤٠٠	فلس
قطر	٦	ريالات
البحرين	٦٠٠	فلس
عدن	٦٠٠	فلس
السعودية	٦	ريالات
ليبيا	٣٧٥	درهم
تونس	٧٠٠	مليم
المغرب	١٠	دراهم
الجزائر	٦	دنانير
السودان	٧٥٠	مليم
العراق	٤٠٠	فلس
مصر	٥٠٠	مليم

مطابع الف باء ـ الأديب ـ دمشق


إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية
ISHBILIYAH
SEVILLA
Studies, Publication & Distribution


إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق – سورية
ISHBILIYAH
SEVILLA
Studies, Publication & Distribution


Bibliotheca Alexandrina
05330825